

المملكة العربية السعودية  
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة  
قسم الدراسات العليا  
«شعبة العقيدة»

٢٠٢٢  
١٤٤٣  
١٤٤٤

# مَبَاحِثُ الْعُقَيْدَةِ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية الماجستير

إعداد الطالب

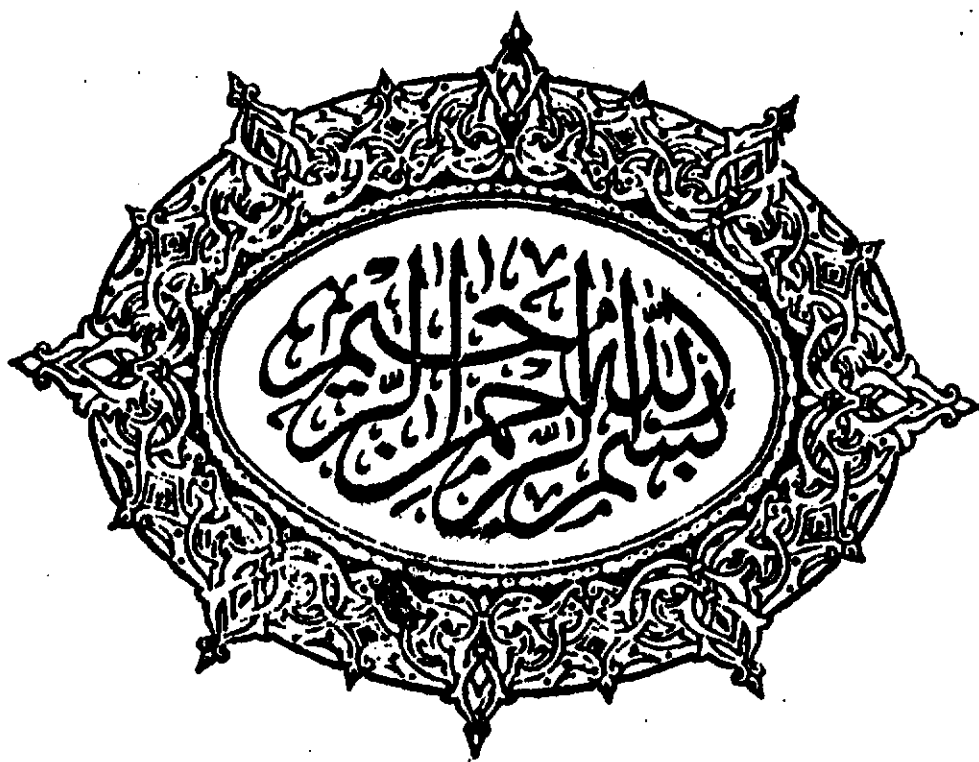
ناصر بن علي عايض حسن الشيخ

إشراف فضيلة الشيخ

عبد المحسن بن محمد العتيق

المجلد الأول

١٤٠٥ - ١٤٠٦ هـ



شكر وتقدير

" ( بسم الله الرحمن الرحيم )

شكر وتقدير

أحمدك اللهم كما ينبغي لكرم وجهك وهز جلالك ، وأستعينك استعانة  
من لا حول ولا قوة له إلا بك ، وأشكرك الشكر الجزيل على ط أوليتني مسن  
نعطاك وإحسانك . لا إله غيرك ولا رب سواك أنت أهل الفضل والثناء - سبحانه  
لا نحصي ثناء عليك ويعسد :

فقد جاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم " من صنع إليكم معسرًا  
فكافوه فإن لم تجدوا ما تكافوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه " ( ١ )  
فمن الإعراف بالفضل لأهله ، والفعل الحسن لذوه يسرنى أن أتقدم بحال  
شكري وتقديري لفضيلة شيعي / عبد المحسن بن حمد العباد . الذي تولسى  
الإشراف على هذه الرسالة فكان لحسن إشرافه ودقة متابعتة أكبر الأثر نفسى  
إنجاز هذه الرسالة وإخراجها إلى حيز الوجود ، فقد فتح لى صدره الرحيم  
وجاد علي بتوجيهاته السديدة ، وأعطاني من وقته الكثير إذ لم يكن يقتصر  
- حفظه الله - على ساعات الإشراف الرسمية بل كان يستقبلني في منزله بوجه  
مشرق ونفس راضية وسرور بالغ فله منى خالص الشكر والثناء ومن الله المشيئة  
والجزاء فجزاه الله عني أحسن الجزاء وجعل سميه مشكوراً وأكرهه في الآخرة  
والأولى .

وكذلك أشكر فضيلة الشيخ محمد أمان بن علي الجامي ، الذي أشرف  
على هذه الرسالة في بداية نموها ط ط كاطا وأفادني بتوجيهاته وإرشاداته  
القيمة فقد لمست منه خلال ذلك العام مشرفاً مخلصاً ، وموجهاً متقناً فجزاه  
الله خير جزاءً ووفقه لط يحب ويرضى .

( ١ ) سنن أبي داود ٣٨٩/١ ، النسائي ٨٢/٥ ، المسند ٦٨/٢ .



ولا يفوتني في هذا المقام أن أقدم شكرى لكل من أفادني من أساتذتي  
وزلائي بكتاب أو إرشاد ، أو أي نوع من المساعدة .

كما أتقدم بالشكر الجزيل للجامعة الإسلامية ممثلة في القائمين عليها  
الذين قاموا بما يجب عليهم نحو طلابهم خير قيام وحرصوا على تقديم كل ما  
يعينهم على أداء مهمتهم وفق الله الجميع لطوبه ورضاه وجعل عملنا  
هذا خالصا لوجهه الكريم ومنَّ علينا بالتوفيق والسداد إنه جواد كريم  
وهو حسبنا ونعم الوكيل .

المقدمة

(( بسم الله الرحمن الرحيم ))

- المقدمة -

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونشهد به ونعوذ  
بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتدي ،  
ومن يضل الله فلا تجد له ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه  
ومن سلك سبيله ، واهتدى بهداه وسلم تسليمًا كثيرًا . أما بعد :

فإن أحق ما يشتغل به الباحثون ، وأفضل ما يتسابق فيه المتسابقون ،  
وأجل ما يتنافس فيه المتنافسون هو دراسة كتاب الله تعالى ، ومواصلة  
البحث فيه ، والتعمق في الكشف عن طوره وحقائقه ، وإظهار إعجازه ، وتجليه  
محاسنه والدفاع عنه بنفي الشكوك ، والريب فيه .

فالقرآن الكريم بحر لا يدرك غوره ، ولا تنفذ درره ولا تنقضي عجائبه فما  
أحق الأعمار أن تفتنى فيه ، والأزمان أن تشغله به ، وكل ساعة يقضيها  
الباحث في النظر في كتاب الله ، والتأمل فيه ، أو في البحث فيما يتصل به  
فهو في سبيل الله ونصرة لدينه .

والقرآن الكريم هو كتاب الله المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد  
صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه نقل إلينا بالتواتر المفيد للقطع واليقين ،  
أحكامه فائق إحصائه ، وفصله ، فأحسن تفصيله كما قال تعالى : ( كتاب أحكمت  
آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير )<sup>(١)</sup> لا يتطرق إليه نقض ولا باطل قال تعالى :  
( وإنه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم  
حميد )<sup>(٢)</sup> .

والقرآن العظيم هو المعجز العظمى التي أوتيتها نبينا صلى الله عليه  
وسلم ، وهو الحجة البالغة الباقية على مر الدهور والعصور تحدى الإنس

والجن أن يأتوا بعثه ، أو يبعثه فباوا بالعجز .

والقرآن الكريم هو هداية الله لخلقه ، وشريعته في أرضه . وهو الكتاب الذي يشتغل على كل ما يحتاج اليه البشر في أمور دينهم ودنياهم في العقائد والأخلاق ، وفي العبادات والمعاملات وهو في كل ذلك حكيم كل الحكمة لا يعتره خلل ولا اختلاف ، ولا تناقض قال تعالى : ( أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) (١) .

فلا عجب إذن أن كانت السعادة الحقة لا تنال إلا بالاهتداء بهداهته والإلتزام بما جاء به ، ولا عجب أن كان مصدرا لشفاء الأمراض التي تعترى النفوس والمجتمعات ، فاهتدت به الطوبى بعد ضلال وأبصرت به العميون بعد عمى ، واستنارت به العقول بعد جهالة ، واستضاءت به الدنيا بعد ظلمات ( وإن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويشرح للمؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ) (٢) ( ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ) (٣) .

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجه من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ) (٤) .

والقرآن الكريم هو الكتاب الذي بين الله فيه وفي سنة رسوله على اللسان عليه وسلم للناس ، ما يجب له على عباده من أفراد ، بجميع أنواع العبادات ، وإخلاص الدين له وحده لا شريك له أنزله الله ليتمسك العباد بما فيه من أوامر ويجتنبوا الأمور التي نهى عنها ، فيجب عليهم الإلتزام بما فيه عقيدة وسلوكها قولا وعملا ، ظاهرا وباطنا .

( ٢ ) سورة الاسراء آية ٩ - ١٠

( ١ ) سورة النساء آية ٨٢

( ٤ ) سورة المائدة آية ١٥ - ١٦

( ٣ ) سورة الاسراء آية ٨٢

إجراء الصفات ، كما وردت ، ولم يكن ضد أحد منهم ما يستدل به طسسى وحدانيه الله تعالى ، وعلى إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم سوى كتاب الله ، ولا عرف أحد منهم شيئاً من الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة فضى عصر الصحابه رضي الله عنهم على هذا (١) .

ونتيجة لتلقي الصحابه العقيدة الصافية النقية من مصدرها الكتاب والسنة ، وتمسكهم بها كانوا خير أمة أخرجت للناس ، وكانوا ضرب الأمثال في الايمان والإخاء والعدل والوفاء ، والوفاق والوثام ، وصاروا علما حكما رحما ، وسادة قادة في الحكم والحرب والسيادة لم يوجد لهم من بعدهم مثل كما أنه لم يوجد قبلهم بعد الأنبياء والمرسلين من يعاثلهم ، فقد نعم العالم في زمنهم برغد العيش والأمن والسلام حقبا من الزمان في ظل العقيدة الإسلامية ، وكانت دولة الإسلام في عهدهم دولة مرهوبة الجانب دللها كرده وللإسلام والمسلمين ، وكانت تلك الدولة الإسلامية تستمد قوتها من تمسكها بعقيدة التوحيد النقية التي لم تدنس بالفلسفة اليونانية ، والطرق الكلامية فكانت عقيدتهم صافية نقية كما أخذوها من الكتاب المبين .

ومن السنة النبوية الصحيحة التي أوحاها الله إلى نبيه محمد صلى الله

عليه وسلم فقويت شوكة الإسلام وسيطر سلطان العقيدة على أرجاء المعمورة .

ولما حدثت الطرق الكلامية ، والذاهب الفلسفية تمزقت الأمة ، وانقسمت

فرقا وأحزابا (٢) ، فأخذ الضعف ينخر في أمة الإسلام شيئاً فشيئاً حتى تدهورت

العقيدة من نفوس المسلمين ، واهتز الإيمان في قلوبهم ، وكان لضعف العقيدة

(١) الخطط للمقرئى ٣٥٦/٢ ، وانظر " تلبيس إبليس لابن الجوزى ص ٨٥ " .

(٢) انظر الخطط للمقرئى ٣٤٤/٢ - ٣٥٥ .

عند المسلمين الأثر السبي في جميع نواحي الحياة ، ولقد فهم أعداء المسلمين أن مصدر قوة المسلمين إنما هو في تمسكهم بعقيدتهم ، والتزامهم بها في كتاب ربهم فأخذوا يبعدونهم عما في هذا الكتاب من الخير الدنيوي والأخروي بالدعوة إلى عدم تحكيمه واستبداله بقوانين البشر الطاغوتية فكانت حالة المسلمين على ما ترى ! ! ضعفوا عن الوصول إلى غاياتهم من قيادة الأمم ، وهداية الشعوب ، يتنازعهم أعداؤهم من جميع الجهات ، ويسعون جاهدين لإضعافهم وإذلالهم نتيجة لتخليهم عن هذا الكتاب الذي هو مصدر قوة عقيدتهم ، وعزهم ، ورفع رايتهم وجمع كلمتهم ، فأعجبوا فريسة لأعدائهم ضعفاء مهزومين متذللين لهم ينظرون إليهم بعين الأكبار والأجلال وهذه الهوة وقع فيها أكثر المسلمين إلا من رحم الله تعالى ولا يمكن أن يعود للمسلمين عزهم ومجدهم إلا بالعودة للتمسك بعقيدتهم المستمدة من القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة إذ لاتصفو عقيدة المسلمين بما طرأ عليها من شوائب الشرك والبدع إلا بالرجوع إلى هذين المصدرين اللذين علحت بهما الدنيا ، وحينئذ يعود للمسلمين شأنهم و كما كان للسلف الصالحين الذين حطوا راية الإسلام ، وسعوا جاهدين في نشر العقيدة الإسلامية الصافية النقية حتى عمت معظم الكرة الأرضية فنعم الناس في ظلها بالأمن والرخاء والسعادة .

فالكتاب العزيز اشتمل على بيان العقيدة الصحيحة وتجليتها ، والناظر فيه يجد أن معانيه " دائرة على التوحيد وبراہینہ والعلم بالله وماله من أوصاف الكمال ، وما ينزهه عنه من سمات النقص ، وعلى الإيمان بالرسول ، وذكر براہین عد قہم ، وأدلة صحة نبوتهم ، والتعريف بحقوقهم ، وحقوق مرسلهم ، وعلى الإيمان بملائكته ، وهم رسله في خلقه وأمره ، وتدبيرهم الأمور بإذنه

ومشيئته ، وما جعلوا عليه من أمر العالم الغلوي والسفلي ، وما يختص بالنوع  
الإنساني منهم من حين يستقر في رحم أمه إلى يوم يوافي ربه ، ويقدم عليه ،  
وعلى الإيمان باليوم الآخر ، وما أعد الله فيه لأوليائه من دار النعيم المطلق  
التي لا يشعرون فيها بألم ولا نكد وتنغيص ، وما أعد لأعدائه من دار العقاب  
الوبيل التي لا يخالطها سرور ، ولا راحة ، ولا زاحه ، ولا فرح وفصاح ،  
ذلك أتم تفصيل وأبينه ، كما اشتمل على تفاصيل الأمر والنهي والشرع  
والقدر ، والحلال والحرام ، والمواعظ والعبر ، والقصص والأمثال ،  
والأسباب والحكم ، والمبادئ والغايات في خلقه وأمره (١) ،

وهكذا اشتمل القرآن العظيم على بيان وحدانية الخالق وتفرد  
بصفات الكمال والجلال ، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل الكرام ، وحث  
الناس على الإيمان بالبعث والمعاد .

ووجه العقول والأنظار إلى النظر في الأنفس وما فيها من عجائب وأسرار  
( وفي أنفسكم أفلا تبصرون ) (٢) كما وجهها إلى النظر في الآفاق والآيات  
الكونية علويها وسفليها ، ظاهرها وخفيها وما ينطوى عليه من حكم ،  
وما أودع الله فيها من خواص وسنن وأفانن في ذلك في غير ما آية وسورة  
(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري  
في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد  
موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء  
والأرض آيات لقوم يعقلون ) (٣) (إن في خلق السموات والأرض آيات لأولئى  
الأنبياء ) (٤) ( وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان  
وغير صنوان يسبق بماء واحد ونفصل بعضها على بعض في الأكمل ) (٥)

(١) مدارج السالكين ٤٥٢/١ (٢) سورة الذاريات آية / ٢١ .

(٣) سورة البقرة آية / ١٩٤ (٤) سورة آل عمران آية / ١٦٠ .

(٥) جمع صنواي : نخلات أصلها واحد ونخلت ليست كذلك .

إن في ذلك آيات لقوم يعقلون (١) إلى غير ذلك من الآيات التي لا يحصيها  
العدد .

وبالجملـة فكتاب الله قد اشتمل على كل ما يسعد الإنسان ويحتاج إليه  
في أمر دينه ودنياه ، وما من مشكلة تعرض للأمة الإسلامية إلا وقد وضع  
لها حلا وعلاجا يتناسب معها ولكن المسلمون لما أعرضوا عنه وجعلوه وراء  
ظهورهم ، وقفوا أمام مشكلاتهم حائرين مع أن هذا الكتاب المبين قد أبان  
لهم كل خير ، ووضح لهم جميع أسباب النجاة وأعظم سبب يكفل لهم  
سعادتهم في الدنيا والآخرة هو تمسكهم بالعقيدة السلفية الصحيحة  
وإخلاصهم العبادة له - وحده لا شريك له - إن هي الغاية التي خلق  
الله الخليقة من أجلها ( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ) (٢) ومن  
أجلها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ، فالرسل طهروا بالصلوة والسلام جميعهم  
من لدن نوح إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دعوا أقوامهم إلى توحيد  
الله - عز وجل - ( وما أرسلنا من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا  
قاعدون ) (٣)

( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) (٤)  
فالتوحيد هو العباد الأول في حياة الإنسان ، ولذلك زخر القرآن بآياته  
وسوره بالدعوة إلى عقيدة التوحيد وإخلاصها لله - وحده لا شريك له -  
فلا نجاة ولا سعادة ، ولا فوز ولا فلاح لأحد من العباد إلا بتحقيق عقيدة  
التوحيد طبقا لما في الكتاب المبين وسنة نبيه الأمين صلى الله عليه وعلى آله  
وصحبه أجمعين .

( ١ ) سورة الرعد آيه / ٤ . ( ٢ ) سورة الذاريات آيه / ٥٦ .  
( ٣ ) سورة الأنبياء آيه / ٢٥ . ( ٤ ) سورة النحل آيه / ٢٦ .



وقد اخترت أن يكون موضوع رسالتي لنيل درجة " العالمية الماجستير "

مباحث العقيدة في سورة " الزم " .

سبب اختياري لهذا الموضوع :-

إن سبب اختياري لسورة " الزم " لتكون موضوع رسالتي هذه ذلك لأنها من أكثر سور القرآن شمولاً لكثير من مباحث العقيدة الإسلامية وهي من السور الحكمة<sup>(١)</sup> التي عالجت قضايا العقيدة على سبيل التفصيل ، فقد تناولت الحديث عن التوحيد بأنواعه الثلاثة : توحيد الأسماء والصفات وذلك بذكر الكثير من صفات الله - تعالى - وإثباتها له كما يليق بجلاله ، وتوحيد الألوهية : وذلك بذكر الكثير من أنواع العبادة التي لا يستحقها إلا الله - تعالى - وتوحيد الربوبية : وذلك بذكر الكثير من دلائل المحسوسة التي يلمسها العباد ويشاهدونها في حياتهم ، واشتطت أيضاً : على بيان ما يناقش التوحيد وينافيه وهو الشرك بالله العظيم ، وذلك بذكر الفرق بين المشرك والموحد وأصل الشرك في بني الإنسان ، ودم الإنسان الذي يجعل لله أندادا ، وبيان أن الشرك محبط للعمل وأن صاحبه من الخاسرين .

ثم انتقل الحديث فيها إلى وجوب الإيمان بالملائكة ، والكتب والأنبياء والرسول ، كما تناولت الحديث عن الإيمان بالقدر بذكر مراتبه الأربع ، ثم ختم الحديث فيها عن وجوب الإيمان باليوم الآخر الذي يكون فيه الصير النهائي للمؤمنين والكافرين حيث بين الله في خاتمتها أن الجنة دار المتقين ،

( ١ ) اللهم إلا ما روى عن ابن عباس أن " وحشيا قاتل حمزة رضي الله عنه نزل فيه بضع آيات منها : ( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . . . ) إلى آخر ثلاث آيات ، وقيل : إلى آخر سبع آيات " .

أنظر : " الدر المنثور ٧ / ٢١٠ ، زاد المسير ٧ / ١٦٠ ، فتح القدير للشوكاني ٤ / ٤٤٧ ، " وانظر " أسباب النزول للواحدى ص ٢٤٩ لباب النقول للسيوطي ص ١٨٥ ، روح المعاني ٢٣ / ٢٣٢ " .

وأن النار دار الكافرين الذين عبدوا غير الله وأشركوا معه غيره في العبادة  
فهي دارهم وبئس المصير ، .

ومن هذا يعلم أن السورة تكاد تكون مقصورة من أولها إلى آخرها  
على الاهتمام بالإيمان بالله تعالى وأنه المعبود بحق دون سواه ، وأنه  
المتفرد بصفات الكمال والجلال ، والإيمان بالملائكة والكتب والرسائل  
عليهم الصلاة والسلام ، والإيمان بالقدر والبعث والمعاد ، وأن هناك حياة  
أخرى خيرا من هذه الحياة فإذا ما آمن العباد بهذه العقائد سهـل  
عليهم بعد تلقي تعاليم الشريعة الغراء ، والإلتزام بها عطا وسلوكا  
فمن أجل هذه المباحث المتقدمة التي عرضت لها سورة " الزمر " أحببت  
أن تكون موضوعا لرسالتي هذه ، ولأن من أجل الأعمال وأفضلها الإشتغال  
بدراسة كتاب الله تعالى وفهم معانيه وتدبر آياته ، وذلك من أحب الأعمال  
إلى الرب جل وعلا - وأعظمها أجرا لأنه كلام الله ، وكل عمل يتصل  
بهذا الكتاب من أجل خدمته وتبينه للناس ليعطوا به فهو قربة يتقرب  
به إلى الله تعالى ، فإنه ليس شئ " أنفع للعباد في معاشهم ومعادهم  
وأقرب إلى نجاتهم من الإلتزام بما في هذا الكتاب المبين عقيدة وعملا .

منهج البحث :-  
~~~~~

إن المنهج الذي اتبعته في إعداد رسالتي هذه هو كالآتي :-

أولا :-

حصرتها بحث العقيدة التي اشتطت عليها سورة " الزمر " وجمعت  
الآيات التي تتعلق بكل بحث على حدة ، وجعلتها عنوانا يتناسب مع  
ماتدل عليه ، ثم بينت وجه دلالتها على المسألة الاعتقادية مستعينا في ذلك

بأقوال أهل العلم الذين لهم جهود في توضيح العقيدة الإسلامية من علماء التوحيد من سلفنا الصالح كما استعنت بأقوال بعض المفسرين المتقدمين والمتأخرين وشرح الحديث .

ثانيا :-

أحيانا أكرر الآية الواحدة من سورة " الزمر " تحت أكثر من عنوان وذلك لاشتمالها على أكثر من مسألة من مسائل العقيدة فأعطر إلى أعادتها ، وتكرارها في مباحث كثيرة من مباحث الرسالة .

ثالثا :-

أذكر القول الحق في المسألة الاعتقادية وأذكر ما يخالفه غالبا مع بيان الرد عليه .

رابعا :-

رتبت الموضوعات التي وردت في هذه الرسالة على حسب ترتيب أركان الإيمان الستة الواردة في حديث عمر بن الخطاب والمشهور بحديث جبريل الطويل<sup>(١)</sup> ولم أرتبها على حسب ورودها في السورة غير أنني قد مت موضوع الإيمان بالقدر على الإيمان باليوم الآخر لأن من المناسب موضوعيا أن يكون اليوم الآخر هو نهاية المطاف في هذه الرسالة .

خامسا :-

التزمت عند النقل من أي مرجع ، أو الاستفادة منه الإشارة إلى رقم جزئه وصفحته بالإضافة إلى ذكر طبعات المراجع في الفهرست .

سادسا :-

بينت مواضع الآيات التي وردت في الرسالة من غير "سورة الزمر" بذكر اسم السورة ورقمها في الهامش أما آيات سورة "الزمر" فلم أذكر رقمها ، وإنما أذكر عقب الآيات الواردة في كل صحت أنها من سورة "الزمر".

سابعا :-

عزوت الأحاديث التي أوردتها في الرسالة إلى مصادرها الأصلية من كتب السنة المعتمدة بذكر الجزء والصفحة في الهامش مع بيان درجة الحديث من خلال أقوال المحدثين إن كان الحديث من غير الصحيحين .

ثامنا :-

ترجمت للأعلام الذين جرى نقل شيء من كلامهم في الرسالة .

تاسعا :-

شرحت المفردات الغريبة التي وردت في بعض الأحاديث مستعينا في ذلك بكتب غريب الحديث ، ومعجم اللغة ، وشروح الحديث ثم ختمت الرسالة بالفهارس الآتية :-

فهرس الأعلام المترجم لهم مرتبة ترتيبها هجائيا .

فهرس المصادر والمراجع مرتبة كذلك .

فهرس الموضوعات .

( خطة البحث - )

لقد قسمت لبحث إلى مقدمة ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة ، وتشتمل المقدمة على بيان اشتمال القرآن على كل ما يسعد الإنسان في دنياه وأخراه ، وعلى بيان اهتمام القرآن بالتوحيد والعقيدة الإسلامية كما تشتمل على سبب اختياري لهذا الموضوع ، والمنهج الذي سرت عليه في البحث وهذه الخطة التي بنيت عليها هذا البحث .

- الباب الأول -دلالة السورة على الإيمان بالله تعالى

وفيه أربعة فصول :-

الفصل الأول : دلالة السورة على توحيد الأسماء والصفات ويشتمل على

المباحث الآتية :-

- المبحث الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات .
- المبحث الثاني : إثبات صفة الملوك والفقير .
- المبحث الثالث : القرآن كلام الله منزل غير مخلوق .
- المبحث الرابع : إثبات صفة العزة .
- المبحث الخامس : إثبات صفة الحكمة .
- المبحث السادس : تنزيه الله تعالى من نسبة الولد إليه .
- المبحث السابع : إثبات صفتي الوحدانية والقهر .
- المبحث الثامن : إثبات صفتي الرحمة والمغفرة .
- المبحث التاسع : إثبات صفة الغنى لله تعالى .
- المبحث العاشر : إثبات صفة الرضا .

المبحث الحادي عشر : إثبات صفة العلم .

المبحث الثاني عشر : بيان معنى اسمه تعالى " الوكيل " .

المبحث الثالث عشر : إثبات صفة اليد بين .

الفصل الثاني : دلالة السورة على توحيد العبادة .

ويشتمل على المباحث الآتية :-

المبحث الأول : تعريف توحيد العبادة .

المبحث الثاني : وجوب أفراد الله تعالى بتوحيد العبادة .

المبحث الثالث : أهمية الإخلاص في توحيد العبادة .

المبحث الرابع : عبودية الدعاء .

المبحث الخامس : عبودية الخوف .

المبحث السادس : عبودية الرجاء .

المبحث السابع : انقسام العبودية إلى عامة ، وخاصة .

المبحث الثامن : الإسلام من جميع الأنبياء والرسل .

المبحث التاسع : بيان الطاغوت الذي أوجب الله على عباده أن يجتنبوه .

المبحث العاشر : عبودية الإنابة .

المبحث الحادي عشر : عبودية التوكيل .

المبحث الثاني عشر : الشفاعة نوحان منفيه ، ومثبه .

المبحث الثالث عشر : الرسل بعثوا للدعوة إلى توحيد الله بتوحيد العبادة .

الفصل الثالث : دلالة السورة على توحيد الربوبية :-

ويشتمل على المباحث الآتية :-

المبحث الأول : تعريف توحيد الربوبية .

المبحث الثاني : دلائل توحيد الربوبية من السورة .

المبحث الثالث : إقرار المشركين الذين بعث فبهم الرسول صلى الله عليه

وسلم بوجود الله تعالى .

المبحث الرابع : الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الإقرار بتوحيد الأُلوهية .

الفصل السابع : ما جاء في السورة بشأن الشرك ويشتمل على المباحث

الآتية :-

- المبحث الأول : تعريف الشرك .
- المبحث الثاني : أنواع الشرك .
- المبحث الثالث : أصل الشرك في بني الإنسان .
- المبحث الرابع : ذم الإنسان على جعله أندادا لله تعالى .
- المبحث الخامس : الفرق بين المشرك والموحد .
- المبحث السادس : التحذير من الشرك وبيان أنه محبط للمعمل .

- الباب الثاني -

دلالة السورة على الإيمان بالملائكة  
والكتيب ، والرسل ، والقدر

وفيه أربعة فصول :-

الفصل الأول : دلالة السورة على الإيمان بالملائكة وفيه مبحثان :-

- المبحث الأول : تعريف الملائكة ، ومن أي شيء خلقوا ؟ .
- المبحث الثاني : ذكر بعض أعمال الملائكة

الفصل الثاني : دلالة السورة على الإيمان بالكتب وفيه مبحثان :-

- المبحث الأول : كيفية الإيمان بالكتب السابقة .
- المبحث الثاني : كيفية الإيمان بالقرآن .

الفصل الثالث : دلالة السورة على الإيمان بالأَنْبياء والرسل وفيه خمسة

مباحث :-

- المبحث الأول : تعريف النبي والرسول والفرق بينهما .  
المبحث الثاني : كيفية الإيمان بالأنبياء السابقين .  
المبحث الثالث : كيفية الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم .  
المبحث الرابع : ما يجب للرسول ، وما يجوز عليهم .  
المبحث الخامس : موضوع الرسائل السماوية .
- الفصل الرابع : دلالة السورة على الإيمان بالقدر ويشتمل على المباحث الآتية :-

- المبحث الأول : تعريف القضاء والقدر ، ومعنى الإيمان به .  
المبحث الثاني : بيان المبتدعه الذين نازعوا في القدر والرد عليهم .  
المبحث الثالث : مراتب القدر .  
المبحث الرابع : ما يتعلق بالهداية والضلال .

### - الباب الثالث -

#### دلالة السورة على الإيمان باليوم الآخر

وفيه ثلاثة فصول :-

الفصل الأول : مباحث في اليوم الآخر قبل دخول الجنة ، أو النار وهي :-

- المبحث الأول : النفخ في الصور .  
المبحث الثاني : بعث الموتى من قبورهم .  
المبحث الثالث : عناية القرآن بإثبات البعث .  
المبحث الرابع : أرضي المعشر .  
المبحث الخامس : كتاب الأعمال .  
المبحث السادس : جزاء الأعمال يوم القيامة .
- الفصل الثاني : النار دار الكافرين ويشتمل على المباحث الآتية :-



المبحث الأول : كيفية دخول أهل النار النار .

المبحث الثاني : أبواب جهنم .

المبحث الثالث : خزنة جهنم .

المبحث الرابع : إحاطة النار بأهلها وشدة عذابها .

المبحث الخامس : صفات أهل النار .

المبحث السادس : أبدية النار ودوام عذابها .

الفصل الثالث : الجنة دار المتقين ويشتمل على المباحث الآتية :-

المبحث الأول : كيفية دخول أهل الجنة الجنة .

المبحث الثاني : أبواب الجنة .

المبحث الثالث : خزنة الجنة .

المبحث الرابع : أرض الجنة .

المبحث الخامس : صفات أهل الجنة .

المبحث السادس : غرف الجنة ، وقصورها ، وأنهارها .

المبحث السابع : أبدية الجنة ودوام نعيمها .

المبحث الثامن : وجوب الإيمان بالعرش وهو سقف الجنة .

وأما الخاتمة : فقد تضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها في

الرسالة .

---

الباب الأول

- الباب الأول -

دلالة السورة على الايمان بالله تعالى

وفيه أربعة فصول :-

- الفصل الأول : دلالة السورة على توحيد الأسماء والصفات .
- الفصل الثاني : دلالة السورة على توحيد العبادة .
- الفصل الثالث : دلالة السورة على توحيد الربوبية .
- الفصل الرابع : ما جاء في السورة بشأن الشرك .

# الفصل الأول

- الفصـحـة الأولـة -

دلالة السورة على توحيد الأسماء والصفات

ويشتمل على المباحث الآتية :-

- |                   |                                         |
|-------------------|-----------------------------------------|
| المبحث الأول      | : تعريف توحيد الأسماء والصفات .         |
| المبحث الثاني     | : إثبات صفة العلو والفوقية .            |
| المبحث الثالث     | : القرآن كلام الله منزل غير مخلوق .     |
| المبحث الرابع     | : إثبات صفة العزة .                     |
| المبحث الخامس     | : إثبات صفة الحكمة .                    |
| المبحث السادس     | : تنزيه الله تعالى من نسبة الولد إليه . |
| المبحث السابع     | : إثبات صفتي الوحدانية والقهر .         |
| المبحث الثامن     | : إثبات صفتي الرحمة والمغفرة .          |
| المبحث التاسع     | : إثبات صفة الفنى لله تعالى .           |
| المبحث العاشر     | : إثبات صفة الرضا .                     |
| المبحث الحادي عشر | : إثبات صفة العلم .                     |
| المبحث الثاني عشر | : بيان معنى اسمه تعالى " الوكيل " .     |
| المبحث الثالث عشر | : إثبات صفة الهدى .                     |

## - المبحث الأول -

## تعريف توحيد الأسماء والصفات

هو : أن يعتقد المبدأ اعتقاداً جازماً أن ما أخبر الله في كتابه من أوصافه العليا ، وأسمائه الحسنى ، وكذا ما جاءت به الأحاديث الصحيحة من أسماء وصفاته هي على ما يلحق بجلاله وعظمته وكبريائه .

جاء في لوامع الأنوار : " وتوحيد الصفات أن يوصف الله - تعالى - بما وصف به نفسه وبما وصف به نبيه صلى الله عليه وسلم نفيًا ، وإثباتًا فيثبت له ما أثبت لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه ، وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبتته من الصفات من غير تكليف ولا تعطيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل ، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه <sup>ويثبتون له</sup> ما أثبتته من الصفات من غير إلحاد في الأسماء ولا في الآيات ، فإنه تعالى ذم الطلحدين في أسماء وآياته " أ . هـ . (١)

ولا يعرف الإنسان ربه إلا بمعرفته بصفاته وأسمائه ، فإذا ماتم له معرفة ذلك عرف - ربه جل وعلا - . وحينئذ يسأل ربه ويدعوه بأسمائه الحسنى كما أمر الله بذلك في محكم كتابه حيث قال - عز شأنه - : ( ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ) (٢) .

وقال تعالى : ( قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياماً تدعوا فله الأسماء الحسنى ) (٣) وقال تعالى : ( أليس له الأسماء الحسنى ) (٤) .

(١) لوامع الأنوار البهية ١/١٢٩ ، وانظر تيسير العزيز الحميد ص ١٩٠ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٠ (٣) سورة الاسراء آية ١١٠ .

(٤) سورة طه آية ٨٠ .

وقد عرف السلف ربهم ومعبودهم عن طريق معرفة أفعالهم الحسنی  
وصفاتهم العلی التي أثبتها لنفسه في كتابه - العزيز - وأثبتها لنفسه  
رسوله على الله عليه وسلم في سنته الشريفه .

قال الصابوني<sup>(١)</sup> : مبينا عقيدة الصلف في أسماء الله - تعالى - وصفاته  
" أصحاب الحديث حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم يشهدون لله - تعالى -  
بالوحدانية وللرسول على الله عليه وسلم بالرسالة والنبوّة ويعترفون ربهم  
- عز وجل - بصفات التي نطق بها وحبه وتنزيهه ، أو شهد لها رسولهم  
صلى الله عليه وسلم على ماوردت الأخبار الصحاح به ، ونقلته العدول الثقات  
عنه ، ويثبتون له - جل وعلا - ما أثبتت لنفسه في كتابه على لسان رسولهم  
صلى الله عليه وسلم ، ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه فيقولون :  
إنه خلق آدم بيده كما نس - سبحانه - وتعالى عليه في قوله عز من قائل :  
( قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي<sup>(٢)</sup> ) ولا يحرفون الكلام  
عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين ، أو القوتين ولا يكيفونها بكيف  
أو تشبيها بأيدي المخلوقين ، وقد أجاز الله أهل السنة من التعريف  
والتكليف ، ومن عليهم بالتمريف ، والتفهم حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه  
وتركوا القول بالتمطيل والتشبيه واتبعوا قول الله - عز وجل - ( ليس كمثل شيء  
وهو السميع البصير )<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل ، أبو عثمان  
الصابوني مقدم أهل الحديث في بلاد خراسان ، لقبه أهل السنة فيها  
بشيخ الإسلام فلا يمنون - عند إطلاقهم هذه اللفظة - غيره .  
ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وتوفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة  
هجرية .

أنظر ترجمته في : " معجم الأديب " ١٦/٧ ، وتهذيب تاريخ دمشق  
لابن عساكر ٣٠-٣٦ / ٣ ، الأعلام ٣١٤ / ١ .

( ٢ ) سورة " ن " آ ٧٥ / ( ٣ ) سورة الشورى آ ١١ /

وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت  
بها الأخبار الصحاح ، من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة  
والقدرة والعزة والمظمة والإرادة والمشيمة ، والقول والكلام والرضا  
والسخط والحياة واليقظة والفرح والضحك وغيرها من غير تشبيه لشيء من  
ذلك بصفات المربوبين المخلوقين ، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله  
- تعالى - وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم ليزيادة عليه ولا انخافه إليه  
ولا تكيف له ولا تشبيهه ولا تحريف ولا تبديل " أ . هـ . (١)

ومن قبل الصابوني قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي (٢) مقسوماً  
عقيدة السلف الصالح في صفات الله - تعالى - :

" الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما  
تحت الثرى " .

( عالم الخيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ) .  
يعلم سر خلقه وجهرهم ويعلم ما يكسبون ، نعمده بجميع محامده ،  
ونصفه بما وصف به نفسه ووصف به الرسول فهو الله ، الرحمن الرحيم  
قريب مجيب ( فعال لما يريد ) (٤) الأول قبل كل شيء ، والآخر بعد كل

( ١ ) مجموعة الرسائل المنيرة ١/١٠٦-١٠٧ .

( ٢ ) هو أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي الشافعي السجستاني  
الهرزي .

ولد سنة مائتين وتوفي سنة ثمانين ومائتين هجرية وهو أحد الأعلام  
الثقات من أئمة الحديث والفقه ، وكان شديد الرد على المخرفين  
للعقيدة الإسلامية .

أنظر ترجمته في : " تذكروا الحفاظ ٢ / ٦٢١ ، الأعلام ٤ / ٢٠٥ " .

( ٣ ) سورة سبأ آية / ٣ . ( ٤ ) سورة البروج آية ١٦ .



سُمي له الأمر من قبل ومن بعد (وله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) (٦) و (له الأسماء المحسنى) (٢). يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، يقضى وييسط ويتكلم ويوحى ، ويسخط ويفضب ، ويحب ويبغض ، ويكره ويضحك ويأمر وينهى ، ذو الوجه الكريم ، والسمع السميع ، والبصر البصير ، والكلام العيسن ، واليدين والقبضتين ، والقدرة والسلطان والعظمة والعلم الأزلي ، لم يزل كذلك ولا يزال ، استوى على عرشه فبان من خلقه لا تخفى عليه منه م خافية علمه بهم محيط وبصره بهم نافذ ( ليس كمنه شيء وهو السميع البصير ) (٣) .

فهذا الرب نؤمن وإياه نعبد وله نصلى ونسجد فمن قصد بعبادته إلى إله بخلاف هذه الصفات وإنما يعبد غير الله وليس معبوده بإله كفرانه لاغفرانه (٤) هـ .

هذا هو منهج السلف في تعرفهم على ربهم وهو معرفتهم له عن طريق معرفة أسمائه وصفاته التي اتصف بها كما نطق بها كتابه الكريم ونطقت بها سنة رسوله الأمين على الله عليه وسلم ، يدعونه - تعالى - بها ويتمدون به بذكرها .

وهناك أمور ينبغى أن تعلم نحو أسمائه - تبارك وتعالى - :

الأمر الأول :-

مهم

أن أسماءه - تعالى - لا تدخل تحت حصر ولا يحويها عدد كحد يث

(١) سورة الأعراف آية ٥٤ . (٢) سورة طه آية ٨ .

(٣) سورة الشورى آية ١١ / (٤) الرد على الجهمية ص ٣-٤ .

(٥) بدائع الفوائد ١/١٦٦ .

عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال : اللهم اني عمسك وابن عمك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماني فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي إلا أذهب الله حزنه وأبد له مكانه فرجا (١) .

وأما ما ورد في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة (٢) " فليس المراد منه حصر الأسماء ، وإنما المراد الإخبار بأن من أحصى هذه الأسماء دخل الجنة ، وقد اختلف العلماء في معنى الإحصاء ، وأقرب الأقوال إلى الصواب أن المراد بالإحصاء حفظها مع اعتقاد ما دلت عليه والعمل بذلك (٣) .

#### الأمر الثاني :-

أن من أسماء الله - تعالى - ما لا يطلق على الرب - سبحانه - إلا مقترنا بمقابلته ، إذ لو أطلق عليه وحده أو هم نقضا - تعالى الله عن ذلك - فمن تلك الأسماء المانع يذكر مع المعطي ، والضرار يذكر مع النافع ، والقابض يذكر مع

(١) رواه أحمد من حديث ابن مسعود السند مع الفتح الرباني ١٤/٢٦٢-٢٦٣ ، قال الهيثمي رواه أبو يعلى ورجال الحديث رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان . مجمع الزوائد ١٠/١٨٦ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ١٣/٢٧٧ ، صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/٥٥ .

(٣) فتح الباري ١٣/٣٧٨ .

الباسط ، والمذل بذكر مع المعز ، والخافض بذكر مع الرافع ، فمثل هذه الأسماء تطلق على الله مع ذكر مقابلها (١) .

الأمر الثالث :-  
~~~~~

هناك بعض الأفعال أطلقها - البارئ سبحانه - على نفسه وهي تدل على صفات لله تعالى تليق به ، ولا يجوز أن يشتق له أسماء من تلك الصفات .

مثل قوله تعالى : ( إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ) (٢) ومثل قوله تعالى ( ومكروا ومكر الله ) (٣) ومثل قوله تعالى ( وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ) (٤) .

ونحو ذلك من الآيات فهذه الصفات تتضمن مدحا وكমা - للبارئ سبحانه - لكن لا يجوز أن يقال : الله مخادع ، ماكر ، مستهزئ ، ولا يقال : الله يستهزئ ، ويخادع ، ويكفر على سبيل الإطلاق دون ذكر الإستهزاء والمخادعة ، والمكر بأعداء (٥) .

٤ - أن دلالة أسماء - تعالى - حق على حق يقبها مطابقة ، وتضمنا والتزاما ، فدلالة اسم " الرحمن " على ذاته - عز وجل - مطابقة وعلى صفة الرحمة تضمنا ، وعلى الحياة وغيرها التزاما وهكذا سائر أسماء - تعالى - فإن الله - تبارك وتعالى - هو الإله وما سواه عبث وهو المـسـرـب

( ١ ) بدائع الفوائد لابن القيم ١ / ١٦٧ .

( ٢ ) سورة النساء آية ١٤٢ ( ٣ ) سورة آل عمران آية ٥٤ .

( ٤ ) سورة البقرة آية ١٤-١٥ ( ٥ ) أنظر بدائع الفوائد ١ / ١٦٢ .

وما سواه محبوب ، وهو الخالق وما سواه مخلوق فلو كانت أسماء الله - تعالى -

لا يقال هي غيره ولا غيره ، كما زعم ذلك أهل الأهواء ، لكانت مخلوقة مربة محدثة معرضة  
للغناء ، إذ كل ما سواه - سبحانه - فان " ،

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : في معرض بيان  
بطلان قول القائلين بأن صفات الله - تعالى - غيره " لأن سمي اسم  
" الله " يدخل فيه صفاته بخلاف سمي الذات فإنه لا يدخل فيه  
الصفات .

ولهذا لا يقال : " صفات الله زائدة عليه - سبحانه وتعالى - ، وإن  
قبل : الصفات زائدة على الذات لأن المراد زائدة على ما أثبتته الشبهون  
من الذات المجردة ، والله هو الذات الموصوفة بصفاته اللازمة  
فليس " اسم الله " متناولا لذات مجردة عن الصفات أعلا ، ولا يمكن  
وجسود ذلك ، ولهذا قال أحمد<sup>(٢)</sup> رحمه الله في

---

( ١ ) هو : الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد

الشيحاني المروزي ثم البغدادي .

الفقيه ، الحافظ .

ولد سنة أربع وستين ومائة .

توفي سنة احدى وأربعين ومائتين هجرية .

أنظر ترجمته في : تذكره الحفاظ ٤٣١/٢ ، طبقات

الحنابلة ٤/١ ، صفة الصفة ٣٣٦/٢ ، تهذيب الكمال

مناظرة الجهمية<sup>(١)</sup> : لانقول : الله وعلمه ، والله وقدرته والله ونوره ،  
ولكن نقول : الله بعلمه وقدرته ونوره هو إله واحد<sup>(٢)</sup> !

---

( ١ ) هي : إحدى الطوائف المنحرفة تتبع الجهم بن صفوان الذي قال :  
بالإجبار والإغترار إلى الأعمال ، وأنكر الاستطاعات كلها وزعم أن  
الجنة والنار تبديان وتغنيان وزعم أيضا : أن الإيمان هو المعرفة  
بالله - تعالى - فقط ، وأن الكفر هو الجهل به فقط وقيل :  
لا فعل ولا عمل لأحد غير الله - تعالى - وإنما تنسب الأعمال إلى  
المخلوقين على المجاز ، ونفى أسماء الله - تعالى - وصفاته  
كقوله " .

أنظر " الفرق بين الفرق " ص ٢١١ ، الطل والنحل ٨٦/١ ،  
إعتقادات فرق المسلمين والشركين للرازي ص ٦٨ .

( ٢ ) إقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٢١ .

- المبحث الثاني -

إثبات عفة العلو والفوقية

إن أول ما افتتحته "سورة الزمر" هو إثبات صفة العلو والفوقية  
- للباري جل وعلا - وذلك في خمس آيات منها :

قال تعالى : ( تنزلي الكتاب من الله العزيز الحكيم ، إنا أنزلنا  
إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ) .

وقال تعالى ( ألسه نزل أحسن الحديث كتابا متشابها ثاني تقشمر  
منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله  
ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد ) .

وقال تعالى : ( إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى  
فلنفسه ومن غل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل ) .

وقال تعالى : ( واتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ  
العذاب بفتنة وأنتم لا تشعرون ) .

ففي هذه الآيات الخمس دلالة واضحة على إثبات علو الله - تعالى -  
وأنه فوق المخلوقات جميعها لأن نزول الشيء يكون من أعلى إلى أسفل .

فالآية الأولى : من تلك الآيات المتقدمة هي قوله تعالى ( تنزيل  
الكتاب من الله العزيز الحكيم ) فيها إخبار منه - تعالى - بأن مبدأ تنزيل  
القرآن كائن منه - جل وعلا - ومن عنده - تبارك وتعالى - .

و...  
أنظر ترجمته في : " تذكرة الحفاظ " ١٢٢/١ وما بعدها ، اللباب في  
تهذيب الأنساب " ١٠٨/٢ ، التهذيب ٣٥١/٨ .

دللت على طوبى - تعالى - كما دللت أيضا : أنه - تعالى - أنزل هذا الكتاب لجميع الخلق من الجن والإنس لينذروهم به ، وأن من اهتسدى منهم فإنما يعود نفع ذلك إلى نفسه ، ومن ضل فإنما يعود وبال ضلاله عليه ، وأن الرسول على الله عليه وسلم ليس بموكل على هدايتهم ، وإنما هو نذير عليه البلاغ ، وعلى الله الحساب .

وأما الآية الخامسة : وهي قوله تعالى : ( واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم . . . ) الآية .

فقد تضمنت أمرا من الله - جل وعلا - لجميع عباده بأن يتبعوا ما أمرهم به - تعالى - في كتابه الذي أنزله على رسوله على الله عليه وسلم ، وذلك دليل على طوبى - سبحانه - .

قال العلامة ابن جرير<sup>(١)</sup> : " فان قال قائل : ومن القرآن شيء أحسن من شيء قيل له : القرآن كله حسن وليس معنى ذلك ما توهمت ، وإنما معناه واتبعوا ما أنزل إليكم ربكم من الأمر والنهي والخبر والمشعل والقصص والجدل والوعد والوعيد أحسنه ، وأحسنه أن تأتروا لأمره وتنتهوا عما نهى عنه لأن النهى مما أنزل في الكتاب ، فلو عطاوا بما نهوا عنه كانوا عاطين بأقبحه - أي العمل - فذلك وجهه " أ . هـ .<sup>(٢)</sup>

---

( ١ ) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر ، الموضح المفسر الامام ولد في آمل طبرستان ، واستوطن بغداد وتوفي بها .  
ولد سنة أربع وعشرين ومائتين وتوفي سنة عشر وثلاثمائة .  
أنظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ " ٧١٠ / ٢ ، وفيات الأعيان ١ / ٤٥٦  
البداية والنهاية ١١ / ١٦٣ - ١٦٥ وانظر الأعلام ٦ / ٢٩٤ .  
( ٢ ) جامع البيان ٢٤ / ١٧ - ١٨ .

فهذه الآيات الخمس من الآيات المحكمة التي أثبتت علو - البسارى  
سبحانه - على جميع خلقه وأنه - جل جلاله - في السماء أي : "العلو"  
لا كما يزعمه أهل الباطل من الجهمية المعطلة من أنه - تعالى - في أسفل  
الأرضين ، بل هو - تعالى - في السماء كما أخبر بذلك عن نفسه فسي  
مواضع كثيرة من كتابه ، وأكد ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم فسي  
سننه المطهرة .

قال ابن خزيمة<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى : " إن الرب - جل وعلا - فسي  
السماء لا كما قالت الجهمية المعطلة أنه في أسفل الأرضين فهو فسي  
السماء " أ . هـ .<sup>(٢)</sup>

وقد وردت آيات كثيرة في الكتاب العزيز كلها تدل دلالة قطعية على  
إثبات علوه - تعالى - على خلقه وأنه ليس تحت الأرض ولا في كل مكان  
كما يزعم ذلك أهل الزيغ والباطل ومن تلك الآيات ما يلي :-

### أحدها :-

أنه - سبحانه وتعالى صرح بفوقيته المقترنة بأداة " من " المعينة  
للفوقية بالذات . قال تعالى ( ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من  
دابة والملائكة وهم لا يستكبرون . يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون )<sup>(٣)</sup>

( ١ ) هو : محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي أبو بكر ، إمام نيسابور  
في زمانه .

كان فقيها مجتهدا عالما بالحديث .  
ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين وتوفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة هجرية  
له مؤلفات كثيرة ؛ لقب بإمام الأئمة .

أنظر ترجمته في : " تذكرة الحفاظ " ٢ / ٧٢٠ وما بعدها ، طبقات  
الحفاظ للسبوطي ص ٣١٣ - ٣١٤ ، البداية والنهاية ١١ / ١٦٧ .

( ٢ ) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ص ١١٠ .

( ٣ ) سورة النحل آية ٤٩ - ٥٠ .



ففي الآية الثانية لإعلام من الله - تعالى - بأن فوق ملائكته وفوق  
ما في السموات وما في الأرض من دابه ، وأخبرنا بأن ملائكته يخافون ربهم  
الذي فوقهم والمعطلة يزعمون أن المعبود - سبحانه - تحت الملائكة  
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

### ثانيا :-

ذكره تعالى الغوقية مجردة عن الأداة :-

قال تعالى ( وهو القاهر فوق عباده <sup>(١)</sup> ) وهذه الآية فيها الإخبار  
منه - تعالى - بأن فوق جميع عباده من الجن والإنس والملائكة الذين  
هم سكان السموات .

### ثالثا :-

إخباره تعالى بصروج الملائكة والروح إليه .

قال تعالى : ( تعرج الملائكة والروح إليه <sup>(٢)</sup> ) فقد أخبرنا - تعالى -  
في هذه الآية بأن الملائكة تعرج إليه ، والصروح يكون من الأسفل إلى  
الأعلى .

### رابعا :-

التصريح منه - تعالى - بالصعود إليه :-

قال تعالى ( إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه <sup>(٣)</sup> ) .

والمفهوم من هذه الآية أن الرب - جل جلاله - فوق من يتكلم بالكلمة  
الطيبة فتصعد إلى الله كلمته ، لا كما تزعمه المعطلة الجهمية أنه تهبط إليه

( ١ ) سورة الأنعام آية / ١٨ . ( ٢ ) سورة المعارج آية ٤ .

( ٣ ) سورة فاطر آية / ١٠ .

الكلمة الطيبة كما تصعد إليه وتأولهم هذا يدل على تربي عقولهم وسوء فهمها لكتاب الله - تعالى - ،

خامسا :-

تصريحه تعالى برفع بعض المخلوقات إليه كرفعه لعيسى عليه الصلاة والسلام .

قال تعالى : ( بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيمًا )<sup>(١)</sup> فمن المستحيل أن يهبط الإنسان من ظهر الأرض إلى بطنها ، أو إلى أي مكان أخفض وأنزل فيقال : رفعه الله إليه ، لأن الرفع في لغة العرب الذي يسن بلغتهم خاطبنا الله لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى وفوق .

سادسا :-

تصريحه - تعالى - بعلوه المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتا ، وقدرًا ، وقهرا قال تعالى ( وهو العلي العظيم )<sup>(٢)</sup> .  
وقوله تعالى : ( وهو العلي الكبير )<sup>(٣)</sup> .  
وقوله - عز شأنه - ( سبح اسم ربك الأعلى )<sup>(٤)</sup> .  
فالعلي : هو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه .  
طو الذات : كونه فوق جميع المخلوقات .  
طو القدر : فله من كل صفات الكمال أعلاها .  
طو القهر : فهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير .<sup>(٥)</sup>

---

( ١ ) سورة النساء آية / ١٥٨ . ( ٢ ) سورة البقرة آية / ٢٥٥ .  
( ٣ ) سورة سبأ آية / ٢٣ . ( ٤ ) سورة الأعلى آية / ١ .  
( ٥ ) مدارج السالكين / ١ / ٣١ .

" وإذا كانت عفة العلو والفوقية صفة كمال لا تنص فيها ولا تستلزم نقضا ولا توجب محذورا ولا تخالف كتابها ولا سنة ولا إجماعا فنفى حقيقتها يكون عين الباطل ، والمحال الذي لا تأتي به شريعة أصلا فكيف إذا كان لا يمكن الإقرار بوجوده وتصدق رسله والإيمان بكتابه وبما جاء به رسوله إلا بذلك فكيف إذا انضم إلى ذلك شهادة العقول السليمة والفتوة المستقيمة ، والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة الدالة على علو الله على خلقه وكونه فوق عباده (١) .

سابعاً :-

تخصيصه بمعنى المخلوقات بأنها عنده وأن بعضها أقرب إليه من بعض .

قال تعالى : ( إن الذين عند ربك يسبحون له وله يسجدون ) (٢) ، وقال تعالى : ( وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ) (٣) ففرق - سبحانه - في هاتين الآيتين بين من له عوما وبهين من عنده من ملائكته وعبيده خصوصا .

ثامناً :-

تصريحه تعالى بأنه في السماء :

قال تعالى ( أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ) (٤) .

(١) شرح الطحاوية ص ٣١٨ - ٣١٩ .

(٢) سورة الاعراف آية ٢٠٦ (٣) سورة الانبياء آية ٩٠ .

(٤) سورة الطك آية ١٦ ، ١٧ .

فهاتان الآيتان : ضريحتان في أن الله - تعالى - في السماء  
فلا تقبلان جدلا ولا تأويلا لأن " من " فيهما لا يمكن أن يواد بهما  
سوى - الرب جل شأنه - لا طكته ولا أمره كما يزعم ذلك المعطلة النفاة .

و ( في ) في الآيتين إما أن تكون بمعنى الظرفية ، ويكون المراد  
بالسماء العلو .

وإما أن يواد بها معنى " على " ويكون المراد بالسماء المبنية .  
وليس في هذا خلاف عند أهل الحق من أهل السنة والجماعة ،  
ولا يجوز الحمل على غير ذلك .

#### تاسعا :-

تصريحه تعالى بأنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يهرج إليه .  
قال تعالى ( يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يهرج إليه ) ( ١ ) .

واللغة العربية التي خاطبنا الله بها وفهمها العرب الفصحاء تبين  
بأن تدبير أمر السماء إلى الأرض إنما يدبره الدبر وهو في السماء لا في  
الأرض والمعروف عند العرب أن المعارج هي المصاعد .

#### عاشرا :-

إخباره - تعالى - عن فرعون أنه حاول الصعود إلى السماء ليطلع إلى  
إله موسى فيكذبه به فيما أخبره به من أنه - سبحانه - فوق السموات قال تعالى  
حكاية عن فرعون ( ياها مان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب . أسباب السموات  
فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذب ) ( ٢ ) .

( ١ ) سورة السجدة آية ٨ . ( ٢ ) سورة غافر آية ٣٦ .

فالذي ينفي العلو من الجهمية فهو فرعوني ، والذي أثبتته فهو  
موسوي محمدي .

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي :-

" ففي هذه الآية بيان بون ، ودلالة ظاهرة أن موسى كان يدعو  
فرعون إلى معرفة الله بأن فوق السماء فمن أجل ذلك أمر ببناء الصرح ورام  
الإِطْلَاع وكذلك نمرود فرعون إبراهيم ، اتخذ التابوت والنسور ورام الإِطْلَاع  
إلى الله لما كان يدعو إبراهيم إلى معرفته في السماء (١) .

الحادي عشر :-

من الأدلة الدالة على طهارة تعالى لإخباره - تعالى - بأنسه  
استوى على عرشه الذي هو أعلا مخلوقاته وقد ذكر هذه الصفة في كتابه  
في مواضع سبعة من كتابه ، ومن العجيب أن الله - تعالى - ما يذكر هذه  
الصفة إلا وهي مقرونة بما يهبط العقول من صفات جلاله وكماله فهي  
صفة من صفات المدح التي مدح الله بها نفسه - سبحانه - واليك المواضع  
التي ذكرت فيها صفة الاستواء الدالة على طوه - تعالى - .

( ١ ) قال تعالى ( إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام  
ثم استوى على العرش يفشي الليل والنهار يطلبه حشيشا والشمس  
والقمر والنجوم مسخراتاً مسررة ألا له الخلق والأمر تبارك الله  
رب العالمين ) ( ٢ ) .

( ١ ) الرد على الجهمية ص ٢١ . ( ٢ ) سورة الأعراف آية / ٥٤ .

- فهل لأحد أن يتجرأ وينفي هذه الصفة التي دلت على  
الجلال والكمال اللهم إلا من كان من أهد الزيف والضلال .
- ( ٢ ) قوله تعالى : ( إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام  
ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ) ( ١ ) .
- ( ٣ ) قال تعالى : ( الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى  
على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ) ( ٢ ) .
- ( ٤ ) قال تعالى : ( طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن  
يخشى تنزيلا من خلق الأرض والسموات العلى . الرحمن على العرش  
استوى ) ( ٣ ) .
- ( ٥ ) قال تعالى ( وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به  
بذنوب عباده خبيرا ، الذي خلق السموات والأرض وما بينهما ثم استوى  
على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا ) ( ٤ ) .
- ( ٦ ) وقال تعالى : ( الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة  
أيام ثم استوى على العرش ما يعلو ما يهب في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما  
يخرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ) ( ٥ ) .
- ( ٧ ) وقال تعالى هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى  
على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما  
يخرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ) ( ٦ ) .

( ١ ) سورة يونس آية ٣  
( ٢ ) سورة الرعد آية ٢ .  
( ٣ ) سورة طه آية ٥-١ .  
( ٤ ) سورة الفرقان آية ٥٨-٥٩ .  
( ٥ ) سورة السجدة آية ٣-٤ .  
( ٦ ) سورة الحديد آية ٣-٤ .

فهذه سبعة مواضع في كتاب الله تعالى - أثبت الله - تعالى - لنفسه فيها صفة الإستواء ، وهي تدل دلالة واضحة وعميقة على علوه تعالى فوق جميع مخلوقاته ، كما تدل على أنه - تعالى - مستوٍ على عرشه استواءاً يليق بجلاله من غير تكبير ، ولا تشبيل ، ولا تحريف ولا تعطيل .

قال العلامة ابن القيم <sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى : " واستواءه وعلوه على عرشه سلام من أن يكون محتاجاً إلى ما يحطه ، أو يستوي عليه ، بل العرش محتاج إليه ، وحطته محتاجون إليه فهو الغني عن العرش ، وعن حطته وعن كل ما سواه ، فهو استواء وعلوه يشوبه حصر ولا حاجة إلى عرش ولا غيره ولا إحاطة شئ به - سبحانه - وتعالى ، بل كان - سبحانه - واستيلاءه على خلقه من موجبات طمكه وقهره من غير حاجة إلى عرش ولا غيره بوجه ما <sup>(٢)</sup> . ا . ه .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي : بعد أن ساق كثيراً من الآيات الدالة على علو الله - تعالى - راداً على الجهمية ومبينا بطلان مذهبهم

(١) هو : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين من أركان الإصلاح الإسلامي وأحد كبار وطباء الدين ولد سنة إحدى وتسعين وستمائه وتوفي سنة إحدى وخمسين وسبعمائه هجرية .  
له مؤلفات عديدة في مختلف العلوم والفنون .

أنظر ترجمته في : الدرر الكامنة ٣ / ٤٠٠ ، البداية والنهاية ٢٠٢ / ١٤ - ٢٠٤ ط . المتوسط - بيروت - لبنان ، بدون تاريخ .

(٢) بدائع الفوائد ٢ / ١٣٦ .

في إنكار صفة العلو " أقرت هذه العصاة بعني - الجهمية - بهذه الآيات بالسنتها وادعوا بالإيمان بها ، ثم نقضوا دعواهم بدعوى غيرهم ، فقالوا : " أليس في كل مكان لا يخلو منه مكان قلنا قد نقضتم دعواكم بالإيمان باستواء الرب على عرشه إذا ادعيتم أنه في كل مكان فقالوا : تفسهروه عندنا أنه - استولى عليه وعلاه - قلنا : فهل من مكان لم يستول عليه ولم يعله حتى خص العرش من بين الأمكنة بالإستواء عليه ؟ .

وكرر ذكره في مواضع كثيرة من كتابه فأبي معني إذا لخص العرش إذا كان عندكم مستويا على جميع الأشياء وكاستواك على العرش - تبارك وتعالى - هذا محال وباطل في الكلام (١) هـ .

فلو كان - البار سبحانه وتعالى - في كل مكان على حسب زعم الجهمية لجعل كل شيء دكاً فانه حين سأله كلمه موسى عليه السلام أن يريه ينظر إليه قال له : ( لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ) (٢) .

قال ابن خزيمة حول هذه الآية : " أظن العلم محيطاً بأدوي الألباب أن الله - عز وجل - لو كان في كل موضع ومع كل بشر وخلق كما زعمت - الجهمية - المعطللة لكان متجلبا لجميع أرضه سهلها ووعرها وجبالها وبراريها ومفاوزها ومدنها وقراها وعمارتها وخرابها وجميع ما فيها من نبات وبناء لجعلها دكاً كما جعل الله الجبل الذي تجلى له دكاً " (٣) هـ .

( ١ ) الرد على الجهمية ص ١٨ . ( ٢ ) سورة الأعراف آية / ١٤٣ .

( ٣ ) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ص ١١٢ .



وبالجملـة فظاهر القرآن يدل على إثبات طو الله - تبارك وتعالى -  
 وأنه على عرشه الذي هو أعلى المخلوقات وهو - سبحانه - بائن من خلقه  
 ويظننا في ذلك التنزيل ولا حاجة لنا إلى تأويل المكذبين به فسي  
 أنفسهم ويتسترون عن ذلك باسم التأويل وليس هو تأويل ، وإنما هو  
 تحريف وتمطيل وتهديل .

والقارئ للكتب التي ألفت في أسباب نزول آيات القرآن يجد  
 أن الصحابة الذين فسروا كتاب الله - تعالى - وبينوا أحكامه ، وفرائضه  
 وحدوده ، يقولون : نزلت آية كذا في كذا ، ونزلت سورة كذا في مكان كذا  
 ولم ينقل عن أحد منهم أنه قال : طلعت من تحت الأرض ، ولا جاءت من  
 امام ، ولا من خلف بل كل الآيات والسور يذكرون أنها نزلت من فوق لا من  
 تحت الأرض ، ولا خرجت منها .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة أن الله  
 - تعالى - متصف بصفة العلو والغوقية ومن تلك الأحاديث ما يلي :-

( ١ ) حديث معاوية بن الحكم السلمي قال : كانت لي غنم بين أحسد  
 والجوانية<sup>(١)</sup> فيها جارية لي ، فأظلمتها ذات يوم فإذا الذئب قد  
 ذهب منها يشاة - وأنا رجل من بني آدم - فصككتها ، فأتهيت  
 النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فعظم ذلك علي فقلت يا رسول  
 الله أفلا أعتقها ؟ قال : ادعها فدعوتها فقال لها أئمن الله ؟ قالت في  
 السماء قال من أنا ؟ قال ترسل الله قال : أعتقها فانها مؤمنة<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) الجوانية : موضع شمالي المدينة بقرب أحد " شرح النووي على مسلم  
 ٥ / ٢٣٠ .

( ٢ ) صحيح مسلم ١ / ٣٨٢ ، وانظر الرد على الجهمية للدارمي ص ٢٢ ، كتاب  
 التوحيد لابن خزيمة ص ١٢١ .

فهذا الحديث من أنصع الأدلة وضوحاً على إبطال مذهب الجهمية وهو صفة قويه لأهل التعطيل على رؤوسهم حيث شهد الرسول صلى الله عليه وسلم للجارية بالإيمان حين وجه لها سؤالين اختبر بهما إيمانها ، ولما نجحت في الإجابة عليهما ، وبالأخص السؤال الأول حيث أجابت بأن الله - تعالى - في السماء فرضي عليه الصلاة والسلام اجابتهما وأقرها عليهما وشهد لها بالإيمان ، وفي الحقيقة أن إجابة تلك الجارية لا يستطيع أن يجيب بها جهمي ، ومن يدور في ركابه لما حل في قلبه من الاعتقاد الفاسد لأنه يعتقد أن الله - جل وعز - في كل مكان ولو سألتهم مطلاً وقلت له أين الله ؟ لقال : لا يسأل عن الله بأين . قال عثمان بن سعيد الدارمي : بعد سياقه لحديث معاوية بن الحكم السلمي " ففي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا دليل على أن الرجل إذا لم يعلم أن الله في السماء دون الأرض ظميس بمؤمن ولو كان عبداً فأعترق لم يجز في رقبة مؤمنة إن لا يعلم أن الله في السماء (١) . ه .

ولو كان الله في الأرض كما يدعيه ضلال الجهمية لأنكر عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وعظمها ، ولكنها علمتبه فصدقها وشهد لها بالإيمان ، ولو كان الله في الأرض لم يتم لها إيمان حتى تعرفه في الأرض كما عرفته في السماء .

٢ - مارواه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إتق الله وأمسك عليك زوجك قال أنس : لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتماً

شيئا لكم هذه قال : فكانت زينب تغفر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول : زوجكن أهاليكن وزوجسني الله تعالى من فوق سبع سموات (١) .

وهذا دليل واضح وصريح في أن الله - تعالى - عالٍ فوق سمواته وعلى جميع مخلوقاته وعلى هذا تلقت أم المؤمنين زينب رضي الله عنها عقيدتها من النبي صلى الله عليه وسلم .

٣ - مارواه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة الذهب الذي بعث به علي بن أبي طالب من اليمن قال النبي صلى الله عليه وسلم " ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء " يأتيه الوحي صباحا ومساء (٢) .

فقد بين صلى الله عليه وسلم بأنه أمين من في السماء والذي في السماء والمشار إليه إنما هو الله - تعالى - لو كان الجهمية يعلمون ، ولربهم ينزهون ، ولقد تلتذ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على رسول الهدى صلى الله عليه وسلم في دينهم وعقيدتهم ، ونطقوا بما نطق به الكتاب والسنة ممن أن الله تعالى في السماء وأقوالهم في أن الله تعالى - في السماء كثيرة جداً (٣) ، واعتقادهم في أنه - تعالى - في السماء إنما تلقوا ذلك عن الرسول صلى الله عليه وسلم وبلغوه إلى من وراءهم ممن التابعين لهم بإحسان فقد كان القول بأن الله - تعالى - في السماء متداولاً بينهم موقنين به .

( ١ ) ٢٨١ / ٤

( ٢ ) ١٦٢ - ١٦١ / ١

( ٣ ) أنظر أقوال الصحابة في كتاب ( العلل للذهبي ) ص ٦٢ وما بعدها .

قال الحافظ<sup>(١)</sup> وأخرج البيهقي بسند جيد عن الأوزاعي<sup>(٢)</sup> قال : كنا  
والتابعون متوافرون نقول : إن الله - عز وجل - فوق عرشه ونوه من بما  
ورد فيه السنة من صفاته<sup>(٣)</sup> .

فالسحابة والتابعون أجمعوا على أن الله - تعالى - عال على عرشه  
فوق سمواته وطلعه في كل مكان لا يخلو منه شئ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(٤)</sup> - رحمه الله تعالى - : قال أبو عمرو  
ابن عبد البر رحمه الله تعالى في التمهيد :

---

( ١ ) هو : أحمد بن علي بن محمد الكثاني العسقلاني ، أبو الفضل شهاب  
الدين ابن حجر من أئمة العلم والتاريخ أصله من عسقلان .  
له مؤلفات عديدة في مختلف الفنون والعلوم .  
ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، وتوفي سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة  
هجريه .

أنظر ترجمته في : " البدر الطالع للشوكاني ١ / ٨٧ ، الأعلام  
١ / ١٧٣ .

( ٢ ) هو : عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي ، أبو عمرو عالم أهل الشام  
في زمانه .  
ولد سنة ثمان وثمانين وتوفي في سنة سبع وخمسين ومائة هجريه .  
أنظر ترجمته في : " وفيات الأعيان ١ / ٢٧٥ ، حلية الأولياء ٦ / ١٣٥ - ١٤٩  
الأعلام ٤ / ٩٤ .

( ٣ ) ١٣ / ٤٠٦ ، الأسماء والصفات للبيهقي ص ٤٠٨ ، الذهبى في العلو  
١٠٢ ، الحمويه ص ٢٣ .

( ٤ ) هو : أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر  
النميري السمراني الدمشقي الحنبلي أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الامام ،  
شيخ الإسلام كان آبه في التفسير والأصول ، فصيح اللسان برز في جميع  
الفنون جاهد المنحرفين عن الدين بقلبه ، ولسانه ، وسيفه .  
ولد سنة إحدى وستين وستمائة وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة هجريه .  
أنظر ترجمته في : ٣ الدرر الكامنة ١ / ١٤٤ ، البداية والنهاية ١٤ / ١٢٥ ،  
النجوم الزاهرة ٩ / ٢٧١ ، فوات الوفيات ١ / ٧٤ - ٨٠ ، الأعلام ١ / ١٤٠ .

"وعلماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا : في تأويل قوله تعالى : ( ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعمهم ولا خمسة إلا هو سادسهم )<sup>(١)</sup> هو على العرش وعلوه في كل مكان وما خالفهم في ذلك من يحتج به " أ . هـ .<sup>(٢)</sup>

فابن عبد البر ينقل إجماع الصحابة والتابعين على أنه - سبحانه - وتعالى - عال على جميع خلقه ولم يحدث القول بأن الله في كل مكان إلا الجهمية وقولهم لا قيمة له لأنه لا عبادة بخلافهم ولا يحتج بقولهم - لأنهم غلال طارقون .

ولذلك كفرهم الأئمة الأربعة وضللهم ، وبدعهم ، وحكموا عليهم بالكفر إن لم يرجعوا عن دعواهم بأن الله - تعالى - ليس في السماء .

فقد جاء عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي قال : سألت أبا حنيفة<sup>(٣)</sup> عن يقول : لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقال : قد كفر لأن الله - تعالى - يقول ( الرحمن على العرش استوى )<sup>(٤)</sup> وعرشه فوق سمواته فقلت : إنه يقول : أقول على العرش استوى ولكن لا يدري العرش في السماء أو في الأرض قال : إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) سورة المجادلة آية / ٧ .

( ٢ ) العقيدة الحموية الكبرى ص ٥١ .

( ٣ ) هو : النعمان بن ثابت التيمي بالولاء الكوفي ، أبو حنيفة إمام الحنفية ، الفقيه ، المجتهد ، المحقق أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة .

ولد سنة ثمانين وتوفي سنة خمسين ومائة هجرية .

أنظر ترجمته في : " تاريخ بغداد " ١٣ / ٣٢٣ - ٤٥٤ ، وفيها الأعيان

١٦٣ / ٢ ، النجوم الزاهرة ١٢ / ٢ ، البداية ١٠ / ١٠٧ .

( ٤ ) سورة طه آية / ٥ .

( ٥ ) ذكره عنه الذهبي في " الملوك للعلوي الخفار " ص ١٠١ .

وقال الإمام مالك بن أنس " ألتسه في السماء وطمه في كل مكان (١) .  
 وروى اللالكائي (٢) في " كتاب السنة " عن جعفر بن عبدالله قال :  
 جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال : يا أبا عبدالله ( الرحمن على العرش  
 استوى ) (٤) .

كيف استوى؟ قال : فما رأيت مالكا وجد من شيء كوجدته ممن  
 مقالته وعلاه الرخصاء (٥) قال : وأطرق القوم وجعلوا ينتظرون ما يأتي منه فيه  
 قال : فسوي عن مالك فقال : الكيف غير معقول والإستواء غير مجهول  
 والایمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، فإني أخاف أن تكون ضلالا  
 وأمر به فأخرج (٦) .

( ١ ) المصدر السابق ص ١٠٣ .

( ٢ ) هو : هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي أبو القاسم  
 اللالكائي .

حافظ ، للحديث ، من فقهاء الشافعية من أهل طبرستان . توفي  
 سنة ثمان مائة وأربع مائة هجرية .

أنظر ترجمته في " الكامل لابن الأثير ٣٦٤ / ٩ ، شذرات الذهب ٣ / ٢١١  
 تذكرة الحفاظ ٣ / ١٠٨٣ ، وما بعدها الأعمام ٩ / ٥٧ .

( ٣ ) هو مالك بن أنس بن مالك الأصبغي الحميري أبو عبد الله إمام دار الهجرة  
 وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكية . كان صلحا  
 في دينه ، بعيدا عن الأمراء والطوك .

ولد سنة ثلاث وتسعين وتوفي سنة تسع وسبعين ومائة هجرية .  
 انظر ترجمته في : " الديباج الذهب ص ١٧ - ٣٠ ، وفيات الأعيان  
 ١ / ٤٣٩ ، تهذيب التهذيب ١٠ / ٥ ، صفوة الصفوة ٢ / ٩٩ " .

( ٤ ) سورة طه آية / ٥ .

( ٥ ) الرخصاء : العرق .

( ٦ ) ٣ / ٣٦٨ ، وانظر " كتاب العلو " للذهبي ص ١٠٣ ، فتح الباري ١٣ / ٧٠٤ .

وأما الامام الشافعي<sup>(١)</sup> فقد أثر عنه أنه قال : " السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما إقرار بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وأن الله على عرشه في سماك يقرب من خلقه كيف شاء ، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء<sup>(٢)</sup> .

وأما الإمام أحمد بن حنبل فقد قال عنه يوسف بن موسى القطان شيخ أبي بكر الخلال قال : قيل لأبي عبد الله أله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه ، وقدرته وطمه بكل مكان ؟ قال : نعم هو على عرشه لا يخلو شيهي<sup>(٣)</sup> من علمه ، وكلام الأئمة وغيرهم في إثبات عفة العلو للباري - جل وعلا - كثير ، وكلهم مجمعون على القول بعلو الله وفوقيته على جميع خلقه اتباعاً لكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع الصحابة والتابعين .

وكما تقرر إثبات علو الله تعالى وفوقيته على خلقه بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، كذلك دللت الفطرة والعقل على علوه - تعالى - وفوقيته .

( ١ ) هو : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المظلي أبو عبد الله أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه تنسب الشافعية .

ولد سنة خمسين ومائة وتوفي سنة أربع ومائتين هجرية .

أنظر ترجمته في : " تذكرة الحفاظ / ١ / ٣٦١ ، تهذيب التهذيب أنظر ٢٥ / ٩ ، وفيات الأعيان ٤٤٧ / ١ ، صفوة الصفوة ١٤٠ / ٢ ، تاريخ بغداد ٥٦ / ٢ .

( ٢ ) العلو للذهبي ص ١٢٠ ، عون المعبود ١٣ / ١ ، الفتوى العمومية الكبرى ص ٢٤٤ .

( ٣ ) ذكره الذهبي في كتابه " العلو " ص ١٣٠ .

أما الفطرة فإنه قد تقرر في فطر بني آدم طائفتهم وجهالهم ،  
أحرارهم وماليتهم ذكورهم وإناثهم ، بالفتيةم وأطفالهم ، وحتى الكفار  
منهم يعلمون يقينا بأنه - تعالى - عال على جميع المخلوقات إذ كل من  
دعا الله منهم فانما يرفع رأسه إلى السماء ويهد يديه إلى العلي الأعلى  
لا إلى أسفل (١) .

وكم من إنسان إذا أراد جلب ما ينفعه ، أو كشف ما يضره شخص  
ببصره إلى السماء إغافة إلى رفع يديه إلى جهة العلو إلى من يعلم السر  
وأخفى ، فيتوجه إليه بطلبه لعله أن المعبود - سبحانه - فوقه ، وأنه  
إنما يدعى من أعلا لا من أسفل ، وليس الإنسان وحده فحسب هو الذي  
عرف أن الله يدعى من أعلا لا من أسفل بل الحيوانات قد عرفت  
أن الله - تعالى - في السماء - أي - جهة العلو - ولذلك فإنها  
ترفع رأسها عند الجذب والقسط تستمطر ربهما وفي هذا إبطال لقول  
الجهمية أن الله في كل مكان فقد أخرج الحاكم بإسناده إلى أبي هريرة  
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " خرج نبي من  
الأنبياء يستسقي فإذا هو بنطلة رافعه بمعنى قوائمها إلى السماء فقال  
ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل شأن النطلة " ثم قال : هذا حديث  
صحیح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي (٢) وفي " كتاب الزهد " للإمام أحمد

( ١ ) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص. ١١ ، الفتوى المحوية الكبرى ص ٢٩ ،  
شرح الطحاوية ص ٣٢٥ .

( ٢ ) المستدرک ١ / ٣٢٥ - ٣٢٦ .

( ٣ ) هو : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، شمس الدين  
أبو عبد الله .

حافظ ، مؤمن ، علامة ، محقق .

ولد سنة ثلاث وسبعين وستائه ، وتوفي سنة ثمان وأربعين وسبع مائه  
أنظر ترجمته في " شذرات الذهب ٦ / ١٥٣ ، الدرر الكامنة ٣ / ٣٣٦ ،  
النجوم الزاهرة ١٠ / ١٨٢ . "



" خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقي فإذا هو بمنلة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء تقول : اللهم إنا خلق من خلقك ليس بنا غنى عن سقياك فقال : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم (١) .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " وأخرى بهذه النطة وأخواتها من النمل أن يكونوا أعرف بالله من الجهمية (٢) .

وفي هذا بيان واضح أن الحيوانات تعرف أن الله عز وجل -إنما يدعى من أعلا كما يعرف ذلك المؤمنون ، وهذا ما فطر الله عليه خلقه أجمعين وهذه ضرورة يحس بها الإنسان والحيوان .

ذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين وهو يتكلم في نفي صفه العلو ويقول : كان الله ولا عرض ، وهو الآن على ما كان إنا قال الشيخ أبو جعفر :

أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي تجدها في قلوبنا ؟ فإنه ما قال عارف قط : يا أله إلا وجد في قلبه ضرورة طلب العلو لا يلتفت بمنه ، ولا يسره فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا قال : فطم أبو المعالي على رأسه ونزل ! وأظنه قال : وبكى وقال : حيرني الهمداني حيرني ! أراد الشيخ أن هذا أمر فطر الله عليه عباده من غير أن يتلقوه ممن المرسلين يجدون في قلوبهم طلبا ضروريا يتوجه إلى الله ويطلبه في العلو (٣) .

( ١ ) كتاب الزهد ص ٨٧ إلا أن في إسناد أحمد زيد العمي وهو ضعيف .

انظر " ميزان الاعتدال ٢ / ١٠٢ ، وانظر التقريب ١ / ٢٧٤ " .

( ٢ ) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ص ١٣٣ .

( ٣ ) منهاج السنة النبوية ١ / ٢٦٣ ، شرح الطحاوية ص ٣٢٥-٣٢٦ .

و قال أبو الحسن الأشعري (١) : بعد أن ساق كلاما كثيرا يريد منه إثبات أن الله - تعالى - مستو على عرشه فوق سماواته قال رحمه الله : "ورأينا المسلمين جميعا يرفسون أيديهم إذا دعوا نحو السماء لأن الله - عز وجل - مستو على العرش الذي هو فوق السموات فلمولا أن الله - عز وجل - على العرش لم يرفسوا أيديهم نحو العرش كما لا يحيطونها إذا دعوا إلى الأرض (٢) ؛

وأما دلالة العقل على ذلك فنقول : إن العقل قد دل على أن الله عال على جمع خلقه من وجوه :

أحدها :-

العلم البدهي القاطع بأن كل موجودين ، إما أن يكون أحدهما ساريا في الآخر قائما به كالصفات ، وإما أن يكون قائما بنفسه باثنا من الآخر .

الثاني :-

أنه - تعالى - لما خلق العالم قائما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجا عن ذاته والأول باطل .

( ١ ) هو أبو الحسن الأشعري على بن اسماعيل بن إسحاق من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري . كان من الأئمة المجتهدين . ولد في البصرة سنة ستين ومائتين وتوفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة هجرية .

أنظر ترجمته في : "طبقات الشافعية ٣/٣٤٧ ، البداية والنهاية ١١/٢١٠ ، اللباب ١/٦٤ ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ص ٧٩ ."

( ٢ ) الإبانة في أصول الديانة ص ٣٠-٣١ .

أما أولاً : فبالإتفاق ، وأما ثانياً : فلأنه يلزم أن يكون محلاً للخسائس ،  
والقائورات - تعالى الله - عن ذلك علواً كبيراً .

والثاني : يقتضي كون العالم واقعا خارج ذاته ، فيكون منفصلاً فتعينت  
المباينة لأن القول بأنه غير متصل بالعالم ، وغير منفصل عنه غير معقول .

### الثالث :-

أن كونه - تعالى - لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده  
بالكلمة لأنه غير معقول فيكون موجوداً ، إما داخله ، وإما خارجه ، والأول  
باطل ، فتعين الثاني فلزم التمايز (١) .

وللجهمية في إنكارهم صفات الله - عز وجل - وقولهم أن الله - عز  
وجل - في كل مكان شبه أجاب عنها أهل السنة ووضحوا بطلانها ومسئ  
ذلك استدلالهم بقوله تعالى ( وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم  
سرهم وجهركم ويعلم ما تكسبون ) (٢) . على أنه - تعالى - في كل مكان ولا يخلو  
منه مكان فهو استدلال باطل وتفسير لكتاب الله - تعالى - بخير التفسير  
منه فالآية : معناها إله من في السموات ، وإله من في الأرض وهو على  
عرشه ، وعظمه محيط بالعرش وما دون العرش ، ولا يخلو مكان من عظم  
الله - سبحانه وتعالى - ولا يمكن أن يكون عظمه في مكان دون مكان بل إنسه  
- تعالى - قد أحاط بكل شيء عِلماً فهذا هو المعنى الصحيح للآية .

قال الامام أحمد رحمه الله تعالى مهينا بطلان استدلالهم بالآية  
السابقة على أن الله في كل مكان .

( ١ ) شرح الطحاوية ص ٣٢٥ . ( ٢ ) سورة الأنعام آية / ٣ .

" فظننا لما أنكرتم أن يكون الله على العرش وقد قال تعالى (الرحمن

على العرش استوى ) (١) فقالوا ؛ هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش فهو على العرش ، وفي السموات ، وفي الأرض ؛ وفي كل مكان ، ولا يخلو منه مكان ، وتلوا آية من القرآن ( وهو الله في السموات وفي الأرض ) فظننا ؛ قد عرف المسلمون أماكن كسوره ليس فيها من عظمة - الرب - شي ؛ فقالوا ؛ أي مكان ؟ فظننا ؛ أجسامكم وأجوافكم ، وأجواف الخنازير والحشوش والأماكن القدره ليس فيها من عظمة - الرب - شي ؛ وقد أخبرنا أنه في السماء . . . الى أن قال رحمه الله تعالى ؛ ألميس تعلمون أن إبليس مكانه والشياطين مكانهم فلم يكن الله ليجتمع هو وإبليس في مكان واحد ، وإنما معسنى قول الله - جل ثناؤه - ( وهو الله في السموات وفي الأرض ) (٢) يقول ؛ هو إله من في السموات وإله من في الأرض وهو على العرش ؛ وقد أحاط علمه بما دون العرش ، ولا يخلو من علم الله مكان ، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان فذلك قوله ( لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ) (٣)

وقال ابن كثير ؛ (٤) حول الآية ؛ ( وهو الله في السموات وفي الأرض )

اختلف مفسروا هذه الآية على أقوال بعد اتفاقهم على انكار قول الجهمية . .

- ( ١ ) سورة طه آيه ٥ / .  
 ( ٢ ) سورة الأنعام آيه ٣ / .  
 ( ٣ ) الرد على الجهمية والزنادقة ص ١٣٥-١٣٦ والآية رقم ٢ من سورة الطلاق .  
 ( ٤ ) هو ؛ اسماعيل بن عمير بن كثير بن عمرو بن دوع القرشي البصري ثم الدمشقي أبو الغدا عماد الدين .

حافظ ، مؤرخ ، فقيه .

ولد سنة واحد وسبعمائة وتوفي سنة أربع وسبعمين وسبعمائة هجرية .  
 أنظر ترجمته في " طبقات المفسرين ١ / ١١١-١١٣ ، الدرر الكامنة ١ / ٣٧٣ ، شذرات الذهب ٦ / ٢٣١ ، البدر الطالع ١ / ١٥٣ .

القائلين - تعالى - عن قولهم علوا كبيرا بأنه في كل مكان حيث حطوا الآيه على ذلك فالأصح من الأقوال أنه المدعو الله في السموات وفي الأرض، أي يعبده ويوحده ويقر له بالالهية من في السموات ومن في الأرض ويسمونه الله ، ويدعونه رغبا ورهبا إلا من كفر من الجن والإنس ، وهذه الآيه على هذا القول كقوله تعالى ( وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ) (١)

ومن الآيات التي احتج بها الجهمية على أن الله في كل مكان قوله تعالى : ( ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خصة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينتههم بما عطوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ) (٢)

ويقال لهم : إن معنى الآية ليس كما فهم منها بل معناها المراد منها أنه - تعالى - حاضر كل نجوى ، ومع كل أحد من فوق عرشه بعلمه لأن علمه - سبحانه - محيط بجميع خلقه ، وبصره نافذ فيهم لا يحجب علمه وبصره شيء ولا يستطيعون التواري منه بشيء وهو عال على عرشه بائن من خلقه ( يعلم السر وأخفى ) (٣) لأنه - سبحانه - لا يعبد عليه شيء ولا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض فهو - سبحانه - رابعهم وخامسهم وسادسهم بعلمه المحيط بكل شيء كما بينت الآية ذلك بغايتها وخاتمتها (٤)

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/٧ والآيه رقم (٨٤) من سورة الزخرف ، وانظر أضواء البيان ٢/١٦٢ .  
 (٢) سورة المجادلة آيه ٧/٣ . سورة طه آيه ٧/٧ .  
 (٣) سورة طه آيه ٧/٧ .  
 (٤) الرد على الجهمية للدارمي ص ١٩ مع التصرف في بعض ألفاظه .

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : " إذ أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان ، ولا يكون في مكان دون مكان فقل : ألميس الله كان ولا شيء ؟ فيقول : نعم فقل له : حين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجاً من نفسه فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال لا بد له من واحد منها ؛

( ١ ) إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه .

( ٢ ) وإن قال : خلقهم خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم كان هذا كفراً أيضاً حين زعم أنه دخل في مكان وحش قدر ردي .

( ٣ ) وإن قال : خلقهم خارجاً من نفسه ، ثم لم يدخل فيهم رجوع عن قوله أجمع وهو قول أهل السنة ٣ . ( ١ )

كذلك استدلوا على أنه - تعالى - في كل مكان :-

بما رواه الترمذي ( ٢ ) في سننه من حديث الحسن ( ٣ ) عن أبي هريرة رضي الله

عنه قال : بينما نسي الله جالس في أصحابه إذ أتى عليهم سحب فقال

( ١ ) الرد على الجهمية والزنادقة ص ١٣٩ .

( ٢ ) هو : محمد بن عيسى بن سوره السلمي البوغي الترمذي أبو عيسى من أئمة علماء الحديث وحفاظه من أهل ترمذ كان يضرب به المثل في حفظ الحديث . ولد سنة تسع ومائتين وتوفي سنة تسع وسبعين ومائتين هجرية . انظر ترجمته في : " التهذيب " ٣٨٧/٩ ، والتذكرة ٦٣٣/٢ - ٦٣٥ ، وفيات الأعيان ٤٨٤/١ ، الأعلام ٢١٣/٧ .

( ٣ ) هو : الحسن بن يسار البصري أبو سعيد تابعي ، كان إمام أهل البصرة وخبير الأمة في زمنه وهو أحد العلماء الفقهاء الضعفاء الشجعان النساك .

ولد سنة إحدى وعشرين ، وتوفي سنة عشر ومائة هجرية . انظر ترجمته في : " تهذيب التهذيب " ٢٢٣/٢ ، حلية الأولياء ١٦١-١٣١/٢ ، الأعلام ٢٤٢/٢ .

نبي الله صلى الله عليه وسلم هل تدبرون ما هذا قالوا : " أله ورسوله أعلم قال هذا العنان<sup>(١)</sup> هذه رواية الأرض يسوقها الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه والحديث طويل " وفيه : لو أنكم دللتهم بحبل إلى الأرض السفلى لهبطتم على الله ثم قرأ ( هو الأول والآخِر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم )<sup>(٢)</sup> . قال الترمذى : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ويروى عن أيوب ويونس بن عبيد وطى بن زيد قالوا : لم يسمع الحسن من أبي هريرة<sup>(٣)</sup> ،

هذا الحديث أفاض البحث حوله العلامة ابن القيم وبين أن العلماء انقسموا فيه إلى طائفتين ،

طائفة : قبلت الحديث على اعتبار أن سنده ثابت إلى الحسن .  
وطائفة ثانية : رفضت الحديث بالكيفية على اعتبار أن الحديث منقطع وأن الحسن لم يروها هريرة فضلا عن أن يسمع منه ، واكتشفوا فيه علة أخرى وهو أن عبد الرزاق بن همام الصنعاني رواه عن معمر عن قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم فكان الحديث على هذا مرسل ، والذين قبلوا الحديث اختلفوا في معناه على قولين :-

قيل : إن المعنى يهبط على علم الله وقدرته وسلطانه إلى ماتحت التحت فلا يعزب عنه شيء ، وهذا القول حكاه الترمذى عن بعض أهل العلم<sup>(٤)</sup> .

وقالت طائفة أخرى : بل هذا المعنى اسمه - تعالى - المحيط ، واسمه الباطن فإنه - سبحانه - محيط بالمعالم كله ، وأن العالم العلوي والسفلي

( ١ ) العنان : السحاب النهاية ٣ / ٣١٣ .

( ٢ ) سورة الحديد آية ٣ . ( ٣ ) سنن الترمذى ٥ / ٧٧ - ٧٨ .

( ٤ ) المصدر السابق .

في قبضته كما قال تعالى ( والله من ورائهم محيط )<sup>(١)</sup> ، وإحاطته - تعالى -  
تقتضي علوه وفوقيته على جميع خلقه بالذات فلو دلسي بحبل لسقط  
في قبضته وهو فوق عرشه والحديث لم ينس على أنه يهبط على جميع ذاته  
فهذا لم يظه أحد البتة .

والتأويل الأول : الذي ذكره الترمذى بين ابن القيم أنه من تصرفات  
الجهمية .

قال رحمه الله : قال شيخنا<sup>(٢)</sup> : هو ظاهر الفساد من جنس تأويلات  
الجهمية ، بل بتقدير ثبوته ، فإنما يدل على الإحاطة ، والإحاطة ثابتة  
عقلا ونقلا وفطرة<sup>(٣)</sup> .

فالجهمية لا دليل لهم على دعواهم التي ضمنها الثنقيص للـ  
- جلا وعلا - لا من الكتاب ولا من السنة .

وان استدلووا بآيات من القرآن فإنهم يفسرونها بغير المراد منها ، وإن  
أتوا بأحاديث تكون غير صحيحة ، وأحياناً تكون لا وجود لها في كتب  
الحدِيث المعتمد بالكلية ، وحاصل ما تقدم أن علو الله - تعالى - على  
خلقه ثابت بنس الكتاب العزيز والسنة الطاهرة ، بل نطقت بذلك  
جميع الكتب السماوية المنزلة على رسله ، وجميع أهل السموات ومو منوا أهل  
الأرض من الجن والإنس ، أتباع الرسل ، وشهدت بذلك الفطر السليمة  
والقلوب المستقيمة التي لم تجتلبها الشياطين عن دينها ، كما فعلت

( ١ ) سورة البروج آية / ٢٠ .

( ٢ ) هو : شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

( ٣ ) مختصر الصواعق المرسله ٢/٢٧٢-٢٧٥ ، وانظر " مجموعة

الرسائل والمسائل " ١٤٢/٤ .



بطائفه الجهمية الذين اتبعوا غير سبيل المؤمنين ، فأطاعوا الشيطان  
وابتعدوا عما يروده الرحمن ، فجميع الخلق إلا من خذله الله يشهدون بأن  
خالقهم وفاطرهم ، ومعبودهم الذي يألهونه ، ويفزعون إليه ، ويدعونه  
رغبا ورهبا هو فوق كل شيء عالٍ على جميع خلقه ، مستو على عرشه ، بائن  
من خلقه ، وهو يعلم أحوالهم ، ويسمع أقوالهم ، ويرى حركاتهم  
وسكناتهم وجميع تقلباتهم ، وما هم عليه لا يخفى منهم خافية ، ومن لم يعتقد  
ذلك فهو ضال عن سوا السبيل .

---

## - المبحث الثالث -

القرآن كلام الله منزل غير مخلوق

لقد دلت السورة على أن القرآن منزل من الله غير مخلوق ، وأنه صفة من صفاته تعالى - ، وصفاته - تعالى - كما هو معلوم ليست مخلوقة في عدة آيات :

قال تعالى : ( تنزلي الكتاب من الله العزيز الحكيم . انا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ) .

وقال تعالى : ( أَلَمْ يَنْزِلْ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ) .

وقال تعالى ( اِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ خَلَّ فَإِنَّمَا يَفْضِلْ عَلَيْهِمَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ) .

وقال تعالى : ( وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بِفِتْنَةٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ) .

وقال تعالى ( وَلَقَدْ غَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، قرآنا عربيا غير ذي هجج لعلهم يهتقون ) .

هذه سبع آيات من السورة ، الخمس الآيات الأولى منها دلت أن القرآن منزل من الله - تعالى - غير مخلوق كما تضمنت الرد على القائلين بخلق القرآن ، وهم المعتزلة وترد قول القائلين أن المراد من النزول نزول الطك

الذي بلغه الى الرسول ، وليس المراد به القرآن الذي هو صفة من صفات الله - تعالى - كما قال ذلك الرازي (١) .

ووجه الرد عليهم بالآيات الخمس الأولى : أنها صرحت بتنزيل وانزال الكتاب الذي هو القرآن بواسطة الرسول الطليق فهو منزل من الله وهو كلامه حقيقة .

وأما الآية السادسة : وهي قوله تعالى : ( ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون ) .

بين الله - تعالى - فيها أنه مثل للمشركين من كل مثل من أمثال الأمم الخالية في هذا القرآن تخويفاً منه ، وتحذيراً ليعتظوا ويتذكروا عليهم ينزجرون عما هم عليه من التكذيب بالرسول والكفر بالله تعالى .

وأما الآية السابعة : وهي قوله تعالى ( قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلمهم يتقون ) .

قال السيوطي (٢) حول هذه الآية : " فيها الرد على من قال بخلق القرآن (٣) .

( ١ ) التفسير الكبير ٢٦ / ٢٣٨ .

( ٢ ) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى السيوطي ، جلال الدين إمام حافظ مؤرخ أديب له مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم والفنون . ولد سنة تسع وأربعين وثمانمائة وتوفي سنة إحدى وتسعمائة هجرية . أنظر ترجمته في : " الكواكب السائرة ١ / ٢٢٦ ، شذرات الذهب ٨ / ٥١ ، الضوء اللامع ٤ / ٦٥ ، حسن المحاضر ١ / ٣٣٤ .

( ٣ ) الإكليل في استنباط التنزيل ص ٢٢٤ .

وروى اللالكائي والآجري<sup>(١)</sup> بسند صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما  
( قرآنا عربيا غير ذي عوج ) قال غير مخلوق<sup>(٢)</sup> .

فذلك الآيات من السورة دللت على أن القرآن منزل غير مخلوق  
وكما هو معلوم أن الإيمان بالكتب ركن من أركان الإيمان الستة ، ومن  
الإيمان بالكتب الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا  
وإليه يعسود وأن الله تكلم به حقيقة ، وأن هذا القرآن الذي أنزله على  
محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة ، لا كلام غيره ، ولا يجوز  
إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله ، أو عبارة ، بل إذا قرأه الناس ،  
أو كتبوه بذلك في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله - تعالى -  
حقيقة فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قال مبتدئا لا إلى من قاله  
مبلغا مؤديا ، وهو كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف  
دون المعاني ، ولا المعاني دون الحروف<sup>(٣)</sup> .

وهذا ما يجب اعتقاده في القرآن ولا يجوز العدول عنه بحال .

قال الصابوني : " ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام  
الله ، وكتابه ووحيه وتنزيله غير مخلوق ، ومن قال بخلقه فهو كافر  
عندهم ، والقرآن الذي هو كلام الله ووحيمه هو الذي ينزل به جبريل  
على الرسول صلى الله عليه وسلم ( قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا )<sup>(٤)</sup>

( ١ ) هو محمد بن الحسين بن عبد الله أبوبكر الآجري ، .

فقيه ، شافعي ، محدث .

توفي سنة ستين وثلاثمائة هجرية .

أنظر ترجمته في تاريخ بغداد ٢ / ٢٤٣ .

( ٢ ) السنة للالكائي ٢ / ٢١٧ ، كتاب الشريعة للآجري عن ٧٧ ، الأسماء  
والصفات للمبيهقي ص ٣١١ .

( ٤ ) سورة فصلت آية : ١ - ٤

( ٣ ) مجموع الفتاوى ٣ / ١٤٤ .

كما قال - عز من قائل - ( وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين )<sup>(١)</sup> ،

وهو الذي بلغته الرسول على الله عليه وسلم أمته ، ، إلى أن قال :  
سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول يختارها الوليد حسان بن محمد يقول :  
سمعت الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول : القرآن كلام الله  
غير مخلوق فمن قال : إن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم لا تقبل  
شهادته ولا يعاد إن مرضى ولا يعلى عليه إن مات ولا يدفن في مقابر  
المسلمين ويستتاب فإن تاب ولا يخرب عقده<sup>(٢)</sup> ؛

هذا الذي ذكره الصابوني رحمه الله - تعالى - معتقد أهل السنة  
والجماعة في كتاب الله - تعالى - وهو ما كان عليه السلف الصالح حيث  
كانوا على عقيدة واحدة في كتابه - تعالى - وهو القول بأنه كلام الله  
حقيقة منزل غير مخلوق .

قال العلامة ابن القيم : " وقد تنازع الصحابة رضي الله عنهم في  
كثير من مسائل الأحكام - وهم سادات المؤمنين ، وأكمل الأمة إيماناً  
ولكن بحمد الله لم يتنازعو في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات  
والأفعال ، بعد كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة<sup>(٣)</sup> .

هذا هو واقع الصحابة فقد كان مجتمعهم مجتمعاً سليماً من الشوائب  
والإنحرافات الشثومة ، ولم يحدث القول بخلق القرآن إلا الجهمية من  
المعتزلة ، وهو من أعظم الفتن التي مرت بها الأمة الإسلامية في تاريخها ،

( ١ ) سورة الشعراء آية ١٩٢ - ١٩٥ .

( ٢ ) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنويصة

١٠٧/١ - ١٠٨ .

( ٣ ) اعلام الموقعين ٤٩/١ .

وكان أول من أحدث القول بخلق القرآن هو "الجمعد بن درهم" (١) سنة أربع وعشرين ومائة هجرية ، ولما هلك أخذ الراية من بعده "الجهيم بن صفوان" سنة ثمان وعشرين ومائة هجرية :

ولما بدأ القرن الثالث الهجري تولى نشر هذه البدعة "بشر بن غياث المريسي" سنة ثمان وعشرين هجرية ، ثم تلقاها أحمد بن أبي أبي درهم سنة أربعين ومائتين هجرية وزينها للطأمون حتى اعتنقها ، وحمل الناس عليها وأكروههم على اعتقادها ، وحذى حذوه من بعده أخوه المعتصم والواثق .

وفي زمن هو "الثلاثة الخلفاء العباسيين" نزلت المحنة والبلاء بعلماء أهل السنة والجماعة الذين ثبتوا في اعتقادهم على منهج السلف وردوا كيد المعتزلة في نحورهم ببيان الحق في كلام الله - تعالى - حتى أن الامام أحمد رحمه الله - تعالى - ضرب في هذه المحنة كي يحصلوا منه على أدنى كلمة توافق مذهب الاعتزان فلم يستطيعوا الى ذلك سبيلا ، فثبت رحمه الله - تعالى - على التمسك بعقيدة السلف الصالح حتى كان سببا في حفظ العقيدة السلفية الصحيحة التي حماها الله من التلوث بهراثن الجهمية - المعتزلة ، وبين رحمه الله بموقفه ذلك بطلان ما دبره الجهمية والمعتزلة من

( ١ ) هو الجمعد بن درهم مولى سويد بن غفلة أصله من خراسان . سكن دمشق فلما أظهر القول بخلق القرآن أخذ الأمويون في البحث عنه فهرب إلى الكوفة فلقبى الجهم بن صفوان ولقنه مذهب "ذالك فقبح عليه أمير الكوفة " خالد بن عبد الله القسري " وضحى به حيث قال وهو على المنبر " أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم ، فإننى ضح بالجمعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما - تعالى الله - عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه " .

الهداية ٣٥٠/٩ ، الميزان ٣٩٩/١ ، خلق أفعال العباد ص ٧ ، الرد على الجهمية للدارمي ص ١١٣ .

الكيد للإسلام ، فبلغ الأمة فساد قولهم بأن القرآن مخلوق ، ولم ترتفع تلك الفتنة وهي فتنة القول بخلق القرآن إلا في زمن التوكل سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة<sup>(١)</sup> ، وبسبب تلك المظننة التي امتحن فيها أئمة الإسلام ، وثبتت فيها لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل تنازع الناس في القرآن نزاعا كبيرا ، فانقسموا إلى طوائف مختلفة في صفة الكلام حتى قيل إن علم الكلام إنما سمي بهذا الاسم أخذا من الكلام في هذه المسألة وسأذكر هنا الأقوال المذكورة عن الغسوق في صفة الكلام بطريقة مختصرة :

مذهب السلف :-

~~~~~

قالوا : إن الكلام صفة لله كسائر الصفات الأخرى ، وهي صفة ذات وفعل ، يتكلم متى شاء وكيف شاء ، وهو حروف وأصوات تسمعها من يشاء من مخلوقاته ، وإن كلامه وصوته ليس كصوت المخلوقين وكلامهم فهو قديم النوع حادث الأفراد .

كما أنهم أجمعوا على أن موسى عليه السلام سمع كلام الله من الله تعالى لا من الشجر أو الحجر ، أو من غير ذلك كما زعمت الجهمية والمعتزلة لأنه لو سمع من غير الله - تعالى - لكان بنو إسرائيل أفضل من ذلك منه ، فإنهم سمعوا من أفضل ممن سمع منه موسى لكونهم سمعوا من موسى عليه السلام وهو على زعمهم إنما سمع من الشجرة ، وهو غير معقول .

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٦٣١/٨ - ٦٤٦ ، البداية

والنهاية ٣٠٨/١٠ - ٣١١ ، ٣١٩ ، ٣٥٨ ، مطبعة السعادة

وانظر تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٦٠ - ٧٠ .

وكذلك لم يجر أن يكون الكلام الذي سمعه إلا صوتا وحرفا ، ولم يس  
معنى في النفس ، فإنه لو كان معنى في النفس كما زعمت الكلابية  
والأشاعرة والمأترية لم يكن ذلك تكليما لموسى عليه السلام ولا هو  
شيءٌ يسمع (١) .

فالقرآن عند أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا كلام الله - تعالى -  
ووجهه ، وتنزيله فيه معاني توحيده ، ومعرفة آياته ، وأنه غير مخلوق  
بحروفه ومعانيه فهو كلام الله - تعالى - حقيقة ويضاف الكلام إلى من قاله  
مبتدئا لا إلى من قاله بلغا ، وموهدا ، ولا يجوز إطلاق القول بأنه  
حكاية عن كلام الله ، أو عبارته عنه ، كما يزعم ذلك الكلابية ، والأشاعرة .

مذهب الفلاسفة :-  
~~~~~

قالوا : إن كلام الله هو عبارة عما يفهم من العقل الفعال أو  
من غيره على النفوس الغاضلة الذكية ، بحسب استعدادها ، فأوجب  
لهل ذلك الفهم تصورات ، وتصديقات بحسب ما قبلته منه ، ولهذا النفوس  
عندهم ثلاث قوى ، قوة التصور ، قوة التخيل ، قوة التعبير ، فتدرك  
بقوة تصورهما من المعاني ما يعجز عنه غيرها ، وتدرك بقوة تخيلها شكل  
المعقول في صورته المحسوس ، فتصور المعقول صورا نورانية تخاطبها  
وتكلمها بكلام تسمعه الآذان ، وهو عندهم كلام الله ولا حقيقة له في الخارج  
وإنما ذلك كله من القوة الخيالية الوهمية (٢) .

- (١) أنظر مجموع الفتاوى ١٢/٣٩-٤٠ ، مختصر الصواعق المرسله ٢/٢٩٦-  
٢٩٨ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٩ ، لوامع الأنوار البهية ١/١٤٠ .  
(٢) رسائل إخوان الصفا ٤/٢٠٩ ، نقض المنطق ص ٣٢ ، مجموعة الرسائل  
والمسائل ٣/٤٢٨ ، منهاج السنة النبوية ١/٢٢١ ، مختصر الصواعق  
٢/٢٨٨ ، إغاثة اللهفان ٢/٢٦٢ ، شرح الطحاوية ص ١٧٩ .



قال شيخ الاسلام ابن تيمية " فيقولون هذا القرآن كلام الله وهذا الذي جاءت به الرسل كلام الله ، ولكن المعنى أنه قاض على نفس النبي صلى الله عليه وسلم من العقل الفعال ، وربما قالوا إن العقل هو جبريل الذي ليس على الغيب بضنين أي ؛ بخيل لأنه فيسأغ . ويقولون ؛ إن الله كلم موسى من سماء عظمه ، وأن أهل الرماضة والصفاء يصلون إلى أن يسمعوا كما سمعه موسى " (١) .

وهذا المذهب ؛ من أبعاد المذاهب عن الحق والصواب إن ضمونه أن كلام الله - تعالى - من الوهم والخيال ليس له وجود في الخارج إن أنهم يزعمون ؛ أن موسى سمع كلام الله من سماء عظمه أي ؛ بكلام لم يسمعه من خارج . وهذا مناقض للكتاب والسنة وإنكار للهوية الغالقة - سبحانه وتعالى - والكتاب والسنة دلا بوضوح على أن الله - تعالى - أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم وإلى اخوانه من الأنبياء والمرسلين ، والوحي كان إما بتكليم الله لهم بلا واسطة ، أو بوحى إليهم بواسطة الملك الذي يأمره الله بتليخ الوحي إلى النبي الذي اصطفاه الله لتبليخ رسالته إلى عباده من الجن والإنس .

قال تعالى : ( وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عظيم حكيم ) (٢) .

فهذه الآية دلت على أن الوحي إلى الرسل كان حقيقة ولم يكن تخيلا بتخيله الرسول كما زعم ذلك الفلاسفة المارقون ومن جرى في ركبهم من المتكلمين فدعواهم ذلك من أبطل الباطل .

( ١ ) مجموع الفتاوى ٢٣ / ١٢

( ٢ ) سورة الشورى آية ٥١ .

( والأصل الذي قادهم إلى هذا عدم الإقرار بالرب الذي عرفت  
به الرسل ودعت إليه وهو القائم بنفسه المبين لخلقه العالي فوق سمواته ،  
فوق عرشه الفعال لما يريد بقدرته ومشيته العالم بجميع المعلومات  
القادر على كل شيء ، فهم أنكروا ذلك كله (١) )

مذهب الجهمية :-  
~~~~~

أما مذهب الجهمية في صفة الكلام فإنهم قالوا : إن كلامه - سبحانه -  
مخلوق ، ومن بعض مخلوقاته ليس قائما بذاته - سبحانه - فالكلام بدأ من  
هذه المخلوقات وليس من الله ولا يقوم بالله كلام ولا إرادة وأنه - سبحانه -  
كلم موسى بكلام خلقه في الشجرة ، وكلم جبريل بكلام خلقه فسي  
الهبوا (٢) .

قال أبو الحسن الأشعري : " وزعت الجهمية كما زعت النصارى  
لأن النصارى زعت أن كلمة الله جواها بطن مريم ، وزادت الجهمية عليهم  
فزعت أن كلام الله مخلوق حدث في شجرة وكانت الشجرة حاوية له فلزمهم أن  
تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمة ، ووجب عليهم أن مخلوقا من المخلوقين  
كلم موسى ، وأن الشجرة قالت : ( إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ) (٣) .

وقال البغدادي وهو يذكر معنى الأور التي اتفقت عليها الجهمية  
فقال : " وقال : أي - جهم - بحدوث كلام الله - تعالى - كما قالست  
القدرية ولم يسم الله - تعالى - متكلماً به " (٤) .

---

( ١ ) مختصر الصواعق المرسله ٢ / ٢٨٨ .  
( ٢ ) الطل والنحل ١ / ٨٩ ، أصول الدين للبزدوي ص ٥٣ ، مختصر الصواعق  
٢ / ٢٨٨ .  
( ٣ ) الإبانة ص ٢٠ والآية رقم ( ١٤ ) من سورة " طه " .  
( ٤ ) الفرق بين الفرق ص ٢١٢ .

وقال البخارى رحمه الله تعالى : " وقال بعض أهل العلم : إن الجهمية هم المشبهة لأنهم شبهوا ربهم بالصنم والأصم ، والأبكم النذبي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ، ولا يخلق ، وقالت الجهمية : هو كذلك لا يتكلم ولا يبصر نفسه " أ. هـ .<sup>(١)</sup>

ولقد ذكر ابن قتيبة رحمه الله - تعالى - : مذهب الجهمية في صفة الكلام فقال : " وقالوا : في كلام الله إنه مخلوق " أ. هـ .<sup>(٢)</sup>

وقال الامام عثمان بن سعيد الدارمي " باب الإحتجاج للقرآن أنه غير مخلوق ثم ذكر حشداً كبيراً من الأدلة على عدم خلق القرآن ثم قال : " ففي هذا بيان بيمين أن القرآن خرج من الخالق لا من المخلوقين ، وأنه كلام الخالق لا كلام المخلوقين " أ. هـ .<sup>(٣)</sup>

فهذا هو مذهب الجهمية الزنادقة في كلام الله - تعالى - حيث يزعمون أن القرآن كلام الله على سبيل المجاز وهو مخلوق ، وقولهم هذا ظاهر البطلان لمخالفته الكتاب والسنة واجماع سلف الأمة وأئمتها .

مذهب المعتزلة :-

أما المعتزلة أفراخ الجهمية فقد قالوا : إن كلام الله - تعالى - مخلوق ، خلقه الله منفصلاً عنه ، وهو حرف وصوت وأن موسى سمع كلاماً أحدثه الله في الشجرة ، ولم يسمع كلام الله حقيقة<sup>(٤)</sup> .

- 
- ( ١ ) خلق أفعال العباد ص ١٥ .  
 ( ٢ ) الإختلاف في اللفظ ص ٢٣٣ ضمن عقائد السلف .  
 ( ٣ ) الرد على الجهمية ص ٩٨-٩٩ .  
 ( ٤ ) أنظر المقالات لأبي الحسن الأشعري ١ / ٢٦٧ ، وما بعدها ، أصول الدين للبربروي ص ٥٣ - الطل والنحل ١ / ٤٥ .

قال عبد الجبار بن أحمد مبينا مذهبه ومذهب اخوانه من أهل الاعتزال في القرآن : " وأما مذهبنا في ذلك فهو أن القرآن كلام الله - تعالى - ووحيه ، وهو مخلوق محدث أنزله الله على نبيه ليكون علما ودا لا على نبوته ، وجعله دلالة لنا على الأحكام لنرجع إليه في الحلال والحرام " (١) هـ .

وقال في كتابه "المفني" " اختلف الناس في ذلك " الكلام " والسدى يذهب إليه شيوخنا ، أن كلام الله - عز وجل - من جنس الكلام المعقول في الشاهد ، وهو حروف منظومة ، وأصوات مقطعة ، وهو عربي يخلقه الله - سبحانه - في الأجسام على وجه يسمح ويفهم معناه ويؤدي الطلوك ذلك إلى الأنبياء عليهم السلام بحسب ما يأمر به - عز وجل - ويعلمه صلاحها ويشتمل على الأمر والنهي وسائر الأقسام لكلام العباد " .

وقال أيضا : " ولا خلاف بين أهل العدل في أن القرآن مخلوق محدث مفعول لم يكن ، ثم كان وأنه غير الله - عز وجل - وأنه أحدثه بحسب مصالح العباد ، وهو قادر على أمثاله وأنه يوصف بأنه مخبر به ، وقائل ، وأمر ، وناء من حيث فعله وكلمهم أنه - عز وجل - متكلم به " (٢) هـ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبينا وجه تقارب مذهب المعتزلة والجهمية ووجه افتراقهما " فذهبهم - أي المعتزلة - ومذهب الجهمية في المعنى سواء ، لكن هو " لا يقولون : هو متكلم حقيقة وأولئك ينفون أن يكون متكلم حقيقة ، وحقيقة قول الطائفتين أنه غير متكلم ، فإنه لا يعقل متكلم إلا من قام به الكلام ولا مرید إلا من قامت به الإرادة ، ولكن معنى كونه - سبحانه -

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٥٢٨ .

(٢) ٣/٧ وأنظر الفرق بين الفرق ص ١١٤ .

وروى اللالكائي بإسناده إلى وكيع بن الجراح أنه قال : من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن شيئاً من الله مخلوق فقبل له : يا أبا سفيان من أين قلت هذا ؟ قال : لأن الله تبارك وتعالى - يقول : ( ولكن حق القول مني ) ولا يكون من الله شيء مخلوق<sup>(١)</sup> .

وقال تعالى : ( ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله )<sup>(٢)</sup> .

وجه الدلالة من هذه الآية :-

أن المخلوقات كلها نافذة وقانية ، أما كلمات الله - تعالى - فلا تنفذ ولا تغنى ولذلك يقول الباري - سبحانه - عندما تغنى الخلائق كلها لمن الطك اليوم ؟ فيجيب نفسه ( لله الواحد القهار )<sup>(٣)</sup> .

روى ابن جرير الطبري بإسناده إلى الحسن البصري في الآية : ( ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ) قال : لو جعل شجر الأرض أقلاماً ، وجعل البحور مداداً وقال : إن من أمرى كذا ومن أمرى كذا لنفد ماء البحور وتكسرت الأقلام<sup>(٤)</sup> .

وقال رسول الله على الله عليه وسلم : " يقضى الله الأرض يوم القيامة ويطوى السموات بيمينه ثم يقول : أنا الطك فأين طوك الأرض . . . " الحدِيث

فهذا الحديث والآيات قبله فيها الرد الواضح السريع على المعتزلية

القائلين بأن كلام الله مخلوق لأن كلام الله صفة من صفاته ، وصفاته كذاته

- ( ١ ) شرح أصول السنة للالكائي ٢ / ٢١٩ .
- ( ٢ ) سورة لقمان آ٤ / ٢٧ ( ٣ ) سورة غافر آ٤ / ١٦ .
- ( ٤ ) تفسير ابن جرير ٢١ / ٨١ .
- ( ٥ ) متفق عليه من حديث أبي هريرة . صحيح البخاري مع الفتح ١١ / ٣٧٣ ، صحيح مسلم ٤ / ٢١٤٨ .

ليس شئ\* من ذلك مخلوق والذي حط المعتزلة على القول بأن القرآن مخلوق منفصل عن الله - تعالى - خلقه في غيره ،

قالوا : إنما قلنا ذلك لأننا إنما استدللنا على حدوث العالم بحدوث الأجسام ، وإنما استدللنا على حدوثها بقيام الحوادث بها وأن ما لا ينفسك عن الحوادث فهو حادث لا متنازع حوادث لا أول لها فلو قلنا إنه تقوم به الصفات والكلام لزم قيام الحوادث به لأن هذه الأعراف حادثة ،

وهذا الكلام المحدث المبتدع جعلوه أصلاً لهم في نفي صفات الله - تعالى - ، وظنوا أنهم ينصرون به الإسلام ، ويضرون به أعداءه ، ولكن لا الإسلام نصروا ولا أعداءه كسروا وإنما النتيجة التي حصلت لهم من وراء هذا الأصل الباطل أن سلطوا على أنفسهم علماء الشرع والعقل ، فعلماء الشرع قالوا لهم : إنكم خالفتم بقولكم هذا كتاب الله وسنة رسول صلى الله عليه وسلم ، وعلماء الفلسفة قالوا لهم : إنكم خالفتم بقولكم هذا المعقول رغم أن المعتزلة أعرف من الفلاسفة بعلوم الدين وأولئك أجهل منهم بالشرع والعقل في الإلهيات ، ففتحوا على أنفسهم مدخلاً دخلوا عليهم منه ، ونقموا عليهم بسبب مخالفتهم للعقل (١) .

وأما استدلال المعتزلة على خلق القرآن بقوله تعالى : ( الله خالق كل شيء ) (٢) .

ويقولون : إن القرآن داخل في عموم " كل " لأنه شئ فيكون مخلوقاً فهذا مما يعجب له العقلاء ، إذ أنهم يزعمون أن أفعال العباد غير مخلوقة لله - جل وعلا - وإنما يخلقها العباد جميعها لا يخلقها الله فأخرجوها من عموم " كل " ، وأدخلوا كلام الله في عمومها مع أنه صفة من صفات الله

( ١ ) منهاج السنة ٢ / ٨٠ بتصرف يسير .

( ٢ ) سورة الرعد آية / ١٨ .

- تعالى - به تكون الأشياء المخلوقة إذ المخلوقات تكون بأمسره

- سبحانه - كما تقدم ذلك، ومن قال : بأن صفات الله - تعالى - مخلوقة

كالعلم والقدرة، وغيرهما فهذا من الكفر الصريح لأن علة - تعالى -

شحي " وحياته شحي " ، وقدرته شحي " ، فيدخل في العموم الذي تتضمنه

" كل " فيكون مخلوقاً بعد أن لم يكن - تعالى - الله - عما يقولون علواً كبيراً<sup>(١)</sup>

قال ابن القيم - رحمه الله - تعالى : " احتج المعتزلة على مخلوقية

القرآن بقوله - تعالى - ( الله خالق كل شيء " ونحو ذلك ممن

الآيات ، فأجاب الأكتيون بأنه عام مخصوص ، يخص محل النزاع كسائر

الصفات من العلم ونحوه .

قال ابن عقيل<sup>(٢)</sup> : في الإرشاد ووقع لي أن القرآن لا يتناوله هذا الإخبار

ولا يصلح لتناوله قال : لأن به حصل عقد الإِعلام بكونه خالفاً لكل شحي

وما حصل به عقد الإِعلام والإخبار لم يكن داخل تحت الخبر قال : ولو أن

شخصاً قال : لا أتكلم اليوم كلاماً إلا كان كذباً لم يدخل إخباره بذلك

تحت ما أخبر به قلت : ثم تدبروت هذا فوجدته مذكوراً في قوله تعالى

في قصة مريم (فأما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً

فلن أكلم اليوم نسياً<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) أنظر شفاء العليل ع ٥٣ ، شرح الطحاوية ص ١٨٣ .

( ٢ ) علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري ، أبو الوفاء ،

ويعرف بابن عقيل ، .

عالم الحراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته .

كان قوي الحجة ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وتوفي سنة

ثلاث عشرة وخمسائة .

أنظر ترجمته في : شذرات الذهب ٣٥ / ٤ ، ميزان الاعتدال ١٤٦ / ٣

جلاء المعينين ص ١٦٠ .

( ٣ ) سورة مريم آية / ٢٦ .

وانما أمرت بذلك لئلا تستل عن ولدها فقولها ( ظن أكرم اليوم  
بإنسيا ) به حصل لإخبارها بأنها لا تكلم الإنس ، ولم يكن ما أخبرت به داخل  
تحت الخبر ولا كان قولها هذا مخالفاً لنذرها " ١٠هـ (١) .

فقوله تعالى ( خالق كل شيء ) التي استدل بها المعتزلة على خلق  
القرآن آية عامة في جميع الخلق لا يخرج عنها شيء من هذا الوجوه  
أعيانه وأفعاله ، وحركاته وسكناته ، ولا يخص بذات الله - تعالى - وصفاته  
إذ الباري - سبحانه - خالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له - تعالى -  
ونفس اللفظ في الآية قد فرق بين الخالق - سبحانه - وبين المخلوق ،  
وصفاته - تعالى - داخله في سمي اسمه - تعالى - فان لفظ الجلالة " الله " -  
اسم للإله - تعالى - الموصوف بكل صفة كمال المنزه عن كل صفة عيب ونقص  
ومثال ، والخلق قسمان : أعيان وأفعال وهو - سبحانه - الخالق  
لأعيانه وما يصدر عنها من الأفعال (٢) .

ويقال للمعتزلة أيضا : إن عموم " كل " في كل مقام بحسبه ويتبين ذلك  
بالقرائن ، وبرهان ذلك قوله - تعالى - ( تدمر كل شيء بأمر ربها  
فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ) (٣) ومساكن قوم عاد شيء ، ولم تدخل في عموم  
كل شيء دمرته الريح وذلك لأن المراد تدمر كل شيء قابل للتدمير  
بواسطة الريح .

وقال تعالى ( وأوتيت من كل شيء ) (٤) والمراد من كل شيء محتاجه  
الطوك ، ومثل هذا يفهم من قرائن الكلام ، فمراد الهدد أنها طكة كاملة  
في أمر الطك غير محتاجة إلى ما يكمل به أمر طكها ولهذا نظائر كثيرة والمراد

(١) بدائع الفوائد ٢١٨/٤ .

(٢) شفاء الملبيل في مسائل القضاء والقدر ص ٥٣ بتصرف يسير .

(٣) سورة الأحقاف آية / ٢٥ .

(٤) سورة النمل آية : ٢٣ .



من قوله تعالى ( خالق كل شيء ) أي كل شيء مخلوق وكل موجود سوى - الباري - فهو مخلوق فيدخل في هذا العموم أفعال العباد قطعاً ولم يدخل في هذا العموم الخالق - تعالى - وصفاته - تعالى - ليست غيره لأنه - سبحانه وتعالى - هو الموصوف بصفات الكمال ، وصفاته - تعالى - ملازمة لذاته المقدسة ، ولا يتصور انفصال صفاته - تعالى - عنه بحال (١).

كما يقال لهم أيضاً : كيف يصح أن يتكلم الله بكلام قائم بغيره ولو جاز ذلك للزم أن يكون كل كلام أحدثه في الجمادات كلامه ! وكذلك الكلام الذي خلقه في الحيوانات يكون كلامه ، ولا يكون هناك فرق بين نطق وأنطق ، وإنما قالت الجلود (أنطقنا الله) (٢) ولم تقل : نطق الله بل يلزم أن يكون متكلماً بكل كلام خلقه في غيره زوراً ، أو كذبا ، أو كفراً ، أو هذا يانا - تعالى الله - عما يقوله المعتزلة والجهمية طوا كبيرا ، وهذا مقاله الإتحادية فقد قال ابن عربي :

وكل كلام في الوجود كلامه . . . سواه طينا نشره ونظامه  
 ولو صح هذا لكان قول فرعون ( أنا ربكم الأعلى ) (٣) من كلام الله كما أن الكلام المخلوق في الشجرة طى زعمهم كلام الله وهذا من باطل القبول وزوره إن الرسل عليهم الصلاة والسلام أخبروا الناس وأفهموهم أن الله نفسه هو الذي تكلم والكلام قائم به لا بغيره ولذلك عاب الله طى من يعبد إليها لا يتكلم قال تعالى : ( ألم يسروا أنه لا يكلمهم ولا يهد بهم سبيلاً ) (٤) ، ولا يحمد شئاً بأنه متكلم ويندم بأنه غير متكلم إلا إذا كان الكلام قائماً به " أ. هـ " (٥).

- ( ١ ) شرح الطحاوية ص ١٨٥ ، وما بعد ها .  
 ( ٢ ) سورة فصلت آية / ٢١ . ( ٣ ) سورة النازعات آية / ٢٤ .  
 ( ٤ ) سورة الأعراف آية / ١٤٨ .  
 ( ٥ ) منهاج السنة ١ / ٢٢٢-٢٢٣ ، شرح الطحاوية ص ١٨٤ .

وأما استدلالهم - المعتمزله - بقوله تعالى ( إنا جعلناه قرآنا عربيا <sup>(١)</sup> )  
على خلق القرآن فهو استدلال ظاهر الفساد فان الفعل " جعل " إذا كان  
بمعنى " خلق " فإنه يتعدى إلى مفعول واحد كقوله - سبحانه - ( وجعل  
الظلمات والنور ) <sup>(٢)</sup> وإذا كان يتعدى إلى مفعولين لم يكن بمعنى خلصق  
قال تعالى : ( ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم  
كفيلا ) <sup>(٣)</sup> .

ومثل هذا قوله تعالى : ( إنا جعلناه قرآنا عربيا ) <sup>(٤)</sup> .  
وللمعتمزلة أدلة أخرى غير هذه الأدلة ولكن بحمد الله - تعالى -  
لقد بين علماء السلف عدم وجهة استدلالهم بها وأن تعلقهم بها  
لا يساعد على دعواهم في القول بخلق القرآن .

مذهب الكلابية :-  
~~~~~

لقد ذهب عبد الله بن سعيد بن كلاب وأتباعه الى أن القرآن عبارة  
عن حكاية معنى قائم بنفسه لا يتعلق بقدرته - تعالى - ومشيئته وأنه لازم  
لذاته - جل وعلا - كلزوم الحياة والقدرة والعلم وأنه لا يسمع على الحقيقة ،  
وليس له حرف ولا صوت ، وهو أربعة معاني في نفسه: الأمر ، والنهي ، والخبر  
وإلاستخبار ، فهي أنواع لذلك المعنى القديم الذي لا يسمع وذلك المعنى  
هو التلو المقروء ، وهو غير مخلوق والأصوات والحروف هي تلاوة العباد وهي  
مخلوقة ، وأن الله - سبحانه وتعالى - لا يتكلم بمشيئته وقدرته وأنه ليس فيما  
يقوم به شئى\* يكون بمشيئته وقدرته لا متناع قيام الأمور الاختيارية به عندهم

( ١ ) منهاج السنة ١ / ٢٢٢-٢٢٣ ، شرح الطحاوية ص ١٨٤ .

( ٢ ) سورة الانعام آيه / ١ . ( ٣ ) سورة النحل آيه / ٩١ .

( ٤ ) شرح الطحاوية ص ١٨٦ ، وانظر الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة  
ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ضمن مجموعة عقائد السلف .

لأنها حادثة ، والله لا يقوم به حادث عندهم وقالوا : إذ لوطننا أنه بقدرته وشيئته لزم أن يكون حادثا فيلزم أن يكون مخلوقا ، أو قائما بذات - الرب - فيلزم قيام الحوادث به وذلك يستلزم تسلسل الحوادث لأن القابل للشئ لا يخلو عنه وعن غيره وتسلسل الحوادث ممتنع ، إذاً التفريع على هذا الأصل (١) .

فذهب الكلابية أن القرآن العربي ليس عندهم كلام الله وإنما كلامه المعنى الذى قام بذاته ، والقرآن العربي خلق ليبدل على ذلك المعنى ، ثم لما أن يكون خلق فى معنى الأجسام الهواء أو غيره ، أو ألهمه جبريئيل فعبر عنه بالقرآن العربي ، أو ألهمه - معداً - فعبر عنه بالقرآن العربي وكما هو معلوم مذهب ظاهر البطلان .

مذهب الأشاعرة :-  
~~~~~

أما مذهب الأشاعرة فقد قالوا : الكلام عبارة عن معنى واحد قائم بنفسه وهو صفة أزليه قديمة ، ليس بصوت ولا حرف ، وهو عين الأمر ، وعين النهي ، وعين الخبر ، وعين الإستحبار ، الكل من أمر واحد ليس له أنواع ولا أجزاء فإن عبر عنه بالعبرانية كان تورا ، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيل . وإن عبر عنه بالمرية فهو القرآن .

وقالوا : تسمى هذه العبارات كلام الله مجازا ، وأن موسى عليه السلام لم يسمع كلام الله حقيقة بل سمع ما يدل عليه . (٢)

- ( ١ ) مقالات الاسلاميين ٢ / ٢٥٧ ، وما بعدها ، مجموع الفتاوى ١٢ / ١٢١ ، ٩٤ ، وانظر مجموعة الرسائل والمسائل ٣ / ٣٧٨ ، ومنهاج السنة النبوية ١ / ٢٢١ ، مختصر الصواعق العريضة ٢ / ٢٩٠ - ٢٩١ ، وانظر لوامع الأنوار البهية ١ / ١٦٤ ، وانظر شرح الاصول الخمسة ص ٥٢٧ .
- ( ٢ ) أنظر تحفة المرشد على جوهرة التوحيد ص ٧١ ، شرح العقائد النسفية ص ٩٤ ، شرح الفقه الأكبر ص ٤٠ - ٤١ .

قال البغدادي : كلام الله عندنا أمر ونهي وخبر ووعد ومن فوائده  
وجوهه العموم ، والخصوص ، والمجمل ، والمفسر ، وفي أحكام ناسخ  
ومسوخ ، ولا ينسخ كلامه ، لأنه لا يجوز عدمه ورفعها وقراءة كلامه بالعربية  
قرآن ، وقراءته بالعبرانية توراة وبالسريانية إنجيل والقراءة لغير المقروء  
لأن المقروء كلام الله وليست القراءة كلامه (١) .

فالقُرآن عند الأُشاعرة كلام نفسي لأن الكلام ينقسم إلى قسمين ؛  
كلام نفسي وهو كلام الله فذلك قديم ، وكلام لفظي وهو حادث مخلوق .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - تعالى - في رده على مذهبهم  
هذا " فالكلام القديم النفساني الذي أثبتوه لم تثبتوا ما هو ؟ . بل  
ولا تصورتموه وإثبات الشئ فرع عن تصور فمَن لم يتصور ما يشته كيف يجوز  
أن يشته ولهذا كان أبو سعيد بن كلاب رأس هذه الطائفة وإمامها في هذه  
المسألة لا يذكر في بيانها شيئاً يعقل بل يقول : هو معنى يناقض السكوت  
والخبر . . . " (٢) هـ .

وقال أيضاً : رحمه الله تعالى :

" وأما قول الأُشاعرة إن الكلام عبارة عن معنى واحد فهو باطل لأنه  
يقال لهم : " هل سمع موسى عليه السلام جميع المعنى ، أو بعضه فإن قالوا :  
سمعوه كله فقد زعم أنه سمع جميع كلام الله ، وضاد هذا ظاهر .

وإن قال : بعضه فقد قال : يتبع كل من كلمه الله ، أو أنزل  
إليه شيئاً من كلامه ، ولما قال الله تعالى للملائكة ( إني جاعل في الأَرْض خليفة )  
أو قال لهم ( اسجدوا لآدم ) وأمثال ذلك فهل هذا جميع كلامه ، أو بعضه ؟

( ١ ) أصول الدين ص ١٠٧-١٠٨ .

( ٢ ) مجموع الفتاوى ٦ / ٢٩٥ - ٢٩٦ .

( ٣ ) سورة البقرة آية / ٣٠ .

فان قال : انه جميعه فهذا مكابرة وإن قال : بعضه فقد اعترف بتعدد  
وكذلك أن معنى آية الكرسي ليس معنى ( قل هو الله أحد )<sup>(١)</sup> ولا معنى  
( ولا تقربوا الزنى )<sup>(٢)</sup> معنى ( تبت يدا أبي لهب )<sup>(٣)</sup> .

وبهذا المذهب الأشعري قال الماتريدية في صفة الكلام<sup>(٤)</sup> .

ثم ان مذهب الأشاعره والماتريدية في صفة الكلام بعيد كل البعد  
عن مذهب السلف ، وقريب كل القرب من مذهب الجهميه والمعتزلة كما  
صرح الأبيسي بذلك حيث قال :

" قالت المعتزلة أصوات ، وحروف يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ  
أو جبريل ، أو النبي ، وهو حادث ، وهذا لانكره ، لكننا نشبت أمرا وراء ذلك  
وهو المعنى القائم بالنفس<sup>(٥)</sup> فلقد صدق العلماء في تسخيتهم أفـراخ  
المعتزلة " .

مذهب الكرامية :-  
~~~~~

أما الكرامية فقد قالوا : إن كلام - الباري سبحانه - حروف وأصوات  
وأنه متعلق بالمشيئة والقدره قائم بذات - الرب تعالى - تكلم به بعد أن  
لم يكن متكلما وأنه لا مانع أن توجد الحوادث للصانع - جل وعلا - بعد  
ان تكلم ، فوجود الكلام عندهم في الأزل متنع كوجود الأفعال ، وكذلك ان  
الكلام متنع أن يكون مخلوقا في غيره - والله - تعالى - متكلم بمشيئته وقدرته ،  
فيكون كلامه حادثا ، كان بعد أن لم يكن<sup>(٦)</sup> .

- ( ١ ) سورة الصمد آية ١ / ( ٢ ) سورة الاسراء ٢٢ / ٣٢ .  
( ٣ ) مجموعة الرسائل والمسائل ١٥٤ / ٣ ط دار الكتب العلمية وانظر شرح الطحاوية ص ١٩٧  
( ٤ ) انظر التوحيد للماتريدي ص ٥٨ - ٥٩ ، أصول الدين للبرزدوى ص ٥٥ ،  
شرح العقائد النسفية ص ٨٩ .  
( ٥ ) المواقيف ص ٢٩٤ .  
( ٦ ) مجموعة الرسائل والمسائل ٤٥٥ / ٣ ، منهاج السنة النبوية ١ / ٢٢١ ،  
لوامع الأنوار البهية ١ / ١٣٧ ، شرح الطحاوية ص ١٨ ، أصول الدين للبرزدوى ص ٥٦ .

وذكر البرزوي مذهب الكرامية فقال : \* **« ضد الكرامية الله - تعالى -  
تكلم على الحقيقة بكلام حادث قائم به ، وأنهم يجوزون حدوث الأشياء  
بالله - تعالى - (١) »**

وقول هو « لا » الكرامية شتم على حق وباطل ، فإثباتهم كلاما وفعلا  
حق يقفه قائمين بذات المتكلم الفاظ هذا حق ، وأما زعمهم أن - الباري  
جل وعلا - تكلم بعد أن لم يكن متكلما فهذا عين الباطل لأن الكلام من  
صفات الكمال ، وهو - سبحانه - متصف بصفات الكمال أزلا وأبدا .

مذهب السالمية :-  
~~~~~

أما السالمية فقد قالوا : بأن صفة الكلام من الصفات القائمة  
بذات - الرب جل وعلا - لم يزل ولا يزال ، لا يتعلق بقدرته وشيئته ، ومع  
ذلك يقولون : بأنه حروف وأصوات وسور وآيات ، سمعه جبريل منه ، وسمعه  
موسى بلا واسطة ويسمعه - سبحانه - من يشاء ، وأسماعه نوعان بواسطة ،  
ويخبر واسطه ومع ذلك فعروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضا ، بل هي  
مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد ، لم تكن معدومة ، في وقت  
من الأوقات ، ولا تعدم بل لم تنزل قائمة بذاته - سبحانه - قيام صفة الحياة  
والسمع والبصر . ( ٣ )

ثم إنهم اختلفوا في الأصوات المسموعة هل هي من القارىء أم لا ؟ .  
فذهب جمهورهم إلى أن تلك الأصوات المسموعة من القارئ .  
وقال قوم : بأن الصوت يسمع من القارىء ثم قد يقولون : تارة إن القارئ  
نفس الصوت المسموع من القارىء .

(١) أصول الدين ص ٥٦  
(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ٣/٣٣ ، مختصر الصواعق المرسلية  
٢/٢٩٣ ، مجموع الفتاوى ١٢/١٦٦ .

وبعضهم يقولون ؛ لأنه يسمع من القارى صوت قديم ، ومحدث (١) .

مذهب الإتحاد به والحلولية :-

أما الإتحادية والحلولية فقد زعموا ؛ بأن كل كلام في الوجود كلام الله نظمه ، ونشوره ، حقه وباطله ، سخره وكفره ، خيره ، وشره فكل ذلك عين كلام الله - تعالى - القائم به ، وهذا المذهب بنوه على أصلهم الذي أصلوه ، وهو اتحاد الخالق بالخلق أو أن الله - سبحانه - هو عين الوجود ، صفاته هي صفات الله ، وكلامه هو كلام الله وأصل هذا المذهب ، انكار ما ينسب الله لخلقه وطوره واستوائه على عرشه ، ولما أصلوا لأنفسهم القول بأن الله في كل مكان ، وأنه - سبحانه - غير مابين لهذا العالم بل هو عين هذا العالم ، فله حيث يشاء كل اسم حسن وقبيح وكل صفة كمال ونقص ، وكل كلام حق وباطل نعوذ بالله من ذلك . . .

وهذا قول ابن عربي ، وابن الفارضى وابن سبعين والتلمسانى ومن

جرى فى ركا بهم (٢) .

تلك هي أقوال الناس ومذاهبهم في صفة الكلام ، وهي الأقوال التي قبلت في القرآن الكريم ، وما لا شك فيه أن القول الذي يجب على المسلم أن يدعى الله به هو ما استطاعه نصوص الكتاب والسنة واجماع سلف الأمة من أن القرآن جميعه كلام الله حروفه ومعانيه ليس شي من تلك كلاما لغيره ، ولكن أنزل على رسوله . . . وأنه - تعالى - يتكلم بصوت كما ورد تهنلك الأحاديث الصحاح ، وليس ذلك كأصوات العباد ، لا بصوت

(١) مجموع الفتاوى ١٢ / ١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٢ / ١٧٤ ، منهاج السنة ٢ / ٢٢١ ، مختصر الصواعق

المرسلة ٢ / ٢٨٦ - ٢٨٨ ، شرح الطحاوية ص ١٨٤ .

لا صوت العارى ، ولا غيره وأن الله ليس كمثل شيء لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله فكما لا يشبه علمه وقدرته ، وحياته ، علم المخلوق وقدرته ، وحياته فكذلك لا يشبه كلامه كلام المخلوق ، ولا معانيه تشببه معانيه ولا حروفه تشبه معانيه ، ولا حروفه تشبه حروفه ولا صوت الرب - يشبه صوت العبد (١) .

فهذا المذهب هو المذهب الحق لموافقته الوحي الإلهي الذي هو

الفيصل الحاسم عند التنازع والاختلاف .



## ( المبحث الرابع )

## ( إثبات صفة العزّة )

لقد أثبتت السورة صفة العزّة - للبارى سبحانه - في ثلاث آيات :-

قال تعالى : تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ) ،

وقال تعالى : ( ألا هو العزيز الغفار ) .

وقال تعالى : ( أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي الْقِيَامِ ) .

فاسم - تعالى - " العزيز" الوارد في هذه الآيات الثلاث يشتق منه صفة العزّة ، وهي

من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله - تعالى - فالعزیز اسم من أسماء الله - تعالى -

وقد جاء في اشتقاقه وجوه :-

الأول : أن يكون بمعنى لا مثل له ولا نظير من " عز" الشئ" بكسر العين في المضارع

ومنه يقال : عز الطعام في البلد إذا تعذر وجوده عند الطلب ، وإذا سعى الشئ

الذي يحسر وجود مثله " بالعزیز" فبأن يسمى الشئ الذي يمتنع عقلا أن يكون له نظير

" بالعزیز" من باب أولى .

لثاني : أن يكون بمعنى الغالب الذي لا يغلب من " عز يعز" بضم العين في المضارع

أى : غلب يغلب ومنه قوله - تعالى - ( وهزنى في الخطاب ) ( ١ ) أى غلبنى وتقول

العرب : " من عزيز" أى ، من غلب سلب فاذا قيل : لمن غلب مع جواز أن يصير مغلوبا

أنه " عزيز" فالغالب الذي يمتنع أن يصير مغلوبا ، والقاهر الذي يستحيل أن يصير

مقهورا أولى أن يسمى " بالعزیز" .

الثالث : أن يكون بمعنى الشديد " القوي" يقال : عز يعز ، بفتح العين في المضارع إذا

اشتد وقوى ومنه قوله تعالى ( فعززنا مطبأثا ) ( ٢ ) أى : أشدنا وقوتنا وإذا سمي

" القوي" الذي قد يضعف ، والقادر الذي قد يعجز " بالعزیز" فلأن يسمى " القادر"

الذي يستحيل في حقه العجز " عزيزا" من باب أولى .

الرابع: أن يكون بمعنى " المعز " على وزن " فعيل " بمعنى " مفعل " كالألیم بمعنى المؤلف وعلى كل فعلى المعنى الأول يرجع إلى التنزيه ، وعلى المعنى الثانى والثالث يعود إلى صفة الذات ، وهى القدرة .

وعلى المعنى الرابع يرجع إلى صفة الفعل " ( ١ ) .

وقد ورد هذا الإسم الشريف فى مواضع كثيرة من كتاب الله - تعالى - وكثرة تكراره دليل ناصع على إثبات صفة " العزة " لله تعالى ثبوتاً قطعياً يليق بجلاله - سبحانه - من غير تمثيل ، ولا تعطيل ، ولا تكهيف ولا تحريف ، ولا عبرة بمن نفى الصفة وأثبت الإسم كما هو مذهب المعتزلة ( ٢ ) ولا قيمة لمن نفى الأسماء والصفات كما هو مذهب الجهمية ( ٣ ) النفاة ، ومذهبهم فى الحقيقة يودى إلى القول بالعدم المحض وهو من أفسد المذاهب .

فصفة العزة ثابتة بنص كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن رغمت أنوف الجهمية والمعتزلة ، وإليك بعض الآيات فى ذلك : قال تعالى ( ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ) ( ٤ ) فكل من له نوع بصيرة يعلم أن القوة والغلبة فى الحقيقة - للبارى - سبحانه وتعالى - وحده ثم لمن أفاضها عليه من رسله ، والصالحين من عباده - وعزته تعالى - غلبته وقهره لأعدائه ، وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم إظهار دينه على كل الأديان ، وهزة عباده المؤمنين ، نصره لهم على أعدائهم فالمؤمنون لهم من العزة بقدر ما معهم من الإيمان وحقائقه فإذا حصل لهم نقص من العلو والعزة فسببها ما فاتهم من حقائق الإيمان علط وعلما ، ونصرهم وتأيدهم موقوف على قيامهم بتكميل مراتب الإيمان وواجباته .

( ١ ) تفسير أساطير الله الحسنی للرازى ص ١٩٤-١٩٥ .

( ٢ ) يطلق اسم المعتزلة على الذين يجمعون القول بالأصول الخمسة " التوحيد ، والعدل والوعد ، والوعيد ، والمستزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ويقولون بإلغاب الأساطير ونفى الصفات ، أنظر آراءهم ، وأقوالهم فى " مقالات الإسلاميين " ٢٣٥/١ وما بعدها " الملل والنحل للشهرستانى ٤٣/١ وما بعدها ، الفرق بين الفرق ص ١١٤ التبصير فى الدين لأبى الطاهر الإسفرايينى ص ٦٣ .

( ٣ ) أنظر مقالات الإسلاميين ٣٣٨/١ ، الملل والنحل للشهرستانى ٨٦/١ وما بعدها الفرق بين الفرق ص ٢١١-٢١٢ ، التبصير فى الدين ص ١٠٧-١٠٨ ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى ص ٦٨ . ( ٤ ) سورة المنافقين آية : ٨ .

وقال تعالى : (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (١) وقوله - سبحانه - ( لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٢) وقال - جل شأنه - (وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٣) وقال سبحانه - (إِنَّ

رَبِّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) (٤) وقال (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (٥) وقد قرن - سبحانه - بين وصف العزة والحكمة بقوله (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) (٦) .

ومعنى - العزيز - الغالب كل شيء ، والذي ذل - لعزته - كل كل عزيز والممتنع فلا يغلبه

شيء وهو - سبحانه - رب العزة ويده وحده " العزة يمز بها من يشاء " ، ومن يريد العزة

فلا مصدر لها سوى " العزيز " - سبحانه - قال تعالى ( مَنْ كَانَ يَرْيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ

جَمِيعًا ) (٧) وقد توعد الله المنافقين الذين يلمسون " العزة " عند الكافرين الذين

اتخذوهم أولياء من دُونِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فقال تعالى : ( بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ

عَذَابًا أَلِيمًا ، الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيتُهُمْ عِنْدَ الْعِزَّةِ فَإِنَّ

الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ) (٨) .

ولقد جاء اسم - تعالى - " العزيز " مقترنا بأسماء أخرى من أسماؤه - تبارك وتعالى -

ولا قترانه ذلك أسرار دقيقة ، ومعاني بديعة فقد اقترن باسمه - تعالى - " الحكيم " ففى

عدة مواضع ذكرنا بعضها قريبا قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا) (٩) فاقترانه

بهذا الإسم يفيد أنه الغالب الذى لا يمجزه شيء - سبحانه - وهو الحكيم فى أقواله وأفعاله

جميعا يضع الأشياء فى مجالها التى تناسبها مناسبة تامة .

كما اقترن باسمه - تعالى - " ذو انتقام " عدة مرات مثل قوله - تعالى - ( وَاللَّهُ عَزِيزٌ

ذُو انتِقَامٍ ) (١٠) واقترانه به يفيد أنه الغالب الذى يقدر على أن ينتقم ممن يستحق الانتقام

منه بمنتهى العدل منه - سبحانه - .

- |                              |                                   |
|------------------------------|-----------------------------------|
| ( ١ ) سورة البقرة آية : ١٢٩  | ( ٢ ) سورة آل عمران آية : ١٨ .    |
| ( ٣ ) سورة ابراهيم آية : ٤٧  | ( ٤ ) سورة هود آية : ٦٦           |
| ( ٥ ) سورة الشعراء آية : ٩   | ( ٦ ) سورة الفتح آية : ٧ .        |
| ( ٧ ) سورة فاطر آية : ١٠     | ( ٨ ) سورة النساء آية : ١٣٨-١٣٩ . |
| ( ٩ ) سورة النساء آية : ٥٦ . | ( ١٠ ) سورة آل عمران آية : ٤ .    |

واقترن باسم القوي في أكثر من موضع في كتاب الله - تعالى - مثل قوله - سبحانه -  
 ( وكان الله تعالً عزيزاً ) ( ١ ) واقترانه بهذا الإسم يفيد أنه - سبحانه - ذو القوة التي  
 لا تغلب فيقوته - سبحانه - وهزته يوقع بمن يشاء من عقوبته ولا معقب لما يريد - جل وعلا -  
 وجاء مقترنا باسمه - تعالى - : " الحميد " في عدة مواضع مثل قوله - تعالى - ( لتخرج

الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ) ( ٢ ) .

واقترانه به يفيد أنه - تبارك وتعالى - العزيز الغالب الذي لا يضام من لاذ بجانبه  
 المنيع " المحمود في جميع أفعاله وأقواله ، وشرعه وقدره ، وأمره ونهيه ، الصادق في خبره " ( ٣ )  
 وهو المحمود على كل حال .

واقترن باسمه - تعالى - " الرحيم " أكثر من عشر مرات واقترانه به يفيد أنه مع عزته  
 وغلبيته وقوته - سبحانه - رحيم بخلقه ومعنى ذلك أنه لا يجعل العقوبة على من عصاه بل  
 يوجهه وينظره ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر .

وقد جاء أيضاً مقرونا باسمه - تعالى - " العليم " واقترانه به يفيد أنه العزيز الذي  
 لا يطاع ولا يخالف - العليم - بكل شيء فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء  
 وكثير ما إذا ذكر الله الليل والنهار ، والشمس ، والقمر يختم الكلام بالعزة والعلم .

قال تعالى ( وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم ) ( ٤ )

فهو سبحانه - العزيز الذي من عزته انقادت له كل هذه المخلوقات العظيمة فجرت مذلة  
 بأمره حيث لا تتعدى ما حده الله لها ، ولا تتقدم منه ، ولا تتأخر العليم ، الذي أحاط  
 علمه بالظواهر والبواطن والأوائل والأواخر ، كما أنه - العزيز - الذي قهر الخلائق  
 فأذعنوا له ، والعليم بجميع الأشياء ، والعليم بأقوال المختلفين وماذا صدرت ، وعن غاياتها  
 وسيجازي كلا بما علمه فيه " ( ٥ ) .

وقد جاء اسمه - تعالى - " العزيز " مقترنا باسمه - تعالى - " الغفور " قال تعالى ( وهو

العزيز الغفور ) ( ٦ ) وباسمه - تعالى - " الغفار " قال تعالى حكاية عن كلمه موسى عليه

السلام ( وأنا أدعوك إلى العزيز الغفار ) ( ٧ ) واقترانه به يفيد أنه مع عزته وغلبيته لكل

( ١ ) سورة الأحزاب آية : ٢٥  
 ( ٢ ) تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٠٨  
 ( ٣ ) سورة فصلت آية : ١٢  
 ( ٤ ) سورة المائدة آية : ٢  
 ( ٥ ) سورة غافر آية : ٤٢  
 ( ٦ ) سورة المائدة آية : ٢  
 ( ٧ ) سورة غافر آية : ٤٢

خلقه فإنه - سبحانه - يفر جميع المذنب صغيرها وكبيرها لمن تاب إليه وأقلع عن ذنوبه  
ويلاحظ هنا أن اسم - العزيز - اقترن باسم " الغفور " و " الغفار " وكل منهما صفة مبالغة  
على وزن " فعول " و " فعال " ما يدل على كثرة غفره - سبحانه - للتائبين المنيبين إليه وورد  
مقرونا باسمه - تعالى - " المقتدر " مرة واحدة في كتاب الله - تعالى - وذلك في قوله - عزشأنه -  
( كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ) ( ١ ) واقتراه بهذا الاسم يفيد أنه أخذ  
منها - العزيز - الغالب الذي إذ أخذ المكذبين أخذهم أخذ غالب في انتقامه قادر على  
إهلاكهم لا يعجزه شيء - سبحانه وتعالى - ( ٢ ) وورد مقترنا باسمه - تعالى - " الوهاب "  
مرة واحدة في القرآن ومعناه : أنه - سبحانه - العزيز الغالب القاهر الذي لا يرام جنابه  
يعطى بغير حساب ، ويعطى ما يريد لمن يريد عقلاً منه وتفضلاً من خزائن رحمته التي  
تنفذ قال تعالى : ( أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ) ( ٣ ) كما اقترن مرة واحدة  
باسمه - تعالى - " الجبار " قال تعالى : ( هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام  
المؤمن المهيمن العزيز الجبار ) ( ٤ ) .

واقتراه بهذا الاسم يفيد أنه - سبحانه - وتعالى " العزيز " القاهر الغالب الذي لا  
يوجد له نظير هو العظيم صاحب العظمة والجبروت ويجوز أن يكون من - جبر - إذا أغنى  
الفقير وجبر الكسير ( ٥ ) وقيل الجبار الذي لا تطاق سوطه " .

فجميع الآيات التي قدمنا ذكرها أدلة قطعية واضحة على إثبات صفة - العزة - التي هي  
من صفات ذاته - سبحانه - التي لا تنفك عنه .

وصفة العزة لها ثلاث معان :-

( ١ ) عزة القوة الدال عليها من الأسماء " القوى المتين ) .

( ٢ ) عزة الإمتناع فإنه الفنى فلا يحتاج إلى أحد ولن يبلغ العباد ضره فيضروه ، ولا نفعه  
فينفموه .

( ٢ ) أنظر فتح القدير : ١٢٨ / ٥ .

( ١ ) سورة القمر آية : ٤٢ .

( ٤ ) سورة الحشر آية : ٢٤ .

( ٣ ) سورة ص آية : ٩ .

( ٥ ) أنظر فتح القدير : ٢٠٨ / ٥ .

( ٣ ) عزة القهر والغلبة لكل الكائنات ، وقد ذكر هذه المعانى الثلاثة العلامة ابن القيم  
رحمة الله عليه حيث قال :-

وهو العزيز فلن يرَامَ جنابـــــــــــــــــــــه أنى يرَامَ جناب ذوالسلطـــــــــــــــــــــان  
وهو العزيز القاهر الغلاب لــــــــــــــــــــه يغلبه شئ ؛ هذه صفتــــــــــــــــــــان  
وهو العزيز بقوة هــــــــــــــــــــــــي وصفـــــــــــــــــــــه فالعز حينئذ ثلاث معــــــــــــــــــــان (١)  
أما من حيث إضافتها إلى الله - جل و علا - فإليها تنقسم إلى قسمين :-  
القسم الأول :

من باب إضافتها لصفة إلى الموصوف كما في قوله - تعالى - حكاية من إبليس  
( قال فبعزتك لأفويهنهم أجمعين ) ( ٢ ) فالآية أوضحت أن إبليس عرف صفة العزة  
وأثبتها لله - تعالى - وأنكرها أهل التعطيل من جهمة ومعتزلة متكبرة وفنادا كما  
أن الآية دلت على جواز الحلف بصفة - العزة - وغيرها من الصفات مثلها كما دلت  
على أن صفاته - تعالى - ليست مخلوقة لأن الحلف بالمخلوق شرك بالله العظيم  
وكذلك الإستعاذة به .

### القسم الثاني :

إضافتها إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه وهي : العزة المخلوقة  
التي يعزبها أنبياءه وهباده الصالحين وهي ما يحصل لهم من النصر والتأييد وقلبة  
الأعداء ، وقد منا ما يدل على ذلك من القرآن \* ( ٣ ) .  
وحيث قلنا : إن القرآن دل على إثبات صفة - العزة - في كثير من آياته كذلك  
السنة دلت على ما دل عليها القرآن فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة  
رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال بينا أيوب يفتسل مرأانا خر عليه  
جراد من ذهب فجعل أيوب يحثى في ثوبه فناداه يا أيوب ألم أكن أغيتك عط ترى ؟  
قال : بلى وهزتك ولكن لا غنى لي عن بركتك \* ( ٤ ) .

- ( ١ ) أنظر القصيدة النونية مع شرحها " توضيح المقاصد وتصحيح القواعد " ٢ / ٢١٨ .  
( ٢ ) سورة ص آية : ٨٢ . ( ٣ ) بدائع الفوائد لابن القيم : ٢ / ١٨٥ .  
( ٤ ) صحيح البخارى ١ / ٦١ وسنن النسائي ١ / ٢٠١ المسند ٢ / ٢٤٣ .

وروى أيضا : من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال إن أدنى أهل الجنة منزلة رجل يخالف الله وجهه من النار قبل الجنة ، ومثل له شجرة ذات ظل فقال : أي رب قدمني إلى هذه الشجرة أكون في ظلها قال الله - عز وجل - له هل عسيت إن فعلت أن تسأل غيره ؟ قال لا تزك فيقدمه الله - تعالى - إليها ، ومثل له ذات ظل وثمر فقال : أي رب قدمني إلى هذه الشجرة أكون في ظلها وأكل من ثمرها قال الله هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره ؟ قال لا . وعزتك فيقدمه الله إليها فيمثل له شجرة أخرى ذات ظل وثمر وما فيقول : أي رب قدمني إلى هذه الشجرة أكون في ظلها وأكل من ثمرها وأشرب من طائها فيقول الله - عز وجل - هل عسيت إن فعلت أن تسألني غيره ؟ فيقول : لا وعزتك لا أسألك غيره فيقدمه الله - تعالى - إليها . . . . . الحديث ( ١ ) .

وروى أبو داود ( ٢ ) في سننه من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي قال : قدممت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبى وجع قد كاد أن يبطلني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اجعل يدك اليمنى عليه ثم قل : بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد سبع مرات ففعلت فشفاني الله - عز وجل - " ( ٣ ) .

وروى البخارى : باسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : " اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليتك توكلت ، وإليك أنبت وبك خاصمت أعوذ بحزتك لا إله إلا أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون " ( ٤ ) .

( ١ ) صحيح البخارى ٤ / ٢٨٤ ، وأحمد فى المسند ١ / ٣٩٤ .

( ٢ ) هو : سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني أبو داود إمام أهل الحديث فى زمنه وهو أحد أئمة الحديث الستة ولد سنة اثنتين ومائتين وتوفى سنة خمس وسبعين ومائتين هجرية . أنظر ترجمته فى " تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٣ ٥٩١ هـ

- ٥٩٣ ، تاريخ بغداد ٩ / ٥٥-٥٩ ، وفیات الأعيان ١ / ٢١٤ .

( ٣ ) ٢ / ٣٣٨ ، والبيهقى فى الأساطير والصفات ص ١٦٥ .

( ٤ ) صحيح البخارى مع الفتح ١٣ / ٣٦٨ .

وروى البخارى أيضا : من حديث أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم  
" تقول جهنم قط ، قط ( ١ ) وهزتك " ( ٢ ) .

فهذا الحديث بين فيه النبي صلى الله عليه وسلم أن جهنم تحلف بعزة الله  
- جل و علا - وهو دليل واضح على إثبات هذه الصفة ، كما أنه دليل على جواز الحلف  
بعزة الله ، وفيها من الصفات مثلها . يجوز الحلف بها .

والذي نخلص إليه ما تقدم من آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية صحيحة يتبين لنا  
أن الله - تعالى - أثبت لنفسه صفة العزة كما أثبتها له أنبياءه ورسوله وولاكته كما  
قال جبريل عليه السلام حين ( رأى الجنة وما أعد الله فيها لأهلها " وهزتك لا يسمع  
بها أحد إلا دخلها . . . . الحديث ( ٣ ) كما أثبتها له عباده المؤمنون الموحدون  
ولم ينكرها إلا من أشرب قلبه بمذهب التعطيل من الجهمية والمعتزلة ، فصفة العزة  
ثابتة لله - تعالى - بالأدلة القطعية التي لا تقبل المراء ولا الجدل فلا يمكن أن  
يكون أحد من الخلق معتزا إلا به - تبارك وتعالى - .

ولا عزة لأحد إلا هو ولكها - جل و علا - ومن يريد العزة فليطلبها من الله ، ولا يمكن  
أن ينالها أحد إلا بطاعته - ربه سبحانه وتعالى - ولذلك أثبتها الله لرسوله ولعباده  
وأوليائه المؤمنين الذين أخلصوا له العبادة وأطاعوه حق الطاعة طمعا فى ثوابه  
وفرازا من عقابه والتزموا نهج الكتاب والسنة ، واتبعوا ما عليه سلف الأمة فى إثبات  
صفات الله - تعالى - التي نطق بها الكتاب ونطقت بها السنة وأذاعها السلف فى  
جميع الأمة ، وبعد هذه الأدلة القاطعة المقنعة لا يبقى أى مدخل لمن يقول : إن  
الله - عزيز - بلا عزة - قدير - بلا قدرة لأن هذه الأدلة الجمة تبطل زعمهم ، وترد  
مقالتهم الباطلة ، كما ترد مذهب الجهمية الذين ينكرون الأساطء والصفات ، كما تبين  
فساد قول القائلين بتأويل صفاته - تعالى - بمعان غير واردة ، أو فرق بينها بأن  
أثبت بعضها على ما يليق بالله - تعالى - وادعى وجوب تأويل البعض الآخر كما فعل

( ١ ) قال فى النهاية : قط ، قط : بمعنى : حسب وتكرارها للتأكيد ٧٨/٤ .

( ٢ ) صحيح البخارى مع الفتح ٣٦٨/١٣ .

( ٣ ) رواه أحمد فى المسند من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ٣٣٣/٢ .



( ١ )

ذلك بعض الطوائف وهو تصرف خاطيء ، ولا شك أن أدلة الكتاب والسنة واجتطاع  
المؤمنين من هذه الأمة كل ذلك صفة لهم على رؤوسهم وإبطال لكل انتحالاتهم  
فعلى كل الفرق التي ضلت في صفات الله - تعالى - تبعا للهوى والرأى الفاسد  
أن ترجع إلى الصواب ، وتؤمن بما جاء في الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة ، من  
الإيمان بالأساطير والصفات وتبتعد عن التمثيل ، والتعطيل ، وعن التحريف ، والتكليف  
ومن ثم لا يترتب على ذلك أي محذور يتصورونه بأفكارهم الضيقة لأنه - تعالى - ( ليس  
كمثله شيء وهو السميع البصير ) ( ٢ ) .

---

( ١ ) مثل الأشعرية الكلابية ، أنظر مقالات الإسلاميين " ١ / ٢٤٩ وطبع بعدها .

( ٢ ) سورة الشورى آية : ١١ .

اثبات صفة الحكمة

لقد دلت السورة على إثبات صفة الحكمة - للبارى جل و علا - في أول آية منها :  
قال تعالى ( تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ) فاسمه - تعالى - " الحكيم " دل  
على صفة الحكمة - للرب جل جلاله - ، واسمه - تعالى - " الحكيم " مأخوذ من الحكمة  
وله معنيان :

أحدهما : بمعنى القاضي العدل الحاكم بين خلقه بأمره الدينى الشرعى وأمره الكونى  
القدرى وله الحكم في الدنيا والآخرة .

الثانى : أنه المحكم للأمر كى لا يتطرق إليه الفساد . ( ١ )  
قال ابن القيم رحمه الله عليه :

" الحكمة حكمتان : علمية ، وعملية ، فالعلمية الإطلاع على بواطن الأشياء ومعرفتها  
ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقا وأمرًا وقدرا ، وأشرما .  
والعملية : وضع الشيء في موضعه " ( ٢ ) .

قال الزجاج ( ٣ ) الحاكم ، والحكم واحد كالواسط ، والوسط وأصل الحكم المنع ، ومنه  
' الحكمة لأنها تمنع الفهم من التمرد ، وكذا الحكمة تمنع الرجل عن السفاهة ، ومنه الحكم  
لأنه يمنع الخصمين عن التمرد ومنه قولهم فهمية يؤتى الحكم " ( ٤ ) .

فاسمه - تعالى - الحكيم - من لوازمه ثبوت الغايات المحمودة المقصودة له بأفعاله  
بمنحه الأشياء في مواضعها ، وإيقاعها على أحسن الوجوه فإنكار ذلك إنكار لهذا الاسم

( ١ ) النهاية لابن الأثير ١ / ٤١٨ - ٤١٩ .

( ٢ ) مدارج السالكين ٢ / ٤٧٨ - ٤٧٩ .

( ٣ ) هو : أبو إسحاق إبراهيم بن السرى بن سهل الزجاج النحوى كان من أهل العلم  
بالأدب ، والدين كان يخرط الزجاج في بغداد وإليه نسبه ولد سنة إحدى وأربعين  
وما تسمى وتوفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة للهجرة أنظر ترجمته في " وفيات الأعيان  
١ / ١١ وله ترجمة في أول كتابه " أسما الله الحسنى " تحقيق أحمد يوسف الدقاق .

( ٤ ) تفسير أسما الله الحسنى ص ٤٣ .

ولوازمه ، وكذلك سائر أسطه الحسنى " ( ١ ) .

" فأسطه الرب - تبارك وتعالى - دالة على صفات كماله فهى مشتقة من الصفات فهى أسطه ، وهى أوصاف ، وذلك كانت حسنى إذ لو كانت ألفاظا لا معانى فيها لم تكن حسنى ولا كانت دالة على مدح ولا كمال ، ولساغ وقوع أسطه الإنتقام والغضب في مقام لرحمة والإحسان وبالعكس فيقال : " اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت المنتقم واللهم أعطني فانك الضار الطاع ونحو ذلك " ( ٢ ) .

فصفة الحكمة من صفاته - تعالى - القائمة به كسائر صفاته الأخرى من السمع ، والبصر والقدرة ، والإرادة ، والعلم ، والحياة والكلام وهذه الحكمة هي التي أمر لأجلها وخلق لأجلها ، وقد راجعها - سبحانه وتعالى - .  
والحكمة نوعان :

أحدهما : حكمة في خلقه وهي نوعان :

الأول : إحكام هذا الخلق وإيجاده في غاية الإحكام والإتقان .

الثاني : صدوره لأجل غاية محمودة مطلوبة له - جل و علا - وهي التي أمر لأجلها ، وخلق لأجلها .

النوع الثاني : الحكمة في شرعه وهي تنقسم إلى قسمين أيضا :

الأول : كونها في غاية الإحسان والإتقان .

الثاني : صدورها لغاية مطلوبة وحكمة عظيمة يستحق عليها الحمد .

وقد أشار إلى هذه الأنواع العلامة ابن القيم حيث قال :

|                          |                               |
|--------------------------|-------------------------------|
| حصولها بقواطع البرهان    | والحكمة العليا على نوعين أيضا |
| نوعان أيضا ليس يفترق     | إحداهما في خلقه سبحانه        |
| في غاية الإحكام والإتقان | إحكام هذا الخلق إذ إيجاده     |
| وله عليها حمد كل لسان    | وصدوره من أجل غايات لله       |

( ١ ) مدارج السالكين ١ / ٣١ .

( ٢ ) المصدر السابق ١ / ٢٨ .

والحكمة الأخرى فحكمة شرويه أيضا وفيها ذلك الوصفان  
 فإياتها اللآتي حمدن وكونها في غاية الإتقان والإحسان (١)  
 وأوجد كل شيء على أدق نظام، وأحكم إتقان، خلقت فسوى وقد رفهدى ، وخلق  
 الإنسان في أحسن تقويم ، وخلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلقه من تفاوت ولا فطور  
 زين السماء الدنيا بمصابيح ، وجعلها رجوما للشياطين ، وأنبت من الأرض نباتا يسقى بـ  
 بطء واحد ، ويحيط به جو واحد ، وتحتضنه تربة واحدة ، ولكن منه الحلو واللذيذ السائغ  
 والمر الكره الذي تتقزز منه النفوس ، خلق من الماء كل شيء حي . ونوع الأحياء المتفكة  
 في أصلها أنواعا لا يدركها حصولا بحصبيها عد ، وفي كل شيء في السماء والأرض آية  
 بينة شاهدة على إتقانه - سبحانه - لما صنع وكفينا آية أنه خلق هذا الإنسان الذي ألهمه  
 اختراع الكثير من الآلات والأجهزة الدقيقة ، وغير ذلك من الأمور المخترعة - فسبحان ربنا -  
 إنه هو الحكيم العليم .

وإذا نظرنا إلى تفسير اسمه - تعالى - " الحكيم " بمعنى ذي الحكمة الذي بعلمه  
 وحكمته يضع الأشياء في مواضعها فقد وضع - الحكيم العليم سبحانه - كل شيء في الموضع  
 الذي لا يصلح إلا له ولا يليق إلا به ، ولو اجتمع علماء الدنيا بأسرها على اختلاف  
 تخصصهم في العلوم على أن يصفوا شيئا ما وضعه أحكم الحاكمين في مكان خير من مكانه  
 لضل سميهم وماوا بالخسران في سعاهم ، فليفكر الإنسان في كل أعضائه فهل يجد  
 لعضو من أعضائه مكانا خيرا من المكان الذي وضعه فيه أحسن الخالقين ؟ .

كما عليه أن يفكر في أن الله وضع للحيوان الذي يعيش في البحر أعضاءا توائم حياته  
 في الماء ووضع للحيوان البر ما يناسبه ، ولطير الهواء ما يلزمه ، ولحشرات الأرض ما به تتم  
 حياتها وليس المقصود هنا حصر مظاهر حكمة الله فيما خلق من المخلوقات وإنما نقصد  
 بهذا أن نلفت نظر القائلين بأن الله لم يخلق الخلق لحكمة - تعالى الله - عن ذلك  
 علوكبيرا ، ومن أراد الإطلاع بتوسع على مظاهر حكمة الله في خلقه " فليقلب " كتاب مفتاح  
 دار السعادة " لابن القيم فإنه جمع فيه من مظاهر حكمة الله في خلقه ما لا يتسع له  
 هذا المقام وإذا نظرنا إلى تفسير اسمه - تعالى - " الحكيم " من حكم على الشيء بأنه  
 (١) القصيدة النونية مع شرحها توضيح المقاصد وتصحيح القواعد ٢/٢٢٦ .

كذا ، أوليس كذا ، فانه لا يستطيع أحد أن يحكم على الأشياء بخواصها ومميزاتها ،  
ومنافعها ، ومضارها إلا الله - تعالى - لأنه - وحده العليم - بظواهر الأشياء وبواطنها  
ومزاياها ومثالبها لأنه خالقها ، والعليم بأسرارها ، الخبير بخفاياها فحكمه - تعالى -  
عليها أصدق الحكم قال تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) ( ١ ) .  
فصفة الحكمة أثبتها الله - تعالى - لنفسه في أكثر من ثمانين موضعا في كتابه الدال  
عليها اسمه - تعالى - الحكيم - وهي كما قدمنا قريبا صفة قائمة به - سبحانه وتعالى -  
كسائر صفاته الأخرى وهذا ما يجب اعتقاده في هذه الصفة ،

قال تعالى : " قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ) ( ٢ ) .  
قال العلامة ابن كثير : أي : " السلام بكل شيء الحكيم في خلقك وأمرك ، وفي تعليمك  
ما تشاء ، ومنعك ما تشاء لك الحكمة في ذلك والعدل التام " ( ٣ ) .

وقال تعالى : مثبتا لنفسه صفة الحكمة المقرونة بصفة العزة ( فإن زلتم من بعد ما  
جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم ) ( ٤ ) .

( ٥ )  
وقال تعالى : هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم )  
وقال تعالى ( شهد الله أنه لا اله الا هو واللائكة وأولو العلم قائم بالقسط  
لا اله الا هو العزيز الحكيم ) ( ٦ ) .

ففي هذه الآيات شهد - تعالى - لنفسه بالألوهية والوحدانية ، ثم بين بأنه موصوف  
بالعزة والحكمة .

وقال تعالى ( ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم ) ( ٧ ) .

وقال تعالى : ( نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ) ( ٨ ) .  
وفي هاتين الآيتين أخبر - تعالى - عن نفسه بأنه موصوف بصفة الحكمة والعلم .

( ٢ ) سورة البقرة آية : ٣٢ .

( ٤ ) سورة البقرة آية : ٢٠٩ .

( ٦ ) سورة الممتحنة آية : ١٠ .

( ١٠ ) سورة الملك آية : ١٤ .

( ٣ ) تفسير القرآن العظيم : ١ / ١٢٨ .

( ٥ ) سورة آل عمران آية : ٦ .

( ٧ ) سورة الأنعام آية : ٨٣ .

وقال تعالى ( وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء إنه علي حكيم ) ( ١ ) . وفي هذه الآية الكريمة وصف الله نفسه بأنه العلي على جمع خلقه الحكيم في خلقه وتدبيره وأمره ونهيه .

والآيات الواردة في إثبات صفة الحكمة كثيرة فهو - سبحانه - حكيم في خلقه وتدبيره وأمره ونهيه وشرعه ، وقدره بأهل السنة مجمعون على أنه - تعالى - موصوف بالحكمة ،

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :-

" أجمع المسلمون على أن الله - تعالى - موصوف بالحكمة ، ولكن تنازعوا في تفسير ذلك فكانت طائفة : الحكمة ترجع إلى علمه بأفعال العباد وإيقاعها على الوجه الذي أرادته ولم يشتهوا إلا العلم والإرادة والقدرة .

وقال الجمهور : من أهل السنة وغيرهم بل هو حكيم في خلقه وأمره والحكمة ليست

مطلق المشيئة إذ لو كان كذلك لكان كل مرید حكيما ، ومعلوم أن الإرادة تنقسم إلى محمودة ومذمومة بل تتضمن ما في خلقه وأمره من العواقب المحمودة والغايات المحبوبة والقول بإثبات هذه الحكمة ليس هو قول المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة ( ٢ ) فقط بل هو قول جماهير طوائف المسلمين من أهل التفسير والفقهاء والحديث والتصوف والكلام وغيرهم فأئمة الفقهاء متفقون على إثبات الحكمة والمصالح في أحكامه الشرعية وإن تنازع في ذلك طائفة من نفاة القدر وغير نفاة ، وكذلك ما في خلقه من المنافع والحكم والمصالح لعباده ومعلوم " أ.هـ ( ٣ ) .

( ١ ) سورة الشورى آية : ٥١ .

( ٢ ) الشيعة : هم الذين شابهوا عليا رضي الله عنه على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته

نصا ووصية ، إمام جليا ، وإمام خفيا ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن

خرجت فبظلم يكون من غيرهم ، أو بتقية من عندهم ، وقالوا : ليست الإمامة قضية مصلحة

تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصيبهم بل هي قضية أصولية . . . وهم فرق متعددة

بعضهم يميل في الاصول إلى الاعتزال ، وبعضهم إلى السنة وبعضهم إلى التشبيه

انظر " الملل والنحل " ١ / ١٤٦ . وانظر " مقالات الإسلاميين " ١ / ٦٥ وطبعها

( ٣ ) منهاج السنة النبوية ١ / ٣٤ - ٣٥ ، وانظر الرسالة الثامنة " الإرادة والأمر " ضمن

مجموعة الرسائل الكبرى " ١ / ٣٣١ - ٣٣٢ .

وقد أنكر - سبحانه - على من نسب إلى حكمته التسوية بين المختلفين فقال - تعالى -

( أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ) ( ١ ) .

وقال تعالى : ( أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء<sup>(٢)</sup> محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ) هاتان الآيتان : دللتا على أن التسوية بين المختلفين حكم سيء ينزه - الباري جل و علا - عنه ولم ينكره - تعالى - من جهة أنه لا يكون ، وإنط أنكره من جهة فبحة في نفسه ، وأنه حكم سيء يتعالى ويتنزه عنه لمنافاة لحكمته وفناه وكطاله ، ووقع أفعاله كلها على السداد والصواب والحكمة ، فلا يليق به أن يجعل البر كالفاجر ، ولا المحسن كالمسيء ، ولا المؤمن كالمفسد في الأرض فدل على أن هذا قبيح في نفسه - تعالى الله - من فعله ، ومن هذا أيضا : إنكاره - سبحانه - على من جوز أن يترك عبادة سدى فلا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يثيبهم ، ولا يعاقبهم ، وإن هذا الحساب باطل ، والله متعال عنه لمنافاة لحكمته ، وكطاله كما قال تعالى : ( أيعسب الإنسان أن يترك سدى ) ( ٣ )

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : أي مهلا لا يؤمر ولا ينهى " ( ٤ ) .

وقال غميره : لا يثاب ولا يعاقب ، والقولان واحد لأن الثواب والعقاب غاية الأمر والنهى فهو - سبحانه - خلقهم للأمر والنهى في الدنيا والثواب في الآخرة .

فأنكر - سبحانه - على من زعم أنه يترك سدى إنكار من جعل في العقل استقباح ذلك واستهجانه وأنه لا يليق أن ينسب ذلك إلى أحكم الحاكمين ، ومثله قوله - تعالى - ( أفحسبتم أنط خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله

إلا هو رب العرش الكريم ) ( ٥ ) .

( ٢ ) سورة الجاثية آية : ٢١ .

( ٤ ) الأم للشافعي : ٢٧١ / ٧ .

( ١ ) سورة ( ص ) آية : ٢٨ .

( ٣ ) سورة القيامة آية : ٢٦ .

( ٥ ) سورة المؤمنون آية : ١١٥ - ١١٦ .

فتره نفسه - سبحانه - وباعدها عن هذا الحسبان ، وأنه يتعالى عنه ولا يليق به لقبه  
ولمناطاته لحكمته وملكه وإلهيته " أ. هـ - ( ١ ) .

فأله تعالى - لا يخلق شيئاً إلا لحكمة بالغة قد تغيب عن فهم الإنسان وقد يعيبه  
إدراكها :-

قال تعالى : ( وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق  
ولكن أكثرهم لا يعلمون ) ( ٢ ) .

وقال تعالى ( وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا  
فويل للذين كفروا من النار ) ( ٣ ) .

وللناس في صفة الحكمة آراء ثلاثة :

( ١ ) زعم الأشاعرة ( ٤ ) والفلاسفة أن الله - تعالى - لا يفعل شيئاً لفرض وليس له غاية  
يقصدها تكون باعثة له على فعله بل كل ما يصدر عنه - تعالى - إما بإرادة قديمة  
اقتضت وقوع هذا العالم على هذا النحو دون غيره وهذا قول الأشاعرة .  
وإما أن يكون يتمثل النظام الكلي في علمه - تعالى - السابق مع وقته الواجب  
اللائق عند الفلاسفة ( ٥ ) .

والفرق بين قول الأشاعرة والفلاسفة واضح وهو أن الفلاسفة ينفون عن الله - تعالى -

( ١ ) مفتاح دار السعادة : ١٢/٢ - ١١ - ١٢ . ( ٢ ) سورة الدخان آية : ٣٨ - ٣٩ .

( ٣ ) سورة " ص " آية : ٢٧ .

( ٤ ) هم المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري ، وأبو الحسن هذا مر بأطوار ثلاثة حيث  
نشأ في أول أمره على الاعتزال ، وقد تتلمذ فعليه علي " أبي علي الجبائي " ثم أيقظ  
الله بصيرته ، وهو منتصف عمره تقريباً وبداية نضجه ، فأعلن رجوعه عن طريقة الاعتزال ،  
ثم سلك طريقاً وسطاً بين طريقة الجدل والتأويل ، وطريقة السلف ، ثم محض طريقته  
وأخلصها لله بالرجوع الكامل إلى طريقة السلف ومن الإنصاف أن لا ينسب إليه  
الأشعرية ، وإنما ينسب إليه على اعتبار طوره الثاني إذ أن فالأشعرية غير الأشعري  
أنظر في شأن الأشعرية " الطلل والنحل " ٩٤/١ وما بعدها .

( ٥ ) أنظر الإشارات لابن سينا ١٣١/٣ .



القصد إلى الفعل ، ويقولون بأن كل فاعل بالقصد مستكمل به وله غرض في فعله .  
وأما الأشاعرة : فيقولون : بالقصد ولا يقولون بأنه مستلزم للفرض لأنهم يجوزون

ترجيح القادر المختار لأحد مقدوريه بدون مرجح أصلاً ( ١ ) .

وحجة الفريقين : الفلاسفة والأشاعرة على نفي الفرض في أفعاله - سبحانه وتعالى -

بأنه لو خلق الخلق لعله لكان ناقصاً بدونها مستكلاً بها ، فإنه إما أن يكون وجود تلك  
العلة وعدمها بالنسبة إليه سواءً ، أو يكون وجودها أولى به .

فإن كان الأول امتنع أن يفعل لأجلها ، وإن كان الثاني ثبت أن وجودها أولى

به فيكون مستكلاً بها فيكون قبلها ناقصاً ( ٢ ) .

قال ابن سينا : ( ٣ ) .

" تنبيه - أعلم أن الشيء الذي إنط بحسن به أن يكون عنه شيء آخر ، ويكون ذلك

أولى به ، وألحق من أن لا يكون فإنه إذا لم يكن ما هو أولى وأحسن به مطلقاً وأيضاً

لم يكن ما هو أولى وأحسن به مضافاً فهو مسلوب كمال ما يفتقر فيه إلى كسباً . هـ ( ٤ )

وهذه الحجة التي رددتها الفلاسفة والأشاعرة قام بتفنيدها شيخ الإسلام ابن تيمية

وبين بطلانها ونقضها من وجوه عدة :-

الوجه الأول : أن قولهم لو خلق الخلق لعله لكان ناقصاً بدونها مستكلاً بها منقوض

بنفس ما يفعله من المفصولات ، فإنه يمكن أن يقال : فيها أيضاً إما أن يكون وجودها

وعدمه بالنسبة إليه سواءً ، أو لا يكون ، فإن كان الأول امتنع صدورها عنه ، وإن كان

الثاني كان مستكلاً بها فما كان جواباً في المفصولات كان جواباً عن هذا ونحن

لا نعقل في الشاهد فاعلاً إلا مستكلاً بفعله .

الوجه الثاني : أن مقتضى الكمال أن يكون - الباري - لا يزال قادراً على الفعل بحكمة

( ١ ) غاية المرام للآمدي ص ٢٢٤ ، وانظر شرح حديث النزول ص ١٧٤ .

( ٢ ) المحصل للرازي ص ١٤٩ ، وانظر " مجموعة الرسائل الكبرى " الرسالة الثامنة

الارادة والأمر " ٣٢٧/١ .

( ٣ ) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا المتوفى في سنة ٤٢٧ هـ .

( ٤ ) الإشارات : ٣ / ١٢٢ .

فلو قدر كونه غير قادر على ذلك لكان ناقصا .

الوجه الثالث: قول القائل إنه مستكمل بغيره باطل فان ذلك إنط حصل بقدرته ومشيئته

لا شريك له في ذلك فلم يكن في ذلك محتاجا إلى غيره ، وإذا قيل كمل بفعله الذي لا يحتاج فيه إلى غيره كان كمل لو قيل : كمل بذاته ، أو صفاته فهو مثلا إذا فرح بتوبة عبده التائب وأحب من تقرب إليه بالنوافل ورضي عن السابقين الأولين ، ونحو ذلك لم يجزأ أن يقال : إنه مفتقر في ذلك إلى غيره ، أو مستكمل بسواه ، فإنه هو الذي خلقه هؤلاء وهداهم وأقدرهم حتى فعلوا ما يحبه ويرضاه ويفرح به .

الوجه الرابع: قول القائل كان قبل ذلك ناقصا إن أراد به عدم ما تجدد ، فلا نسلم

أن عدمه قبل ذلك الوقت تالذي اقتضت الحكمة وجوده فيه ، يكون نقصا ، وإن أراد بكونه ناقصا معنى غير ذلك فهو ممنوع بل يقال عدم الشيء في الوقت الذي لم تقتض الحكمة وجوده فيه كمال أيضا ، فليس عدم كل شيء نقصا ، بل عدم ما لا يصلح وجوده وهو النقص كما أن وجود ما لا يصلح وجوده نقص ، فتبين أن وجود هذه الأمور يجب اقتضت الحكمة عدمها هو النقص لان أن عدمها هو النقص" ( ١ ) فهذه حجة الفلاسفة والأشعرية قد نقضها شيخ الاسلام ابن تيمية وهي حجة فلسفية بحته سرطان ما انهارت أطام مناقشتها بما أورد عليها من الوجوه القوية التي تبين أن الله تعالى - موصوف بالحكمة .

( ٢ ) المذهب الثاني : مذهب المعتزلة : وهم يشبتهن لله - تعالى - الحكمة في خلقه

وفى أمره غير أنهم لا يقولون إنها صفة قائمة بذاته - تعالى - بل يقولون : إنها مخلوقة منفصلة عنه ، فيزعمون مثلا أن الحكمة في وجود الخلق هو الإحسان إليهم والحكمة في تكليفهم هو أنهم يمرضون للثواب ويقولون : إن الإحسان إلى الغير حسن محمود في العقل فخلق الله الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود عليه هو من ذلك مصلحة ( ٢ ) وهذا المذهب المعتزلي : بين شيخ الاسلام بأنه متناقض لأن الإحسان إلى الغير إنط كان محمودا لكونه يعود منه إلى فاعله حكم بحمد

( ١ ) مجموعة الرسائل والمسائل : ١٦٢-١٦٣ .

( ٢ ) " " " ط : ٢٩١/٥ : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان -

المحصل للرازي ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

لأجله إما لتكميل نفسه بذلك ، وإما لرقعة وألم يجده في نفسه يدفع بذلك الإحسان  
 الألم ، وإما لا التذاده وسروره وفرحه بالإحسان فإن النفس الكريمة تفرح وتسر وتلتذ  
 بالخير الذي يحصل منها إلى غيرها ، فالإحسان إلى الغير محمود لكن المحسن يعود  
 إليه من فعله هذه الأمور تحمى بحمد لأجله .

أما إذا قدر أن وجود الإحسان وهده بالنسبة إلى الفاعل سواء لم يعلم أن هذا  
 الفعل يحسن منه ، بل مثل هذا يمد عبثاً في عقول العقلاء وكل من فعل فعلاً ليس  
 لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه لا عاجلة ولا آجلة كان عبثاً ، ولم يكن  
 محموداً على هذا ، ولذلك لم يأمر الله - تعالى - ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا  
 أحد من العقلاء أحداً بالإحسان إلى غيره ونفعه إلا لما في ذلك من المنفعة والمصلحة  
 وإلا فأمر الفاعل بفعل لا يعود إليه منه لذة ولا سرور ، ولا منفعة ولا فرح بوجه من  
 الوجوه لا في العاجل ولا في الآجل لا يستحسن من الأمر ( ١ ) .

### ( ٣ ) المذهب الثالث : مذهب عبد الله بن كلاب ( ٢ ) وأتباعه :

فهذا الرجل وأتباعه يثبتون حكمة وغاية قائمة بذاته - تعالى - ولكنهم يقولون : بأنها  
 قد بمة غير ملازمة للمفعول ، ويؤمنون أن إرادة الله وحبه ورضاه وفضبه وسخطه ورحمته  
 وكرمه وغير ذلك قد بهم فهو - سبحانه - لم يزل راضياً عن علم أنه يموت مؤمناً ، ولم  
 يزل ساخطاً على من مات كافراً .

وهذا القول باطل : لأن الله - تعالى - إذا كان راضياً في أزله ومحباً وفرحاً  
 بما يحدثه قبل أن يجده ، فإذا أحدثه هل حصل له بإحداثه حكمة يحبها ويرضاها  
 ويفرح بها ، أو لم يحصل إلا ما كان في الأزل فإن قالوا : إنه لم يحصل إلا ما كان

( ١ ) مجموعة الرسائل الكبرى " الرسالة الثامنة الإرادة والأمر " ٣٣٢/١ .

( ٢ ) هو : عبد الله بن سعيد التميمي البصري رأس الطائفة الكلابية توفي سنة أربعين  
 ومائتين هجرية . انظر ترجمته في " طبقات الشافعية الكبرى " لابن السبكي ٢٩٦/٢

في الأزل ، قد سبل ذلك كان حاصلًا بدون ما أحدثه من المفعولات فامتنع أن تكون المفعولات قد فعلت لكي يحصل ذلك فقولهم : هذا يتضمن أن المفعولات تحدث بلا سبب يحدثه الله ، كذلك يتضمن أن الله يفعلها بلا حكمة يحبها ويرضاها " ( ١ ) .

فهذه المذاهب الثلاثة كما رأينا ليس عند أصحابها أدلة قوية تثبت أقوالهم في صفة الحكمة ، بل كلها انتحالات فلسفية مبنية على شفا جرف هار كلها انهارت بما أورد عليها من مناقشات صارمة فلم يبق إذن إلا المذهب الحق الصحيح وهو ما عليه أهل السنة الذي شهدت له النصوص الكثيرة من أن لله - تعالى - حكمة تتعلق به يحبها ويرضاها ويفعل لأجلها فهو - سبحانه - وتعالى يفعل ما يفعل لحكمة يعلمها وهو يعلم العباد أو بعضهم من حكمته ما يطلعهم عليه وقد لا يعلمون ذلك والأموال العامة التي يفعلها تكون لسحكمة عامة ورحمة عامة كإرساله محمدا صلى الله عليه وسلم فإنه كما قال تعالى :

( وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ) ( ٢ ) ولو قال إنسان : " ما رسالة النبي صلى الله عليه وسلم تضررت منها طوائف كثيرة من الناس كالذين كذبوه من أهل الكتاب والمشركين فالرد على هذا أنهم انتفعوا بحسب الإمكان حيث أضعف شرهم الذي كانوا يعملون - ولولا الرسالة بإظهار الحجج القاطعة ، والآيات البينة التي زلزلت ما في قلوبهم ، وبالجهاد والجزية صاروا أذلاء صاغرين لكان شرهم أشد وأعظم ، والضرر الذي حصل لهم شيء يسير بجانب ما حصل لهم من النفع الكثير ، ومثل ذلك كنزول المطر الذي يعم نفعه البلاد والعباد ، ويحصل منه خراب بعض البيوت ، أو حبس بعض المسافرين ، والمكتمنين بين فما كان نفعه ومصالحته عامة كان خيرا مقصودا ورحمة محبوبة ولو تضرر به بعض الناس فكل ما يحدث في الوجود من الضرر لا بد أن يكون فيه حكمة كما قال - سبحانه - ( صنع الله الذي أتقن كل شيء ) ( ٣ ) ، وكما قال - سبحانه - ( الذي أحسن كل شيء خلقه ) ( ٤ ) والضرر الذي تحصل به حكمة مطلوبة لا يكون شرا مطلقا ، وإن كان شرا بالنسبة إلى من تضرر به ، ولهذا لا يأتي في كلام الله وكلام رسوله إضافة الشرة وحده إلى الله وإنما يذكر على أحد وجوه ثلاثة :

( ١ ) مجموعة الرسائل والمسائل ٥ / ١٦٤ . ( ٢ ) سورة الأنبياء آية : ١٠٧ . ( ٣ ) سورة النمل آية : ٨٨ . ( ٤ ) سورة السجدة آية : ٧ .



ذلك وتشهد ببطلانه \* ( ١ ) .

والذي نخلص<sup>اليه</sup> مط تقدم أن الله - تعالى - موصوف بالحكمة وأن كل شئ خلقه أو أمر به فيه حنكمة عظيمة ، وحتى ط ينزل بالمخلوق من الشر لا يخلو من حكمة الله التي تبهر العقول وتزيد المؤمن إيماناً كما تبين صدق ط أخبر به الله - تعالى -  
( سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ) ( ٢ ) .

---

( ١ ) شفاء العليل ص ٢٠٤ .

( ٢ ) سورة فصلت آية : ٥٣ .

## تنزيه الله تعالى من نسبة الولد اليه

إن نسبة الولد إلى الله - تعالى - فرية مكذوبة اشترك في القول بها اليهسود والنصارى ومشركوا العرب ، وكذلك قول الفلاسفة الصائبة في العقول العشرة ، والنفوس الفلكية التسعة شبيه بقول مشركى العرب وغيرهم الذين جعلوا له بنين وبنات بفسير علم " ( ١ ) فاليهود عليهم لعائن الله : زعموا أن عزيرا ابن الله . والنصارى الضالون قالوا : المسيح ابن الله . والجهلة من مشركى العرب قالوا : اللائكة بنات الله تعالى الله عن قول هؤلاء جميعا علوا كبيرا .

ولقد حكى القرآن الكريم زعم اليهود والنصارى ومشركى العرب ورد عليهم ردا منحما وبين بطلان هذا الزعم حتى أسكتهم ، ولنبدأ بما ورد في السورة من إبطال تلك الفرية .

قال تعالى : ( لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ) .

هذه الآية من السورة تبين أنه - سبحانه - لا ولد له كما تفوه بذلك الجهلة من المشركين ونطق بذلك المعاندون من اليهود والنصارى في العزيز وهيسى .  
فالله تعالى - نزه نفسه عن أن يكون له ولد لأنه الواحد الأحد الفرد الصمد .  
- سبحانه - الفنى عن كل ما سواه قهر الأشياء كلها فدانت له وذلت وخضعت  
- ( سبحانه هو الله الواحد القهار ) .

وعلى الفرض الجدلي الذى يقبله العقل - الضعيف - أن الرب - جل و علا - لو أراد أن يتخذ ولدا لاصطفاه - سبحانه - من بين خلقه لأن إرادته مطلقة والأمر ليس بحاجة إلى إقرار أو اقتراح من البشر ولكن مشيئته - تعالى - لم تتجه إلى هذا الإصطفاً لأنه

الواحد القهار فهو الذي أبدع هذا الكون من العدم فما حاجته إلى الولد ؟ والولد  
إنما هو امتداد لمن كتب الله عليه الفناء ، والمحتاج إلى المعين والنصير ، وقد اقتضت  
حكمة القادر العليم أن التكاثر في النوع الإنساني وغيره من المخلوقات لا بد له من  
صاحبة من جنسه ، فكيف يكون لله ولد ولم تكن له صاحبة ، فقد تفرد - سبحانه - بالألوهية  
( ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ) ( ١ ) .

قال : العلامة ابن جرير رحمه الله - تعالى - :

( لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى ما يخلق ما يشاء ) يقول تعالى ذكره :  
لو شاء الله اتخاذه ولدا ولا ينبغى له ذلك ، لاصطفى ما يخلق ما يشاء ، يقول : لا اختار  
من خلقه ما يشاء وقوله ( سبحانه هو الله الواحد القهار ) يقول : تنزيها لله عن أن  
يكون له ولد ، وهذا أضاف إليه المشركون به من شركهم ( هو الله ) يقول : هو الذي  
يمعبده كل شيء ولو كان له ولد لم يكن له عبدا يقول : فالأشياء كلها له ملك فأنى يكون  
له ولد ، وهو الواحد الذي لا شريك له في ملكه - وسلطانه ، والقهار لخلقه بقدرته  
فكل شيء متذلل ، ومن سطوته خاشع " أ . هـ ( ٢ ) .

وقال ابن كثير : ( لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى ما يخلق ما يشاء ) أي

لكان الأمر على خلاف ما يزعمون وهذا شرط لا يلزم وقوعه بل هو محال وإنما قصد تجهيلهم  
فيما ادعوه وزعموه كما قال عز وجل ( لو أردنا أن نتخذ لها لاتخذناه من لدنا إن كنا  
فاعلمين ) ( ٣ ) ( قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ) ( ٤ ) كل هذا من  
باب الشرط ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لمقصد المتكلم " أ . هـ ( ٥ ) .

وهكذا نرى أن الآية الواردة في السورة تنفي مزاعم القائلين بأن لله ولدا ، ولو أراد

( ١ ) سورة الشورى آية : ١١ .

( ٢ ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩٢ / ٢٣ .

( ٣ ) سورة الأنبياء آية : ١٧ .

( ٤ ) سورة الزخرف آية : ٨١ .

( ٥ ) تفسير القرآن العظيم : ٧٩ / ٦ .



- سبحانه - تسمية أحد من خلقه بذلك ما جعله عز وجل - إلى أحد من خلقه - تعالى  
الله - من ذلك علوا كبيرا لأنه صاحب الكمال المطلق المستغني عن صاحبة والولد  
ومن هذا شأنه من حقه أن يفرد بالعبادة وحده لا شريك له .

فقد نزه نفسه وبرأها عن قول السفهاء من الخلق كما يليق بجلاله وعظيم سلطانه .  
قال شيخ الاسلام ابن تيمية أثنا حديثه عن تنزيه الله - عز وجل - عن الشركاء  
( وكذلك ما استعمله - سبحانه - في تنزيهه وتقديسه عما أضافوه إليه من الولادة سواء  
سموها حسية ، أو عقلية كما تزعمه النصارى من تولد الكلمة التي جعلوها جوهرًا لابن  
منه ، وكما تقول الفلاسفة الصائجون من تولد العقول العشرة ، والنفوس الفلكية التسمية  
التي هم مضطربون فيها هل هي جواهر أو أعراض ؟ وقد يجعلون العقول بمنزلة الذكور  
والنفوس بمنزلة الإناث ويجعلون ذلك آباءهم وأمهاتهم وألهتهم وأربابهم القريبة  
وعلمهم بالنفوس أظهر لوجود الحركة الدورية الدالة على الحركة الإرادية الدالة على  
النفس المحركة لكن أكثرهم يجعلون النفوس الفلكية عرضا لا جوهرًا قائم بنفسه ، وذلك  
شبهه بقول مشركي العرب وغيرهم الذين جعلوا له بنين وبنات .

قال تعالى ( وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه  
وتعالى عما يشركون ) ( ١ ) وكانوا يقولون الطائفة بنات الله كما يزعم هؤلاء أن العقول  
أو العقول والنفوس هي الطائفة وهي متولدة عن الله قال تعالى ( ويجعلون لله البنات سبحانه  
سبحانه ولهم ما يشتهون ) أ. هـ . ( ٢ ) .

( ١ ) سورة الأنعام آية : ١٠٠ .

( ٢ ) درة تعارض العقل والنقل : ٣٥ / ١ - ٣٦ .

### قول بعض مشركى العرب أن اللائكة بنات الله وبطاله :

ما ينبغى المتنبه عليه أن القائلين بأن اللائكة بنات الله هم بعض قبائل العرب كجهينة وخزاعة وبنى مليح وبنى سلمة وعبد الدار فقد زعموا أن اللائكة بنات الله كما ذكره القرطبي (١) .

ونقل الواحدى (٢) عن المفسرين أنهم قالوا : أن قریشا وأجناس العرب جهينة وبنى سلمة وخزاعة وبنى مليح قالوا : اللائكة بنات الله (٣) . ولقد قال هؤلاء المشركون فى اللائكة الكرام ثلاثة أقوال واحد منها أشد كفرا وأعظم كذبا .

أولا جعلوهم بنات الله فجعلوا الله ولدا - تعالى الله - عن ذلك علوا كبيرا ثانيا : جعلوهم اناثا فخطوا من مكانة اللائكة ونسبوا لله الولد الناقص ولأنفسهم الولد الأكل .

ثالثا : أنهم بعد كل هذه الافتراءات السخيفة عبدوا اللائكة من دون الله ولقد دحض القرآن هذه الدعوى الباطلة وبين أنها افتراء وناقشهم مناقشة ضيقت عليهم منافذ الباطل وحاجبهم حتى عجزوا عن الدفاع عما قالوه من الباطل وحاجبهم القرآن محاجة تبين معها كذبهم حيث صور دعواهم أن اللائكة بنات الله ، واستجوبهم فى ذلك على هذا النحو التالى :

أىكون لله البنات ولكم البنون ؟ .

هل يتفق قولكم هذا مع منطق العقل والعدل والحق ؟ .

أن هذا القول باطل لأنكم معشر العرب تستنكرون من البنت والشىء الذى تستنكرون منه كيف تثبتونه للخالق وهذا ما صناه الله - تعالى - بقوله (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون . وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشره أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون ) (٤) .

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ١٣٣ .

(٢) هو على بن أحمد بن محمد بن على بن متويه ، أبوالحسن الواحدى مفسر عالم بالأدب توفى سنة ثمان وستين وأربعمائة هجرية . انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ١ / ٣٣٣ ، الأعلام ٥ / ٥٩٠ .

(٣) ذكره عنه الرازى فى التفسير الكبير ٢٦ / ١٦٧ .

(٤) سورة النحل آية : ٥٧ - ٥٩ .

ثم إن القرآن لم يكف بمجادلة المشركين في موضع واحد منه بل حاجهم في مواضع عدة وألزمهم بالحجة وبين بطلان سخافاتهم الوثنية كقوله تعالى : ( وجعلوا من عبادة جزاء إن الانسان لكفور مبین . أم اتخذ ما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين . وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم . أو من ينشئ في الحلية وهو في الخصام غير مبين . وجعلوا اللائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون ) ( ١ ) .

إن الناظر في هذه الآيات يلمس الوحدة الموضوعية بينها وبين الآيات السابقة قبلها إذ كل آية منها طالجت مفتريات المشركين في ملائكة الرحمن بالأدلة العقلية وناقشت أولئك المشركين بمنطق الحجة والبيان ، فلم يستطيعوا المعارضة ، وهم أرباب الفصاحة وقادة البلاغة والبيان ، ثم إن الآيات تحمل في طياتها الوعيد الشديد والتهديد الأكيد لأولئك المشركين لسناعة قولهم ، ومخالفته للحس والعقل والفطرة وهذه الآيات ناقشت المشركين في عدة نقاط هي :-

( ١ ) جعلهم لله من عباده جزاء ، أي : عدلا ، أو بعضا لأن الولد بضعة من والده وجزءه ، فإذا كانوا جميعا عبيد الله فهل يصح أن يكون أحد منهم شريكا لله أو بعضا منه .

( ٢ ) ناقشتهم عن السرف في اختيارهم البنين لأنفسهم ، وجعلهم البنات لله - تعالى - علما بأنه قد تقرر لدى هؤلاء المشركين تفضيلهم البنين على البنات ، فلو كان مرجع القسمة إلى العقل لكان الله أولى بالبنين من البنات ، ولو كان مرجع ذلك إلى العدل بصرف النظر عن استحالة ذلك ، أو إمكانه لكان العدل يقتضى على أسوأ تقدير التسوية في القسمة ، ولكنهم تجاوزوا في الطغيان ، والبلادة حدود ما يألفه الذوق والفطرة الإنسانية .

قال تعالى ( ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى ( ١ ) .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية " أى : جائزة . . . . . فبين - سبحانه - أن الرب الخالق أولى بأن ينزه عن الأمور الناقصة منكم فكيف تجعلون له ما تكرهون أن يكون لكم ، وتستحيون من إضافته اليكم مع أن ذلك واقع لا محالة ، ولا تنزهونه عن ذلك وتنفونه عنه ، وهو أحق بنفى المكروهات المنقصات منكم " . أ هـ ( ٢ ) .

( ٣ ) بينت الآية الرابعة الآيات السابقة وهي قوله ( أو من ينشؤ في الحليه وهو فى الخصام غير صبين ) ( ٣ ) أن الأنثى محل نقص فى الظاهر والباطن فى الصورة والمعنى فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي وط فى معناه ليجبر ط فيها من نقص فإذا كانت الأنثى محل نقص فط وجه نسبتها إلى الله ولقد بين القرآن الكريم أنهم ليس لهم دليل على صحة دعواهم حيث أنه نفى عنهم بطرق العلم الثلاث التي هي : الحس ، أو الخبر ، أو النظر أ ط طريق الحس : فهي المراد من قوله تعالى ( أم خلقنا الطلائع إناطاً وهم شاهدون ) ( ٤ ) .

الواقع يقرر أنهم لم يشهدوا كيفية خلق الله لطلائعته بل المشركون أنفسهم لم يدعوا ذلك قبطلت معرفتهم عن طريق الحس .

أ ط طريق الخبر : فان الخبر إنط يفيد العلم إذا علم كونه صدقاً وقلعاً كصدوره عن المعصوم الذي قام الدليل على صدقه ، فأط الذين يخبرون بأن الطلائع بنا مثل الله إنط هم أفاكون كذابون ، ولم يدل على صدقهم دليل ، وقد أشار الله إلى ذلك بقوله :

( ألا انهم من إفكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون ) ( ٥ )

وأ ط طريق النظر : فقد بين بطلان قولهم من وجهين :

الوجه الأول : أن دليل العقل يقتضى فساد هذا المذهب لأن الله - تعالى - له الكمال المطلق لا يلقى به اصطفاء الأخص وهو المراد من قوله تعالى : ( أصطفى البنات على البنين ط لكم كيف تحكمون ) ( ٦ ) ومعنى ذلك أن إسناد الأفضل إلى أقرب

( ١ ) سورة النجم آية : ٢١ - ٢٢ .

( ٢ ) درر معارض العقل والنقل ٣٧١ - ٣٧٢ . ( ٣ ) سورة الزخرف آية : ١٧ .

( ٤ ) سورة الصافات آية : ١٥٠ . ( ٥ ) سورة الصافات آية : ١٥١ - ١٥٢ .

( ٦ ) سورة الصافات آية : ١٥٣ - ١٥٤ .

عند العقل من إسناد المفضول إلى الأفضل ، فإن كان حكم العقل معتبرا في هذا الباب كان قولكم باطلا .

الوجه الثاني : يترك الاستدلال على فساد مذهبهم ويطالبونهم بإثبات الدليل على صحة مذهبهم ، فإذا لم يجدوا ذلك الدليل ظهر ضده وهو خله الدعوى من أي دليل يدل على صحة مذهبهم وهذا هو المقصود من قوله تعالى : ( أم لكم سلطان مبين فاتتوا بكتابتكم إن كنتم صادقين ) ( ١ ) فثبت بطلاننا من الآيات القرآنية بإبطال قول المشركين في دعواهم أن اللائكة بنات الله لأنه لا يوجد لديهم دليل يؤيد قولهم لا من طريق الحس ، ولا الخبر ، العقل فكان المصير إليه باطلا قطعاً<sup>(٢)</sup> فبطل قول المشركين وسقطه شبهتهم وظهر أم رالله ممثلا في عقيدة التوحيد النقية من أدان الشرك وأحوال الوثنية .

رد دعوى اليهود في أن عزيرا ابن الله :

قلنا : فيط تقدم أن الفرق التي نسبت إلى الله الولد ثلاث فرق هم بعض مشركي العرب ، واليهود ، والنصارى وقد تقدم الرد على دعوى مشركي الصرب بأن اللائكة بنات الله بقي أن نعرض لإبطال دعوى اليهود في أن عزيرا ابن الله ، وإبطال قول النصارى في زعمهم أن المسيح ابن الله .

ولقد ذكر القرآن الكريم دعوى اليهود ، ورد عليها وبين فسادها وطلانها قال تعالى : ( وقالت اليهود عزير ابن الله ) ( ٣ ) هذه الآية بينت دعوى اليهود الباطلة في " العزير " وما ترى هل اليهود جميعهم يقولون هذه المقالة أم بعضهم؟ اختلفت الرواية عن أهل العلم في أصحاب هذه المقالة من اليهود فقيل : هو رجل من اليهود اسمه " فنحاص بن عازوراء " وهو على ما جاء في بعض الروايات القائل ( إن الله فقير ونحن أغنياء ) ( ٤ )

( ١ ) سورة الصافات آية : ١٥٦ - ١٥٧ .

( ٢ ) أنظر تفسير الفخر الرازي : ١٦٧ / ٢٦ - ١٦٩ بتصرف .

( ٣ ) سورة التوبة آية : ٣٠ . ( ٤ ) سورة آل عمران آية : ١٨١ .

كما أخرجه ابن المنذر عن ابن جريح " (١) وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : أتت جماعة من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهم سلام بن مشكم ، ونحطان بن أبي أوفى ، وشاس بن قيس وطالك بن الصيف فقالوا :

كيف ننتجك يا محمد وقد تركت قبلتنا ، وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله فأنزل الله في

ذلك ( وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ) ( ٢ ) .

قال الرازي : " وعلى هذين القولين فالقائلون بهذا المذهب بعض اليهود إلا أن الله نسب ذلك القول إلى اليهود بناءً على عادة العرب في إيقاع اسم الجماعة على الواحد يقال : فلان يركب الخيول ولعله لم يركب إلا واحداً منها ، وفلان يجالس السلاطين ولعله لا يجالس إلا واحداً . . . . ثم قال : " والقول الثالث : لعل هذا المذهب كان فاشياً فيهم ثم انقطع فحكى الله ذلك عنهم ، ولا عبرة بإنكار اليهود ذلك فسان حكاية الله عنهم أصدق " . أ. هـ ( ٣ ) .

وهناك آثار كثيرة وردت في صدور هذه المقالة عن اليهود ومنها الآتي :-

قال الإمام الكلبي ( ٤ ) لظ قتل بختصر ملط اليهود جميعاً وكان عزيراً ذاك صغيراً فاشتغره ولم يقتله فلط رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله - تعالى - عزيراً ليجدد لهم التوراة ويكون آية بعد ما أماته الله مائة عام يقال ! إنه أتاه ملك بإناء فيه ماء فسقاه فمثلت في صدره فلما أتاهم فقال لهم : إني عزير كذبوه وقالوا : إن كنت كما تزعم فأمل علينا التوراة ففعل فقالوا : إن الله - تعالى - لم يقذف التوراة في قلب رجل إلا لأنه ابنه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً " ( ٥ ) .

( ١ ) أنظر روح المعاني للألوسي : ١٠ / ٨١ .

( ٢ ) جامع البيان : ١٠ / ١١٠-١١١ ، وأنظر التفسير الكبير للرازي ١٦ / ٣٣ ، وأنظر تفسير روح المعاني للألوسي ١٠ / ٨١ .

( ٣ ) التفسير الكبير ١٦ / ٣٣ .

( ٤ ) هو : محمد بن السائب بن بشر بن عمر بن الحارث الكلبي أبو النضر : نسابة ، رواية ، عالم بالتفسير والإخبار وأيام العرب قال النسائي : حدث عنه ثقات من الناس ، ورضوه في التفسير وأما في الحديث ففيه منكري الميزان ٣ / ٦٨ ، التهذيب ٩ / ١٧٨ ، الأعلام ٢ / ٣٠٣ .

( ٥ ) كتاب التسهيل لعموم التنزيل ٢ / ٦٤ ، تفسير أبي السعود ٤ / ٥٩ ، تفسير

الرازي ١٦ / ٣٤ .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما : " أن اليهود أضعوا التوراة ، وعملوا بغير الحق فأنساهم الله - تعالى - التوراة ، ونسخها من صدورهم فتضرع عزير إلى الله وابتهل فعاد حفظ التوراة إلى قلبه ، فأذرقومه به فلما جربوه وجدوه صادقا فيه فقالوا : ما تيسر هذا لعزير إلا أنه ابن الله " ( ١ ) .

وقال السدى : المطالقة قتلهم فلم يبق منهم أحد يعرف التوراة " ( ٢ )

وقال الإطام البيضاوى ( ٣ ) وإنما قالوا ( عزير ابن الله ) لأنه لم يبق فيهم بعد وقعة " بختنصر " من يحفظ التوراة وهو لا لظ أحياه الله بعد مائة عام أملى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا : ما هذا إلا لأنه ابن الله " ( ٤ ) .

والذين يتبين من الآثار المتقدمة ، وما جاء في معناها يوضح لنا أن منشأ الشبهة عند اليهود في " عزير " هو أنه اختص بحفظ التوراة في زمن الأزمنة دون سائر اليهود بغض النظر عن صحة تفاصيل تلك الآثار التي أسلفناها نقلا عن بعض المفسرين ، ولذلك زعموا أنها ما حصلت له هذه الكرامة إلا لأنه ابن الله - تعالى الله - عن ذلك علوا كبيرا .

وهنا سؤال لا بد منه أمام مزاعم اليهود الباطلة هو : هل يلزم في كل إنسان خصه الله - تعالى - بنعمة من اصطفاؤه بالنبوة والرسالة أو استجابة للدعوة ، أو ظهور كرامة منكرات الأولياء على يديه هل يلزم من هذا أن يكون ذلك الإنسان ابنا لله ؟ .

( ١ ) جامع البيان ١١١/١٠ ، وتفسير الرازى ٣٣/١٦ .

( ٢ ) تفسير الرازى ٣٤/١٦ .

( ٣ ) هو : عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازى أبو سعيد ناصر الدين البيضاوى

مفسر ، علامة ، ولد سنة اثنتين وسبعين وخمسة مائة ، وتوفى سنة خمس وثمانين

وستة مائة هجرية . أنظر البداية والنهاية ٣٠٩/١٣ ، بغية الوعاة ٥٠/٢ ،

الأعلام ٤٠٢٤٨/٤

( ٤ ) تفسير البيضاوى ٤١٢/١ .

ولو كان الأمر كذلك فهذا موسى ابن عمران وأخوه هارون بن عمران عليهما السلام قد جاءا بالتوراة من عند الله ولهبط من الفضل والكرامة ما ليس لعزير فليظنوا لم يدعيها أنهبأ ابنان لله ؟ .

ولكن الحقيقة التي لا شك فيها هي أن اليهود أضعوا التوراة وتركوا العمل بها فضلوا عن سبيل الله القويم وصراطه المستقيم ، وذهبوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، وأصدق دليل على ذلك ما حلااه الله - تعالى - عنهم في كتابه قال تعالى : ( من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ) ( ٢ ) ، وقوله تعالى ( فبط نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ) ( ٢ ) وقال تعالى : ( أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ) ( ٣ ) فإذا كان اليهود لا يعتبرون مصدر ثقة فيما استحفظوا عليه من كتاب الله فمن المسلم به أنه لا يوثق بأقوالهم التي تخالف العقل والنقل وتخالف الفطر المستقيمة ، وقد حكى الله عنهم كثيراً من مخازيهم كقوله تعالى : ( وقالت اليهود يد الله مغلولة ) فرد الله عليهم بقوله ( غلت أديهم ولعنوا بط قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء ) ( ٤ ) .

إذا فبعد ذلك لا يستبعد أن يفتروا على الله كذبا فينسبون له الأبناء . بل قد ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه كما قال تعالى : ( وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ) . ( ٥ )

ولقد نقض القرآن هذا الزعم بقوله ( فلم يعذبكم بذنوبكم ) ومعنى هذا أن الحبيب لا يهين كرامة حبيبه بالتعذيب فلاي شيء يعذبكم في الدنيا بالأسر والقتل والمسوخ وقد اعترفتكم بأن سيعذبكم في الآخرة أيأما بعدد أيام عبادتكم المعجل ، ولو كان الأمر

- 
- |                               |                               |
|-------------------------------|-------------------------------|
| ( ١ ) سورة النساء آية : ٤٢ .  | ( ٢ ) سورة الطائفة آية : ١٣ . |
| ( ٣ ) سورة البقرة آية : ٧٥ .  | ( ٤ ) سورة الطائفة آية : ٦٤ . |
| ( ٥ ) سورة الطائفة آية : ١٨ . |                               |



كما زعمتهم لط صدر عنكم ط صدر ولط وقع عليكم ط وقع ، ثم بين القرآن أنهم كسائر البشر وأنهم محاسبون ومجزيون بالإحسان إحسانا ، وبالسوء عقابا ، وأنهم خاضعون لمشيئة الله النافذة ( بل أنتم بشر من خلق يفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات والأرض وما بينهما واليه المصير ) ( ١ ) .

وحسبنا أن اليهود عرفوا بنقض العهود والمواثيق وقتل الأنبياء بغير حق ولسنا بصدد تعداد مساوئهم فهي كثيرة ولكن الذي نقوله أنه ليس من المستغرب أن تصدر عنهم تلك الغربة الكبيرة وهي قولهم ( عزير ابن الله ) ( كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ) ( ٢ ) .

إبطال دعوى النصارى في أن العيسى ابن الله :-

ما ينبغي أن يعلم أن قول النصارى ( المسيح ابن الله ) يرجع إلى شبهة عرضت لهم فيه وهي خلقه - تعالى - إياه من أم دون أب وهو خلاف ط جرت عليه سنة الله - تعالى - في التوالد والتناسل فقالوا عنه ابن الله كما حكى الله ذلك عنهم بقوله ( وقالت النصارى المسيح ابن الله ) ( ٣ ) ولهم شبهة أخرى في قوله ( وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ) ( ٤ ) . فادعى بعض النصارى أن " من " للتبويض فيكون عيسى بعضا من الله تعالى وقد نقل عن محمد بن اسحاق قوله عن النصارى ( إنهم يحتجون في قولهم أنه ولد الله بأنهم يقولون : لم يكن له أب يعلم في المهد وهو شيء لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله ) ( ٥ ) .

( ٦ )  
وأصحاب هذا القول هم النسطورية ينسبون إلى نسطور ، وكان " بطريركا " بالقسطنطينية فقول النصارى في المسيح أنه ابن الله بهذا الإدعاء الشنيع ينسبون إلى الله الولد والتولد .

- ( ١ ) سورة الطائفة آية : ١٨ .  
( ٢ ) سورة الكهف آية : ٥ .  
( ٣ ) سورة التوبة آية : ٣٠ .  
( ٤ ) سورة النساء آية : ١٧١ .  
( ٥ ) مختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٣٦٩ .  
( ٦ ) أنظر الفصل لابن حزم ١ / ٤٩ ، الملل والنحل للشمسهرستاني ١ / ٢٢٤ .

وهذا الزعم الباطل نتيجة الشبهة التي عرضت لهم وهو أن الله خلقه من أم بلا أب من البشر ، فلا بد أن يكون ولدا لله ، وهذه الشبهة قامت الأدلة الثقلية والعقلية على استحالة أن يكون لله ولد ، أو صاحبة أو ولد أو شريك ، والله - تعالى - عظيم أمر هذه المقالة الشنيعة قال تعالى : ( وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد حثم شيئا إدا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا . أن دعا للرحمن ولدا إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدم عبدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا ) ( ١ ) .

وقد أذّر الله - تعالى - جميع الطوائف التي تنسب إليه الولد بالوهيد الشديد والتهديد الأكيد قال تعالى : ( وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا . ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ) ( ٢ ) وقد أبطل الله - عز وجل - مزاعم اليهود والنصارى ومشركي العرب نسبة الولد إليه بقوله تعالى ( بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ) ( ٣ ) فنفي التولد عنه لا متناع التولد من شيء واحد ، وأن التولد إنما يكون بين اثنين وهو - جل و علا - لا صاحبة له ، وأيضا : فانه خلق كل شيء ، وخلقته لكل شيء يناقض أن يتولد عنه شيء ، وهو بكل شيء عليم ، وعله بكل شيء يستلزم أن يكون فاعلا بإرادته ، فان الشعور فارق بين الفاعل بالإرادة والفاعل بالطبع فيمتنع مع كونه عالما أن يكون كالأموال الطبيعية التي تتولد عنها الأشياء بلا شعور كالحار والبارد فلا يجوز إضافة الولد اتليه " ( ٤ ) .

وفي قوله تعالى ( بديع السموات والأرض ) استدلال بخلق السموات والأرض ابتداءً من غير مثال سابق وكل الطوائف التي نسبت الولد إلى الله - تعالى - مقرة بأن الله هو

( ٢ ) سورة الكهف آية : ٥ - ٦ .

( ١ ) سورة مريم آية : ٨٨ - ٩٥ .

( ٣ ) سورة الأنعام آية : ١٠١ .

( ٤ ) الرد على المنطقيين لشيخ الاسلام ابن تيمية ص ٢١٩ .

الذي خلق السموات والأرض ابتداءً ، ولكن الإِستدلال بقوله تعالى ( يدع السموات والأرض ) على النصارى أليق من غيرهم لأنهم استغربوا وجود عيسى عليه السلام من غير أب على غير مثال سابق ولهذا قالوا إنه ابن الله ولكن الغرابة تزول إذا عرفوا خلق آدم عليه السلام من غير مثال سابق ، كما سنذكر ذلك قريباً وإذا عرفوا خلق السموات والأرض ابتداءً من غير مادة ، فالإِبداع عبارة عن تكوين الشيء من غير سبق مقال ، فكأن الآية تقول للنصارى : سلمنا لكم أن عيسى حدث من غير أب ، ولا نطفة ، بل إنما حدث ودخل في الوجود لأن الله - تعالى - أخرجه إلى الوجود من غير سبق الأب ولكنكم تقولون إنه ابن الله ، وعلى هذه فلا يخلو الأمر إما أن تريدوا بكونه ولداً لله - تعالى - أنه أحدثه على سبيل الإِبداع من غير تقدم نطفة ووالد ، وإما أن تريدوا بكونه ولداً لله - تعالى - كما هو الطلوف المعهود من كون الإنسان ولداً لأبيه إما الاحتمال الأول : فإن النصارى والمشركن مسلمون بأن الله - تعالى - خلق السموات والأرض ابتداءً ، ويلزم على تسليمهم ذلك أن يكون خلقه للسموات والأرض إبداعاً ، فلو لزم من مجرد كونه مبدعاً لإحداث عيسى عليه السلام كونه والداً له للزم من كونه مبدعاً للسموات والأرض كونه والداً له ، ولما فيهما من المخلوقات ، ومعلوم أن ذلك باطل بالاتفاق فثبت أن مجرد كونه مبدعاً لعيسى عليه السلام لا يقتضى كونه والداً له فبطل بهذا الاحتمال الأول .

وأما الاحتمال الثاني : وهو أن يكون مراد القوم من الولادة هو الأمر المعتاد المعروف من الولادة في الحيوانات فهذا أيضاً باطل ، يدل على بطلانه الوجه الثالث : الوجه الأول : أن تلك الولادة لا تصع إلا ممن كانت له صاحبة وينفصل عنه جزء ويحتبس ذلك الجزء في باطن تلك صاحبة وهذه الأحوال إنما تثبت في حق من يجوز عليه الأمراض المعروفة في التوالد والتناسل ، وكل ذلك على خالق العالم محال ، وهذا المراد من قوله تعالى : ( أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ) .

الوجه الثاني : أن تحصيل الولد بهذا الطريق إنما يصح في حق من لا يكون قادراً على الخلق والإيجاد والتكوين دفعة واحدة ، فلما أراد الولد وحجز عن تكوينه دفعة

واحدة عمد إلى تحصيله بالطريق المعتاد أما من كان خالقا لكل الممكنات قادرا على كل المحدثات ، فإذا أراد إحداث شيء قال له ( كن فيكون ومن كان هذا الذي ذكرنا صفة ونعمته امتنع منه إحداث شخص بطريق الولادة وهذا هو المراد من قوله تعالى ( وخلق كل شيء ) + .

الوجه الثالث : وهو أن هذا الولد إما أن يكون قديما أو محدثا ، وليس من الجائز أن يكون قديما لأن القديم يجب كونه واجب الوجود لذاته ، وط كان واجب الوجود لذاته كان غنيا عن غيره ، فامتنع كونه ولدا لغيره ، فبقي أنه لو كان ولدا لوجب كونه حادثا فنقول : إنه - تعالى - عالم بجميع المعلومات فإما أن يعلم أن له في تحصيل الولد كطلا ، ونفعا ، أو يعلم أنه ليس الأمر كذلك ، فإن كان الأول فلا وقت يفرض أن الله تعالى - خلق هذا الولد فيه إلا والداعي إلى إيجاد هذا الولد كان حاصلًا قبل ذلك ومتى كان الداعي إلى إيجاده حاصلًا قبله ، وجب حصول المولد قبل ذلك وهذا يوجب كون ذلك الولد أزليا وهو محال ، وإن كان الثاني فقد ثبت أنه - تعالى - عالم بأنه ليس له في تحصيل الولد كطل حال ولا ازدياد مرتبة في الألوهية وإذا كان الأمر كذلك وجب أن لا يحدث البتة في وقت من الأوقات وهذا هو المراد من قوله تعالى : ( وهو بكل شيء عليم ) ( ١ ) .

ولا يفوتنا أن نقول : أنه ليس أعظم جرما وأقبح إثما ممن زعم أن الله متصف بصفات المحدثين من أجهلة المشركين ، واليهود المعاندين والنصارى الضالين ، وأن مؤمنى الجن لأحسن حالا منهم وأكمل إبطانا إذ أنهم نفوا عن الله الصاحبة والولد كما قال تعالى حكاية عنهم ( وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ) ( ٢ ) .  
ومن الآيات التي ترد على شبهة النصارى أن عيسى وجد من أم بلا أب يقتضى أن يكون ابنا لله قوله تعالى : ( إن عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ) ( ٣ ) ، وهذه الآية نزلت عند حضور وقد نصارى نجران على الرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكر هذا ابن جرير ( ٤ ) وأدعى الفخر الرازى الإجماع على

( ١ ) تفسير الرازى ١٣ / ١١٨ - ١١٩ والآية رقم ( ١٠١ ) من سورة الأنعام .  
( ٢ ) سورة الجن آية : ٣ .  
( ٣ ) سورة آل عمران آية : ٥٩ .  
( ٤ ) جامع البيان ٣ / ٢٩٥ .

ذلك ( ١ ) ولقد أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك الوفد بنقض شبهتهم بأنه لو لزم من وجود عيسى من أم بلا أب كونه ابنا لله للزم أن يكون آدم ابنا لله - تعالى - بطريق الأولى ، فإنه وجد من غير أم ولا أب ، وأنتم تعترفون بذلك ، ثم إنها إذا جاز أن يخلق الله - تعالى - آدم من التراب فلم لا يجوز أن يخلق عيسى من دم مريم ؟ بل هذا أقرب إلى العقل فإن تولد الحيوان من الدم الذي يجتمع في رحم الأم أقرب من تولده من التراب اليابس ، وهذا دليل ملزم لهم لأنهم لم يقولوا بأن آدم اله كما زعموا ذلك في عيسى عليه السلام ، وفي قوله ( إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ) .

قال الزمخشري : هو مثله في أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لأن المطابقة مشاركة في بعض الأوصاف ولأنه شبيه به في أنه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ، ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لطادة شبهته إذا نظر فيط هو أغرب مما استغربه " أ . هـ . ( ٢ ) .

وقوله تعالى ( خلقه من تراب ) ليس صفة لآدم ولا صلة له ، وإنما هو خبر مستأنف على جهة التفسير لحال آدم كما ذكر ذلك الرازي ونقل عن الزجاج قوله : " هذا كما تقول في الكلام مثلك كمثل زيد تريد أن تشبهه به في أمر من الأمور ثم تخبر بقصة زيد فتقول : فعل كذا وكذا " ( ٣ ) .

وأما شبهتهم في قوله ( وروح منه ) ( ٤ ) حيث قالوا إن هذا الجزء من الآية دليل على أن عيسى جزء من الله ويقولون : " من " في قوله " منه " تبيينية فيكون عيسى جزءا من الله - تعالى - الله - عن ذلك علوا كبيرا ، فالروح هنا ، قيل به : النفخة فيكون معنى قوله ( وروح منه ) أي : نفخة منه لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام في درع مريم بأمر الله إياه بذلك فنسب إلى أنه " روح من الله " لأنه بأمره كان ، وإنما

( ٢ ) الكشاف : ١ / ٤٣٣ .

( ١ ) التفسير الكبير : ٨ / ٧٤ .

( ٣ ) التفسير الكبير : ٨ / ٧٤ .

( ٤ ) جزء من الآية رقم ( ١٧١ ) من سورة النساء .

سُمي النفخ " روحاً " لأنها ربح تخرج من الروح واستشهدوا على ذلك بقول ذي الرمة :

وقلت له ارفعها الهوك وأحيها بروحك واقتته لها قيته قــــدرا ( ٢ )

يعني بقوله : " أحيها بروحك " أي أحيها بنفخك .

وقيل معناها : " الرحمة " فيكون قوله " روح منه " أي رحمة منه كما قال تعالى : ( وأيدهم

بروح منه ) ( ٢ ) فجعل الله عيسى عليه السلام رحمة منه على من آمن به وصدقوه واتبعوه

من بني إسرائيل لأنه هداهم إلى سبيل الرشاد كما ذكره ابن جرير الطبري ، وقد

أورد أولاً أخرى ثم قال : تعقيباً عليها : " ولكن هذه الأقوال وجه ومذهب غير بعيد

من الصواب " ( ٣ ) .

والأظهر في ذلك ما روى عن أبي بن كعب أنه قال : عيسى روح من الأرواح التي

خلقها الله - عز وجل - واستنطقها بقوله : ( ألتست بهر بكم قالوا بلى ) ( ٤ ) بعث الله

إلى مريم فدخل فيها " ( ٦ ) .

وقال أبو روق : ( وروح منه ) أي : نفخة منه إذ هي من جبرائيل بأمره ، وسمى

روحاً لأنه حدث من نفخة جبرائيل عليه السلام ( ٧ ) .

قال ابن كثير : ( وكلمته ألقاها إلى مريم ) أي : خلقه بالكلمة التي أرسل بها

جبرئيل - عليه السلام - إلى مريم فنخ فيها من روحه بإذن ربه - عز وجل - فكان عيسى

بإذنه - عز وجل - وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها ، فنزلت حتى ولجت

فرجها بمنزلة لقاح الأب والأم والجميع مخلوق لله - عز وجل - ولهذا قيل لعيسى

إنه كلمة الله وروح منه ، لأنه لم يكن له أب تولد منه ، وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي

قال له بها كن فكان ، والروح التي أرسل بها جبرئيل . . . . . ( وروح منه ) كقول

( وسخر لكم ط في السموات وط في الأرض جميعاً منه ( ٨ ) أي : من خلقه ومن عنده

( ١ ) ديوان ذي الرمة ص ٢٤ ط : كيمبردج سنة ١٩١٩ م .

( ٢ ) جزء من الآية رقم ( ٢٢ ) من سورة المجادلة .

( ٣ ) جامع البيان ٦ / ٣٦ .

( ٤ ) سورة الأعراف آية : ١٧٢ .

( ٥ ) جامع البيان ٦ / ٣٦ ونظر تيسير العزيز الحميد ٦٣ .

( ٦ ) تيسير العزيز الحميد ص ٦٣ . ( ٧ ) سورة الجاثية : آية ١٣ .

وليست من المتبعيض كما تقوله النصارى - عليهم لعائن الله المتتابعة - بل هي لا ابتداءً  
الغاية كما في الآية الأخرى ، وقد قال مجاهد في قوله ( وروح منه ) أي : رسول منه ،  
وقال غيره : ومحبته منه ، والأظهر الأول وهو أنه مخلوق من روح مخلوقة ، وأضيفت الروح  
إلى الله على وجه التشريف كما أضفت الناقة والبيت إلى الله في قوله ( هذه ناقة الله )  
( ١ )  
وفي قوله ( وطهر بيتي للطائفين ) ( ٢ ) أضافها إليه إضافة تشريف ، وهذا كله من  
قبيل واحد ونمط واحد " أ. هـ ( ٣ ) .

وقد ذكر الألوسى في تفسيره : ( روح المعاني ) قصة مضمونها أن طبيباً نصرانياً  
حاذقاً للرشيدي ناظر علي بن الحسين الواقدى المرزوى ذات يوم فقال له : إن فى  
كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه الصلاة والسلام جزء منه - تعالى - وتلى هذه الآية  
فقرأ الواقدى قوله تعالى : ( وسخركم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه )  
فقال : اذن يلزم أن يكون جميع الأشياء جزءاً منه سبحانه وتعالى - عن ذلك علواً  
كبيراً فانقطع النصرانى ، فأسلم وفرح الرشيدي فرحاً شديداً ، ووصل الواقدى بصلة فأخرة  
وجاء فى قرعة عيون الموحدين : قوله ( وروح منه ) أي : من الأرواح التى استخرجها  
من صلب آدم عليه السلام ، وأخذ عليها العهد على أنه - تعالى - ربهم وإلههم . . . .  
وروح عيسى من تلك الأرواح التى خلقها الله تعالى . . . . فجبريل نفخ والله خلق  
بقول " كن " فكان " كما قال تعالى ( فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ) ( ٥ ) فسبحان  
من لا يخلق غيره ولا يعبد سواه " . أ. هـ ( ٦ )

ومن هذا نقههم أن النفخ سبب ظاهر لإيجاد الروح فى كل مولود وقد روى البخارى  
فى صحيحه من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وهو الصادق المصدوق : " إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة

- 
- ( ١ ) سورة الأعراف آية : ٧٣ . ( ٢ ) سورة الحج آية : ٢٦ .  
( ٣ ) تفسير القرآن العظيم : ٤٥٩ / ٢ - ٤٦٠ .  
( ٤ ) تفسير الألوسى : ٢٥ / ٦ . ( ٥ ) سورة ( ص ) آية : ٧٢ .  
( ٦ ) قرعة عيون الموحدين ص ١٨ ، وانظر تيسير العزيز الحميد ص ٦٣ ، فتح المجيد  
ص ٤٧ - ٤٨ .

ثم يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضافة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيها الروح . . . . . ( ١ ) الحديث .

فالنفخ يحصل من الملك بعد أمر الله - تعالى - له .

ولقد نزه نفسه - سبحانه - من المقالة السيئة التي نسبها إليه اليهود والنصارى ومشركوا العرب وغيرهم فقال تعالى ( وقالوا اتخذ الله سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون ) ( ٢ ) .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : " واتفقوا على أن الآية نزلت فيمن زعم أن الله ولداً من يهود خيبر ، ونصارى نجران ، ومن قال من مشركي العرب باللائكة بنات الله فرد الله تعالى عليهم ( ٣ ) " وجاء في الحديث القدسي الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ، ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما لاكت ، وأما شتمه إياي فقله لي ولد - فسبحاني - أن اتخذ صاحبة أو ولداً "

قال الحافظ عقب هذا الحديث : " إنما ساء شتماً له فيه من التنقيص لأن الولد إنما يكون من والدة تحمله ، ثم تضعه ، ويستلزم ذلك سبق النكاح ، والنكاح يستدعي باعثاً له على ذلك والله - سبحانه - منزّه عن جميع ذلك " . أ . هـ ( ٤ ) وما تقدم نعلم أن الله - تعالى - أبطل مزاعم اليهود والنصارى ومشركي العرب في نسبتهم الولد إلى الله - تعالى - فقد نفى عن نفسه الولادة ونفى اتخاذ الولد جميعاً قال تعالى : ( وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن ) ( ٥ ) .

وقال تعالى : ( الذي له ملك السموات والأرض ، ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ) ( ٦ ) وما ينبئني أن يعلم أن كل النحل التي نسبت الولد إلى الله تعالى

- |       |                          |                               |
|-------|--------------------------|-------------------------------|
| ( ١ ) | ٢ / ٢١١ .                | ( ٢ ) سورة البقرة آية : ١١٦ . |
| ( ٣ ) | الفتح : ٨ / ١٦٨ .        | ( ٤ ) المصدر السابق .         |
| ( ٥ ) | سورة الاسراء آية : ١١١ . | ( ٦ ) سورة الفرقان آية : ٢ .  |



لم يرد العقلاء منهم أنها ولادة حسية من جنس ولادة الحيوان بانفصال جزء من ذكره في أثناءه يكون منه الولد وإنما يريدون الولادة العقلية الروحانية مثل قول النصارى إن الجوهر الذي هو الله من وجهه ، وهو الكلمة من وجهه تدرجت بإنسان مخلوق من مريم فيقولون تدرج اللاهوت بالناسوت - فظاهرة - وهو الدرع والقميص بشر وباطنه - وهو المتدرج - لاهوت هو الابن الذي هو الكلمة لتولد هذا من الأب الذي هو جوهر الوجود ومن هذا نعلم أن الفيزياء المزعومة مركبة من أصلين :

أحدهما : أن الجوهر هو الكلمة تولد من الجوهر الذي هو الأب كتولد العلم والقول من العالم والقائل .

الثاني : أن هذا الجوهر اتحد بالمسيح وتدرج به ، وذلك الجوهر هو الأب من وجهه وهو الابن من وجهه فلماذا حكى الله عنهم ، تارة أنهم يقولون : المسيح ابن الله ، وتارة أنهم يقولون : إن الله هو المسيح ابن مريم " ( ١ ) .

ولم يكتف القرآن بالرد على من زعم أن لله ولداً بالنفس فحسب بل كفر من جعل له ولداً ، أو والداً ، أو شريكاً فقال تعالى في السورة التي تعدل ثلث القرآن كما جاء بذلك الحديث الذي رواه أبو داود في سننه عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً يقرأ :

( قل هو الله أحد " يرددها فلما أصبح جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن " ( ٢ ) ( قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد " . قال شيخ الإسلام : فنفي عن نفسه الأصول والفرع والنظراء وهي جماع ما ينسب إليه من المخلوق من الآدميين والمهائم والملائكة ، والجن ، والنبات ونحو ذلك فإنه ما من شيء من المخلوقات إلا ولا بد أن يكون له شيء يناسبه إما أصل ، وإما فرع ، وإما نظير ، أو اثنين من ذلك ، أو ثلاثة وهذا في الآدميين

( ١ ) مجمع الفتاوى : ٢ / ٤٤٣ - ٤٤٥ .

( ٢ ) سنن أبي داود : ١ / ٣٣٧ ، وابن ماجه : ١ / ١٢٤٤ ، والنسائي : ٢ / ١٧١ .

والجن والبهائم ظاهر .

وأما اللائكة فإنهم وإن لم يتوالدوا بالتناسل فلهم الأمثال والأشباه ولهذا قال - سبحانه - ( ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ) ( ١ ) قال بعض السلف : لعلكم تذكرون فتعلمون أن خالق الأزواج واحد " . أ . هـ . ( ٢ ) .

وبعد أن سقنا الأدلة النقلية على إبطال فرية المشركين واليهود والنصارى فى نسبة الولد إلى الله تعالى ، هناك دليل عقلى يدل على بطلان ذلك الافتراء الباطل نذكره قبل أن نختم الكلام فى هذا الموضوع وذلك الدليل هو :-

( ١ ) أن يقال : يجب أن يكون الإله واجب الوجود لذاته ، فولده إما أن يكون واجب الوجود لذاته ، أو لا يكون ، فإن كان واجب الوجود لذاته كان مستقلاً بنفسه قائم بذاته لا تعلق له فى وجوده بالآخر ، ومن كان كذلك لم يكن له والد البتة ، لأن الولد مشعر بالفرعية والحاجة إلى أصله .

وإما أن يكون ذلك الولد ممكن الوجود لذاته فحينئذ يكون وجوده بإيجاد واجب الوجود لذاته ، ومن كان كذلك فيكون عبداً لا ولداً له ومن عرف هذه الحقيقة لم يتردد فى نفي الولد عن الله - تعالى .

( ٢ ) إن الود مشعر بكونه متولداً عن جزء من أجزاء الوالد وذلك إنط يعقل فيمن يمكن انفصال بعض أجزاءه عن بعض وهو محال فى حق الواجب لذاته " ( ٣ ) .

وقد خص النبي صلى الله عليه وسلم عيسى عليه السلام بمزيد من التنبيه لأن عقائد أهل الكتاب كانت فيه بين الإفراط والتفريط فبين العقيدة الصحيحة التى يجب أن يلتزمها الناس فيه بصفة عامة ، وأهل الكتاب جميعاً بصفة خاصة فقد ثبت فى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم روح منه والجنة حق والنار حق

( ١ ) سورة الذاريات آية : ٤٩ .

( ٢ ) مجمع الفتاوى : ٤٣٨ / ٢ - ٤٣٩ .

( ٣ ) انظر التفسير الكبير للرازى : ١١٦ / ١٣ - ١١٧ .

أدخله الله الجنة على ما كان من العمل " ( ١ ) .

قال قارىء لهذا الحديث يرى أن وجه تخصيص عيسى بالذكر مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دون سائر أولى العزم من الرسل إنطكان لتوضيح الحق فيه ، وأنه عبد الله ورسوله .

وجاء في تفسير العزيز الحميد " قوله : وأن عيسى عبد الله ورسوله " وفي رواية " وابن أمته " أي : خلافاً لما يعتقد النصارى أنه الله أو ابن الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . . . . . إلى أن قال : " فيشهد بأنه عبد الله أي : عابد مملوك لله ، لا مالك ، فليس له من الربوبية ، ولا من الإلهية شيء " ، ورسول صادق خلافاً لقول اليهود إنه ولد بنى ، بل يقال فيه ما قال عن نفسه كما قال تعالى ( قال أنى عبد الله لآتاني الكتاب وجعلني نبياً ) ( ٢ ) . . . . . قوله ( وكلمته ) إنط سعى كلمة الله ، لصدوره بكلمة " كن " بلا أب قاله قتادة وغيره من السلف ( ٣ ) .

وقال الإمام أحمد رحمه الله - تعالى - : " الكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له : " كن " فكان عيسى يكن وليس عيسى هو " كن " ولكن ب : كن كان ، ف : كن " من الله قول ، وليس : كن مخلوقاً ، وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى وذلك أن الجهمية قالت : عيسى روح الله وكلمته إلا أن الكلمة مخلوقة .

وقالت النصارى عيسى روح الله من ذات الله ، وكلمته من ذات الله ، كما يقال : إن هذه الخرقه من هذا الثوب ، وقلنا : نحن إن عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة . أ . هـ ( ٤ ) . وختاماً لهذا نقول : إن الله قد رفع من شأن عيسى ، وجعله

من أولى العزم من الرسل المذكورين في قوله تعالى : ( وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ) .

( ١ ) صحيح البخارى ٢ / ٢٥٤ ، صحيح مسلم ١ / ٥٧ . واللفظ للبخارى .

( ٢ ) سورة مريم آية : ٣٠ . ( ٣ ) تيسير العزيز الحميد ص ٦٢ .

( ٤ ) الرد على الجهمية والزنادقة ص ١٢٤ - ١٢٥ .

( ٥ ) سورة الأحزاب آية : ٧ .

## المبحث السابع

## إثبات صفتي الوحدانية والقهر

لقد دلت السورة على إثبات صفتي الوحدانية " والقهر " - للبارى سبحانه وتعالى -  
في آية واحدة منها .

قال تعالى : ( لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه  
هو الله الواد القهار ) .

هذه الآية من السورة تضمنت اسمين كريمين من أسماؤه - تعالى - هما " الواحد " و  
" والقهار " وهذان الاسمان يشترقان منهما صفتان - للبارى جل شأنه - هما صفتا " الوحدانية  
و " القهر " فاسمه - تعالى - " الواحد " يدل على اتصاف - البارى سبحانه - بالوحدانية  
قال ابن الأثير ( ١ ) : في أسماء الله " الواحد " هو الفرد الذي لم يزل ولم يكن معه  
غيره ( ٢ ) .

وجاء في تهذيب اللغة : " الفرق بين الواحد والأحد أن الأحد بنى لنفى ما يذكر  
معه من العدد تقول : ما جاءني أحد ، والواحد اسم بني لمفتتح العدد تقول : جاءني  
أحد من الناس ، ولا تقول جاءني أحد فالواحد منفرد بالذات ، وعدم المثل والنظير  
والأحد المنفرد بالمعنى ( ٣ ) .

وجاء في القاموس : " التوحيد الإيمان بالله وحده أي : التصديق بما جاء به النبي  
صلى الله عليه وسلم من الخبر الدال على أن الله - تعالى - واحد في ألوهيته لا شريك  
له " أ. هـ ( ٤ )

( ١ ) هو : المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري  
أبو السعادات مجد الدين ، المحدث اللغوي الأصولي ، ولد سنة أربع وأربعين  
وخمسمائة وتوفي سنة ست وستمائة هجرية . أنظر ترجمته في " وفيات الأعيان " .  
٤٤١ / ١ ، الكامل لابن الأثير ٢٨٨ / ١٢ ، الأعلام ١٥٢ / ٦ .

( ٣ ) النهاية ١٥٩ / ٥ .

( ٣ ) ١٩٤ / ٥ ، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٥٨ .

( ٤ ) ٣٥٦ / ١ .

ومن هذه النصوص اللغوية يتبين أن هذه الطادة - وحدة - تدور حول انفراد  
الشيء بذاته ، أو بصفاته ، أو بأفعاله ، وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه ، وإذا  
عدى بالتضعيف فيقال : - وَحَدَّ الشَّيْءُ تَوْحِيدًا - كان معناه إما جعله واحداً ، أو  
اعتقده واحداً .

( ١ )  
قال تعالى حكاية عن المشركين ( أجعل الآلهة لها واحداً إن هذا لشيء عجاب )  
فاسمه - تعالى - " الواحد " معناه : الإعتقاد الجازم بأن الله - تعالى - واحد  
لا شريك له ، ونفي المثل والنظير عنه ، والتوجه إليه وحده بالمعبادة وإذا قيل : الله  
واحد كان معنى ذلك انفراده بطه من ذات وصفات وعدم مشاركته غيره فيها فهو -  
سبحانه - واحد في الهيته فلا إله غيره ، وواحد في ربوبيته فلا رب سواه ، وواحد  
في كل ما ثبت له من صفات الكمال التي لا تنبئ إلا له - جل وعلا -

وأما تفسير المتكلمين لاسمه - تعالى - " الواحد " بأنه واحد لا يتجزأ ولا ينقسم  
فهذا من الألفاظ المتعددة المخترعة التي لم ينطق بها أحد من سلف الأمة وأئمتها  
ولم يرد ذكر هذا التفسير في عقائد أهل السنة والجماعة وإنما هو من جنس ما يذكره  
أهل البدع من قولهم ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم ، وليس له أعراض ولا أبعاد إلى  
ذلك ما خالفوا فيه أهل السنة والجماعة ، ومن خلال هذه الألفاظ يتوصلون إلى نفي  
الكثير من صفات الله - عز وجل - قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " فإنهم  
إذا قالوا لا قسم له ولا جزء له ، ولا شبهة له ، فهذا اللفظ هو وإن كان يراد به معنى  
صحيح فإن الله ليس كمثله شيء وهو - سبحانه - لا يجوز عليه أن يتفرق ، ولا يفسد  
ولا يستحيل بل هو أحد صمد ، والصمد الذي لا جوف له ، وهو السيد الذي كمل  
سؤدده فإنهم يدرجون في هذه نفي علوه على خلقه ، ومباينته لمصنوعاته ونفي ما بنفونه  
ويقولون : إن اثبات ذلك يقتضى أن يكون مركباً منقسماً ، وأن يكون له شبهة ، وأهل العلم  
والإيمان يعلمون أن مثل هذا لا يسمى في لغة العرب التي نزل بها القرآن تركيباً  
وانقساماً ، ولا تمثيلاً وهكذا الكلام في مسمى الجسم والعرض والجوهر والتحيز وحلول

الحوادث وأمثال ذلك ، فإن هذه الألفاظ يدخلون في مسطها الذي ينفونه أموراً  
 مط وصف به نفسه ، ووصفه بها رسوله فيدخلون فيها نفي العلم والقدرة والكلام إلى  
 غير ذلك من الصفات بدعوى أن ذلك لا تكون إلا لمتحيز في جهة وهو جسم " أ. هـ (١)  
 فكلام شيخ الإسلام يستفاد منه أن قول - المتكلمين - في اسمه - تعالى - " الواحد "  
 أنه الذي لا ينقسم ولا يتجزأ قول مبتدع مخترع لم يقل به أحد من السلف .  
 وأما صفة " القهر " فقد دل على قهوتها - للباري جل و علا - اسمه - تعالى -  
 القهار " .

قال في القاموس : " القهر " الغلبة " والقهار " من صفاته تعالى " أ. هـ ( ٢ ) .  
 وجاء في المفردات لفريب القرآن : القهر الغلبة والتذليل معا ويستعمل في  
 كل منهما " ( ٣ ) .  
 وقال ابن الأثير : القاهر الغالب على جميع الخلائق قهره يقهره فهو قاهر  
 وقهار للمبالغة " أ. هـ ( ٤ ) .

فمن هذه النصوص اللغوية ندرك معنى اسمه - تعالى - " القهار " ومعناه الذي  
 يغلب على كل شيء ، ويبسط سلطانه على كل مخلوق ، ولا يعترض عليه ما يريد ، ولا  
 يفلت من قبضته جبار تمرد على جبروته ، ولا متكبر نازعه رداً كبريائه بل هو - سبحانه -  
 آخذ بنواصي عباد ، فمن تمرد عليه قصمه وأذله ، ومن خالف أمره أخذه نكال الآخرة  
 والأولى ، وجعله عبرة ومثلاً لغيره ، بسط - سبحانه - سلطانه على كل الكائنات  
 فاستجابت لأمره وخضعت لحكمته ، وسارت على النهج الذي رسمه لها .  
 فجميع الموجودات خاضعة لسلطانه - سبحانه - مدعنة لعشيته مقهورة لإرادته .

قال تعالى : ( ولله يسجد ط في السموات و ط في الأرض من دابة و ط لللائكة وهم  
 لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ط يؤمنون ) ( ٥ ) .

( ١ ) درء تعارض العقل والنقل : ٢٢٨ / ١ ( ٢ ) ١٢٨ / ٢ .  
 ( ٣ ) ص ٤١٤ ( ٤ ) النهاية في غريب الحديث شوالاً ٤ / ١٢٩ .  
 ( ٥ ) سورة النحل آية : ٤٩ - ٥٠ .

وقال تعالى : ( ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليها العذاب ، ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء ) ( ١ ) .

وللقهار - سبحانه - سنن قهريها كل عظيم ، وأخضع لحكمها كل جبار عنيد ، وتتجلى مظاهر اسمه - تعالى - " القهار " في مصابير الأمم مثل قوم نوح ، وهاد ، وثمود ، ومثمل قارون ، وفرعون ، فهؤلاء جميعا اغتروا بقوتهم ، فأمعنوا في الظلم ، وأسرفوا في الطغيان فكان بنغيهم ، وطغيانهم وبالا عليهم ،

قال تعالى : ( فلأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ) ( ٢ ) .

بل قهر - سبحانه - وتعالى الأخيار والأشرار وكل ذي روح بالموت الذي يدرکہم أينما يكونون ، ولو كانوا في بروج مشيدة .

وقهرهم جميعا بالبعث بعد الموت ولو استطاع الأشرار سبيلا إلى الفرار من البعث لآثروا أن يكونوا ترابا حتى لا يعودوا إلى الحياة الأخرى ليلقوا ما أعد لهم من عذاب الهون جزاء ما كانوا يعملون ( يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ) ( ٣ ) .

ثم إن الآية التي صدرنا بها هذا المبحث وهي قوله تعالى ( لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى ما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ) ( )

قلنا : إنها دلت على إثبات صفتي الوحدانية والقهر - للباري سبحانه وتعالى - وقد بينا وجه دلالتها على ذلك .

وأيا : مع دلالتها على ما ذكرنا فقد لفت الأنظار إلى أنه إن ما يرغب في الولد من يرغب فيه ليشد به أزره ويستكثر به من قله ، ويعتز به من ذلك ، وللمسارعة للنجدة

( ١ ) سورة الحج آية : ١٨ .

( ٢ ) سورة الحج آية : ٤٥ .

( ٣ ) سورة النبأ آية : ٤٠ .

والنصرة ، وهذا شأن المخلوق الضعيف .

أما الواحد القهار - سبحانه - الذي خضع لأمره كل شئ ، وسط سلطانه على جميع هذا الكون فهو الغني عن العالمين لأنه خالقهم ورازقهم ومدبر أمرهم ولو شاء أن يتخذ ولدا لأصطفى من خلقه ما يشاء ولكنه - سبحانه - لا يشاء ما يخالف حكمته وينافي كماله - سبحانه - هو الله الواحد القهار ، وقد جمع الله - سبحانه - بين وحدانيته وقهره في عدة مواضع من كتابه :

قال تعالى حكاية من يوسف عليه السلام ( يا صاحبي السجن ) أرباب متفرقون

خير أم الله الواحد القهار ( ١ ) .

فهذه الآية تبين لنا أن نبي الله يوسف عليه السلام دعا صاحبي السجن إلى الله وإلى الإسلام وقال لهم : أعباد أرباب شتى متفرقين وآلهة لا تنفع ولا تضر خير أم عبادة المعبود الواحد الذي لا ثاني له في قدرته وسلطانه الذي قهر كل شئ ، فذللوه ، وسخره فاطاعه طوعا وكرها ( ٢ ) .

وقال تعالى : ( قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار ( ٣ ) .

بدأ - سبحانه - في هذه الآية بالإشارة إلى مظاهرة قهره ، وطاعة سائر المخلوقات له من خلق السموات والأرض ، ثم أشار - سبحانه - بأنه لا يستوى الأعمى والبصير ، كما لا تستوى الظلمات والنور ليوجه أذهان العباد إلى الذي خلق السموات والأرض هو الجدير بأن يخصه الناس بالعبادة ثم أشار إلى ضلال المشركين الذين انصرفوا عن عبادة الله ودعوا سواه ، ما الذي صرفهم عن عبادة الواحد القهار؟ أظنوا أن له شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم فاختلط الأمر في أعينهم فلم يميزوا بين خلق

( ٢ ) انظر جامع البيان : ٢١٩ / ١٢ .

( ١ ) سورة يونس آية : ٣٩ .

( ٣ ) سورة الرعد آية : ١٦ .



- الباري - وخلق غيره فعبدوا من ظنوهم خالقين مع الله ، ولو تدبروا وتفكروا قليلا لعرفوا أن الله - سبحانه - هو خالق كل شيء ، مولى كل شيء ، وأنه لا رب غيره ولا خالق سواه إذ كل الكون ناطق بأنه الواحد القهار .

وقال تعالى : ( يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد

القهار ) ( ١ ) .

وهذه الآية أيضا : أشار الله - تعالى - فيها إلى بعض مظاهر قهره ونفوذ مشيئته في تبدل السموات والأرض وجمعه الخلاق ليوم المعاد الذي لا ريب فيه ، ولا جرم أن الذي يستطيع أن يغير السموات والأرض ويجمع الخلاق ليجزيهم بأعطالهم دين أن يعترض إرادته معترض ، أو يحول دين تنفيذ مشيئته حائل لا بد أن يكون إلهها واحدا لا معقب لحكمه ولا شريك له في ملكه فهو يفعل ما يشاء ولا بد أن يكون قهارا غالبا على كل شيء ولا يغلبه شيء - سبحانه - هو الله الواحد القهار .

وقال تعالى : ( قل إنط أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار ) ( ٢ ) .

وفي هذه الآية : أمر الله نبيه أن يبين للناس بأنه منذر ، ينذر الناس بطشة الله كما أمره أن يبين لهم بأنه ليس في الوجود إلا إله واحد هو الله الواحد القهار .

وقال تعالى : ( لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ) ( ٣ ) .

بشير - جل و علا - في هذه الآية إلى يوم القيامة حين يرث الواحد القهار الأرض ومن عليها ، ويسترد الملك من كل ذي ملك ، والسلطان من كل ذي سلطان ، ويشهد الخلق جميعا أن الملك لله الواحد القهار ، والمتدبر لإثبات صفتي الوجدانية والقهر الثابتة لله - جل و علا - على ما يليق به بدرك شناعة الخطأ الذي وقع فيه القبوريون الذين يلجئون إلى غير الله حيث يطلبون منهم الحاجات ويستعينون بهم على نيل المطالب ، والمعجب لهم كيف سول لهم الشيطان أن يتركوا الواحد القهار ، ويتجهون إلى المقهورين ، وينصرفون عن الغالب إلى المغلوبين وأسما

( ٢ ) سورة (ص) آية : ٦٥ .

( ١ ) سورة إبراهيم آية : ٤٨ .

( ٣ ) سورة غافر آية : ١٦ .

الله وصفاته تنادي جميع المخلوقين بتجريد التوحيد لله وحدة لا شريك له ، وبأنه  
غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

## المبحث الثامن

## اثبات صفتي الرحمة والمغفرة

## معنى الرحمة:

جاء في النهاية: في أساطير الله تعالى - "الرحمن الرحيم" وهما اسمان مشتقان من الرحمة مثل ندمان، ونديم وهما من أبنية العبالغة، و"رحمن" أبلغ من "رحيم" و"الرحمن" خاص لله - تعالى - لا يسمى به غيره ولا يوصف .

والرحيم" يوصف به غير الله فيقال: رجل رحيم، ولا يقال: رحمن "أ. هـ (١) .

وقال صاحب القاموس: "الرحمة: الرقة والمغفرة والتعطف... أ. هـ (٢) (٣)

قال العلامة ابن القيم: "وأما الرحمة فهي التعلق والسبب الذي بين الله وبين عباده فالتأليه عنهم له، والربوبية منه لهم، والرحمة سبب واصل بينه وبين عباده بها أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبها هداهم، وبها أسكنهم دار ثوابه وبها رزقهم وما فاهم، وأنعم عليهم فبينهم وبينه سبب العبودية وبينه وبينهم سبب الرحمة، واقتران ربوبيته برحمته كاقتران استوائه على عرشه فإ (الرحمن على العرش

استوى) (٤) مطابق لقوله (رب العالمين) (الرحمن الرحيم) فإن شمول الربوبية وسعتها بحيث لا يخرج شيء منها أقصى شمول الرحمة وسعتها فوسع كل شيء برحمته وربوبيته مع أن في كونه ربا للعالمين ما يدل على علوه على خلقه وكونه فوق كل شيء" (٥) أ. هـ

(١) ٣/٣٩٠

(٢) هو: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو طاهر مجد الدين الفيروز آبادي كان من أئمة اللغة والأدب ولد سنة تسع وعشرين وسبعمائة وتوفي سنة سبع عشرة وثمانمائة هجرية. انظر ترجمته في "الهدر الطالع"

٢/٢٨٠، كشف الظنون ٢/١٦٥٧

(٣) القاموس "طه" ٢/١٠٦

(٤) سورة (طه) آية: ٥٠

(٥) مدارج السالكين: ١/٣٥٠

معنى المغفرة :

قال الزجاج رحمه الله تعالى : " المغفور " هو فعول من قولهم غفرت الشيء إذا

سترته وفعول موزع للمبالغة وكذلك فعال " ( ١ ) .

وجاء في النهاية : " الغفار السائر لذنوب عباده وعبوبهم المتجاوز عن خطاياهم

وذنوبهم ، وأصل الغفر التغطية يقال : غفر الله لك ففرا ، وفردنا ومغفرة والمغفرة

إلباس الله - تعالى - العفو للمؤمنين " ( ٢ ) .

وجاء في القاموس : ففره ستره وففر الله ذنبه وففره ففرا . . . . . غطى عليه وعفا

عنه " ( ٣ ) .

وقال العلامة ابن رجب ( ٤ ) رحمه الله تعالى : " المغفرة هي وقاية شر الذنوب

مع سترها " أ.هـ ( ٥ ) .

والذي نستفيده من هذه الأقوال التي ذكرت حول بيان معنى اسمه - تعالى -

" الرحيم " أو اسمه تعالى " المغفور " .

أن اسمه تعالى - " الرحيم " يدل على كثرة من تناله الرحمة من خالقه فهي صفة

فعل باعتبار تجددها على حسب أحوال المرحومين ، وهي صفة ذات باعتبار أصلها

لأن الله - تعالى - لم يزل ولا يزال متصفا بهذه الصفة .

ويدل اسمه ( الرحيم ) على أنه - تعالى - يرحم خلقه برحمته ويتجاوز عن سيئاتهم

مهما بلغت صغرت أم كبرت إذا أتوا بأسباب التوبة وصدقوا رغبتهم في طلبها .

وأما اسمه - تعالى - " المغفور " فمعناه هو الكثير المغفرة وأن المغفرة ستر الذنوب

والتجاوز عنها والعفو عن مقترفها وصورته من أن يمسه العذاب بسببها وإلباسهم

العفو .

( ١ ) تفسير أساطير الله الحسنى ص ٩٦ - ( ٢ ) ٣ / ٣٧٢ - ( ٣ ) ٢ / ١٠٦ .

( ٤ ) هو : الإطام الحافظ : عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم

الدمشقي أبو الفرج زين الدين ولد في بغداد سنة ست وثلاثين وسبع مائة

وتوفي سنة خمس وتسعين وسبع مائة هجرية في دمشق . انظر ترجمته في :

شذرات الذهب ٦ / ٣٣٩ الدرر الكامنة ٢ / ٣٢١ ، طبقات الحفاظ للسيوطي

ص ٥٤٠ رقم الترجمة " ١١٧٠ " .

( ٥ ) جامع العلوم والحكم ص ٣٤٤ .

عن خطيآتهم فالله - سبحانه وتعالى - " غفور " أى كثير الستر لذنوب عباده المؤمنين عظيم التجاوز عنهم .

وقد دلت سورة " الزمر " على إثبات صفتي الرحمة والمغفرة - للرب جل جلاله - فى آيتين منها :

قال تعالى : ( ألا هو العزيز الغفار ) .

وقال تعالى : ( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا إله هو الغفور الرحيم )

فهاتان الآيتان من السورة تضمنتا إثبات صفتي الرحمة والمغفرة - للبارى جلا وطلا - فقد أمر الله نبيه فى الآية الثانية من هاتين الآيتين أن يبلغ عباده المؤمنين أن لا يياسوا من مغفرته فانه - سبحانه - يغفر الذنوب جميعا مهبط أسرفوا على أنفسهم وأفرطوا ما عدا الإشارك بالله - سبحانه - فانه لا يغفره إلا بالتوبة منه بالدخول فى دين الحق فهو سبحانه - ذو مغفرة عظيمة ورحمة واسعة للمقبلين عليه المنيبين إليه ، والمنقادين له انقيادا تاما ظاهرا وباطنا عن طواعية ورضى .

قال ابن جرير رحمه الله تعالى : عند قوله تعالى ( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . . . . ) الآية " اختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بهذه الآية .

فقال بعضهم : عنى بها قوم من أهل الشرك قالوا : لما دعوا إلى الايمان بالله كيف نؤمن ، وقد أشركنا وزنينا وقتلنا النفس التي حرم الله والله - يحد - فاعل ذلك النار فط ينفعنا مع ما قد . سلف منا الايمان فنزلت هذه الآية والذين قالوا : بهذا القول هم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ومجاهد ( ١ ) وعطاء ( ٢ ) وزيد بن أسلم

( ١ ) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولى مكي ، ثقة إمام فى التفسير وفى العلم مات سنة أربع و مائة هجرية . التقريب ٢ / ٢٢٩ .  
( ٢ ) عطاء هو : ابن أبى رباح أسلم القرشى - مولى مكي ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الأرسال فى سنة خمس عشرة عشرة و مائة هجرية انظر التهذيب ٧ / ١٩٩ وما بعدها

وقتادة والسدى وابن زيد ( ١ ) والشعبي ( ٤ ) رحمهم الله تعالى .

وقال آخرون : بل عنى بذلك أهل الإسلام وقالوا : تأويل الكلام إن الله يغفر

الذنوب جميعا لمن يشاء قالوا : وهى كذلك فى مصحف عبد الله ، وقالوا : إنما نزلت

هذه الآية فى قوم صدّهم المشركين عن الهجرة وفتنّوهم فأشفقوا أن لا يكون لهم توبة

وقال : بهذا القول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وعلى بن أبى طالب ومحمد بن كعب

القرظبي وثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : نزلت فى قوم كانوا يرون أهل الكباثر من أهل النار فأعلمهم الله

بذلك أنه يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء ، وهذا قول آخر لعبد الله بن عمر رضى الله

عنهما .

وقال ابن جرير : " وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : عنى - تعالى -

ذكرة بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الإبطان والشرك <sup>لأن الله</sup> عم بقوله ( يا عبادى الذين

أسرفوا على أنفسهم ) .

جميع اتلمسرفين فلم يخصص به مسرفا دون مسرف .

فإن قال قائل : فيغفر الله الشرك ؟ قيل نعم : إذا تاب منه المشرك وإنما عنى بقوله ¼

( إن الله يغفر الذنوب جميعا ) لمن يشاء . . . . . وأن الله قد استثنى منه الشرك

إذا لم يتب منه صاحبه فقال ( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن

يشاء ) ( ١ ) .

فأخبر أنه لا يغفر الشرك إلا بعد توبة بقوله ( إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا

فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ) ( ٤ ) .

فأما ما عداه فإن صاحبه فى مشيئة ربه إن شاء تفضل عليه فعفا له عنه وإن شاء عدل

( ١ ) هو : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوى ، مولىهم العدنى روى عن أبيه ، تقريب

التهديب ١ / ٤٨٠ ، طبقات المفسرين للداودى ١ / ٢٧١ .

( ٢ ) هو : عامر بن شراحيل الشعبي أبو عمرو ثقة مشهور فقيه فاضل توفي بعد الطاعة

أنظر التقريب ١ / ٣٨٦ .

( ٤ ) سورة الفرقان آية : ٧٠ .

( ٣ ) سورة النساء آية : ٤٨ .

عليه فجا زاهيه

وأما قوله ( لا تقنطوا من رحمة الله ) فإنه يعني : لا تيأسوا من رحمة الله وقوله ( إن الله يغفر الذنوب جميعاً ) يقول : إن الله يستر على الذنوب كلها بعفوه عن أهلها وتركه عقوبتهم عليها إذا تابوا منها ( إنه هو الغفور الرحيم ) بهم أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها " أ. هـ ( ١ ) .

وأما العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى فقد قال : حول الآية ( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ) " هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة . وإخبار بأن الله تبارك وتعالى - يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها - وإن كانت مهبطاً كانت ، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر ولا يصح حمل هذه على غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه " ( ٢ ) .

وقد استدلل ابن كثير رحمه الله - تعالى - على أنه لا يصح حمل هذه الآية على غير توبة بما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا ، وزنوا فأكثروا فأتوا محمداً صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن الذي يقول : وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا بأن لنا عملنا كفارة فنزل ( الذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ) ( ٣ ) ونزل ( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ) ( ٤ ) .

قال ابن كثير : والمراد من الآية الأولى - أي آية الفرقان - قوله تعالى ( إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً ) ( ٥ )

فابن جرير وابن كثير رحمهما الله - تعالى - اعتبر الآية عامة في جميع المسرفين

- 
- ( ١ ) جامع البيان ١٤/٢٤ - ١٧ .
  - ( ٢ ) تفسير القرآن العظيم ٦/١٠٠ وانظر مجموع الفتاوى ١٦/١٨ - ٣٢ .
  - ( ٣ ) سورة الفرقان آية : ٧٠ .
  - ( ٤ ) صحيح البخاري ٣/١٨٢ ، ورواه مسلم أيضاً : ٤/٢٣١٨ .
  - ( ٥ ) تفسير القرآن العظيم ٦/١٠٠ والآية رقم ( ٧١ ) من سورة الفرقان .

فى الذنوب من بنى آدم ، وأنه - تعالى - يغفر جميع ذلك مع التوبة النصوح ولا يجوز لعبد أن يقنط نفسه ، أو غيره من رحمة الله - تعالى - ومغفرته اللتين هما من صفات الكمال ولذلك اتصف بهما رب العالمين - سبحانه وتعالى - .  
وصفتا الرحمة والمغفرة وردا فى كتاب الله تعالى فى مواضع كثيرة :

قال تعالى : ( وإلهم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ) ( ١ ) .

وقال تعالى : ( الرحمن على العرش استوى ) ( ٢ ) .

قال العلامة ابن القيم : " صفات الإحسان والجلود والبر والمنة والرأفة واللفظ باسم الرحمن " وكررا يذانا بثبوت الوصف وحصول أثره وتعلقه بمتعلقاته " فالرحمن " الذي الرحمة وصفه ، والرحيم الراحم لعباده ولهذا يقول تعالى ( ركان بالمؤمنين رحيما )  
( ٣ )  
( إنهم بهم رؤوف رحيم ) ( ٤ ) .

ولم يجىء رحمن بعباده ، ولا رحمن بالمؤمنين مع ط فى اسم " الرحمن " الذي هو على وزن " فعلان " من سعة هذا الوصف وثبوت جميع معناه الموصوف به .

ألا ترى أنهم يقولون : غضبان للعقلى غضبا ، وندمان وحيران ، وسكران ، ولهفان لمن ملئ بذلك فبنا " فعلان للسعة والشمول ولهذا يقرب استواءه على العرش بهذا الاسم كثيرا ( ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا ) ( ٥ ) .

فاستوى على عرشه باسم الرحمن لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم كط قال تعالى ( ورحمتي وسعت كل شىء ) ( ٦ ) فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات فلذلك وسعت رحمته كل شىء .

وروى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لظ قضى الله الخلق كتب فى كتاب فهو موضع على العرش

ان رحمتي تغلب غضبي " فى لفظ ( فهو عنده على العرش ) ( ٧ ) .

- |                                                   |                                |
|---------------------------------------------------|--------------------------------|
| ( ١ ) سورة البقرة آية : ١٦٣ .                     | ( ٢ ) سورة " طه " آية : ٥ .    |
| ( ٣ ) سورة الأحزاب آية : ٤٣ .                     | ( ٤ ) سورة التوبة آية : ١١٧ .  |
| ( ٥ ) سورة الفرقان آية : ٥٩ .                     | ( ٦ ) سورة الأعراف آية : ١٥٦ . |
| ( ٧ ) صحيح البخارى ٢ / ٢٠٨ ، صحيح مسلم ٤ / ٢١٠٧ . |                                |



فتأمل اختصاص هذا الكتاب بذكر الرحمة ووضعه عنده على العرش وطابق بين ذلك وبين قوله ( الرحمن على العرش استوى ) ( ١ ) وقوله ثم استوى على العرش الرحمن فأسأل به خبيراً ) ( ٢ ) يفتح لك باب عظيم من معرفة - الرب تبارك وتعالى - إن لم يغلقه منك التعطيل والتجهيم " أ. هـ ( ٣ ) .

فرحمته - تعالى - عمت كل شيء في العالم العلوي والسفلي البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فلا يخلو مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمته ، وغمره فضله ، وإحسانه ، ولكن هناك رحمة خاصة ليست لكل أحد ، وهي المقصودة بقوله ( نسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ) ( ٤ ) .

وقال تعالى ( قل لمن ما في السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ) ( ٥ ) ، هذه الآية أمر الله - تعالى - نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يقول للمشركين مقرباً وملزماً بالتوحيد : لمن ما في السموات فإن أجابوك وإلا فقل إن الله هو السميع الخلق هذا الكون وهو مالك ، ومتصرف فيه كيف يشاء ثم أخبر بأنه كتب على نفسه الرحمة ترغيباً للمتولين عن الإقبال عليه ، وإخباراً منه بأنه رحيم بالعباد قادر على أن يعاجلهم بالعقوبة ولكنه كتب على نفسه الرحمة ووعد بها فضلاً منه ، وإحساناً ولم يوجبها عليه أحد ، والكتابة تكون شرعية ، وتكون كونية فالكتابة الشرعية الأمرية مثل قوله تعالى ( كتب عليكم الصيام ) ( ٦ ) والكونية القدرية كقوله تعالى ( كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ) ( ٧ ) فالمراد بالكتابة في قوله تعالى ( كتب ربكم على نفسه الرحمة ) كونية قدرية ، فقد كتب على نفسه الرحمة تفضلاً منه ، وإحساناً من غير أن يوجبها عليه أحد .

وقال تعالى : ( الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ) ( ٨ ) .

- 
- ( ١ ) سورة " طه " آية : ٥٠ ( ٢ ) سورة الفرقان آية : ٥٩ .  
 ( ٣ ) مدارج السالكين ١ / ٣٣-٣٤ . ( ٤ ) سورة الأعراف آية : ١٥٦ .  
 ( ٥ ) سورة الأنعام آية : ١٢٠ ( ٦ ) سورة البقرة آية : ١٨٣ .  
 ( ٧ ) سورة المجادلة آية : ٢١ ( ٨ ) سورة غافر آية : ٧ .

هذه الآية تضمنت إثبات الرحمة والمغفرة للذين يبادرون بالتوبة وبمشون على الصراط المستقيم - فسبحمسان - ربنا وسعت رحمته وعلمه كل شيء فط من مسلم ولا كافرا ولا وهو يتقلب في نعم الله التي لا تحصى ولا تعد .

وقال تعالى : ( الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ) ( ١ ) .

فسورة الفاتحة التي هي أول سور القرآن دلت على إثبات صفة الرحمة - للباري جلا و علا - وهي السورة التي اشتملت على أمهات المطالب العالية .  
قال العلامة ابن القيم حول تفسيره لهذه السورة العظيمة : " وتضمنت إثبات النبوات من جهات عديدة :

أحدها : كونه رب العالمين فلا يلقى به أن يترك عباده سدى هملا لا يعرفهم ط ينفعهم في معاشهم ومعادهم ، وط يضرهم فيها فهذا هضم الربوبية ، ونسبة - الرب تعالى - إلى لا يلقى به وط قدره حق قدره من نسبه إليه .

الثاني : أخذها من اسم " الله " وهو المألوه المعبود ولا سبيل للعباد إلى معرفة عبادته إلا من طريق رسله .

الثالث : من اسمه " الرحمن " فإن رحمته تمنع أهمل عباده وعدم تعريفهم ط ينالون به غاية كمالهم ، فمن أعطى اسم " الرحمن " حقه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل وإنزال الكتب أعظم من تضمنه إنزال الغيث ، وإنبات الكلاً ، وإخراج الحب فاقترضا الرحمة لط تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضاها لط تحصل به حياة الأبدان والأشباح لكن المحجوبون إنط أدركوا من هذا الاسم خنك البهائم وأدرك منه أولوا الألباب أمرا ورا ذلك " أ . هـ ( ٢ ) .

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله - تعالى - موصوف بالرحمة والمغفرة .

( ١ ) سورة الفاتحة آية : ١-٢ .

( ٢ ) مدارج السالكين ١ / ٨ ، والتفسير القسيم ص ٧-٩ .

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه بإسناده إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي فإذا امرأة من السبي تبتغي إذ وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقت بهبطنها وأرضعته . فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم " أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟" قلنا : لا . والله وهي تقدر على أن لا تطرحه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لله أرحم بعباده من هذه بولدها " ( ١ ) .

ومما جاء عنه صلى الله عليه وسلم في شأن ثبوت صفة المغفرة لله - جل و علا - الحديث القدسي الذي رواه أبو هرة رضى الله - تعالى - عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن - ربه عز وجل - قال : " أذنب عبدى ذنبا فقال : اللهم اغفر لى ذنبي فقال - تبارك وتعالى - : أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب ، ثم عا فأذنب فقال : أى ربي اغفر لى ذنبي فقال - تبارك وتعالى - أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب اعلم ما شئت فقد غفرت لك " ( ٢ ) .

فهذا من الحدثان دلا على أنه - تعالى - موصوف حقيقة بصفتي الرحمة والمغفرة كما يليق بذاته - جل و علا - كما يقال : في سائر الصفات فالله - تعالى - هو الذى يتطلب منه المغفرة للذنوب ، والرحمة للخلق فط دام العباد منيبين إليه قارعين بابه فإنه يتوب عليهم ويرحمهم برحمته التى وسعت كل شىء ، والذى يتضح من الآيات والأحاديث المتقدمة التى سقناها أدلة على أن الله - تعالى - موصوف بصفتي الرحمة والمغفرة أن الرحمة تنقسم الى قسمين :

القسم الأول : رحمة عامة يشترك فيها المسلم والكافر ، والبر والقاجر والبهايم وسائر الخلق دل على هذا القسم قوله تعالى : ( ورحمتى وسعت كل شىء ) ( ٣ ) .

( ٢ ) المصدر السابق ٤ / ٢١١٢ .

( ١ ) صحيح مسلم ٤ / ٢١٠٩ .

( ٣ ) سورة الأعراف آية : ١٥٦ .

وقوله تعالى : ( ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ) ( ١ ) .

القسم الثاني : قسم خاص بالأنبياء والرسل وعباده المؤمنين دل على هذا القسم قوله

تعالى : ( وكان بالمؤمنين رحيما ) ( ٢ ) ،

وقوله - تعالى - ( إنه بهم رؤوف رحيم ) ( ٣ ) .

والرحمة المضافة إلى الله - تعالى - نوحان :-

النوع الأول : من إضافة المفعول إلى فاعله ومثال هذا النوع الحديث الذي رواه البخاري

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " احتجت الجنة

والنار . . . . . الحديث وفيه " فقال للجنة إنط أنت رحمتي أرحم بك

من أشاء من عبادي " ( ٤ ) فهذه رحمة مخلوقة مضافة إليه إضافة المخلوق بالرحمة

إلى خالقه ، وسماها رحمة لأنها خلقت بالرحمة وللرحمة وخص بها أهل الرحمة ، وإنما

يدخلها الرحمة .

النوع الثاني : مضاف إليه إضافة صفة إلى موصوف وذلك مثل قوله تعالى ( إن رحمة

الله قريب من المحسنين ) ( ٥ ) ورغم كثرة النصوص في إثبات صفتي الرحمة والمغفرة

وشبوتها لله - عز وجل - حقيقة على ما يليق بجلاله وعظيم سلطانه فإنه قد وجد ممن

أنكرها ووجد من أولهط تأويلا باطلا بغير المراد منها ، فالجهمية مذهبهم كما هو

معلوم إنكار صفات الله - تعالى - . وأسماك كلية لا يثبتون له صفة ولا اسما ( ٦ ) . وو

ووافقهم المعتزلة في نفي صفاته - تعالى - . وأثبتوا له أسما بد وصفات ( ٧ ) وهاتان

الطائفتان متفتتان على نفي صفتي الرحمة والمغفرة ، فقد زعموا أن الرحمة ضعف وخور

في الطبيعة وتألم على المرحوم وبناء على هذه الشبهة الباطلة نفوها كلية ويزعمون أن

( ١ ) سورة غافر آية : ٧

( ٢ ) سورة الأحزاب آية : ٤٣ .

( ٣ ) سورة التوبة آية : ١١٧ .

( ٤ ) صحيح البخاري ١٨٢/٣ .

( ٥ ) بدائع الفوائد ١٨٣/٢ والآية رقم ( ٥٦ ) من سورة الأعراف ، وانظر هادي الأرواح

( ٧ ) المصدر السابق : ٢٠/٣ .

( ٦ ) مجمع الفتاوى ٢٠٥٠٥٠٧/١٢ .

هذا من التنزيه وهو في الحقيقة تعطيل وجدد لصفات الله تعالى ، ومن مبالغة الجهمية في إنكارهم صفة الرحمة أن قد وتهم الأول في الضلالة " الجهم بن صفوان " كان يقف على الجذامى ويشاهد ما هم فيه من البلايا ويقول : أرحم الراحمين يفعل مثل هذا يعنى أنه ليس ثم رحمة في الحقيقة ، وأن الأمر راجع إلى محض المشيئة الخالية عن الحكمة والمرحمة ، ولا حكمة عنده ولا رحمة ، فان الرحمة لا تعقل إلا من فعل من يفعل الشيء لرحمة فيره ونفعه ، والأحسان إليه ، فإذا لم يفعل لغرض ولا غاية ولا حكمة لم يفعل الرحمة فالإحسان " ( ١ ) .

فإمام الجهمية في الضلال ينكر رحمة الله وحكمته وعلى ذلك جرى أتباعه أم شبهة الجهمية وأفراخهم المعتزلة التي أدت بهم إلى انكار صفة الرحمة وهي قولهم : أن الرحمة ضعف وخور في الطبيعة ، وتألم على المرحوم فهذا زعم باطل من وجوه : الوجه الأول : أن الضعف والخور مذموم من الآدميين والرحمة ممدوحة قال تعالى : ( وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ) ( ٢ ) ، وقد نهى الله عن الوهن والحزن فقال : ( ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلين إن كنتم مؤمنين ) ( ٣ ) ، وندبهم إلى الرحمة فقد قال صلى الله عليه وسلم " لا تنزع الرحمة إلا من شقى " ( ٤ ) وقال : من لا يرحم لا يرحم " ( ٥ ) وقال " الراحمون يرحمهم الرحمن " ( ٦ ) ومحال أن يقول : لا ينزع الضعف والخور إلا من شقى ، ولط كانت الرحمة تقارن في حق كثير من الناس بالضعف والخور كما في رحمة النساء ، ونحو ذلك ظن الغالط أنها كذلك مطلقا .

- 
- ( ١ ) مجموع الفتاوى ١٧٧/١٧ ، إغاثة اللهيان ١٧٧/٢ ، شفاء العليل ص ٢٠٢ .  
 ( ٢ ) سورة البلد آية : ١٧ . ( ٣ ) سورة آل عمران آية : ١٣٩ .  
 ( ٤ ) رواه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ٣٠١/٢ .  
 ( ٥ ) متفق عليه : صحيح البخارى ٥١/٤ ، صحيح مسلم ١٨٠٩/٤ كلاهط من حديث أبي هريرة .  
 ( ٦ ) رواه أبو داود في سننه ٥٨٢/٢ والترمذى ٢١٧/٣ كلاهط من حديث عبد الله ابن عمرو .

الوجه الثاني : أنه لو قدر أنها في حق المخلوقين مستلزمة لذلك لم يجب أن تكون في حق الله - تعالى - مستلزمة لذلك ، كما أن العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام فيما يستلزم من النقص والحاجة ما يجب تنزيه الله عنه .

الوجه الثالث : إنا نعلم بالإضطرار أننا إذا فرضنا موجودين أحدهما يرحم غيره فيجلب له المنفعة ، ويدفع عنه الضرر ، والآخر قد استوى عنده هذا وهذا وليس عنده ما يقتضى جلب منفعة ولا دفع ضرر كان الأول أكمل " ( ١ ) .

وأما مذهب الأشعرية : في صفتي الرحمة ، والمغفرة فانهم يؤولسونها بغير المراد منها ، فقد تأولوا صفة الرحمة بمعنى الإحسان ، أو إرادة الإحسان قال البيهقري ( ٢ ) و " الرحمن الرحيم " صفتان مأخوذتان من الرحمة بمعنى الإحسان أو إرادة الإحسان لاستحالة ذلك في حقه - تعالى - فالرحمن الرحيم " في حقه بمعنى المحسن ، أو مراد الإحسان لكن الأول بمعنى المحسن بجلال النعم أي : بالنعم الجليلة والثاني بمعنى بدقائق النعم أي : بالنعم الدقيقة " أ. هـ ( ٣ )

وذكر صاحب الجوهرة مذهب الأشاعرة في الصفات فقال :

وكل نص أوهم التشبيهاً أوله أو فوض ورم تنزيهاً ( ٤ )

وقال الرازي : بعد أن ذكر بعض الصفات الفعلية : " إن هذه المتشابهات يجب القطع بأن مراد الله منها شيء غير ظواهرها كما يجب تفويض معناها إلى الله - تعالى - ، ولا يجوز الخوض في تفسيرها " ( ٥ ) .

فذهب الأشعرية عموط إثبات بعض الصفات وتأويل الكثير منها بغير المراد منها فتأويلهم صفة الرحمة بمعنى الإحسان ، أو إرادة الإحسان مغالطة ظاهرة إذ الحق إثبات صفة الرحمة كما يليق بجلاله - تعالى - كالأقول في سائر الصفات ، والرحمة

( ١ ) مجموعة الرسائل والمسائل : ٤ / ٢٦٦-٢٢٧ .

( ٢ ) هو : إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي الباجوري المتوفى سنة ١٢٧٧ هـ .

( ٣ ) تحفة المرید علی جوهرة التوحيد ص ٣ .

( ٤ ) المصدر السابق ص ٩١ .

( ٥ ) أساس التقديس ص ٢٢٣ .

لا تنفك عن إرادة الإحسان فهي مستلزمة للإحسان " أو إرادته استلزام الخاص للعام  
فكما أنه يستحيل وجود الخاص بدون العام ، فكذلك الرحمة بدون الإحسان أو إرادته  
وبعض الأشاعرة تأول صفة الرحمة بمعنى الثواب ، ويرد على هذا التأويل البعيد  
عن الحق والصواب - بأن البارئ سبحانه - قد فرق بين رحمته ورضوانه وثوابه المنفصل  
فقال : ( يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نصيم مقيم ) ( ١ ) .

فالرحمة والرضوان صفتة ، والجنة ثوابه وهذا يبطل قول من جعل الرحمة والرضوان  
ثوابا منفصلا مخلوقا ، وقول من قال : هي إرادته الإحسان فإن إرادته الإحسان من  
لوازم رحمته فإنه يلزم من الرحمة أن يريد الإحسان وكذلك لفظ اللعنة والفضب ، والمقت  
هي أمور مستلزمة للعقوبة فإذا انتفت حقائق تلك الصفات انتفى لازمها فإن ثبوت لازم  
الحقيقة مع انتفائها ممتنع ، فالحقيقة لا توجد منفكة عن لوازمها " ( ٢ ) .

والذي نخلص إليه ما تقدم أن صفتي الرحمة ، والمغفرة ثابتتان - للبارئ سبحانه -  
على ما يليق به ، والذين نفوهما أو أولوهما بغير المراد منهما ليس معهم ما يبيدهم  
على دعواهم أي دليل لا من الكتاب ولا من السنة ، ولا من العقل ، أو الفطرة ، أو اللغة  
وانط الذي حملهم على مزاعمهم الباطلة ، انط هو قياسهم الخالق على المخلوق وتباع  
الهوى الذي جرهم إلى النفي والتعطيل وتحريف الكلم عن مواضعه نعوذ بالله من  
شر ذلك .

( ١ ) سورة التوبة آية : ٢١ .

( ٢ ) انظر مختصر الصواعق المرسله ٢ / ١٢١ .

## ( المبحث التاسع )

## إثبات صفة الغنى لله تعالى

لقد دلت السورة على إثبات صفة الغنى المطلق - للبارى جل و علا - في آية واحدة منها وهي قوله تعالى :-

( إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور ) .

هذه الآية الكريمة من السورة أثبتت صفة الغنى التام المطلق لله - جلا و علا - من

جميع الوجوه والإعتبارات لكطاله ، وكمال صفاته - سبحانه وتعالى - فصفة الغنى لله

- سبحانه وتعالى - ثابتة بنص القرآن والسنة ، وفناء سبحانه - لازم لذاته .

جاء في النهاية " في أسماؤه الله - تعالى - " الغنى " هو الذي لا يحتاج إلى أحد

في شيء ، وكل أحد يحتاج إليه ، وهذا هو الغنى المطلق ، ولا يشارك الله - تعالى -

فيه غيره ، ومن أسماؤه - تعالى - " المعنى " وهو الذي يغنى من يشاء من عباده <sup>(١)</sup> . هـ .

وجاء في المفردات في القرآن : " الغنى يقال على ضرب :

أحدها : عدم الحاجات وليس ذلك إلا لله - تعالى - وهو المذكور في قوله ( وإن الله

لهو الغنى الحميد ) ( ٢ ) وقول تعالى : ( يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله

هو الغنى الحميد ) ( ٣ ) .

الثاني : قلة الحاجات وهو المشار إليه بقوله ( ووجدك عائلا فأغنى ) ( ٤ ) .

الثالث : كثرة القنيات بحسب ضرب الناس ومنه قوله تعالى : ( يحسبهم الجاهل أغنياً

من التعفف ) ( ٥ ) أي : لهم غنى النفس ، وبحسبهم الجاهل أن لهم القنيات لط يرون

فيهم من التعفف والتلطف " . أ . هـ . ( ٦ ) .

( ١ ) النهاية في غريب الحديث والأثر : ٣ / ٣٩٠ .

( ٢ ) سورة الحج آية : ٦٤ . ( ٣ ) سورة فاطر آية : ١٥ .

( ٤ ) سورة الضحى آية : ٨ . ( ٥ ) سورة البقرة آية : ٢٧٣ .

( ٦ ) المفردات للراغبين ٣٦٦ ، وانظر المنهاج في شعب الإيطان للحليمي " ١٩٧١ .



فالذي يستفاد من التحريف اللغوي لاسمه - تعالى - " الغني " أن الله - تعالى -

متصف بصفة الغنى المطلق من جميع الوجوه فلا يتطرق إليه نقص بوجه من الوجوه ، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً لأن غناه - سبحانه - من لوازم ذاته ، كما لا يكون إلا خالفاً ، قادراً رازقاً ، محسناً ، فلا يحتاج إلى أحد بحال من الأحوال فهو - تعالى - الغني الذي بيده خزائن الأرض والسماوات ، وهو الذي يغني جميع خلقه غني عاماً وهو الذي يغني خواص خلقه بما يفيض على قلوبهم من حقائق الإيمان ومعرفتهم ربهم معرفة تامة تزيدهم إيماناً و يقيناً ، فجميع الخلائق مفتقرة إليه - سبحانه وتعالى - في وجودها فلا وجود لها إلا به ، ومفتقرة إليه في قيامها فلا قيام لها إلا به - جل و علا - فهو القيم ، القائم بنفسه فلا يحتاج إلى شيء ، القيم لغيره فلا قوام لشيء إلا به ، والقائم على غيره ، المدبر - لأمر خلقه ، قاله - تعالى - له الغني المطلق الكامل ، وكل الخلق فقراء إلى الله ، وقد وردت آيات كثيرة تبين هذا المعنى وتثبتته :

قال تعالى : ( يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ) ( ٢ )

في هذه الآية : " يخبر - تعالى - بغنائه عما سواه ، وبافتقار المخلوقات كلها إليه وتذللها بين يديه فقال تعالى : ( يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ) أي : هم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات وهو - تعالى - الغني عنهم بالذات ولهذا قال - عز وجل - ( والله هو الغني الحميد ) ( ٢ ) أي : هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له ، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله ويقدره ويشعره " ( ٣ ) .

وقال تعالى : ( ألم يأتكم نبياً الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدونا وننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد ) ( ٤ ) .

( ٢ ) سورة فاطر آية : ١٥ .

( ٤ ) سورة الثغابن آية : ٥ - ٦ .

( ١ ) سورة فاطر آية : ١٥ .

( ٣ ) تفسير ابن كثيره ٥٧٧/

وهاتان الآيتان : أخبر الله - تعالى - بهبط بأن الأمم التي مضت حل بهم من النكال والبال ط لا يقادر قدره بسبب تكذيبهم رسله ، والكفر بهم ووط جاءه وابه من الحق المبين ، فكان أفكارهم السكينة أملت لهم أنهم يضررون الله بحملهم ذلك ولم يفكروا بأنه - تعالى - غنى عن إيمان جميع خلقه وعبادتهم فهو - سبحانه - " غنى حميد " غير محتاج إلى العالم ولا إلى عبادتهم وهو الم محمود - سبحانه من جميع الخلائق بلسان المقال والحال وهو - سبحانه - لا تضره معصية العاصين ، ولا تزيد طاعة الطائعين وقال تعالى ( له ط في السموات وط في الأرض وإن الله لهو الغنى الحميد )<sup>(١)</sup> ففى هذه الآية : بيان من الله - تعالى - أن كل ط في السموات وط في الأرض من الأشياء ملك له ، وهو غنى عط سواء ، وكل شىء فقير إليه عبد لديه فسبحانه - من غنى كريم .

وقال تعالى : ( قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم ) ( ٢ ) .

قال ابن جرير: حول هذه الآية : " قل يا محمد لهؤلاء المشركين العادلين برهبهم الأوثان والأصنام ، والمنكرين ، عليك إخلاص التوحيد لربك الداعين إلى عبادة الآلهة والأوثان ، أشيئا غير الله - تعالى - أتخذ وليا أشتنصره ، وأستعينه على النوايب والحوادث " أ . هـ ( ٣ ) .

فاله - جل و علا - هو الذي يحتاج إليه الخلاق ويلجئون إليه لينصرهم ويعينهم على ط بهمهم من أمر دينهم ودنياهم لأنهم عاجزون فقراء إلى الله - تعالى - لا يستطيعون تحقيق مصالحهم إلا بعونه - تعالى - لهم ونصره إياهم .

وقال تعالى ( وط خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ط أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ) ( ٤ ) .

( ١ ) سورة الحج آية : ٦٤ . ( ٢ ) سورة الأنعام آية : ١٤ .

( ٣ ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٥٨ / ٧ .

( ٤ ) سورة الذاريات آية : ٥٧ - ٥٩ .

هذه الآية : بين الله - تعالى - فيها أنه ما خلق الجن والإنس إلا ليوحده  
 - سبحانه - ويفرده بالعبادة لأنه الخالق لهم ، والموجد لهم من العدم وهو الذي  
 حباهم بأصناف النعم ثم بين - تعالى - في الآية الثانية أنه مستغن عن عبادة وأنه  
 لا يريد منهم منفعة كما تريد السادة من مواليتهم بل هو الغني على الإطلاق الرائق  
 المعطى - سبحانه وتعالى - .

وقد أنكر الله على اليهود حين نسبوا الفقر إلى الله ونسبوا الغنى إلى أنفسهم الحقيرة  
 العاجزة التي لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا وحكم بكفرهم ، لأنهم نفوا صفة الغنى عن  
 - الرب سبحانه وتعالى - الذي خزائنه لا تنفذ فقال تعالى : ( لقد كفر الذين قالوا  
 إن الله فقير ونحن أغنياً سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا  
 عذاب الحريق ) ( ١ ) .

- فتعالى الله الكريم - عن مقالة اليهود وأشباههم علوا كبيرا ، ورد الله عليهم في موضع  
 آخر حين زعموا أن يد الله مفلولة - فرد عليهم - بأن يديه مسوئتان ، سحاء الليل  
 والنهار لا تفيضها نفقة ، ولعنهم على مقاتلتهم الجائرة ( كبرت كلمة تخرج من أفواههم  
 إن يقولون إلا كذبا ) ( ٢ ) .

قال تعالى : ( وقالت اليهود يد الله مفلولة غلت أيديهم ولعنوا بط قالوا بل يدها  
 مسوئتان ينفق كيف يشاء ) ( ٣ ) .

كما أنه - تعالى - رد على المنافقين حين تأمروا فيط بينهم على أن لا ينفقوا على  
 الصحابة الملتفين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم كي يتفرقوا من حوله ويتركوه وحيدا  
 ولم يدركوا أن الصحابة الذين كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم مهمت نزلت  
 بهم النكبات والكوارث فإنهم به لا يتزعزعون لأنهم إبطانهم راسخ لا يتزعزع كالجبس

( ٢ ) سورة الكهف آية : ٥ .

( ١ ) سورة آل عمران آية : ١٨١ .

( ٣ ) سورة الطائدة آية : ٦٤ .

الرواسي ، ورد الله على المنافقين بأنهم لا يملكون شيئاً وأن خزائن السموات والأرض بيده - سبحانه - .

قال تعالى ( هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يعلمون ) ( ١ ) .

وقال تعالى : ( قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنكم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا ) ( ٢ ) .

فهذه الآيات التي قدمنا ذكرها فيها الإخبار منه - تعالى - بكامل غناه عن خلقه وأنه لا يزيد في غناه طاعة من أطاعه ولا ينقص من غناه معصية من عصاه .

وبينت أنه - سبحانه - لم يخلق الخلق لحاجته إليهم ، وأنه لو شاء لذهب بهم وأتى بغيرهم . وأخبر - تعالى - بأنهم فقراء إليه لا غنى لهم عنه في نفس من أنفاسهم وكلهم يعلم ذلك ، مقرين به ، وأنهم لم يكونوا موجودين حتى أوجدهم وليس لهم قدره من أنفسهم ولا غيرها إلا بطقدهم الله عليه فانه - سبحانه - الغني الفعال لمسا يريد ، كما أن تلك الآيات تتضمن الرد على القائلين أن علة افتقار الخلق إليه - سبحانه - إنط هو الحدث فلا تحتاج إليه - سبحانه - إلا في حال الأحداث .

قال شيخ الإسلام رحمه الله - تعالى : في صدر رده على الجهمية والمعتزلة القائلين بأن علة افتقار الخلق إلى ربها إنط هو الحدث فلا تحتاج إليه - سبحانه - إلا في حال الأحداث ، وفي رده على ابن سينا وطائفة الذين يقولون بأن علة افتقار الخلق إلى ربها إنط هو المكان الذي يظن أنه يكون بلا حدث ، بل يكون المعلول قديماً أزلياً ، ويمكن افتقارها في حال البقاء بلا حدث . فقد بين رحمه الله بطلان هذين القولين : وقرر بأن المكان والحدث فلابد أن يكون كل واحد منهما جهاً هير العقل من الأولين والآخرين ، وحتى القدماء من الفلاسفة كأرسطو وأتباعه فإنهم يقولون : إن كل ممكن فهو محدث ، ولم يخالف في هذا إلا ابن سينا وطائفة ، ولذلك إخوانهم من

الفلاسفة أنكروا عليهم رأيهم كما بن رشد<sup>(١)</sup> وغيره . . . . إلى أن قال رحمه الله—  
 والمخلوقات مفتقرة إلى الخالق فالفقر وصف لا زم لها دائما لا تزال مفتقرة إليه ، وإمكان  
 والحدوث دليلان على الافتقار لأن هذين الوصفين جعلنا الشيء مفتقرا ، بل فقر  
 الأشياء إلى خالقها لا زم لها لا يحتاج إلى علة ، كما أن -غنى الرب- لا زم لذاته  
 لا يفتقر في اتصافه بالغنى إلى علة ، وكذلك المخلوق لا يفتقر في اتصافه بالفقر  
 إلى علة بل هو فقير لذاته لا تكون ذاته إلا فقيرة فقرا لازما لها ولا يستغنى إلا بالله  
 وهذا معنى " الصمد " وهو الذي يفتقر إليه كل شيء ويستغنى عن كل شيء بل الأشياء  
 مفتقرة من جهة ربوبيته ومن جهة إلهيته فط لا يكون به لا يكون ، وط لا يكون له لا يصلح  
 ولا ينفع ولا يدوم وهذا تحقيق قوله تعالى ( اياك نعبد و اياك نستعين ) ( ٢ )

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله - تعالى - بعد أن ذكر قوله تعالى : ( يا أيها  
 الناس ) أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ( ٣ ) .  
 بين - سبحانه - في هذه الآية أن فقر العباد إليه أمر ذاتي له فغناه وحمده ثابت  
 له لذاته لا لأمر أوجبه ، وفقر من سواه إليه ثابت له لذاته ، لا أمر أوجبه فلا يعلل هذا  
 الفقر بحدوث ولا إمكان ، بل هو ذاتي للفقير ، فحاجة العبد إلى ربه لذاته لا لعلة  
 أوجبت تلك الحاجة كما أن غنى - الرب سبحانه - لذاته لا لأمر أوجبه فغناه كما قال شيخ  
 الاسلام ابن تيمية : والفقر لي وصف ذات لا زم أبدا

والفقر لي وصف ذات لا زم أبدا كما أن الغنى أبدا وصف له ذاتي

- 
- ( ١ ) هو : محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي أبو الوليد الفيلسوف مسن  
 أهل قرطبة اشتهر بعلم الفلسفة وترجمها إلى العربية ، وله مؤلفات كثيرة في  
 فنون مختلفة ولد سنة عشرين وخمسة مائة ، وتوفي سنة خمس وتسعين وخمسة مائة  
 أنظر ترجمته في : شذرات الذهب / ٤ / ٣٢٠ ، والأعلام للزركلي ٦ / ٣١٢ .  
 ( ٢ ) مجموع الفتاوى ٥ / ٥١٤-٥١٥ والآيات رقم ( ٤-٥ ) من سورة الفاتحة .  
 ( ٣ ) سورة فاطر آية : ١٥ .

فالخلق فقير محتاج إلى ربه بالذات لا بعلة وكل ما يذكر ويقرر من أسباب الفقر والحاجة فهي أدلة على الفقر والحاجة لا علة لذلك إذ ما بالذات لا يعلل بالفقر بذاته محتاج إلى الغني بذاته وما يذكر من إمكان وحدوث واحتياج فهي أدلة على الفقر لا أسباب له ولهذا كان الصواب في مسألة علة احتياج العالم إلى - الرب سبحانه - غير القولين الذين تذكرهما الفلاسفة والمتكلمون ، فإن الفلاسفة قالوا : علة الحاجة الإمكان ، والمتكلمون قالوا : علة الحاجة الحدوث ، والصواب أن الإمكان والحدوث متلازمان وكلاهما دليل الحاجة والافتقار وفقر العالم إلى الله - سبحانه - أمر ذاتي لا يعلل فهو فقير بذاته إلى ربه الغني بذاته ثم يستدل بإمكانه وحدوثه وغير ذلك من الأدلة على هذا الفقر ، والمقصود أنه - سبحانه - أخبر عن حقيقة العباد وذواتهم بأنها فقيرة إليه - سبحانه - كما أخبر عن ذاته المقدسة ، وحقيقته أنه غني حميد ، والفقر المطلق من كل وجه ثابت لذواتهم وحقائقهم من حيث هي فيستحيل أن يكون العبد إلا فقيرًا ، ويستحيل أن يكون - الرب سبحانه - إلا غنياً كما أنه يستحيل أن يكون العبد إلا عبداً ويستحيل أن يكون الرب إلا رباً " أ. هـ ( ١ ) .

وأما الأحاديث الدالة على أن الله متصف بصفة الغنى فكثيرة جدا .

منها : حديث أبي ذر رضى الله - تعالى - عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن - ربه - قال تعالى " يا عبادي انى حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم ، يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى اكسكم ، يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم ، يا عبادي انكم لن تبخلوا ضرى فتضرونى ولن تبخلوا نفعى فتتفعونى ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً ، يا عبادي لو أن لكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد فسالونى فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المحيط إذا دخل البحر ، ولما أن لكم وآخركم وحبيكم ومهيتكم ، ووطبكم

وباسمكم ، اجتمعوا على أتقى قلب عبد من عبادي ما زاد ذلك في ملكي جناح بموضة  
يا عبادي إنط هي أعط لكم أحصيتها لكم ، ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله  
ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه " ( ١ ) .

ومنها حديث : عائشة رضی الله عنها وعن أبيها قالت : شكنا الناس إلى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فنحوط الطمر ، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى ، ووجد الناس يومنا  
يخرجون فيه قالت عائشة : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم . حين بدأ حاجب  
الشمس فقمعد على المنبر فكبر صلى الله عليه وسلم وحمد الله - عز وجل - ثم قال : " إنكم  
شكوتهم جدب دياركم ولستخار الطمر عن إبان زمانه عنكم وقد أمركم الله - عز وجل - أن  
تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم ثم قال : الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم  
مالك يوم الدين . . لا إله إلا الله يفعل ما يريد ، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني  
ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث وأجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين " رواه أبو  
داود وقال : هذا حديث قريب الإسناد جيد " ( ٢ ) .

والذي نخلص إليه ما تقدم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن الله - تعالى -  
متصف بصفة الفنى المطلق ، فلا يحتاج إلى شيء وأن جميع الخلاق محتاجون إليه  
وفقراء إليه في كل أمر من أمورهم ، فلا قوام لهم إلا به - تعالى - في كل حركاتهم  
وسكناتهم وفي كل لحظة من لحظاتهم ، وفي كل نفس من أنفاسهم فلا فنى لهم عنه  
طرفة عين .

( ١ ) رواه مسلم في صحيحه ٤/٤١٩٤-١٩٩٥ .

( ٢ ) سنن أبي داود ١/٢٦٧ .

## المبحث العاشر

## إثبات صفة الرضا

لقد أثبتت السورة صفة الرضا لله - جل و علا - على ما يليق به سبحانه - وهي صفة فعلية بفعلها متى شاء وكيف شاء .

قال تعالى : ( ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم . . . ) الآية .  
 هذه الآية من السورة إخبار من الله - تعالى - بأنه لا يرضى لعباده أن يكفروا به ولا يرضى لهم أن يشركوا به غيره ، وإنط الذي يرضاه لهم أن يؤمنوا به - سبحانه - وطيعوه ويكونوا بمنأى عن الكفر وأهله ، وكون الكفر لا يخرج عن العشيئة العامة فليس ذلك مبررا لكفر الكافر ، ومعصية العاصي لأنه - تعالى - يخلق ما يحب وما يكره من الأعيان والأفعال وكل ما في الكون داخل تحت مشيئته فط شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

قال العلامة ابن القيم حول الآية ( ولا يرضى لعباده الكفر ) الآية " فالكفر والشكر واقعان بمشيئته وقدره ، وأحدهما محبوب له مرضي ، والآخر مبغوض له مسخوط ، وكذلك قوله عقيب ما نهى عنه ( كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ) ( ١ ) .  
 فهو مكروه له مع وقوعه بمشيئته وقضائه وقدره " أ . هـ ( ٢ ) .

وصفة الرضا كثر ذكرها في الكتاب والسنة ما يدل على ثبوتها ثبوتا قطعيا للباري - سبحانه - على ما يليق بجلاله وعظيم سلطانه كغيرها من الصفات الأخرى كالعلم والقدرة والإرادة وغير ذلك من الصفات الثابتة التي نطق بها الكتاب والسنة .

قال تعالى : ( هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ) ( ٣ )

ففي هذه الآية إخبار من الله - تعالى - بأنه يرضى عن عباده المؤمنين ويرضون عنه وقال تعالى ( والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان

( ١ ) سورة الاسراء آية : ٣٨ . ( ٢ ) مدارج السالكين ١ / ٢٥٣ - ٢٥٤ .

( ٣ ) سورة الطه آية : ١١٩ .



رضى الله عنهم ورضوا عنه ( ١ ) .

وقال تعالى ( لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ) ( ٢ )

وقال تعالى ( يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا

يرضى من القول ) ( ٣ ) .

فأخبر - تعالى - في هذه الآية بأنه لا يرضى بما يبيتونه من القول المشتمل على شهادة الزور والبهت ورمي البريء وهراة الجاني إذ الآية نزلت في حادثة هذا شأنها ( ٤ ) .

مع أن كل ذلك واقع بحشيتك - سبحانه - إذ أجمع المسلمون على أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ولم يخالفهم في هذا إلا القدرية النفاة الذين يقولون : يشاء ما لا يكون ، ويكون ما لا يشاء ،

فالآيات السابقة دلت دلالة صريحة على إثبات صفة الرضا - لله جل و علا - إثباتا يلقى بجلاله فإذا نفاها ناف أو تأولها متأول بغير المراد منها فمعنى ذلك أنه يدمى أنه أعلم بصفات الله من الله - سبحانه وتعالى - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فلا يجوز نفي أي صفة من صفاته - تعالى - أو تأويلها بغير ما يدل عليه ظاهرها كأن تحول صفة الرضا بإرادة الثواب ، وصفة الغضب بإرادة العقاب إذ هذا من تعريف الكلم عن مواضعه ، واعتراض على الله فيما أثبتة لنفسه ، كما لا يجوز أن يقال : إن رضاه - تعالى - كرضا المخلوقين كما هو مذهب الكرامية المشبهة إذ الفرق بين رضا الخالق ، ورضا المخلوق كالفرق بين الذات والذات ، ذات الخالق ، وذات المخلوق فكما أنه لا تشابه بين ذات الخالق وذات المخلوق ، فكذلك لا تشابه بين صفة الخالق ، وصفة المخلوق لأن ما وصف الله به نفسه لا يثق بجلاله ، وما وصف به المخلوق ، يناسب حاله وافتقاره .

( ٢ ) سورة الفتح آية : ١٨ .

( ١ ) سورة التوبة آية : ١٠٠ .

( ٣ ) سورة النساء آية : ١٠٨ .

( ٤ ) مدارج السالكين ١ / ٢٥٣ ، فتح القدير ١ / ٥١٢ ، لباب التنوير أسباب النزول ص ٢٤٠

وقد دلت السنة على إثبات صفة الرضا كما دل عليها القرآن الكريم فقد جاء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله - عز وجل - يقول يا أهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يدك فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيتكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون يا رب : وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا" ( ١ ) .

فالحديث دل على أن رضى الله أعظم ، وأجل من كل نعم كما دل دلالة واضحة على إثبات صفة الرضا والسخط إثباتا يليق بجلاله .

ومن حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الله يرضى لكم ثلاثا : ويكره لكم ثلاثا فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتمدوا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، ويكره لكم ثلاثا قيل وقال ( ٢ ) وكثرة السؤال ( ٣ ) وإضاعة المال" ( ٤ ) .

فالحديث دل على أنه - تعالى - يرضى ويكره وهاتان الصفتان صفتا كمال ولو كان في إثبات هاتين الصفتين غيرهما معدور لأشار إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وبينه ووضحه للأمة ، فهو - سبحانه - يرضى رضا يليق بجلاله ، ويكره بعض الأعمال كراهة تليق به ، ولا داعي لأن نتأول الحديث بتأويلات باطلة ما أنزل الله بها من سلطان . كتأويل " الرضا " والسخط والكراهة من الله - تعالى - بأن المراد بها أمره ونهيه وثوابه وعقابه ، أو إرادته الثواب لبعض العباد والعقاب لبعضهم ( ٥ ) إذ هذه التأويلات من تصرف بعض الطوائف كالأشعرية الكلابية الذين يتكلمون بتأويلات لم يكلفهم الله بها ، بل هي تأويلات باطلة ناتجة عن التصرف الخاطيء

- ( ١ ) متفق عليه : صحيح البخارى مع الفتح ٤٨٧ / ١٣ ، وصحيح مسلم ٤ / ٢١٧٦ .
- ( ٢ ) قيل وقال : الخوض في أخبار الناس وحكاية ما لا يعني من أحوالهم وتصرفاتهم
- ( ٣ ) كثرة السؤال : هو التنطع في المسائل والإكثار من السؤال عطف لم يقع ، وقيل المراد به سؤال الناس أموالهم .
- ( ٤ ) رواه مسلم في صحيحه ٤ / ٣٤٠ .
- ( ٥ ) أنظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٢ / ١٠ .

إزاء صفات الله - تعالى - التي أثبتتها لنفسه ، وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم بدون تعطيل ولا تأويل ، كما أن الحديث تضمن الرد على القدرية الجبرية الذين يزعمون أن كل ما في الكون محبوب لله حتى المعاصي - تعالى عن ذلك وتقدس - فقد بين الحديث أنه - سبحانه - يكره القيل والقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال .

ومن حديث أنس رضي الله عنه قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على

الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا يدعو على رجل ( ١ ) وذكوان ( ٢ )

وعصية ( ٣ ) عصت الله ورسوله قال أنس : أنزل الله - عز وجل - في الذين قتلوا ببئر

معونة قرآنا قرأناه حتى نسخ بعد أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا

عنه " ( ٤ ) .

ففي الحديث دلالة صريحة واضحة على إثبات صفة الرضا - للرب جل و علا - حيث

أكرم الله - عز وجل - تلك الفئة المؤمنة من شهداء بئر معونة برضاء الذي

هو أعظم من كل نعيم ورضوا بما أكرمهم الله - تعالى - به من دخول الجنة التي فيها

لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وما ينبغي أن يعلم أن السلف الصالح كانوا يطلقون الصفات الخيرية على الله

بدون توقف ، ولكن الأمر انعكس اليوم فأصبح كثير من أتباع العقيدة الأشعرية الكلابية

يتوقفون من إطلاق الكثير من الصفات الخيرية على الله - تعالى - إلا بنية تأويلها

وتفسيرها بلا زما .

فمذهب السلف الصالح الذي هو الطهريق السوي هو التسليم بما جاء في الكتاب

والسنة ، ولا يتجاوزونها فإله يرضى ويفض ويحب ويفرح كما أخبر بذلك عن نفسه

وأخبر رسوله صلى الله عليه وسلم .

( ١ ) رجل : قبيلة من سليم بن منصور من العدنانية تنتسب إلى رجل بن عوف بن مالك  
الفتح ٣٧٩/٧ .

( ٢ ) ذكوان : قبيلة من بني سليم بن منصور من قيس بن عيلان من العدنانية أنظر  
تاريخ ابن خلدون ٣٠٧/٢ .

( ٣ ) عصية : بطن من بلى من قضاة من القحطانية . انظر نهاية الارب للنويري  
٢٩٦/٢ .

( ٤ ) رواه مسلم في صحيحه ٤٦٨/١ .

احتجاج أبي علي الجبائي المعتزلي بالآية التي صدرنا بها هذا البحث وهي قوله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم) على أن العبد يخلق أفعاله، وقال: لو أن الله خلق الكفر لكان قد رضي الكفر من الوجه الذي خلقه ولو كان الكفر بقضاء الله - تعالى - لوجب على الخلق أن يرضوا بذلك لأن الرضا بقضاء الله واجب، وحيث اجتمعت الأمة على أن الرضا بالكفر كفر ثبت أنه ليس بقضاء الله، وليس أيضا برضا الله (١).

وهذا الزعم يرد عليه من وجوه ثلاثة:-

الوجه الأول: يقال له: اختلف أهل التفسير في هذه الآية على قولين:

(١) ذهب حبر الأمة عبد الله بن عباس والسدي (٢) إلى أن معنى قوله - تعالى - (ولا يرضى لعباده الكفر) خاص بعبادة المؤمنين الذين أخلصهم لعبادته وطاعته.

(٢) وذهب آخرون إلى أن ذلك عام لجميع الناس وعلى هذا يكون المعنى أيها الناس إن تكفروا فإن الله فني عنكم ولا يرضى لكم أن تكفروا به (٣).

الوجه الثاني: يقال له:

إن زعمك أن الرضا بالقضاء واجب ففيه تفصيل عند العطاء حيث أن أقسام الرضا ثلاثة:-

الرضا بالله، والرضا عن الله، والرضا بقضاء الله.

فالرضا بالله فرض، والرضا عنه وإن كان من أجل الأمور وأشرفها فلم يطالب به العموم لمجزهم عنه ومشقتهم عنه، وأوجبه بعضهم وأما الرضا بكل مقتضى فلا يجب بل المقتضى ينقسم إلى ما يجب الرضا به وهو الدين الشرعي، ومقتضى كوني قدري، فإن كان فقرا

(١) التفسير الكبير للقرطبي ٢٦/٢٤٦.

(٢) هو إسحاق بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي أبو محمد الكوفي صدوق بهم ورى بالتشيع توفي سنة سبع وعشرين وواحدة هجرية تهذيب التهذيب ١/٣١٣-٣١٤.

(٣) جامع البيان ٢٦/٢٤٦.

أو مرضاً ونحو ذلك استحباب الرضا به ولم يجب ، وأوجب بعضهم وإن كان كفراً ، أو معصية حرم الرضا به ، فإن الرضا به مخالفة لله تعالى - فإنه - سبحانه - لا يرضى لعباده الكفر ، وأما القضاء الذي هو صفة الله وفعله فالرضا به واجب " أ. هـ . ( ١ )

الوجه الثالث :

يقال له : إن الإرادة في كتاب الله نوطان :

( ١ ) إرادة قدرية كونية .

( ٢ ) إرادة شرعية دينية .

فالشرعية المتضمنة للمحبة والرضا بالقدرية الكونية هي : الشاملة لجميع الموجودات

فما شاءه - سبحانه - كان وط لم يشأه لم يكن مثال الإرادة القدرية الكونية قوله تعالى :  
( فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل ضيقاً حرجاً )  
( ٢ )

وقوله تعالى حكاية من نبيه هود عليه السلام ( ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح

لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ) ( ٣ ) . فهذه الإرادة تعلقت بالإضلال والإغواء .

ومثال الإرادة الشرعية الدينية الأمرية قوله تعالى : ( يريد الله ليبين لكم ويهديكم

سنن الذين من قبلكم ) ( ٤ ) .

وقوله تعالى ( ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ) ( ٥ ) .

فالأمر الشرعي إنط تلازمه الإرادة الشرعية الدينية ولا تلازم بينه وبين الإرادة الكونية

القدرية ( ٦ ) .

فإنه تعالى أمر الكافر بالإيمان وأراده منه شرطاً ودينياً ، ولم يرده منه كوناً وقد را

ولو أراده كوناً لحصل ذلك ، لأن الإرادة الكونية القدرية لا يتخلق عنها المراد بخلاف

( ١ ) منهاج السنة ٢ / ٤٠ - ٤١ ، مدارج السالكين ١ / ٢٥٦ مع التصرف اليسير .

( ٢ ) سورة الأنعام آية : ١٢٥ . ( ٣ ) سورة هود آية : ٣٤ .

( ٤ ) سورة النساء آية : ٢٦ . ( ٥ ) سورة الطه آية : ٦ .

( ٦ ) أنظر مختصر منهاج السنة ص ١٢١ ، شفاء العليل ص ٢٨٠ - ٢٨١ ، شرح الطحاوية ص ١١٦ - ١١٧ .

الإرادة الشرعية قد يتخلف المراد بها .

ولم اعترض المعتزلة وقالوا : ط الفائدة من أمر الله بالشيء وهو لا يريد وقوعه ؟ يجاب بأن الفائدة في ذلك ابتلاء الخلق وليتميز المطيع من غيره ولذلك أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ولده مع أنه - تعالى - لم يرد وقوع ذبحه كونا وقدرا ، وقد أبان الله - تعالى - أن الحكمة في ذلك ابتلاء إبراهيم عليه السلام حيث قال تعالى ( ان هذا لهوالبلاء المبين ) ( ١ ) وهذا يبطل قول القدرية المعتزلة أنه لا يكون أمرا إلا بإرادة وقوعه ، وقولهم هذا الفاسد هو الذي جرهم إلى القول بأن معصية العاصي ليست بمشيئة الله - تعالى - لأنه أمر بتركها ولم يرد إلا التزام الذي أمر به لأن الأمر لا يكون أمرا إلا بالإرادة فيترتب على قولهم نسبة المجر إلى الله واستقلال العبد بالفعل دون الله - تعالى - والله منزّه من قولهم تنزيها يلمق بجلاله " ( ٢ ) .

قال الطحاوي رحمه الله تعالى : هـ " ولا يفعل إلا ط يريد "

قال الشارح : حول هذه العبارة : " هذا رد لقول القدرية المعتزلة فإنهم زعموا أن الله أراد الإبطان من الناس كلهم والكافر أراد الكفر وقولهم فاسد مردود لمخالفته الكتاب والسنة والمعقول الصحيح . . . . . إلى أن قال ، وأما أهل السنة فيقولون : إن الله وإن كان يريد المعاصي قدرا فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها وهذا قول السلف قاطبة فيقولون ط شاء الله كان ، وط لم يشأ لم يكن " أ. هـ ( ٣ ) .

والحاصل ط تقدم في هذا المبحث أن صفة الرضا من الصفات التي أثبتها الله لنفسه في محكم كتابه ، وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته المطهرة ، وأثبتها له سلف هذه الأمة حيث آمنوا بط جاء به الكتاب والسنة ، ولم يتجاوزوها إلى غيرهما

( ١ ) سورة الصافات آية : ١٠٦ .

( ٢ ) أنظر مذكرة أصول الفقه للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص ١٩٠ - ١٩١ .

( ٣ ) شرح الطحاوية ص ١١٦ .

اثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل ، أ ط الذين يفرقون بين صفات الله ويؤولون صفة  
الرضا ، والمحبة ، والفضب ، والكراهة بالإرادة فهذا من تصرفات البشر الخاطئة التي  
مضمونها التفريق بين ط ورد به السمع . ، ولو قيل لهم : لم نقيم صفة الرضا والمحبة  
والفضب وأثبتم الإرادة ؟ لقالوا : إن اثباتها فيه تشبيه للخالق بالمخلوق لأن الغضب  
غليان دم القلب لقصد الانتقام ، والرحمة رقة تلحق المخلوق والرب منزه عن ذلك .  
والرد على هذا يقال لهم : وكذلك الإرادة ؛ ميل الإنسان إلى ط ينفعه ودفع  
ط يضره ، والله منزه عن ذلك ، فيضطرون إلى القول بأن للإنسان إرادة تليق به ، وللرب  
إرادة تليق به ، ومن خلال قولهم هذا يلزمهم حآن يقولوا كذلك : في بقية الصفات  
من الرضا والمحبة والرحمة والفضب والكراهة ، وإن لم يقولوا بهذا فإنهم وقعوا في  
التفريق بين صفات الله - تعالى - وليس في العقل ولا في السمع ط يدل على التفريق  
فلا يحل أن يثبت له بعض الصفات - سبحانه - وينفى عنه البعض الآخر ( ١ ) ممسلا  
أثبتته لنفسه .

---

( ١ ) الرسالة التدمرية مع شرحها التصحفة المهدية : ٤٦/١ - ٤٧ .

## المبحث الحادى عشر

## إثبات صفة العلم

لقد دلت السورة على إثبات صفة العلم لله - عز وجل - في ثلاث آيات منها :

قال تعالى : ( ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه علم بذات الصدور )  
وقال تعالى : ( قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ) .

وقال تعالى : ( ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ) .

فالآية الأولى : من هذه الآيات الثلاث تضمنت اسمه - تعالى - " العليم " الدال على صفة العلم لله - تعالى - التي بها يدرك جميع المعلومات على ما هي عليه ، فلا يخفى عليه منها شيء فقد بين الله - تعالى - بقوله ( إنه علم بذات الصدور ) أنه لا يخفى عليه ما أضموته صدور عباده ما لا تدركه أعينهم فكيف بما تدركه العيون وتراه الأبصار .

وأما الآية الثانية : ( قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة )  
ففيها الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول للناس إن الله خالق السموات والأرض ، وأنه يعلم الغيب الذي لا تراه الأبصار ، ولا تحسه العيون ، كما يعلم الشهادة الذي تشهده أبصار الخلق وتراه عيونهم .

وأما الآية الثالثة : ( ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ) فقد أخبر الله - تعالى - فيها أنه أعلم بما يفعله العباد في الدنيا من الطاعات أو المعاصي ، ولا يعزب عنه علم شيء من ذلك وسيجازيهم على ذلك يوم القيامة فيثيب المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء على إساءته .

فالآيات الثلاث المتقدمة دلت على أنه - تعالى - عالم - بعلم ، وأن علمه محيط بكل الأشياء الشاهدة والغائبة من الكلمات والجزئيات وعلمه - تعالى - من صفاته الذاتية وهو أزلي بأزليته فقد علم - تعالى - في الأزل جميع ما هو خالق ، كما علم جميع أحوال خلقه وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من



أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار ، وهم - تعالى - عدد أنفاسهم ، ولخطاتهم  
وجميع حركاتهم وسكناتهم أين تقع ؟ ومتى تقع ؟ كل ذلك بعلمه وقمراى منه ومسمع  
لا يخفى عليه منهم خافية سواء في علمه الغيب والشهادة والسر والجهر ، والجليل  
والحقير ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء - تعالى - العلم  
المطلق بجميع الأشياء جملة وتفصيلا ، وقد جاءت في كتاب الله - تعالى - آيات  
كثيرة دلت على شمول علم الله واحاطته بما لا تبلغه علوم خلقه .

قال تعالى : ( يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج  
فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ) ( ١ ) .

فهذه الآية بينت بأنه - تعالى - يعلم ما يدخل في الأرض من الحب والبذور  
والمياه والحشرات والمعادن ، وما يخرج منها من الزرع والأشجار والعيون الجارية  
والمعادن النافعة ، ويعلم كذلك ما ينزل من السماء من الثلج والأمطار والصواعق  
واللائحة كما يعلم ما يصعد فيها من اللائحة والأعطال والطير الهصواف إلى غير ذلك  
ما يعلمه العليم - جل شأنه - .

وقال تعالى : ( وعند ه مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما  
تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب  
مبين ) ( ٢ ) .

وهذه الآية أخبر - تعالى - فهمها بأن عند مفاتيح الغيب وأنه لا يعلمها إلا هو  
ومفاتيح الغيب :-

قبل خزائنه ، وقيل : طرقه وأسبابه التي يتوصل بها إليه وهي جمع مفتاح بكسر الميم  
أو مفتاح بحذق ياء مفاتيح ( ٣ ) .

( ١ ) سورة الحديد آية : ٤ .

( ٢ ) سورة الأنعام آية : ٥٩ .

( ٣ ) فتح القدير ٢ / ١٢٣ .

وقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ، ثم تلا قوله تعالى : ( إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ) ( ١ ) .  
فآية الأولى : وهي قوله (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ) الآية دللت على أنه - تعالى - لا يخفى عليه شيء في هذا الكون ودلت على وصول علمه إلى كل ما خفي ودق من الحسيات والمعنويات حيث بينت أنه - تعالى - يعلم سقوط الورقة من الشجرة وكم من أشجار على الأرض ؟ وكم في كل شجرة من الورق ؟ فط من شجرة أو ورقة إلا وهي في الكتاب المبين .

كما أوضحت أنه يعلم الرطب واليابس فدلت على إحاطة علم الله - تعالى - بهذا الكون إذ الكون إما رطب أو يابس - فسبحان من هو عالم الغيب والشهادة .  
وقال تعالى ( إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكطمها ما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ) ( ٢ ) .

وقال تعالى : ( لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ) ( ٣ ) وهاتان الآيتان أيضا : فيهما الإخبار بإحاطة علم الله بحمل كل أنثى ووضعها متى تضع وكيف تضع كما أخبر بموم قدرته وتعلقها بكل شيء وأن علمه محيط بجميع الكائنات .

وقال تعالى : ( لكن الله يشهد بما أنزل إليه أنزله بعلمه واللائكة يشهدون ) ( ٤ )  
وقال تعالى : ( يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ) ( ٥ ) .  
وقال تعالى ( ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ) ( ٦ ) .  
والآيات الواردة في كتاب الله الدالة على أن الله - تعالى - متصف بصفة العلم ما لا يكاد

( ١ ) رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما صحيح البخارى ١ / ١٩

صحيح مسلم ١ / ٣٩ . والآية رقم ( ٣٤ ) من سورة لفران .

( ٢ ) سورة فصلت آية : ٤٧ . ( ٣ ) سورة الطلاق آية : ١٢ .

( ٤ ) سورة النساء آية : ١٦٦ . ( ٥ ) سورة غافر آية : ١٩ .

( ٦ ) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

وأما الفلاسفة : الذين يلقبون بالحكمة فقد أنكروا علمه تعالى بالجزئيات وزعموا أنه - تعالى - يعلم الأشياء على وجه كلي ثابت ( ١ ) وحقيقة هذا القول أنه - تعالى - لا يعلم شيئاً إذ كل ط في الخارج هو جزئي والأحرى أنهم يلقبون بالجهلاء لا بالحكمة ومذهبهم ظاهر الفساد لبعده عطف دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في أنه - تعالى - قد أحاط علمه بالكليات والجزئيات ولا يخفى عليه شيء .

قال السفاريني ( ٢ ) رحمه الله - تعالى - " يجب الجزم بأنه - تعالى - عالم بعلم واحد وجودي قديم باق ذاتي تنكشف به المعلومات عند تعلقه بها ، وإنما قلنا : بأن علمه ذاتي كسائر صفاته - تعالى - للرد على الحكماء القائلين بنسبي الصفات وإثبات غاياتها وللرد على المعتزلة القائلين بأنه يعلم بالذات لا بصفة زائدة عليها ، والدليل على أن صفاته زائدة على ذاته ورود النصوص بأنه - تعالى - عالم ، وحي وقادر ونحوها ، وكونه عالم يعمل بقيام العلم به في الشاهد فكذلك في الغائب وقس عليه سائر الصفات " ( ٣ ) هـ .

وأما الغلاة من القدرية : " فقد أنكهروا علمه - تعالى - بأفعال خلقه حتى يعملوها " ( ٤ ) توهموا منهم أن علمه - تعالى - بأفعال خلقه يفضي إلى الجبر وقولهم هذا معلوم البطلان بالضرورة في جميع الأدیان .

قال العلامة ابن القيم في ذكره لمراتب القدر : " فأما المرتبة الأولى : وهي العلم السابق فقد اتفق عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم ، واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة ومخالفهم مجوس الأمة " ( ٥ ) هـ .

وقد دلت السنة والعقل على أن صفة العلم من الصفات الذاتية الثابتة لله - عز وجل -

فقد روى البخاري : في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال :

كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم السورة

( ١ ) الإشارات لابن سينا ٨٤/٢ وطبعها ، وانظر مجموعة الرسائل والمسائل ٣٣٣/٤ ولوامع الأنوار ١٥٩/١ .

( ٢ ) هو : محمد بن أحمد بن سالم السفاريني شمس الدين أبوالعون : عالم بالحدیث والأصول والأدب ولد سنة أربع عشرة ومائة وألف وتوفي سنة ثمان وثمانين ومائة وألف هجرية . أنظر ترجمته في " الأعلام للزكلى ٦ / ٢٤٠ .

( ٣ ) لوامع الأنوار ١ / ١٤٥ - ١٤٦ .

( ٤ ) التبصير في الدين ص ١٠٨ ، الرد على الجهمية للدارمي ص ٦٨ - ٦٩ .

( ٥ ) شفاء العليل ص ٢٩ .

من القرآن يقول : إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم  
إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر  
ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب . . . . الحديث ( ١ ) .

وقال صلى الله عليه وسلم : " ط من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه  
أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة جمعاً هل تحسون فيها من جدعاء  
حتى تكونوا أنتم تجدعونها قالوا : يا رسول الله أفرايت من يموت منهم وهو صغير قال :  
الله أعلم بما كانوا عاملين " ( ٢ ) .

" ومعنى الحديث : الله أعلم بما كانوا عاملين لو عاشوا " أ . هـ ( ٣ ) .

والأحاديث الواردة في إثبات صفة العلم كثير جداً لو تتبعتم وجمعت لتكون منها مصنف  
كبير .

وأما الدليل العقلي على علمه - تعالى - فمن وجوه :-

أولاً : أنه يستحيل إيجاده الأشياء بغير علم سابق قال - جل شأنه - ( ألا يعلم من

خلق وهو اللطيف الخبير ) ( ٤ ) .

ثانياً : إن المخلوقات فيها من الأحكام والإتقان وعجيب الصنعة ودقيق الخلقة ما

يشهد بعلم الفاعل لها لا متناع صدور ذلك عن غير علم .

ثالثاً : إن في المخلوقات من هو عالم والعلم صفة كمال ، فلولا يكن الله عالم لكان

في المخلوقات من هو أكمل منه ، وكل علم في المخلوق إنط استفاده من خالقه و

وواهب الكمال أحق به ، وفاقد الشيء لا يعطيه " ( ٥ ) .

( ١ ) ٢٠٢ / ١ .

( ٢ ) صحيح البخارى مع الفتح ٤٩٣ / ١١ وصحيح مسلم ٢٠٤٨ / ٤ وكلاهما من حديث  
أبي هريرة .

( ٣ ) شفاء العليل ص ٣٠ .

( ٤ ) سورة الملك آية : ١٤ .

( ٥ ) شرح العقيدة الأصفانية ص ٢٤-٢٥ ، وانظر لأمع الأنوار ١ / ١٤٨-١٤٩ .

وما قد مناه من الآيات القرآنية ، وبعض الأحاديث النبوية والأدلة العقلية كلها  
 نصوص قطعية صريحة في إثبات صفة العلم لله - تعالى - وكلها تشهد ببطلان مذاهب  
 أهل الأهواء في صفة العلم من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينفون هذه  
 الصفة وغيرها من صفات الله - جل وعلا - وهي - أي تلك الأدلة - صفة على رؤوس  
 الجهمية الذين يحجدون علم الله السابق بخلقه ، ويؤمنون أن علمه بأفعال عباده  
 قبل كونها يفضي إلى الجبر وهذا من طامة زبح القلوب والعباد بالله إذ العلم  
 صفة كاشفة تكشف الأشياء على ما هي عليه - فالبارى سبحانه - يعلم أربابا ما يكون  
 من عبده المختار من السعادة والشقاوة وما يحصل له من الفنى والفقر ، ومن ناحية  
 تحديد عمره وانقضاء أجله ثم كتب ما يعلمه في اللوح المحفوظ فهو كتب - سبحانه -  
 لا ليجبر أحدا من عباده على حسب ما كتب بل كتب - سبحانه - لأنه علم في الأزل  
 ما يكون من العبد بمحض اختياره وإرادته ، فعلمه - تعالى - صفة انكشاف للماضي  
 والحاضر والمستقبل وهو معنى قول أهل العلم علم ما كان ، وعلم ما يكون ، وعلم  
ما لم يكن أن لو كان كيف كان يكون .

والذي نستفيد من هذه التعاريف اللغوية لاسم الله - تعالى - " الوكيل " أنه من تَوَكَّلَ إلى علمه وقدرته وحكمته أمور الخلق وشئونهم التي يعجزون عن القيام بها بأنفسهم على الرغم بما قد منحوا به من قوى محدودة الأثر ، فالله - تعالى - يتوكل لهم بها ويتولاها وقد وكل - سبحانه - إلى نفسه أمور الخلق فخلق السموات والأرض وما بينهما بالحق وتكفل بذلك فأوجده على أبداع نظام وأحسن إتقان ، وتكفل بما يحتاجه خلقه من المصالح التي لا طاقة لهم بالعيش إلا بوجودها وقد سبقت إرادته - سبحانه - بأنه يخلق على هذه الأرض كائنات حية لا تعيش إلا بالهواء والهواء فتوكل لها من قبل أن يخلقها ، بالهواء والهواء كما أنه - سبحانه - توكل بجعل أجهزة محكمة للأجسام الحية وجعل كل جهاز يؤدي وظيفة خاصة ليحفظ بذلك حياة الإنسان ، وتوكل - سبحانه - بالرزق للأحياء جميعا من العاقل وغير العاقل ، من المؤمن والكافر كما توكل بحفظ حياتهم ولو وكلهم إلى أنفسهم طرفة عين لهلكوا ولقد يغفل الناس عن هذه الحقيقة ويسيروا في هذه الحياة والغفلة تغشاهم حتى إذا ما نزل بهم الضر استيقظوا من غفلتهم تلك ورجعوا إلى ربهم " الوكيل " يكلون إلى قدرته ورحمته وحكمته ما عجزوا عنه من دفع البلاء عن أنفسهم .

قال تعالى : ( وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظُّلْمِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ( ١١ ) .  
وما الدعاء المذكور ، والمنوّه عنه في هذه الآية إلا ثمرة اليقين بأن لهم ربا قادرا رحيفا يكلون إليه كل ما عجزوا عن تدبيره بأنفسهم ويتوكلون عليه فيما أعجزهم أمره وأعبتهم الحيلة فيه ، والإنسان مهبط أوتي من القوة والعقل والذكاء واللفظة ، فإنه عاجز عن إدراك ما يخفى عليه من أمور الغيب التي استأثر الله بعلمها لا يدري كيف يقدر الله الأرزاق ولا كيف يسوق الخير ولا كيف يدفع الشر .

ولقد منح الله - تعالى - الإنسان من القوى ما يستطيع به أن يدير الأمور الظاهرة التي تبلغها مداركه وتنازلها قوته أما ما وراء ذلك ما لا تنازه قوى البشر ، ولا تصل إليه مداركهم فعليهم أن يكلوه إلى " الوكيل - سبحانه - .

ولذلك وجه الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يتخذة وكلا يتوكل له بسين  
أمور الرسالة وهداية الناس ودفع أذاهم عنه ، ونشر الدعوة وإزالة العوائق من طريقها  
بط يعجز عنه صلى الله عليه وسلم بقوة البشرية التي منحه الله إياها .

قال - تعالى - ( رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذة وكلا ) ( ٢ ) .

ولما أكثر المنافقون من الدس ، والكيد والرياء أمره الوكيل - سبحانه أن يتوكل  
عليه ليكفيه أمرهم ويدفع عنه أذاهم وكل ما لا يقدر على دفعه بنفسه .

قال تعالى ( ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم فيرأى الذي يقول

والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكلا ) ( ٢ )

ولما حاول الكافرون فتنة الرسول صلى الله عليه وسلم من بعض ما أنزل الله إليه  
وساعدهم المنافقون على ذلك وأرادوا أن يخذعوه بقولهم أنه لو أجابهم إلى بعض  
ما يطلبون لآمنوا به واتبعوه نهاء " الوكيل " - سبحانه - وهو العليم بنياتهم الخبير  
ببواطن أمورهم - أمره باتباع الوحي الذي أنزل عليه وأن يتوكل عليه ليكفيه أمر فتنتهم  
وببصره بط خفي من أمورهم العذوانية .

قال تعالى ( يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان

عليك حكيم . واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بط تعطلون خبيرا . وتوكل

على الله وكفى بالله وكلا ) ( ٣ ) .

ولقد أخبرنا الله - تعالى - في كتابه الكريم أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

حين أخبرهم المنافقون بأن الكفار يجمعون لهم الناس ليحاربوهم ولينكروا بهم لهم

يبالوا ولم يكثرثوا بل ازدادوا وإيطانا على إيطانهم بأن الله ناصرهم ومهدهم على طاغوت

الكفر ، وأيقنوا بأنهم منتصرون على عدوهم ويفوزون عليه لأنهم قد اتخذوا الله وكلا

( ٢ ) سورة النساء آية : ٨١ .

( ١ ) سورة المزمل آية : ٩ .

( ٣ ) سورة الأحزاب آية : ١-٣ .

يتولى شؤونهم ويدبر أمر انتصارهم على كل من ناوأهمونا وألصقنا بالإسلامية التي هي دين الله لا يرتضى ديناً سواه قال تعالى : ( الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ) ( ١ ) .

ومعنى الآية : " أنهم لم يفشلوا لظنهم سمعوا ذلك ولا التفتوا إليه بل أخلصوا لله وزدادوا طمأنينة وبقينا وفيه دليل على أن الإيمان يزيد وينقص وتقولوه ( حسبنا الله ونعم الوكيل ) حسب مصدر حسبه : أي كفاه وهو بمعنى الفاعل أي : محسب بمعنى كافي " أ. هـ ( ٢ ) .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي : عند قوله - تعالى -

( الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ) .

" والشاهد من هذا أن الله - تعالى - لا أخبر عن نفسه الكريمة أنه خالق لجميع العالم العلوي والسفلي ، وأنه على كل شيء وكيل والوكالة التامة لا بد فيها من علم الوكيل بما كان وكبلاً عليه وإحاطته بتفاصيله ومن قدرة تامة على ما هو وكيل عليه ليتمكن من التصرف فيه ومن حفظ لما هو وكيل عليه من حكمة ومعرفة بوجوه التصرفات ليصرفها ويدبرها على ما هو الأليق فلا تتم الوكالة إلا بذلك كله ، فظن من ذلك فهو نقص فيها ، ومن المعلوم المقرر أن الله - تعالى - منزّه عن كل نقص في أي صفة من صفاته ، فأخبره بأنه على كل شيء وكيل يدل على إحاطة علمه بجميع الأشياء وكمال قدرته على تدبيرها وكمال تدبيره ، وكمال حكمته التي يصنع بها الأشياء مواضعها " أ. هـ ( ٣ ) لا إله إلا هو فاعبدوه

وقال تعالى : ( ذلكم الله ربكم خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ) ( ٤ ) .

ففي هذه الآية الكريمة إخبار من الله - جل و علا - بأنه الإله الحق وحده لا شريك له وهو الذي خلق كل شيء وهو الوكيل على كل شيء والوكيل كط تقدم هو من توكل

( ١ ) سورة آل عمران آية : ١٧٣ . ( ٢ ) فتح القدير للشوكاني ١٦١/٢ .

( ٣ ) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المعاني ٤٢/٧ .

( ٤ ) سورة الأنعام آية : ١٠٢ .



إليه الأمور فنعم الموكول إليه أمرنا وهو الذي يستحق أن يعبد ويقر له بالوحدانية وأنه لا إله إلا هو وأنه لا ولد له ، ولا والد ولا صاحبة له ولا نظير ولا عديل ( وهو على كل شيء وكيل ) بمعنى حفيظ ورتيب يدبر كل ما سواه ويرزقهم ويكلوهم بالليل والنهار .

وقد بين موسى عليه الصلاة والسلام أن الله شهيد وحفيظ فلا يستطيع أحد أن يعمل عطا<sup>لله</sup> سوا<sup>الله</sup> إلا كان ذلك العمل صالحا أو سيئا إلا والله رقيب وشهيد عليه .

قال تعالى حاكيا عنه ذلك بشأن العقد الذي أبرم بينه وبين صهره على رعي غنمه ثلثي حجج قال ذلك بيني وبينك أبط الأجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل ( ١ ) .

فهو - سبحانه - الموكول بالعدل بين المتعاقدين الشهيد عليهم والعليم بعقدهم و ما اتفق عليه بينهم ،

فهذه الآيات التي قد ما ذكرها كلها تدل دلالة صريحة واضحة على أن الله - تعالى - هو الحفيظ لعباده بكلهم بحفظه آنا الليل وأطراف النهار ، كما دلت على أنه رقيب وشهيد على أعمال عباده لا يخفى عليه من عملهم شيء فعلى العباد أن يتنبهوا لهذا ويفهموا عليهم بيتعدون عطا بقرينهم من سخط الله - تعالى - وفضبه ويفرزون إلى بقرينهم من رضوان الله ورحمته .

وبعد أن أوردنا الكثير من الآيات القرآنية الكريمة التي أثبتت اسمه - تعالى - " الوكيل " وبيننا أنها دلت على إثبات ذلك الاسم والصفة التي تضمنها صراحة لا تقبل المراء ولا الجدال لوضوح النصوص في ذلك من الكتاب والسنة ، ورغم كثرة النصوص الواردة من قرآن وسنة في إثبات اسمه - تعالى - " الوكيل فإنه قد وجد من أهل البدع من منع إطلاقه على الله - تعالى - .

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله - تعالى -

" واختلفت المعتزلة في " الباري " هل يقال إنه وكيل وإنه لطيف ؟ على مقلتين :

( ١ ) فمنهم من زعم أن الباري لا يقال : إنه وكيل وأنكر قائل هذا القول أن يقول ( حسبنا الله ونعم الوكيل ) ( ١ ) من غير أن يقرأ القرآن وأنكر أيضا : أن يقال " لطيف " دون أ ( يوصل ذلك فيقال : لطيف بالعباد واللائل بهذا القول " عباد بن سليمان " .

( ٢ ) ومنهم من أطلق " وكيل " وأطلق " لطيف " وإن لم يقيد " أ. هـ ( ٢ ) .

ونقول : للجهمية والمعتزلة إن اسمه - تعالى - " الوكيل " وط دل عليه من صفة للباري - جل و علا - فإنه قد ثبت ذلك بالكتاب والسنة وإجماع السلف من هذه الأمة وقد أطلق الله على نفسه اسمه " الوكيل " في محكم كتابه في مواضع كثيرة من كتابه وقد قدمنا طرفا منها ، كما أطلقه عليه رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في سنته المطهرة ولا يجوز القول بأن هذا الاسم لا يطلق على الله إلا عند قراءة القرآن فهذا الاسم يطلق على الله دون تقييد .

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : ( حسبنا الله ونعم الوكيل ) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين ( قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ابطنا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ) ( ٣ ) .

وروى البخاري أيضا : عن ابن عباس قال : " كان آخر قول إبراهيم حين ألقى في النار " حسبني الله ونعم الوكيل " ( ٤ ) .

( ١ ) جزء من الآية رقم ( ١٧٣ ) من سورة آل عمران .

( ٢ ) مقالات الإسلاميين ١ / ٢٧١-٢٧٢ .

( ٣ ) صحيح البخاري ٣ / ١١٤ .

( ٤ ) المصدر السابق ورواه أحمد في مسنده ٦ / ٨٣ ، ٢١٧ .

فيقال للمعتزلة إن الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك إبراهيم الخليل أطلقا اسم (الوكيل) على الله - سبحانه وتعالى - فإبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام كان آخر قوله حين ألقى في النار "حسبي الله ونعم الوكيل" والرسول صلى الله عليه وسلم قالها عندما أرسل أبو سفيان ناسا فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم أن أبا سفيان وأصحابه يقصدونهم فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل " ولم يقل : لا يطلق اسم الوكيل على الله إلا في القرآن كما قال بذلك بعض المعتزلة ولكن الآراء التي تصدر عن هوى ومن العقل السقيم غالبا ما تلقي بأصحابها في الأخطاء التي تعارض النصوص الظاهرة المشهورة نسأل الله العافية من ذلك .

المبحث الثالث عشرإثبات صفة اليد بيمين

لقد دلت السورة على أن لله - تعالى - يدين حقيقتين وهما من صفات الكمال التي اتصف بها - سبحانه - وقد جاء في السورة الإشارة إلى صفة اليدين في آية واحدة منها :-

قال تعالى : ( وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ) .

هذه الآية من السورة بدأت بنصي حال المشركين الذين لم يعظموا الله حق التعظيم اللائق به - سبحانه وتعالى - حيث عبداً معه غيره وأشركوه معه في العبادة ثم بينت بأن الأرض كلها قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، ومذهب سلفنا الصالح إثبات القبضة واليمين كما وردت بلا تكييف ، ولا تأويل ، ولا تحريف ، فيجب الإبطان بكل ما وصف الله فيه نفسه مع القطع بأنه وصف يليق بجلاله ( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ) ( ١ ) ،

قال العلامة ابن كثير : " يقول تبارك وتعالى = ( وما قدروا الله حق قدره ) أي ما قدره هؤلاء المشركون الله حق قدره حين عبداً معه غيره وهو العظيم الذي لا أعظم منه القادر على كل شيء الطالك لكل شيء وكل شيء تحت قدره وقدرته . . . . . إلى أن قال : وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة ، والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف . ( ٢ ) .

( ١ ) سورة الشورى آية : ١١ .

( ٢ ) تفسير القرآن العظيم ١٠٦/٦ - ١٠٧ .

وقد روى الإمام البخاري بإسناده عند هذه الآية إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : جاء حبر من الأحرار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حمد إنا نجد أن الله - عز وجل - يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على أصبع ، والطاء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيام والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ) ( ١ ) .

هذا الحديث قال فيه المعطلة نفاة الصفات إنه من كلام اليهودي ، وليس من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، واليهود الغالب عليهم التشبيه وقد نهينا عن تصديق أهل الكتاب ، أو تكذيبهم وضحك الرسول صلى الله عليه وسلم على مقالة الحبر إنما هو من تشبيه اليهود للخالق بالمخلوق ، وليس إقرار له بل هو استنكار ( ٢ ) .  
والجواب : أما كون ذكر الأصابع في الحديث من قول الحبر لا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا صحيح كما نطق بذلك الحديث .

وأما أنه عليه الصلاة والسلام لم يتلفظ بمشبهة قول الحبر فهذا باطل إذ الثابت عنه صلى الله عليه وسلم ما هو أبلغ من ذلك وهو أنه عليه الصلاة والسلام ظهر عليه علامة السرور بقول الحبر ، ولو كان في قوله نوع تشبيه لله - جل وعلا - بخلقه لتمصر وجهه ولغضب غضبا شديدا ، ولزجر اليهودي وبين الأمة أنه غير صادق فيط قال لأن ذلك طعن لعقيدة الإسلام في صميمها ، ولكن ضحك صلى الله عليه وسلم دال على إقراره له ، وأن ما قاله لم يشبهه الإسلام ويقره ويقال لهؤلاء النفاة أيضا : لستم أعرف بحال الرسول صلى الله عليه وسلم من الصحابي الراوي لهذا الحديث .

قال ابن خزيمة رحمه الله تعالى : " . . . . . وقد أجل الله قدر نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يوصف الخالق - الباري - بحضرتة مما ليس من صفاته فيسمع منه فيضحك عنده ، ويجعل بدل وجوب النكير والغضب على المتكلم به ضحكا تبتدئ نواجذه

( ١ ) صحيح البخاري ٣ / ١٨٢ .

( ٢ ) انظر " كتاب الأساطير والصفات " للبيهقي ص ٤٢٥ وما بعدها ، فتح الباري ٨ / ٥١٥ .

تصدقا وتعجبا لقائله لا يصف النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة مؤمن مصدق برسالته" أ. هـ ( ١ )

وروى مسلم في صحيحه بإسناده إلى عبد الله بن عمر رضی الله تعالى عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله - عز وجل - السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الله الأرضين بشطاله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ( ٢ )

وروى ابن خزيمة رحمه الله تعالى بإسناده إلى أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لظ خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال : الحمد لله فحمد الله - عز وجل - بإذن الله - تبارك وتعالى - فقال له ربه رحمك ربك يا آدم ، وقال له يا آدم إذهب إلى أولئك اللائكة إلى ما أنت منهم فقل السلام عليكم ، فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثم رجع إلى ربه - عز وجل - فقال : هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم فقال الله - تبارك وتعالى - له ويدها مقبوضتان إخرأيهما شئت قال : اخترت يميني ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته . . . الحديث ( ٣ ) .

هذا الحديث والذي قبله قد يتوهم بعض الناس أن بينهما تعارضا حيث أن الأول ورد فيه ذكر الشطال ، وهذا ينص على أن كلتا يديه - سبحانه - يمين

وقال ابن خزيمة : " باب ذكر سنة ثامنة تبين وتوضح أن لخالقنا - جل و علا - يدين

كلتاها يمينان لا يسار لخالقنا - عز وجل - إذ اليسار من صفة المخلوقين " ( ٤ )

والجواب : أنه لا تعارض بين الحديثين فمندا نقول : إن كلتا يديه - سبحانه - يمينان مع ورود الحديث الصحيح لابن عمر الذي جاء فيه ذكر الشطال لا يلزم منه أن اليمين أكمل من الشمال كما هو شأن يدي المخلوق ، فالله - جل و علا - له الكمال المطلق وليس للإنسان من الكمال إلا ما منحه إياه خالقه ، وبإمرته فلا يترتب على قول العلماء

( ١ ) " كتاب التوحيد " ص ٧٦ .

( ٢ ) ٢١٤٨ / ٤

( ٣ ) كتاب التوحيد ص ٦٧ .

( ٤ ) المصدر السابق ص ٦٦-٦٧ .

كلتا يدي ربنا يمينان استنقاص لشطاله - سبحانه - فهو - تعالى - منزه ومقدس له  
المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم " ( ١ ) .

وروى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحد بصدقة من طيب ، ولا يقبل الله  
إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه ، وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى  
تكون أعظم من الجبل كما يزي أحدكم فلوله ، أو فيله ( ٢ ) .

وعلى هذا نقول : إن ورود ذكر اليمين والقبضة في الآية ، وذكر اليد والكف  
والأصابع في الأحاديث التي سقناها بعدها زيادة لتوضيح معناها كل ذلك يدل  
دلالة واضحة على أن - للبارئ سبحانه - يدين حقيقتين ليستا مجازا في النعمة  
والقدرة ( ٤ ) كما ادعى ذلك الجهمية والمعلطة ، وصفة اليمين من الصفات الذاتية  
التي لا تنفك عن الله - تعالى - فيجب الإيمان بها وإثباتها حقيقة على ما يليق  
بجلاله وعظيم سلطانه .

وقد بين - تعالى - في مواضع من كتابه أن له يدين خلق بهط آدم وأنهم  
مبسوطتان بالإنفاق وأن يده فوق أيدي المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم .  
قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ بِمَا كُفَرْتُمْ أَعْلَمُ ﴾ (١) أن تسجد لخلقك بيدتي أستكبرت أم كنت  
من العالين ( ٥ ) فهذه الآية بين - تعالى - فيها أنه قرع إبليس ووبخه حين منعه  
الكبر عن أن يسجد لآدم الذي خلقه الله بيديه .

وقال تعالى : ( وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بط قالوا

بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء ) ( ٦ ) .

( ١ ) أنظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٤٢ .

( ٢ ) ٢٧٩ / ٤ .

( ٣ ) انظر شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار ص ٢٢٨ .

( ٤ ) أنظر أصول الدين لعبد الظاهر بن طاهر البغدادي ص ١١١ .

( ٥ ) سورة (ص) آية ٧٥ . ( ٦ ) سورة الطه آية : ٦٤ .

وهذه الآية إخبار من المولى - جل شأنه - أن اليهود وصفوه - تعالى - بالبخل حيث قالوا : ( يد الله مفلولة ) فأكذبهم الله ولمنهم على مقاتلتهم التي تنبى عما هو متمكن في نفوسهم من الشح عن الإنفاق في وجه الخير ، أم يداه - سبحانه - فهبط مسوطتان بالإنفاق على عباده كيف يشاء ، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يمين الله لأى لا يفيضها سحاً " ( ١ ) الليل والنهار ، رأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يفيض ما في يمينه قال : " وهرشه على الطاء " ، ويده الأخرى القبض يرفع ويخفض " ( ٢ ) .

وقال تعالى : ( ان الذين يباعدونك انط يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ) ( ٣ ) وهذه الآية صرحت بأن الله يدا تكون فوق أيدي المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : عند قوله تعالى ( ما منعك أن تسجد لى خلقت بيدي ) ( ٤ ) .

" إن لفظ اليد جاء في القرآن على ثلاثة أنواع : مفردا ، ومثنى ، ومجموعا .  
فالمفرد كقوله تعالى ( بيده الملك ) ( ٥ ) .

والمثنى كقوله تعالى : ( خلقت بيدي ) .

والمجموع كقوله تعالى ( عملت أيدينا ) ( ٦ ) فحيث ذكر اليد مثناة أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد وعدي الفعل بالباء في الهمط وقال ( خلقت بيدي ) ، وحيث ذكرها مجموعاً أضاف الفعل إليها ولم يمد الفعل بالباء ، فهذه ثلاثة فروق فلا يحتل ( خلقت بيدي ) من المجاز ما يحتمله ( عملت أيدينا ) فإن كل أحد يفهم من قوله ( عملت أيدينا ) ما يفهمه من قوله عملنا وخلقنا كما يفهم ذلك من قوله ( فهبط كسبت أيديكم ) ( ٧ ) وأما قوله ( خلقت بيدي ) فلو كان المراد منه مجرد الفعل لم يكن لذكر اليد بمد نسبة الفعل إلى الفاعل معنى فكيف وقد دخلت عليها الباء ؟

- |                                                             |                              |
|-------------------------------------------------------------|------------------------------|
| ( ١ ) سحاً : أى دائعة الصب والهطل بالعطاء النهاية ٣٤٥ / ٢ . | ( ٢ ) ٦٩١ / ٢ .              |
| ( ٣ ) سورة الفتح آية : ١٠ .                                 | ( ٤ ) سورة " ص " آية : ٧٥ .  |
| ( ٥ ) سورة الطك آية : ١ .                                   | ( ٦ ) سورة " يس " آية : ٧١ . |
| ( ٧ ) سورة الشورى آية : ٣٠ .                                |                              |



فكيف إذا ثبت ، وسر الفرق أن الفعل قد يضاف إلى يد ذي اليد والمراد الإضافة إليه كقوله ( بط قدمت يداك ) ( ١ ) و ( بط كسبت أيدكم ) . وأما إذا أضيف إليه الفعل ثم عدي بالباء إلى اليد مفردة فهو مط باشرته يده ولهذا قال عبدالله بن عمر : " إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثا خلق آدم بيده ، وغرس جنة الفردوس بيده ، وكتب التوراة بيده " ( ٢ ) فولو كانت اليد هي القدرة لم يكن لها اختصاص بذلك ولا كانت لآدم فضيلة بذلك على كل شيء مط خلق بالقدرة " أ . هـ ( ٣ ) .

فأين القيم رحمه الله تعالى أراد بهذا البيان الرد على النظاة الذين يقولون : إذا قلنا : إن اليد فصي قوله تعالى ( مط عملت أيدينا ) ( ٤ ) صفة نكون قد أثبتنا أيدي كثيرة ، أو أننا نقول : بإشراك غير آدم مع آدم في الخاصية وهي أن الله خلقه بيديه كما قال تعالى ( لم خلقت بيدي ) ( ٥ ) فيرد عليهم بأن بين الآيتين فرقا من وجهين :

الوجه الأول : أنه لضاف الفعل إليه في قوله ( خلقت بيدي ) وبين أنه خلق آدم بيديه ، وهناك أضاف الفعل إلى الأيدي .

الوجه الثاني : أن العرب يضعون اسم الجمع موضع التثنية إذا أمن اللبس كقوله تعالى ( والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ) ( ٦ ) أي : يديهما ، وقوله تعالى ( فقد صفت قلوبكما ) ( ٧ ) أي قلبا كما فكذلك قوله تعالى ( مط عملت أيدينا ) ( ٨ )

قال أبو الحسن الأشعري : " فإن قال قائل إذا ذكر الله الأيدي وأراد يدين فما أنكرتم أن يذكر الأيدي ويريد يدا واحدة ؟ قيل له ذكر الله - عز وجل - أيدي وأراد يدين لأنهم أجمعوا على بطلان قول من قال أيدي كثيرة ، وقول من قال يدا واحدة فقلنا : " يدان " لأن القرآن على ظاهره إلا أن تقوم حجة بأن يكون على

- ( ١ ) سورة الحج آية : ١٠
- ( ٢ ) أنظر جامع البيان للطبري ١٨٥ / ٢٣ .
- ( ٣ ) مختصر الصواعق المرسله ٣٨ / ١ .
- ( ٤ ) سورة " يس " آية : ٧١
- ( ٥ ) سورة " ص " آية ٧٥ .
- ( ٦ ) سورة الطائفة آية : ٤٤
- ( ٧ ) سورة التحريم آية ٤ .
- ( ٨ ) مجموع الفتاوى ٣٧ / ٦ والآية رقم ( ٧١ ) من سورة " يس " .

على خلاف الظاهر " أ. هـ ( ١ ) .

والذي يفهم من هذا أن الله تعالى يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد مظهرا أو مضمرا وتارة آخر يذكر نفسه بصيغة الجمع كقوله تعالى ( إنا فتحنا لك فتحا مبينا ) ( ٢ )  
وأما ذلك ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية قط لأنها تدل على العدد المحصور وهو  
- سبحانه - منزعه عن ذلك " ( ٣ ) .

وهذا تبطل شبهة المعطلين القائلين إن اليد قد أفردت في بعض الآيات وجاء بلفظ الجمع في بعضها ، فلا دليل لهم في ذلك فان ما يصنع بالاثنتين قد ينسب إلى المفرد تقول : رأيت بعيني ، وسمعت بأذني ، والمقصود عيناى وأذناى وكذلك الجمع يأتي بمعنى المثني كما قدمنا ذلك قريبا .

فكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قد دلا دلالة قاطعة على أن - للبارئ سبحانه وتعالى - يدين مختصتين به ذاتيتين له ، كما يليق به ، وأنه - تعالى - خلق آدم بيده دون الطلائكة وإبليس .

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أحتج آدم وموسى عليهما السلام فقال موسى : لآدم يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت موسى اصطفاك الله بسكلامه وخط لك في الألواح بيده أتلومني على أمر قضاك الله علي قبل أن يخلقني بأربعين عاما فقال رسول الله فحج آدم موسى " ( ٤ ) .

قال ابن خزيمة : " فكلم الله موسى خاطب آدم عليهما السلام شفاها أن الله خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه على ما هو مخطوط بين الدفتين من إلام الله - جل وعلا - عباده المؤمنين أنه خلق آدم عليه السلام بيده ( ٥ ) .

( ١ ) الإنبابة عن أصول الديانة ص ٣٧ .

( ٢ ) سورة الفتح آية ١ .

( ٣ ) الرسالة التدمرية مع شرحها التحفة المهدية ١ / ١٢٩ .

( ٤ ) صحيح البخارى ٤ / ٣٠٠ ، صحيح مسلم ٤ / ٢٠٤٢ .

( ٥ ) كتاب التوحيد ص ٥٥ .

وجاء في حديث الشفاعة الطويل الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يجمع المؤمنون يوم القيامة فيهتمون فيقولون : لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أنتأبوالناس خلقتك الله بيده وأسجد لك ملائكته وملك أسطه كل شيء إشفع لنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا . . . . . الحديث " ( ١ ) .

فالحديث نص في إثبات اليمين حقيقة ولو كانتا بمعنى النعمة أو القدرة لقالوا : أنت وأالناس الذي خلقك الله بقدرته ، أو بنعمته .

( ٢ )

قال ابن القيم : وهذا التخصيص إنط فهم من قوله ( خلقت بيدي ) فلو كان مثل قوله ( ما عطت أيدينا ) ( ٣ ) لكان هو والأنعام في ذلك سواء فلما فهم المسلمون أن قوله ( ما منعك أن تسجد لخلق بيدي ) ( ٤ ) يوجب له تخصيصا وتفضيلا بكونه مخلوقا باليدين على من أمر أن يسجد له وفهم ذلك أهل الموقف حين جعلوه من خصائصه كانت التسوية بينه وبين قوله ( أولم يروا أنا خلقنا لهم ما عطت أيدينا أنعاما ) ( ٥ ) خطأ محضاً " أ. هـ ( ٦٦ ) .

ويجب على المسلم أن يسلك في صفات الله تعالى مسلك السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين ، وهو إثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه ولا تكليف له ، وأن الإيمان به واجب وترك التكليف له لازم " ( ٧ ) .

قال عبد الرحمن بن القاسم : " لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن ، ولا يشبهه بديه بشيء ، ولا وجهه بشيء ، ولكن يقول : له يدان كما وصف نفسه يقف عند ما وصف به نفسه في الكتاب فانه - تبارك وتعالى - لا مثيل له ولا شبيه ولكن هو الله لا إله إلا هو " ( ٨ ) .

- ( ١ ) صحيح البخاري ٢٧٩/٤ ، صحيح مسلم ١/١٨٠ .
- ( ٢ ) سورة " ص " آية : ٧٥ . ( ٣ ) سورة " يس " آية : ٧١ .
- ( ٤ ) سورة " ص " آية ٧٥ . ( ٥ ) سورة " يس " آية ٧١ .
- ( ٦ ) مختصر الصواعق ٣٩/١ ، التفسير القيم ص ٤٢٢ .
- ( ٧ ) رسالة أبي الحسن الأشعري إلى أهل الثغر " ١/١ .
- ( ٨ ) رسالة الاعتقاد لمحمد بن عبد الله بن أبي زمنين " ٢/٢ .

وقال الترمذي رحمه الله تعالى : " في باب فضل الصدقة " قد ثبتت هذه الروايات فنؤمن بها ، ولا نتوهم ولا يقال كيف ؟ كذا جاء عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم أمروها بلا كيف وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة ، وأما الجهمية ، فأنكروها وقالوا : هذا تشبيه ، وقال إسحق بن راهويه إنط يكون التشبيه لوقيل يد كيد وسمع كسمع " ( ١ ) .

وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى : " فط ذكر الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف ، ولا يقال : إن يده قدرته وتعمته لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والإعتزال ولكن يده صفة بلا كيف وفضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف " ( ٢ ) .

وقال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي : " وله الأسماء الحسنى يسبح له ما فسى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم يقض ، ويبسط ويتكلم ويرضى ويسخط ويفض ويحب ويبغض ويكره ويضحك وبأمر وينهى ذوالوجه الكريم والسمع السميع ، والبصر البصير ، والكلام المبين ، واليدين والقبضتين والقدرة والسلطان والعظمة والعلم الأزلي لم يزل كذلك ولا يزال . . . . . استوى على عرشه فبان من خلقه لا تخفى عليه منهن خافية علمه بهم محيط ، وبصره فيهم ناقد ( ليس كمثل شئ وهو السميع البصير ) ( ٣ ) .

وقد البيهقي بابا في كتابه " الإعتقاد " ذكر فيه آيات وأحاديث وردت في إثبات صفة الوجه واليدين والعين ثم قال : وهذه صفات طريق إثباتها السمع فنثبتها لورود خبر الصادق بها ولا نكفيها " ( ٤ ) .

وقال الشهرستاني : " وأعلم أن جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون لله - تعالى - صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة . . . . . ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوفا واحدا ، وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين والوجه

( ١ ) طارضة الأحوذ يشرح الترمذي لابن العربي ٣ / ١٦٥ .

( ٢ ) شرح الفقه الأكبر ص ٥٦ - ٥٨ .

( ٣ ) الرد على الجهمية ص ٤ .

( ٤ ) ص ٢٩ .

وهذا الإجماع الذي نقله ابن عبد البر عن السلف فيه رد على من يقول : أن مذهب السلف هو التفويض في صفات الله - تعالى - وأن من نسب إليهم ذلك فهو جاهل تماما لمذهب السلف في هذا الباب والصحيح أن مذهب السلف هو حمل صفات الله الواردة في القرآن والسنة على الحقيقة ولا يفوضون إلا في الكيفية فقط لأنه لا يعلم كنه ذلك إلا - هو سبحانه - ولأن ذلك مما استأثر الله بعلمه فعباره السلف "أمروها كما جاءت" (١) لا تدل على أن مذهبهم التفويض في المعنى ، وإنما معنى هذه العبارة هو ما قررنا هنا ، والعلم لله - تعالى - .

ثم إن صفة الدين ضلت فيها طوائف مختلفة كالمشبهة والمعتزلة والأشعرية .

### أولا المشبهة :

أما المشبهة : أتباع محمد بن كرام السجستاني فقد زعموا : أن يدي الله - تعالى - جارحتان وعضوان فيهما كفان وأصابع ككفي الإنسان وأصابعه" (٢) . وهذا الزعم باطل شرعا ومثلا .

أما شرعا فقد قال تعالى ( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ) (٣) . ومعنى الآية : أن الله - تعالى - لا يشبه شيئا من خلقه ، ولا يشبهه شيء من خلقه فصفت البارئ - سبحانه - كلها خلاف صفات المخلوقين فهو - سبحانه - مبين لخلقهم له يدان لا كأيدي المخلوقين ، وله قدرة لا كقدرة المخلوقين ، وله بصيرة لا كبصيرة المخلوقين وقال تعالى : ( فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ) (٤) . قال ابن كثير : ( فلا تضربوا لله الأمثال ) أي لا تجعلوا له أنداد وأشباها وأمثالا (٥)

(١) الفتوى الحموية الكبرى ص ٥١ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢١٥ وط بعدها ، الملل والنحل ١/١٠٥ ، ١٠٨ وط بعدها

وأصول الدين للبغدادي ص ١١٠ لوامع الأنوار البهية ١/٩١ .

(٣) سورة الشورى آية : ١١ . (٤) سورة النحل آية : ٧٤ .

(٥) تفسير القرآن العظيم : ٢/٢١٢ .

فالمشبهة عند ما يزعمون أن يدي الله كأيد بهم وسمعه كسمعهم وغير ذلك فقد جعلوا لله أمثالا وأشباها - تعالى الله - عما يقولون علوا كبيرا .

وقال تعالى ( هل تعلم له سميا ) ( ١ ) يعنى هل تعلم - للرب - مثلا أو شبيها  
وقال تعالى ( ولله المثل الأعلى ) ( ٢ ) وهذه الآية أثبتت الكمال المطلق لله تعالى - من جميع الوجوه والمشبهة ساووه بالناقصات - تعالى - وتقدس عن قولهم علوا كبيرا .

قال نعيم بن حماد : " من شبه الله بشئ من خلقه فقد كفر ، ومن أنكرها فقد كفر ومن أنكرها ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيط وصف الله به نفسه ولا رسوله - تشبيهه " ( ٣ ) .

وقال إسحاق بن راهويه : " من وصف الله بصفات أحد من خلقه فهو كافر بالله العظيم وقال : علامة جهنم وأصحابه دعواهم على أهل السنة والجماعة ما أولعوا به من الكذب أنهم مشبهة بل هم المعطلة ، وبهذا القول قال كثير من أئمة السلف " ( ٤ ) حتى قيل إن المشبه عابد صنم والمعطل عابد عدم . ( ٥ ) .  
وأما بطلان مذهبهم عقلا :

" فإن المثليين يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر ، ويجب له ما يجب له ، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ، فلو كان المخلوق مطالا للخالق للزم اشتراكهما فيجب ، وما يجوز وما يمتنع .

والخالق يجب وجوده وقدمه ، والمخلوق يستحيل وجوب وجوده وقدمه ، بل يجب حدوثه ، وإمكانه ، فلو كانا متطابقين للزم اشتراكهما في ذلك ، يجب وجوده وقدمه ويمتنع وجوب قدمه ، ويجب حدوثه وإمكانه ، فيكون كلا منهما واجب القدم واجب

( ١ ) سورة مريم آية : ٦٥ . ( ٢ ) سورة النحل آية : ٦٠ .

( ٣ ) شرح الفقه الأكبر ص ٢٤-٢٥ ، شرح الطحاوية ص ١٢٠ .

( ٤ ) شرح الفقه الأكبر ص ٢٤-٢٥ ، شرح الطحاوية ص ١٢٠-١٢١ .

( ٥ ) أنظر مقدمة قصيدة ابن القيم المسماة : " الكافية الشافية في الانتصار للفرقة

الحدوث واجب الوجود ، وط ليس بواجب الوجود يمتنع قدمه ، لا يمتنع قدمه ، وهذا جمع بين النقيضين " ( ١ ) .

فالمشبهة وقعوا في محذور لم يسبقوا إلى مثله حيث شبهوا الخالق بالمخلوق ، ومن المجيب أنه لو طلب من المشبه أن يصف روحه التي بين جنبه كيف هي ؟ لقال : إنه عاجز عن ذلك فإذا كان يعجز عن وصف مخلوق ويتجرأ على تشبيه الخالق فإن ذلك من المحادة لله ورسوله .

ولو قيل له أيضا : " أن الله أخبر عطا في الجنة من المطاعم واللباس والمناكح فهل هي كالموجودات في الدنيا ؟ لسأله إلى الاجابة بأنها لا تتفق معها إلا في الاسم فقط ، ولقال : وبينهما من المباينة ما لا يعلمه إلا الله .

ومن هنا يعرف المؤمن بعظمة الله وجلاله أن المشبه عموم عقولهم في غطاء عن صفات الله التي تليق به - سبحانه - ، ومذهبهم فاسد خارج عن نطاق الشرع والمقل مع اعترافهم وإقرارهم بذلك إذ أنهم يثبتون المباينة والفرق بين المخلوقات ولا يدركون المباينة العظمى بين الخالق والمخلوقين - تعالى الله - عن ذلك علوا كبيرا " ( ٢ ) .

ثانيا : مذهب المعتزلة والأشعرية :

زعمت المعتزلة أن صفة اليمين مجاز في النعمة ، والقوة وقال : أفراخهم لأشعرية إن صفة اليمين المراد بها القدرة قال عبد الجبار بن أحمد ( ٣ ) عند قوله تعالى - ( وقالت اليهود يد الله مفلولة فلت أيديهم ولعنوا بط قائلوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء ) ( ٤ ) .

والمراد بذلك أن نعمته مبسوطتان على العباد وأراد به نعمة الدين والدنيا

- ( ١ ) شرح العقيدة الأصفهانية ص ٩ - ١٠ .
- ( ٢ ) أنظر الرسالة التدمرية مع شرحها التحفة المهدية ١ / ٧٥ .
- ( ٣ ) هو : عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهذلي الأسد أبادي ، أبو الحسين قاضي أصولي شيخ الاعتزال في زمنه لقبه المعتزلة بقاضي القضاة ، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره له تصانيف كثيرة توفي سنة خمس عشرة وأربعمائة هجرية ميزان الاعتدال ٢ / ٥٣٣ .
- ( ٤ ) سورة الطه آية : ٦٤ .

( ١ )

والنعمة الظاهرة والباطنة وقد يصبر باليد عن النعمة فيقال : لظان عندك يد أ . هـ .  
وقال أيضا : عند قوله تعالى ( لط خلقت بيدي ) ( ٢ ) قالوا : فأثبت لنفسه  
اليدين ، وهذا يدل على كونه جسما ، والجواب عنه أن اليدين هاهنا بمعنى القوة  
وذلك ظاهر في اللفظة يقال ما لي على هذا الأمر يد أي : قوة " ( ٣ ) .

فعبد الجبار هذا يعد من أكابر علماء المعتزلة ، وهذه التأويلات التي ذكرها  
لصفة اليدين من التأويلات الباطلة ، وهي عين التحريف الذي ذم الله عليه أهل  
الكتاب الذين يحرفون الكلم عن مواضعه .

وأما الأشعرية فقد أفصح عن مذهبهم " عبد القاهر بن طاهر البغدادي حيث  
قال : في صفة اليدين " وتأولها بعض أصحابنا على معنى القدرة . . . . . وذلك  
صحيح على المذهب إذ أثبتنا لله القدرة ، وبها خلق كل شيء ، ولذلك قال نسي  
آدم عليه السلام ( خلقت بيدي ) ووجه تخصيصه آدم بذلك أن خلقه بقدرته لا على  
مثال سبق ، ولا من نطفة ، ولا نقل من الأضلاب إلى الأرحام كما نقل ذريته من  
الأضلاب إلى الأرحام " أ . هـ ( ٤ )

وقال البيجوري : ( فالسلف يقولون لله وجه ويد وأصابع لا نعلمها ، والخلف يقولون :  
المراد من الوجه الذات ، وباليدين القدرة والمراد من قوله ( ) بين أصبعين من  
أصابع الرحمن " بين صفتين من صفاته وهاتان الصفتان القدرة والإرادة " ( ٥ ) .  
وهذه التأويلات المتقدمة للمعتزلة والأشعرية لصفة اليدين بالنعمة والقدرة والقوة  
تأويلات باطلة بعيدة عن الصواب بمسافات بعيدة ويرد على الفريقين من جوه :

( ١ ) متشابه القرآن ٢٣٠ / ١ ، ونظرا المقالات للأشعري ٢٧١ / ١ .

( ٢ ) سورة ( ص ) آية : ٧٥ .

( ٣ ) شرح الأصول الخمسة ص ٢٢٨ .

( ٤ ) أصول الدين ص ١١١ .

( ٥ ) تحفة المرید شرح جوهرة التوحيد ص ٩٣ .



الوجه الأول : إن الأصل في الكلام الحقيقة ، فدعوى المجاز مخالف للأصل .

الوجه الثاني : أن ذلك خلاف الظاهر فقد اتفق الأصل والظاهر على بطلان هذه الدعوى .

الوجه الثالث : إن اطراد لفظها في موارد الإستعمال وتنوع ذلك وتصريف استعماله يمنع المجاز ألا ترى ؟ إلى قوله ( خلقت بيدي ) ( ١ ) وقوله ( بل يدها مسوطتان ) ( ٢ ) وقوله ( وط قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ) ، فلو كان مجازا في القدرة أو النعمة لم يستعمل منه لفظ يمين وقوله في الحديث " المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين " ( ٣ ) .

فلا يقال : هذه يد النعمة ، أو القدرة ، وقوله ( يقبض الله سطاوته بيده ، والأرض بيده الأخرى ، ثم يهزهن ثم يقول : أنا الملك " ( ٤ ) فهنا هز وقبض ، وذكر يدين ، ولط أخبر صلى الله عليه وسلم جعل يقبض يده ويهبطها تحقيقا للصفة لا تشبيها لها .

الوجه الرابع : أن مثل هذا المجاز لا يستعمل بلفظ التثنية ، ولا يستعمل إلا مفردا ، أو مجموعا ، كقولك له عندي يد يجزيه الله بها وله عندي أيادي ، وأما إذا جاء بلفظ التثنية لم يعرف استعماله قط إلا في اليد الحقيقية .

الوجه الخامس : أن ليس في المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة والنعمة بلفظ التثنية ، بل بلفظ الأفراد الشامل لجميع الحقيقة كقوله تعالى ( أن القوة لله جميعا ) ( ٥ ) وكقوله تعالى ( وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ) ( ٦ ) وقد يجمع الله النعم كقوله ( وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ) ( ٧ ) وأما أن يقول : خلقتك بقدرتين وبنعمتين فهذا لم يقع في كلامه ولا كلام رسوله صلى الله عليه وسلم .

( ١ ) جزء من الآية رقم ( ٧٥ ) من سورة "ص" ( ٢ ) سورة الطائدة آية : ٦٤ .

( ٣ ) رواه البخاري في صحيحه ٢٨٠ / ٤ من حديث أبو يعمر رضي الله عنه .

( ٤ ) متفق عليه : صحيح البخاري ٣٠٠ / ٤ ، صحيح مسلم ٢١٤٧ / ٤ كلاً من

حديث ابن مسعود .

( ٥ ) سورة البقرة آية : ١٦٥ . ( ٦ ) سورة النحل آية : ١٨ . ( ٧ ) سورة لقمان آية : ٢٠ .

الوجه السادس: أنه لو ثبت استعمال ذلك بلفظ التثنية لم يجز أن يكون المراد هنا القدرة فإنه يبطل تخصيص آدم فإنه وجميع المخلوقات حتى - إبليس مخلوق بقدره قاله الوجه السابع: أن هذا التركيب المذكور في قوله ( خلقت يدي ) بأبي حمل الكلام على القدرة لأنه نسب الخلق إلى نفسه - سبحانه - ثم عدى الفعل إلى اليد ثم ثناها ، ثم أدخل عليها الباء التي تدخل على قولك كتبت بالقلم ومثل هذا نص صريح لا يحتمل المجاز بوجه " ( ١ ) .

قال ابن خزيمة في صدر رده على الجمهية المولدين لليد بالنعمة " وزعمت الجهمية والمعطلة أن معنى قوله ( بل يدها مسوطتان ) أي : نعمته ، وهذا تبديل لا تأويل والدليل على نقض دعواهم هذه أن نعم الله كثيرة لا يحصيها إلا الخالق البارئ لله يدان لا أكثر منها كما قال لإبليس لعنه الله ( ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ) ( ٢ ) فأعلمنا الله - جل و علا - أنه خلق آدم بيديه فمن زعم أنه خلق آدم بنعمته كان مبدلاً لكلام الله " أ. هـ ( ٣ ) .

وقال العلامة أبو الحسن الأشعري : " وقد اعتل معتل بقول الله - عز وجل -

( والسما بنيناها بأيدٍ وإنط لموسعون ) ( ٤ ) الأيدي القوة أن يكون معنى قوله

( بيدي ) بقدرتي وقيل لهم : هذا التأويل فاسد من وجوه آخرها أن " الأيد " ليس

بجمع لليد لأن جمع يد التي هي النعمة " أبادي " وإنط قال ( لط خلقت بيدي )

فبطل بذلك أن يكون معنى قوله ( بيدي ) معنى قوله ( والسما بنيناها بأيد ) وأيضاً

فلو كان أراد القوة لكان معنى ذلك بقدرتي وهذا ناقض لقبول مخالفتنا وكاسر لمذاهبهم لأنهم لا يشبتون قدرة واحدة فكيف يشبتون قدرتين " أ. هـ ( ٥ ) .

( ١ ) هذه سبعة وجوه من عشرين وجها ذكرها العلامة ابن القيم في مختصر الصواعق

١٥٣/٢ وط بعدها

( ٢ ) سورة " ص " آية : ٧٥ .

( ٣ ) كتاب التوحيد وأثبت صفات الرب ص ٨٥-٨٦ .

( ٤ ) سورة الذاريات آية : ٤٧ .

( ٥ ) الإبانة ص ٣٥ .

وخلص القول ما تقدم في هذا المبحث أن لله - تعالى - يدين حقيقتين  
تليقان بجلاله ، وأنهما ورد في شأن اليد من الإمساك والطي والقبض والبسط  
والحشيات والخلق باليدين وكتب التوراة بيده وفرس جنة عدن بيده ، وكون المقسطين  
عن يمينه ، وتخيير آدم بين ما في يديه وأخذ الصدقة بيمينه يرببها لصاحبها  
وأنه مسح ظهر آدم بيده إلى غير ذلك ما ورد في شأنها يدل دلالة واضحة  
على أنها يد حقيقية ، كما أخبر بذلك - جل و علا - وأن تأويلها بالقدرة ، أو النعمة  
تأويل ظاهر البطلان ( ١ ) .

---

( ١ ) انظر مختصر الصواعق المرسله ١٧١/٢ .

## الفصل الثاني

## الفصل الثاني

### دلالة السورة على توحيد العبادة

ويشتمل على المباحث الآتية :

المبحث الأول : تعريف توحيد العبادة .

المبحث الثاني : وجوب أفراد الله - تعالى - بتوحيد العبادة

المبحث الثالث : أهمية الإخلاص في توحيد العبادة .

المبحث الرابع : عبودية الدعاء

المبحث الخامس : عبودية الخوف .

المبحث السادس : عبودية الرجاء .

المبحث السابع : انقسام العبودية إلى عامة ، وخاصة .

المبحث الثامن : الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل .

المبحث التاسع : بيان الطافوت الذي أوجب الله على عباده أن يجتنبوه .

المبحث العاشر : عبودية الإنابة .

المبحث الحادي عشر : عبودية التوكل .

المبحث الثاني عشر : الشفاعة نوعان منفية ، ومثبتة .

المبحث الثالث عشر : الرسل بمثابة الدعوة إلى توحيد الله بتوحيد العبادة .

## المبحث الأول

### تعريف توحيد العبادة

هو أفراد الله - تعالى - بأفعال عباده التي تعبدهم بها كالنحر ، والنذر والدماء ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والرغبة ، والرغبة والإثابة ، والخشوع والخشية والإستعاذة ، والإستعانة ، والإستفانة وغير ذلك من أنواع العبادة التي شرعها الله وأمر بها عباده ( ١ ) .

ومعناه : بعبارة أخرى : أن يعتقد الإنسان الإعتقاد الجازم بأن الله - سبحانه - هو الإله الحق ، ولا إله غيره ، وإفراده - سبحانه - بالعبادة وبما أن الإله هو المألوف ( ٢ ) أي المعبود والعبادة في اللغة : هي الإنقياد والتذلل ، والخضوع يقال : طريق معبد أي : مذلل ( ٣ ) وقد عرفها بعض أهل العلم بأنها كمال الحب مع كمال الخضوع والخوف " ( ٤ ) .

- 
- ( ١ ) أنظر الحسنة والسيئة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٢٦ ، مجموعة التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وغيره ص : الرسالة الأولى ص ٤ ، تيسير العزيز الحميد ص ٢٠ ، كشف الشبهات ص ضمن مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيره ص ٢١٧ ، تطهير الإعتقاد ص ٩ ، الدين الخالص ١ / ٦٢ شرح الطحاوية ص ٧٦ ، لواعق الأنوار البهية ١ / ١٢٩ .
- ( ٢ ) القاموس المحيط : ٤ / ٢٨٢ ، مختار الصحاح ص ٢٢ ، المصباح المنير ١ / ١٩ .
- ( ٣ ) مختار الصحاح ص ٤٠٨ ، المخصص لابن سيدنا ١٣ / ٩٦ ، لسان العرب ٣ / ٢٧١ ، النهاية ٣ / ١٧٠ .
- ( ٤ ) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ / ٧٦ .

قال العلامة ابن القيم :

وعبادة الرحمن غاية حبسه      فع ذل عباده هط قلبان

بالأمر قال الله قال رسولله      لا بالهوى بالنفس والشيطان ( ١ )

فلا بد في عبادة الله من أن يجتمع الأمان ، فلا يكفي أحدهما في عبادته ، بل يجب على الإنسان ، أن يكون الله أحب إليه من كل شيء ، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة ، والذل التام إلا الله وكل ما أحب لغير الله فمحبتة فاسدة ، وط عظم بغير أمر الله فتعظيمه باطل " ( ٢ ) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريفه الشامل لمعنى العبادة :

" العبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة ، والظاهرة فالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد والمسكين وابن السبيل والمملوك من الأديمين واليهناتهم والدعاة للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتم والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله ، والإجابة إليه ، وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله " أ . هـ ( ٣ )

ومن هذا التعريف الجامع لمعنى العبادة التي هي حق الله على عباده يتبين

أنه لا بد للعبادة من أمرين :

الأمر الأول : هو أن يلتزم العبد بما أمر الله به وودعت إليه رسل الله الكرام عليهم الصلاة والسلام بامتثال الأوامر واجتناب النواهي ، وبهذا الأمر يكون معنى العبادة الطاعة والخضوع إذ الذي لا يستسلم لأمر الله ويحرم ما حرم الله فلا يكون عبدا ولا عابدا لله - تعالى - .

( ١ ) القصيدة النونية مع شرح وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد ٢٥٣ / ١ .

( ٢ ) العبودية لشيخ الإسلام ص ٤٤ .

( ٣ ) المصدر السابق ص ٣٨ .

الأمر الثاني : أن يكون هذا الإلتزام صادرا عن قلب ممتلئ بمحبة - البارئ سبحانه -  
 إذ أنه ليس في هذا الوجود من يستحق المحبة الكاملة إلا الله - جل و علا - لأنه  
 - سبحانه - هو الذي خلق الإنسان ولم يكن شيئا مذكورا وسخر له ط في السموات  
 وط في الأرض جميعا منه وأسبغ عليه النعم الظاهرة والباطنة وتوحيد الإلهية أساسه  
 إخلاص العبادة لله وحده في باطنها وظاهرها بحيث لا يكون شيء منها لغيره  
 - سبحانه - فيجب على المرء أن يخلص لله جميع أنواع العبادة من المحبة ، والخوف  
 والرجاء ، والدعاء ، والتوكل ، والطاعة ، والتذلل ، والخضوع ، وأن يتوجه بها لله  
 وحده دون سواه .



## ( المبحث الثاني )

وجوب أفراد الله تعالى بتوحيد العبادة

لقد وردت آيات كثيرة في السورة كلها توجب على العباد أن يفردوا الله بتوحيد العبادة ، وبخصوه بها وحده دون سواه .

قال تعالى : ( فاعبد الله مخلصا له الدين . ألا لله الدين الخالص ) .

وقال تعالى ( قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين ) .

وقال تعالى : ( قل الله أعبد مخلصا له ديني . فاعبدوا ما شئتم من دونه قل

إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران العبين )

وقال تعالى : ( قل أفغير الله تأمرّضني أعبد أيها الجاهلون ) .

وقال تعالى : ( بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ) .

هذه الآيات الكريمة من السورة تقرر أنه - سبحانه - هو الذي يستحق أن توجه

له العبادة بجميع أنواعها الإعتقادية والقلوبية والعملية ، وليس لأحد سواه كائنا من كان

أي شيء من أنواع العبادة ، كما تقرر أن أي نوع من أنواع العبادة لم يوجه لله أو وجه

له ، ولكن فيه شركة لغيره معه ، فإنه باطل ، وغير مقبول ، لأن الله - تعالى - لا يقبل

من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه ، وأن من عمل أي عمل لله ، وأشرك معه فيه غيره

من المخلوقين كائنا من كان فان الله يتركه وشركه ، لأنه - سبحانه - أغنى الشركاء عن

الشرك .

فالآيات المتقدمة عددها ثمان آيات كلها دلت على وجوب أفراد الله - تعالى -

بتوحيد العبادة وتجريدتها له وحده دون سواه .

فالأية الأولى : منها هي قوله تعالى : ( فاعبدوا الله مخلصا له الدين ) فهذه الآية

أمر من الله - جل و علا - لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأن يخلص لله جميع دينه من

العبادات الظاهرة والباطنة ، وأن يفرد الله بها وحده ، ويقصد بها وجهه ، ولا يتطلع

إلى أي مقصد آخر ، وأتمه تبع له في ذلك ، وإن كان الخطاب موجها له أصلا وذاتا

فالخطاب موجه إلى كل مكلف من العباد .

قال العلامة ابن جرير: حول هذه الآية ( فاعبد الله مخلصا له الدين ) :

" يقول تعالى ذكره : فاخشع لله يا محمد بالطاعة ، وأخلص له الألوهية وأفرده بالعبادة

ولا تجعل له في عبادتك إياه شريكا كما فعلت عبدة الأوثان " ، أ. هـ ( ١ ) .

وقال ابن كثير: أي : فاعبد الله - وحده - لا شريك له وادمع الخلق إلى ذلك

وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له - وحده - وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد " ( ٢ )

وأما الآية الثانية : فهي قوله تعالى ( ألا لله الدين الخالص ) فهي تقرير للأمر في

الآية السابقة بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، فكلمة أنه - سبحانه - له الكمال

المطلق ، وله التفضل كله على عباده من جميع الوجوه ، فكذلك له الدين الخالص الذي

صفي من كل شوائب الشرك صغيرها ، وكبيرها ، وهذا هو الدين الذي ارتضاه لنفسه

وارتضاه لرسله الكرام عليهم الصلاة والسلام ، وأمرهم به لأنه يتضمن التأله لله في حبه

ورجائه ، وخوفه ، والإثابة إليه في الصبودية ، والرجوع إليه في تحصيل جميع المطالب

لعباده ، وحتى كانت العبادة خالصة لله كانت سببا لصلاح القلوب وتزكيتها وتطهيرها ،

أما إذا كانت ملوثة بالشرك فإن الله بربها منها ، وليس له فيها شيء فهو الفنى عن

عبادة شابهها شرك لأنه - سبحانه - أغنى الشركاء عن الشرك الذي هو مفسد للقلوب

والأرواح ومشيقي للنفس في الآخرة والأولى .

وأما الآية الثالثة : فهي قوله تعالى ( قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين )

فهذه الآية أيضا : فيها الأمر من الله - تبارك وتعالى - لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم

بأن يقول : للمشركين من قومه إن الله أمره أن يعبده مفردا له الطاعة دون كل ما يدعى

من دونه من الآلهة والأنداد التي يعبدونها المشركون .

قال ابن كثير: " وقوله ( قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ) أي : إنطأ أمرت

بإخلاص العبادة لله - وحده - لا شريك له " ( ٣ ) .

( ١ ) جامع البيان ٢٣ / ١٩٠ .

( ٢ ) تفسير ابن كثير ٦ / ٧٨ .

( ٣ ) تفسير القرآن العظيم ٦ / ٨٣ .

وأما الآية الرابعة : فهي قوله تعالى ( وأمرت لأن أكون أول المسلمين ) .

وهذه الآية أيضا ؛ فيها أمر من الله - جل جلاله - لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأن يكون أول المسلمين من أمته .

قال أبو عبد الله القرطبي ( ١ ) " وكذلك كان فانه كان أول من خالف دين آبائه وخلع

الأصنام ، وحطمها وأسلم لله وآمن به ودعا إليه صلى الله عليه وسلم " أ . هـ ( ٢ ) .

والحال كما أخبر به القرطبي فإنه عليه الصلاة والسلام كان سباقا إلى امتثال أمر الله

لأنه الداعي للخلق إلى ربهم فيقتضى أن يكون أول من نفذ لأمر الله ومطبق له وأول

من يسلم وجهه لله ، وهذا الأمر لا بد من وقوعه منه عليه الصلاة والسلام ، وكذلك

لا بد أن يكون من ادعى أنه من أتباعه ، فلا بد من الإسلام في جميع الأعطال الظاهرة

والإخلاص لله في جميع الأعطال الظاهرة والباطنة ،

وأما الآية الخامسة : فهي قوله تعالى ( قل الله أعبد مخلصا له ديني ) .

هذه الآية أيضا ؛ نصت على أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلن لكفار

قريش أنه لا يعبد إلا الله العباداة الخالصة ويفرده وحده بالطاعة .

قال ابن جرير حول هذه الآية ؛ ( قل الله أعبد مخلصا له ديني ) " قل يا محمد

لمشركي قوتك ؛ الله أعبد مخلصا ، مفردا له طاعتي ، وعبادتي لا أجعل له في ذلك

شريكا ولكني أفرده بالألوهة ، وأبرأ ما سواه من الأنداد والآلهة " أ . هـ ( ٣ ) .

وأما الآية السادسة : فهي قوله تعالى ( فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين

الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين ) .

هذه الآية ؛ سمتها التهديد والوعيد الشديد لمن خذل نفسه وأصر على كفره

( ١ ) هو : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي ،

أبو عبد الله القرطبي من كبار المفسرين ، صالح متعبد من أهل قرطبة توفى

سنة إحدى وسبعين وستة مائة هجرية . أنظر ترجمته في مقدمة كتابه " الجامع

لأحكام القرآن " ، طبقات المفسرين ٢ / ٦٩-٧١ ، الأعلام ٦ / ٢١٧ .

( ٢ ) الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٢٤٢ .

( ٣ ) جامع البيان ٢٣ / ٢٠٤ .

وإشراكه بالله - تعالى - بعبادته ط سواه من الأحجار وغيرها من المعبودات التي  
عبدت من دون الله ، فلم يستجب لأوامر الله التي تضي بإفراده - سبحانه - بالعبادة  
التي هي خالص حقه على عباده .

كما تضمنت التجري من حاله كذلك ، وهبنت الخسارة التي تلحق أهل الإشراك وتحل  
بهم في الآخرة ، وتلك الخسارة هي خسارة الأنفس والأهل يوم القيامة حيث يتفارقون  
فلا يلتقون . سواء ذهب أهلهم إلى الجنة ، وقد ذهبوا هم إلى النار ، أو أن الجميع  
أمر بهم إلى النار ولكن لا اجتمع لهم ولا سرور .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : " وليس من أحد إلا وقد خلق له زوجة في  
الجنة فإذا دخل النار خسر نفسه وأهله " ( ١ )

وقال ابن زيد : ( قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة )  
قال : هؤلاء أهل النار خسروا أنفسهم في الدنيا وخسروا الأهلين ، فلم يجدوا في  
النار أهلاً وقد كان لهم في الدنيا أهل .

وقال مجاهد : " غبنوا أنفسهم وأهليهم قال : يخسرون أهليهم فلا يكون لهم أهل  
يرجعون إليهم ، ويخسرون أنفسهم فيهلكون في النار فيموتون وهم أحياء " فيخسرونهم<sup>(٢)</sup>  
وهذا هو الخسران الظاهر البين الذي لا يصل في درجته أي خسران وسيجل بهم  
هذا الخسران عقوبة لهم على إشراكهم بالله العظيم حيث عبدوا معه من لا يستحق  
العبادة ، وطأطأوا رؤوسهم لمخلوقين مثلهم لا يمكن لهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ، ولا  
حياة ولا نشوراً ، وبذلك حل بهم خسران ليس مثله خسران ، وهو خسران دائم لا ربح  
بعده ولا سلامة .

وأما الآية السابعة : فهي قوله تعالى ( قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون )  
هذه الآية تضمنت استنكاراً بليغاً صدع به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن أمتره  
الله - تعالى - به ، وهو أن يقول : للمشركين الذين طلبوا منه أن يعبد آلهتهم

( ١ ) الجامع لأحكام القرآن . ١٥ / ٢٤٣ .

( ٢ ) جامع البيان ٢٣ / ٢٠٥ .

أو يكف عن تحقيرها . ( أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ) قال عبداللـه  
ابن عباس رضى الله عنهما : " إن قريشا دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى  
أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء فقالوا : هذا لك  
يا محمد ، وتكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء فإن لم تفعل فاعبد آلهتنا سنة  
قال : حتى أنظر ما يأتي من ربي فأنزل الله ( قل يا أيها الكافرون لا أعبد مـها  
تعبدون ولا أنتم طـبدون ما أعبد ولا أنا طـبد ما عبدتم . ولا أنتم طـبدون ما أعبد  
لكم دينكم ولي دين ) وأنزل ( قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ) ( ١ ) .

وهذا العرض من المشركين بنبي من فرط جهلهم وسخافة عقولهم حيث ظنوا  
أن القضية مساومة ، ولم يدركوا أن أمر العباداة والعقيدة هو أمر الله وحده ، وليس  
للرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك شيء ، وإنما الأمر في ذلك لله وحده لا شريك  
له فهو سبحانه - الأمر الذي لا راد لأمره وهو الذي يحكم ولا معقب لحكمه ، فيتضح  
من هذا أنه لا التقاء بين التوحيد الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم  
وبين الشرك الذي امتلأت به قلوب المشركين ، وخيم على عقولهم لأنهم ليسوا على دين  
وليسوا بمؤمنين وإنما هم كافرون بتوجيههم العباداة التي هي حق الله على عباده  
إلى من لا يستحقها من المخلوقات ، والجادات يدعون أنها تقربهم إلى الله زلفى  
وليس كذلك ، وإنما تزيدهم عن الله بعداً ، ومن النار قرهاً .

وأما الآية الثامنة : فهي قوله تعالى ( بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ) .

قال العلامة ابن جرير : " يقول تعالى ذكره : لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تعبد  
ما أمرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد بعبادته بل الله فاعبد دون كل ما  
سواه من الآلهة والأوثان والأنداد ( وكن من الشاكرين ) لله على نعمته عليه بما  
أنعم من الجداية لعبادته ، والبراة من عبادة الأصنام والأوثان " أ . هـ - ( ٢ )

( ١ ) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ٢٣٦ .

( ٢ ) جامع البيان ٢٤ / ٢٤ - ٢٥ .

وقال ابن كثير: ( بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ) أي : أخلص العبادة لله وحده لا شريك له أنت ومن اتبعك وصدقك أ. هـ ( ١ ) .

وبهذه الآيات المتقدمة يتبين لنا أن توحيد الألوهية هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره ، وهو أول دعوة المرسلين وآخرها ، ومن أجله خلق الله الخلق قال تعالى ( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ) ( ٢ ) .

قال العلامة ابن القيم : " إن الله - سبحانه - إنط خلق الخلق لعبادته الجامعة لمحبهه والخضوع له وطاعته ، وهذا هو الحق الذي خلقت به السموات والأرض ، وهو غاية الخلق والأمر ، ونفسه كما يقول أعداؤه - هو الباطل والمبث الذي نزه نفسه عنه أن يترك الإنسان عليه وهو - سبحانه - يحب أن يعبد ويطاع ، ولا يعبأ بخلقه شيئاً لولا محبتهم له ، وطاعتهم له ، ودعائهم له ، وقد أنكر على من زعم أنه خلقهم لغير ذلك ، وأنهم لو خلقوا لغير عبادته وتوحيده وطاعته لكان خلقهم عبثاً وباطلاً وسدى ، وذلك مما يتعالى عنه أحكم الحاكمين ، وإله الحق ، فإذا خرج عن أحب الأشياء إليه ، وعن الغاية التي لأجلها خلقت الخليقة ، وصار كأنه خلق عبثاً لغير شيء إذ لم تخرج أرضه البذر الذي وضع فيها بل قلبته شوكة ودغلا ، فإذا راجع ما خلق له ، وأوجد لأجله فقد رجع إلى الغاية التي هي أحب الأشياء إلى خالقه وخالقه ، ورجع إلى مقتضى الحكمة التي خلقت لأجلها وخرج عن معنى العبث والسدى والباطل فاشتدت محبة - الحرب - له فإن الله يحب المتطهرين " أ. هـ ( ٣ )

ومن أجل هذا النوع من أنواع التوحيد - توحيد الألوهية - انقسم الخلق إلى مؤمنين وكافرين .

قال شيخ الاسلام : " وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة فمن لم يأت به كان من المشركين " ( ٤ )

( ١ ) تفسير القرآن العظيم ٦ / ١٠٦ .

( ٢ ) سورة الذاريات آية : ٥٦ .

( ٣ ) مدارج السالكين ١ / ٢١٥ ، ونظر مجمع الفتاوى ١ / ٢٣ .

( ٤ ) الحسنة والسيئة ص ١٢٦ .

## ( المبحث الثالث )

أهمية الإخلاص في توحيد العبادة

لقد دلت السورة على أهمية الإخلاص في أربع آيات :

قال تعالى ( فاعبد الله مخلصا له الدين . ألا لله الدين الخالص ) .

وقال تعالى ( قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ) .

وقال تعالى ( قل الله أهدى مخلصا له ديني . . . . . ) .

هذه الآيات الأربع من السورة فيها بيان أهمية الإخلاص في توحيد العبادة ، وكما نرى أن الأمر بالإخلاص جاء مشفوعا بالأمر بالعبادة ، لأن الإخلاص هو روح العبادة ومودها الذي تقوم عليه ، فالعبادة بدون إخلاص عبادة مردودة على صاحبها لأنها لم توجه إلى الله وحده - لا شريك له ، ومتى شاب العبادة قصد غير الله - تعالى - اعتبرت لاغية لا قيمة لها ، ولا فائدة منها سوى التعب لصاحبها لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه .

فالأيات الأربع دلت على وجوب الإخلاص في العبادة .

فالآية الأولى هي قوله تعالى : ( فاعبد الله مخلصا له الدين ) أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يعبد الله تعالى عبادة مصحوبة بالإخلاص وأمره تبع له في هذا الأمر هو الأمر دال على الوجوب فيجب عليهم أن يخلصوا دينهم لله ويبعدوا أنفسهم عن كل شوائب الشرك . .

وأما الآية الثانية من تلك الآيات هي قوله تعالى ( ألا لله الدين الخالص ) .

قال القرطبي : أي الذي لا يشوبه شيء " ( ١ ) .

وروى ابن جرير عن قتادة أنه قال : ( ألا لله الدين الخالص ) قال : شهادة أن لا إله

إلا الله " ( ٢ ) وعلى هذا التفسير يمكن معنى الآية ( ألا لله الدين الخالص ) أي :

( ١ ) الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٢٣٣ .

( ٢ ) جامع البيان ٢٣ / ١٩١ .

التوحيد الصافي من شوائب الشرك وهو المستحق لذلك وحده .

وقال العلامة ابن كثير : ( ألا لله الدين الخالص ) أي : لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله - وحده - لا شريك له " أ. هـ ( ١ ) .

وأما الآية الثالثة : فهي قوله تعالى ( قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ) فهذه الآية أيضا : أمر بعبادة الله تعالى - العبادة الخالصة البعيدة عن كل إشراك .  
وأما الآية الرابعة : فهي قوله تعالى ( قل الله أعبد مخلصا له ديني ) وهذه الآية أيضا إخبار بأنه عليه الصلاة والسلام أمر بأن يخص الله - تعالى - وحده بالعبادة مخلصا له دينه ولا يعبد أحداً غيره فقوله ( الله أعبد ) يفيد الحصر أي : لا أعبد أحداً غير الله تعالى .

فالسورة بينت من خلال تلك الآيات الأربع أهمية الإخلاص ودلت على أنه يجب

على كل إنسان أن يحققه في عبادته ربه لتكون عبادته مقبولة عند الله - تعالى - ،  
وطالط أن للإخلاص هذه الأهمية فإنه يشغى للمرء معرفته كي يعينه ذلك على تحقيقه  
في توحيد ربه - x جل و علا - في جميع الأعمال ،  
ونذكر تعريفه هنا تسهيلا لفهمه ، وإدراكا لمعناه :

معنى الإخلاص في اللغة :

جاء في المصباح الضمير : خلص الشيء من التلف " من باب - قعد - " وخلصا " و  
" مخلصا " سلم ونجا و " خلص الط " من الكدر صفاً ، و " خلصته " بالثقل ميزته مخلصاً  
غيره " أ. هـ ( ٢ ) وهكذا مدار الإخلاص في كتب اللغة على الصفا والتميز عن الشوائب  
التي تخالط الشيء يقال : هذا الشيء خالص لك أي لا يشاركك فيه غيرك ، وتطلق  
العرب " الإخلاص " على الزبد إذا خلص من اللبن والثفل .

( ١ ) تفسير القرآن العظيم ٦ / ٧٨ .

( ٢ ) ١٧٧ / ١ .



و"الخلاص" في لغة العرب : ما أخلصته النار من الذهب والفضة والخالصين الألوان

عندهم ما صفا ونصح . ، ويقولون : خالص في العشرة أضافه . ( ١ ) .

وهذه المعاني جلت في القرآن الكريم قال تعالى : ( نسقيكم مط في بطونه من بين

فرث ودم لبنا خالصا ) ( ٢ ) أي : لا بخالطه دم ولا فرث .

وقال تعالى في إخوة يوسف ( خلصوا نجيا ) ( ٣ ) . أي : انفردوا وتميزوا عن سواهم .

وزقال تعالى حكاية عن المشركين ( خالصة لذكورنا ) ( ٤ ) أي : لا يشركهم الإناث

وأما حقيقة الإخلاص في الشرع :

فقد تنوعت تعريفات العلق له ، ولكن مدارها على قصد الله بالعبادة دون

سواه .

جاء في المفردات لضريب القرآن : " فحقيقة الإخلاص : التبري من كل ما

دون الله تعالى " ( ٥ ) .

وعرفه أبو القاسم القشيري ( ٦ ) : بأنه " انفرد الحق - سبحانه - وتعالى في الطاعات

بالقصد ، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تضرع

لمخلوق ، واكتساب محمدة عند الناس ، أو تحبة مدح من الخلق ، أو معنى من المعاني

سوى التقرب إلى الله - سبحانه وتعالى " ( ٧ )

وقال : في موضع آخر : " يصح أن يقال : الإخلاص تصفية العمل عن ملاحظة

المخلوقين " ( ٨ ) .

( ١ ) أنظر الصحاح للجوهري ١٠٣٧/٣ ، القاموس ٣١٢-٣١٣ ، لسان العرب

٢٦٦/٧-٢٩٠

( ٢ ) سورة يوسف آية : ٨٠

( ٣ ) سورة النحل آية : ٦٦

( ٤ ) سورة الأنعام آية : ١٣٩

( ٥ ) ص ١٥٥

( ٦ ) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري من بني تشير بن كعب شيخ

خراسان في عصره ولد سنة ست وسبعين وثلاثمائة وتوفي سنة خمس وستين وأربعمائة

هجرية . أنظر توجمه في " وفيات الأعيان ٢٩٩/١ ، تاريخ بغداد ٨٣/١١

تبيين كذب المفتري ٢٧١ ، الأعلام ١٨٠/٤

( ٧ ) الرسالة القشيرية ص ٩٥

( ٨ ) المصدر السابق .

وهرفه العز بن عبد السلام قاطلا : " الإخلاص أن يفعل المكلف الطاعة خالصة لله وحده لا يريد بها تعظيما من الناس ولا توقيرا ، ولا جلب نفع ديني ولا دفع ضرر دنيوي " ( ١ )  
 وقال سهل بن عبد الله : ( ٢ ) " الإخلاص أن يكون سكنو العبد وحركاته لله - تعالى -  
 خاصة " ( ٣ ) .

قال الفزالي بعد ذكره لهذا التعريف " وهذه كلمة جامعة محيطها بالعرض " ( ٤ ) .  
 وقد ذكر الإمام ابن القيم : ما يقارب ثلاثة عشر تعريفا للإخلاص ( ٥ ) وكلها ترجع إلى معنى واحد : وهو أن يقصد العبد بأقواله ، وأعماله وإرادته ، ونيتته وجه الله تعالى دون سواه من غير أن ينظر إلى منعم ، أو جاه ، أو لقب ، أو تقدم ، أو تأخر إلى غير ذلك من أعراض الدنيا ( ٦ ) .

وقد بين ابن القيم أن للإخلاص ثلاثة أركان قال رحمه الله تعالى :-

" فحقيقة الإخلاص " : توحيد المطلوب ، وحقيقة الصدق : توحيد الطلب والإرادة ولا يثمران إلا بالاستسلام المحض للمتابعة ، فهذه الأركان الثلاثة هي : أركان السير وأصول الطريق التي من لم يبين عليها سلوكه وسيره فهو مقطوع ، وإن ظن أنه سائر فسيره ، إما إلى عكس جهة مقصودة ، وإما سير المقعد والعقيد ، وإما سير صاحب الدابة الجموح كلما مشى خطوة إلى قدام رجعت عشرة إلى خلف ، وإن لم يبذل جهده ويوحد طلبه سار سير المقيد وإن اجتمعت له الثلاثة : فذلك الذي لا يجارى في مضار سيره وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم " ( ٧ )

- ( ١ ) قواعد الأحكام ١ / ١٤٦ .
- ( ٢ ) هو : سهل بن عبد الله التستري أحد أئمة الصوفية المتكلمين في الإخلاص والرياضة ولد سنة طائتين وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين هجرية . أنظر ترجمته في " وفيات الأعيان " ١ / ٢١٨ ، حلية الأولياء ١٠ / ١٨٩ ، الأعلام ٣ / ٢١٠ .
- ( ٣ ) إحياء علوم الدين ٤ / ٣٨١ .
- ( ٤ ) المصدر السابق .
- ( ٥ ) مدارج السالكين ٢ / ٩١-٩٢ .
- ( ٦ ) راجع الرسالة الساجدة " ضمن مجموعة التوحيد لشيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهما من العطاء " ص ١٨٥ ، الجواب الكافي ص ١٥٩ أضواء البيان ٧ / ٤٢ .
- ( ٧ ) مدارج السالكين ٢ / ٩٧ .

ولأهمية الإخلاص في توحيد العبادة كان أحد ركنيه ، والصدق ركنه الآخر .  
قال العلامة ابن القيم :

فلو أحدكن واحدا في واحد أعني سبيل الحق والإيمان  
هذا وثاني التوحيد تو حيد العبادة منك للرحمن  
فنفوم بالإخلاص والصدق أحسان في سر وفي إعلان  
والصدق والإخلاص ركننا ذلك الله وحيد كالركنين للبهيم (١)

وقد تضافرن الأدلة من الكتاب والسنة ، وكثرت أقوال الأئمة في اشتراط الإخلاص للأعمال والأقوال الدينية ، وأن الله لا يقبل منه إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه .  
قال تعالى ( قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ) ( ٢ ) .

فهذه الآية فيها توجيه من الله - تعالى - لنبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقول للمشركين أنه لا يصلي إلا لله ، ولا يذبح إلا له ، وأن محياه ومماته كل ذلك لله وحده لا شريك له بخلاف المشركين ، فإنهم كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها فأمره الله - تعالى - بمخالفتهم ، والإبتعاد عما هم عليه والإقبال بالقصد والنية والمزم والإخلاص لله تعالى " ( ٣ ) .

وقال تعالى ( الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ) ( ٤ )  
قال الفضيل بن عياض : هو أخلصه وأصوبه ، قالوا : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال : إن العمل إذا كان خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة ، ثم قرأ قوله تعالى ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ) ( ٥ ) ، فلا يمكن أن يكون العمل خالصا

( ١ ) القصيدة النونية مع شرحها توضيح المقاصد وتصحيح القواعد ٢ / ٢٥٨ .

( ٢ ) سورة الأنعام آية : ١٦٢ - ١٦٣ .

( ٣ ) أنظر تفسير ابن كثير ٣ / ١٣٩ .

( ٤ ) سورة الملك آية ٢ .

( ٥ ) مدارج السالكين ٢ / ٨٩ والآية رقم ( ١١٠ ) من سورة الكهف .

إلا إذا جسد الإنسان المتابعة للكتاب والسنة في عبادته ، واقتفى ط خط له فيها  
فقبول الأعمال مرهون وموقوف بصدق الإخلاص .

وقال تعالى ( ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ) ( ١ ) .

فما سلام العبد وجهه : لا يتحقق إلا بإخلاص قصده وعمله لله تعالى والإحسان في  
ذلك لا يتحقق إلا بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ولقد أخبر الله تعالى أن الأعمال  
التي تكون على غير الكتاب والسنة أو قصد بها غير وجه الله تعالى فإنها تصير هباءً  
منثوراً ليس لها قيمة وليس فيها نفع لصاحبها . قال تعالى ( وقد منّا إلى ط عطوا من  
عمل فجعلنا هباءً منثوراً ) ( ٢ ) ، والآيات الواردة في الحز على إخلاص العبادة لله  
- وحده - لا شريك له كثيرة جداً في كتاب الله - تعالى - وكلها تدل على اهتمام  
الإسلام بإصلاح الفرد ظاهراً ، وباطناً .

والقرآن الكريم عند ط يطلق اسم " الإخلاص " لا يريد به التوجه إلى الله في عمل  
من الأعمال بل المقصود به أن يتوجه المكلف بأعماله كلها إلى الله وحده دون سواه  
فلا يقصد بعبادته ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا ولا يعبد شجراً ، ولا حجراً ، ولا شمساً  
ولا قمراً ، الإخلاص يعني أن يتوجه بالأعمال القلبية لله وحده ، كط يتوجه بالأعمال  
الظاهرة ، والإخلاص هو الدين الذي بعث الله به الرسل جميعاً فكان محور  
دعوتهم ، ولبها وهو الدين الذي طالبت به الرسل الأمم التي أرسلت إليها ( وما  
أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاءً ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك  
دين القيمة ) ( ٣ )

وقد أكدت السنة على أهمية الإخلاص في عبادة الله تعالى في أحاديث كثيرة منها :

( ٢ ) سورة الفرقان آية : ٢٣ .

( ١ ) سورة النساء آية : ١٢٥ .

( ٣ ) سورة البينة آية : ٥ .

( ١ ) ط رواه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من الرجل يقاتل رياءً ويقاتل شجاعة ويقاتل حمية أي ذكى في سبيل الله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو نفسي سبيل الله " ( ١ ) .

فقد بين صلى الله عليه وسلم أن القتال الذي يكون لله وفي سبيله إنما هو القتال الذي يكون الغاية منه رفع راية الإسلام ، أما القتال لأجل مراعات الناس ، وإظهار الشجاعة ، أو يقاتل حمية كل هذا في سبيل الشيطان ، وليس في سبيل الرحمن .

( ٢ ) وروى الإمام أحمد من حديث أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغفل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم " ( ٢ ) .

قال العلامة ابن القيم : أي لا يهتدى فيه غل ، ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة بل تنفى عنه غله وتنقيه منه ، وتخرجه عنه ، فإن السقلب يغفل على الشرك أعظم غل ، وكذلك يغفل على الفس ، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة ، والضلالة فهذه الثلاثة تملوه غلا ، ودغلا ، ودواً هذا الغل ، واستخراج أخلاطه بتجرید الإخلاص والنصح ومتابعة الرسول " ( ٣ ) .

( ٣ ) وأخبر صلى الله عليه وسلم أن الإنسان إذا قصد بعمله وجه الله - تعالى - زاده الله رفعة ودرجة في دنياه وآخرته .

دل على ذلك حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال : جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني في حجة الوداع من وجع اشتد بي ..... وفيه فقلت : يا رسول الله أخلف بعد أصحابي قال : إنك لن تخلف فتعمل عملاً

تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة . . . . . الحديث ( ٤ )

( ١ ) صحيح البخارى ٤ / ٢٩٠ ، صحيح مسلم ٣ / ١٥١٢ .

( ٢ ) المسند ٤ / ٨٢ ، ٨٠ .

( ٣ ) مدارج السالكين ٢ / ٩٠ .

( ٤ ) رواه مسلم ٣ / ١٢٥٠ - ١٢٥١ .

( ٤ ) وأخبر عليه الصلاة والسلام أن الحمل بقصد الرياء والسمعة محبط للحمل وموجب للعار للناركم في حديث الثلاثة الذين هم أول من تسمر بهم النار" قارى القرآن والمجاهد ، والمتصدق بط له " ( ١ ) .

فقارى القرآن قرأه ليقال : فلان قارى ، والمجاهد جاهد ليقال : فلان شجاع والمتصدق تصدق ليقال : فلان جواد ، ولم تكن أعطاهم خالصة لله - تعالى - فكانوا من أصحاب النار لأنهم قصدوا بأعطاهم غير الله فوقعوا في الشرك والله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك .

كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي تركته وشركه" ( ٢ )  
فعلى الإنسان أن يجتهد في تحقيق الإخلاص في أقواله وأفعاله التي يتقرب بها إلى الله - جل و علا - وأن يحاول جاهداً أن يبرى نفسه ويعودها الأخذ بالإخلاص في جميع أعماله إذ الإخلاص من أشق الأشياء عليها .

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : ( أمر النية شديد ) .

وقال سفيان الثوري : " ما طالجت شيئاً أشد على من نيتي لأنها تعقلب عليّ " و

وقال يوسف بن أسباط : تخليص النية من فسادها أشد على العاطلين من طول الاجتهاد" وقال سهل بن عبد الله التستري : " وليس على النفس شيء أشق من الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب " .

وقال يوسف بن الحسين : أعز شيء في الدنيا الإخلاص ، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي ، وكأنه ينبت فيه على لون آخر فيجب على من نصح نفسه أن يكون اهتمامه بتصحيح نيته وتخليصها من الشوائب فوق اهتمامه بكل شيء لأن الأعمال بالنيات ولكل

( ١ ) رواه مسلم ٣ / ١٥١٣ - ١٥١٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

( ٢ ) رواه مسلم ٤ / ٢٢٨٩ .

امرى" ما نوى " ( ١ ) فالسلف كانوا يجتهدون فاية الاجتهاد في تصحيح نياتهم ويهرون الإخلاص أعز الأشياء ، وأشقها على النفس ، وذلك لمعرفتهم بالله ، وما يجب له وبعمل الأعمال ، وآفاتهما ، ولا يهمهم العمل لسهولته عليهم ، وإنما يهمهم سلامة العمل وخلوه من الشوائب المبطلة لثوابه أو المنقصة له ، فقلب الإنسان هو الأساس في عبادة الله - تعالى - وهو موضع نظر الله تعالى ، ومحل عنايته كما جاء من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " ( ٢ ) .

فصلاح القلب أساس قبول العمل ولا يعتبر العمل إلا إذا كان عن نية طيبة خالصة لوجه الله - تعالى - أما العمل إذا كان مقصودا به مراعاة الناس ، أو السمعة فان ذلك مبطل للعمل من أساسه بالكيفية ويفضح الله سريرة صاحبه يوم القيامة بين الخلائق عامة - فعلى العبد أن يتقى الرياء ويخلص العمل لله - تعالى - فإن الرياء من الأعمال الدنيئة التي تهبط بالإنسان إلى أسفل الدرجات ، أما إذا أظهر الإنسان الطاعات للناس دون قصد منه ، وكانت مصحوبة بالإخلاص ، فأعجبهم عمله وحمدوه على ذلك فهذا لا يحبط عمله ، ولا ينافي ذلك إخلاصه .

برهان ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت الرجل يعمل العمل من الخير فيحمده الناس عليه قال : تلك عاجل بشرى المؤمن " ( ٣ ) .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا كلمة لابن القيم وضعها رحمه الله كنباس لتحقيق الإخلاص في القلب قال رحمه الله تعالى : لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار ، والضرب والحوت فإذا حدثت

( ١ ) أنظر هذه الأقوال في " الرسالة السابعة " تعريف العبادة وتوحيد العبادة والإخلاص - للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبي بطين ضمن مجموعة التوحيد لشيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهما ص ١٨٧

( ٢ ) صحيح مسلم ٤ / ١٩٨٧ .

( ٣ ) ٤ / ٢٠٣٤ .

نفسك بطلب الإخلاص ، فاقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس ، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة ، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص .

فإن قلت : وما الذي يسهل على ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح ؟

قلت : أما ذبح الطمع فيسهله عليك علمك يقيناً أنه ليس من شيء يطمع فيه إلا ويبيد الله - وحده - خزائنه لا يملكها غيره ولا يؤتى العبد منها شيئاً سواه .

وأما الزهد في الثناء والمدح فيسهله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزيّن ويضرمه ويشين إلا الله - وحده - كما قال ذلك الأعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم إن مدحى زين ، وذمى شين ، فقال ذلك الله عز وجل ( ١ ) . فازهد في مدح من لا يزينك مدحه ، وفى ذم من لا يشينك ذمه ، وأرغب في مدح من كل الذين فى مدحه وكل الشين فى ذمه ، ولن يقدر على ذلك إلا بالصبر واليقين ، فتمت فقدت الصبر واليقين كنت كمن أراد السفر فى البحر فى غير مركب .

قال تعالى ( فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون ) ( ٢ )

وقال تعالى ( وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لئلا يصروا وكانوا بآياتنا يوقنون ) ( ٣ ) هـ .  
والذي نخلص إليه مط تقدم أن الإنسان مأثور بأن يصفى وينقى عمله من جميع شوائب الشرك ، وأن يفعل كل الطاعات على وجه الإخلاص ولا بد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " فكل ما يفعله المسلم من القرب الواجبة والمستحبة كالإيمان بالله ، ورسوله ، والعبادات البدنية ، والطلبية ، ومحبة الله ورسوله والإحسان إلى عباد الله بالنفع ، والطل هو مأثور بأن يفعله خالصاً لله رب العالمين لا يطلب من مخلوق عليه جزاء لا دعاً ولا غير دعاً ، فهذا مط لا يسوغ أن يطلب عليه جزاء لا دعاً ، ولا غير دعاً " هـ ( ٤ ) .

( ١ ) رواه أحمد فى المسند ٤٨٨/٣ من حديث الأقرع بن حابس ، الترمذى ٦٣/٥ من

حديث البراء بن مالك .

( ٢ ) سورة الروم آية : ٦٠ .

( ٣ ) الفوائد ص ١٤٧-١٤٨ والآية رقم ( ٢٤ ) من سورة السجدة .

( ٤ ) مجموع الفتاوى ١/١٩٠ .



## (المبحث الرابع)

عبودية الدعاء

قبل أن نبدأ بعرض الآيات الواردة في السورة التي تبين أن الدعاء عبادة لا يستحقها إلا الله - جل وهلا - نذكر معنى الدعاء في اللغة والشرع ليتضح مفهومه أكثر.

أط الدعاء في اللغة :

فقد جاء في الصحاح للجوهري ( ١ ) " ودعوت فلانا أي : صحت به واستدعيت به ودعوت الله له وعليه دعا ، والدعوة المرة الواحدة والدعاء واحد الأدمية " أ . هـ ( ٢ ) وجاء في القاموس : الدعاء الرغبة إلى الله - تعالى - أ . هـ ( ٣ ) . وقال في المصباح : دعوت الله أدموه دعا ، ابتهلت إليه بالسؤال ورفضت فيط عنده من الخير ، ودعوت زيدا ناديته وطلبت إقباله " ( ٤ ) .

وأط الدعاء في الشرع :

فإنه يؤخذ من التعاريف اللغوية وهو : الإتيان إلى الله - تعالى - بطلب نفع أو دفع ضرر ، أو رفع بلاء ، أو النصر على عدو ، أو نحو ذلك . فهذا الإتيان بالسؤال المنبعث من القلب لله - تعالى - هو روح العبادة ومخها كما ورد بذلك قول المصطفى صلى الله عليه وسلم " الدعاء هو العبادة " ( ٥ ) . فيتبين من تعريف الدعاء في اللغة والشرع أن الدعاء في الأصل هو الطلب ويطلق على العبادة ، وقد دلت السورة على أن الدعاء عبادة وأنه لله - وحده - لا شريك له في آيتين منها :-

( ١ ) هو : إسطعيل بن حطاد الجوهري المتوفى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة هجرية

( ٢ ) ٠ ٢٣٣٧ / ٦

( ٣ ) ٠ ٣٢٩ / ٤

( ٤ ) ٠ ١٩٤ / ١

( ٥ ) رواه الترمذى ٥٢ / ٥ من حديث النعيمان بن بشير رضى الله تعالى عنه .

قال تعالى ( وإذا مس الإنسان ضرر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار ) .

وقال تعالى : ( فإذا مس الإنسان ضرر دعا ربه ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فطأ أعينهم ما كانوا يكسبون . فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات وما هم بمعجزين ) .

فالأيتان الأوليان من هذه الآيات الأربع بين الله تعالى فيهما أن العبد إذا نزل به البلاء وأحاطت به المحن جأ إلى الله وفتح إليه بالدعاء لئلا تقر في فطرته أنه لا يكشف ما به من البلاء والمحن إلا الله - تعالى - الذي أوجده من قبل ولم يك شيئا ، ثم إنهم توضحان ما تنطوي عليه تلك الفطرة ، وما يحترقها من التفخيرات والتقلبات في حالتها الشدة والرخاء .

فالأية الأولى : وهي قوله تعالى ( وإذا مس الإنسان ضرر دعا ربه منيبا إليه ) الآية يخبر الله تعالى فيها عن كرمه وإحسانه وبره بعبده وقلة شكر عبده على ذلك وأنه حين يمسه الضر من المرض ، أو الفقر ، أو الوقوع في الكربات يعلم أنه لا ينجيها ولا ينقذه منها إلا الله فيدعوه ملحا متضرعا منيبا ، ويستغث به في كشف ما نزل به ويلج في ذلك فإذا ما أنعم الله عليه بكشف ما نزل به من الضر والكرب نسي ذلك الذي دعا الله من أجله ومرآته لم يصبه شيء فرجع إلى الشرك بأن جعل لله الأنداد وهم الشركاء والأمثال والأشباه فضل بنفسه وأضل غيره لأن إضلاله لغيره متولد وناتج عن ضلاله . ثم أمر الله نبيه بأن يقول لمن اشتهر بهذا العتو ، وهو تبدل نعمة الله كفرا ( تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار ) فلا ينفعه ما يتمتع به في هذه الدنيا من الأموال وسائر النعم إذا كان الطال والنار . ( ١ ) .

( ١ ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣ / ١٩٩ - ٢٠٠ ، تفسير القرآن العظيم ٨١ / ٦ ، الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٢٣٧ - ٢٣٨ ، فتح القدير للشوكاني

وأما الآية الثانية: وهي قوله تعالى ( فإذا من الإنسان ضرر طائفا ثم إذا حولناه  
نعمة منا قال إنط أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون ) .

وهذه الآية أيضا: كسابقتها تبين أن العبد حين يصاب بالشدة والبلاء تقوى صلته  
بربه في هذه الحال فيدعو ويضع إليه أن يزيل عنه ط حل به من الكوارث ويُنِيب  
إليه إنابة صادقة ويتجلى أطم عينيه الصراط المستقيم ويعلم على يقين أن كل ط سوى  
الله من الأنداد والأوطان والأصنام وغيرها من المخلوقات ليس لهم القدرة على كشف  
ط به ، فعند ذلك يلجأ إلى الله ويفيق من ظلمات الجهل وركام الشرك وينقشع عنه  
كل ط يخالجه من الأوهام الباطلة فيتجه إلى الله بالدعاء الخالص واللجوء الصحيح  
ويكفر بكل ط سوى الله - تعالى - من الشركاء والشفعاء المزعومين .

أط إذا ذهب عنه الضر وحل به الرخاء وخوله الله بشتى النعم فإن حاله ينعكس  
غالبا وهنا يدس فطرته التي كانت قد استيقظت في حالة الشدة فيلبسها لباس  
الشرك ويلبسى توحيد لربه وإنابته إليه وتطلعته إليه في إزالة ط به من الفقر والمرض  
وسائر أنواع الكرب فيبدأ بالكفر بنعم الله وينسبها إلى نفسه وأنها إنط جاءت إليه  
لذاته ودقة حيلته ويكفر بربه الذي هو مصدر كل النعم ،

( ثم إذا حولناه نعمة منا قال إنط أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا  
يعلمون ) .

قال الحافظ ابن كثير: يخبر تعالى " أن الإنسان في حال الضر يضرع إلى الله  
وينيب إليه ، ويدعو ، ثم إذا حولته نعمة منه ظمى وهي وقال ( إنط أوتيته على علم )  
لعلم الله بي بأنني أستحق ذلك ولولا أنني عند الله خصيص لظ حولني هذا قال  
قتادة: على علم عندي قال الله - عز وجل - ( بل هي فتنة ) أي ليس الأمر كما زعم  
بل إنط أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فميا أنعمنا عليه أيطيع أم يحصى ؟ مع  
علم الله المتقدم بذلك فهي فتنة أي اختبار ( ولكن أكثرهم لا يعلمون ) ولهذا  
يدعون ط يدعون ويقولون ط يقولون " أ. هـ ( ١ ) .

فيجب على الإنسان أن يعلم أن كل ما به من نعمة فهي من الله - تعالى - وأنه ليس له حول ولا قوة في جبر النفع إلى نفسه أو دفع الضرر عنها والإنسان عند ما ينسب النعم التي حباه الله بها إلى نفسه وإنما جاءت إليه بحيلته وذكائه وخبرته الفائقة بوجوه المكاسب لا شك أن ذلك جحد لنعم الله وهو يؤدي إلى الكفر بالمنعم الذي هو الله - تعالى - مصدر كل النعم ، فيجب على العبد أن يصرف المنعم بذلك حتى يكون شاكرا لربه الرازق العليم .

وأما الآياتن الأخيرتان من الآيات المتقدمة وهما قوله - تعالى - ( قد قالها الذين من قبلهم فمأغنى عنهم ما كانوا يكسبون فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين ) .

فهاتان الآيتان تضمنتا التهديد والوعيد لمن ينسب نعم الله إلى نفسه وأن من زعم ذلك فالله هو مقتد بقارون الذي اغتر بكثرة ماله ، وما أعطاه الله من أصناف النعم فكانت عاقبته النهائية أن خسف الله به وبداره الأرض فلم يجد مصيفا ولا نصيرا يمنعه من بأس الله الذي لا يرد من القوم المجرمين فقوله تعالى ( قد قالها الذين من قبلهم ) الآية أوضحت بأنه قد سبق من الأمم من زعم أن آتاه اللعالمال لم يعلم الله تعالى من استحقاقه له ولولا أنه خصيص عند الله لم يحوله الله تلك النعم فهذه المقالة الصبغية عند الله تعالى - بينت السورة أنها متداولة لدى الجبابرة من سائر الأمم بتوارثها الجاحدون لنعم الله - تعالى - كما أوضحت أن كسبهم لا يفني عنهم شيئا من عقاب الله وأن وبال ذلك راجع عليهم ، كما أوضحت أن الظلمة من المخاطبين سيصيبهم ما أصاب الظالمين من الأمم قبلهم ( فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين ) قال تعالى مخبرا عن قارون أنه قال له قومه ( لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فميط آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين قال إنط أو تيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ) ( ١ )

وكون العبد ينسب نعم الله إلى نفسه وأنها وافته بفضل ط عنده من الحرص والذكاء وشدة الحيلة والعلم بوجوه المكاسب هذا من علامة الخذلان والعيان بالله ، والكفر بالله إذ الكفر بالنعمة كفر بالمنعم .

قال العلامة ابن القيم : وسبب الخذلان عدم صلاحية المحل وأهليته وقبوله للنعمة بحيث لو وافته النعم لقال هذا الذي ، وإنما أوتيته لأنني أهله ومستحقه كما قال تعالى ( قال إنما أوتيته على علم عندي ) أي على علم علمه الله عندي أستحق به ذلك وأستوجبه وأستأهله ، قال الفراء : أي على فضل عندي أنني كنت أهله ومستحقاً له إذ أعطيته ، وقال : مقاتل : يقول على خير علمه الله عندي ، وذكر عبد الله بن الحارث بن نوفل سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام فبسط أوتى من الملك ثم قرأ قوله - تعالى - ( هذا من فضل ربي ليبلوني أكفر أم أكفر ) ( ١ ) .

ولم يقل هذا من كرامتي ، ثم ذكر قارون وقوله ( إنما أوتيته على علم عندي )<sup>(٢)</sup> يعني أن سليمان رأى ط أوتيه من فضل الله عليه ومنته وأنه ابتلى به فشكره ، وقارون رأى ذلك من نفسه واستحقاقه . وكذلك قوله - سبحانه - ( ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي ) ( ٣ ) أي أنا أهله وحقيق به فاختصاصي به كاختصاص المالك بملكه .

والمؤمن يرى ذلك ملكاً لربه وفضلاً منه من به على عبده من غير استحقاق منه بل صدقة تصدق بها على عبده ، وله أن لا يتصدق بها . فلو منعها إياها لم يكن قد منعه شيئاً هو له يستحقه عليه ، فإذا لم يشهد ذلك رأى فيه أهلاً ومستحقاً فأعجبته نفسه وطمعت بالنعمة وهلت بها واستطالت على غيرها فكان حظها منها الفرح والفخر كما قال تعالى ( ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه لطغوس كفور ) ولئن أذقناه نعماً بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور ) ( ٤ )

( ٢ ) سورة القصص آية : ٧٨ .

( ١ ) سورة النمل آية : ٤٠ .

( ٤ ) سورة هود آية : ٩-١٠ .

( ٣ ) سورة فصلت آية ٥٠ .

فذهبه بالبأس والكفر عند الإمتحان بالبلاء وبالفرح والفخر عند الإبتلاء بالنعماء واستبدل بحمد الله وشكره والثناء عليه إذ كشف عنه البلاء قوله ( ذهب السيئات عني ) ، ولو أنه قال : أذهب الله السيئات عني برحمته ومثله لم ذم على ذلك ، بل كان محموداً عليه ولكنه غفل عن المنعم بكشفها ونسب الذهاب إليها وفرح وافتخر فإذا علم الله - سبحانه - هذا من قلب عبد فذلك من أعظم أسباب خذلانه وتخليه عنه ، فإن محله لا تناسبه النعمة المطلقة التامة كما قال تعالى : ( إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ) ( ١ ) .

فأخبر - سبحانه - أن محلهم غير قابل للنعمة ومع عدم القبول ففيهم طمع آخر يمنع وصولها إليهم وهو توليهم وإعراضهم إذا عرفوها وتحققوها . هـ ( ٢ ) .  
ومط ينبغي أن يعلم أن توسيع الرزق على بعض العباد ليس ذلك دليلاً على أنهم محبوبون عند الله - تعالى - كما أن تضيقه على بعضهم لا يدل على بغضهم فإن الدنيا يؤتيها الله من يحب ومن لا يحب فتوسيع الرزق إنط هو ابتلاء وامتحان منه - سبحانه - وتعالى لعبيده لينظر أشكرونه أم يكفرونه ؟ وفي ذلك عبرة للمعتبرين وحجة على المعاندين .

وبعد هذه اللحة لبيان معنى الآيات الأربع المتقدمة التي جاء في بعضها التشبيه على عبودية الدعاة ، فنقول : إن الدعاة من أجل العبادات ، بل هو أكرمها على الله - عز وجل - وقد حدث الله في كتابه العزيز على إخلاص الدعاء له وحده لا شريك له وبذلك جاءت السنة التي أوحاها الله إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

( ١ ) سورة الأنفال آية ٢٢-٢٣ .

( ٢ ) الفوائد ص : ٢٠٠ - ٢٠١ .

الدعاء نوعان :

إن الدعاء الذي أمر الله به عباده في كتابه الكريم نوعان :-

١- دعاء عبادة .

٢- دعاء مسألة .

ولفظ الدعاء في القرآن الكريم يراد به هذا تارة ، وهذا تارة ويراد به مجموعها

وهو متلازمان كما سنوضح ذلك |

فأما دعاء العبادة : فهو التقرب إلى الله - تعالى - بأنواع العبادات من الصلاة والذبح ، والنذر ، والصيام ، والحج وغيرها خوفاً من عقاب الله وطمعا في رحمته وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال وطلب ، فالعابد الذي يرغب في حصول مطلوبه ويخاف على فواته هو سائل لم يطلبه بامتثال أمر الله - تعالى - .

وأما دعاء المسألة : فهو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره أو دفعه ومن يملك الضر والنفع هو المعبود حقا ، والمعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر .  
( ١ )

ولقد أنكر - الباري - سبحانه - على الذين يعبدون غيره ممن لا يملكون لعابدهم

ضرا ولا نفعا ، وكثر أسلوب الإنكار في القرآن الكريم من أجل هذا .

قال تعالى : ( قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا ) ( ٢ )

فهذه الآية تضمنت الإنكار الشديد على عباد الأصنام والأنداد والأوثان وبداية الآية كما هو مشاهد أمر موجه للمنبى صلى الله عليه وسلم بأن يقول : لعمر العابدين لغير الله - تعالى - من سائر بني آدم بما فيهم النصارى ( أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا ) أي : لا يقدر على دفع ضرركم ولا إيصال نفع إليكم ، أم الله - جل وعلا - فإنه يسمع أقوالكم ويعلم أحوالكم فلم تعدلون عنه إلى عبادة جطاد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئا ولا يملك ضرا ولا نفعا

لغيره ولا لنفسه : ( ٣ )

( ١ ) مجمع الفتاوى ١٥ / ١٠ بدائع الفوائد لابن القيم ٢ / ٢ ، تيسير العزيز الحميد

ص ١٨٠ ، ١٩٢ .

( ٢ ) سورة الطائفة آية : ٧٦ .

( ٣ ) أنظر تفسير ابن كثير : ٢ / ٦١٧ .

وقال تعالى زيادة في الإنكار على الذين يعبدون مالا يملك لهم ضرا ولا نفعا .

( ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ) ( ١ ) وقال ( ولا تدع من دون

الله مالا ينفعك ولا يضرك ) ( ٢ ) وقال تعالى ( واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون

شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا )  
( ٣ )

وبغيرها من الآيات كثير كلها تنفي عن المصنوعين من دون الله النفع والضرا القاصر

والمتعدي فلا يملكون لأنفسهم ولا لما بد بهم ضرا ولا نفعا فالمصنوع يدعى للنفع

والضردعاء المسألة، ويدعى على طريق الخوف بالرجاء دعاء العباداة ومن هذا يعلم

أن النوعين متلازمان فكل دعاء عباداة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة يتضمن

دعاء العباداة . ومن هذا قوله - تعالى - ( وإذا سألك عبادي عني فإني قريب

أجيب دعوة الداع إذا دعان ) ( ٤ ) .

فهذه الآية اشتملت على نوعي الدعاء وفسرت بهما معا .

فقيل : أعطيه إذا سألتني .

وقيل : أشيئه إذا عبدني ( ٥ ) .

وكلا التفسيرين متلازمان " وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما

أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه بل هذا استعمال له في حقيقته الواحد والمتضمنة

للأمرين جميعا فتأمل فإنه موضع مظيم النفع قل من يظن له وأكثر الفاظ القرآن الدالة

على معنيين فصاعدا هي من هذا القبيل " ( ٦ ) .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى ( قل ما يحبكم ربى لولا دعاؤكم ) ( ٧ ) .

وهذه الآية فيها قولان للمفسرين :

الأول : قيل لولا دعاؤكم إياه .

الثاني : قيل لولا دعاؤكم إلي عبادته . ( ٨ ) .

( ١ ) سورة يونس آية : ١٨ . ( ٢ ) سورة يونس آية : ١٠٦ .

( ٣ ) سورة الفرقان آية : ٥٥ . ( ٤ ) سورة البقرة آية : ١٨٦ .

( ٥ ) مجمع الفتاوى ١١/١٥ ، بدائع الفوائد : ٣/٣ .

( ٦ ) بدائع الفوائد : ٣/٣ .

( ٧ ) سورة الفرقان آية : ٧٧ .

( ٨ ) البحر المحیط لأبي حيان ٧/٦ ، وأنظر إطلاء ط من به الرحمن من وجوه  
الاعراب والقراءات في جميع القرآن ١٦٦/٢ .



فعلى القول الأول : يكون المصدر مضافاً إلى الفاعل ، وعلى القول الثانى : يكون المصدر مضافاً إلى المفعول - ورجع شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله - تعالى - الأول ( ١ ) وعلى هذا فالمراد بلفظ الدعاء في الآية نوحا الدعاء وهو فى دعاء العبادة أظهر والمعنى أى ما يعبأ بكم لولا أنكم تعبدونه عبادة تستلزم طلبه وسؤاله .

وقال تعالى ( وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ) ( ٢ ) .  
وهذه الآية أيضا تضمنت نوعي الدعاء معا إلا أنها في دعاء العبادة أظهر ولذلك جاء التعقيب بعد الأمر بالدعاء فيها بقوله ( إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ) .

وقد روى الترمذي بإسناده إلى النعطان بن بشير رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : " إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ ( أدعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ) قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ( ٣ ) .

فهذه الآيات التي قدمنا ذكرها دلت دلالة صريحة على أن نوحى الدعاء بينهما تلازم كما قدمنا ذلك قريبا ، فينبغى للإنسان أن يكون على معرفة بهذا وأن يحققه جيدا حتى يستطيع الرد على القبوريين الذين يدعون أهل القبور من دون الله - تعالى - ويحتجون على من أنكر عليهم فعلهم ذلك بأن الدعاء الذي أمر الله بأن يكون خالصا له وحده لا شريك له إنما هو دعاء العبادة وليس المسألة ويؤمنون أن قوله تعالى ( وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ) ( ٤ )

( ١ ) مجموع الفتاوى ١٥ / ١٢ ، بدائع الفوائد ٣ / ٣ .

( ٢ ) سورة غافر آية : ٦٠ .

( ٣ ) سنن الترمذي ٥ / ٥٢٠ .

( ٤ ) سورة الجن آية : ١٨ .

أي لا تبعدوا مع اللغزيره ، والرّد عليهم سهل ويسير ،

فيقال : لهم سلمنا لكم جدلا أن المراد به دعاء العبادة لكن لا يمنع ذلك من أن

يدخل فيه دعاء المسألة لأن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة ويقال : لهم

أيضا إن الله تعالى - أمر عباده بأن يدعو دعاء مسألة في مواضع كثيرة من كتابه .

قال تعالى : ( قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ) (١)

فهذه الآية واضحة في دعاء المسألة ، ويهدف ذلك سبب نزولها وهو أنه صلى الله

عليه وسلم كان يدعو ربه فيقول مرة : يا الله ، ومرة " يا رحمن " فظن الجاهلون ممن

المشركين أنه يدعو الهين فأنزل الله هذه الآية قال عبد الله بن عباس رضي الله

عنها " سمع المشركون النبي صلى الله عليه وسلم يدعو في سجوده " يا رحمن يا رحيم "

وهو يدعوه مثني مثني لأنزل الله هذه الآية قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن

فقالوا : هذا يزعم أنه يدعو واحدا ( ٢ ) ومعنى هذه الآية الكريمة : الأمر للنبي

صلى الله عليه وسلم بأن يقول للمشركين الذين أنكروا صفة الرحمة لله - عز وجل -

الطائعين من تسميته ( بالرحمن ) " ادعوا الله أو ادعوا الرحمن " أي لا فرق بين

دعائكم له باسم " الله " أو باسم " الرحمن " فإنه ذو الأسماء الحسنى .

وقال تعالى ( ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين ) ( ٣ ) .

وهذه الآية تضمنت إرشادا من الله لعباده بأن يدعو تضرعا وتذلالا لأن الدعاء

فيه صلاح دنياهم وأخراهم ، كما أنها تتناول نوعي الدعاء لكنها ظاهرة الدلالة

في دعاء المسألة المتضمن دعاء العبادة ولهذا أمر - سبحانه - بإخفائه وإسراؤه (٤)

وقوله تعالى في هذه الآية ( إنه لا يحب المعتدين ) فسر الاعتداء بتفسيرين :

( ١ ) قيل : المراد إنه لا يحب المعتدين في الدعاء كالمسائل ما لا يليق به من منازل

الأنبياء وغير ذلك . وقد جاء في سنن أبي داود رحمه الله تعالى عن

( ١ ) سورة الاسراء آية : ١١٠ .

( ٢ ) مجموع الفتاوى ١٤/١٥ ، بدائع الفوائد ٥/٣ ، تفسير ابن كثير ٤/٣٥٩ .

( ٣ ) سورة الأعراف آية : ٥٥ .

( ٤ ) مجموع الفتاوى ١٥/١٥ ، بدائع الفوائد لابن القيم ٦/٣ .

عبد الله بن معقل أنه سمع ابنه يقول : ( اللهم إني أسألك القصر الأبيض  
عن يمين الجنة إذا دخلتها فقال : يا بني سل الله الجنة وتعوذ به من النار  
فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " سيكون في هذه الأمة قوم  
يعتدون في الطهور والدعاء " ( ١ ) .

وعلى هذا فالإعتداء في الدعاء تارة يكون بسؤال الله ط لا يجوز له سؤاله كسؤاله  
العون على المعصية ، وتارة يسأل الله سؤالاً لا يفعله كطلب الخلود إلى يوم  
القيامة أو يدفع عنه لوازم البشرية بأن يرفع عنه الحاجة إلى الطعام والشراب أو يطلعه  
على الغيب أو يجعله في المعصومين ، أو يطلب من الله الولد من غير زوجة وغير  
ذلك مما سؤال اعتداء لا يحبه الله ولا يحب سائله .

(٢) التفسير الثاني للآية : قيل الإعتداء برفع الصوت في الدعاء ( ٢ ) .

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الآية تكون أعم من ذلك كله وإن كان الإعتداء  
في الدعاء هو المقصود بها فهو من جملة المراد ( إنه لا يحب المعتدين ) ( ٣ )  
ففي كل شيء دعاء كان أو غيره كما قال تعالى ( ولا تعبدوا ) ( ٤ )  
وعلى القول بعموم الآية فإن من أعظم الاعتداء أن يدعى غير الله تعالى من  
المخلوقين سواء أكان الدعاء يوجه إليهم مباشرة ، يدعون الله بهم كل ذلك  
اعتداء لا يحبه الله تعالى - لأنه وضع للعبادة في غير مخصصها ومن الإعتداء أن  
يدعو الإنسان ربه تبارك وتعالى وهو غير مظهر للتضرع والتذلل فيكون دعاء هذا  
كدعاء المستخني المدل على ربه وهذا من الاعتداء الذي لا يحبه الله لمناطاته  
دعاء العبد المتذلل فمن لم يسأل ربه مسألة مسكين متضرع خائف فهو من المعتدين  
كذلك من الإعتداء عبادة الله بطم بشره ، ولا أذن فيه أو يثني على الله بطم  
ثمن . به على نفسه فذلك من الإعتداء في دعاء الثناء والعبادة ، وهو شبه الإعتداء

( ١ ) ٢٢ / ١ +

( ٢ ) مجمع الفتاوى ٢٢ / ١٥ ، تفسير ابن كثير ٣ / ١٨٠ .

( ٣ ) سورة الأعراف آية : ٥٥ .

( ٤ ) مجمع الفتاوى ٢٣ / ١٥ والآية رقم ( ١٩٠ ) من سورة البقرة .

في دعاء المسألة والطلب قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وعلى هذا فتكون الآية دالة على شيئين :

أحدهما : محبوب للرب - سبحانه - وهو الدعاء تضرعا وخفية .

الثاني : مكروه له مسخوط وهو الاعتداء ، فأمر بما يحبه وندب إليه وحذر ما يبغضه وزجر عنه بما هو أبلغ طرق الزجر والتحذير وهو لا يحب فاعلةً ومن لا يحبه الله فأبي خير يناله . . . . . إلى أن قال فقسمت الآية الناس إلى قسمين داع لله تضرعا وخفية ، ومعتد بتبرك ذلك " أ.هـ ( ١ ) .

وقال تعالى ( ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين ) ( ٢ ) .

والآيات كثيرة جداً في إثبات دعاء المسألة المتضمن دعاء العبادة ويكفيها منها هذا القدر الذي قدمنا ذكره وكلها فيها الرد الواضح على من ينكر عبودية دعاء المسألة ويكابر مناصرة لدعاء الموتى من أهل القبور ، بزعمه أن الدعاء الوارد في القرآن إنما المراد به دعاء العبادة ، ليسوفوا لأنفسهم سؤال : غير الله - تعالى - ودعاء أهل القبور ، وقد اعتبر القرآن دعاء غير الله - تعالى - من أبلغ الضلال قال تعالى : ( ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ) ( ٣ ) فالآية الأولى بينت أنه لا أضل ممن يدعو أحداً من دونه كائناً من كان وأن المدعو ليس له يدعى استجابة لما طلب منه من ميت أو غائب أو صنم أو وثن فالداعي لغير الله حظه من ذلك الخسران والخيبة ، وأما الآية الثانية فقد بينت أنه إذا كان يوم القيامة فإن المعبود من دون الله يتبرأ من عبده ومن عبادته بل ينقلب له عدواً .

( ١ ) مجموع الفتاوى ١٥ / ٢٣ - ٢٤ .

( ٢ ) سورة الأعراف آية : ٦٦ .

( ٣ ) سورة الأحقاف آية : ٥ - ٦ .

قال العلامة عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب : فدلّت أيضا : أي الآية على أن دعاء غير الله عبادة له وأن الداعي له في غاية الضلال وقد وقع من هذا الشرك في هذه الأمة ما طمّ بهم حتى أظهر الله من يبينه بعد أن كان مجهولا عند الخاصة والعامة إلا من شاء الله - تعالى - وهو في الكتاب والسنة في غاية البيان لكن القلوب انصرفت إلى ما زين لها الشيطان " أ. هـ ( ١ ) .

وهو كما قال رحمه الله - تعالى - فإن الشيطان زين لبعض المسلمين دعاء أهل القبور وللجوّ إليهم عند الشدائد والإستغاثة بهم في الملمات ، والنظر بعين البصيرة لما عليه القبوريون في أغلب الأقطار الإسلامية يقطع يقينا بأنهم بدلوا قولا غير الذين قيل لهم فبدلا من إتيانهم القبور للدعاء لأهلها بالمغفرة والرحمة وسأل العافية لهم تجدهم يدعونهم ويسألونهم مطالب لا يقدر عليها إلا الله - تعالى - أو يدعون الله - تعالى - بهم بقصد القربى وأنهم يشفعون لهم عند الله - تعالى - ونسوا أن المقصود من زيارة القبور أمران :-

الأمر الأول : تذكّر الآخرة والإعتبار والإتعاض وقد أشار إلى ذلك المصطفى عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره من حديث بريدة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة " ( ١ ) وهذا من إحسان الحي إلى نفسه .

الأمر الثاني : الإحسان : إلى الميت بالدعاء له بالرحمة والمغفرة كما كان يفعل صلى الله عليه وسلم فإنه كان إذا زار أهل البقيع يقول : " السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون ، وإنا إن شاء الله بكم لأحقن اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد " ( ٣ ) .

( ١ ) قرّة عيون الموحدين : ص / ١٠٤ .

( ٢ ) سنن الترمذي : ٢ / ٢٥٩ .

( ٣ ) رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها : ٢ / ٦٦٩ .

هذه هي الزيارة المشروها التي يؤد بها أهل التوحيد ، وأط زيارة الذين أشربت قلوبهم بعبادة الله <sup>غير</sup> فإنهم يزعمون أن الميت المعظم الذي لروحه قرب ومنزلة عند الله - تعالى - لا يزال تأتيه الألفاظ من قبل الله - تعالى - وتفيض على روحه الخيرات ، فإذا علق الزائر روحه به ، وقربها منه يحصل لها الفيض من روح ذلك المزور ويكتسب من تلك الألفاظ بواسطتها كما ينمكس شعاع المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل ، وقالوا لا تتم الزيارة إلا إذا توجه الزائر بروحه وقلبه إلى الميت وعكف بهيمته إليه ووجه قصده وإقباله عليه بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره وكلما كان جمع همته ، وقلبه عليه أعظم ، كان أقرب إلى انتفاعه به والذي قرر هذه الزيارة الشركية على هذا النحو ابن سينا<sup>١</sup> والفارابي وغيرهما ( ١ ) وهذا ما كان عليه عباد الكواكب وعباد الأصنام ، ومن ثم تسلسل هذا الاعتقاد الباطل إلى عباد القبور فاتخذوها أعيادا ، وعلقوا عليها الستور ، فأوقدوا السرج عليها ، وبنوا عليها المساجد والقباب وهذا ما قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم إبطاله ومحوا أثره كلية وسد كل ذريعة تفضي إليه ولط عرف المشركين قصده وقفوا في طريقه وناقضوه في قصده وكان صلى الله عليه وسلم في شق وهم في شق ولذلك كان القرآن ينزل بتكفيرهم ولعنهم وإباحة دماءهم وأموالهم وسبي ذراريهم ، وأوجب لهم النار ، والقرآن من أوله إلى آخره مملوء بالرد عليهم وإبطال كل معتقد لهم في ذلك .

قال الشيخ سليمان ( ٣ ) بن عبد الله : بعد أن بين دعاء العبادة ودعائها

المسألة .

" إذا تبين ذلك فاعلم أن المصلط<sup>٢</sup> أجمعوا على أن من صرف شيئا من نوعي الدعاء

( ١ ) اغاثة اللهفان ٢١٩/١ .

( ٢ ) هو : الشيخ : سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب أحمد السلسلة الذهبية التي قبضها الباري - سبحانه - للدعوة إلى التوحيد الخالص ونبيذ الشرك والبدع والخرافات في الجزيرة العربية كان رحمه الله بارعا في التفسير والحديث والفقه توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف هجرية . أنظر ترجمته في كتاب " عنوان الفجد في تاريخ نجد " ٢١٢/١ ، هدية العارفين ٤٠٨/١ معجم المؤلفين ٢٦٨/٤ .

الدعاء لغير الله فهو شرك ولو قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى  
 وصام ، إذ شرط الإسلام مع التلفظ بالشهادتين أن لا يعبد إلا الله فمن أتى  
 بالشهادتين ، وعبد غير الله فطأى بهط حقيقة ، وإن تلفظ بهط كاليهود الذين  
 يقولون : لا إله إلا الله وهم مشركون ومجرد التلفظ بهط لا يكفي في الإسلام  
 بدون العمل بمعناها واعتقاده اجطاعاً ( ١ )  
 وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على أن الدعاء عبادة لا يجوز صرفها لغير الله  
 - تعالى .

منها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما : من حديث أبي هريرة رضي الله  
 عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة  
 إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ثم يقول : من يدعوني فأستجيب له ؟  
 من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ ..... الحديث ( ٢ ) .  
 وروى الإمام أحمد في المسند من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم قال : " ليس شيء أكرم على الله من الدعاء " ( ٣ ) .  
 وإذا كان الدعاء من أجل العبادات وأكرمها على الله - عز وجل - فهلا يعقل أولئك  
 القبوريون الذين ينادون أهل القبور ويستغيثون بهم ويطلبون منهم المطالب  
 التي لا يملكها إلا الله من جلب النفع ودفع الضر ؟ وهلا ينتهي أولئك الضلال  
 الذين يدعون أنهم أولياء فيقفون في طريق الصوام يزینون لهم دعاء الأموات  
 والإستغاثة بهم فيضلونهم ويصدونهم عن سبيل الله بل وصل الحد بمن يدعى الولاية  
 أنه يضمن لتابعيه دخول الجنة والنجاة من النار وقد قال تعالى ( مخاطباً سيد  
 الأولين والآخرين ) أفمن حق عليه العذاب أفأنت تنقذ من النار ؟ فأين  
 هؤلاء الجبهة من هذه الآية فإذا كان سيد الأولين والآخرين لا يقدر على إنقاذ

( ١ ) تيسير العزيز الحميد ط: ١٩٢ .

( ٢ ) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٣ / ٢٩ ، صحيح مسلم ١ / ٥٢١ .

( ٣ ) ٣٦٢ / ٢

من حقت عليه كلمة العذاب فكيف يدعى أولئك العضاة أنهم يملكون ذلك فالواجب على كل مكلف أن يعرف ما ربه من الواجب عليه وأن يخلص له الدين حتى يكون من عبادة الموحدين ولتعلم أن لربه أوحى إلى نبيه بأن يأمر أمته أن يسألوا الله من فضله الذي عطاه لا ينفذ وخزائنه طآى لا تنضب كط في حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم " إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف ) قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح ( ١ ) .

فلا يسأل إلا الله ولا يدعى إلا هو وحده لا شريك له لأن غير الله لا يقدر على الاعطاء والمنع ورفع الضرر وجلب النفع لأن ذلك من خصائص الرب - سبحانه - وتعالى وقد حصر الرسول صلى الله عليه وسلم العبادة في الدعاء فقال : عليه الصلاة والسلام ( الدعاء هو العبادة ) ( ٢ ) .

جاء في عن المعبود أي : هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة لدلالته على الإقبال على الله والإعراض عما سواه بحيث لا يرجو ولا يخاف إلا إياه قائم بوجود المعبودية معترفا بحق الربوبية عالى بنصمة الأجداد . هـ ( ٣ ) .  
فهذه الأحاديث التي قد منا ذكرها تدل على أن دعاء غير الله من ميت وقائب وحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله من جلب النفع ودفع الضرر وتحويله هو الشرك بمعنى بل ذلك من الشرك الأكبر إذا أن الداعي إنط بدعوا لله إذ انقطع أمه من سوى الله وذلك هو خلاصة التوحيد فمن دعا غير الله - تعالى أو ناداه فقد سوى بينه وبين الله - تعالى - وذلك عين الشرك .

( ١ ) سنن الترمذى ٢٦/٤ .

( ٢ ) المصدر السابق ٥٢/٥ ، وانظر سنن أبي داود مع شرحه عن المعبود ٣٥٢/٤

( ٣ ) ٣٥٢/٤ .



والناظر لحال بعض المسلمين اليوم من الذين ينادون أهل القبور ويستغيثون بهم ويطوفون بقبورهم ، ويذبحون لهم وينذرون لهم فإنه يرثى حالهم ويعلم تدهور العقيدة الصحيحة في قلوبهم ، والموجب لهم ذلك أنهم عن كتاب ربهم معرطون وعن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاقلون ، وبسبب ذلك فعلوا فعل المشركين الذين كانوا يدعون أنهم ما يعبدون الآلهة إلا لكي تشفع لهم عند الله ، وهذا ما وقع فيه جهلة المسلمين ، من الخضوع والتذلل عند القبور ، وطلبون من أصحابها مطالب لا يقدر عليها إلا الله تعالى .

وعند ما يشاهد الإنسان الذي عرف العقيدة الصحيحة بعض المفتونين من القبوريين الذين ينادون أهلها الذين لا يملكون لغيرهم ضرا ولا نفعا ، ولا موتا ، ولا حياة ولا نشورا يتساءل عن الذي جعلهم يعرضون على فعلهم ذلك المنكر الشنيع الذي يجعل فاعله هو عبدة الأصنام على حد سواء في دعوتهم غير الله - تعالى - والسبب الذي دفعهم إلى ذلك يتمثل في الأمور الآتية :-

١ - جهلهم أولا : بحقيقة ما أرسل الله به رسوله عليه الصلاة والسلام ، بل جهلهم بما دعا إليه جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام من تحقيق التوحيد ، وقطع كل صلة تؤدي إلى الشرك بالله العظيم فكان حظهم من ذلك قليلا ، فداهم الشيطان إلى تلك الفتنة لأنه لا يوجد عندهم من العلم ما يدحضون به دعوته فاستجابوا لدعوته بقدر ما عندهم من الجهل وعصموا بحسب ما عندهم من العلم .

٢ - من الأسباب التي جعلتهم يدعون أهل القبور الأحاديث <sup>المكذوبة</sup> المختلفة التي وضعها على الرسول صلى الله عليه وسلم أمثال عباد الأصنام من القبوريين لمناقضة دين الإسلام وزعزعة العقيدة المحمدية من النفوس مثل حديث : " إذا أعيتم الأمور فعليكم بأصحاب القبور " وحديث " لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفسه " وأمثال هذه الأكاذيب التي تناقض قواعد الدين ، وضعها المشركون ، وراجت عند الجهلة من بعض المسلمين ، فالرسول صلى الله عليه وسلم ما بعث إلا لقتل من حسن ظنه بالأحجار وتجنيب الأمة فتنة القبور .

٣ - من الأسباب التي جعلت القبور يوسن يصطرون عبودية الدعاء لغير الله تعالى الحكايات المكذوبة لأصحاب تلك القبور مثل : أن فلانا استغاث بالقبور الفلاني في شدة نزلت به ، فخلص منها ، و فلانا دعاه ، أو دعا به في حاجة فقضيت لسه و فلانا نزل به ضر ، فرجا صاحب القبر الفلاني فكشف ضره ، وعند سدنة القبور من الأكاذيب والأساطير الباطلة الشيء الكثير ، وهم من أذب الناس على الأحياء والأموات ونفوس بني آدم مفطورة بحب من يقضي حوائجها ويزيل ضروراتها ، فعندما يسمون أن القبر الفلاني تريق مجرب<sup>س</sup> والشيطان يتلطف في دعوة المضطر المحترق القلب ، فقد يجيب الله دعوتهم ابتلاءً أو امتحاناً ، فالجاهل عندما تحصل له إجابة الدعوة يظن أن لذلك القبر تأثيراً في إجابة الدعاء ، والله - سبحانه - يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ، ولو كان كافراً ومصدّق ذلك قوله تعالى ( كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً ) ( ١ ) .

فليس كل من أجاب الله دعوته يكون راضياً عنه ، ولا مخبياً له ولا راضياً بفعله ، فإنه - سبحانه - يجيب دعوة البر والفاجر والمؤمن والكافر" ( ٢ ) .

وقد تعلق القبوريون ببعض الأحاديث ، وظنوا : أنها دليل يجيز لهم ما يفعلونه عند القبور ، ومن تلك الأحاديث ما رواه الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه بإسناد هط إلى عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أدع الله أن يعافيني قال : إن شئت أخرت ذلك فهو خير وفي رواية " وإن شئت صبرت فهو خير لك فقال : ادعه فأعصره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ، فيصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء اللهم أني أسألك وأتوجه إليك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي ، اللهم فشفعه في وشفعني فيه . . . . . الحديث قال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي" ( ٣ )

( ١ ) سورة الاسراء آية : ٢٠ .

( ٢ ) انظر إغاثة اللهفان : ٢١٤/١ - ٢١٥ .

( ٣ ) المسند ٤ / ١٣٨ ، المستدرک ١ / ١٩ ، الترمذی ٥ / ٢٢٩ . ابن ماجه ١ / ٤١٧

هذا الحديث ضمه بمض الملقا بحجة أن في إسناده أبا جعفر .

قال الترمذى : " لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وليس الخطمي" (١)

فظنوا أنه أبو جعفر الرازي ، ودرجة الرازي صدوق ولكنه سي الحفظ" (٢) .

والصواب : أنه أبو جعفر الخطمي حيث أن الإمام أحمد نسبه في إحدى روايات

الحديث بأنه الخطمي ، ونسبه في أخرى فقال : المدني" (٣) .

فالحديث صحيح ، وإنط الكلام في الزيادة التي تنسب إلى عثمان بن حنيف

مع الرجل في زمن خلافة عثمان وسيأتي الكلام عليها قريبا .

فقد تعلق القبوريون بقوله : " يا محمد إني توجهت بك إلى ربي " .

وقالوا : لو أن دعا غير الله شرك لم يملكه النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء

الذي فيه المنادات لغير الله .

والجواب : أن يقال : إن شبهتكم هذه باطلة من وجوه :-

الوجه الأول : أن الضرير كان مجيئه إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأجل أن

يدعوه بدليل فوله في الحديث " أَدْعُ الله أن يعافيني فيجب أن تفهم هـذة

الفقرة أولا ، وقيل كل شيء حتى يصرف الفرق بين طلب الضرير من النبي صلى الله

عليه وسلم ، وتوجهه بدعائه مع حضوره ، وبين دعاء الجهلة للأموات ، والسجود لهم

ولأضرحتهم ، والتوكل عليهم واللجوء إليهم في الشدائد وخطابهم بالحوائح من

الأمكنة القريبة والبعيدة ، فالضرير طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعوه

ويشفع له ، وهذا نوع من التوسل المشروع ، وهو التوسل بدعاء أهل الصلا والتقى

فأين هذا من دعاء فير الله والاستغاثة به .

الوجه الثاني : أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر ذلك الضرير أن يدعوا لله

بنفسه ويسأله قبول شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم وهذا من أوضح الأدلة على أن

دعاء غير الله شرك بالله العظيم ، فالمخلوق لا يدعى من دون الله سواء كان ملكا

مقربا أو نبيا مرسلا ، أو رجلا صالحا لأنهم لا يقدرن على النفع والضرر إذ ذلك

( ١ ) سنن الترمذى ٥ / ٢٢٩ . ( ٣ ) أنظر التقريب ٢ / ٤٠٦ . ( ٣ ) المسند ٤ / ١٣٨

خاص برب العالمين بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقدر على شقائه إلا بعد دعاء الله له .

الوجه الثالث: أن قوله في الحديث " يا محمد إني توجهت بك إلى ربي لا يدل على جواز سؤال الغائب ، ولا على جواز سؤال المخلوق فيط لا يقدر عليه إلا فاطر السموات والأرض ، لا من طريق العبادة ، ولا عن طريق الإشارة ، ومن ادعى ذلك فقد اقترى على الله كذبا لأنه لا يخلو الأمر من حالين : إما أن يكون ذلك الضيرر سأل النبي نفسه ، وهذا سؤال للمخاطب فيط يقدر عليه ، وهو أن يدعو له وهذا لم ينكره أحد لأنه أمر جائز لا محذور فيه .

وإما أن يكون توجه بالنبي صلى الله عليه وسلم دون سؤاله أن يدعو له فهو لم يسأل منه ، وإنما سأل من الله سؤالا كان متوجها بدعائه كما هو لفظ الحديث ، أو كان متوجها بذاته عليه الصلاة والسلام ، وهو القول الضعيف ، لأن التوجه بذوات المخلوقين ، والإقسام بهم على الله من البدع المنكرة التي لم تؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة الكرام ، ولا عن التابعين لهم بإحسان ، ولا عن أحد من أئمة الدين عليهم رحمة الله أجمعين " ( ١ ) .

ومن حججهم التي احتجوا بها على جواز التوجه إلى القبور ودعاء أهلها ما أخرجه الطبراني من قصة الرجل مع عثان بن عفان رضى الله عنه ، من طريق عبد الله بن وهب عن شبيب بن سعيد المكي عن روح بن القاسم عن أبي جعفر الخطمي المدني عن أبي أمامة سهل بن حنيف أن رجلا كان يختلف إلى عثان بن عفان رضى الله عنه في زمن خلافته ، فكان لا يلتفت إليه ، ولا ينظر في حاجته فلقى عثان بن حنيف فشكا ذلك إليه فقال له عثان : إئت الميضاة ، فتوضأ ، ثم أتت المسجد فصل فيه ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي - عز وجل - فيقضي لي حاجتي . .

..... الخ ( ٢ )

( ١ ) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .  
 ( ٢ ) القصة بتطامها في المعجم الصغير للطبراني ١ / ١٨٣ - ١٨٤ ، المعجم الكبير ( ٢ / ١٣٣ )

قال الذين تعلقت قلوبهم بدعاء غير الله من الأموات أهل القبور هذا دليل على جواز دعاء غير الله من غائب وميت صالح لأن عثمان ابن حنيف علم الرجل أن يدعو الرسول بعد موته وناداه فقضيت حاجته ، وهذه القصة باطلة متنا وسندا .

أما من ناحية المتن فهي تدل بتركيبها ، وترتيبها على أن هناك من وضعها واختلقها ، وأن الصحابي الجليل عثمان بن حنيف يرى منها لأنه يعلم أن التوسل المشروع إنما يكون بدعاء الشخص المتوسل به لا بذاته كط هو المعهود عند من جهل حقيقة التوسل المشروع .

ثم إن المعروف من حياة عثمان قبل الخلافة وبعدها أنه كان لنا رقيقاً عطوفاً كثير الإهتمام بمصالح المسلمين العامة والخاصة ، ولم يثبت أنه أهمل أحداً من قضاء حاجته بل إنه كان يتتبع احتياجات المسلمين دون أن يعلموا ذلك فضلاً عن أن الشخص يدخل على عثمان ويتردد عليه مراراً ، ولم يسأله عن حاجته فهذا بعيد جداً ، فلا يليق بمكانة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ولا بمكانة من دونه من الصحابة . ( ١ ) .

وأما من ناحية سند هذه القصة فهو ضعيف لأن فيها شبيب بن سفيان

قال الذهبي في الميزان : " شبيب بن سفيان صدوق يفرغ ( ٢ ) .

وقال ابن عدي : ( ٣ ) كان شبيب لعله يفلط ويهم إذا حدث من حفظه ، وأرجو أنه لا يعتمد . فإذا حدث عنه ابنه أحمد بأحد يث يونس ، فلكأنه شبيب آخر يعني بجود " أ . هـ ( ٤ ) .

( ١ ) انظر التوصل إلى حقيقة التوصل ص ٢٤٢-٢٤٣ بتصرف .

( ٢ ) الميزان ٢ / ٢٦٢ .

( ٣ ) هو عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن مبارك بن القطان الجرجاني أبو أحمد علامة بالحديث ورجاله ولد سنة سبع وسبعين وطاقين ، وتوفي سنة خمس وستين وثلاثمائة هجرية . انظر ترجمته في " سير أعلام النبلاء " ١٦ / ١٥٤ -

١٥٧ ، تذكرة الحفاظ ٣ / ٩٤٠ - ٩٤٢ .

( ٤ ) الكامل في ضعفاء الرجال ٤ / ١٣٤٦-١٣٤٧ ، الميزان ٢ / ٢٦٢ .

وهذا الكلام لابن عدي يفيد أن شبيبا هذا لا بأس بحديثه إذا كان من رواية ابنه أحمد عنه ، ويكون شبيب يروى عن يونس .

والسبب في ذلك ما ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل " هو أنه كان لديه كتب يونس بن يزيد فهو إذا حدث منها أحاد ، وإذا حدث من حفظه وقسم في الوهم " ( ١ ) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : بعد أن ساق قصة ابن حنيف " فهذه الزيادة فيها عدة طل : انفراد هذا بها - أي : شبيب - عن هو أكبر منه وأحفظ ، وإعراض أهل السنن عنها ، واضطراب لفظها ، وأن راويها عرف له بخرق هذا أحاديث منكروه ، ومثل هذا يقتضى حصول الريب والشك في كونها ثابتة فلا حجة فيها إذا الإعتبار بما رواه الصحابي لا بما فهمه إذا كان اللفظ الذي رواه لا يدل على ما فهمه ، بل على خلافه " أ . هـ ( ٢ ) .

وبهذا نعرف أن هذه القصة لا تصح لانهارها متنا وسندا .

ومن حجج القبوريين التي يحتجون بها على دعائم غير الله ما رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة بإسناده إلى ابن مسعود أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلا فليناد : يا عباد الله احبسوا فان لله - عز وجل - حاضرا سيحبسه " ( ٣ ) .

هذا الحديث غير صحيح لأن في سنده - معروف بن حسان أبو معاذ السمرقندي عن عمر بن ذر قال ابن عدي : منكر الحديث قد روى عن عمر بن ذر نسخة طويلة كلها غير محفوظة " أ . هـ ( ٤ ) .

( ١ ) الجرح والتعديل ٣٥٩/٤ .

( ٢ ) مجموع الفتاوى ٢٧٨/١ ، وانظر " التوسل وأنواعه وأحكامه للألباني ص ٨٧-٨٥

( ٣ ) ص ١٩٠ .

( ٤ ) الكامل ٢٣٢٦/٦ ، الميزان ١٤٣/٤ .

فهذه الأخبار الثلاثة موجودة في كتب مشهورة ، وكما مر معنا بأن حديث الأعمى صحيح لا غبار عليه ، ولكنه ليس في محل التنزيه بل بعيد عنه .  
وأما قصة عثمان بن حنيف ، والمحدث الذي عند ابن السني لم يحظيا بالصحة بل هما باطلان ، وما جاء به القبوريين بعد ذلك فإِنط هو من اختلاقهم أنفسهم مثل حديث " إذا أعبتكم الأمور فحليكم بأصحاب القبور " وقد تقدم .  
قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " فهذا الحديث كذب مفترى على النبي صلى الله عليه وسلم باجطع العارفين بحديثه ، ولم يروه أحد من المخلصين بذلك ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة " أ.هـ ( ١ ) .

فالأخبار التي يضمنها القبوريون في جواز دعاة أهل القبور والاستغاثة بهم يعرف كذبها بمجرد مرورها على السامع لأن لفظها ليس عليه رونق ، وجمل الألفاظ النبوية .

والذي نخلص إليه مما تقدم أن الدعاة من أوضح صور العبادة ، فلا يجوز أن يصرف لغير الله - تعالى - لأنه حق من حقوقه على عباده فدعاة يظهر ذل العبودية ويعرف العبد عزة الربوبية ، وهذا هو الغرض المقصود من جميع أنواع العبادات ذلك أن العبد حينئذ يقدم على الدعاة فإنه لا يقدم عليه إلا إذا عرف من نفسه أنه محتاج إلى ما يطلبه من ربه - تبارك وتعالى - ويعرف أنه عاجز عن تحصيل مقصده إلا بعون الله له على ذلك فإذا علم أن الله يسمع دعاه ، ويعلم حاجته ، وأنه له القدرة على دفع تلك الحاجة فهو الإله الرحيم الذي تقتضي رحمته قضاء حاجات عباده ومن هنا كان المقصود من جميع التكاليف الشرعية معرفة ذل العبودية ، وعزة الربوبية والدعاة انتظم تحته الأمران ولذلك كان الدعاة من أعظم أنواع العبادات

( ١ ) مجموع الفتاوى ١ / ٣٥٦ .

( ٢ ) انظر اغاثة اللهبان ١ / ٢١٦ - ٢١٧ .

فلا يجوز أن يدعى غيره من المخلوقين أياً من أنواع الدعا ، لا دعا العباداة ولا دعا المسألة ، ومن فعل ذلك فهو مشرك بالله العظيم ، كذلك لا يجوز الدعا عند الأضرحة ، ولقبور فإن ذلك وسيلة إلى الشرك ، وجعلها أندادا من دين الله - تعالى - ، ولا يجوز أن يدعى الله بأحد من خلقه ، أو يقسم به عليه ، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه ، أو يسأل بأحد من خلقه ، وقد أنكر ذلك كله أئمة الدين ( ١ ) عليهم رحمة الله أجمعين .

---

( ١ ) انظر إغاثة اللهفان ١ / ٢١٦ - ٢١٧ .



عبودية الخوف

الخوف في اللغة : الفزع .

قال في القاموس : خاف يخاف خوفاً ومخافة وخيفة بالكسر . . . . . فزعاً ( ١ )

وجاء في اللسان : الخوف : الفزع خافه يخافه خوفاً وخيفة ومخافة " ( ٢ ) .

وأما تعريف الخوف شرها :

فقد عرفه العلامة ابن القيم بقوله : " الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف "

أ. هـ ( ٣ )

ومقصودنا الذي نريده هنا هو : أن الإنسان لا يخاف خوف السرايا من - الباري

سبحانه وتعالى ، ، ومعنى خوف السران يخاف العبد من غير الله - تعالى - أن

يصيبه منه مكروه بمشيئته وقدرته ، وإن لم يباشره ، فإذا وقع الإنسام في شيء من

هذا فإنه وقع في الشرك الأكبر ( ٤ ) لأنه اعتقد حلول الضرر به الذي لا يقدر عليه

إلا الله - تعالى - من غيره الذي هو طجز أن يفعل به ذلك .

فالضار والنافع إنط هو الله - تعالى - لأنه هو الذي يملك ذلك أما غيره فليس

له من ذلك شيء ، وقد جاء في السورة أن الخوف عبادة لا يستحقها إلا الله - تعالى ،

فلا خوف ولا رهبة إلا منه - تعالى - .

قال تعالى ( قل إنى أخاف أن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ) .

وقال تعالى ( أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضل الله فما

له من هاد ) .

( ١ ) ١٤٤/٣ ، الصحاح ١٣٥٨/٤ .

( ٢ ) اللسان ٩٩/٩ وانظر المصباح الضيق ١٨٤/١ .

( ٣ ) مدارج السالكين ٥١٢/١ ، التصريفات للجرجاني ٣٣٤ .

( ٤ ) أنظر تيسير العزيز الحميد ص ٢٤ .

فها تان الآياتان من السورة فيها بيان أن الخوف لا يكون إلا من الله - تعالى - لأنه وحده القادر على جلب النفع للعبد ، ودفع الضر عنه ، أما غيره فلا يملك من ذلك شيئاً فقله تعالى ( قل إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ) هذه الآية بينت أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما مور أن يخاف عذاب يوم عظيم إن هو عصى الله - تعالى - فيطأ أمره به من إخلاص العباداة والطاعة له - وحده - لا شريك له وكون الرسول صلى الله عليه وسلم يخاف عذاب يوم عظيم الذي هو يوم القيامة ذلك اليوم الذي يعظم هولاه ويشتد خطره لهو من أبلغ الزجر لغيره ، إذ غيره صلى الله عليه وسلم يجب أن يعظم خوفه من باب أولى لأنه - تعالى - قد أخبرنا في محكم كتابه أنه قد عفر لنبيه ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

قال تعالى ( ليغفر له الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ) ( ١ )

وقد ذكر القرطبي : في تفسيره من سعيد ابن المسيب وأبي حمزة ( ٢ ) الثالسي أن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى ( قل إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ) فكان هذا الخطاب موجهاً للرسول صلى الله عليه وسلم من قبل أن يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر" ( ٣ ) .

وأما قوله تعالى ( أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ) . الآية

ففيها إخبار من الله - جل و علا - بأنه الكافي لعبده العابد له وحده لا شريك له إذا صدق في التوكل عليه - سبحانه وتعالى - وفيها أيضاً : بيان أن المشركين كانوا يخوفون الرسول صلى الله عليه وسلم بما يعبدون من دونه من الأوثان ولا له الباطلة أن تصيبه بأذى لأنه أعلن البراءة منها وطاب عبادتهم إياها وتوجيههم العباداة لمن ليس له حق فيها وجهلوا أنه صلى الله عليه وسلم قد أوى

( ١ ) سورة الفتح آية : ٢ .

( ٢ ) اسمه ثابت بن دينار الثمالي الأزدي بالولاء المتوفى سنة خمسين ومائة هجرية .

( ٣ ) الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٢٤٢ .

إلى ركن شديد ، وعلم بأنها لا تقدر على شيء من تلك المزام التي اختلقوها وهي زعمهم بأن آلهتهم ستصييه بأذى ، أو تخيله إلى غير ذلك من المزام التي نسبوها إليها ، ولكنه صلى الله عليه وسلم تصدى لها وبين بطلان عبادتهم لها حتى أرسى قواعد العقيدة الصحيحة ، وبين لهم أن الذي يملك النفع ويدفع الضر إنط هو الله - وحده - ومن كان ذلك شأنه هو الجدير بأن يعبد وحده ، وتوجه له العبادة الخالصة دون سواه .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى حول قوله تعالى : ( ويخوفونك بالذين من دونه ) يعنى المشركين يخوفون الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم التي يدعونها من دون الله جهلا وضلالا " أ. هـ ( ١ ) .

وقال الرازي ج " جرت العادة أن المصلين يخوفون المحقين بالتخويبات الكثيرة فحسم الله مادة هذه الشبهة بقوله تعالى ( أليس الله بكاف عبده ) وذكره بلفظ الإستفهام ، والمراد تقرير ذلك في النفوس والأمر كذلك . . . إلى أن قال : " لما ثبت أن الله كاف عبده كان التخويف عبثا وباطلا " أ. هـ ( ٢ ) .

فعلى الإنسان أن يصدق الله - تعالى - في الإلتجاء إليه ويخلص عبودية الخوف له وحده لا شريك له ، ويحذر دعوة أهل الأهواء الذين يصدون عن سبيل الله فإذا صدق في ذلك مع الله ، فإنه عند ذلك لا يخاف إلا الله - تعالى - ويقوى إيمانه ، وثقته بالله ، مهبط خوفه أهل الباطل بالتخويبات الباطلة ، فإنه لا يكثر بها لأنه يعلم أن الله كافيه كل الأخطار التي تحيط به ، وليعلم كل عبد أن الخوف فرضه الله على جميع عباده بدون استثناء .

قال تعالى ( فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ) ( ٣ ) .

( ١ ) تفسير ابن كثير ٦ / ٩٤ .

( ٢ ) التفسير الكبير ٢٦ / ٢٨١ .

( ٣ ) سورة آل عمران آية : ٧٥ .

قال ابن القيم حول هذه الآية : " ومن كيد عدو الله أنه يخوف المؤمنين جنوده وأولياءه لئلا يجاهدوهم ، ولا يأمرهم بمصروف ، ولا ينههم عن منكر ، وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان ، وتخويفه ونهانا أن نخافهم ، والمعنى عند جميع المفسرين يخوفهم بأولياؤه ، قال قتادة : يظههم في صدوركم ، ولهذا قال : ( فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ) فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان ، وكلما ضعف إيمان العبد قوي خوفه منهم " أ . هـ ( ١ ) .  
فالآية دلت على أن إخلاص الخوف من الفرائض ، وأنه شرط في إيمان الإنسان وأن العبد إذا فقد الخوف من الله - تعالى - فقد الإيمان الواجب نسأل الله السلامة من ذلك .

وقال تعالى ( وإياي فارهبون ) ( ٢ ) .

وهذه الآية فيها الأمر بإخلاص الخوف لله - تعالى - وكما أنه تعالى جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة حيث قال تعالى ( إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ) ( ٣ ) جعل كذلك الخوف لأهل الأعمال الصالحة إشارة منه - تعالى - أن الرجاء والخوف النافع هو ما اقترن به العمل الصالح .

قال تعالى : ( إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون . والذين هم بأيات ربهم يؤمنون ، والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون . أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ) ( ٤ ) .  
فهذه الآيات ثناء من الله - تعالى - على الخائفين منه ، ومدح لهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

( ١ ) اغاثة اللهفان ١ / ١١٠ .

( ٢ ) سورة البقرة آية : ٤٠ .

( ٣ ) سورة البقرة آية : ٢١٨ .

( ٤ ) سورة المؤمنون آية : ٥٧ - ٦١ .

روى الإمام أحمد في سنده وابن ماجه في سننه عن عائشة رضی الله عنها  
 قالت قلت : يا رسول الله قول الله تعالى ( والذين يؤمنون ما أتوا وقلوبهم وجلة )  
 أهو الذي يزنى ويشرب الخمر ويسرق قال : لا يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم  
 ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه " ( ١ ) .

قاله - سبحانه - قد وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف ووصف البصرى  
 الأشقياء بالاسافة مع الامس فقال :  
 رحمه الله تعالى : " عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم  
 إن المؤمن جمع إحسانا وخشية ، وإن المنافق جمع إسافة وأما " ( ٢ ) .

وقد بين العلامة ابن القيم الفرق بين الوجل ، والخوف ، والخشية ، والرهبه فقال :  
 " الوجل ، والخوف ، والخشية ، والرهبه أفاظ متقاربة غير مترادفة " .

فالوجل : رجفان القلب وانصداه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته أو لرهبته .  
 والخوف : اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف .

والخشية : أخص من الخوف ، فإن الخشية للعطاء بالله قال الله تعالى ( إنمما  
 يخشى الله من عباده العطاء ) ( ٣ ) فهي خوف مقرون بمعرفة ، وقد قال صلى الله  
 عليه وسلم " أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له . . . . . الحديث " ( ٤ ) .

وأما الرهبه : فهي الإمعان في الهرب من المكروه وهي ضد " الرغبه " التي هي : سفر  
 القلب في طلب المرغوب فيه . . . . . إلى أن قال رحمه الله وأما الهيبة : فخوف مقارن  
 للتعظيم والإجلال ، وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة والإجلال تعظيم مقرون بالحب .  
 فالخوف لعامة المؤمنين ، والخشية للعطاء العارفين ، والهبية للمحبين والإجلال  
 للمقربين ، وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية " أ . هـ ( ٥ )

- 
- ( ١ ) المسند ٢٠٥ / ٦ ، سنن ابن ماجه ٢ / ١٤٠٤ .  
 ( ٢ ) انظر تفسير ابن جرير ١٨ / ٣٢ ، وانظر مدارج السالكين ١ / ٥١٢ .  
 ( ٣ ) سورة فاطر آية : ٢٨ .  
 ( ٤ ) رواه البخارى في صحيحه من حديث أنس رضی الله عنه ٣ / ٢٣٧ .  
 ( ٥ ) مدارج السالكين ١ / ٥١٢ - ٥١٣ .

ولقد مدح الله رسله بأنهم لا يخشون أحدا سواه . قال تعالى ( الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ) ( ١ ) .  
وقال تعالى ( أفغير الله تتقون ) ( ٢ ) " أي : أفغير الله أيها الناس تتقون : أي ترهبون وتحذرون أن يسلبكم نعمة الله عليكم بإخلاصكم العبادة لربكم ، وإفرادكم الطاعة له ، وما لكم نافع سواه " ( ٣ ) .

وقال تعالى : ( في شأن الطلائكة المقربين واصفا لهم بتحقيق عبودية الخوف :  
( يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ) ( ٤ ) .

فالخوف عبادة جليلة تعبد الله به جميع عباده من الطلائكة المقربين والأنبياء والمرسلين وسائر عباده المؤمنين .

وقد بين بعض العُلما أن الخوف أربعة أنواع :-

أحدها : خوف السر وهو أن يخاف الإنسان من غير الله - تعالى - يئس به بأي أذى من مرض ، أو فقر ، أو قتل ونحو ذلك ويعتقد أن ما أصابه بذلك إلا بقدرته ومشيته ، وسواه زعم أن ذلك من باب الكرامة للمخوف بالشفاعة ، أو على سبيل الاستقلال فهذا النوع لا يجوز أن يعلق بغير الله - تعالى - بخال من الأحوال لأن هذا من لوازم الإلهية ، فمن جعل مع الله ندا يخاف منه هذا الخوف فقد أشرك بالله العظيم إذ هذا معتقد المشركين في أصنامهم وآلهتهم ولذلك فإنهم كانوا يخوفون بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى في شأن إمام الحنفية إبراهيم عليه السلام عند ما خوفه قومه بالهتهم أن تصيبه بسوء ( ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما فلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم لظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ) ( ٥ ) .

( ٢ ) سورة النحل آية : ٥٢ .

( ١ ) سورة الأحزاب آية : ٩ .

( ٣ ) جامع البيان : ١٢٠ / ١٧ .

( ٥ ) سورة الأنعام آية : ٨٠ - ٨٣ .

( ٤ ) سورة النحل آية : ٥٠ .

هذه الآيات تبين لنا موقف إبراهيم عليه السلام تجاه تخويف قومه له بالهتهم المزعومة فقد خوفوه أنها تصيبه بأذى فبين لهم أن آلهتهم أقل وأحق من أن تضر من جحد عبادتها وكفر بها ( ولا أخاف ما تشركون به ) ثم رد الأمر إلى مشيئة الباري سبحانه وتعالى - لأنه هو الذي يخاف ويرجى فقال ( إلا أن يشاء ربي شيئا ) وهذا الإستثناء يسمى عند النحاة إستثناء منقطع ومعنى ذلك لا أخاف من تلك الآلهة التي تخوفوني بها فإنها لا مشيئة لها ولا قدرة لكن إذا شاء الله أن ينالني بشيء لا راد لذلك لأن الله - تعالى - له المشيئة النافذة وقد وسع كل شيء علما أما آلهتكم لا تشاء ، ولا تعلم فيما ترى من الأولى أن يخاف ويصعد أهو - سبحانه - أم آلهتكم التي زعمتموها آلهة من عند أنفسكم ؟ ( أفلا تتذكرون ) فتدركون ما أنتم عليه من الإشراف لمن لا مشيئة له ولا علم مع من له المشيئة المطلقة والعلم التام وهو الله - تعالى - ثم استرسل الخليل عليه السلام في دحض دعواهم من أن آلهتهم ستصيبه بسوء وجعل دعواهم من أعظم الأدلة على فساد قولهم وبطلان مذهبهم وبين لهم بطلان إلهيتها وأن عبادتهم لها ستكون مضررة عليهم فقال :

( وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا )

أي : كيف يتسرب الخوف إلى قلبي من أوثانكم ، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله في عبادته آلهة أخرى فأى الفريقين أحق بالأمن وأولى بأن لا يلحقه الخوف أهو فريق الموحدين أم فريق المشركين ؟ .

فلقد صدر الحكم بين الفريقين من عند أحكم الحاكمين وأعدل العادلين الذي لا أصح من حكمه فقال - عز شأنه - ( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ) أي : بشرك ( ١ ) ( أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ) فكان الحكم من قبل الله - تعالى - أن الهدى والأمن لأهل التوحيد ، وحكم لفريق الشرك بالضلال والخوف بمكس

( ١ ) روى الشيخان في صحيحيهما من حديث ابن مسعود قال : لما نزلت قوله تعالى ( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ) قالوا : يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه فقال : إنط هو الشرك ألم تسمعوا قول العبد الصالح ( إن الشرك لظلم عظيم ) صحيح البخارى ١٢٨/٣ ، صحيح مسلم ١١٤/١ ، المسند

ما حكم به لأهل التوحيد ، وبذلك علت حجة أبينا إبراهيم على قومه كما قال تعالى  
( وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم ) (١)

وقال تعالى في قصة هود عليه السلام عندما خوفه قومه بالآلهة ( إن نقول إلا اعتراك  
بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله وأشهدوا أني بريء ما تشركون . من دونه  
فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ) (٢) .

هاتان الآيتان بين الله فيهما موقف هود عليه السلام من مقالة قومه له حينما نصح  
لهم في الدعوة إلى توحيد الله وتصديقه وخلع الأوثان والتبرء منها ، ولما أيقنوا  
أن هودا لا يتركهم من الدعوة إلى الله وإلى عبادته وحده لا شريك له حينئذ  
كان قولهم ما يحملك على ذم آلهتنا إلا أنه أصابك منها خبل وجنون فكان جواب  
هود عليه السلام لهم جواب من وثق بربه واعتمد عليه وأصبح لا يكثرث بأي تخويف  
كان من غير الله تعالى فقال لهم : إني أشهد الله على نفسي ، وأشهدكم أيضا :  
أيها القوم أني بريء من هذه الآلهة التي أشركتموها مع الله في العبادة من دونه  
( فكيدوني جميعا ) يقول : إعلموا كل حيلة أنتم وآلهتكم في ضري ومكروهي ( ثم لا  
تنظرون ) أي : لا تخفون ذلك ، ثم انظروا ما عسى أن تنالوني من سوء أنتم  
وآلهتكم ، فإبراهيم وهود عليهما السلام بينا أن خوف السر لا يكون إلا من الله  
وهو الذي بعث الله النبيين من أجله ، وهذا النوع من الخوف هو ما وقع فيهم  
القبوريين في زمننا هذا ، فإنهم يخافون الصالحين وطواغيتهم كما يخافون الله  
بل أشد ، بل إنه وصل الحد بهم إذا وجبت اليمين على أحدهم ، فإنه يحلف  
بالله إيماناً لا حد لها سواء كان كاذباً ، أو صادقاً الأمر عنده سبب ، وإذا طلب  
منه اليمين بصاحب القبر لم يحلف إن كان كاذباً وما ذلك إلا لأنه يعتقد أن الضرر  
الذي يلحقه من صاحب القبر أسرع وأقرب فالتعظيم في قلبه لذلك الولي أقوى من  
تعظيمه لله بكثير ، وهذه الحال لم يصل إليها المشركون الأولون ، بل غاية الأمر  
عندهم أنهم كانوا يحلفون بالله جهد أيمانهم .



النوع الثاني : من أنواع الخوف أن يترك العبد ما يجب عليه من الأوامر والمعروف والنهي عن المنكر والجهاد لأعداء الله وليس هناك أي عذر سوى أنه يخاف غير الله من بني الإنسان ولقد نهى الله عن هذا بقوله - عز وجل - ( إنط ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ) ( ١ ) .

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقرن أحدكم نفسه إذا رأى أمر الله فيه مقال أن يقول فيه فيقال له يوم القيامة ما منعك أن تقول فيه فيقول يا رب خشيت الناس قال : فأنا أحق أن تخشى " ( ٢ ) .

فالحديث يبين أن أحق من يخشى إنط هو الله - تعالى - .

النوع الثالث : خوف الوعيد الذي توعد الله به العاصين قال تعالى : ( ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ) ( ٣ ) وقال تعالى ( يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيراً ) ( ٤ ) وقال تعالى ( قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين ) ( ٥ ) وهذا النوع يعتبر من أطلا مراتب الإبطان فالخوف الحقيقي هو الذي يكون حائلا بين المرء وبين حرمان الله تعالى .

النوع الرابع : الخوف الطبيعي كخوف العدو والحيوان المفترس وخشية الإصابة بالحرق ، أو الغرق فهذا الخوف طبيعي في الإنسان وهذا النوع لا يذم عليه العبد ( ٦ ) وهو المراد بقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام ( فخرج منها خائفا يترقب ) ( ٧ ) فإذا اتضح هذا للإنسان فإن قوله تعالى ( إنط لكم الشيطان يخوف أولياءه ) إنط معناه : أنه يوهم أولياءه الله أن الموالين له أهل بأس وشدة وهو غير

( ١ ) سورة آل عمران آية : ١٧٥

( ٢ ) المسند ٣ / ٤٧ - ٤٨ .

( ٣ ) سورة إبراهيم آية : ١٤

( ٤ ) سورة الطور آية : ٢٦ .

( ٥ ) أنظر هذه الأنواع الأربعة في " تيسير العزيز الحميد " ص ٤٢٢ - ٤٢٨ بتصرف

( ٧ ) سورة القصص آية : ٢١ .

صادق في ذلك ، ولذلك فإن الله تعالى أرشد عباده بقوله ( فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ) فلا يجوز الإفشاء لإيهام الشيطان وتسويله ، بل الواجب على المؤمنين أن يعلموا أن الله كافئهم وناصرهم على أولياء الشيطان وأمرهم بقتالهم وبين أن كيد الشيطان ضعيف .

قال تعالى ( فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا ) ( ١ ) . فكلط قوى إيمان العبد ذهب من قلبه خوف أولياء الشيطان وإذا ضعف إيمانه فإن خوف أولياء الشيطان يقوى في قلبه فيجب على العبد أن لا يخاف إلا الله وحده وأن يخلص ذلك لوجهه - تعالى - دون سواه ، بل جعل الله ذلك شرطا من شروط الإيمان كما قال تعالى ( فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ) ( ٢ ) . قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى :

" وبعض الناس يقول : يا رب إني أخافك وأخاف من لا يخافك ، وهذا كلام ساقط لا يجوز ، بل على العبد أن يخاف الله وحده ، ولا يخاف أحدا لا من يخاف الله ولا من لا يخاف الله ، فإن من لا يخاف الله أحسن وأذل أن يخاف ، فإنه ظالم وهو من أولياء الشيطان فالخوف منه قد نهى الله عنه " أ . هـ ( ٣ ) . وقال تعالى ( إنط يحمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ) ( ٤ ) دلت هذه الآية على أن خشية الله وحده دين أحد من خلقه من علامة صحة إيمان العبد بربه - تبارك وتعالى - . قال ابن جرير رحمه الله تعالى : " ولم يخش إلا الله ) يقول : ولم يرهب عقوبة شيء على معصية سوى الله " أ . هـ ( ٥ )

وكما دل القرآن على أن الخوف عبادة يجب إخلاصها لله - تعالى - كذلك دلت

( ٢ ) سورة آل عمران آية : ١٧٥ .

( ١ ) سورة النساء آية : ٧٦ .

( ٣ ) مجمع الفتاوى ١٤ / ٢٠٦ .

( ٤ ) سورة التوبة آية : ١٨ .

( ٥ ) جامع البيان ١٠ / ٩٤ .

السنة على أن الخوف لا يكون إلا من الله ، ولا يصرف لأحد سواك فلا خوف ولا خشية إلا منه - جل وعلا - .

روى البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه بسناده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أضغعه فولله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية " ( ١ ) .

هذا الحديث بَيِّنٌ ما يجب أن يكون عليه العبد المسلم وهو أن يكون على معرفة بالله أولاً وقبل كل شيء ، فاذا عرف الله ، واستقرت معرفته في قلبه هنا ك يكون من أشد عباد الله خشية منه ومحبة له وإناية إليه - سبحانه وتعالى - .

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقى " ( ٢ ) .

وكذلك كان صلى الله عليه وسلم أخشى عباد الله على الإطلاق وأعلمهم بما يتقى من الأمور ، وقد أكره الله بذلك ، وهذا الإخبار منه صلى الله عليه وسلم تعليمًا للأمة أن تقتدي به عليه الصلوات والسلام ، فالخوف من الله - تعالى - له فضل عظيم عند الله تعالى يورث العبد رحمة الله وعفوه .

روى البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجلا فيمن سلف ، أو فيمن كان قبلكم قال كلمة يعني أعطاه الله مالا وولدا فلط حضرت الوفاة قال لبنيه : أي أن كنت لكم ؟ قالوا خيرا أب قال : فإنه لم يبتئر ، أو لم يبتئز ( ٣ ) عند الله خيرا وإن يقدر الله عليه يعذبه فانظروا إذا مت فأحرقوني حتى إذ صرت فحط فاسحقوني ، أو قال فاسحكوني ، فإذا كان يوم ربح عاصف فأذروني فافعل نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخذ موثيقهم على ذلك

( ١ ) ٠٦٦/٤

( ٢ ) ٠٧٨١/٢

( ٣ ) أي : لم يدخر .

وربي ففعلوا ثم أدّروه في يوم عاصف فقال الله - عز وجل - كن فذا هو رجل قائم  
قال الله أي عبي ط حملك على أن فعلت ط فعلت ؟ قال مخافتك أو فرق<sup>عنه</sup> (١) .  
منك قال فط تلافاه أن رحمه عندها وقال مرة فط تلافاه غيرها" ( ٢ ) .

فهذا الحديث دل على أن العبد إذا أخلص العبادة لله ولم يبتغ بها أحدا سواه  
وأخلص الخوف لله - جل و علا - أوره ذلك مغفرة الله - تعالى - ورحمته ، فعلى  
الإنسان أن لا يخاف إلا ربه العلي الكبير ، أ ط ط سواء فلا يخاف منه لأنه لا يستطيع  
أن يضره إلا بإذن الله - تعالى - ولا يقدر على نفعه إلا بما كتب الله له فالفضل  
كله طائد إلى الله - تعالى - بداية ونهاية .

وروى الشيخان في صحيحيهما من حديث عائشة رضی الله عنها في قصة خسوف  
الشمس على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث صلى بهم صلاة الكسوف ركعتين  
في كل ركعة ركوعان ثم انصرف إلى الناس وقد انجلت الشمس ووعظهم موعظة بين  
لهم أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يتخسفان لموت أحد ولا لحياته  
وأرشدهم أنهم إذا رأوا ذلك دعوا الله تعالى وكبروه وصلوا وتصدقوا .

" ثم قال : يا أمة محمد لو تعلمون ط أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا" ( ٣ ) .

فقد بين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن أمته لو تعلم ط يعلم من عظيم قدرة  
الله وشدة انتقامه من العصاة الفاسقين لتركوا الضحك ، ولط حصل منهم إلا في  
النادر لشدة غلبة الخوف والحزن الذي يعلو قلوبهم .

قال صاحب تحفة الأحوذى ( ٤ ) : " لو تعلمون ط أعلم " أي : من عقاب الله للعصاة

وشدة المناقشة يوم الحساب لضحكتم جواب لو" ولبكيتم كثيرا" أي : بكاء كثيرا ، أو

زمانا كثيرا أي : من خشية الله ترجيحها للخوف على الرجاء ، وخوفاً من سوء الخاتمة

أ. هـ ( ٥ ) .

( ١ ) الفرق : الخوف .

( ٢ ) صحيح البخارى ٤ / ٢٩٨ .

( ٣ ) " " " ١ / ١٨٥ ، صحيح مسلم ٢ / ٦١٨ .

( ٤ ) اسسه محمد بن عبد الرحمن المباركفوري المتوفى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة

( ٥ ) ٦٠٣ / ٦ .

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من خاف أدلج ( ١ ) ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة " ( ٢ ) .

هذا الحديث من الأمثلة النبوية التي ضربها الرسول صلى الله عليه وسلم لمن يسلك طريق الآخرة إذ الشيطان واقف على طريقه والنفس تمنيه الأثني الكاذبة فإن كان متنبها في سيره وأخلص النية في العمل أمه الله من الشيطان ومكـره فطريق الآخرة يحتاج إلى جهد كبير لتحقيق العمل الصالح لأن الجنة ثمنها الأعمال الصالحة قال تعالى ( إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وهذا حق في التوراة والانجيل والقرآن ) ( ٣ ) .

وروى الترمذي أيضا : من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال أبو بكر يا رسول الله قد شئت قال : " شئيتني هود والواقعة والمرسلات وهم يتساءلون وإذا الشمس كورت قال الترمذي هذا حديث حسن غريب " ( ٤ ) .

فهذا الحديث تضمن شدة خوف النبي صلى الله عليه وسلم من الله - تعالى - فلما تضمنت السور المذكورة في الحديث كثيرا من أهوال يوم المعاد ، وط نزل بالأمم التي خلقت من قبل أمة محمد من النوازل أخذت تلك السور من النبي صلى الله عليه وسلم مأخذا حتى ظهر فيه الشيب قبل وقته الذي فيه فينبغي لكل مسلم أن لا يخاف إلا الله تعالى الذي بيده أزمة الأمور جميعها ، ويسعى في تحقيق عبودية الخوف وجعلها خالصة لله - تعالى - امتثالا لأمر الباري - سبحانه -

واقْتداءً بأبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولقد حقق الصحابة عبودية الخوف على أكمل وجه رأتهم فهذا هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع قارئاً

- 
- ( ١ ) الدلجة : السير أول الليل .
  - ( ٢ ) سنن الترمذي ٤ / ٥١ .
  - ( ٣ ) سورة التوبة آية : ١١١ .
  - ( ٤ ) سنن الترمذي ٥ / ٧٦ .

يقرأ سورة الطور حتى بلغ ( إن عذاب ربك لواقع ) ( ١ ) بكى واشتد بكاءه حتى مرض وطأه ( ٢ ) .

وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه كان إذا وقف على قبر يبكي حتى يهبل لحبسته فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فطبعه أيسر منه ، وإن لم ينج منه فطبعه أشد منه \* ( ٣ ) .

والتأثر عن الصحابة من هذا كثير يطول تتبعه وقد ذكر العلامة ابن القيم نماذج عنهم رضي الله عنهم في تحقيقهم عبودية الخوف في كتابه "الجواب الكافي" ( ٤ ) والذي نخلص إليه ما تقدم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن الخوف عبادة لله - تعالى - فرضه الله تعالى على جميع عباده ، فلا يخاف المخلوق من المخلوق خوف السر لأن ذلك لله - وحده لا شريك له - لأنه تعالى هو الذي يملك النفع والضربين سواء وما دام الأمر كذلك فهو وحده المتعبد بذلك .

---

( ١ ) الطور آية : ٧ .

( ٢ ) تفسير ابن كثير ٦ / ٤٣٠ .

( ٣ ) سنن الترمذي ٣ / ٣٧٩ .

( ٤ ) أنظر ص ٤٣ . وطبعها .

## ( المبحث السادس )

عبودية الرجاء

قبل أن نذكر ما يدل على عبودية الرجاء من السورة نذكر تعريفه أولاً في اللغة والإصطلاح ليفهم معنى الرجاء الذي تعبد الله به عباده والذي لا يجوز صرفه لغير الله تعالى .

فأما تعريفه في اللغة :

فقد جاء في الصحاح : الرجاء من الأمل ممدود يقال : رجوت فلاناً رجواً ورجاءاً . . . . . وقد يكون الرجو والرجاء بمعنى الخوف قال الله تعالى ( ما لكم لا ترجون لله وقاراً ) ( ١ ) أي تخافون عظمة الله ( ٢ ) . وجاء في القاموس : الرجاء ضد اليأس " أ . هـ ( ٣ ) . وجاء في النهاية لابن الأثير : الرجاء بمعنى التوقع والأمل " ( ٤ ) . وقال في المصباح المنير : " الرجاء بالمد ورجيته أرجيه من باب رمى لفة ويستعمل بمعنى الخوف لأن الراجي يخاف أنه لا يدرك ما يترجاه " ( ٥ ) .  
وأما تعريفه في الاصطلاح :

فقد قال العلامة ابن القيم : " الرجاء حادٍ يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الآخرة ويطيب لها السير .

وقيل هو الاستبشار بجود وفضل الرب - تبارك وتعالى - والارتياح لمطالمة كرمه - سبحانه .

وقيل : ج هو الثقة بجود الرب - تعالى - ( ٦ ) .

- 
- ( ١ ) سورة نوح آية : ١٣ .  
( ٢ ) الصحاح ٢٣٥٢ / ٦ .  
( ٣ ) ٣٣٤ / ٤ .  
( ٤ ) ٢٠٧ / ٢ .  
( ٥ ) ٢٢١ / ١ .  
( ٦ ) مدارج السالكين ٣٥ / ٢ .

وقال الجرجاني : الرجاء في اللغة : الأمل وفي الإصطلاح تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل " أ. هـ ( ١ ) .

والذي نستفيدة من تصريف الرجاء في اللغة والإصطلاح أن الرجاء هو الأمل في الخير وترقب حصوله وانتظاره ممن يملكه ويقدر على تحقيقه لمن أمّله فيه ورجاه منه ، ولا يكون ذلك إلا من الله - جل وعلا - فعلى العبد أن يجعل قلبه معلقا بالله خوفا ورجاء<sup>١</sup> فلا يرجو إلا الله - تعالى - وحده لا شريك له ، ولا يجوز للإنسان أن يرجو سواه فيط لا يقدر عليه إلا هو - سبحانه وتعالى - كما يفعله الذين ينادون الأموات ، أو غيرهم رجاء حصول مطالبهم من جهتهم لأن هذا شرك أكبر إذ الرجاء نوع من أنواع العبادات التي لا يستحقها إلا الله - جل وعلا - فلا رجاء إلا في الله - تعالى - وقد دلت سورة " الزمر " على أن

الرجاء عبادة ، وأنه حق من حقوق الله - تعالى - على خلقه في آية واحدة منها قال تعالى : ( أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انط يتذكروا ولو )  
( الألباب )

هذه الآية من السورة فيها مقابلة بين العامل بطاعة الله وفيه وبين العالم والجاهل ، وهذه الأمور متقرر في العقول تباينها وتفاوتها ، فليس المعرض عن طاعة الله والذي يتبع هواه كمن هو مطيع بأفضل العبادات ، وهي الصلاة في أفضل الأوقات وهي الليل فوصفه بكثرة العمل وأفضله ، ثم وصفه بالخوف والرجاء وذكر - تعالى - أن متعلق الخوف عذاب الآخرة على من سلف من الذنوب ، وأن متعلق الرجاء رحمة الله ، فوصفه بالعمل الظاهر والباطن ، فعلى العبد أن يكون في عبادته خائفا من عقاب الله راجيا لرحمته بولا بد من الجمع بين الخوف والرجاء في العبادة ، وفي الآية رد على من ذم العبادة خوفا من النار أو رجاء الجنة .



روى ابن طاعة من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ما تقول فى الصلاة ؟ قال : أتشهد ثم أسأل الجنة وأعوذ به من النار ، أ ط والله ما أحسن دندنتك ، ولا دلدنة معاذ فقال : "حولها دندن " ( ١ ) .

فبين لنا صلى الله عليه وسلم أن نعبد الله - تعالى - خوفاً من عقابه وطمعا فى رحمته ، وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : " من أحب أن يهن الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله فى ظلمة الليل ساجداً وقائط يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه " ( ٢ ) .

ثم إن القانت فى الآية ذكر القرطبي فى معناه أربعة أقوال :

وقيل : إن القانت هو المطيع .

وقيل هو الخاشع فى صلاته .

وقيل : هو القائم فى صلاته .

وقيل : هو الداعي لربه ، وكلها تدخل تحت القول الأول لأنه أعم وأجمع ( ٣ ) والقنوت ينقسم إلى خاص ، وهام ، والسجود كذلك .

والآية التى معنا فى هذا المبحث وهى قوله تعالى ( أم هو قانت آتاء الليل ساجداً أو قائط . . . . . ) الآية المراد بالقنوت فيها القنوت الخاص ، ومثل

هذه الآية قوله تعالى فى حق مريم ( وكانت من القانتين ) ( ٤ )

وأما القنوت العام : فلكونه تعالى ( وله من السموات والأرض كل له قانتون ) ( ٥ ) أي : خاضعون أذلاء .

وأما السجود الخاص فلكونه تعالى ( إن الذين عبدوا ربك لا يستكبرون عن عبادته

ويسبحونه وله يسجدون ) ( ٦ ) .

( ١ ) سنن ابن طاعة ١ / ٢٩٥ .

( ٢ ) تفسير القرطبي ١٥ / ٢٣٩ .

( ٣ ) الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٢٣٩ .

( ٤ ) سورة التحريم آية : ١٢ .

( ٥ ) سورة الروم آية : ٢٦ .

( ٦ ) سورة الأعراف آية : ٢٠٦ .

وأما السجود العام فكسوله تعالى ( ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا  
 وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ) ( ١ )  
 فهذا السجود هنا سجود عام لكل مخلوق طوعا وكرها وهو أعم من السجود الذي  
 ذكره الله فى قوله تعالى ( ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن نفسى  
 الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ) ( ٢ ) ،  
 فهذه الآية خص فيها بالسجود كثيرا من الناس وهمهم بالسجود فى قوله ( لله  
 يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة وللائكة ) ( ٣ ) .  
 وهذا السجود هو سجود الذل والقهر والخضوع فكل أحد خاضع لربوبيته - تعالى -  
 ذليل لعزته مقهور تحت سلطانه - تعالى - ( ٤ ) .  
 وأما قوله تعالى فى تطام الآفة ( هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون  
 إنط يتذكروا أولوا الألباب ) .  
 بين الله فى هذا الجزء من الآفة أنه لا يستوى عنده من وحده وأخلص له العبودية  
 ومن جعل لله الأنداد وأشرك بالله غيره ولم يخلص له العبادة .  
 قال ابن كثير: أي : هل يستوى هذا والذي قبله ممن جعل لله أندادا ليضل  
 من سبيله . ( إنط يتذكروا أولوا الألباب ) أي : إنط يعلم الفرق بين هذا وهذا  
 من له لب وهو العقل " أ . هـ ( ٥ ) . فأولوا الألباب أهل العقول السليمة هم  
 الذين يدركون الفرق بين مكانة الموحد الطائع لربه أثناء الليل ، وأثناء النهار  
 ومكانة المشرك بالله العاصي لخالقه ، فالعابد لله الذي أفرد الله بجميع أنواع  
 العبادات كريم عند الله - تعالى - ، وأما من جعل له الأشباه والنظائر فهو  
 مهين عنده - سبحانه - قال تعالى ( ومن يهين الله فط له من مكرم ) ( ٦ ) .

( ٢ ) سورة الحج آفة : ١٨ .

( ٤ )

( ٤ ) مدارج السالكين ١ / ١٠٦ - ١٠٧ .

( ٥ ) تفسير ابن كثير ٦ / ٨٧ - ٨٣ .

( ٦ ) سورة الحج آفة : ١٨ .

( ١ ) سورة الرعد : آفة ١٥ .

( ٣ ) سورة النحل آفة : ٤٩ .

وبعد هذا الإستطراد اليسير الذي لا يخلو من الفائدة نرجع إلى عبودية الرجاء فنقول : إن ما ينبغي لكل إنسان أن تكون حياته بين الخوف والرجاء يخاف عقاب الله ويرجو رحمته روى ابن جرير بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ( يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ) قال نجد عقاب الآخرة ويرجو أن يرحمه الله فيدخله الجنة " ( ١ ) .

واختلف العلماء في أيهما يكون الغالب على العبد ؟

فقل : إن العبد إذا كان صحيحا يستحب أن يغلب عليه جانب الخوف ، وإذا كان في حالة المرض يغلب جانب الرجاء .

وقال قوم : يستحب الإقتصار على الرجاء عند الإشراف على الموت لما يتضمنه الرجاء من الإفتقار إلى الله تعالى ولأن المحذور من ترك الخوف قد تعذر فيتمتعين حسن الظن بالله برجاؤه عفو ومغفرته واستدلوا بحديث " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله " ( ٢ ) .

وقالت طائفة ثالثة : لا يهمل جانب الخوف أصلا بحيث يجزم بأنه آمن . واستدلوا بحديث أنس عند الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال له كيف تجدك ؟ فقال : أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه ما يخاف " قال الترمذي هذا حديث غريب وقد روى بعضهم هذا الحديث عن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا ( ٣ ) قال الحافظ بعد أن أورد هذا الحديث : " ولعل البخاري أشار إليه في الترجمة ولط لم يوافق شرطه أورد ما يؤخذ منه وإن لم يكن مساويا له في التصريح بالمقصود " ( ٤ ) .

( ١ ) جامع البيان ٢٣ / ٢٠٢ .

( ٢ ) رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله ٤ / ٢٢٠٦ .

( ٣ ) سنن الترمذي ٢ / ٢٢٧ .

( ٤ ) فتح الباري ١١ / ٣٠١ ، تفسير ابن كثير ٦ / ٨٢ .

ولقد حث الله - تعالى - عباده في مواضع كثيرة في كتابه على أن يتعبدوه بالرجاء وحده لا شريك له قال تعالى ( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ) ( ١ ) .

ففي هذه الآية إشارة على أن التأسى بالرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً وحالاً مما يعين على تحقيق عبودية الرجاء وقال تعالى ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ) ( ٢ ) .

وهذه الآية توضح لنا أن العبد إذا كان يرجو لقاء الله صادقاً مخلعاً في ذلك فإن عاقبة ذلك ونتيجته يؤدي به إلى إصلاح عمله .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند قوله تعالى ( فمن كان يرجو لقاء ربه ) أي ثوابه وجزائه الصالح أ . هـ ( ٣ ) . وإضافة إلى قوله ابن كثير أقول إن الآية فيها إشارة قاطعة إلى أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل ورجاء العبد لقاء ربه الذي خلقه هو من أفضل ما يرجوه العبد المؤمن وبأمله قال العلامة ابن القيم : وهذا الرجاء هو محض الإيمان وزيدته وإليه شخصت، أبصار المشتاقين ولذلك سلاهم الله تعالى بإتيان أجل لقاءه وضرب لهم أجلاً يسكن نفوسهم ويطمئنهم أ . هـ ( ٤ ) . قال تعالى " إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم " ( ٥ ) وهذه الآية بينت أن من صفات المؤمنين أنهم يرجون رحمة الله بمعنى أنهم يطمعون في رحمة الله ويرجون أن يدخلهم الجنة برحمته إياهم وفضله عليهم .

قال قتادة رحمه الله تعالى : أثنى الله على أصحاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أحسن الثناء فقال " إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم " هؤلاء خيار هذه الأمة ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وأنه من رجاء طلب ومن خاف هرب . أ . هـ ( ٦ ) .

( ١ ) سورة الأحزاب آية : ٢١ . ( ٢ ) سورة الكهف آية : ١١٠ .

( ٣ ) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٤٣٢ .

( ٤ ) مدارج السالكين ٢ / ٥٤ .

( ٥ ) سورة البقرة آية : ٢١٨ .

( ٦ ) أنظر جامع البيان من تأويل آي القرآن ٢ / ٣٥٦ .

وقد أخبرنا العليم الخبير بأن خواص عباده الذين كان أهل الشرك يزعمون أنهم ما كانوا يعبدونهم إلا رجاء أن يقربوهم إلى الله زلفى أنهم كانوا من أشد الناس تحقيقاً لعبودية الرجاء وعبودية الخوف قال تعالى : " قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً " ( ١ ) .

قال العلا بن القيم رحمه الله تعالى يقول تعالى : هؤلاء الذين تدعونهم من دوني هم عبادي ، يتقربون إلي بطاعتي ويرجون رحمتي ويخافون عذابي فلماذا تدعونهم من دوني ؟ فأثنى عليهم بأفضل أحوالهم ومقاطعتهم من الحب والخوف والرجاء . أ . هـ . ( ٢ ) .

واختلف المفسرون في هؤلاء المدعومين :

ف قيل : إنهم نفر من الجن كان يعبدهم نفر من الإنس فأسلم نفر من الجن وتمسك الإنسيون بعبادتهم فأنزله الله الآية .

وقيل : إنهم صنف من الطائفة يقال لهم الجن كان قبائل من العرب يعبدونهم ويقولون لهم بنات الله .

وقيل : إن المراد هؤلاء المدعومين الطائفة والمسيح وعزير كان المشركون يعبدونهم ( ٣ ) قال شيخ الإسلام بعد ذكره الآية السابقة : قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون الطائفة والأنبياء كالعزير والمسيح فبين الله تعالى أن الطائفة والأنبياء عباد الله كما أن الذين يعبدونهم عباد الله وبين أنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون إليه كما يفعل سائر عباده الصالحين . أ . هـ . ( ٤ ) .

( ١ ) سورة الاسراء آية : ٥٦ ، ٥٧ .

( ٢ ) مدارج السالكين ٢ / ٤٢ .

( ٣ ) الدر المنثور للسيوطي ٥ / ٣٠٥ .

( ٤ ) مجموع الفتاوى ١ / ١٥٨ .

فالذي يتضح لنا من هذا أن المشركين كانوا في واد والذين يدعونهم فسى واد آخر حيث أن المدعوم كانوا مشتغلين بأنفسهم متجهين إلى ربهم يدعونه خوفاً من عذابه ورجاء رحمة .

والمشركون زين لهم الشيطان توجيه حق الله من الدعاء والرجاء وطلب الشفاعة لأولئك الصالحين بشبهة أنهم يقربونهم إلى الله زلفى ولم يشعروا لفرك جهلهم أنهم يزدادون بعدا عن الله بعملهم ذلك وهذا المزلق الذي كان سببا في شرك المشركين الأولين وقع فيه الكثير من جهلة المسلمين اليوم فإنهم يرجون من يسمونهم بالأولياء كما يرجوه الله ويدعونهم كما يدعون الله تعالى في الشدة والرخاء بل ويخافونهم كما يخافون الله تعالى وصرفوا لهم من التعظيم الذي لا يكون إلا لله الشيء الذي يجعل العاقل حيران فإنه وصل بهم الغلو في الصالحين إلى حد أنهم عبدوهم مع الله جل وعلا بدعوى أنهم يحبونهم ويقدرونهم ولقد انتشرت الأضرحة في أكثر البلدان الإسلامية والذي يصل إلى هذه البلدان يرى الجم الغفير من المسلمين عاكفين حول تلك القبور والأضرحة زاعمين أنهم يلمسون البركة من أصحابها وأحيانا يصل بهم هذا التبرك إلى أنهم يطوفون بها وبعض الجهلة يسجد على عتبة الضريح والمصيبة كل المصيبة أنه يوجد حول تلك الأضرحة بعض الأشخاص من شياطين الإنس الذين يزينون للوافدين ذلك العمل من الطواف والسجود والتبرك الذي لا يجوز صرفه لغير الله .

ويقولون للوافدين هذا ليس من الشرك في شيء وإنما هو من باب محبة الصالحين أو التوسل بهم .

وهذا الأمر الحاصل بين صفوف المسلمين له خطره العظيم في إيقاع العامة من عبادة الله في عبادة غير الله بحيث جعلوا الأولياء أندادا لله وشركاء له في صرف العبادة لهم باسم التبرك والمحبة وهذا بعينه يريد الشرك وإمادة الوثنية التي كانت شائعة في القوم الذين بعث الله فيهم رسلا وعليهم الصلاة والسلام لتطهير أنفسهم من عبادة غير الله وخلع الأوثان التي كانت تعبد من دون الله .

وقد يتبادر إلى ذهن بعض البسطاء من هذا أننا نكره الأولياء والصالحين ونوذ بهم ونستخق بهم ، حاشا وكلا ليس ذلك فينا بل إننا نحبهم في الله ونواليهم فيسه ونطلب منهم الدعاء في حال الحياة لا بعد الممات وحال الغياب ، وذلك ما يسمى بالتوسل بدعاء أهل الصلاح ويجب أن يفهم عنا أننا نفرق بين محبتهم في الله ومحبتهم مع الله ، فمحبتهم في الله من الأعمال الصالحة ومحبتهم مع الله هو الشرك الذي وقع فيه كفار قريش قال تعالى " ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداد يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ) ( ١ ) .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فمن أحب مخلوقا مثل ما يحب الله فهو مشرك ويجب الفرق بين الحب في الله والحب مع الله " أ . هـ ( ٢ ) . ولنعد إلى موضع الرجاء فنقول إن الواجب على العبد أن يكون رجاؤه في الله تعالى لا في غيره فيرجو لقاء الله بصدق وإخلاص قال تعالى " من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم " ( ٣ ) فهذه الآية فيها حث الإنسان على أن يكون راجيا في ثواب المصير إلى الله تعالى فالرجاء سبب من الأسباب التي ينال بها العبد ما عند الله من مغفرة ذنوبه وهدايته وتوفيقه وإطاعته على طاعته ودخوله الجنة ونجاته من النار فالرجاء هو قطب الرحى الذي يدور عليه صلاح العبادة .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " ولولا روح الرجا لمطلت عبودية القلب والجوار وهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، بل لولا روح الرجا لم تحركت الجوارح بالطاعة ، ولولا ريحه الطيبة لم جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات " أ . هـ ( ٤ ) .

- 
- ( ١ ) سورة البقرة آية : ١٦٥ .
  - ( ٢ ) مجموع الفتاوى ٤٩ / ١٥ .
  - ( ٣ ) سورة العنكبوت آية : ٥ .
  - ( ٤ ) مصداق السالكين ٤٢ / ٢ .

قال أهل التحقيق مقيد بالمختصر . أ . هـ . ( ١ ) .

وروى البخاري أيضا: في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله خلق الرحمة يوم خلقها طائفة رحمة فأمسك عنده تسعة وتحسين رحمة . وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يبأس من الجنة ولو يعلم الصلّم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار " ( ٢ ) .

فهذا الحديث دل على أن يستحب للعبد أن يجمع بين الخوف والرجاء ولا ينبغي له أن يغلب أحدهما على الآخر فإنه لو غلب جانب الرجاء ونهك في العصيان لربه فإن ذلك قد يؤدي به إلى أن يمكر الله به وإذا غلب عليه جانب الخوف ربط جره ذلك إلى اليأس والفرض من الرجاء أن الإنسان لو وقع في تقصير فعله أن يحسن الظن بالله تعالى ويرجو منه أن يمحو عنه الذنب وكذلك إذا وفقه الله للإتيان بالطاعة يرجو من الله أن يقبلها منه . أما أن يقع في معصية الله ويرجو عدم المؤاخظة بدون أن يندم على فعلها أو يقلع عنها فهذا مصاب بالفرور قال أبو عثمان الجيزي من علامة السعادة أن تطيع وتخاف أن لا تقبل ومن علامة الشقاء أن تعصى وترجو أن تنجو " ( ٣ ) .

ومن الأحاديث الدالة على عبودية الرجاء الحديث القدسي الذي رواه الترمذي في سننه من حديث أنس ابن مالك قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى : " يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني ففرت لك على ما كان منك ولا أبالي " ( ٤ ) .

( ١ ) الفتح ٣٨٥ / ١٣ .

( ٢ ) صحيح البخاري مع الفتح ٣٠١ / ١١ ، وأنظر صحيح مسلم ٤ / ٢١٠٩ .

( ٣ ) الفتح ٣٠١ / ١١ .

( ٤ ) ٢٠٩ / ٥ .



روى مسلم في صحيحه بإسناده إلى جابر بن عبد الله الأنصاري رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل " ( ١ ) .

ومما جاء في دعاء المكروب عند أبي داود من حديث عبد الرحمن بن أبي بكره عن أبيه قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوات المكروب اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت " ( ٢ ) . والذي نخلص إليه من الآيات والأحاديث المتقدمة أن الرجاء عبادة قلبية لا تكون إلا لله عز وجل ويحرم على الإنسان أن يرجو سوى الله تعالى أي كان فيط هو من خصائص الألوهية لأن ذلك من حق الله على خلقه فعلى العبد أن يرجو ربه طمعا في رحمته وخوفا من عقابه .

ولا يلتفت إلى قول بعض الصوفية كالهروري بأن الرجاء وقع في الرعونة ( ٣ ) فهذا يعتبر من شطحات القوم لأنه لا رعونه فيمن يتجه إلى الله يرجوه ويطمع في بسره وإحسانه وفضله ويسأل ذلك من ربه بقلبه ولسانه فإن الرجاء استشراق القلب لنيل ما يرجوه فإذا كان حال العبد على هذا فلا رعونة ههنا وإنما الرعونة فسى خلاف ذلك .

قال العلامة ابن القيم وهل الرعونة كل الرعونة إلا دعواه : لأنه يحب ربه لعذابه لا لثوابه ، وأنه إذا أحبه وأطاعه للثواب كان ذلك حقا وإيثارا لمراد النفس بخلاف ما إذا أحبه وأطاعه ليعذبه . فإنه لاحظ للنفس ، في ذلك فوالله ليس في أنواع الرعونة والحطاقة أفتح من هذا ولا أسمع ، وطذا يلعب الشيطان بالنفوس ؟ وإن نفسا وصل بها تلبس الشيطان إلى هذه الحالة لمحتاجة إلى

سؤال المعافاة ٣ . هـ ( ٤ )

( ١ ) ٢٢٠٩ / ٤

( ٢ ) السنن ٦١٨ / ٢

( ٣ ) أنظر منازل السائرين مع شرحه مدارج السالكين ٣٧ / ٢

( ٤ ) مدارج السالكين ٤٧ - ٤٨ / ٢

والناظر إلى حال المتصوفة الذين قلب عليهم الهوى يجد الفرق الشاسع بين طريقتهم وطريق الأنبياء والرسل ويجد أنهم مخالفون لمنهج خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام فالرسول صلى الله عليه وسلم كان من دعائه : اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لأحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك " ( ١ ) .

وقد سأل أبو بكر الصديق رضى الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمه دعاءً يمدعوه به في الصلاة فقال " قل : اللهم انى ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت . فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك أنت الغفور الرحيم " ( ٢ )  
وقد سألت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمها دعاءً تدعوه به ان هي وافقت ليلة القدر فقال لها قولى " اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى " قال أبو عيسى الترمذى هذا حديث حسن صحيح ( ٣ ) .

وقد أخبرنا سبحانه وتعالى بأن أولي الألباب الذين هم أوليائه وخاصة سأله أن يقيمهم عذاب النار فقال تعالى ( ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقمنا عذاب النار " ( ٤ )

فأين هذا من حال من يقول إنه لا يحب الله من أجل ثوابه لأنه يبي حظه وإنما يحبه لعقابه . لأنه لاحظ له فيه ويرغم أن الرجاء عين حظه فهذا يدل على فساد العقل وتباع الهوى .

وهؤلاء الصوفية قد يخطر على بال أحدهم أن الله لو عذبه لرضي بذلك العذاب كما يرضى صاحب الثواب بثوابه . ويمزم على ذلك بسقوله ولكن هذا من أطنبي الـ الشيطان الخادعة إذ عند حصول الحقيقة لا يكون لتلك الأمنية أثر ألبتة ولو امتحن الله أحدهم بأدنى محنة لصاح واستغاث وجأ إلى الله أن يعافيه من ذلك

- ( ١ ) الحديث رواه مسلم فى صحيحه من حديث عائشة ١ / ٣٥٢ .
- ( ٢ ) صحيح البخارى مع لفتح ٢ / ٣١٧ ، صحيح مسلم ٤ / ٢٠٧٨ .
- ( ٣ ) سنن الترمذى ٥ / ١٩٥ .
- ( ٤ ) سورة آل عمران آية : ١٩١ .

وقد ذكر ابن القيم أن رجلا يقال له سمنون كان يقول :

وليس لي من هোক بهـــــــد فكيف شئت فامتحنيني

فامتحنه الله بعسر البول فضاغت هذه الدعوى عنه واضمحلته وجعل يطوف على الصبيان في المكاتب ويقول أدعوا لعنكم الكذاب فالعزم على الرضى لئن وحقيقته لئن آخر ( ١ ) .

فعلى العبد المسلم أن يلج على ربه ويرجوه ويستسلم لله في ذلك ويحذر من تلاعب الشيطان به فيؤدي به ذلك إلى ترك الرجاء وإذا وقع في ذلك لم تكتمل عبوديته لربه سبحانه وتعالى وكلما قوي تعلق العبد برباه وخوفه منه كثر فرجه يوم القيامة بحصول مرجوه فينبغي للعبد أن يكون خائفا راجيا لأن الخوف مستلزم للرجاء والرجاء متضمن للخوف فكل راج خائف وكل خائف راج ولذلك جاء الرجاء في موضع يصلح فيه وقوع الخوف في قوله تعالى " ط لكم لا ترجون لله وقارا " ( ٢ ) قال الشوكاني ( ٣ ) رحمه الله تعالى : أي أي عذر لكم في ترك الرجاء ، والرجاء هنا بمعنى الرجاء أي ط لكم لا تحافون الله . أ . هـ ( ٤ )

وقبل أن نختم هذا الصحت نقول : إنه ينبغي لكل مكلف أن يرضي حياته بين الخوف والرجاء ولا يفرط في الرجاء حتى يصير مع المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الإيمان شئ ولا يوفل في الخوف حتى يكون في صف الخواج والمعتزلة الذين قالوا إن صاحب الكبيرة مخلد في النار إذا مات ولم يتب بل عليه أن يلزم الطريف الوسط بينهما كما قال عز وجل " يرجون رحمته ويخافون عذابه " ( ٥ ) والذي يمعن النظر في دين الإسلام يجد قواعده أصولا وفروعا كلها في جانب الوسط وبالله التوفيق وهو المستعان .

( ١ ) مدارج السالكين ٤٩/٢ - ٥٠ بتصرف يسير .

( ٢ ) سورة نوح آية : ١٣ .

( ٣ ) هو : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني : فقيه ، مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء ولد بهجرة شوكان ( من بلاد حوالة باليمن )

ونشأ بصنعاء وولى قضاءها ، ومات حاكما بها ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف وتوفى سنة خمس مائة ومائتين وألف هجرية . أنظر ترجمته في " كتابه

البدار الطالع ٢/٢١٤ - ٢٢٥ ، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن

الثالث عشرة ٢/٢٩٧ ، جلاء العينين ص ٤٦ .

( ٤ ) فتح القدير ٥/٤٩٨ . ( ٥ ) سورة الاسراء آية : ٥٧ .

## ( المبحث السابع )

انقسام العبودية إلى عامة وخاصة

لقد جاء في السورة ذكر العبودية العامة ، والخاصة في عدة آيات منها :  
فالعبودية العامة :

هي عبودية أهل السموات والأرض جميعهم عبيده - تعالى - برهم ، وفاجرهم  
مؤمنهم وكافرهم وهذه العبودية هي عبودية القهر والملك وهذه العبودية  
أشار إليها في السورة بقوله - تعالى - ( قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم  
الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ) .  
قوله - تعالى - ( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة  
الله ) الآية .

لفظ (العباد ) في هاتين الآيتين يتناول العبودية العامة والخاصة مثل  
قوله - تعالى - ( إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ) ( ١ ) .  
فهذه يدخل فيها كل عباده مؤمنهم وكافرهم ، برهم وفاجرهم .

العبودية الخاصة :

وأما العبودية الخاصة فهي عبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر والبعد عن  
النواهي وقد جاء ذلك في السورة في عدة آيات قال تعالى : ( قل يا عبادي  
الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ) الآية .  
وقوله تعالى - ( فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ) الآية .  
وقوله - تعالى - ( أطيعوا الله بكاف عبده ) فالعبودية المذكورة في هذه الآيات  
هي عبودية أهل طاعته وولايته وهم عبيد إلهيته الذين أخلصوا له كل أنواع  
العبادة فلم يصرفوا منها شيئاً لسواه قط .

ولا يجيء في القرآن إضافة العباد إليه على سبيل الإطلاق إلا لهؤلاء .

وأما وصف عبادة الربوبية فلا يأتي إلا على أحد خمسة أوجه ،

الوجه الأول : أن يأتي منكراً مثل قوله - تعالى - ( إن كل من في السموات

والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ) ( ١ ) .

( ٢ )

الوجه الثاني : أن يكون معرفاً باللام كقوله - تعالى - ( وما الله يريد ظلماً للعباد )

الوجه الثالث : أن يكون مقيداً بالإشارة كقوله - تعالى - ( أنتم أضللتم عبادي

هؤلاء ) ( ٣ ) .

الوجه الرابع : أن يذكر في عموم العباد فينبغي أن يدرجوا مع أهل طاعته في الذكر

كقوله - تعالى - ( أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون )

الوجه الخامس : أن يذكر موصوفين بفعلهم كقوله - تعالى - ( قل يا عبادي

الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ) .

هذه الآيات من السورة قد يقال فيها :

إنما ساءهم الله ( عباده ) إذ لم يقنطوا من رحمته وأناهبوا إليه بالطاعة وتبعوا

أحسن ما أنزل إليهم من ربهم ، فيكونون من عبادة الإلهية والطاعة والسرفي

انقسام العبودية إلى عامة وخاصة لأن أصل معنى اللفظة " الذل والخضوع " يقال

" طريق معبد " إذا كان مذلاً بوطء الأقدام و" فلان عبده الحب " إذا ذل له

لكن أولياء الله خضعوا له وذلوا طوعاً واختياراً ، وانقيادا لأمره ونهيهِ ، وأما أعداؤه

فخضعوا له انما كان قهراً وورطاً . ( ٤ ) .

وتحقيق العبودية هو الكمال ولقد كان للأنبياء عليهم الصلاة والسلام النصيب

الأوفر من ذلك وكلما كان الإنسان أكثر تحقيقاً للعبودية لله تعالى كلما كان أكثر

رقياً في سلم الكمال الإنساني ، وكما ابتعد عن تحقيق العبودية كلما هبط وانحدر

( ٢ ) سورة غافر آية : ٣٢ .

( ١ ) سورة مريم آية : ٩٣ .

( ٣ ) سورة الفرقان آية : ١٧ .

( ٤ ) مدارج السالكين ١/ ١٠٥-١٠٦ ، العبودية لشيخ الإسلام ص ٤٧ ، ٥١ .

والرسل حازوا قصب السبق في هذا الميدان فقد كانت حياتهم انطلاقاً جادة في تحقيق هذه العبودية وهذا خاتم الرسل وسيد الأولين والآخرين يثني عليه ربه في أشرف المقامات بالعبودية فيصفه بها في مقام الوحي .

قال تعالى ( فأوحى إلى عبده ما أوحى ) ( ١ ) وأثنى عليه بها في مقام إنزال الكتاب ( تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ) ( ٢ ) .

وأثنى عليه بها في مقام الإسراء قال تعالى ( سبحن الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ) ( ٣ ) .

وبهذه العبودية التامة استحق عليه الصلاة والسلام التقديم على الناس في الدنيا والآخرة ولذلك يقول عيسى عليه السلام للناس إذا طلبوا منه الشفاعة بعد طلبها من الرسل من قبله يقول : " ائتوا محمداً عبداً ففرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر"<sup>(٤)</sup>

فالسعادة كل السعادة في أن يتحلى الإنسان بتحقيق العبودية الخاصة فيدين لله بالطاعة ، والمحبة وامتثال الأوامر والإجتنب عن النواهي .

- 
- ( ١ ) سورة النجم آية : ١٠  
 ( ٢ ) سورة الفرقان آية : ١  
 ( ٣ ) سورة الاسراء آية : ١  
 ( ٤ ) رواه البخارى في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه ٢٧٩/٤ .

## (المبحث الثامن)

الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل

الإسلام هو: الإستسلام لله بالتوحيد والإلتقاد له بالطاعة وإخلاص العمل من شوائب الشرك " ( ١ ) .

ولقد جاء في سورة " الزمر " الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يكون أول المسلمين من هذه الأمة ، وجاء الأمر فيها أيضا : لجميع عباد الله بأن يلتزموا بدين الإسلام على وجه العموم .

قال تعالى في حق نبيه ( وأمرت لأن أكون أول المسلمين ) .

وقال تعالى ( في حق عباده عموط أمرا لهم بالإلتزام بدين الإسلام .

(وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون )

ففي الآية الأولى : أمر الله - جل و علا - نبيه بأن يكون أول المنقادين .

قال العلامة ابن كثير : ( وأمرت لأن أكون أول المسلمين ) قال السدي : يعني

من أمته صلى الله عليه وسلم " ( ٢ ) .

وقال الشوكاني حول هذه الآية : ( وأمرت لأن أكون أول المسلمين ) أي : من هذه

الأمة ، وكذلك كان صلى الله عليه وسلم فإنه أول من خالف دين آباءه ودعا إلى

التوحيد ( ٣ ) .

وأما الآية الثانية : فهي أمر لجميع العباد بأن يلتزموا بدين الإسلام ، وإن لم

يفعلوا ذلك فسيحل بهم العذاب على كفرهم به ، ولا ينصرهم ناصر يسرع لإنقاذهم

من عذاب الله النازل بهم فقوله تعالى (وأسلموا له ) أمر لجميع العباد بالخضوع

لله - تعالى - بالطاعة والإقرار بدينه الحنيف والإلتزام بالإسلام الذي هو دين

الأولين والآخريين ، وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بأن يكون أول

( ١ ) أنظر عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة للشيخ محمد بن عبد الوهاب

ص ١٢ ، الأصول الثلاثة ص ١٠ .

( ٢ ) تفسير ابن كثير ٦ / ٨٣ .

( ٣ ) فتح القدير ٤ / ٤٥٤ .

الموحدين والمنقادين لله بالوحدانية التي لا تشوبها أية شائبة من الإِشراك  
فغيره بتوجه إليه الخطاب من باب أولى فيجب على كل مكلف أن يعترف دينه  
الذي لا فلاح له إلا به ، ويكون داعياً إليه . اقتداءً بالرسول صلى الله عليه وسلم  
وبجميع الرسل قبله .

فالإسلام هو دين جميع الأنبياء والمرسلين كما صرح بذلك القرآن والسنة قال  
تعالى ( إن الدين عند الله الإسلام ) ( ١ ) .

قال العلامة ابن القيم : يعني الذي جاء به محمد وهو دين الأنبياء من أولهم  
إلى آخرهم ليس لله دين سواه ( ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو  
في الآخرة من الخاسرين ) ( ٢ ) وقد دل قوله تعالى ( إن الدين عند الله  
الإسلام على أنه دين جميع أنبيائه ورسله وأتباعهم من أولهم إلى آخرهم وأنه  
لم يكن لله قط دين سواه . أ . هـ . ( ٣ ) .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى " كان الأنبياء جميعهم مبعوثين بدين  
الإسلام فهو الدين الذي لا يقبل الله غيره لا من الأولين ولا من الآخرين " ( ٤ )  
فهما تدين متدين ، أو تعبد متعبد على غير نهج الإسلام فحمله مردود وليس  
له من ذلك العمل شيء سوى الصناء والتعب والشقاء وعمله ليس بمقبول كما قال  
تعالى ( وقد منا إلى ما عطاوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ) ( ٥ ) .

فاليهود والنصارى وغيرهم من الكافرين إذا تعبدوا وتدينوا بغير دين الإسلام  
فعبادتهم وديانتهم مردودة عليهم لأن الله لا يقبل ديناً غير دين الإسلام .  
كما تقدم في الآية ( ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة  
من الخاسرين ) .

( ٢ ) سورة آل عمران آية : ٨٥ .

( ١ ) سورة آل عمران آية : ١٩ .

( ٣ ) مدارج السالكين ٣ / ٤٧٦ .

( ٤ ) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١١٥ - ١١٦ ط : المكتب الإسلامي .

( ٥ ) سورة الفرقان آية : ٢٣ .



ويدخل في هذا العموم من يبتدع في عمله وعبادته بدهقلا أصل لها في الإسلام لقوله صلى الله عليه وسلم " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " ( ١ )  
 فالإسلام دين جميع الأنبياء وجميع الأمم فمن الأمم من آمن ومنهم من كفر وقد أخبرنا الله تعالى أن رسله الكرام عطوا بدین الإسلام ودعوا إليه أممهم فدين الإسلام اشتمل على العقائد والأحكام والعبادات والشياء المهمة في دين الإسلام هو توحيد الله وإفراده بالعبودية ، وهذا يتضمن إبطال كل عبادة لغير الله والعبادة أنواع منها الدعاء والرجاء والتوكل والندز والذبح فمن صرف منها شيئاً لغير الله فقد كفر وأشرك مع الله غيره .

وقد بين الله - تعالى - أن جميع الأنبياء دعوا أممهم إلى الإسلام فقد قال نوح عليه الصلاة والسلام : فيط حكاها الله عنه ( فإن توليتم فط سألتكم من أجران أجري الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ) ( ٢ ) .

وقد ذكر الله تعالى في حق إبراهيم عليه الصلاة والسلام ( ومن يرفب عن ملمة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين إذا قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ) ( ٣ ) .

أم يوسف عليه السلام فإنه قد دعا الله تعالى أن يتوفاه مسلط وأن يلحقه بالصالحين قال تعالى حكاية عنه ( رب قد آتيتني من الملك وهلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين ) ( ٤ ) .

وكليم الله موسى وجه قوه إلى الإيطان بالله والتوكل عليه وإسلام الوجه له سبحانه وتعالى قال تعالى ( وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فقله توكلو إن كنتم مسلمين ) ( ٥ ) .

- ( ١ ) رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها ١٣٤٣/٣ .  
 ( ٢ ) سورة يونس آية : ٧٢ . ( ٣ ) سورة البقرة آية : ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ .  
 ( ٤ ) سورة يوسف آية : ١٠١ . ( ٥ ) سورة يونس آية : ٨٤ .

وأما سليمان عليه من الله الصلاة والسلام فإنه دعا بلقيس إلى الإسلام قال تعالى :  
( ١ )  
( إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . ألا تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين )

وفي العصور القديمة بعض أهل الكتاب - وهم اليهود والنصارى كانوا يدعون  
بدين الإسلام .

قال تعالى ( الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى  
عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ) ( ٢ ) .

وقالت بلقيس : ( رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ) ( ٣ ) .  
وحكى الله عن روح الله عيسى ابن مريم والحواريين أن دينهم الإسلام قال تعالى :  
( فلبس أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن  
أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون ) ( ٤ ) .

وحكى الله عن سحرة فرعون أنهم قالوا ( ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ) ( ٥ )  
وقال تعالى عن سيد ولد آدم عليه من الله الصلاة والسلام أنه قال : ( قل إني  
نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله وأمرت أن أسلم لرب العالمين ) ( ٦ )  
فهذه الآيات التي سقناها تبين أن جميع المرسلين وجميع من امتثل أمر رب  
العالمين دينهم هو الإسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له .

وقد بين صلى الله عليه وسلم أن أصل دين الأنبياء واحد وهو التوحيد وإن  
اختلفوا في فروع الشرائع .

فقد روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا  
والآخرة والأنبيا إخوة لعلات ( ٧ ) .

( ١ ) سورة النمل آية : ٣٠ ، ٣١ . ( ٢ ) سورة القصص آية : ٥٢ ، ٥٣ .

( ٣ ) سورة النمل آية : ٤٤ . ( ٤ ) سورة آل عمران آية : ٥٢ .

( ٥ ) سورة الأعراف آية : ١٢٦ . ( ٦ ) سورة غافر آية : ٦٦ .

( ٧ ) العلات : بفتح المهملة : الضرائر ، وأصله من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى  
كأنه عل منها . . . وأولاد العلات الإخوة لأب ذكره الحافظ في الفتح

أمهاتهم شتى ودينهم واحد " ( ١ ) .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

" فالإسلام دين أهل السموات ، ودين أهل التوحيد من أهل الأرض لا يقبل الله من أحد ديناً سواه ، فأديان أهل الأرض ستة ، واحد للرحمن ، وخمسة للشيطان اليهودية والنصرانية ، والمجوسية ، والصابئة ، ودين المشركين " أ.هـ ( ٢ ) .

ومما تقدم يتبين أن الإسلام دين الأولين والآخريين من بني آدم ، وأن أول المسلمين في جميع الشرائع الإلهية هم الرسل ، لأن الرسل هم أول من يعرف الشرائع ، والكتب المنزلة عليهم من عند الله تعالى . فالخير كل الخير بالأخذ بالإسلام الذي رضي الله ديناً لعباده المؤمنين .

---

( ١ ) صحيح البخارى مع الفتح ٤٧٨/٦ ، صحيح مسلم ٤/١٨٣٧ .

( ٢ ) مدارج السالكين ٣/٤٧٦ .

## (المبحث التاسع )

## بيان الطاغوت الذى أوجب الله على عباده أن يجتنبوه

لقد ورد فى هذه السورة المدح والثناء الحسن لمن اجتنب عبادة الطاغوت وتوجه بالعبادة الخالصة لربه - جل وعلا - فأفرده بها وحده لا شريك له .

قال تعالى ( والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنا bowed إلى الله لهم البشرى فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ) .

هاتان الآيتان من السورة فهبط الثناء الحسن للذين اجتنبوا عبادة الأصنام وتفانوا في عبادة الملك العلام ، وكفروا بعبادة الطاغوت الذى عبده الجاهلون بالباطل زورا وبهتانا ، والمقصود بالطاغوت هنا هو عبادة غير الله - تعالى - فمدحهم الله وأثنى عليهم باجتنبهم عبادة الطاغوت وإقبالهم بكليتهم على عبادة الله وحده وإخلاص الدين له دون غيره ، وأقلعوا عن الشرك والمعاصي إلى إخلاص التوحيد والطاعات لربهم وخالفهم - سبحانه وتعالى - .

وقيل المقصود بالطاغوت الشيطان ذكره ابن جرير عن السدى ومجاهد وابن زيد (١) والذي يظهر أن المراد بالطاغوت في الآية كل معبود من دون الله والنصيب الأكبر من ذلك للشيطان لأنه رأس كل ضلالة كما قال - تعالى - ( ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ) ( ٢ ) .

وقد ذكر الله الجزاء الذي ينتظر عباد الله الموحدين وهو أن لهم البشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن ويكفهم الله بمعانيته ويوفقهم للأعمال الصالحة التي يشاهدون من خلالها أنه - تعالى - يريد إكرامهم ، كما أن لهم البشرى

( ١ ) جامع البيان ٢٣ / ٢٠٦ .

( ٢ ) سورة " يس " آية : ٦٠ .

في الآخرة عند الموت وفي القبر ، وفي القيامة وخاتمة البشارات البشارت العظمى وهي ما يحصل لهم من إحلال الله - تعالى - رضوانه عليهم ، والنظر إلى وجهه الذي هو أعظم نعيم أهل الجنة وقد أمر الله نبيه أن يبشر عباده الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله - تعالى - : " والمراد بالقول القرآن كط فسر به ذلك سلف الأمة وأئمتها " أ . هـ ( ١ ) .

فقد وصف الله عباده المبشرين بأنهم يستمعون القول فيفهمونه ويعقلونهم ويتبعون أحسنه ، وأحسنه على الإطلاق كلام - الباري سبحانه - وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم . . .

قال العلامة ابن كثير : ( فبشر عباده . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ) أي : يفهمونه ، ويعملون بما فيه كقوله - تعالى - لموسى عليه السلام حين آتاه التوراة ( فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ) ( ٢ ) ( أولئك الذين هداهم الله ) أي : المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة ( وأولئك هم أولوا الألباب ) أي : ذوو العقول الصحيحة والفطر المستقيمة<sup>(٣)</sup> . هـ .

وقد ذكر في أسباب النزول أن الآيتين نزلتا في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر وسلمان الفارسي رضي الله - تعالى - عنهم كانوا في الجاهلية يقولون : " لا إله إلا الله " واجتنبوا عبادة الطاغوت ( ٤ ) والأصح أن الآيتين تشملان نفر الثلاثة المذكورين وغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأتاب إلى عبادة الرحمن وهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ( ٥ ) .

( ١ ) مجمع الفتاوى ٦ / ١٥ ، دقائق التفسير ٤ / ٢٥٢ .

( ٢ ) سورة الأعراف آية : ١٤٥ ( ٣ )

( ٣ ) تفسير القرآن العظيم ٦ / ٨٤ .

( ٤ ) جامع البيان ٢٣ / ٢٠٧ .

( ٥ ) تفسير ابن كثير ٦ / ٨٤ .

وبعد هذه اللمحة لبيان معنى الآيتين نأتي لتعريف الطاغوت الذي فرض الله علينا اجتنابه .

### معنى الطاغوت في اللغة :

جاء في القاموس: الطاغوت اللات ، والعزى ، والكاهن ، والشيطان وكل رأس ضلال ، والأصنام ، وكل ما عبد من دونه الله ومردة أهل الكتاب للواحد والجمع " فعلوت " من طغوت ، والجمع طواغيت طواغ ، أو الجبت حبي بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف وأطفاه جعله طاغياً والطفوة المكان المرتفع <sup>(١)</sup> . هـ وقال في المصباح المنير: " والطاغوت يذكر ويؤنث والإسم ( الطغيان ) وهو مجاوزة الحد وكل شيء جاوز المقدار والحد في العصيان فهو ( طاغ ) وأطغيته جعلته " طاغياً " وطفى " السيل ارتفع حتى جاوز الحد في الكثرة " والطاغوت الشيطان وهو في تقدير فعلوت بفتح العين لكن قدمت اللام موضع العين ، واللام واو محركة مفتوح ما قبلها فقلبت ألفا فبقي في تقدير فعلوت وهو من الطغيان <sup>(٢)</sup> . هـ وجاء في فتح المجيد : الطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد <sup>(٣)</sup> . هـ والذي نستفيدة من هذه التعاريف اللغوية أن الطاغوت كل ما تجاوز حده فصار معبوداً من دونه الله سواء كان إنساناً أو صنماً أو وثناً أو كان من أي شيء وسواء عبد بطاعة من عابديه أو بقهره لهم حتى عبدوه فهو طاغوت .

### معنى الطاغوت اصطلاحاً :

روى ابن جرير وابن كثير بإسناد هبط إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أنه قال : الجبت : السحر ، والطاغوت : الشيطان " (٤) .

(١) ٣٥٩/٤ ، مختار الصحاح ٣٩٣ .

(٢) ٣٧٣/١ - ٣٧٤ .

(٣) ص ١٩ .

(٤) جامع البيان ١٣١/٥ ، تفسير ابن كثير ٣١٥/٣ .

قال ابن كثير: ومعنى قوله "إنه الشيطان" قوي جدا فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها<sup>(١)</sup> . هـ .  
 وذكر ابن كثير: بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه سئل عن الطواغيت فقال: هم كهان تنزل عليهم الشياطين .

وقال مجاهد: الطافات الشيطان في صورة إنسان يتحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم .

وقال الإمام مالك رحمه الله: "هو كل ما يعبد من دون الله عز وجل"<sup>(٢)</sup> .  
 وتصريف الإمام مالك يقيد بمن عبد من دون الله وهو راض ليخرج بهذا القيد من عبد وهو غير راض مثل المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، والطلائكة فإنهم عبدوا من دون الله وهم فير راضين بذلك بل انهم برا<sup>٣</sup> ممن عبدهم ومن عبادتهم .

وقال الواحدي: (٤) عند قوله - تعالى - ( يؤمنون بالجبت والطاغوت ) (٢)  
 " كل معبود من دون الله فهو جبت وطاغوت " (٤) .

وقال عبد الله ابن عباس: " الجبت الأصنام والطاغوت الذين يكونون بين أيدي الأصنام يمضون عنها الكذب ليضلوا الناس .

قال ابن جرير: " وزعم رجال: أي الجبت الكاهن والطاغوت رجل من اليهود يدعى كعب بن الأشرف وكان سيد اليهود " (٥) .

وقال بعض السلف: عند قوله - تعالى - ( يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ) (٦)

إنه كعب بن الأشرف ، وقال بعضهم: حبي بن أخطب وإنما استحق هذا الاسم لكونه من رؤوس الضلال وإفراطه في الطفيلان وإغوائه الناس ولطاعة

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٣١٥ . (٢) المصدر السابق ٣٦٣ ، فتح المجيد

ص ١٩-٢٠ .

(٣) هو علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوية ، أبو الحسن الواحدي يفسر عالم بالأدب وصفه الذهبي بإمام علماء التأويل توفي سنة ثمان وستين وأربعمائة هجرية . أنظر ترجمته في " النجوم الزاهرة " ١٠٤/٥ الوفيات ١/٣٣٣ ، الأعلام ٦٥١ .

(٤) أنظر مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٤٠٧ .

(٥) جامع البيان ٥/١٣١ . (٦) سورة النساء آية: ٦٠ .

اليهود لهما في معصية الله فكل من كان بهذه الصفة فهو طاغوت " أ. هـ ( ١ ) .  
 وهذه التعريفات المتقدمة عن السلف الصالح من باب توضيح الشيء ببعض  
 افراده وإلا فالحد الجامع الطانع لمعنى الطاغوت هو ما عرفه به ابن القيم رحمه  
 الله - تعالى - فقد قال : " الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو  
 متبوع أو مطاع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه  
 من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيط لا يعلمون  
 أنه طاعة لله فهذه طاغوت العالم إذا تأملتها وتأملت أحول الناس معها رأيت  
 أكثرهم أعرض عن عبادة الله - تعالى - إلى عبادة الطاغوت ، ومن طاعة رسول  
 الله إلى طاعة الطاغوت ومتابعت " أ. هـ ( ٢ ) .

فولوا تأملنا زمننا هذا واستعرضنا حالة أكثر المسلمين لوجدناها طبقاً لما  
 قال ، هذا الإطام رجحة الله عليه إلا من رحم الله ، وبعد أن عرفنا معنى  
 الطاغوت في اللغة والإصطلاح نقول : إن الله فرض على جميع خلقه أن يكفروا  
 بالطاغوت ويعتقدوا باعتقادها جازماً أن عبادته باطلة وأن من عبده كفر بالله  
 العظيم .

قال تعالى : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت )  
 فهذه الآية فيها الإخبار بأنه - تعالى - أمر جميع خلقه باجتنب عبادة الطاغوت  
 مطلقاً سواء كان إنساناً أو جنناً ، أو شجرة ، أو حجراً ، أو هوى ، أو شهوة ،  
 أو طلاً أو جاهاً ، أو وظيفة ، وأن يعبدوه - سبحانه - وحده دون سواه .

( ١ ) مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٤٠٧ والكلام للشيخ

عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين رحمه الله - تعالى .  
 ( ٢ ) تفسير العزيز الحميد ص ٣٣ ، فتح المجيد ص ٢٠ .

( ٣ ) سورة النحل آية ٣٦ .



وقال تعالى : ( فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ) ( ١ )  
قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ( ٢ ) : " وأعلم أن الإنسان لا يصير مؤمناً بالله  
إلا بالكفر بالطاغوت والدليل هذه الآية " أ. هـ ( ٣ ) .  
وقال الشيخ عبد الرحمن حسن ( ٤ ) رحمه الله - تعالى - عند شرحه للآية  
" وهذا معنى " لا اله الا الله " فانها العروة الوثقى " أ. هـ ( ٥ ) .  
وقال تعالى ( ألم ترالى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من  
قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان  
أن يضلهم ضلالاً بعيداً ) ( ٦ ) .  
والآيات في هذا المعنى كثيرة وهي تدل على أنه يجب الكفر بالطاغوت والإيمان  
بالله .

وضابط الكفر بالطاغوت : أن يعتقد الإنسان اعتقاد جازم بطلان عبادة غير  
الله وتركها والبغض لأهلها ومعاداتهم .

( ١ ) سورة البقرة آية : ٢٥٦ .

( ٢ ) هو : إمام الدعوة المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي  
النجدي زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في الجزيرة العربية وقد  
نهج رحمه الله نهج السلف داعياً إلى التوحيد الخالص ونهذ الشرك والبدع  
والخرافات ، وتحطيم ما علق بالإسلام من أهام ولد رحمه الله سنة خمس عشرة  
ومائة وألف ، وتوفي سنة ست ومائتين وألف هجرية . أنظر ترجمته في " كتاب  
عنوان المجدد في تاريخ نجد ٦ / ١ وما بعدها ، هدية الحارفين ٢ / ٢٥٠  
الأعلام ٧ / ١٣٧ ، معجم المؤلفين ١٠ / ٢٦٩ .

( ٣ ) الدرر السنية ١ / ٩٥ .

( ٤ ) هو عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، فقيه ، حنبلي من  
علما نجد وهو حفيد العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة  
إلى التوحيد والتي عرفت باسمه ويعرف هذا البيت بأل الشيخ توفي الشيخ  
عبد الرحمن بن حسن سنة خمس وثمانين ومائتين وألف هجرية . أنظر  
ترجمته الأعلام ٤ / ٧٥ .

( ٥ ) فتح المجيد ص ٢٠ .

( ٦ ) سورة النساء آية : ٦٠ .

وضابط الإيطن بالله : الاعتقاد الجازم بأن الرب سبحانه - هو الإله المعبود وحده دون سواه وإخلاص جميع أنواع العبادة كلها له وحده لا شريك له ونفيها عن كل معبود سواه .

وبعد أن عرفنا أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دين الله - تعالى - إذن فالطاغوت لا تحصى لكثرتها وتنوعها إلا أن رؤوسها خمسة ( ١ ) وهي :

### الأول :

إبليس الذي لا يزال جاهداً آناً الليل وآناً النهار في الدعوة إلى عبادة غير الله - تعالى - .

قال - تعالى - ( ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ) ( ٢ ) .

### الثاني :

الحاكم الجائر المفسد لأحكام الله - تعالى - وقد ذم الله من تلبس بذلك قال - تعالى - ( ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ) ( ٣ ) .

قال العلامة ابن كثير: بعد أن ذكر أنها نزلت فيمن طلب التحاكم إلى كعب ابن الأشرف أو إلى حاكم جاهلية وغير ذلك قال : " والآية أعم من ذلك كله فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت ههنا " أ. هـ ( ٤ ) .

( ١ ) أنظر مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٦٠-٢٦١ .

( ٢ ) سورة " يس " آية : ٦٠-٦١ .

( ٣ ) سورة النساء آية : ٦٠ .

( ٤ ) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٢٧ .

وقد أقسم - البارى سبحانه - بنفسه - على عدم إيمان من لم يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم قال - تعالى - ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ) ( ١ ) .

قال العلامة ابن القيم : " أقسم - سبحانه - بنفسه المقدسة تسما مؤكدا بالنفي قبله على عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفرع وأحكام الشرع وأحكام المعاد وسائر الصفات وغيرها ولم يثبت لهم الإيظان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج ، وهو ضيق الصدر وتنشع صدرهم لحكمه كل الإنشراح ، وتنفسح له كل الانفساح وتقبله كل القبول ، ولم يثبت لهم الإيظان بذلك أيضا حتى يينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضى والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المطارضة والاعتراض فهنا قد يحكم الرجل غيره وعنده حرج من حكمه ، ولا يلزم من انتفاء الحرج الرضا والتسليم والإنيقاد إذ قد يحكمه وينتفي الحرج عنه في تحكيمه ولكن لا ينقاد قلبه ولا يرضى كل الرضى بحكمه ، والتسليم أخص من انتفاء الحرج ، فالحرج مانع ، والتسليم أمر وجودي ولا يلزم من انتفاء الحرج حصوله بمجرد انتفائه إذ قد ينتفي الحرج ويبقى القلب فارغا منه ومن الرضى به والتسليم له ، فتأمله ، وعند هذا يعلم أن الرب - تبارك وتعالى - أقسم على انتفاء إيمان أكثر الخلق وعند الإمتحان تعلم هل هذه الأمور الثلاثة موجودة في قلب أكثر من يدعى الإسلام أم لا ؟ أ . هـ . ( ٢ )

الثالث : الذى يحكم بخير ما أنزل الله وهذا يخرج صاحبه من ملة الإسلام إلى الكفر قال - تعالى - ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ) ( ٣ )

( ١ ) سورة النساء آية : ٦٥ .

( ٢ ) التبيان في أقسام القرآن ص ٤٣٠ - ٤٣١ .

( ٣ ) سورة الطائدة آية : ٤٤ .

هذا النوع من أخطر الأمور وأعظمها جرماً على من يحكم بغير ما أنزل الله ويقرر شريعة للناس من عند نفسه ويحرم ما لم يأذن به الله - تعالى - وهذا من نواقض كلمة التوحيد التي هي الشهادة بأن الله هو الإله الذي تأله القلوب بالحب والتعظيم والطاعة والانقياد ، ومن أشدها أيضاً مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله فهو المطاع فيطأ أمر ونهى عنه وزجر ولو فهم العباد هذا لما بقي لطاغية في الأرض وجود ولما استطاع مخلوق مهبط كانت مكانته أن يضع تشريعاً مضمونه الكفر بالله ويكون سبباً في تنحية شرع الله الحكيم ويرفع من شأن القانون الأثيم .

والناظر في حال المسلمين اليوم يجد أنهم اهتموا اهتماماً بالغاً بالقوانين البشرية وزهدوا في الأحكام السماوية إلا من رحم الله ، ونتيجة لهذا الانحراف نزل بهم الذل والهوان وتسليط الأعداء فسلبوا أراضهم وقتلوا شيوخهم وأطفالهم وانتهكوا أعراضهم وذلك بسبب بعد المسلمين عن حكم الله ورسوله وتحكيم ما اخترعته العقول الضالة ، أصحابها يعادون الإسلام والمسلمين بكل ما أوتوا من قوة ولنستمع إلى ما ذكره ابن كثير في شأن ما حل بالمسلمين أيام التتار وذلك عند قوله - تعالى - ( أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ) ( ١ ) .

قال رحمه الله : " ينكر الله - تعالى - على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر ، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والإصلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ، مما يضعونها بأرائهم ، وكما يحكم به التتار من سياسات الملكية الأخوذة عن ملكهم " جنكيزخان " السذي وضع لهم الياسق " وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية ، والملة الإسلامية ، وفيها كثير من الأحكام

أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنه شرطا متبعا بقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير<sup>(١)</sup> .  
ولقد وضع لنا الشيخ محمد بن إبراهيم ( ٢ ) رحمه الله - تعالى - الصور التي ان فعلها الحاكم أخرجته من الملة فقال :

الصورة الأولى : إذا جحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله وهو معنى ما روى عن ابن عباس واختاره ابن جرير ( ٣ ) وجود ما أنزل الله من الحد من الحكم الشرعي لا نزاع فيه بين أهل العلم ، فإن من الأصول المتقررة المتفق عليها بينهم أن من جحد أصلا من أصول الدين أو فرعا مجمعا عليه ، أو أنكر حرفا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم قطعيا فإنه كافر كفرا ينقل عن الملة .

الصورة الثانية : إن لم يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أن حكم الله ورسوله حي ولكنه اعتقد أن حكم غير الرسول صلى الله عليه وسلم أحسن من حكمه ، وأتم وأشمل لط يحتاجه الناس وما استجد لهم من حوادث نشأت عن تطور الزمان وتفكير الأحوال فهذا لا ريب في كفره لتفضيلة أحكام المخلوقين التي هي زبالة الأذهان وحتالة الأفكار على حكم الحكيم الخبير ، فإنه ما من قضية كائنة ما كانت إلا وحكمها في كتاب الله - تعالى - وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم نصا أو ظاهرا

( ١ ) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٥٩٠ .  
( ٢ ) هو الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية ولد سنة ١٢٥٠ هـ في بيت علم وفضل ، حفظ القرآن وهو في الحادية عشرة من عمره وكف بصره وهو في الرابعة عشرة من عمره فصبر واحتسب وتلقى العلم على الشيخ سعد بن عتيق وتوفي في رمضان سنة تسع وثمانين وثلاثمائة وألف من عمر يناهز الثمانين عاما أنظر ترجمته في كتاب "عطاء نجد للبسام ١ / ٨٨" ولشيخنا عبد المحسن العباد "ترجمة لهذا العالم الجليل في مؤلف صغير بعنوان "عالم جهيد وملك فذ" .

( ٣ ) جامع البيان ٦ / ٢٥٧

واستنباطاً أوفير ذلك علم ذلك من علمه وجهله من جهله .

الصورة الثالثة : أن لا يحتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله ولكن اعتقد أنه مثله فهذا كالنوعين السابقين كافر كفراً ينقل عن الملة لما في ذلك من تسوية المخلوق بالخالق .

الصورة الرابعة : من اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله فهو كالذي قبله .

الصورة الخامسة : من أعظم ذلك وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ، و مشاققة لله ورسوله : إيجاد المحاكم الوضعية التي مراجعها القانون الوضعي كالقانون الفرنسي أو الأمريكي أو البريطاني أو غيرها من مذاهب الكفار ، وأي كفر فوق هذا الكفر؟ وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة .

الصورة السادسة : ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي ونحوهم من حكايات آبائهم وأجدادهم وعاداتهم التي يسمونها " سلومهم " يتوارثون ذلك منهم ويحكمون به رغبة وإعراضاً عن حكم الله .

أما الكفر الذي لا ينقل عن الملة : والذي ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما بأنه كفر دون كفر وقوله أيضاً : " ليس بالكفر الذي تذهبون إليه " فذلك مثل أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله من اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى وهذا وإن لم يخرج كفرة عن الملة فإنه معصية عظمى أكبر من الكبائر كالزنا وشرب الخمر والسرقه وغيرها فإن معصية سطاها الله في كتابه كفرة أعظم من معصية لم يسمها الله كفرة " أ.هـ ( ١ )

ولخطورة هذا النوع من رؤوس الطواغيت أسهبنا في الكلام حوله إذ الحكم بغير ما أنزل الله قد عم وطم الكثير من الكرة الأرضية إلا من رحم الله - تعالى مثل بعض البلدان التي أراد الله لها الخير فتمسكت بكتاب ربها وسنة نبيها فحماها الله من الاضطرابات وهما الخير والرخاء .

النوع الرابع من رؤوس الطواغيت : من اصطاده الشيطان وأحكه في شركه فيدعى العلم بالغيب من دين الله - تعالى - وهذا ما اختص الله به دون غيره . قال تعالى ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ) ( ١ ) .

فالعراف والكاهن والرمل والمنجم كلهم محادون لله ورسوله إذ أنهم يدعون العلم بالمفبيات وذلك تكذيب للقرآن والسنة إذ التصريح فيهم بأن علم الغيب من خصائص الألوهية ، ومن ادعى علم الغيب فقد أنزل نفسه منزلة الألوهية وكل من ادعى ذلك بعد من المردة أهل الفجور ولو ادعى الصلاح والتقى فإن ذلك كذب وبهتان ، لأن التقي الصالح لا يدعى علم الغيب ولا ينازع الله في ربوبيته ولو ادعى هذا الخرج من الإسلام لأن مدعي ذلك كذب الله ورسوله فقد قال تعالى ( لرسوله صلى الله عليه وسلم أمرا له بأن يقول : (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) ( ٢ ) .

وأن يقول : ( قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنني ملك ان أتبع إلا ما يوحى إلي ) ( ٣ ) . إلى غير ذلك من الآيات التي تجرد علم الغيب لله وحده وتنفيه عن غيره من الأنبياء والمرسلين فضلا عن غيرهم والذي يتأمل ما عليه القبوريين من الاعتقادات الباطلة في أن الأولياء يعلمون

( ١ ) سورة الأنعام آية : ٥٩ . ( ٢ ) سورة الأعراف آية : ٨٨

( ٣ ) سورة الأنعام آية : ٥٠ .

الغيب وأنهم النور النافض من الله وأن فيهم من صفات الربوبية مثل العلم والقدرة والكرم ولذلك يفزهم إليهم في يسرهم وسرهم ويحبونهم كما يحسب المؤمنون ربهم ويدعونهم كدعاء المؤمنين إليهم لا قوة إلا بالله .

النوع الخامس: من رؤوس الطواغيت " الذي يعبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة قال - تعالى - ( ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ) ( ١ ) .

قال ابن جرير رحمه الله - تعالى - يقول - تعالى - ذكره : ومن يقل من الطائفة إني إله من دون الله ( فذلك ) الذي يقول ذلك منهم ( نجزيه جهنم ) يقول : نشبهه على قيله ذلك جهنم ( كذلك نجزي الظالمين ) يقول : كما نجزي من قال : من الطائفة إني إله من دون الله . نجزيهم كذلك نجزي ذلك كل من ظلم نفسه ، فكفر بالله وهبذ فيره .

وقيل : عنى بهذه الآية إبليس ، وقال قائلون ذلك : إننا قلنا ذلك لأنه لا أحد من الطائفة قال : إني إله من دون الله سواه . وروى عن ابن جرير وقتادة أن الآية خاصة بإبليس لأنه دعا إلى عبادة نفسه فنزلت الآية في إبليس " ( ٢ ) . والذي نخلص إليه مما قدمنا ذكره أن الطواغوت شامل لكل معبود سواه لله وكل رأس ضلال يدعو إلى الباطل ويزينه لمتبعيه كما أنه يشمل كل من نصبه الناس للحكم بينهم فحكم بأحكام الجاهلية المنتنة المضادة لحكم رب العالمين وحكم رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم ، فالحاكم بغير ما أنزل الله طواغوت لأنه نصب نفسه منصب الإله المشرع ، وهنا يظهر معنى مجاوزة الحد في معنى الطواغوت ، فإن الحاكم ملزم بأن يتقيد بأحكام - الرب سبحانه - التي أنزلها لعبيده وأوضحها لهم فعليه أن يطبقها في غاية من الدقة والتحرى سواه بسواه فإذا ما عدل عنها وحكم برأيه وهواه فإنه نزل نفسه منزلة الإله المشرع

( ١ ) سورة الأنبياء آية : ٢٩ .

( ٢ ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ / ١٧ .



لخلقه وتجاوز حده المحدود له من كونه عبدا لله ينفذ أحكامه إلى إله مشرع يحكم بما يريد فتجاوز حد العبودية إلى منزلة الألوهية فصار بذلك طاعوتا لتجاوزه حده الذي حد له ، كما أنه يدخل في معنى الطاغوت الكاهن والساحر وسدنة الأوثان الداعين إلى عبادة المقبورين لأنهم ينسجون من الحكايات الضلة للجهال والموهمة بأن المقبور ونحوه يقضي الحاجات للذين يقصدونه ويتوجهون إليه وأنه فعل كذا وكذا مط هو كذب صريح ، وأهو من فعل الشياطين .

ومثل هذه الأكاذيب والأباطيل يوقعون الناس في الشرك الأكبر ولو أحقه .  
 " فكل ما صرف الناس عن عبادة ربهم وطاعته فهو طاغوت . فالأوثان والمشاهد والأشجار والقباب التي تعبد من دون الله إنما هي طاغوت لأنها صرفت الكثير من الناس عن عبادة ربهم بحيث صرفوا لها كثيرا من أنواع العبادات وألوهها . وأصل أنواع الطاغوت كلها وأعظمها إبليس فهو الطاغوت الأكبر والعد والأعظم لأنه يصرف الناس عن عبادة خالقهم ويفسدهم فيعبدون غير الله ويسفكون الدماء ويحلون الحرام ويحرمون الحلال نسأله - تعالى - أن لا يجعل للشيطان علينا سبيلا " ( ١ ) .

---

( ١ ) أنظر الرسالة الثالثة " تعريف العبادات وتوحيدها والإخلاص . . . . )  
 للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين " ضمن مجموعة التوحيد  
 للشيخ محمد بن عبد الوهاب ولبعض أبنائه وأحفاده ص : ٤٠١ .

## ( المبحث العاشر )

عبودية الإنابة

إن الإنابة نوع من أنواع العبادة التي لا تصح إلا لله - سبحانه - ولا يجوز صرفها إلا له وحده لا شريك له وقبل أن نذكر الآيات الواردة في السورة التي دلت على أن الله تعالى - تعبد بها عباده نذكر تعريفها في اللفظة والشرع حتى يعرف الإنسان حقيقتها ويوجهها إلى ربه - جل و علا - .  
أما تعريفها في اللفظة :

فقد جاء في الصحاح للجوهري : وأناب إلى الله - تعالى - أقبل وتاب<sup>(١)</sup> وجاء في القاموس : " وتاب زيد إلى الله - تاب - أ هـ " ( ٢ ) .  
وجاء في المصباح المنير : " وأناب زيد إلى الله - تعالى - إنابة رجوع " هـ ( ٣ )  
وجاء في اللسان : " وتاب فلان إلى الله - تعالى - وأناب إليه إنابة فهو منيب : أقبل وتاب ورجع إلى الطاعة ، وقيل : تاب لزم الطاعة وأناب تاب ورجع . . .  
إلى أن قال : الإنابة الرجوع إلى الله بالتوبة ، وفي التنزيل العزيز : ( منيبين إليه ) ( ٤ ) أي : راجعين إلى طأمره ، غير خارجين عن شيء من أمره<sup>(٥)</sup> . هـ  
ومن هذه التعاريف اللفوية يتبين لنا أن الإنابة هي الإقبال على الله - عز وجل - والتوبة إليه .

وأما تعريفها في الشرع :

فقد ذكر لها العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى تعريفين +

( ١ ) ٠ ٢٢٩ / ١

( ٢ ) ٠ ١٤٠ / ١

( ٣ ) ٠ ٦٢٩ / ٢

( ٤ ) الآية رقم ( ٣٣ ) من سورة الروم .

( ٥ ) ٠ ٧٧٥ / ١

فقال : " الإِنباءُ هي : عكوف القلب على الله - عز وجل - كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه ، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال ، والتعظيم وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله ، ومن لم يعكف قلبه على الله - وحده - عكف على التثايل المتنوعة كما قال : **إطام الحنفا** " ( ما هذه التثايل التي أنتم لها عاكفون ) ( ١ ) فكان حظ قومه العكوف على التثايل وكان - حظه - العكوف على الرب الجليل " ( ٢ ) .

وقال رحمه الله معرفا لها بتصريف آخر :

" والإِنباءُ الرجوع إلى الله وأنصراف دأمي القلب وجواذبه إليه وهي : تتضمن المحبة ، والخشية فإن المنيب محب لمن أناب إليه خاضع له خاشع ذليل <sup>( ٣ )</sup> أله ولقد دلت سورة ( الزمر ) على أن الإِنباءُ عبادة لله - عز وجل - في ثلاث آيات منها :

قال تعالى ( وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم إذا خوله نعممة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار ) .

وقال تعالى ( والذين اجتنبوا الطافوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد ) .

وقال تعالى : ( أنبئوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ) .

فهذه الآيات الثلاث دلت على أن الإِنباءُ نوع من أنواع العبادة التي يجسب إخلاصها - للباري جل و علا -

فالآية الأولى : وهي قوله تعالى ( وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ) الآية : فقد أوضح الله تعالى - فيها أن الإنسان الكافر بربه - سبحانه -

( ١ ) سورة الأنبياء آية : ٥٢ .

( ٢ ) الفوائد ص ١٩٠ .

( ٣ ) طريق المهجرتين ص ١٧٣ .

عندما ينزل به البلاء والشدة وتلحقه الضررة إما في نفسه ، أو طاله أو ولده فإنه يلجأ إلى الله - عز وجل - منيباً إليه ومستغيثاً به - وحده - ليكشف عنه ما نزل به ، وأصابه ، فإذا ما تفضل الله عليه بالنعم ، والعطاء والرخاء نسي - ربه - الذي أناب إليه وقت الشدة ونسي حاله التي كان عليها في حال الشدة فجعل لله الشركاء والأنداد فيعبدهم مع الله - عز وجل - أو يخصصهم دونه بالعبادة ليضل نفسه وبغيره عن دين الحق والتوحيد الذي هو الطريق الموصل إلى الله - سبحانه - .

قال العلامة ابن جرير: " يقول تعالى ذكره : " وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ بَلَاءٌ نَسِيَ جَسَدَهُ مِنْ مَرَضٍ ، أَوْ عَاقِبَةٍ ، أَوْ شِدَّةٍ فِي مَعِيشَتِهِ وَجَهْدٍ وَضِيقٍ ( دعا ربه ) يقول استغاث بربه الذي خلقه من شدة ذلك ورغب إليه في كشف ما نزل به من شدة ذلك ، وقوله ( منيباً إليه ) يقول : تائباً إليه ما كان من قبل ذلك عليه من الكفر به ، وإشراك الآلهة والأوثان في عبادته ، راجعاً إلى طاعته " أ. هـ ( ١ ) .

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى : ( والذين اجتنبوا الطغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشري فبشر عباد ) ، فهذه الآية : إخبار من الله - جل و علا - أن البشري منه إنما هي لأهل الإنابة الذي أنابوا إلى الله بعبادته وإخلاص الدين له فانصرفت دواعيهم عن عبادة الأصنام إلى عبادة الملك العلام ، ومن الشرك والمعاصي إلى التوحيد والطاعات والبشري التي ذكرها الله - تعالى - لأهل الإنابة لا يعلم وصفها إلا هو - سبحانه وتعالى - وهي شاملة للبشري في حياتهم الدنيا بالثناء الحسن ، وتكفلهم عناية الله التي يحسون من خلالها أنهم إذا قدموا على ربهم فلهم عنده الكرامة في الدار الآخرة بحيث يحل عليهم رضوانه وبره ، وإحسانه وأمانه في الجنة وما أعظمها من كرامة التي لا تساويها أي كرامة .

قال العلامة عطاء الدين ابن كثير: قال : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من أبيه ( والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ) نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر وسلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهم ، والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأُتِيَ إلى عبادة الرحمن فهو هؤلاء الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة " أ. هـ ( ١ ) ،

وأما الآية الثالثة : وهي قوله تعالى ( وأنهبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ) ،

فهذه الآية تضمنت الأمر من الله - تعالى - لجميع عباده بالإنابة إليه وحده دون سواه ، وأن يسلموا له أنفسهم وقلوبهم وينقادوا له انقياداً تاماً ظاهراً وباطناً عن طواعية ورضا قبل أن ينزل بهم العذاب فلا يجدون من ينصرهم من دونه ويدفع عنهم عقابه لأنه لا طاقة لأحد في مواجهة عذاب الله الذي يحل بالمتهمدين على أوامر الله ونواهيه .

قال العلامة ابن جرير: حول قوله تعالى ( وأنهبوا إلى ربكم وأسلموا له )

" يقول تعالى ذكره : وأقبلوا أيها الناس إلى ربكم بالتوبة وأرجعوا إليه بالطاعة واستجيبوا له إلى ما دعاكم إليه من توحيده ، وإفراد الألوهية له ، وإخلاص العبادة له . . . . . إلى أن قال : قال ابن زيد : الإنابة : الرجوع إلى الطاعة ، والنزوع عما كانوا عليه ( وأسلموا له ) يقول : وأخضعوا له بالطاعة " ( ٢ )

فتبين من الآيات الثلاث الواردة في السورة في شأن الإنابة ، أن الإنابة

نوع من أنواع العبادة يجب على العبد أن يحققها ويجعلها من خالص حقه

- تعالى - فلا ينسب إلا إلى ربه ، ولا يتوب إلا إليه لأن مغفرة الذنوب من

حقه - تعالى - وليس لأحد سواك من ذلك شيء .

( ١ ) تفسير القرآن العظيم ٦ / ٨٤ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥ / ٢٤٤ .

( ٢ ) جامع البيان ٢٤ / ١٧ .

الإِنبَاءُ نومان :

النوع الأول : إنباء لربوبيته - تعالى - وهي إنباء كل المخلوقات وهذا النوع مشترك بين المؤمن والكافر والبر والفاجر قال تعالى ( وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ) ( ١ ) فهذا عام في حق كل داع أصابه ضر كط هو الواقع وهذه الإنباء ليس من مستلزماتها الإسلام ، بل تجتمع مع الشرك والكفر كما جاء في تمام هذه الآية ( ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بط آتيناهم ) ( ٢ ) فهذه حالهم بعد الإنباء .

النوع الثاني : إنباء أولياء الله الموحدين المخلصين المنقادين وهي إنباء لالهيته ، إنباء عبودية ، ومحبة وهذه تتضمن أربعة أمور :-

الأمر الأول : محبة الله - تعالى .

الأمر الثاني : الخضوع له - سبحانه - ،

الأمر الثالث : الإقبال عليه دون سواه .

الأمر الرابع : الإعراض عطا سواه - تعالى - ولا يستحق اسم " المنيب " إلا

من اجتمعت فيه هذه الأمور الأربعة ، وتفسير السلف لهذه " اللفظة يدور على

ذلك ، وفي اللفظة معنى الإسراع ، والرجوع والتقدم و" المنيب " إلى الله

المسرع إلى مرضاته الراجع إليه كل وقت ، المتقدم إلى محابه " أ. هـ ( ٣ ) .

وعند ما نتصفح كتاب الله الذي أنزله الله موهبة للناس وشفاء لظ في الصدور

وهدى ، ورحمة لعباده المؤمنين نجد أن الإنباء أخص وصف أثنى الله به على

أنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وجعلها - سبحانه - من أبرز صفات عباده

الموحدين .

قال تعالى في معرض ثنائه على خليفه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ( إن إبراهيم

( ١ ) سورة الروم آية : ٣٣ .

( ٢ ) " " " : ٣٤ .

( ٣ ) مدارج السالكين : ١ / ٣٣٤ .

لحليم أوامه منيب ( ١ ) . فلقد وصف الله إبراهيم بثلاث صفات في هذه الآية  
آخرها الإناة .

وقال تعالى عن نبيه داود عليه الصلاة والسلام ( فاستغفر ربه وخر راكعا  
وأنا ) ( ٢ ) .

وفي هذه الآية أيضا : وصف الله نبيه داود عليه الصلاة والسلام بثلاث صفات  
آخرها الإناة .

وقال تعالى حكاية من نبيه شعيب عليه الصلاة والسلام ( ما توفيقى إلا بالله  
عليه توكلت وإليه أنيب ) ( ٣ ) ، وأخبر - تعالى - أن آية الدالة على ربوبيته  
وألوهيته إنما يتبصر بها ويتذكر أهل الإناة قال تعالى ( أفلم ينظروا إلى  
السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها  
وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل  
عبد منيب ) ( ٤ ) .

وقال تعالى ( هو الذي يرزقكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من  
ينيب ) ( ٥ ) .

وقال تعالى ( مخاطبا نبيه عليه الصلاة والسلام وأمه تبع له في ذلك ) فأقم  
وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله  
ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين إليه واتقوه وأقيموا  
الصلاة ) ( ٦ ) .

فقوله ( منيبين إليه ) في إعرابها وجهان :

- |                            |                                  |
|----------------------------|----------------------------------|
| ( ١ ) سورة هود آية : ٧٥ .  | ( ٢ ) سورة ص آية : ٢٤ .          |
| ( ٣ ) سورة هود آية : ٨٨ .  | ( ٥ ) سورة ( ق ) آية : ٨٦ .      |
| ( ٥ ) سورة غافر آية : ١٣ . | ( ٦ ) سورة الروم آية : ٣٠ ، ٣١ . |

الوجه الأول : إما أن تكون منوصبة على الحال من الضمير المستتر في قوله  
( فأقم وجهك ) إذ الخطاب له ولأمته أي أقم وجهك أنت وأمتك منيبين إليه  
ومثل هذا قوله تعالى ( يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ( ١ ) .

الوجه الثاني : أن تكون حالا من المفعول في قوله تعالى ( فطر الناس عليها )  
أي فطرهم منيبين إليه فلو تركوا وفطرهم لما حادت عن الإنابة ولكنها تنحرف  
وتتغير عما فطرت نهيجة للمؤثرات الخارجية . قال صلى الله عليه وسلم ( كل مولود  
يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، أو يمجسانه ) ( ٢ ) وقوله عليه  
الصلاة والسلام قال الله تعالى : ( خلقت عبادي حنفاءً كلهم وأنتهم  
الشياطين فاجتالهم عن دينهم ) ( ٣ ) وقال صلى الله عليه وسلم : ( ما من  
مولود الا يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فإذا أعرب عنه لسانه إما  
شاكرا وإما كفورا ) ( ٤ ) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : فالنفس إذا تركت مقررة لله <sup>كانت</sup>  
بالإلهية محبة تبعده لا تشرك به شيئا ولكن يفسدها ما يزين لها شياطين  
الإنس والجن بط يوحى بعضهم إلى بعض عن الباطل " أ . هـ ( ٥ ) .  
ولقد أعلمنا - سبحانه - أن ثوابه العظيم وجنته التي فيها ملا عين رأت ولا  
أذن سمعت إنما هي لأهل الخشية والإنابة قال تعالى : ( وأزلفت الجنة  
للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشى الرحمن بالغييب ،  
وجاءه بقلب منيب أَدْخَلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ) ( ٦ ) .

#### البخارى

( ١ ) سورة الطلاق آية : ١ .

( ٢ ) رواه البخارى ومسلم من حديث أبي هريرة ج ١ / ٢٤٠ / ١ وصحيح مسلم ٢٠٤٧/٤ .

( ٣ ) رواه مسلم من حديث عياض بن حماد المجاشعي : ٢١٩٢ / ٤ .

( ٤ ) رواه أحمد من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه : ٣٥٣ / ٣ .

( ٥ ) مجموع الفتاوى : ٢٩٦ / ١٤ .

( ٦ ) سورة ( ق ) آية : ٣١ - ٣٤ .



ومن علامة إسعاد الله - تعالى - عبده أن يرزقه الإجابة والرجوع إليه سبحانه - ، ومن علامة الشقاوة للعبد أن يفويه الشيطان فيكون مصحبا بعمله ولا ينيب إلى ربه روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله - تعالى - عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد وأن من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله الإجابة " ( ١ ) .

### مراتب الناس في الإجابة :

إن الناس على مراتب في إجاباتهم إلى الله - تعالى - وأنهم فيها على درجات متفاوتة ، فهم متنوعون في رجوعهم إلى ربهم الذي خلقهم ورزقهم من حيث الدافع لهم وهم أقسام .

القسم الأول : من ينيب إلى الله - سبحانه - بالرجوع إليه من المخالفات والمعاصي وهذه الإجابة منبها مطالعة الوعيد الذي أعده الله للمخالفين العصاة والباعث عليها العلم والخشية والحذر .

القسم الثاني : من الناس من ينيب إلى الله - عز وجل - بالدخول في أنواع العبادات ، والقربات فهذا الصنف يسمى بجد واجتهاد لأن فعل الطاعات وأنواع القربات محبب إليه ، وهذه الإجابة مصدرها الرجاء ومطالمة الوعد ، والثواب ومحبة الكرامة من الرب - سبحانه - وهذا الصنف من الناس هم أبسط نفوسا وأشرح من القسم الأول لأن جانب الرجاء ومطالمة الرحمة والمنة أغلب عليهم وإلا فكل من الفريقين ينيب إلى الله بالأمرين معا ولكن خوف هؤلاء دخل في رجائهم ، فأناجوا إلى الله بالعبادات وأنواع القربات والطاعات ، ورجاء الفريق الأول اندرج تحت خوفهم فكانت إجاباتهم إلى الله بترك المخالفات .

( ١ ) المسند ٣ / ٣٣٢ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥ / ٢٧٠ .

القسم الثالث: من الناس من يندب إلى الله بالدعاء والتضرع والإفتقار إليه والرغبة وسؤال الحاجات كلها منه ومصدر هذه الإناة أنهم شهدوا الفضل والمنة والغنى والقدرة والكرم فأنزلوا بالله حوائجهم وعلقوا به آمالهم فأنابتهم إلى الله من هذه الجهة مع قيامهم بالأمر والنهي ، ولكن إنايتهم الخاصة إنما هي من هذه الجهة ، وأما الأعمال التي يعملونها ، فلم يبرزوا فيها إلا إناة الخاصة ، وأملهم الإناة إلى الله عند الشدائد والضراء فقط ، فأنابتهم اضطرارية لا إناة اختيارية ورغبة وحالهم كحال الذين قال الله تعالى في شأنهم ( وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ) ( ١ ) وقوله تعالى ( فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ) ( ٢ ) وهؤلاء كلهم قد تكون نفس أرواحهم منصرفة عن الخالق - سبحانه - معرضة عنه إلى ملوف طبيعياتي نفساني صارحاً فلا بينها وبين إنايتها بذاتها إلى معبودها الحق وإلهها الحق فهي ملتفتة إلى غيره ، ولها إليه إناة بحسب ما عندها من الإيطان بالله ومعرفته به ، فأبداً أنواع الإنايات إناة الروح بجملتها لشدة المحبة الخاصة المغنية لهم عما سوى محبوبهم ومعبودهم ، وحين أنابت إلى أرواحهم لم يتخلف منهم شيء من الإناة فإذا أناب العبد إلى ربه بروحه إناة صادق المحبة فإن جميع قواه وجوارحه ستكون منبهة إلى الله تبعاً لروحه .

فينيب القلب : بالمحبة والتضرع والذل والإنكار .

وينيب العقل : بانفعاله لأمر المحبوب ونواهيه وتسليمه لها وتحكيمه إياها

دون غيرها ، فلم يبق فيه منازعة شبيهة معترضة دونها .

( ١ ) سورة الاسراء آية : ٦٧ .

( ٢ ) سورة العنكبوت آية : ٦٥ .

وتنيب النفس : بالانقياد والالتحاق عن العوائد الفسادية والأخلاق السيئة والإرادات القاسدة ، فتتقصد لأوامر الله ، وتخضع له فلم يبق فيها منازعة شهوة تعترضها دون الأمر .

وتنيب الجسد : في الأعطال ويقوم بها فرائض وسنننا على أكمل الوجوه فلم يبق في العبد عضولا جارحة إلا وأناب إنايته الخاصة فعند ذلك لم يبق في العبد المنيب هذه الإناية عرق ولا مفصل إلا وله إناية ورجوع إلى الحبيب الحق الذي كل محبة سوى محبته عذاب على صاحبها ، وإن كانت عذبة في مباديها فانها عذاب في عواقبها " ( ١ ) .

وخلاصة القول ما تقدم أن من المقطوع به يقينا أنه لا يوجد في الخليق أجمعين من يعطى ، أو يمنع ، أو ينفع ، أو يضر إلا بأذن الله ، ولا من يسمد أو يشقى إلا الله ، فعلى هذا يكون من غير المعقول ولا المقبول أن ينيب العبد إلى غير الرب - سبحانه وتعالى - رغبة ، أو رهبة ، خوفا أو طمعا ، ولو حصل ذلك كانت الإناية إلى غير الله - سبحانه - وتعالى باطلا وشركا ، وكان من أناب إلى ذلك الغير ابتغاء حصول غير منه ، أو خائفا من سخطه ، أو عقابه ، فقد أشرك مع الله غيره فيما هو من خالص حقه - سبحانه - وتعالى . .

نسأل الله السلامة من ذلك .

---

( ١ ) أنظر طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ١٧٣-١٧٤ بتصرف .

## ( المبحث الحادي عشر )

## عبودية التوكُّل

قبل أن أذكر دلالة السورة على عبودية التوكُّل أذكر تعريفه في اللغة والإصطلاح كما هو الشأن في المباحث التي تقدمت ولكي يفهم الإنسان - التوكُّل - الذي فرضه الله على جميع عباده وأمرهم أن يخلصوه له - وحده لا شريك له .  
أط تعريفه في اللغة :

فقد جاء في الصحاح : " التوكُّل : إظهار العجز والإعتداد على غيرك والإسم التكلان ، واتكلت على فلان في أمري إذا اعتمدت ( ١ ) .  
وفي اللسان : المتوكِّل على الله : الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكَّل على غيره وذكر فيه عن ابن سيدة أنه قال : " وكل بالله ، وتوكَّل عليه ، . . . واتكل استسلم إليه ، وتكرر في الحديث ذكر التوكُّل ، يقال : توكَّل بالأمر إذا ضمن القيام به ووكلت أمري إلى فلان أي : أجاته إليه واعتمدت فيه عليه ، ووكَّل فلان فلانا إذا استكفأه أمره ثقة بكفايته ، أو عجزا عن القيام بأمر نفسه ، ووكَّل إليه الأمر سلَّه ، ووكَّل إليه رأيه وكلا ووكولا تركه " أ. هـ ( ٢ ) .  
وجاء في المصباح المنير : وكلت الأمر إليه " وكلا " ووكولا فوضته إليه ، واكتفيست به . . . . . وتوكَّل على الله اعتمد عليه ووثق به " أ. هـ ( ٣ ) .

( ١ ) ١٨٤٥ / ٥ ، وانظر القاموس ٦٧ / ٤ .

( ٢ ) لسان العرب ٧٣٤ / ١١ ، وانظر فتح الباري " ٣٠٥ / ١١ ، تيسير

العزیز الحمید ص ٤٣٧ .

( ٣ ) ٦٧٠ / ٢ .

وأما تعريفه اصطلاحاً :

فمن خلال معرفة التوكل في اللغة نعريف حقيقة التوكل اصطلاحاً فالتوكل على الله : هو الثقة به ، والإعتماد عليه ، وتفويض الأمور إليه ، والإستعانة به في كل شأن ، والإيقان بأن قضاءه نافذ ، والسعي فيط لا بد منه من المطعم والملبس والسكن والإحتراس من العدو و مطلوب كما هو منهج الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

قال العلامة ابن القيم معرفة التوكل :

" هو اعتقاد القلب على الله وحده ، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب

من الإعتماد عليها ، والركون إليها ، كما لا ينفعه قوله : توكلت على الله

مع اعتماده على غيره وركونه إليه ، وثقته به ، فتوكل اللسان شيء ، وتوكل القلب

شيء ، كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب شيء ، وتوبة القلب وإن لم ينطق

اللسان شيء فقول العبد : توكلت على الله ، مع اعتقاد قلبه على غيره مثل قوله

" تبت إلى الله ، وهو مصر على معصيته مرتكب لها " أ . هـ ( ١ ) .

ولقد دلت السورة على أن التوكل عبادة تمجد الله به عباده وأمرهم بأن يعتمدوا

عليه وحده دون سواه في آيتين منها :

قال تعالى ( أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضل الله

فط له من هاد ) .

وقال تعالى ( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرايتم

ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني

برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ) .

هاتان الآيتان : من السورة بينتا أن الله - تعالى - هو الكافي وهو الذي

يتوكل عليه وحده لا شريك له .

فَالآيَةُ الْأُولَى : وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى ( أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ) الْآيَةُ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا بِأَنَّهُ سَيَكْفِي عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ مَا أَمَّهُ فِي أَمْرٍ دِينِهِ وَدُنْيَاهِ وَيُدْفَعُ عَنْهُ كُلُّ مَنْ أَرَادَهُ بِسَوْءٍ كَأَنَّا مَنْ كَانَ وَطَدَامَ اللَّهُ هُوَ الْكَافِي لِعَبْدِهِ فَمِنَ الضَّلَالِ وَالغَيِّبِ أَنْ يَخَوْفَهُ الْمُشْرِكُونَ بِأَصْنَافِهِمْ وَأُوثَانِهِمْ أَنْ تَنَالَهُ بِسَوْءٍ إِذْ أَنَّهَا حُدُودَاتٌ لَا تَقْدِرُ عَلَى جَلْبِ نَفْعٍ ، أَوْ وَدْفَعِ ضَرِّ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ .

قال ابن جرير: اختلفت القراءة في قراءة ( أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ) فقرأ ذلك بعض قراء المدينة وقرأ عامة قراء الكوفة ( أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ) على الجمع بمعنى أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ مُحَمَّدًا وَأَنْبِيَاءَهُ مِنْ قَبْلِهِ مَا خَوْفُهُمْ أَمَمَهُمْ مِنْ أَنْ تَنَالَهُمُ آلِهَتُهُمْ بِسَوْءٍ . . . . . وبعض قراء الكوفة ( بكاف عبده ) على التوحيد بمعنى : أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ مُحَمَّدًا . . . . . إِلَى أَنْ قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ ( أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ) قَالَ : بَلَى ، وَاللَّهُ لِيَكْفِيَنَّهُ اللَّهُ وَيَمْرُؤُهُ وَيَنْصُرُهُ كَمَا وَعَدَهُ . هـ ( ١ ) وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : ( أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ) وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ ( عِبَادَهُ ) يَعْنِي أَنَّهُ تَعَالَى - يَكْفِي مِنْ عَبْدِهِ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ " أ . هـ ( ٢ ) .

وقال أبو عبد الله القرطبي : وقراءة العامة " عبده " بالتوحيد يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم يكفيه الله ويهدى المشركين ويكيدهم ، وقرأ حمزة والكسائي " عباده " وهم الأنبياء أو الأنبياء والمؤمنون بهم " أ . هـ ( ٣ ) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى ، فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ : ( قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ) أَمْرًا لِلَّهِ نَبِيَّهُ بِأَنْ يَقُولَ : لِلْمُشْرِكِينَ بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَ بِالْأَدْلَى الْقَاطِعِ عَلَى أَنَّهُ وَحْدَهُ الْمَعْبُودُ وَأَنَّ الْخَالِقَ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ النَّافِعَ ، الضَّارَّ وَحْدَهُ وَأَنَّ غَيْرَهُ عَاجِزٌ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ عَنِ الْخَلْقِ وَالنَّفْعِ وَالضَّرِّ مُسْتَجْلِبًا كَفَافَتَهُ وَمُسْتَدْرَفًا مَكْرَ الْمُشْرِكِينَ وَكَيْدَهُمْ ( قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ) أَي : عَلَيْهِ يَعْتَمِدُ

( ١ ) جامع البيان ٢٤ / ٥ - ٦ .

( ٢ ) تفسير القرآن العظيم ٦ / ٩٤ .

( ٣ ) الجامع لأحكام القرآن ٤٥ / ٢٥٧ .

المعتمدون في جلب المصالح ودفع المضار قاله هو الذي بيده وحده الكفاية هو حسبي سيكفيني كل ما أهميتي وط لا أهتم به .

قال ابن جرير : فقل حسبي الله ما سواه من الأشياء كلها إياه أعبد وإليه أفزع في أموري دون كل شيء سواه فإنه الكافي بيده الضر والنفع لا إلى الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع ( عليه يتوكل المتوكلون ) يقول : على الله يتوكل من هو متوكل وبه فليثق لا بخيره " أ. هـ ( ١ ) .

وقال الرازي : حول الآية : " وإذا ثبت أن هذه الأصنام لا قدرة لها على الخير والشر ، وإذا كان الأمر كذلك كانت عبادة الله كافية ، وكان الإعتداد عليه كافيا وهو المراد من قوله ( قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ) فإذا ثبت هذا الأصل لم يلتفت العاقل إلى تخويف المشركين فكان المقصود من هذه الآية هو التنبيه على الجواب فط ذكره الله تعالى قبل هذه الآية وهو قوله - تعالى - ( ويخوفونك بالذين من دونه ) أ. هـ ( ٢ ) .

وما تقدم يتبين لنا أن المشركين لو حكموا عقولهم في شأن أصنامهم لعرفوا أن تخويفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بها لا قيمة له ولا معنى ، إذ هم يعلمون أنها لا تقدر على جلب النفع ولا تدفع الضر بحال ولذلك جاء الوحي الإلهي بأنه لا كافي إلا الله ، ولا قادر على كل شيء سواه ، ولا عالم بكل شيء غير ، وبذلك كان التوكل على غير الله باطلا وشركا فالسورة بينت بأن الكفاية لله وحده والاعتداد عليه دون سواه لأنه القادر على كل شيء والمحيط بكل شيء عطا .

( ١ ) جامع البيان ٢٤ / ٧ .

( ٢ ) التفسير الكبير ٢٦ / ٢٨٢ .

ولقد فرض الله التوكل على عباده وأوجب عليهم أن يخلصوه له وحده لا شريك  
الله لأنه من أفضل العبادات ومن أجل مقامات الدين ولا يوفق للقيام به  
على وجه الكمال إلا أولياؤالله وحزبه المؤمنون ومط يدل على فرضيته أن الله  
- تعالى - أمر به في مواضع كثيرة من كتابه المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال - تعالى - ( وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ) ( ١ ) .

قال ابن القيم : فجعل التوكل على الله شرطا في الإيمان قد دل على انتفاء  
الإيمان عند انتفائه . أ . هـ ( ٢ ) .

قال صاحب قرّة عيون الموحدين ( ٣ ) حول شرحه للآية السابقة ( وأراد المصنف  
بهذه الترجمة بالآية بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله لأنه من أجمع  
أنواع العبادة الباطنة فإن تقديم المعمول يفيد الحصر فلا يحصل كمال التوحيد  
بأنواعه الثلاثة بكمال التوكل على الله كما في هذه الآية . أ . هـ ( ٤ ) .

ومط دل على فريضة التوكل أن المولى سبحانه - جعله من شروط صحة الإسلام  
والإيمان ، والمفهوم من ذلك انتفاء الإسلام ، والإيمان عند عدم التوكل قال  
الله تعالى فيط حكاة عن نبيه موسى عليه السلام ( وقال موسى يا قوم إن كنتم

آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ) ( ٥ ) .

وقال تعالى ( وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ) ( ٦ ) .  
فها تان الإيمان دلنا على أن صحة الإسلام والإيمان متوقفة على صحة التوكل .

وقال تعالى ( فتوكل على الله إنك على الحق المبين ) ( ٧ ) .

وهذه الآية فيها الأمر بالتوكل على الله ، وأردف هذا الأمر هو الموجب  
للتوكل والمصحح له وذلك ما تضمنه قوله تعالى ( إنك على الحق المبين ) فإن

( ١ ) سورة الطّٰدة : ٢٣ .

( ٢ ) طريق الهجرتين ص ٢٥٥ .

( ٣ ) هو عبد الرحمن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله تعالى -

( ٤ ) قرّة عيون الموحدين ص ٢٠٤ .

( ٥ ) سورة يونس آية : ٨٤ .

( ٦ ) سورة الطّٰدة آية : ٢٣ .

( ٧ ) سورة النمل آية : ٧٩ .



ثالثها : ما حكاه الله عن أوليائه وعباده المؤمنين حيث قالوا : ( ربنا علمك  
توكلنا وإليك أنبنا واليك المصير ) ( ١ ) .

رابعها : قول الباري - سبحانه - مخاطبا خاتم الأنبياء والمرسلين ( واذكر  
اسم ربك وتبتل إليه تبتلا . رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذ وكلا )  
( ٢ )

خامسها : قوله تعالى ( ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده  
وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ) ( ٣ ) .

سادسها : قوله - سبحانه وتعالى - ( فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا  
بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ) ( ٤ ) .

سابعها : قوله تعالى ( قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ) ( ٥ )  
فهذه سبعة مواضع جمع الله فيها بين الوسيلة والغاية فالوسيلة هي التوكل  
والغاية هي الإجابة ، فإن الإنسان لا بد له من غاية يطلبها ، ووسيلة توصله إلى  
تلك الغاية ، وأشرف غاية للإنسان وأجلها في هذه الحياة هي أن يعبد ربه  
وينيب إليه ، ومن أعظم الوسائل التي لا وسيلة سواها البتة أن يتوكل العبد  
على الله ويستعين به ، ولا سبيل له إلى تحقيق عبودية الله والإجابة إليه إلا  
بهذه الوسيلة .

وأما الجمع بين التوكل والإيمان فكقوله - سبحانه وتعالى - ( قل هو الرحمن  
آمنا به وعليه توكلنا فستسلمون من هو في ضلال مبين ) ( ٥ ) .  
وقوله ( أله لا إله هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) ( ٦ ) .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : " فذكر اسم الإيمان هنا دون سائر  
أسمائهم دليل على استدعاء الإيمان للتوكل ، وأن قوة التوكل وضعفه

- |                               |                               |
|-------------------------------|-------------------------------|
| ( ١ ) سورة المتحنة آية : ٤    | ( ٢ ) سورة المزمل آية : ٨-٩ . |
| ( ٣ ) سورة هود آية : ١٢٣ .    | ( ٤ ) سورة الحج آية ٧٨ .      |
| ( ٥ ) سورة الرعد آية : ٣٠ .   | ( ٦ ) سورة الطك آية : ٢٩ .    |
| ( ٧ ) سورة التغابن آية : ١٣ . |                               |

بحسب قوة الايمان وضعفه وكلما قوي ايمان العبد كان توكله أقوى ، وإذا ضعف الايمان ضعف التوكل ، وإذا كان التوكل ضعيفا فهو دليل على ضعف الايمان ولا بد " أ. هـ ( ١ ) .

وأما الجمع بين التوكل والإسلام : فمثل قوله تعالى : ( وقال موسى لقومه يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ) ( ٢ ) .

ومثال الجمع بين التوكل والتقوى : ففي قوله تعالى ( ومن يتق الله يجعل له

مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ) ( ٣ ) .

وأما اقتران التوكل بالهداية ففي قول رسل الله عليهم الصلاة والسلام لأمتهم

( وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ) ( ٤ ) .

فالعبد إذا سلك طريق الحق والهدى يكون قويا في توكله على ربه - تبارك وتعالى -

ومن اعتمد على ربه كفاه كل ما أهمه وما لم يهده قال تعالى ( يا أيها النبي حسبك

الله ومن اتبعك من المؤمنين ) ( ٥ ) " أي : الله وحده كافيك وكافي أتباعك

فلا تحتاجون معه إلى أحد .

وقيل : المعنى حسبك الله وحسبك المؤمنون ، وهذا خطأ محض لا يجوز حمل

الآية عليه فإن الحسب والكفاية لله - وحده - كالتوكل والتقوى والعبادة قال

تعالى ( وإن يردوا أن يخذلوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره

وبالمؤمنين ) ( ٦ ) .

ففرق بين الحسب والتأييد فجعل الحسب له وحده وجعل التأييد له بنصره

وبعباده ، وأثنى على أهل التوحيد من عباده حيث أفردوه بالحسب فقال تعالى

( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا

حسبنا الله ونعم الوكيل ) ( ٧ ) .

- |                                 |                                 |
|---------------------------------|---------------------------------|
| ( ١ ) طريق الهجرة ص ٢٥٥ .       | ( ٢ ) سورة يونس آية : ٨٤ .      |
| ( ٣ ) سورة الطلاق آية : ٣-٢ .   | ( ٤ ) سورة ابراهيم آية : ١٢ .   |
| ( ٥ ) سورة الأنفال آية : ٦٤ .   | ( ٦ ) سورة آل عمران آية : ١٧٣ . |
| ( ٧ ) سورة آل عمران آية : ١٧٣ . | ( ٧ ) سورة الأنفال آية : ٦٢ .   |

ولم يقولوا: حسبنا الله ورسوله فإذا كان هذا قولهم ومدح الرب - تعالى - لهم بذلك فكيف يقول لرسوله : الله وأتباعك حسبك ؟ وأتباعه قد أفردوه بالحسب ولم يشركوا بينه وبين رسوله صلى الله عليه وسلم هذا من أمحل المحال وأبطل الباطل ، ونظير هذا قوله تعالى : ( ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون ) ( ١ ) وتأمل كيف جعل الإيتاء لله ولرسوله كما قال تعالى ( وما آتاكم الرسول فخذوه ) ( ٢ ) وجعل الحسب وحده فلم يقل : وقالوا حسبنا الله ورسوله بل جمعه خالص حقه كما قال تعالى ( إنا إلى الله راغبون ) ( ٣ ) ولم يقل وإلى رسوله بل جعل الرغبة إليه - وحده - كما قال تعالى ( فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب ) ( ٤ ) فالرغبة ، والتوكل والإيتاء ، والحسب لله - وحده - كما أن العبادة والتقوى والسجود لله - وحده - والنذر والحلف لا يكون إلا له - سبحانه وتعالى " أ.هـ ( ٥ ) .

أقسام التوكل على الله - تعالى - :

التوكل على الله - تعالى - نوهان :

أحدهما : توكل عليه في جلب حوائج العبد وحفظه من نهيبة أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية . وهذا النوع وإن لم تكن فائته المطلوبة عبادة لأنها محض حق العبد إلا أن التوكل على الله يحصلها عبادة لأن العبد أنشأها لمصلحة دينية ودنيوية .

( ٢ ) سورة الحشر آية : ٧ .

( ٤ ) سورة الانشراح آية : ٧-٨

( ١ ) سورة التوبة آية : ٥٩ .

( ٣ ) سورة التوبة آية : ٥٩

( ٥ ) زاد المعاد ١/١٦-١٧ .

**الثاني:** التوكل عليه في حصول ما يحبه هو ورضاه من الإيثار واليقين والجهاد والدعوة إليه . فغاية هذا النوع عبادة وهو في نفسه عبادة فإن العبد استعان بالله على ما يرضيه فصاحبه متحقق بإيثاره وعبادته ويستعين فمن تركه فقد ترك شطر دينه . ، وبين هذين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله تعالى . فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله كفاه النوع الأول تطام الكفاية ومتى توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضا ، لكن لا يكون له طاقبة المتوكل فيط يحبه ورضاه ، فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل ، فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم " ( ١ ) .

وأما التوكل على غير الله - تعالى - فهو أيضا نوان :

**أحدهما :** التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله كالذين يتوكلون على الأموات والغائبين فعبي رجاء تحقيق المطالب من الرزق والنصر والحفظ والشفاة فهذا من الشرك الأكبر الذي لا يغفر إلا بالتوبة النصوح .

**الثاني :** التوكل على الأحياء الحاضرين من ولاة الأمور ونحوهم فيط لهم قدرة عليه من رزق أو دفع أذى ونحو ذلك فهذا جائز لأنه في الأسباب العادية الظاهرة وهو أيضا نوع شرك أصغر . والوكالة الجائزة هي توكيل الإنسان أخاه في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه ولكن ليس الإعتقاد عليه في حصول ما وكل فيه بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها ولا يعتمد عليه بل يعتمد على السبب الذي أوجد السبب والمسبب " ( ٢ ) .

( ١ ) الفوائد ص ٨٥-٨٦ ، طريق الهجرتين ص ٢٦٢ .

( ٢ ) تيسير الهمزيز الحميد ص ٤٣٩ ، وانظر قرة عيون الموحدين ص ٢٠٥ وانظر فتح المجيد ص ٢٩٠ . ط : السلفية .

وللتوكل على الله تعالى - فضل عظيم وثواب جليل في الدنيا والآخرة وقد جاء في الكتاب والسنة الكثير من ذلك .

فمن فضائله أن صاحبه موسوم بمحبة الباري - سبحانه وتعالى - وأكرم بمقام موسوم صاحبه بمحبة الله - عز وجل - قال تعالى ( فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ) ( ١ ) ، ومن أحبه الله - تعالى - ناله كل خير ، ومن أبغضه فأبغض الله له كل شر .

ومن فضائله أن الله - تعالى - ضمن الكفاية لمن توكل عليه .

قال تعالى ( ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ) ( ٢ ) ومن كان الله حسبه وكافيه ومراعيه فقد ظفر بفوز عظيم ، قاله وحده هو الذي تطلب منه الكفاية - وحده - ومن طلبها من غير الله الخيبة والخسران .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :-

" والتوكل عليه هو الاستعانة به فمن يتق الله مثل ( إياك نعبد ) ومن يتوكل عليه مثل ( إياك نستعين ) كط قال تعالى ( فاعبده وتوكل عليه ) ( ٣ ) وقال ( عليك توكلنا وإليك أنبنا ) ( ٤ ) . . . . . إلى أن قال : وأط التوكل فبين أن الله حسبه أي : كافيه ، وفي هذا بيان التوكل على الله من حيث أن الله يكفي المتوكل عليه كط قال : ( أليس الله بكاف عبده ) خلافا لمن قال : ليس في التوكل إلا التفويض والرضا " أ . هـ - ( ٥ ) .

( ٢ ) سورة الطلاق آية : ٣ .

( ١ ) سورة آل عمران آية : ١٥٩ .

( ٤ ) سورة الممتحنة آية : ٤ .

( ٣ ) سورة هود آية : ١٢٣ .

( ٥ ) مجموع الفتاوى ١٦ / ٥٥ - ٥٦ .

وعلى هذا نقول : فمن كفاه الله - تعالى - ووقاه فلا يكون هناك سبيل  
لعدوه في أن يطمع في الأضرار به ، أو التنكيل به لأنه جعل الله ملجأه ومعاضه  
فهو الذي يكفيه كل مهمة ويصرف عنه كل بلية .

قال ابن القيم : رحمه الله تعالى : " وأخبر : أن كفايته لهم مقرونة بتوكلهم  
عليه وأنه كاف من توكل عليه وحسبه وجعل لكل عمل من أعطال البر ومقام من  
مقاماته جزاء معلوما ، وجعل نفسه جزاء المتوكل عليه وكفايته فقال ( ومن يتق  
الله يجعل له مخرجا ) ( ١ ) . ( ومن يتق الله يكفر منه سيئاته ) ( ٢ ) ( ومن  
يتق الله يجعل له من أمره يسرا ) ( ٣ ) . . . . . ثم قال في التوكل ( ومن يتوكل  
على الله فهو حسبه ) ( ٤ ) فانظر إلى هذا الجزاء الذي حصل للمتوكل ولم  
يجعله لغيره ، وهذا يدل على أن التوكل أقوى السبل عنده وأحبها إليه  
وليس كونه وكل الأمور إلى نفسه لأن العبد إذا علم ذلك وتحققه معرفة :  
صارت حاله التوكل قطعا على من هذا شأنه لعله بأن الأمور كلها موكولة  
إليه ، وأن العبد لا يملك شيئا منها " أ. هـ ( ٥ ) .

ومن فضائله أنه من صفات أولياء الله وخاصته وهم المؤمنون به حقا : وفي  
مقدمتهم أنبأهم الله ورسله قال تعالى : ( إننا المؤمنون الذين إذا ذكر الله  
وجلّت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إبطانا وعلى ربهم يتوكلون ) ( ٦ )  
فهذه الآية فيها دليل على انحصار المؤمن الكمل فيمن تلبس بهذه الصفة .  
قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية : " المنافقون لا يدخل في قلوبهم  
شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه ، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ، ولا  
يتوكلون على الله ، ولا يصلون إذا غابوا ، ولا يؤدون زكاة أموالهم ، فأخبر

( ١ ) سورة الطلاق آية : ٢ . ( ٢ ) سورة الطلاق آية : ٥ .

( ٣ ) سورة الطلاق آية : ٤ . ( ٤ ) سورة الطلاق آية : ٣ .

( ٥ ) مدارج السالكين ٢ / ١٢٨ .

( ٦ ) سورة الأنفال آية : ٢ .

الله أنهم ليسوا بمؤمنين ، ثم وصف المؤمنين فقال : ( انط المؤمنون الذين إذا  
ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ) .

يقول : تصديقا : ( وعلى ربهم يتوكلون ) يقول : لا يرجون غيره " أ. هـ ( ١ )

يقول :  
وقوله تعالى ( وعلى ربهم يتوكلون ) يبين بأن المؤمنين لا يعتمدون بقلوبهم

إلا على ربهم ويفوضون إليه جميع أمورهم ، فلا يرجون سواً ولا يقصدون إلا إياه  
ولا يرغبون إلا إليه مع يقينهم بأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه صاحب  
التصرف في الملك وحده والمستحق للعبادة دون سواه .

وقال في " فتح المجيد " : وفي الآية وصف المؤمنين حقا بثلاث مقامات من

مقامات الإحسان وهي : الخوف ، وزيادة الإيمان ، والتوكل على الله وحده

وهذه المقامات تقتضي كمال الإيمان ، وحصول أعماله الباطنة والظاهرة " أ. هـ ( ٢ )

وقال تعالى في وصفه رسله وأنبيائه بالتوكل عليه :

( وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ) ( ٣ ) دلت هذه الآية على

أن الجمع بين التوكل والهداية من تحقيق الإيمان ، ومصيبة الإنسان من

عدم الهداية من عدم توكله على الله ، كما دلت أيضا على أن الرسل عليهم

الصلاة والسلام كان حالهم التوكل على الله وحده ، والقرآن مطوياً بذكر التوكل

إما أمراً به ، وإما إخباراً عن خاصة الله وأوليائه وهم المؤمنون بأنهم حققوا

عبودية التوكل ، وقد أمر الله نبيه وخاتم رسله بالتوكل عليه في مواضع كثيرة

من كتابه وسماه التوكل كما روى ذلك البخاري من حديث عبد الله بن عمرو

رضي الله عنهما أن هذه الآية التي في القرآن ( يا أيها النبي إنا أرسلناك

شاهداً ومبشراً ونذيراً ) ( ٤ ) قال : في التوراة يا أيها النبي إنا أرسلناك

( ١ ) جامع البيان ١٧٨/٩ - ١٧٩ .

( ٢ ) ص ٣٦٣ .

( ٤ ) سورة الأحزاب آية : ٤٥ .

( ٣ ) سورة إبراهيم آية : ١٢ .

شاهدا ومبشّرا وحرزا للأُميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بلفظ  
 ولا غليظ (١) ولا سخاب (٢) بالأسواق . . . . " الحديث (٣) .  
 وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن السبعين الألف الذين يدخلون الجنة  
 بلا حساب ولا عذاب بأن لهم النصيب الأوفر في تحقيق مقام التوكل .  
 روى البخاري في صحيحه بإسناده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما  
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يدخل الجنة من أممته سبعون  
 ألفا بغير حساب : هم الذين لا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون<sup>(٤)</sup>  
 قال ابن القيم رحمه الله تعالى حول هذا الحديث : " إن النبي صلى الله  
 عليه وسلم جعل الوصف الذي يستحق به هؤلاء : دخول الجنة بغير  
 حساب هو تحقيق التوحيد وتجريده فلا يسألون غيرهم أن يرقّيهم ولا يتطيرون  
 وعلى ربهم يتوكلون ، والظيرة نوع من الشرك ، ويتوكلون على الله وحده لا على  
 غيره وتركهم الإِشترقا<sup>٥</sup> والتلّير هو من تمام التوكل على الله " أ. هـ (٥) .  
 وجاء في : . . . قرة عيون الموحدين عقب قوله صلى الله عليه وسلم (هم الذين  
 لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون" أي : لا يطلبون الرقية من أحد  
 ولا يكتبون إذا كان فيهم ط يشتقى بالكى منه ، ولا يتطيرون ، والظيرة شرك  
 فتركوا الشرك رأساً ولم ينزلوا حوائجهم بأحد فيسألوه الرقية فط فوقها وتركوا  
 الكي ، وإن كان يراد للشفاء ، والحامل لهم على ذلك قوة توكلهم على الله  
 وتفويضهم أمورهم إليه ، وأن لا تتعلق قلوبهم بشيء سواه في ضمن ط دبره  
 وقضاه ، فلا يرغبون إلا إلى ربهم ، ولا يرهبون سواه ، ويعتقدون أن ما  
 أصابهم بقدره واختياره لهم فلا يفزعون إلا إليه وحده في كشف ضرهم

- (١) اللفظ : سيء الخلق وفلان أفظ من فلان أي أصعب خلقاً - والمراد هنا  
 أنه صلى الله عليه وسلم رفيق بأمتة في التبليغ غير فظ ولا غليظ النهاية ٤٥٧٣  
 (٢) السَّخْبُ والصَّخْبُ : بمعنى الصباح . النهاية ٣٤٩/٢ .  
 (٣) صحيح البخاري ١٩٩/٣ - ١٩٠ ، المسند ١٧٤/٢ .  
 (٤) صحيح البخاري مع الفتح ٣٠٥/١١ .  
 (٥) حادي الأرواح ص ٨٩ .

- (١) قرة عيون الموحدين ص ٣٦ ولاية رقم (٨٦) من سورة يوسف .  
 (٢) ص ٨٦ .  
 (٣) صحيح البخاري مع الفتح ٣٦٨/١٣ - ٣٦٩ ، صحيح مسلم ٢٠٨٦/٤ ،  
 المسند ٣٠٢/١ .



وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ( ١ ) .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب :

قوله : " وقالها محمد صلى الله عليه وسلم . . . الخ وذلك بعد ما كان من أمر أحد ما كان بلغ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن أبا سفيان ومن معه قد أجمعوا الكرة عليهم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم " ومعه جماعة مسنن الصحابة حتى انتهى إلى حمراء الأسد وهي من المدينة على ثلاثة أميال - ثم ألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان ، فرجع إلى مكة ومر به ركب من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ فقالوا : نريد المدينة قال : فهل أنتم مبلغون عن محمد رسالة أرسلكم بها إليه قالوا نعم : قال فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتكم فمرَّ الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه : فقال : (

حسبنا الله ونعم الوكيل ) ( ٢ ) .

وروى الترمذي في جامعه عن عمر مرفوعا : لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تفد وخطا وتروح بطانا " أ. هـ ( ٣ ) .

ومعنى هذا أنه لا بد من الحركة والسعي في طلب الرزق فقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الطير تصبح جائعة ضامرة البطون ليس في حواصلها شيء من الطعام وترجع آخر النهار وقد امتلأت بطونها من رزق الله - تعالى - فالذي يجلس في بيته ، أو في مسجده ويظن أن رزقه سيأتيه وهو متلبس بالحجز والكسل هذا إنسان جهل ما في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في شأن التوكل .

( ١ ) صحيح البخارى ٣ / ١١٤ .

( ٢ ) تيسير العزيز الحميد ص ٤٤٤ والآية رقم ( ١٧٣ ) من سورة آل عمران .

( ٣ ) سنن أبي داود ٢ / ٦١٩ ، ورواه الترمذي في جامعه ٥ / ١٥٤ .

وهن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال : ( يعني إذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله . ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له : هديت ووقيت وكفيت - فيقول الشيطان لشيطان آخر : كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقى ؟ . . ( ١ )

وبالجملة فإنه ورد الكثير من النصوص في الكتاب والسنة في بيان فضل التوكل على الله وإخلاصه لله - وحده لا شريك له - فط على العبد إلا أن يسعى جاهدا في تحقيق عبودية التوكل ويفوز أمره إلى الله ويعتمد عليه وحده ويحسن ظنه بربه ، وعلى قدر حسن ظن العبد بربه ورجائه له يكون توكله عليه ، وذلك لأن حسن الظن بالله يدعو العبد إلى التوكل عليه ، ولا يمكن حصول التوكل على من ساء ظنه به ، ولا يمكن التوكل على من لا يرجوه .

ولا يتحقق التوكل إلا بأمرين :

أحدهما : علم القلب ومعناه : أن يكون موقنا بكفاية الله الذي توكل عليه وكمال قيامه بطوكله إليه ، وأن غير الله لا يقوم مقامه في ذلك بحال فلا بد من معرفة الرب - تعالى - ومعرفة صفاته من السقدرة والكفاية والقيومية وانتها جميع الأمور إلى علمه - تعالى - وصدورها عن مشيئته وقدرته ، فهذه المصرفة هي أول خطوة يحقق بها العبد عبودية التوكل ، فلا يتصور التوكل ممن أنكر صفات الله - تعالى - كط لا يمكن أن يكون ممن يعتقد بأنه يقع في ملك الله ما لا يشاء إذن فلا يحصل التوكل إلا ممن أثبت لله ما أثبت لنفسه وأثبت له رسوله صلى الله عليه وسلم دون تكيف أو تعطيل ، فالذي يقول إن الله لا يعلم جزئيات العالم سفلية وعلوية ، أو يقول إن الله ليس فاعلا باختياره ، وليس له إرادة ومشيئة ولا تقوم به صفة من أين يصح توكله ؟ إذن لا بد للعبد أن يكون على علم ومعرفة بالرب - سبحانه وتعالى - وط يلقى به من صفات جلاله وعظيم سلطانه

حتى يصح توكله ، ويكون قويا .

الأمر الثاني : الذي يتحقق به التوكل .

عمل القلب ، ومعناه : أن يسكن إلى وكيله ويمطئن اليه ويؤفقه ويسلم الأمر إليه ويرضى بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه وهو لنفسه فبالأصلين المذكورين يتحقق التوكل ، وهما له ، وأن كان التوكل داخلا في عمل القلب من ناحية علمه بالله - تعالى - قال الإمام أحمد : التوكل عمل القلب " ( ١ ) ولكن لا يتحقق إلا بالعلم : إذ العلم شرط فيه وإجزء من طهيته ، والمقصود إن القلب متى كان على الحق تعظم بلمأنهته ووثوقه بالله ، وإذا كان منحرفا مائلا إلى الباطل علط وعلا ، أو أصيب بأحدهما فإن ثقته واطمئنانه بالله معرضان للزوال فيكون لا ضمان له عند الله ولا عهد له عنده " ( ٢ ) . نعوذ بالله من ذلك .

التوكل والأسباب :

إن التوكل على الله تعالى لا ينافي اتخاذ الأسباب بل إن التوكل لا يتم إلا إذا اتخذ الإنسان لكل عمل يريد به الأسباب التي توصله إلى تحقيقه فالله سبحانه وتعالى قد ربط المسببات بأسبابها .

بل إن الإنسان ينساق إلى الأخذ بالأسباب بمقتضى فطرته وبمقتضى التكليف الشرعي فإذا قال الإنسان أنا متوكل على الله في تحصيل رزقي ولم يتخذ الأسباب التي توصله إلى ذلك وتحقق له مطلبه فهو مخالف للفطرة ومخالف لشرع الله الذي جاء الأمر فيه باتخاذ الأسباب قال تعالى ( فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ) ( ٣ ) . وقال تعالى ( وأعدوا لهم ما استلحتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ) ( ٤ ) .

( ١ ) طريق الهجرتين وباب السفادتين ص ٢٥٧ .

( ٢ ) طريق الهجرتين ص ٢٥٧ وانظر مدارج السالكين م ١١٧/٢ - ١١٨ ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

( ٣ ) سورة الطك آية : ١٥ ( ٤ ) سورة الأنفال آية : ٦٠

وقال سبحانه وتعالى ( وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ) ( ١ ) .

( ٢ )  
وقال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم فانفروا ثباتا أو انفروا جميعا )  
غيرها من الآيات كثير في الأمر بالأخذ بالأسباب مع التوكل على الله في إتمام  
الأمر التي يسعى العبد في تحصيلها لأن التوكل من أعظم الأسباب وأنفعها  
في دفع المضار وجلب المنافع فلا بد من الأخذ بالأسباب التي توصل الإنسان  
إلى تحقيق حاجاته والحصول على مطالبه ، ومن قال بنفي الأسباب فتوكله  
مشوب ومد خول .

قال ابن القيم : فاعلم أن نفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكل ألبته لأن التوكل  
من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه فهو كالدعاء الذي جعله الله سببا  
في حصول المدعوه " أ . هـ ( ٣ ) .

وقد اقتضت حكمة أحكم الحاكمين ربط السببات بأسبابها ، فلا يجوز للإنسان  
تعطيلها مهط أمكنه القيام بها ، فإذا فعلها عبودية يكون قد أتى بعبودية  
القلب بالتوكل وعبودية الجوارح بالسبب المنوي به القرية . وتحقيق التوكل  
موقوف على القيام بالأسباب الطمور بها ، فمن عطّلها لم يصح توكله ، كما أن  
القيام بالأسباب المفضية إلى حصول الخير يحقق رجاءه فمن لم يقم بها كان  
رجاءه تضيئا ، كما أن من عطّلها يكون توكله عجزا ، وعجزه توكلا ( ٤ ) فالتارك  
للأسباب المطلوبة منه شرطا وعقلا ويقول : إن كان قضي لي وسبق في الأزل  
حصول الولد فإنه آت لا محالة ولولم أتزوج فهذا لا شك أنه يكون موقع إنكار  
الناس بل ربط يقال فيه إنه ليس من جملة العقلاء وأن البهائم أنهم منه فإن  
الواقع المشاهد من حال الحيوان أنه يسعى في تحصيل رزقه بالهدايا العامة  
التي منحها الله جميع خلقه .

( ١ ) سورة البقرة آية : ١٩٧ .

( ٢ ) سورة النساء آية : ٧١ .

( ٣ ) مدارج السالكين ٢ / ١١٨ .

( ٤ ) الفوائد ص ٨٦ .

جاء في فتح المجيد : عند قوله تعالى ( واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) (١)

فجعل التوكل مع التقوى الذي هو قيام الأسباب الطامور بها فالتوكل بدو من القيام بالأسباب الطامور بها عجز محض وإن كان مشوبا بنوع من التوكل فلا ينبغي للعبد أن يجعل توكله عجزا ولا عجزه توكلا بل يجعل توكله من جملة لأسباب التي لا يتم المقصود إلا بها كلها " أ. هـ ( ٢ ) .

ومما تقدم نجزم بأنه لا يجوز التخلي عن الأسباب بحال لأن ذلك ممنوع عقلا وشرعا وحسنا فالرسول صلى الله عليه وسلم وهو سيد المتوكلين وإمام المتقين عندما خرج من مكة استأجر دليلا ليهده على الطريق وكان الدليل مشركا على دين قومه ( ٣ ) وحضر غزوة أحد بين درعين ، ولم يذكر أنه حضر الصف قبل عريانا ( ٤ ) وكفى به صلى الله عليه وسلم قدوة في تحقيق عبودية التوكل وبيان كلفه ، وكان عليه الصلاة والسلام يدخر لأهله قوت سنة ( ٥ ) وكان إذا خرج مسافرا للجهاد أو للعمرة وللحج حمل معه الزاد وكذلك الصحابة رضي الله عنهم ، وهم أولوا التوكل حقا ، ومن جاء بعد الصحابة ووفقه الله بأن وصل إلى القمة في التوكل إننا اشتم رائحة توكلهم من مسافة بعيدة ، أو عثر على أثر من غبارهم ، فحال النبي صلى الله عليه وسلم ، وحال أصحابه هي الميزان الذي يقوم به حال من بعدهم ، وعلى ضوء ذلك تعرف الأحوال الصحيحة من السقيمة ، ولا يفوتنا أيضا أن نقول : إن التوكل الذي كان في قلوب الصحابة كان سببا في تبصير القلوب ، وأن يعبد الله في جميع البلاد ، وأن يوحد جميع العباد ، فمئسوا بتوكلهم القلوب هدى وإمانا ، وكانت همهم عالية فكان أحدهم لا يصرف قوة توكله واعتاده على الله في أمر يحصل عليه بأقل حيلة وسعي ، وإننا كانوا

( ١ ) سورة الطائفة آية : ١١ .

( ٢ ) ص ٣٦٥ ط : السلفية ، تيسير العزيز الحميد ص ٤٤٣ .

( ٣ ) أنظر صحيح البخاري ٣٣/٢ من حديث عائشة رضي الله عنها .

( ٤ ) ذكره الترمذي في سننه ١١٩/٣ من حديث الزبير بن العوام وابن ماجه ٩٣٨٢

( ٥ ) رواه البخاري في صحيحه ٢٨٧/٣ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

يتوكلون في الأمور العظيمة مثل فتح البلدان ، والنصر على الأعداء ، وتوطيد عقيدة التوحيد في كل مكان فرضي الله عنهم وأرضاهم ( ١ ) ، وهلى ضوء هذا نقول : إن من يطعن في متخذى الأسباب مع التوكل فإنط يطعن بالدرجة الأولى في نبي الهدى صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده ، ومن طعن في أولئك فليتهم نفسه بأنه على غير ملة الإسلام .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : عند شرحه لحديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب : " وأعلم أن الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلاً كما يظنه بعض الجهلة فإن مباشرة الأسباب في الجملة أو فطري ضروري لا انفكاك لأحد عنه حتى الحيوان البهيم ، بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب كما قال تعالى ( من يتوكل على الله فهو حسبه ) ( ٢ ) أي كافيته وإنط المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها كالأسترقاء والإكتواء فتركهم له ليس لكونه سبباً لكن لكونه سبباً مكروهاً لا سيما والمريض يتشبت بم يظنه سبباً لشفائه بخيط العنكبوت ، أما نفس مباشرة الأسباب والتداوي على وجه لا كراهية فيه فغير قاذح في التوكل فلا يكون تركه مشروعاً كما في صحيح البخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاءً " أ. هـ ( ٣ )

( ١ ) أنظر مدارج السالكين ١٣٤/٢ - ١٣٥ بتصرف .

( ٢ ) سورة الطلاق آية : ٣ .

( ٣ ) تيسير العزيز الحميد ٥٦ / والحديث في صحيح البخارى ٨ / ٤ .

والذى نخلص اليه ما تقدم أن التوكل عبادة تعبد الله به عباده وأمرهم  
 جميعا بأن يخلصوه له وحده لا شريك له ، وأن التوكل لا يتنافى مع الأسباب  
 لأن الشرع أثبت الأسباب والمسببات وحكم على قوله من أنكرها بالبطلان والفساد  
 فالشرع جاء بالأمر بالتداوى ( ١ ) ، ولا يتنافى ذلك بتوكل الإنسان على  
 ربه لأن التداوى من الأسباب المشروعة التي أباحها الله - تعالى - بل لا يكمل  
 للعبد توحيدَه إلا بمباشرة الأسباب التي جعلها الله مقتضية لمسبباتها  
 كونا وشرعا وتعطيل الأسباب يقدر في التوكل ، كما يقدر في أمر الله وحكمته  
 البالغة ، فالإنسان يتوكل على الله في كل أموره مع مباشرة الأسباب ولا يعتمد  
 عليها بل يجعل قلبه متعلقا بربه الذي له الفضل في إيجاد السبب والمسبب .

---

( ١ ) أنظر سنن ابن ماجة ٢ / ١١٣٧ ، المسند ٤ / ٢٧٨ .

## (المبحث الثاني عشر)

الشفاعة نوعان : منفية ومثبتة

لقد جاء في السورة أن الأمر الوحيد الذي أوقع المشركين في الإشراف بالله - تعالى - إنما كان نشيجة تعلقهم بأن معبوداتهم التي يوجهون لها العبادة من دون الله تشفع لهم عند الله وتقربهم إليه زلفى ، كما أوضحت أن الشفاعة نوعان شفاعة منفية ، وشفاعة مثبتة ، وقبل إبراد الآيات التي وردت في السورة لبيان ذلك نبين حقيقة الشفاعة في اللغة ، والاصطلاح .

أما الشفاعة في اللغة :

فقد جاء في الصحاح للجوهري : " الشفع خلاف الزوج وهو خلاف الوتر تقول : كان وترا فشفعت شفعاً . . . . . واستشفعت إلى فلان ، أي سألته أن يشفع لي إليه ، وتشفَّعت إليه في فلان فشفعنى فيه تشفيماً " ( ١ ) .  
وفي القاموس : " الشفع خلاف الوتر وهو الزوج وقد شفعه كغضبه . . . . . إلى أن قال : وعين شافعة تنظر نظرين وشفعت لي الأشباح بالضم أي أرى الشخص شخصين لضعف بصرى وانتشاره " أ.هـ ( ٢ ) .

وجاء في اللسان : الشفع خلاف الوتر وهو الزوج تقول : كان وترا فشفعتـه شفعاً وشفع الوتر من العدد شفعاً صيره زوجاً " ( ٣ ) .

وجاء في النهاية لابن الأثير : " ومنه الشفعة - بالضم - وهي مشتقة من الزيادة لأن الشفيع يضم المبيع إلى ملكه فيشفعه به كأنه كان واحداً وترا فصار زوجاً شفعاً " ( ٤ ) .

( ١ ) ١٢٣٨ / ٣

( ٢ ) ٤٧ / ٣

( ٣ ) ١٨٣ / ٨ ، وأنظر المعجم الوسيط ٤٨٧ / ١ ، الجامع لأحكام القرآن ٣٧٨ / ١

( ٤ ) ٤٨٥ / ٢



وقال الراغب : " ويطلق لفظ الشفيع والشافع على من طلب شيئاً لغيره لينفصه به أو يضره قال تعالى ( من يشفع شفاعاً حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعاً سيئة يكن له كفل منها ) ( ١ ) أي : من انضم إلى غيره وعاونه وصار شفيعاً له ، أو شفيعاً في فعل الخير والشرفعاونه وقواه وشاركه في نفعه وضره " ( ٢ ) . ومن هذه التعاريف اللغوية السابقة يتبين أن المعنى اللغوي للشفاعة يدخل فيه كل ما دلت عليه مادة الشفع وهو : الإزدواج والانضمام إلى الغير فسي الوصول على أمر ما .

قال في اللسان : والشافع : الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب يقال :

تشفعت بفلان إلى فلان فشفعني فيه وأسم الطالب شفيع " ( ٣ ) .

وقال الراغب : الشفع : ضم الشيء إلى مثله والشفاعة الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى ومنها الشفاعة في القيامة " ( ٤ ) .

وقال الحافظ : الإشتفاع طلب الشفاعة وهي : انضمام الأدنى إلى الأعلى

ليستعين به على ما يبروه " ( ٥ ) .

وأما تعريف الشفاعة في الاصطلاح :

فإنه لا يكاد يخرج عن المعنى اللغوي ، إذ المعنى الاصطلاحى للشفاعة هو : ضم الشافع رجاءً إلى رجاء المشفوع له ، فيصبح طلبهما بذلك شفعا وهو ضد الوتر .

وعرفها بعضهم بأنها : سؤال الخير للغير " ( ٦ ) .

- 
- ( ١ ) سورة النساء آية : ٨٥ .
  - ( ٢ ) المفردات في غريب القرآن ص ٢٦٣ وانظر " الإبطان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٦١ .
  - ( ٣ ) اللسان ١٨٤/٨ ، وانظر تاج العروس ٤٠٠/٥ .
  - ( ٤ ) المفردات في غريب القرآن ص ٢٦٣ .
  - ( ٥ ) الفتح ٤٣٣/١١ .
  - ( ٦ ) لواع الأنوار البهية ٢٠٤/٢ .

وقيل : هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم " ( ١ )

وبهذا نعلم موافقة المعنى الشرعى للشفاعة لمعانيها اللغوية .

وبعد تعريف الشفاعة لفة وشرط نقول : إن " سورة الزمر " قد تناولت نوعي الشفاعة المنفية ، والمثبتة ، كما أوضحت أن المشركين ما أوقعهم في الشرك بالله - العظيم - إلا تعلقهم بأن الآلهة التي يعبدونها من دون الله تشفع لهم عنده وتقربهم إلى <sup>الله</sup> زلفى .

قال تعالى ( والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ) .

وقال تعالى ( أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض وإليه ترجعون ) هذه ثلاث آيات من السورة الآية الأولى : منها أوضحت أن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ، والأوثان لكي تشفع لهم عند الله وتقربهم إليه زلفى . قال قتادة : ( ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ) أى : " قالوا ما نعبده هؤلاء إلا ليقربونا ، إلا ليشفعوا لنا عند الله " .

قال ابن زيد : قالوا هم شفعاؤنا عند الله ، وهم الذين يقربونا إلى الله زلفى يوم القيامة " ( ١ ) فهذه حال من يتخذ الأولياء والشفعاء من دون الله يزعم أن ذلك يقربه إلى الله زلفى ، والحال أن عمله هذا مشاهد عليه بالكفر والكذب محروم من هداية الله تعالى ، وأما الآيتان الأخيرتان وهما قوله تعالى ( أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض وإليه ترجعون ) .

( ١ ) النهاية لابن الأثير ٢ / ٤٨٥ ، لسان العرب ٨ / ١٨٤ .

( ٢ ) قول قتادة وابن زيد في جامع البيان للطبري ٢٣ / ١٩١ ، ١٩٢ .

هاتان الآيتان من السورة بينتا بأن الشفاعة تنقسم إلى قسمين :

- أ - شفاعة منفية وهي التي ادّعاها المشركون وأثبتوها لآلهتهم .  
 ب - شفاعة مثبتة ، وهي التي أثبتها الله لأهل الإخلاص فيأذن هو - سبحانه - لمن يشاء أن يتشفع فيه فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له ، والذي يشفع عنده إنما يشفع بإذنه له ، وأمره وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركيون ومن وافقهم ، وهي التي أبطلها الله في أماكن كثيرة من كتابه - سنذكر طرقاً منها فيما يأتي إن شاء الله - تعالى - بعد بيان دلالة الآيتين من السورة التي تقدم ذكرها .

فالآية الأولى منهط : وهي قوله - تعالى - ( أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ) .

فهذه الآية تضمنت الإنكار لا اتخاذ المشركين الشفعاء من دون الله - سبحانه - حيث زعموا أنها تشفع لهم عند الله من دون أن يأذن أو يأمرهم بذلك والحال أنه لا يمكن أن يشفع أحد عنده - تعالى - إلا بإذنه وأن يرضى عن المشفع له فهذا الشرطان الثقيلان لا بد منهط في الشفاعة المقبولة عنده - جل وهجلاً - وهذا الشرطان مفقودان فيمن زعمهم المشركون أنهم شفعاء لهم عند الله - تعالى - وهو - سبحانه - لم يجعل اتخاذ الشفعاء ودعاهم من دونه سبباً لإذنه ورضاه بل ذلك من أعظم الأسباب الطائفة لرضاه ، ومن أعظم الأسباب الجالبة لغضبه ثم أنكر عليهم ثانياً في نفس الآية ( قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ) أي : يشفعون لكم ولو كانوا على هذه الصفة كما ترونهم جمادات ليس لها قدرة ولا علم بحالكم ، أو أموات كذلك لا يمكن الشفاعة وليسوا أهلاً لها .

وأما الآية الثانية : وهي قوله - تعالى - ( قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض وإليه ترجعون ) .

فهذه الآية أمر من الله - جل وهجلاً - لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم

بأن يعلن لجميع العالمين بأن الشفاعة كلها لله فهو الطالك لها وليس لمن زعمهم المشركون منها شيء قال العلامة ابن جرير حول الآيتين السابقتين " يقول - تعالى - ذكره : أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعا تشفع لهم عند الله في حاجاتهم وقوله ( قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهم : أتخذون هذه الآلهة شفعا كما تزعمون ولو كانوا لا يملكون لكم نفعا ولا ضرا ، ولا يعقلون شيئا ، قل لهم : إن تكونوا تعبدونها لذلك وتشفع لكم عند الله فأخلصوا عبادتكم لله ، أفردوه بالألوهية فإن الشفاعة جميعا له ، لا يشفع عنده إلا من أذن له ورضي له قولا وأنتم متى أخلصتم له العبادة فدعوتموه وشفعكم ( له ملك السموات والأرض ) يقول : له سلطان السموات والأرض وملكها ، وط تعبدون أيها المشركون من دونه ملك له : يقول : فاهبوا الملك لا المملوك الذي لا يملك شيئا ( ثم إليه ترجعون ) يقول : ثم إلى الله مصيركم وهو معاقبكم على إشراركم به إن متم على شرككم " أ. هـ ( ١ )

وقال البيضاوي : عند قوله تعالى ( قل لله الشفاعة جميعا ) الآية ( لعله رد لظن عسى يجيبون به وهو أن الشفعاء أشخاص مقربون وهي تطيلهم والمعنى أنه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع أحد شفاعة إلا بإذنه ولا يستقل بها ( ٢ ) وقوله ( له ملك السموات والأرض ) تقرير لبطلان اتخاذ الشفعاء من دونه بأنه مالك الملك كله لا يملك أحد أن يتكلم في أمره دون إذنه ورضاه فيدخل في ذلك ملك الشفاعة فإذا كان هو مالكها بطل اتخاذ الشفعاء من دونه كائنا من كان وسيعلمون حقيقة ذلك إذا وقفوا بين يدي الله يتبين لهم أنهم لا يشفعون ويخيب سعيهم في عبادتهم .

( ١ ) جامع البيان : ٩ / ٢٤ - ١٠ .

( ٢ ) أنوار التنزيل ٢ / ٣٢٤ .

قال العلامة ابن القيم حول الآية السابقة :

فأخبر أن حال ملكه للسموات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحسده وأن أحدا لا يشفع عنده إلا بإذنه فإنه ليس بشريك بل مملوك محض بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم عند بعض ٣ هـ ( ١ ) .  
والشفاعة التي أثبتها المشركون لأصنامهم ضح القرآن ببطلانها ونفيها فسي مواضع كثيرة :

قال تعالى ( من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ) ( ٢ ) .

قال في تيسير العزيز الحميد : في هذه الآية رد على المشركين الذين اتخذوا الشفعاء من دون الله من الطلائكة والأنبياء والأصنام المصورة على صور الصالحين وغيرهم ووطنوا أنهم يشفعون عنده بغير إذنه فأنكر ذلك عليهم . أ هـ ( ٣ ) .  
وقال تعالى : وأتذره الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ( ٤ ) .

فأخبر تعالى أنه ليس للعباد شفيع من دونه بل إذا أراد الله - سبحانه رحمة عبده أذن هولم يشفع فيه كما قال تعالى ( ط من شفيع إلا من بعد إذنه ) ( ٥ )  
فالشفاعة بإذنه ليست شفاعة من دونه ولا الشافع شفيع من دونه ، بل شفيع بإذنه والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد الأمور فالشفاعة التي أبطلها الله شفاعة الشريك فإنه لا شريك له ، والتي أثبتها : شفاعة العبد الأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي ملكه حتى بأذن له : ويقول : إشفع في فلان ولهذا كان أسعد الناس بشافعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد الذين جردوا

( ١ ) إغاثة اللهفان ١ / ٢٢٢ .

( ٣ ) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

( ٣ ) ص ٢٤٠ .

( ٤ ) سورة الأنعام آية : ٥١ .

( ٥ ) سورة يونس : ٣ .

التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه وهم الذين ارتضى الله - سبحانه - .  
قال تعالى ( ولا يسفعون إلا لمن ارتضى ) ( ١ ) .

وقال تعالى ( يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا ) ( ٢ )  
وهنا أخبر سبحانه أنه لا يحصل يومئذ شفاعة تنفع إلا بعد رضا قول المشفوع له ، وإذنه للشافع فيه ، فأما المشرك فإنه لا يرتضيه ولا يرضى قوله فلا يأذني للشفعاء أن يشفعوا فيه فإنه - سبحانه - علقها بأمرين من المشفوع له وإذنه للشافع فط لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة \* ( ٣ ) .

" والسرفي ذلك أن الأمر كله لله تعالى ، وليس لأحد معه من الأفرشيء وأكرم خلقه سبحانه وأفضلهم عند ملائكته المقربين ورسله الكرام وهم مع ذلك عبید محض لا يسبقونه بقول ، ولا يتقدمون بين يديه ، ولا يفعلون شيئاً إلا بعد إذنه ، وأمره لهم ، ولا سيما يوم القيامة ، فالملائكة والأنبياء مملوكون مبرورون أفعالهم مقيدة بأمر الله وإذنه فمن عبدهم واتخذهم شفعاء ، وأولياء ظنا منه أنه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله فهو من أجهل الناس بحق الرب - سبحانه - وما يجب له ويمتنع عليه .

والذي أوقع عباد الأصنام ، وعباد القبور في طلب الشفاعة من غير الله - تعالى - هو قياسهم الخالق على المخلوق حيث قاسوه - تعالى - على الملوك والعظماء في هذه الدنيا حيث يتخذ الشخص من المقربين لود بهم من يشفع له عندهم في قضاء الحوائج فهذا هو القياس الفاسد الذي بنى عليه المشركون عبادتهم للأصنام ، واتخذوا من دونه الشفعاء والأولياء وهذا من جهلهم بالفارق بين الخالق والمخلوق \* ( ٤ ) .

( ٢ ) سورة " طه " آية : ١٠٩ .

( ١ ) سورة الأنبياء آية : ٢٨ .

( ٣ ) إغاثة اللهفان : ٢٢١/١ .

( ٤ ) أنظر إغاثة اللهفان ٢٢١/١ بتصرف .

الذي يجب على كل مسلم معرفته . فهناك فرق بين الشفاعة عند المخلوقين والشفاعة عندهم - تعالى - ذلك أن الوسائط التي تكون بين الطوك وبين الناس تكون على أحد الوجوه الآتية :-

### الوجه الأول :

أن العظماء من أهل الدنيا بحاجة إلى من يخبرهم بأحوال الناس ما لا يعرفونه ، ومن زعم أن الله لا يعلم أحوال الناس حتى يخبره بذلك بعض الأنبياء ، أو غيرهم من الطائفة والأولياء والصالحين فهو كافر به - سبحانه - لأنه - جل وعلا - يعلم السر وأخفى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

### الوجه الثاني :

أن العظماء من أهل الدنيا طاجرون عن تدبير رعيتهم ودفع أعدائهم إلا بأعوان بعاونونهم ، وأنصار يكونون مستندا لهم عند الذلة والعجزه أما الله - جل وعلا - ليس له ظهير ، ولا ولي من الذل ، وكل ما في الوجود من الأسباب فهو - سبحانه - ربه وخالقه وهو الغني عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه بخلاف الطوك المحتاجين إلى ظرائعهم وهم في الحقيقة شركاءهم والله - سبحانه - لا شريك له في الملك ، بل لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، ولهذا لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فضلا عن غيرهما ، فإن من شفع عنده بغير إذنه فهو شريك له في حصول المطلوب أثر فيه بشفاعته حتى يفعل ما يطلب منه ، والله تعالى لا شريك له بوجه من الوجوه .

### الوجه الثالث :

إن العظماء من أهل الدنيا قد يكونون غير مرادين نفع رعيتهم والاحسان إليهم إلا بمحرك يحركهم من الخارج ، فإذا خاطبهم من ينصحهم ويعظهم أو من يدلهم ممن يرجونهم ويخافونهم تحركت إرادتهم وهمتهم في قضاء

حوائج رعيتهم . فلحاجتهم اليهم يقبلون شفاعتهم وإن لم يأذنوا فيها لأنهم يخافون أن يردوا شفاعتهم فتنتقض طاعتهم ، ولذا فهم يقبلون شفاعتهم على الكره والرضى .

أما الباري سبحانه وتعالى فهو رب كل شيء ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها وكل الأسباب إن ط تكون بمشيئته ، فط شاء كان وط لم يشأ لم يكسن وهو سبحانه - إذا أراد إجراء نفع العباد بعضهم على يد بعض جعل هذا يحسن إلى هذا وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن والداعي إرادة الإحسان والدعاء والشفاعة " ( ١ ) . ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده أو يعلمه ط لم يكن يعلمه ، والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون إلا بإذنه كط قد منا ذلك بخلاف العظماء فمن أهل الدنيا فإنهم محتاجون والشافع عندهم يكون شريكا لهم في الملك وقد يكون مظاهرا لهم على ملكهم ولذا فإنهم يشفعون عند ملوكهم بغير إذنه ، والملوك يقبلون شفاعتهم تارة لحاجتهم اليهم وتارة لجزاء إحسانهم ومكافأتهم ، حتى أنهم يقبلون شفاعته أولادهم وأزواجهم ، بل إن أحدهم لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك ، بل يقبل حتى شفاعته مملوكه فإنه إذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه ، ويقبل شفاعته أخيه مخافة أن يسعى في ضرره فشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا القبيل فلا يقبل أحد شفاعته أحد إلا لرغبة أو لرهبة بالله - جل و علا - لا يرجوا أحدا ، ولا يخافه ولا يحتاج إلى أحد هو الفنى - سبحانه - عط سواه ، وكل ط سواه فقير إليه ، والمشركون قد يماس وحديثا إنط يتخذون الشفعاء ، والأولياء على غرار ما يعهدونه عند المخلوق " ( ٢ )

( ١ ) الواسطة بين الحق والخلق لابن تيمية ص ١٧-١٩ بتصرف ،  
وانظر أمانة اللهفان ١ / ٢٢٣ . ( انظر الهدية السنوية لابن ساطان ص ١٥ )

( ٢ ) إفاضة اللهفان ١ / ٢٢٣ .



وفيما ذكرنا من الفرق كفاية بين الشفاعة الشركية ، والشفاعة الشرعية لمن أراد الله تنوير بصيرته ، فابتعد عما يدين به الشركون والقبوريون في الشفاعة والأولياء ، وأما من أراد الله فتنته فلا حيلة فيه ( من يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد له وليا مرشداً ) ( ١ ) .

ولقد حكم الله في كتابه على اتخاذ المشركين الشفعا والأولياء بالكفر وأنهم كاذبون فيط يزعمون من أن معبوداتهم تشفع لهم عند الله وتقربهم إليه زلفى . قال تعالى ( والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ) .

وهذه الآية من السورة بينت أن غاية المشركين من عبادتهم الأولياء أنهم يقربونهم إلى الله زلفى وذلك بتحصيل شفاعتهم وهذا من افتراء المشركين الباطل وقد تقدم الكلام على هذه الآية قريبا .

وقال تعالى ( ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات والأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ) ( ٢ ) .

هذه الآية فيها الإخبار بدم المشركين الذين يعبدون الأصنام التي ليس لها جلب نفع ولا دفع ضرر وأبانت بأن مقصودهم من عبادتها هو الشفاعة عند الله كما أوضحت بأن ذلك شرك بالله العظيم نزه تعالى نفسه عنه .

قال الصنعمانى رحمه الله تعالى ( فجعل الله تعالى اتخاذهم للشفاعة شركا ونزه نفسه عنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، فكيف يثبتون شفاعة لهم

( ١ ) سورة الكهف آية : ١٧ ( ٢ ) سورة يونس آية : ١٨ .

( ٣ ) هو محمد بن اسماعيل بن صلاح بن الحسين الكحلاني ثم الصنعمانى أبو إبراهيم عز الدين المعروف بالأمام وهو مجتهد له مؤلفات كثيرة أصيب بمحن كثيرة من الجهلاء والمؤام ولد سنة تسع وتسعين وألف وتوفى سنة اثنتين ومائة وألف هجرية ( انظر ترجمته في " البدر الطالع للشوكا مى ١٣٣/٢ - ١٣٩ " )

لم يأذن الله لهم في شفاعه ولا هم أهل لها ، ولا يغنون عنهم من الله شيئا " أو هـ ( ١ ) .

وقال تعالى مبطلا للشفاعة الشركية وقاطعا منافذ الشرك فيها بالكلية .

( قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا

في الأرض وما لهم من شرك <sup>نبيها</sup> وما له منهم من ظهير ، ولا تنفع الشفاعه عنده إلا

لمن أذن له ) ( ٢ ) .

هذه الآية قال فيها بعض العلماء : " انها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب

لمن عقلها " ( ٣ ) يوضح ذلك ما قاله العلامة ابن القيم حولها :

قال رحمه الله تعالى : " فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين مجامع

الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك وسدت بها عليهم الباب أبلغ سدا

وأحكمه ؟ فإن العابد انما يتعلق بالمعبود لما يرجو من نفعه ، وإلا فلو كان لا

يرجو منفعة منه فلا يتعلق قلبه به أبداً وحينئذ فلا بد أن يكون المعبود إما

مالكا للأسباب التي ينتفع بها عابده أو شريكا لملكها ، أو ظهيرا أو وزيرا

أو معاوناً له ، أو جيبها ذا حرمة وقد ر ، يشفع عنده فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة

من كل وجه انتفت أسباب الشرك وانقطعت موارده فنفي - سبحانه - عن آلهتهم

أن تملك مثقال ذرة في السموات والأرض فقد يقول المشرك : هي شريكة للمالك

الحق فنفي شركها له .

( ١ ) تطهير الاعتقاد ص ١١ ، وأنظر " شذرات الهملايين " ١ / ٢٨١ - ٢٨٣ .

( ٢ ) سورة سبأ آية : ٢٣ .

( ٣ ) تيسير العزيز الحميد ص ٢٤٥ .

فيقول المشرك : قد تكون ظهيرا أو وزيرا أو معاونا فقال ( وط له منهم من  
ظهير ) ( ١ ) .

ولم يبق إلا الشفاعة فنفاها عن آلهتهم وأخبر أنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه  
فإن لم يأذن للشفاع لم يتقدم بالشفاعة بين يديه ، كما يكون في حـق  
المخلوقين ، فإن المشفع عنده يحتاج إلى الشافع وإلى معاونته له فيقبل شفاعته  
وإن لم يأذن له بها .  
وأما من كل ما سواه فقير إليه بذاته فهو الغني بذاته عن كل ما سواه فكيف  
يشفع عنده أحد بغير إذنه ؟ ( ٢ ) .

فتبين مما تقدم أن الشفاعة المنفية التي نفاها الله - سبحانه - هي الشفاعة  
الشركية التي زعمها المشركون في آلهتهم أنها تشفع لهم عند الله وتقربهم إليه  
زلفى ولذلك يطلق القرآن نفيها تارة بناء على أنها هي المصروفة عند الناس  
ويقيدها تارة بأنها لا تنفع إلا بعد أن يأذن الله لمن يشاء ، وهذه الشفاعة  
في الحقيقة هي منه - سبحانه - وتعالى لأنه هو الذي أذن وهو الذي رضي  
عن المشفع وهو الذي وفقه للعمل الذي استحق به الشفاعة ، أما متخذ الشفع  
فهو مشرك لا تنفعه شفاعته ولا يشفع فيه .

#### النوع الثاني : الشفاعة المثبتة :

ذكرنا فيما تقدم أن السورة دلت على نوي الشفاعة ، المنفية ، والمثبتة  
وتقدم الكلام على الشفاعة المنفية وهي التي أثبتها المشركون لآلهتهم الباطلة  
وذكرنا أن قوله تعالى :

( قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون ) .

هذه الآية من السورة دلت على الشفاعة المثبتة .

فالآية كما قد منا قريبا دلت على أن الشفاعة كلها لله تعالى لأن الأمر كله له

( ١ ) سورة سبأ آية : ٢٣ .

( ٢ ) مختصر الصواعق المرسله ١ / ٩٤ ، مدارج السالكين ١ / ٣٤٣ .

وبيده - سبحانه - وكل شفيع يخافه ولا يقدر رأي مخلوق كائننا من كان أن يشفع عنده بدون إذنه مهبط كانت مكانته ، فإذا أراد - سبحانه - رحمة عبد من عبده **أذن للشفيع أن يشفع عنده رحمة بالإثنين** فله - سبحانه - ملك السموات والأرض من الذوات والأفعال والصفات فالواجب على جميع العباد أن يطلبوا الشفاعة من مالكتها ويخلصوا في الطلب عليهم يحصلون على نصيب من ذلك .  
وسنن هنا حقيقة الشفاعة المثبتة وحكمها ثم نختم ذلك بذكر أنواعها :-

### حقيقة الشفاعة المثبتة :

لقد قيد القرآن الكريم الشفاعة المثبتة بشرطين :

الشرط الأول : **إذن الله تعالى للشافع بالشفاعة قال تعالى ( من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ) ( ١ ) .**

الشرط الثاني : **رضاه عن المشفوع له قال تعالى ( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ) ( ٢ ) وعلى هذين الشرطين فليس في مكانة الطائفة ، أو أي مخلوق ما سوغ المشركون عبادته من دون الله ممن لا يملك النفع والضرر . أن يشفع عند الله إلا بإذنه ، ولا يأذن الله بالشفاعة إلا عند رضاه من المشفوع له والله لا يرضى عن المشركين الذين قامت عليهم الحجة بدعوة التوحيد ، فلم يستجيبوا ( إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ومما للظالمين من أنصار ) ( ٣ ) .**

### حكمها :

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : " مذهب أهل السنة جواز الشفاعة

عقلا ووجودها سمعا بصره قوله تعالى : ( يومئذ لا تنفع الشفاعة عنده إلا من الرحمن **أذن له ورضي له قولا** ) ( ٤ ) .

( ٢ ) سورة الأنبياء آية : ٢٨ .

( ٤ ) سورة " طه " آية : ١٠٩ .

و ( ١ ) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

( ٣ ) سورة الطائفة آية : ٧٢ .

وقوله ( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ) ( ١ ) وأمثالهما ومخير الصادق صلى الله عليه وسلم وقد جاءت الآثار والتي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبى المؤمنين ، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها ، ومنعت الخواج وبعض المعتزلة ، وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار ، واحتجوا بقوله تعالى ( فمات تنفسهم شفاعة الشافعين ) ( ٢ ) وبقوله تعالى ( ما للطالمين من حميم ولا شفيع يطاع ) ( ٣ ) وهذه الآيات في الكفار ، وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذاهبهم وإخراج من استوجب النار) أ. هـ ( ٤ ) .

قال القاضي عبد الجبار: عند قوله تعالى ( واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ) ( ٥ ) . يدل على أن من استحق العقاب لا يشفع النبي صلى الله عليه وسلم له ، ولا ينصره لأن الآية وردت في صفة اليوم ولا تخصيص فيها فلا يمكن صرفها إلى الكفار دون أهل الثواب وهي واردة فيمن يستحق العذاب في ذلك اليوم لأن هذا الخطاب لا يلقى إلا بهم فليس لأحد أن يطعن على ما قلناه بأن يمنع الشفاعة للمؤمنين أيضا ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لهم لكان قد أغنى عنهم وأجزى فكان لا يصح أن يقول تعالى ( لا تجزي نفس عن نفس شيئا ) ولط صح أن يقول ( ولا يقبل منها شفاعة ) وقد قبلت شفاعته صلى الله عليه وسلم فيهم ، ولط صح أن يقول : ( ولا يؤخذ منها عدل ) لأن قبول الشفاعة واسقاط العقاب إلى المغفرة أعظم من كل فداء لهم مما قد استحقوه

( ٢ ) سورة المدثر آية : ٤٨ .

( ١ ) سورة الأنبياء آية : ٢٨ .

( ٣ ) سورة غافر آية : ١٨ .

( ٤ ) نقلا عن شرح النووي على صحيح مسلم ٣ / ٣٥٠ .

( ٥ ) سورة البقرة آية : ٤٨ .

من المضرة ، بل كان يجب أن تكون الشفاعة فداء لهم عما قد استحقوه من حيث  
تزول بها ولمكانها ، ولط ص ح أن يقول : ولا هم ينصرون ) وأعظم النصرة تخليصهم  
من العذاب الدائم بالشفاعة فالآية دالة على ما نقوله من جميع هذه الوجوه <sup>(١)</sup> . هـ  
ونحن نقول : له إن ذلك غير صحيح وأن مذهبك هذا ومذهب أتباعك ممن  
المعتزلة ظاهر الفساد والبطلان لمخالفته الكتاب والسنة واجتماع الأمة في ثبوت  
الشفاعة لأهل الكبائر .

قال البيضاوي حول الآية السابقة : التي استدل بها عبد الجبار بن أحمد على  
نفي الشفاعة " وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر  
وأجيب بأنها مخصوصة بالكفار للآيات والأحاديث الواردة في الشفاعة ، ويؤيده  
أن الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع  
لهم " أه ( ٢ ) .

ويرد على المعتزلة والخوارج الذين نفوا الشفاعة من جوه :

( ١ ) إن الشفاعة ثابتة بالقرآن والأخبار المتواترة .

( ٢ ) الإجماع : من السلف على تلقي هذه الأخبار بالقبول ، ولم يبد من أحد  
منهم في عصر من الأعمار نكرا لظهور الأخبار الواردة فيها وإطاعتهم  
على صحتها ، وقبولها لها دليل قاطع على صحة عقيدة أهل الحق وفساد  
مذهب المعتزلة والخوارج . ( ٣ ) .

( ٣ ) إن أهل العلم قد جمصوا بين الآيات الواردة في نفي الشفاعة وبين الآيات  
الدالة على إثبات الشفاعة ، بأن الآيات الواردة في نفي الشفاعة والشفيع  
المراد بها الشفاعة للكفار ( ٤ ) والشفاعة المنفية هي التي تطلب من الأصنام

( ١ ) متشابه القرآن القسم الأول : ٩٠-٩١ .

( ٢ ) أنوار التنزيل ١/٥٥٠ .

( ٣ ) تفسير القرطبي ١/٣٧٨-٣٧٩ .

( ٤ ) شرح النووي على صحيح مسلم ٣/٣٥ ، فتح الباري ١١/٤٢٦ ، تفسير  
ابن جرير الطبري ١/٢٦٢ ، تفسير الرازي ٣/٥٦ وطبعها ، الجامع  
لأحكام القرآن ١/٣٧٨ وطبعها ، تفسير النسفي ١/٤٧٠ .

والأموات الذين لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعا ولا ضرا .

### أنواع الشفاعة المثبتة :

١ . اختلف العلماء في شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة كم هي ؟ .

فذكر النقاش ( ١ ) في تفسيره أن للنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات الشفاعة العامة ، وشفاعته في السبق إلى الجنة ، وشفاعة في أهل الكبائر وقال أبو عطية ( ٢ ) : في تفسيره ، والمشهور أنها شفاعتان فقط العامة وشفاعة في إخراج الذنوبين ، وهذه الشفاعة الثانية لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء ، وذكر القاضي عياض ( ٣ ) إن للنبي صلى الله عليه وسلم خمس شفاعات ( ٤ ) .

وذكر القرطبي أن للنبي صلى الله عليه وسلم ست شفاعات ( ٥ ) وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في ( العقيدة الواسطية ) أن للنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات وقد ذكر شارح الطحاوية أن أنواع الشفاعة في الآخرة ثمانية أنواع منها ما هو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم وهذا الأنواع هي :

( ١ ) هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون ، أبو بكر النقاش ، عالم بالقرآن وتفسيره أصله من الموصل ومنشأه ببغداد وكان في بدء حياته يزاول نفس السقوف والحيطان ولد سنة ست وستين وطاقين هجرية وتوفي سنة إحدى وخمسين و ثلاثمائة . أنظر ترجمته في وفيات الأعيان ٤٨٩ / ١ ، ميزان الاعتدال ٤٥ / ٣ ، اللباب ٣٢١ / ٣ .

( ٢ ) هو عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي من محارب قيس ، الفرناطي أبو محمد مفسر ، فقيه ، أندلسي من أهل غرناطة ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة وتوفي سنة اثنتين وخمسمائة هجرية . أنظر ترجمته في بنية الوفاء ٩٣ / ٢ ، كشف الظنون ١٦١٣ / ٢ .

( ٣ ) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن الحصى السبتي أبو الفضل عالم بالمغرب وأم أهل الحديث في زمنه ولد سنة ست وسبعين وأربعمائة وتوفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة هجرية . أنظر ترجمته في وفيات الأعيان ٣٩٢ / ١ الفهرس التمهيدي ٣٦٨ / ١ والأعلام ٢٨٢ / ٥ .

( ٤ ) انظر التذكرة للقرطبي ص ٢٤٩ ، شرح النووي على صحيح مسلم ٣٥ / ٣ - ٣٦ فتح الباري ٤٢٨ / ١١ .

( ٥ ) التذكرة ص ٢٤٩ .

( ٦ ) ص ١٢٧ - ١٢٨ بشرح محمد خليل هراس .

النوع الأول :

الشفاعة العامة : وهي التي يتدافعها الأنبياء أصحاب الشرائع آدم إلى نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وعليهم الصلاة والسلام وهي المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون .

قال تعالى ( ومن الليل فتسجد به ناظلة لك عسى أن يبعثك ربك مقام محموداً ) ( ١ ) .

روى البخاري في صحيحه عن أبي عمر رضى الله عنهما قال : إن الناس يصيرون يوم القيامة جثيا كل أمة تتبع نبيها تقول : يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود " ( ٢ ) .

وروى الترمذي في سننه وحسنه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ( عسى أن يبعثك ربك مقام محموداً ) . قال هي الشفاعة " ( ٣ ) .

فالمقام المحمود هو الشفاعة العظمى لتفسير النبي صلى الله عليه وسلم الآية الواردة فيه بذلك .

جاء في لواعج الأنوار ما نصه : شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم نوع مسنن السمميات وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي وانحقد عليها إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة لكن هذه الشفاعة العظمى مجمع عليها لم ينكرها أحد ممن يقول بالحشر إذ هي للإراحة من طول الوقوف حتى يتمنون الإنصاف من موقفهم ذلك ولو إلى النار . . . . .

( ١ ) سورة الاسراء آية : ٧٩ .

( ٢ ) ١٥١ / ٣

( ٣ ) ٠٣٦٥ / ٤



وقد التمس بعض الملط<sup>١</sup> الحكمة في الهام الناس التردد إلى غير النبي صلى الله عليه وسلم قبله ولم يلهموا المجيب إليه لأول وهلة أن ذلك إظهار لفضله عليه الصلاة والسلام وشرفه على رؤوس الخلائق فصلوات الله وسلامه عليه" ( ١ )

### النوع الثاني :

شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع ليدخلوا الجنة .

### النوع الثالث :

شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام أمر بهم إلى النار فيشفع فيهم أن لا يدخلوها .

ومط يستدل به لهذين النوعين قوله صلى الله عليه وسلم : يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول : وهل أخرجكم من الجنة<sup>الجنة</sup> إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك . إذ هبوا إلى أبي إبراهيم خليل الله قال فيقول إبراهيم لست بصاحب ذلك إنط كنت خليلاً من وراء<sup>وراء</sup> وإماماً وإماماً إلى موسى صلى الله عليه وسلم الذي كلمه الله تكليماً . فيأتون موسى صلى الله عليه وسلم فيقول : لست بصاحب ذلك إذ هبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه فيقول عيسى صلى الله عليه وسلم لست بصاحب ذلك فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم . فيقسمون فيؤذن له . وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشملا فيمراً ولكم كالبرق قال قلت : بأبي أنت وأمي إني شيء كمر البرق ؟ قال : " ألم ترأ إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفه عين ؟ ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرحال تجرى

( ١ ) ٢٠٨ / ٢ وانظر شرح النووي على مسلم ٣ / ٥٦٠ .

النوع الخامس:

شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

ويستدل لهذا النوع بط رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يدخل من أممي الجنة سبعون ألفا بغير حساب فقال رجل : يا رسول الله ! أدع الله أن يجعلني منهم قال : " اللهم اجعله منهم ثم قام آخر فقال فقال : يا رسول الله ! أدع الله أن يجعلني منهم قال : " سبقك بها عكاشة " ( ١ ) .

ووجه الدلالة منه دعاؤه لعكاشة بن محصن أن يجعله من أولئك السبعين ألفا فدعاؤه صلى الله عليه وسلم شفاعته له .

النوع السادس:

الشفاعة في تخفيف العذاب ممن يستحقه كشفاعته صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه . ، ودليل هذا النوع ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال " لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحاح من نار ، يبلغ كعبيه يلقى منه دماغه " ( ٣ )

قال القرطبي : بعد أن ذكر هذا النوع فإن قيل : تفقد قال - تعالى - ( فط تنفعهم شفاعاة الشافعين " ( ٣ ) قيل له لا تنفعه في الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون ويدخلون الجنة " أ. هـ ( ٤ ) .

( ١ ) صحيح البخارى مع الفتح ١١ / ٤٠٦ ، صحيح مسلم : ١٩٧٨١ .

( ٢ ) ١٩٥ / ٤ .

( ٣ ) سورة المدثر آية : ٤٨ .

( ٤ ) التذكرة ص ٢٤٩ .

بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول : رب سلم سلم حتى تعجز  
أعمال العباد حتى يجبي الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا . قال وفي  
حافتي الصراط كلا ليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به غمخدوش نالج ومكدوش<sup>(١)</sup>  
في النار" ( ٢ ) .

قال الحافظ : بعد أن ذكر النوع الثالث من أنواع الشفاعة " ودليل الثالثة  
حديث حذيفة عند مسلم " ونبيكم على الصراط يقول : " رب سلم سلم " ( ٣ ) .  
النوع الرابع :

شفاته صلى الله عليه وسلم فحبي رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق  
ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم وقد واغقت المعتزلة على هذه الشفاعة .  
قال القاضي عياض : وهذه الشفاعة لا تنكرها المعتزلة ولا تنكر شفاعة الحشر  
الأول " ( ٤ ) . ودليل هذا النوع : ما رواه الشيخان في صحيحيهما من  
حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه لما أصيب عمه أبو عامر في غزوة  
أوطاس فلما أخبر أبو موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع يديه وقال :  
الله اغفر لعبيد أبي عامر واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك " ( ٥ ) .  
وحديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا  
لأبي سلمة بعد ما توفي فقال : اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في  
المهدبين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وانفسح  
له في قبره ونور له فيه " ( ٦ ) .

- ( ١ ) قال في النهاية : أي مدفوع وتكدر من الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط
- ( ٢ ) رواه مسلم من حديث حذيفة ١ / ١٨٧ .
- ( ٣ ) فتح الباري ١١ / ٤٢٨ .
- ( ٤ ) ذكره عنه القرطبي في التذكرة ص ٢٤٩ .
- ( ٥ ) صحيح البخاري ٤ / ١٠٣ ، صحيح مسلم ٤ / ١٩٤٣ .
- ( ٦ ) صحيح مسلم ٢ / ٦٣٤ وسنن أبي داود ٢ / ١٧٠ والمسند ٦ / ٢٩٧ .

النوع الخامس:

شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب .  
 ويستدل لهذا النوع بط رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن  
 النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يدخل من أممي الجنة سبعون ألفا بغير حساب  
 فقال رجل : يا رسول الله ! أَدْعُ الله أن يجعلني منهم قال : " اللهم اجعله  
 منهم ثم قام آخر فقال فقال : يا رسول الله ! أَدْعُ الله أن يجعلني منهم قال :  
 " سبقك بها عكاشة " ( ١ ) .  
 ووجه الدلالة منه دعاؤه لعكاشة بن محصن أن يجعله من أولئك السبعين ألفا  
 فدعاؤه صلى الله عليه وسلم شفاعته له .

النوع السادس:

الشفاعة في تخفيف العذاب عن يستحقه كشفاعته صلى الله عليه وسلم في عمه  
 أبي طالب أن يخفف عنه عذابه . ، ودليل هذا النوع ط رواه مسلم في صحيحه  
 من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ذكر عنده معه أبو طالب فقال " لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح  
 من نار ، يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه " ( ٣ )  
 قال القرطبي : بعد أن ذكر هذا النوع فإن قيل : فقد قال - تعالى - ( فط  
 تنفصم شفاعة الشافعين " ( ٣ ) قيل له لا تنفعه في الخروج من النار كما تنفع  
 عصاة الموحدين الذين يخرجون ويدخلون الجنة " أ. هـ ( ٤ ) .

( ١ ) صحيح البخارى معالفتح ١١ / ٤٠٦ ، صحيح مسلم : ١٩٧٨١ .

( ٢ ) ١٩٥ / ٤ .

( ٣ ) سورة المدثر آية : ٤٨ .

( ٤ ) التذكرة ص ٢٤٩ .

وقال الحافظ: " لعله تنفعه شفاعتي " ظهر من حديث المباس وقومها هذا  
الترجي واستشكل قوله صلى الله عليه وسلم ( تنفعه شفاعتي " بقوله - تعالى -  
( فط تنفعهم شفاعاة الشافعين ) وأجيب بأنه خص ولذلك عدوه في خصائص  
النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : معنى المنفعة في الآية يخالف معنى  
المنفعة في الحديث والعماد بها في الآية الاخراج من النار وفي الحديث  
المنفعة بالتخفيف " أ. هـ ( ١ ) .

### النوع السابع:

شفاعته صلى الله عليه وسلم في أن يؤذن لأهل الجنة في دخولها ومن أدلة  
هذا النوع ما جاء في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال :  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر  
الأنبياء تبعاً " ( ٥ )

وفي حديث آخر عنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
" آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول : محمد  
فيقول : بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك " ( ٣ ) .

### النوع الثامن:

الشفاعة في أهل الكفاير من هذه الأمة ممن دخل النار فيخرجون منها وقد  
تواترت بهذا النوع الأحاديث الكثيرة ( ٤ ) .  
ورغم تواترها فقد خالف في ثبوتها الخوارج والمعتزلة فمن قل عليه منهم ينكرها  
لجهله بكثرة الأحاديث الواردة فيها .

- ( ١ ) فتح الباري ٤٣١/١١ . ( ٢ ) صحيح مسلم ١/١٨٨  
( ٣ ) المصدر السابق ورواه أحمد أيضا في مسنده ٢٤٧/٣ .  
( ٤ ) ذكر هذه الأثرواع العلامة ابن القيم في شرحه على سنن أبي داود ، أنظر  
عن المعبود ١٣/٧٧-٧٨ وابن كثير في النهاية ١٧٩/٢ ، ٢٥٨ ، كط ذكرها  
شارح الطحاوية ص ٢٥٣-٢٥٨ ، فتح الباري ١١/٤٢٨ شرح النووي على  
صحيح مسلم ٣/٣٥ ، تحفة الأحوزي ٧/١٢٧ ، لواع الأنوار البهية ٢/٢٠٤ -  
٢١٧ ، الدين الخالص ٢/٣٠٩-٣١٠ .

وأما من علم تلك الأحاديث منهم فإنكاره لها إنط هو عناد واستكبار عن الحق واسترواح لهذه البدعة المنكرة ، واتباع للهوى .  
وهذه الشفاعة بشارك فيها النبي صلى الله عليه وسلم الثلاثة والنبيون والمؤمنون وأدلة هذا النوع كثيرة جدا .

فمنها ما رواه الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإنى اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله ، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا " ( ١ ) . ومنها ما رواه مسلم في صحيحه عن معبد بن هلال المنزلي قال : اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس ابن مالك ، وذهبنا معنا بثابت البناني إليه / بسأله لنا من حديث الشفاعة فإذا هو في قصره فوافقناه بصلي الضحى ، فاستأذنا ، فأذن لنا وهو قاعد على فراشة فقلنا لتأبى لا تسأله من شيء أول من حديث الشفاعة فقال : يا أبا حمزة هؤلاء إخوتك من أهل البصرة جاؤوك يسألونك عن حديث الشفاعة فقال :

" حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال : إذا كان يوم القيامة طج الناس بعضهم في بعض . . . . الحديث وفيه أنهم يأتون آدم فيطلبون منه أن يشفع لهم ، فيحيلهم على إبراهيم وإبراهيم يحيلهم على موسى وموسى يحيلهم على عيسى ، وعيسى يحيلهم على الرسول صلى الله عليه وسلم فيأتونه فيقول : أنا لها فأستأذن على ربي فيؤذن لي ، ويلهمني محامداً أحمدته بها ، لا تحضرني الآن ، فأحمده بتلك المحامد ، وأخر له ساجداً ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وأشفع تشفع ، وسل تعط ، فأقول : يا رب أمتي أمتي ، فيقال انطلق فأخرج / منها / من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجداً ، فيقال : يا محمد ، أرفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وأشفع تشفع ، وسل تعط ، فأقول : يا رب أمتي أمتي

فيقال : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيطن فأطلق فأفعل ، ثم أعود بتلك المعامد ، ثم أخرله ساجدا فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل بسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب أمّتي أمّتي فيقول : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار ، فأطلق فأفعل . قال : فلما خرجنا من عند أنس ، قلت لبعض أصحابنا لو مررنا بالحسن ، وهو مقوار في منزل أبي خليفة فحدثناه بط حدثنا به أنس بن مالك فأتيناه فسلمنا عليه ، فأذيق لنا ، فقلنا له : يا أبا سعيد جئناك من عند أخيك أنس بن مالك فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة ، فقال : هيه ؟ فحدثناه بالحديث ، فانتهى إلى هذا الموضوع ، فقال : هيه ؟ فقلنا له لم يزد لنا على هذا ، فقال : لقد حدثني وهو يومئذ جميع ، ، منذ عشرين سنة فط أدري ، أنسي ، أم كره أن تتكلموا ؟ فقلنا : يا أبا سعيد ، فحدثنا ، فضحك وقال : خلق الإنسان عجولا ما ذكرته الا وأنا أريد أن أحدثكم ، حدثني كما حدثكم به ، قال : ثم أعود الرابعة ، فأحمده بتلك المعامد ثم أخرله ساجدا فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل بسمع ، وسل تعطه واشفع تشفع ، فأقول : يا رب أعظمي وعبرائي لأخرجن منها من قال : لا إله إلا الله ( ١ )

فهذا الحديث : وأمثاله من الأحاديث الواردة في شفاعة صلى الله عليه وسلم لأهل الكفاية من أمته بلغت مبلغ التواتر ورغم ذلك فقد خفي علم ذلك على الخواص والمعتزلة ، فخالقوا في ذلك ، لجهلهم بصحة الأحاديث ، وهذا ممن علم ذلك واستمر على بدعته ، وهذه الشفاعة ، تشارك فيها الطائفة والنبين والمؤمنون ( ٢ ) أيضا .

( ١ ) ١٨٢/١ - ١٨٤

( ٢ ) أنظر النهاية لابن كثير ٢/ ١٨٠ .

للحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا قال : " فيقول الله - تعالى - شفعت الطائفة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوط لم يعملوا خيرا قط " ( ١ ) .

قال شارح الطحاوية : " ثم إن الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال : فالمشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم : يجعلون شفاعة بن يعظموه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا . والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم في أهل الكباير . وأما أهل السنة والجماعة ، فيقررون بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم في أهل الكباير وشفاعة غيره لكن لا يشفع أحدنا بأذن الله له ويحيد له حدا كما في الحديث الصحيح حديث " الشفاعة " ( إنهم يأتون آدم ثم نوحا ، ثم إبراهيم ثم موسى ، ثم عيسى ، فيقول لهم عيسى عليه السلام : " اذهبوا إلى محمد ، فإنه عبد عفر الله له ما تقدم من ذنبه وطأخر ، فيأتوني ، فأذهب فإذا رأيت ربي خررت له ساجدا فأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن ، فيقول : أي محمد ارفع رأسك وقل بسمع ، وشفع تشفع ، فأقول : ربي : أمي ، فيحيد لي حدا فأدخلهم الجنة ، ثم أنطلق فأسجد ، فيحد لي حدا " ( ٢ ) ذكرها ثلاث مرات " أ. هـ ( ٣ ) .

والذي نخلص إليه ما تقدم أن الشفاعة التي نفاها القرآن هي الشفاعة التي تعلق بها المشركون الذين اتخذوا من دون الله ، الشفعا ، والأولياء ، والأولياء ، فعاملهم الله بنقيض قصدهم من شفعاتهم وأما الشفاعة المثبتة التي

( ١ ) ١٧٠ / ١ ، صحيح البخارى ٢٨٦ / ٤ .

( ٢ ) صحيح البخارى ٢٨٦ / ٤ - ٢٨٧ ، صحيح مسلم ١٨٠ / ١ - ١٨٢ .

( ٣ ) شرح الطحاوية ص ٣٦٠ .



أثبتها القرآن فهي التي ينوز بها الموحدون والتي أرشد إليها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لأبي هريرة رضي الله عنه سأله عنها : حين سأله عنها " من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال " أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قبله " ( ١ ) .

فتأمل كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد وتخليصه من شوائب الشرك ، وذلك عكس ما عند المشركين : حيث زعموا أن الشفاعة تنال باتخاذهم أولياءهم شفعا ، وعبادتهم ومولاتهم من دون الله وقد أبطل الله هذا الزعم في كتابه سنة رسوله صلى الله عليه وسلم بأنه لا تطلب الشفاعة إلا منه - تبارك وتعالى - ولا يعبد إلا هو - سبحانه - ولا ولا إلا له - جل ولا - والمتأمل لحديث أبي هريرة السابق يرى أنه قلب اللفظ يوم الذي يتصوره المشركون ، وأبان للناس أجمعين مسلمهم وكافرهم أن سبب الشفاعة الوحيد هو تجريد التوحيد ، وحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع وبالله التوفيق وهو المستعان .

---

( ١ ) صحيح البخاري مع الفتح ٤١٨/١١ ، وأحمد في المسند ٣٧٣//٢ .

## ( المبحث الثالث عشر )

الرسول بعوثوا للدعوة إلى توحيد الله بتوحيد العبادة

من أجل توحيد الألوهية أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب فط من رسول أرسله الله إلى العباد إلا كان هذا التوحيد أساس دعوته وجوهرها .

قال تعالى : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) ( ١ )

وقال تعالى ( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ) ( ٢ ) وأخبرنا - سبحانه - في محكم كتابه عن رساله نوح وهود وصالح وشعيب أنهم جميعا دعوا أقوامهم إلى توحيد العبادة .

فقال نوح عليه الصلاة والسلام لقومه : ( يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أظلمت أعينكم ) ( ٣ ) فهذه دعوة أول رسول بعد حدث الشرك .

وقال هود عليه الصلاة والسلام لقومه : ( يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ) ( ٤ )

وقال شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه : ( يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ) ( ٥ ) وقال صالح عليه السلام لقومه : ( يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ) ( ٥ ) وقال إرميا الخنفاء وأبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام :

( أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون ممن دون الله أظلمت أعينكم ) ( ٧ ) .

وقال تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام ( يا صهيبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماءٌ اسميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثرنا يعلمون ) ( ٨ ) .

- |                               |                                 |
|-------------------------------|---------------------------------|
| ( ٢ ) سورة الأنبياء آية : ٢٥  | ( ٣ ) سورة النحل آية : ٣٦       |
| ( ٤ ) سورة الأعراف آية : ٥٩   | ( ٥ ) سورة هود آية : ٨٥         |
| ( ٦ ) سورة الأعراف آية : ٧٣   | ( ٧ ) سورة الأنبياء آية : ٦٦-٦٧ |
| ( ٨ ) سورة يوسف آية : ٣٩ - ٤٠ |                                 |

وأما المسيح الذي زعم النصارى أنه ابن الله **أم هو الله** ، أو ثالث ثلاثة فقد كان من أشد الناس عبودية لله تعالى ، ولم يستنكف أن يكون عبدا لله فإنه قال ( إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ) ( ١ ) وأما كليم الله موسى عليه الصلاة والسلام فإنه واجه بني إسرائيل بإفكار بليغ ومؤثر في النفس حين طلب منه بنو إسرائيل أن يجعل لهم إلهاً فأنكر عليهم ذلك أشد الإنكار قال تعالى حكاية عنهم ( يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ) إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبفيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين ) ( ٢ ) .

وقد حكى الله في كتابه عن يعقوب عليه الصلاة والسلام أنه اختبر بنيه عن الإله الذي يعبدونه من بعده قال تعالى ( أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نبعث إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ) ( ٣ ) .

وأما مسك الختام وبدر التمام محمد بن عبد الله عليه من الله أزكى الصلاة والسلام فإنه صرح اليهود والنصارى بطأمرة الله به قال تعالى ( قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ) ( ٤ ) .

قاله - عز وجل - أرسل الرسل وأنزل عليهم الكتب ، وخلق السموات والأرض ليعرفه العباد ويعبدوه ويوحدوه ويكون الدين كله لله والطاعة كلها له وحده لا شريك له . . ويفرد **بالتوحيد الألوهية**

( ٢ ) سورة الأعراف آية : ١٣٨ - ١٤٠

( ١ ) سورة آل عمران آية : ٥١ .

( ٤ ) سورة آل عمران آية : ٦٤ .

( ٣ ) سورة البقرة آية : ١٣٢ .

فتوحيد الألوهية هو حقيقة دين الإسلام فقد كانت الشهادات أول ركن من أركانه ، ولذلك قال : صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً متفق عليه ( ١ ) .

وقال صلى الله عليه وسلم لعازل حين بعثه إلى اليمن : " إنك تأتي قوم من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله . . . . .

الحديث ( ٢ ) فتوحيد العبادة هو أول واجب على المكلف لا النظر ولا القصد

إلى النظر ولا الشك كط هي أقوال لمن لم يعرف ما بعث الله به رسوله

صلى الله عليه وسلم من معاني القرآن والسنة فهو أول واجب كط قال صلى

عليه وسلم " يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا " ( ٣ ) وهو آخر ما

يخرج به من الدنيا كط قال صلى الله عليه وسلم " من كان آخر كلامه

لا إله إلا الله دخل الجنة " ( ٤ ) بل إن أول وصية في القرآن وأول أمر

فيه هو الدعوة إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة كل ما سواه ، ومن سواه من

الآلهة المزمومة سواء كان من الجن أو أي مخلوق آخر فروح الإسلام

وقطب رحاه الذي يدور عليه هو توحيد الله - تعالى - بتوحيد العبادة .

قال تعالى ( يا أيها المدثر قم فأندر وربك فكبر . وشياك فطهر والرجز

فاهجر ) ( ٥ )

وقال تعالى ( إياك نعبد وإياك نستعين ) ( ٦ ) .

وقال عز شأنه ( يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم

لملكم تتقون ) ( ٧ ) .

( ١ ) صحيح البخاري : ١١ / ١ ، صحيح مسلم ج ١ / ٤٥ سنن الترمذي : ٤ / ١١٩

النسائي ١٠٧ / ٨ - ١٠٨ .

( ٢ ) صحيح مسلم ١ / ٥٠ ، النسائي ٥ / ٢ .

( ٣ ) رواه أحمد في مسنده من حديث ربيعة بن عباد الديلمي ٣ / ٤٩٢ .

( ٤ ) المستدرک للحاکم وصحیحه ١ / ٣٥١ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه .

( ٥ ) سورة المدثر آية : ١ - ٥ . ( ٦ ) سورة الفاتحة آية : ٤ ، ٥ .

( ٧ ) سورة البقرة آية : ٢١ .

ومن هذه الآيات والأحاديث المتقدمة يتبين بطلان زعم بعض المتكلمين بأن غاية التوحيد هو : أن الله واحد في ذاته لا تقسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له ، وواحد في أفعاله لا شريك له ( ١ ) لأن التوحيد الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله ليس هو هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها ، وإن كان فيها ما هو داخل في التوحيد الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ليس توحيدهم التوحيد الذي ذكر الله ورسوله ، وهو عبادة الله وحده ، فمن عبد الله ، لم يشرك به شيئاً فقد وحده ، ومن عبد دونه شيئاً من الأشياء فهو مشرك ليس بموحد مخلص له الدين ، وإن كان ، مع ذلك قائلًا بهذه المقالات التي زعموا أنها التوحيد حتى لو أقرباًن الله وحده خالق كل شيء وهو التوحيد في الأفعال " لكان مشركاً ، وهذه حال مشركي العرب الذي بعث الرسول إليهم ابتداءً ١ وأنزل القرآن ببيان شركهم ودعاهم إلى توحيد الله وإخلاص الدين له " ( ٢ ) .

---

( ١ ) المثل والنحل ١ / ٤٢ .

( ٢ ) تلبس الجهمية ١ / ٤٧٨ ، وأنظر درة تعارض العقل والنقل ١ / ٢٢٥-٢٢٦ .

## الفصل الثالث

### الفصل الثالث

دلالة السورة على توحيد الربوبية

ويشتمل على المباحث الآتية :

- المبحث الأول : تعريف توحيد الربوبية .
- المبحث الثاني : دلائل توحيد الربوبية من السورة .
- المبحث الثالث : اقرار المشركين الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم بوجود الله تعالى .
- المبحث الرابع : اقرار بتوحيد الربوبية يستلزم اقرار بتوحيده الالهية .

## المبحث الأول

## تعريف توحيد الربوبية

معنى الرب في اللفظة :

الرب في اللفظة : يطلق على المالك ، والسيد ، والدبير ، والمربي والقيم والمنعم ، والمتمم ، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله - تعالى - وإذا أطلق على غيره أضيف فيقال : رب كذا . . . ومنه حديث أبي هريرة ( لا يقل المملوك لسيد ربي )<sup>(١)</sup> كره أن يجعل مالكه ربا له لمشاركة الله تعالى في الربوبية فأما قوله تعالى (( اذكرني عند ربك ))<sup>(٢)</sup> فإنه خاطبه على المتعارف عندهم ، وعلى ما كانوا يسمونهم به ومثله قول موسى عليه السلام للسامري (( وانظر إلى الهك ))<sup>(٣)</sup> أي : الذي اتخذته الهيا . وأما الحديث في ضالة الإبل ( حتى يلقاها ربا )<sup>(٤)</sup> فإن البهائم غير متعبدة ولا مخاطبة فهي بمنزلة الأموال التي يجوز إضافة مالكيها اليها وجعلهم أربابا لها . ومنه حديث عمر رضي الله عنه ( رب الصويمية ورب الغنمية )<sup>(٥)</sup> وقد كثر ذلك في الحديث<sup>(٦)</sup> . وجاء في الصحاح للجوهري : ( رب كل شي \* : مالكه ، والرب اسم من أسماء الله - عز وجل - ولا يقال : في غيره إلا بالإضافة ، وقد قالوه في الجاهلية للملك قال الحارث بن حلزة :

(١) رواه أبو داود في سننه ٥٩١/٢ .

(٢) سورة يوسف آية ٤٢ (٣) سورة طه آية ٩٧

(٤) رواه ابن ماجه من حديث زيد بن خالد الجهني ٨٢٧/٢ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه أنظر "فتح الباري" ١٧٥/٦

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ١٧٩/٢ - ١٨٠ .



وهو الرب على يوم الحيارين والبلاء .

والرهاني : المتأله المعارف بالله - تعالى - وقد قال سبحانه - (( ولكن

كونوا ربانيين ))<sup>(١)</sup> ورببت القوم سستهم أي : كنت فوقهم . قال أبو

نصر : وهو من الربوية ، ومنه قول صفوان : لأن برهني رجل من قريش أحب

إلي من أن برهني رجل من هوازن . ورب الضيعة : أي : أصلحها وأتمها .

ورب فلان ولده يرهبه ربا ورهبه ، وترهبه بمعنى أي : ربا . أ . ه .<sup>(٢)</sup>

وجاء في المفردات في غريب القرآن : " الرب : في الأصل من التربة وهو

إنشاء الشيء " حالا فحالا إلى حد التمام يقال : ربه ، ورباه ، ورهبه . . . . .

فالرب : مصدر ستمار للفاعل ولا يقال : الرب مطلقا إلا على الله - تعالى -

المتكفل بصلحة الموجودات نحو قوله تعالى (( بلدة طيبة ورب غفور ))<sup>(٣)</sup> . . .

وبالإضافة يقال : له ولنفيده نحو قوله (( رب العالمين ))<sup>(٤)</sup> ويقال : رب الدار

ورب الفرس لصاحبها " أ . ه .<sup>(٥)</sup>

### المعنى الإصطلاحي لتوحيد الربوية :

هو أفراد الله بأفعاله : كالخلق والرزق ، فلا بد من الاعتقاد الجازم

بأنه - تعالى - الخالق الرازق المحيي المميت المدبر ، المعطي مانع ، الضار

النافع ، القادر المقدر مالك الملك الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

( ١ ) سورة آل عمران آية / ٧٩

( ٢ ) الصحاح / ١ / ١٣٠ وانظر القاموس / ١ / ٧٢ - ٧٣ ، اللسان / ١ / ٣٩٩ وما بعدها .

( ٣ ) سورة سبأ آية / ١٥ ( ٤ ) سورة الفاتحة آية / ١

( ٥ ) المفردات للراغب ص ١٨٤ وانظر أحكام القرآن لابن العربي / ١ / ٢٧٩ .

قال العلامة ابن القيم رحمته الله الرب : له الجمع الجامع لجميع المخلوقات فهو رب كل شيء ، وخالقه ، والقادر عليه لا يخرج شيء عن رهيته وكل من في السموات والارض عبد له في قبضته وتحت قهره ، فاجتمعوا بصفة الربوبية ، وافترقوا بصفة الالهية فألهم وحده السعداء ، وأقروا له طوعا بأنه الله الذي لا اله الا هو ، الذي لا تنهض العبادة ، والتوكل ، والرجاء ، والخوف والحب ، والانابة والاخبات ، والخشية ، والتذلل ، والخضوع الا له ، وههنا افترق الناس وصاروا فريقين فريقا شركيين فسي السعير ، وفريقا موحديين في الجنة ، فاللهية هي التي فرقتهم ، كما أن الربوبية هي التي جمعتهم " أ . هـ (١)

وقال في تيسير العزيز الحميد مرفعا توحيد الربوبية : " هو الإقرار بأن الله - تعالى - رب كل شيء ومالكة ، وخالقه ، ورازقه ، وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد باجابة الدعاء عند الاضطرار ، الذي له الامر كله ، ويده الخير كله القادر على ما يشاء ، ليس له في ذلك شريك ، ويدخل في ذلك الايمان بالقدر وهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول الاسلام بل لابد أن يأتي مع ذلك يلزمه من توحيد الالهية ، لان الله حكى عن المشركين أنهم مقررون بهذا التوحيد لله وحده " (٢)

وجاء في لوامع الانوار : " توحيد الربوبية أن لا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت ولا موجد ولا معدم الا الله تعالى " (٣)

( ١ ) مدارج السالكين ٣٤/١ .

( ٢ ) ص ١٧

( ٣ ) ١٢٨/١ - ١٢٩ .

وقال محمد صديق حسن خان في كتابه " الدين الخالص " بينا معنى  
توحيد الربوبية " ومعناه : أن الله وحده هو الخالق للعالم وهو الرب  
لهم ، والرازق لهم ، وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شركاء  
بل هم مقرون به " أ. هـ (١) .

والذي نخلص اليه من تعريفات أهل العلم لتوحيد الربوبية أنه  
لا بد من الاعتقاد الجازم بأن الله - تعالى - هو الرب المفضل بالخلق  
والرزق والتدبير الذي ربي جميع الخلق بأصناف نعمه ، وهي خواص  
خلقه وهم الانبياء وأتباعهم الذين آمنوا بهم وصدقوا بما جاءوا به من  
عند ربهم بالمقائد الصحيحة ، والاخلاق الجميلة والمعلوم النافعة ،  
والاعمال الصالحة .

## ( المبحث الثاني )

## دلائل توحيد الربوبية من السورة

لقد ذكرت سورة " الزمر " الكثير من دلائل توحيد الربوبية  
لقد بينت أنه تعالى الخالق للسموات والارض وما بينهما ، وأنه - سبحانه -  
هو الذي جعل الليل والنهار يتعاقبان بحيث اذا ذهب هذا خلفه الاخر ،  
وهو الذي سخر الشمس والقمر لتهيئة صالح العباد ومنافعهم ، وهو الذي  
خلق بني آدم من نفس واحدة وهو آدم عليه السلام ، وهو الذي خلق لهم  
الازواج الثمانية من الانعام التي تعتبر أكثر الحيوانات نفعا لبني الانسان ،  
وهو الذي يرعاهم بلطفه وعنايته وهم في الارحام في ظلمات ثلاث وهو الذي  
ينزل المطر من السماء وينبت النبات ، وهو - سبحانه - المتصرف في شئون  
خلقه بالاحياء والاماتة والميظنة والنوم ، وسطه - تعالى - الرزق لمن  
يشاء وتضييقه على من يشاء ، ثم بينت السورة في ختام تلك الدلائل أن عقائد  
السموات والارض بيده - سبحانه - تلك هي دلائل توحيد الربوبية في السورة  
وسأتحدث عن كل واحد منها بحد يث خاص حتى يتبين وجه دلائلها  
على ربوبية الخالق وأنه - سبحانه - المستحق للعبادة وحده لا شريك له .  
والى بيان تلك الادلة مرتبة :

١ - خلق السموات والارض :

لقد دلت السورة على أن خلق السموات والارض من أعظم الايات  
الدالة على ربوبية - تعالى - والتمركز عليه - سبحانه - في آيتين منها :  
قال تعالى (( خلق السموات والارض بالحق . . . )) الآية . وقال تعالى

(( قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون )) .

ان خلق السموات والارض وابداعهما على هذه الصورة من أعظم الايات الدالة على ربوبية الله ، والتعريف عليه - سبحانه - فقد أوضح الحق - سبحانه - بقوله (( خلق السموات والارض بالحق )) أنه بالحق المتجرد عن اللهو والعبث ، وثبت فيهما من الحكم العظيمة التي يتجلى بعضها لعباده المتفكرين المتدبرين في خلقهما .

وأما قوله تعالى (( قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون )) فهذه الآية فيها أمر : للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يدعو الله وحده لا شريك له الذي خلق السموات والارض وفطرها على غير مثال سابق قال ابن جرير الطبري : عند قوله تعالى (( خلق السموات والارض بالحق )) يقول تعالى ذكره : مصرفا خلقه حجته عليهم في توحيد ه ، وأنه لا تصلح الالهوية الا له : خلق ربكم أيها الناس السموات والارض بالعدل - وهو الحق منفردا بخلقها لم يشركه في انشائها واحد اشها شريك ولم يعنه عليها معين <sup>(١)</sup> . فالاله الحق الذي يستحق أن يعبد هو من يخلق وينشي السموات والارض ، وليس ذلك في مقدور أحد سوى رب العالمين الذي لا تنبغي العبادة الا له وحده دون سواه ، فالسموات جعلها الله سقفا محفوظا تتألف من سبع طبقات وفيها من مخلوقات الله المجيبة ما الله بها عليم يحكمها نظام متقن تسير على وفقه ، وذلك النظام هو النظام الالهي الرباني الذي يحافظ على سيرها العام دون أن يحصل فيها خلل أو فطور قال تعالى (( الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن

من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك  
 البصر خاسئا وهو حسير)) (١) وقد تحدث العلامة ابن القيم في كتابه "مفتاح  
 دار السعادة" عن آيات الله الدالة على وجوده وقدرته وحكمته في خلقه  
 السموات وابداع صنعها وما هي عليه من حيث السعة والعظم ، وحسن  
 خلقها ونائها كما أوضح بأنها أشمل للمعجائب التي دللت على وجود الخالق  
 - سبحانه - وأن دلالتها على وجود الله - تعالى - أوضح من دلالة المخلوقات  
 الاخرى ، ثم قرر أنه لا نسبة لجميع ما في الارض الى عجائب السموات .

قال رحمه الله تعالى ؛ " فالارض والبحار والهواء وكل ما تحت السموات  
 بلاضافة الى السموات كقطرة في بحر ولهذا قل أن تجيب " سورة في القرآن  
 الا وفيها ذكرها اما اخباراً عن عظمها وسمعتها ، واما اقسامها بها ، واما  
 دعاها الى النظر فيها ، واما ارشادها للمعبود أن يستدلوا بها على عظمة  
 بانيتها ورافعتها ، واما استدلالا منه - سبحانه - بخلقها على ما أخبر من  
 المعاد والقيامة ، واما استدلالا منه برهوبيته لها على وحدانيته ، وأنه الله  
 الذي لا اله الا هو ، واما استدلالا منه بحسنها واستوائها والتتام اجزائها  
 وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدرته ، وكذلك ما فيها من الكواكب والشمس  
 والقمر والمعجائب التي تتقاصر عقول البشر عن قليلها فكم من قسم في القرآن  
 بها ؟ كقوله (( والسما ذات الجروج ، والسما والطارق ، والسما وما بناها  
 والسما ذات الرجح ، والشمس وضحاها ، والنجم اذا هوى ، والنجم الثاقب  
 فلا أقسم بالخنس ، وهي الكواكب التي تكون خنسا عند طلوعها حوار  
 في مجراها ، وسيرها عند فروعها فأقسم بها في أحوالها

الثلاثة ، ولم يقسم في كتابه بشيء من مخلوقاته أكثر من السماء والنجوم  
والشمس والقمر وهو سبحانه - يقسم بما يقسم به من مخلوقاته لتضمنه الايات  
والمجائب الدالة عليه وكلما كان أعظم آية وأبلغ في الدلالة كان اقصاه به أكثر  
من غيره ولهذا يعظم هذا القسم كقوله (( فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم  
لو تعلمون عظيم )) أ. هـ (١) وقال في موضع آخر " فتأمل خلق السماء وارجع  
البصر فيها كرة بعد كرة كيف تراها ؟ من أعظم الايات في علوها وارتفاعها  
وسمتها وقرارها بحيث لا تصعد علوا كالنار ولا تهبط نازلة كالأجسام الثقيلة  
ولا عمد تحتها ولا علاقة فوقها بل هي مسوكة بقدره الله الذي يمسك  
السموات والارض أن تزولا ثم تأمل استوائها واعتدالها فلا صدع فيها ولا  
قطر ولا شق ولا أمت ولا عوج ثم تأمل ما وضعت عليه من هذا اللون الذي هو  
أحسن الالوان وأشدها موافقة للبصر وتقوية له . أ. هـ (٢) .

فلقد أوضح ابن القيم دلالة خلق السموات وعلو أن للمالم خالقها  
حكيمًا عليما قدره أحسن تقدير ونظامه أحسن نظام ولقد حث القرآن الكريم في  
غير ما آية على التكرار في خلق السموات والارض وبين أن الذي أقامها  
وأسكنها إنما هو الخالق القادر على كل شيء المستحق للعبادة وحده دون  
سواه . قال تعالى (( الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وألقى في الارض  
رواسي أن تعمد بكم )) (٣) .

(٤) وقال تعالى (( أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت ))

- ١ - مفتاح دار السعادة ١/ ١٩٦-١٩٧ والايتان رقم ٧٥-٧٦ من سورة الواقعة .
- ٢ - مفتاح دار السعادة ١/ ٢٠٧ .
- ٣ - سورة الرعد آية ٢ / ( ٤ ) سورة الفاشية آية ١٧-١٨

أفلا ينظرون ؟ من رفع السماء بلا عمد ترونها وهي بمعدة المدى لا علاقة من فوقها ولا عمد تحتها تسندها ولا يدخل في حساب الخلق نجومها ؟ وقال تعالى (( ان الله يسبك السموات والارض أن تزلوا ولئن زالتا ان أسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا ))<sup>(١)</sup> . فهو سبحانه قيوم السموات والارضين فلا قيام لهما ولا استقرار الا به سبحانه وتعالى .

وأما خلق الارض وما فيها من الجبال والهضاب والسهل والوعر والرميل والبحار والانهار وما في بطنها من المعادن وغيرها من المنافع الظاهرة والباطنة التي تساعد الانسان على بناء حياته لادلة واضحة على ابداع الخلاق الحكيم ، سبحانه وتعالى وقد نبه الله عباده في غير ما آية الى النظر والتفكير في الارض . قال تعالى (( وفي الارض آيات للموقنين ))<sup>(٢)</sup>

فالأرض طيبة بالمعبر والعظاات لاهل اليقين . قال تعالى (( أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت ))<sup>(٣)</sup> أفلا ينظرون ؟ من بسط الارض ودحاها وجعلها بساطا متدا في الطول والعرض (( لتسلكوا منها سبلا فجاجا ))<sup>(٤)</sup> تثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان ويتمتع بخيراتهما الانسان ؟ انه الله . . فلا شيء يخلق نفسه .

وقد أشنى الله - تعالى ع على عباده الذين يتفكرون في خلق السموات والارض ، وبين الثمرة التي تحصل لهم نتيجة تفكيرهم ومدبرهم في خلق

( ١ ) سورة فاطر آية / ٤١ ( ٢ ) سورة الذاريات آية / ٢٠

( ٣ ) سورة الفاشية آية / ١٧-٢٠ ( ٤ ) سورة نوح آية / ٢٠



السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَقَالَ تَعَالَى ؛ (( ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض . ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار ))<sup>(١)</sup> .

فتأمل أولي الالباب في خلق ربهم للسموات والارض وما احتوا عليه من الايات الدالة على قدرة - البارئ سبحانه وتعالى - أكسبهم الثمرة المطلوبة وتلك الثمرة هي أنهم يذكرونه - سبحانه - في جميع حالاتهم قياما ، وقعودا وعلى جنوبهم ، ثم أيقنوا وآمنوا بأن الرب - سبحانه وتعالى - لم يخلق هذه المخلوقات عبثا ولذلك نزهوه عن العبث فقالوا (( ربنا ما خلقت هذا باطلا )) .

فتفكرهم في هذا الكون الفسيح علويه وسفليه نقلهم الى الايمان بما وراء هذا الكون وهو الدار الآخرة ولذلك تضرعوا الى الله أن يقيمهم عذاب النار الذي يوجب لصاحبه الخزي والمار فقالوا (( سبحانه فقلنا عذاب النار )) .

وقد ذم الله المعرضين عن التفكير فيما خلق الله من المخلوقات فسي السموات والارض فقال - سبحانه - : (( وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ))<sup>(٢)</sup> .

قال ابن كثير : أي لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم والارتفاع الباهر ، وما زينته به من الكواكب الثوابت والسيارات في ليلها ونهارها

( ١ ) سورة آل عمران آية / ١٩٠-١٩١ ( ٢ ) سورة الانبياء آية / ٣٢

من هذه الشمس التي تقطع الفلك بكماله في يوم وليلة ، فتسير غاية لا يعلم قدرها الا الله الذي قدرها وسخرها وسيرها " أ.هـ (١)

وقال تعالى (( وكأين من آية في السموات والارض يعمرون عليها وهم عنها معرضون )) (٢) .

" يخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكير في آيات الله ، ودلائل توحيد ، بما خلقه الله في السموات والارض من كواكب زاهرات ثوابت ، وسيارات وأفلاك دائرات ، والجميع مسخرات ، وكم في الارض من قطع متجاورات ، وحدائق وجنات ، وجبال راسيات ، وبحار زافرات وأمواج متلاطحات ، وقفار شاسعات ، وكم من أحياء وأموات وحيوان ونبات ، وشجرات متشابهة ومختلفات في الطعموم والروائح والالوان والصفات ، - فسبحان الواحد الاحد خالق أنواع المخلوقات ، المتفرد بالذوام والبقاء والصدية للاسماء والصفات وغير ذلك " أ.هـ (٣) .

فالسماوات والارض مليئة بالآيات البينات والحجج الواضحات التي تهدي الانسان وتعلمه على أن وراء هذا الكون خالقا حكيما طيبا ، هو المستحق أن يعبد وحده دون سواه .

## ٢ - تعاقب الليل والنهار :

ان تعاقب الليل والنهار المشار اليه في السورة بقوله تعالى (( يكرر الليل على النهار ويكرر النهار على الليل )) بادخال أحدهما على الآخر وتداخلهما من أعجب آيات الله ، ودافع صنعه ، ولذلك يعبد - البارئ

( ١ ) تفسير القرآن الكريم ٥٦١/٤ . ( ٢ ) سورة يوسف آية ١٠٥/

( ٣ ) تفسير ابن كثير ٥٥/٤ .

سبحانه - ذكرهما في القرآن ويديه ،

قال تعالى (( ومن آياته الليل والنهار ))<sup>(١)</sup> وقوله تعالى (( وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ))<sup>(٢)</sup> وقوله سبحانه  
(( وهو الذي جعل الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا ))<sup>(٣)</sup> .

فالله تعالى هو الذي يحول ضياء النهار الى ظلام الليل ليتمكن الانسان من الحصول على الهدوء والسكينة حتى يرتاح من ارهاق العمل ومشقة السعي ، وحتى يستجمع قواه ويجدد نشاطه ليواصل سعيه من جديد اذا ما جاء النهار وولى الظلام<sup>(٤)</sup> .

وفي ذلك عبر ودلالات واضحة على ربوبية الله - تعالى - وتصرفه فسي الكون كيف يشاء .

وعند التأمل في مقدار الليل والنهار نجد ها على غاية المصلحة والحكمة وأن مقدار الليل والنهار لو زاد على ما قدر له أو نقص لغاتت المصلحة واختلفت الحكمة بذلك بل جعل الله لهما مقدارا معيناً وهو أربعة وعشرون ساعة ويتقارضان الزيادة بينهما فما يزيد في أحدهما من الاخر يعمود الاخر فيسترد منه وفي ذلك قال تعالى (( يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ))<sup>(٥)</sup> وفي الآية قولان :

أحدهما : أن الممنى يدخل ظلمة هذا في مكان ضياء ذلك وضياء هذا فسي

( ١ ) سورة فصلت آية / ٣٧ ( ٢ ) سورة الفرقان آية / ٦٢

( ٣ ) سورة الفرقان آية / ٤٧

( ٤ ) أنظر مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢٠٣/١ بتصرف .

( ٥ ) سورة الحديد آية / ٦

مكان ظلمة الاخر فيدخل كل واحد منهما في موضع الاخر وعلى هذا القول تكون الآية عامة في كل ليل ونهار .

الثاني : أنه يزيد في أحدهما ما ينقصه من الاخر فما ينقص منه يلج في الاخر لا يذهب جملة وعلى هذا القول فالآية تكون خاصة ببعض ساعات كل من الليل والنهار في غير زمن الاعتدال فهي خاصة في الزمان وفي مقدار ما يلج في أحدهما من الاخر . (١) ولا تنافي بين القولين فكلاهما حق .

وعلى كل باختلاف الليل والنهار وزيادة أحدهما ونقصان الاخر — أظهر الأدلة على تصرفه سبحانه في هذا الكون وذلك لان النور والظلمة عسكران مهيبان عظيمان وفي كل يوم يغلب هذا ذاك تارة وذاك هذا أخرى، وذلك يدل على أن كل واحد منهما مغلوب مقهور ولا بد من غالب قاهر لهما يكونان تحت تدبيره وقهره وهو الله سبحانه وتعالى ؛ (٢)

٣ - تسخير الشمس والقمر لتهيئة مصالح العباد ومانعهم :

إذا تأمل الانسان بفكر عميق وعقل متدبر في بعض جزئيات هذا الكون المسخر لصالحه والتي عليها استقرار حياته كغاه ذلك دليلا واضحا وحجسة بينة على أن هذا الكون مخلوق لخالق حكيم قدير ومن جزئيات هذا العالم تسخير الشمس والقمر والشار اليه في السورة بقوله تعالى (( وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل سمي ألا هو العزيز الففار )) .

ان الشمس والقمر عليهما يترتب قوام حياة البشرية وحياة جميع المخلوقات

( ١ ) مفتاح دار السعادة ١ / ٢٠٩ - ٢١٠ .

( ٢ ) تفسير الرازي ٢٦ / ٢٤٤ .

من حيوان ونبات ،

قال الرازي : والثالث : اعتبار أحوال الكواكب لاسيما الشمس والقمر  
فان الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل وأكثر مصالح هذا العالم  
مربوطة بهما وقوله (( كل يجري لاجل مسمى )) الاجل المسمى يوم القيامة  
لا يزالان يجريان الى هذا اليوم فاذا كان يوم القيامة ذهبوا ونظيره قوله  
تمالى (( وجمع الشمس والقمر ))<sup>(١)</sup> والمواد من هذا التسخير أن هذه  
الافلاك تدور كدورات المنجنون<sup>(٢)</sup> على حد واحد الى يوم القيامة وعندئذ  
تأوى السماء كطي السجل للكتب أ. هـ<sup>(٣)</sup> ،

وقال العلامة ابن القيم : ثم تأمل هذا الفلك الدوار بشمس وقمره  
ونجومه وبروجه وكيف يدور على هذا العالم هذا الدوران الدائم الى آخر  
الاجل على هذا الترتيب والنظام وما في طبي ذلك من اختلاف الليل والنهار  
والفصول والحر والبرد وما في ضمن ذلك من مصالح ما على الارض من أصناف  
الحيوان والنبات وهل يخفى على ذي بصيرة ان هذا ابداع المبدع الحكيم  
وتقدير العزيز العليم ولهذا خاطب الرسل أمتهم مخاطبة من لا شك عنده في  
الله وانما دعوتهم الى عبادته وحده لا الى الاقرار به . أ. هـ<sup>(٤)</sup>

فتماقب الليل والنهار ناتج عن طلوع الشمس وغروبها فلولا تسخيره سبحانه  
الشمس والقمر والليل والنهار بصورة منظمة محكمة بلفت النهاية في التنظيم

( ١ ) سورة الشامة آية ٩ /

( ٢ ) المنجنون : الدواب التي يستقى عليها . أنظر " مختار الصحاح " ص ٦٣٥

( ٣ ) التفسير الكبير ٢٦ / ٢٤٤ .

( ٤ ) مفتاح دار السعادة ١ / ٢١٢

الليل بذكر السمع لان سلطان السمع يكون بالليل وتسمع فيه الحيوانات ما لا تسمع في النهار لانه وقت هدوء الاصوات وجمود الحركات .<sup>(١)</sup>

وهناك فوائد أخرى مترتبة على حركة الشمس والقمر أشار اليها سبحانه بقوله (( هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون ))<sup>(٢)</sup>

فالخلق بأسرهم بحاجة ماسة الى معرفة الحساب الذي لا غناء لهم في صالحهم عنه فعليه تتوقف معرفة أعمارهم والا جال الضرورة للديون والاجارات والمعاملات والعدد وغير ذلك فلولا حلول الشمس والقمر في المنازل وتنقلهما فيها منزلة بعد منزلة لم يعلم يشيء من ذلك<sup>(٣)</sup> .

فالحركة الدائبة للشمس والقمر قائمة على النظام والاتقان والتقدير الالهي الذي شمل كل مخلوقات الله تعالى ذلك أن الكون منظم ومنسق وانتظامه مرتبط بإرادة الله وقدرته كما أن استمراره على هذه الحالة منوط باختيار الله تعالى ومشيئته قال تعالى (( صنع الله الذي أتقن كل شيء ))<sup>(٤)</sup> وقال تعالى (( وخلق كل شيء فقدره تقديرا ))<sup>(٥)</sup> وقال تعالى (( انا كل شيء خلقتنا به بقدر ))<sup>(٦)</sup> .

فليس هناك فوضى أو عبث وانما هو اتقان وتقدير الهي والنظام المتشمل في هذا الكون يدركه عقل الانسان بسهولة ويسر لانه لا يحتاج الى كد ذهن

(١) ستاح دار السمادة ١/٢٠٧-٢٠٨ ، التفسير القيم ص ٤٠٢ .

(٢) سورة يونس آية ٥ /

(٣) مفتاح دار السمادة ١/٢٠٩ .

(٤) سورة النمل آية ٨٨ / (٥) سورة الفرقان آية ٢ /

(٦) سورة القمر آية ٤٦ / .

أو أعمال فكر لانه خطاب موجه من العليم بنفوس البشر جميعا فاقتضت الحكمة  
الالهية مخاطبة الناس كافة بآيات هذا الكون الفسيح وما فيه من عجائب  
المخلوقات ولقد أحسن من قال :

تأمل سطور الكائنات فانها من الملأ الاعلى اليك رسائل  
وقد خط فيها لو تأملت خطها ألا كل شيء ما خلا الله باطل  
تشير باثبات الصفات لربها فصامتها يهد ومن هو قائل (١)

فدلائل ربوبية الخالق ماثلة في كل ما يحيط ببني الانسان على مختلف  
حواسهم ، نشرها الباري بينهم لكي يقرؤها فيعبدوه ويوحدهوه دون سواه .

٤ - خلقه تعالى بني آدم من نفس واحدة :

قال تعالى (( خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها )) هذه الآية  
من السورة بين الله تعالى فيها أنه خلق بني آدم الذين لا يحصى عددهم الا  
هو - سبحانه - من أب واحد - وهو آدم عليه السلام حيث كان خلقه في المرحلة  
الاولى منفردا ، ثم خلق له - الباري سبحانه - زوجة من نفسه وجسمه وهي  
حواء في صورة نادرة ليس لها شيل بين المخلوقات (٢) ، فخلق تعالى البشرية  
على هذا النحو من أعظم الأدلة على ابداع المبدع الحكيم والمدبر العليم ،  
وخلقه - تعالى - بني آدم من نفس واحدة فيه لفت أنظارهم الى مبدع خلقهم  
وأن البشرية على اختلاف تنوعها بين الذكورة والانوثة ، وعلى اختلافها فسي  
المعرق والمعنصر وتباينها في اللغة واللون ، فان مرجعها الى مصدر واحد

(١) مدارج السالكين ٣/٣٥٦

(٢) انظر جامع البيان ٢٣/١٩٣ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٨٠ ،

التفسير الكبير للرازي ٢٦/٢٤٤-٢٤٥ ، تفسير النسفي ٤/٥٠ .

والى منشأ واحد كما قال تعالى (( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم  
من نفس واحدة وخلق منها زوجها وث منها رجالا كثيرا ونساء )) (١) .

قال ابن جرير حول قوله تعالى ؛ (( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم  
من نفس واحدة وخلق منها زوجها )) - " يعنى بقوله تعالى ذكره : احذروا  
أيها الناس ربكم في أن تخالفوه فيما أمركم ، وفيما نهاكم فيحل بكم من عقوبته  
ملا قبل لكم به ثم وصف تعالى ذكره ؛ نفسه بأنه المتوحد بخلق جميع  
الانام من شخص واحد وعرف عباده كيف كان مبتدأ انشائه ذلك من النفس  
الواحدة ، ومنهمم بذلك على أن جميعهم بنورجل واحد وأم واحمدة وأن  
بعضهم من بعض " أ. هـ (٢) .

فانشأ جميع البشر على كثرتهم الهائلة من نفس واحدة آية بينة على  
قدرة الله وعلمه وحكمته ووحدانيته وذلك من نعم الله على عباده ، فيجب  
عليهم أن يشكروا تلك النعمة وهي خروجهم من المدم الى الوجود ويفردوه  
- سبحانه - بالعبادة وحده لا شريك له .

ه - تذكير العباد بمرحلة التكوين في الارحام :

لقد جاء التذكير في السورة لبني آدم بأطوار خلقهم التي يمرون بها وتر  
بها الحيوانات عند خلقها مع التفاوت في تلك الاطوار ، وقد أحيطت بظلمات  
متعددة في البطون ، والارحام ، والمشائم ، والسلي تحت العناية الربانية  
كما أبانت بأن الذى يفعل بهم ذلك انما هو الله الذى له السلطان المطلق  
على جميع خلقه ، والذى له الطك الحقيقي ظاهرا واطنا فلا معبود بحق

( ١ ) سورة النساء آية ١ /

( ٢ ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤ / ٢٢٣ / ٢٢٤ .



الا هو - سبحانه - وتعالى فلا ينبغي لأى انسان أن ينصرف عن عبادته وعن اخلاص المبودية له - وحده لا شريك له ان هو الذى خلقهم من العدم وعباهم بأصناف النعم الظاهرة والباطنة وليس في مقدور أى أحد أن يفعل لهم من ذلك شيئا مهما كانت منزلته وعلت مكانته .

قال تعالى مذكرا عباده بمرحلة تكوينهم في بطون أمهاتهم في الظلمات الثلاث : (( يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون )) . قال قتادة والسدى (( يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق )) نطفة ثم علقة ثم مضفة ثم عظما ثم لحما <sup>(١)</sup> .

وقال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : بيتى ' خلقكم أيها الناس فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق وذلك أنه يحدث فيها نطفة ، ثم يجعلها علقة ، ثم مضفة ثم عظما ، ثم يكسو العظام لحما ، ثم ينشئه خلقا آخر فتبارك الله وتعالى فذلك خلقه اياكم خلقا بعد خلق <sup>(٢)</sup> .

وقال ابن كثير : (( يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق )) أى قد ركم في بطون أمهاتكم يكون أحدكم أولا نطفة ثم يكون علقة ثم يكون مضفة ثم يخلق فيكون لحما وعظما وعصبا وعروقا وينفخ فيه الروح فيصير خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين <sup>(٣)</sup> .

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى : ان الانسان اذا

( ١ ) الجامع لاحكام القرآن ٢٣٦/١٥ ، وانظر مجموع الفتاوى ٢٦٢/١٦ .

( ٢ ) جامع البيان ١٩٥/٢٣ .

( ٣ ) تفسير القرآن العظيم ٨٠/٦ .

فكر في خلقه من أي شيء ، ابتداءً وكيف دار في أطوار الخلقة طورا بعد طور حتى وصل الى كمال الخلقة وعرف يقينا أنه بذاته لم يكن ليدير خلقتَه ، وينقله من درجة الى درجة ويرقيه من نقى الى كمال علم بالضرورة أن له صنما قادرا عالما مريدا ان لا يتصور حدوث الافعال المحكمة من طبع ، لظهور آثار الاختيار في الفطرة وتبين آثار الاحكام والاتقان في الخلقة فله تعالى صفات دلت أفعاله عليها لا يمكن جردها ، أ.هـ .<sup>(١)</sup>

وقد أكد شيخ الاسلام ابن تيمية أن أحسن ما يستدل به على ربوبية الخالق هو الاستدلال بخلق الانسان نفسه كما كرر ذلك كتاب الله ان هو الدليل وهو المستدل (( وفي أنفسكم أفلا تبصرون ))<sup>(٢)</sup> . ثم بما يحدثه في هذا الوجود من آثار<sup>(٣)</sup> أ.هـ .

والحال كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ان خلق الانسان من أعظم الايات الدالة على وجود - الخالق سبحانه - ومن أعظم الايات الدالة على عسوم قدرته وعلمه ، وكمال حكمته واحسانه ورحمته ، ولما كان خلق الانسان من أوضح الادلة على وجود - البارئ جل وعلا - ومن أقرب الادلة وضوحا للانسان نفسه نجد أن الله - تعالى - دعا جميع عباده الى أن يتفكروا وينظروا بعين البصيرة في مبدؤ خلقهم ، وفي أطوار هذا الخلق والمراحل التي مروا بها حتى صاروا بشرا ينتشرون على هذه الارض . قال تعالى (( فلينظروا الانسان من م خلق ))<sup>(٤)</sup> وقال تعالى (( يا أيها الناس ان كنتم في ريب من

- 
- ( ١ ) الطل والنحل للشهرستاني ٩٤/١ .
  - ( ٢ ) سورة الذاريات آية / ٢١
  - ( ٣ ) مجموع الفتاوى ٢٦٢/١٦ .
  - ( ٤ ) سورة الطارق آية / ٥ .

واختلاف مجاريها الى أن ساقها الى مستقرها ومجمها . . . . . وكيف قدر

---

( ١ ) سورة الحج آية / ٥ ( ٢ ) سورة المؤمنون آية / ١٢-١٤

اجتماع دينك المائين مع بعمه كل منهما عن صاحبه ، وساقهما من أعماق المروق والاعضاء ، وجمعهما في موضع واحد جعل لهما قرارا مكينا ، لا يناله هوا يفسده ولا برد يجمده ، ولا عارض يصل اليه ، ولا آفة تتسلط عليه ، ثم قلب تلك النطفة الى علقه حمرا مابينة للنطفة ، ثم جعلها مضافة لحم ، مابينة للمعلقة في شكلها ولونها وحقيقتها ، ثم تحويل تلك المضافة عظاما مجردة لا كسوة عليها مابينة للمضافة كل المابينة في الشكل والهيئة والقدر واللمس ، ثم كيف قسمت تلك النطفة الحمرا الى تلك الاجزاء المتشابهة ، وبالمقدار المناسب لكل عضو ، ثم اتجاه كل جزء ، وأولية الى مكانها المناسب في وقتها وأوانها وعلى حسب الحاجة اليها ، فمنها ما يتجه لانشاء المظام كل في محله ، وعلى قدره الذي قدر أن يكون عليه فمنها الصغير ، والكبير ، والطويل ، والقصير ، والمنحني ، والمستدير ، والمريض ، والمصمت والمجوف ، فهي مختلفة الاشكال والاحجام ، وذلك حسب اختلاف المنافع المنوطة بها ، ثم شد تلك العظام وربط بعضها ببعض برباط قوى محكم بحيث لا يسقط عضو من آخر<sup>(١)</sup> . (( نحن خلقناهم وشددنا أسرهم ))<sup>(٢)</sup> . ثم أن هذا الخلق الذي يبتدىء بخلق النطفة الى أن يصير بشرا سويا يتم في ظلمات ثلاث كما أشارت اليه السورة في قوله تعالى (( يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنسى توفكون )) والمراد بالظلمات الثلاث هي : ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة<sup>(٣)</sup> . ففي تلك الظلمات الثلاث يتم ذلك الخلق المجيب

( ١ ) مفتاح دار السعادة ١/ ١٨٧-١٨٩ وانظر " ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٤٤-٤٥

( ٢ ) سورة الانسان آية ٢٨ /

( ٣ ) الجامع لاحكام القرآن ١٥ / ٢٣٦ ، تفسير ابن كثير ٦ / ٨٠ .

فعلى الانسان أن يتصور نفسه وهو في تلك الظلمات الثلاث : لا عين تراه ،  
ولا يد تلمسه ، ولا حيلة له في التماس الغذاء .

قال ابن القيم : " فأعد الان النظر فيك وفي نفسك مرة ثانية من الذى  
دبرك بالطف تدبير ، وأنت جنين في بطن أمك لا يد تتالك ولا بصير يدركك  
ولا حيلة لك في التماس الغذاء ، ولا في دفع الضرر فمن الذى أجرى اليك  
من دم الام ما يفذك كما يفذو الماء النبات ، وقلب ذلك الدم لبنا ولم يزل  
يفذك به في أضييق المواضع وأبعد ما من حيلة التكسب والطلب حتى اذا كمل  
خلقتك واستحكمت وقوى أديمك على مباشرة الهواء ، وبصرك على ملاقاته الضياء ،  
وصلبت عظامك على مباشرة الايدي ، والتقلب على الفجاءة هاج الطلق بأمسك  
فأزعجك الى الخروج أيما ازعاج الى عالم الابتلاء " (١) . فابن القيم رحمه الله  
عليه وضح لنا وجه الدلالة من التدرج في خلق الانسان على أن هناك مديرا  
حكيمًا قادرا عليها وراء هذا الكون وما فيه من المخلوقات دبره فأحسن تدبيره  
فسبحانه - من اله حكيم أحكم خلقه وقدره تقديرا .

ومعد هذا العرض لمرحلة تكوين المباد في الارحام نقول : انا اذا اعتبرنا  
أن تلك المراحل انما سبقت لتبين لنا كيف خلق الانسان ؟ وكيف نما ؟ وكيف  
تحول بحكم المراحل المتعاقبة الى كائن حيواني ، ثم كيف انتقل الى ذللك  
الانسان العاقل المدرك الواعي عنده من المؤهلات والاستعدادات ما يجعله  
يتبوأ عمارة هذه الارض وسئولية بنائها .

ولتبيين : أن ذاك التعريف بخلق الانسان انما جاء دليلا على قدرة

( ١ ) مفتاح دار السمادة ( ١ / ٢٥٥ - ٢٥٦ ) .

الله وعلمه وحكمته وعندئذ يكون التعريف بتلك المراحل انما هو تعريف بالله  
وصفاته اعتمادا على التعريف بأحد مخلوقاته المعتبره اعتبارا أوليا .

فليتأمل الانسان خلقه ، أليس مخلوقا من قطرة ماء ؟ من كونها لحوما  
منضدة وعظاما مركبة وأوصالا متعددة مشدودة بالمروق والاعصاب مجمعة  
بجلد متين مشتمل على ثلاثائه وستين مفصلا ما بين كبير وصغير ؟

من جعل فيها تسمة أبواب فهايان للسمع وهايان للبصر وهايان للشم  
وهاب للكلام والطعام والشراب والتنفس وهايان لخروج الفضلات التي هوذ به  
احتباسها ؟

من جعل داخل بابي البصر ملحا لثلا تذيب الحرارة الشحم الذي فيه ؟

من جعل داخل باب الطعام والشراب حلوا ليسيخ ما يأكله ويشربه فلا  
يتنفس به لو كان مرا أو ملحا ؟

من جعل له مصباحين كالسراج المضيء في أعلى مكان وفي أشرف عضو  
طليمة له ؟ (١)

فخلق الانسان من الايات المظيمة الدالة على ربوبية الله تعالى لهذا  
الكون وما فيه من ألوان المخلوقات وقد حث الله عباده على أن يتفكروا فسي  
أنفسهم ليستدلوا بذلك على معرفة الله وأنه المعبود بحق دون سواه .

قال تعالى (( فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق . يخرج من

بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر )) (٢) .

( ١ ) التبيان في أقسام القرآن ص ٣٠٤ .

( ٢ ) سورة الطارق آية ٥-٨ .

وقال تعالى (( وفي أنفسكم أفلا تبصرون ))<sup>(١)</sup>

قال قتادة : من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصلة للمعبادة<sup>(٢)</sup> ، وقال ابن جرير الطبري : وفي أنفسكم أيضا : أيها الناس آيات وعبر تدلكم على وحدانية صانعكم ، وأنه لا إله لكم سواه إذ كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه أيهاكم<sup>(٣)</sup> .

### ٦ - الاستدلال بخلق الأزواج الثمانية من الأنعام على ربوبية تعالى :

من الأدلة التي أشارت إليها السورة على ربوبية الخالق - سبحانه - خلقه تعالى الأزواج الثمانية من الأنعام وهي الإبل ، والبقر ، والضأن والممزر<sup>(٤)</sup> فهذه الأصناف تعتبر أكثر الحيوانات نفعا لبني الإنسان فقد خلقها - تعالى - لهم فضلا منه وكرما ، وقد جاءت الإشارة إليها في السورة بقوله تعالى (( وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج )) وقد يقال هنا : كيف عبر عن الأنعام بالإنزال مع أنها مخلوقة على الأرض ، فيجيب عليه بأن الإنزال في كل شيء بحسبه . قال شارح الطحاوية : أثناء رده على القائلين بأن إنزال القرآن إنما هو نظير إنزال المطر أو إنزال الحديد ، وإنزال ثمانية أزواج من الأنعام . قال رحمه الله : " وإنزال الحديد والأنعام مطلق ، فكيف يشبه هذا الإنزال بهذا الإنزال ؟ فالحديد إنما يكون من المعادن التي في الجبال ، وهي عالية على الأرض ، وقد قيل إنه كلما كان معدنه أعلا كان حديده أجود ، والأنعام تخلق بالتوالد المستنزم إنزال الذكور الماء من أصلابها إلى أرحام الإناث ،

( ١ ) سورة الذاريات آية / ٢١ ( ٢ ) تفسير القرآن العظيم ٤١٩/٦

( ٣ ) جامع البيان ٢٠٥/٢٦ .

( ٤ ) جامع البيان ١٩٤/٢٣ ، الجامع لاحكام القرآن ٢٣٥/١٥ .

ولهذا يقال : أنزل ولم يقل نزل ، ثم الأجنة تنزل من بطون الأمهات إلى وجه الأرض ، ومن المعلوم أن الأنعام تعلق فحولها إناثها عند الوطء ، وينزل ماء الفحل من علو إلى رحم الأنثى ، وتلقي ولدها عند الولادة من علو إلى سفلى وعلى هذا فيحتمل قوله تعالى (( وأنزل لكم من الأنعام )) وجهين :

أحدهما : أن تكون " من " لبيان الجنس .

الثاني : أن تكون " من " لابتداء الفاية " أ. هـ (١)

وقال ابن كثير (( وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج )) أي : وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج وهي المذكورة في سورة الأنعام (( ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين )) أ. هـ (٢) .

أما القطبي : فقد ذكر ثلاثة أقوال لمعنى انزال الثمانية الأزواج :

أحدهما : أنه أُخبر عن الأنعام بالنزول لأنها تكونت بالنبات ، والنبات بالماء المتزل وهذا يسمى التدرج .

الثاني : أنه جعل الخلق إنزالاً لأن الخلق إنما يكون بأمر ينزل من السماء والمعنى خلق لكم كذا بأمره النازل .

الثالث : أن " أنزل " بمعنى - أنشأ - وجعل - وقال سعيد بن جبير (٣) " خلق " أ. هـ (٤) .

وقد بين تعالى أن في خلقه الأنعام عبرة لأولى النهى من عباده .

( ١ ) شرح الطحاوية ص ١٩٦ .

( ٢ ) تفسير ابن كثير ٨٠/٦ .

( ٣ ) هو : سعيد بن جبير الاسدي ، بالولاء الكوفي أبو عبد الله : تابعي ، كان

أعلمهم على الإطلاق وهو حبشي الأصل من موالى بني والبة بن الحارث من بني أسد أخذ العلم عن عبد الله بن عباس . أنظر ترجمته في " وفيات الأعيان ٢٠٤/١

تهذيب التهذيب ١١/٤ ، حلية الأولياء ٢٧٢/٤ .

( ٤ ) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٥/١٥ .

قال تعالى (( وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ))<sup>(١)</sup> .

والعبرة في الاصل : تشييل الشيء بالشيء ليصير حقيقة بطريق المشاكلة ومنه قوله تعالى (( فاعتبروا يا أولي الأبصار ))<sup>(٢)</sup> . وقال أبو بكر الوراق : العبرة في الانعام تشخيرها لأربابها وطاعتها لهم . والظاهر أن العبرة هي قوله (( نسقيكم مما في بطونه )) الآية<sup>(٣)</sup> فخلق الأنعام التي هي الإبل والبقر والخنزير والمعز آية من آيات الله الدالة على حكمة خالقها وقدرته ورحمته ولطفه سبحانه وتعالى وعلى أنه المعبود بحق دون سواه .

كما بين لنا تعالى أن خلقه الأنعام من نعمه التي توجب أنه المتفرد بالخلق والوحدانية ولا يشرك به غيره في العبادة .

قال تعالى (( أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون . ولهم فيها منافع وشارب أفلا يشكرون ))<sup>(٤)</sup> .

قال العلامة ابن كثير : يذكر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه الأنعام التي سخرها لهم (( فهم لها مالكون )) قال قتادة مطيقون أي جعلهم يقهرونها وهي ذليلة لهم لا تقتنع منهم بل لو جاء صغير إلى بصير لأناخه ولو شاء لأقامه وساقه وذلك ذليل منقاد معه وكذا لو كان القطار مائة بصير أو أكثر لسار الجميع بسير الصغير وقوله تعالى (( فمنها ركوبهم )) أي منها ما يركبون في الأسفار ويحطون عليه الأثقال إلى سائر الجهات والأقطار (( ومنها ما يأكلون )) إذا شاءوا نحرروا واجتزرروا (( ولهم فيها منافع )) أي من أصوافها وأوارها وأشعارها أثاثا

( ١ ) سورة النحل آية / ٦٦ ( ٢ ) سورة الحشر آية / ٢

( ٣ ) فتح القدير ج ٣ ص ١٧٤

( ٤ ) سورة يس آية / ٧١-٧٣ .



ومتاعاً إلى حين (( ومشارب )) أي من ألبانها وأبوالها لمن يتدأوى ونحو ذلك  
 (( أفلا يتشكرون )) أي أفلا يوحدون خالق ذلك وسخره ولا يشركون به غيره مأه (١)

وقال تعالى (( والأنعام خلقها لكم فيها دفة ومانع ومنها تأكلون )) (٢)

وفي هذه الآية يمتن الله على عباده بخلقه لهم الأنعام وما فيها من المنافع  
 الكثيرة وذلك من حججه على الناس حيث خلقها لهم وسخرها لهم وجعل لهم  
 من أصوافها وأوبارها وأشعارها ملابس يستدفئون بها من البرد ويشربون مسن  
 ألبانها وجعل لهم ظهور بعضها مركبا ووصف منها يأكلون لحومها كالإبل والبقر  
 والخنزير وما يؤكل لحمه من غيرها (٣)

وقد أمر الله عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته ومن بين  
 تلك المخلوقات التي أمر بالنظر إليها الإبل . قال تعالى (( أفلا ينظرون إلى  
 الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض  
 كيف سطحت )) (٤)

فأول ما أرشد تعالى في هذه الآيات إلى النظر في الإبل فإنها خلقت  
 عجيب وتركيب غريب ، فإنها في غاية القوة والشدة وهي مع ذلك تلين للحمائل  
 الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف ويؤكل لحمها وينتفع بوبرها ويشرب لبنها ونبسها  
 الله خلقه إلى ذلك لأن العرب كان غالباً وإبهم الإبل وكان القاضي شريح (٥)  
 يقول أخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت ؟ وإلى السماء كيف رفعت  
 وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت . . . فنبه البدوي على الاستدلال  
 بما يشاهده من بصيره الذي هو راكب عليه والسماء التي فوق رأسه والجبل الذي

( ١ ) تفسير القرآن العظيم ٦٣٠/٥ ( ٢ ) سورة النحل آية ٦ .

( ٣ ) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ٧٨/٢٤ .

( ٤ ) سورة الفاشية آية ١٧-٢٠ .

( ٥ ) هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي أبو أمية من أشهر القضاة الفقهاء  
 في صدر الإسلام أصله من اليمن ولي قضاء الكوفة في زمن عمر وعثمان وعلى ومعاوية  
 واستعفى في أيام الحجاج فأعفاه سنة سبع وسبعين هجرية وكان ثقة في الحديث  
 مأمونا في القضاء توفي سنة ثمان وسبعين هجرية أنظر ترجمته في تقريب التهذيب ١ /  
 ٣٤٩ وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٧ رقم الترجمة ٤٢ وانظر تذكرة الحفاظ ١ / ٥٩  
 والأعلام للزركلي ٣ / ٢٣٦ .

تجاهه والأرض التي تحتها على قدرة خالق ذلك وصانعه وأنه الرب العظيم الخالق  
الملك المتصرف وأنه الإله الذي لا يستحق العبادة سواه . (١)

فلذلك كله يوجه الله عباده من خلال كتابه بأن يتدبروا ويعتبروا في خلقه  
للأنعام ويأخذوا العبرة منها التي ترشدهم إلى عجيب صنع الباري ويدل هتفلا للصنع  
على ألوهيته سبحانه وتعالى فاللبن الذي تدره لهم ضروع الأنعام الذي هو  
مستخلص من بين الفرث والدم والفرث هو ما يبقى في كرشها بعد الهضم وبعد أن  
تمتص الأمعاء العصارة المتحولة إلى دم ، هذا الدم هو الذي يذهب إلى كل  
خلية في الجسم فإذا ما وصل إلى غدد اللبن الموجودة في الضرع تحول إلى  
ذلك اللبن الخالص السائغ للشاربين بهد بع صنع الله الذي أتقن كل شيء .

(( وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا  
خالصا سائغا للشاربين )) (٢)

#### ٧ - إنزال المطر وانبات النبات :

من دلائل الربوبية التي وردت في السورة إنزال المطر من السماء وانبات  
النبات قال تعالى (( ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض  
ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً إن فسي  
ذلك لذكرى لأولى الأبواب ))

في هذه الآية من السورة أشار - سبحانه - إلى دليل حسي ملموس متكرر  
ومشاهد على قدرته ولطفه وعلى أنه الرب الذي تشمل إحسانه وإنعامه ورحمته  
جميع مخلوقاته حيث ينزل لهم المطر من السماء فيدخله جل وعلا في ينابيع (٣)  
في الأرض ، ثم يخرج به من الأرض الزروع المختلفة في ألوانها من الخضرة والصفرة  
والحمرة والبياض ، والمتنوعة في أجناسها من البر والشمير والتمر والمنب ثم

( ١ ) تفسير القرآن العظيم ٢٧٧/٧

( ٢ ) سورة النحل آية ٦٦/

( ٣ ) ينابيع جمع ينبوع وهو عين الماء أنظر الجامع لأحكام القرآن ٢٤٦/١٥

لفت الأنظار إلى ما يصيب ذلك الزرع من الاصفرار بعد نضرت وهجته حيث تتغير وتذهب بهجته وخضرته فيصير حطاما متفتتا متكسرا . ثم بين بأن فسي هذه الأحوال المتقدمة العبرة والإعطاء والتذكير لأهل العقول السليمة (١) الذين يتذكرون بذلك فيوقنون بأن من فعل كل ذلك " لا يتمذر عليه إحداث ما شاء من الأشياء وإنشاء ما أراد من الأجسام والاعراض وأحياء من هلك من خلقه من بعد مماته وإعادته من بعد فناء كهيئته التي كان عليها قبل فناءه كما فعل بالأرض الميتة التي أنزل عليها الماء فأنبتت الزرع المختلف الألوان بقدرته " (٢) .

فإنزال المطر من السماء ، ومشاهدة الأرض مخضرة بألوان من النباتات المختلفة لونها وجنسا بين عشية وضحاها آية متكررة بين المباد عدل دلالة واضحة على أنه لا بد من صانع حكيم وأن ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن إهمال وتعميل ولا دخل للطبيعة والصدفة التي يلهج بها الجاحدون للصانع الحكيم الذي دلت جميع المخلوقات على وحدانيته وألوهيته الحقنة .

وقال شيخ الإسلام حول الآية السابقة : فأخبر سبحانه أنه يسلك الماء النازل من السماء ينابيع والينابيع جمع ينبوع وهو منبع الماء كالعين والبيئر فدل القرآن على أن ماء السماء تتبع منه الأرض والإعتماد يدل على ذلك فإنه إذا كثرت السماء كثرت الينابيع وإذا قل قلقت .

وماء السماء ينزل من السحاب والله ينشئه من الهواء الذي في الجو وما يتصاعد من الأبخرة .

وليس في القرآن أن جميع ما ينبع يكون من ماء السماء ولا هذا أيضا معلوما بالإعتماد فإن الماء قد ينبع من بطون الجبال ويكون فيها أبخرة يخلق منها الماء ، والأبخرة وغيرها من الأهوية قد تستحيل ماء كما إذا أخذ إناء فوضع

( ١ ) جامع البيان ٢٣ / ٢٠٨ ، تفسير القرطبي ١٥ / ٢٤٦ ، تفسير ابن كثير ٦ / ٨٦ - ٨٧ ، تفسير النسفي ٤ / ٥٤ .  
 ( ٢ ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣ / ٢٠٨ - ٢٠٩ .

فيه ثلج فانه يبقى ما أحاط به ماء وهو هوا استحال ماء وليس ذلك من ماء السماء  
 فعلم أنه ممكن أن يكون في الأرض ماء ليس من السماء فلا يجزم بأن جميع المياه  
 من ماء السماء وإن كان غالبها من ماء السماء . أ. هـ . (١) .

وعلى كل حال فالماء آية دالة على قدرة الله ولطفه سواء كان الماء النازل  
 من السماء أو الماء النابع من الأرض فهو من الآيات الكونية التي نصبها الله  
 للدلالة على الصانع الحكيم وقدرته التي تتسع لكل شيء .

وإن فيما أنزله الله من جهة السماء من ماء مبارك عرت به الأرض بمسده  
 خرابها لدليل ساطع على قدرة الله ووحدانيته وفي إنزاله أيضا من السماء حكم  
 عظيمة ترتب عليها الكثير من صالح العباد قال العلامة ابن القيم :

" ثم تأمل الحكمة البالغة في نزول المطر على الأرض من علو ليمم بسقيه وهادها  
 وتلويها وظرابها وأكامها ومنخفضها ومرتمصها ولو كان ربه تعالى إنما يسقيها  
 من ناحية من نواحيها لما أتى الماء على الناحية المرتفعة إلا إذا اجتمع في  
 السفلي وكثر وفي ذلك فساد فاقتضت حكته أن سقاها من فوقها فينشئ  
 سبحانه السحاب وهي روايا الأرض ثم يرسل الرياح فتحمل الماء من البحر  
 وتلقحها به كما يلحق الفحل الأنثى ولهذا تجد البلاد القريبة من البحر كثيرة  
 الأمطار وإذا بعدت من البحر قل مطرها وفي هذا المعنى يقول الشاعر  
 يصف السحاب :

شربن بماء البحر ثم ترفصت متى لجج خضر لهن نشيج

وفي الموطأ مرفوعا وهو أحد الأحاديث الأربعة المقطوعة ( إذا نشأت  
 سحابة بحرية فتلك عين غد يقسة ) (٢) .

فالله سبحانه ينشئ الماء في السحاب إنشا تارة بقلب الهواء ماء  
 وتارة يحمله الهواء من البحر فيلقح به السحاب ثم ينزل منه على الأرض للحكم

(١) مجموع الفتاوى ١٦/١٦-١٧

(٢) الموطأ ص ٩٥ .

إِذَا أَخَذَتْ حَاجَتَهَا مِنْهُ وَكَانَ تَتَابَعَهُ عَلَيْهَا يَضْرِبُهَا أَسْكَهَ عَنْهَا وَأَتَمَّهُ بِالصَّحْوِ  
فَجَعَلَ تَعَالَى الصَّحْوَ وَالغَيْمَ مَتَمَاقِبِينَ لِمَا فِيهِمَا مِنَ الْمَصَالِحِ الْكَثِيرَةِ لِهَذَا  
العالم .

قال تعالى (( وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خِزْيَانُهُ وَمَا نَنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ))<sup>(١)</sup>  
قال أبو جعفر ابن جرير يقول تعالى ذكره : وما من شيء من الأمطار إلا عندنا  
خزائنه وما ننزله إلا بقدر لكل أرض معلوم عندنا حده وبلفظه .

وقال ابن سمود رضي الله عنه : ما من أرض أمطر من أرض ولكن الله  
يقدره في الأرض<sup>(٢)</sup> .

فلو قدر الله بأن ثوالت الأمطار لأهلك كل ما على الأرض ولو زاد نزول المطر  
على قدر حاجتها لفسدت الحبوب والثمار وتعفنت الزروع والخضروات فترخى  
الأبدان وبعثر الهواء وتحصل ضروب من الأمراض وفسد أكثر المأكول وتقطعت  
المسالك والسبل .

ولو قدر الله دوام الصحو لجفت الأبدان وغيض الماء وانقطع ماء المهيئون  
والآبار والأنهار والأودية وعظم الضرر واشتد الهواء فيبيس ما على الأرض فيحدث  
عن ذلك ضروب من الأمراض عسرة الزوال ولكن حكمة اللطيف الخبير اقتضت بأن  
عاقب بين الصحو والمطر على هذا العالم فاعتدل الأمر وضح الهواء ودفع كل  
واحد منهما عادة الآخر واستقام أمر العالم وصلاح<sup>(٣)</sup> .

والذي نخلص إليه ما تقدم أن إنزال الباري - سبحانه وتعالى - المطر  
من السماء ليعم بسقيه كل أجزاء الأرض ثم تثبت الأرض على أثره الزروع المختلفة  
لسونا وجنسا وطعما ورائحة لدليل واضح على أن وراء هذا الكون لها قادرا  
حكما يتصرف فيه كيف يشاء بيده الخلق والأمر سبحانه وتعالى .

(١) سورة الحجر آية ٢١/

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨/٢٤ .

(٣) مفتاح دار السعادة ٢٢٤/١ بتصرف .

٨ - تصرفه - تعالى - في شئون خلقه :

لقد دلت السورة على أنه تعالى المتصرف في شئون خلقه كلها من الحياة والموت ، ومن بسطه الرزق لمن يشاء ، وتضييقه عن يشاء ، وأن بيده خزائن السموات والارض يفتح منها على من يشاء ويسدكها عن يشاء من خلقه فله - سبحانه - التصرف المطلق في كل شي في هذا الوجود وأن سواه لا يملك شيئا كائننا من كان .

قال تعالى (( الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ))

هذه الآية من السورة أقام الله فيها الدليل القاطع على قدرته الكاملة ، وعلى ربهيته الشاملة لكل مخلوق ، فأخبر أنه يتوفى الأنفس ، ويسدك الأرواح ويحول بينها وبين أبدانها حيلولة نهائية عند ما يجيئها أجلها الذي قدره لها ، كما بين - تعالى - أنه يقبضها نوعا آخر من أنواع القبض حتى يكون اتصالها بالبدن اتصالا غير تام بحيث يذهب عنها تمييزها وينقطع تفكيرها وتعلقها وذلك في حالة نومها .

فأما النفس الأولى : التي قضى الله عليها الموت فإنها تقبض عن البدن قبضا نهائيا .

وأما النفس الثانية وهي : توفيت الوفاة الصفري بأن كانت نائمة فيطلقها ربه ويرسلها للعودة إلى جسد ها إلى حين يأتيها أجلها عند انقضاء الدة التي بقيت لها من عمرها ثم يتوفاها إليه .

ثم أوضحت الآية أن ذلك القبض ، والإرسال ، والإسك والإطلاق فيه المبرر والآيات والدلائل الواضحة لمن تفكر وتدبر بهدى الوصول إلى الحقيقة التي يدرك من خلالها الإدراك الصحيح أن الإله القادر على هذه الأمور المذكورة هو الذي يجب أن توجه له العبادة وأنه يخلص له الدين كله .

قال ابن جرير رحمه الله تعالى حول الآية (( الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها )) الآية يقول تعالى ذكره : ومن الدلالة على أن الألوهة لله الواحد القهار خالصة دون كل ما سواه أنه يميت ويحيي ويفعل ما يشاء ولا يقدر على ذلك شيء سواه فجعل ذلك خبرا نبههم به على عظم قدرته \* أهـ (١)

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى حول هذه الآية " قال تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء ، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان ، والوفاة الصغرى عند المنام كما قال تعالى (( وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبيئكم فيه ليقضي أجل سمي ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ) وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون )) (٢) . فذكر الوفاة الصغرى ثم الكبرى وفي هذه الآية ذكر الكبرى ثم الصغرى ولهذا قال - تبارك وتعالى - (( الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل سمي )) . . . . إلى أن قال " وقال بعض السلف يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا وأرواح الأحياء إذا ناموا فتتعارف ما شاء الله - تعالى - أن تتعارف (( فيسك التي قضى عليها الموت )) التي قد ماتت (( ويرسل الأخرى إلى أجل سمي )) قال السدي : إلى بقية أجلها ، وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : يسك أنفس الأموات ويرسل أنفس الأحياء ولا يفلط " (٣) .

وروى عن ابن عباس أيضا في هذه الآية أنه قال : " بلغني أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فيتسألون بينهم فيسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها " . وقال سميد ابن جبير " إن الله يقبض أرواح

(١) جامع البيان ٩/٢٤

(٢) سورة الانعام آية / ٦٠-٦١

(٣) تفسير القرآن العظيم ٩٦-٩٥/٦

الاموات اذا ماثوا وأرواح الأحياء اذا ناموا فتتعارف ما شاء الله أن تتعارف  
 (( فيسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى ))<sup>(١)</sup> أي : يميدها .

وقال السدي : في قوله تعالى (( والتي لم تمت في منامها )) قال : يتوفاها  
 في منامها فيلتقي روح الحي ، وروح الميت فيتذاكران ويتعارفان قال : فترجع  
 روح الحي إلى جسدها في الدنيا إلى بقية أجلها وتريد روح الميت أن ترجع  
 إلى جسده فتحبس<sup>(٢)</sup> ،

وهذا البيان من هو الأئمة للمعنى الآية إنما هو أحد القولين في هذه  
 الآية وهو : أن المسكنة من توفيت وفاة الموت أولا ، والمرسلة من توفيت وفاة  
 النوم ، فيكون المعنى على هذا التفسير أنه يتوفى نفس الميت فيسكها ولا  
 يرسلها إلى جسدها قبل يوم القيامة ، ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها إلى جسدها  
 إلى بقية أجلها فيتوفاها الوفاة الكبرى ، وأما التفسير الثاني : في هذه الآية  
 هو أن المسكنة والمرسلة في الآية كلاهما توفيتا وفاة نوم فمن استكملت أجلها  
 الذي قدر لها أسكها عنده فلا ترجع إلى جسدها ، ومن لم تستكمل الأجل  
 المحدود لها ردها إلى جسدها لتستكملها ، وقد اختار هذا الوجه شيخ  
 الإسلام ابن تيمية وقال : " وعلى هذا يدل الكتاب والسنة فإن الله ذكر  
 أسياك التي قضى عليها الموت من هذه الأنفس التي توفاهم بالنوم ، وأما التي  
 توفاهم حين موتها فترك لم يصفها بأسياك ولا إرسال فترك قسم ثالث<sup>(٣)</sup> .

أما تلميذه ابن القيم فقد جنح إلى ترجيح القول الأول وقال " لأنفسه  
 - سبحانه - أخبر بوفاتين وفاة كبرى وهي وفاة الموت ، ووفات صغرى وهي وفاة  
 النوم ، وقسم الأرواح قسمين :

قسما : قضى عليها بالموت فأسكها عنده وهي التي توفاهم وفاة الموت .

( ١ ) جامع البيان ٩/٢٤ ، الروح لابن القيم ص ٣٠-٣١

( ٢ ) جامع البيان ٩/٢٤ ، كتاب الروح لابن القيم ص ٣١ .

( ٣ ) مجموع الفتاوى ٥/٤٥٢-٤٥٣ ، شرح حديث النزول ص ٩٤ .



وقسما : لها بقية أجل فردها إلى جسدها إلى استكمال أجلها ، وجعل  
 - سبحانه - الإسك والإرسال حكيمين للوفاتين المذكورتين أولاً فهذه  
 مسكة وهذه مرسله ، وأخبر أن التي لم تمت هي التي توفاهما في منامها  
 فلو كان قد قسم وفاة النوم إلى قسمين ، وفاة موت ، ووفاة نوم لم يقل  
 (( والتي لم تمت في منامها )) فإنها من حين قبضت ماتت وهو - سبحانه -  
 قد أخبر أنها لم تمت فكيف يقول : بعد ذلك (( فيسك التي قضى عليها  
 الموت )) بعد أن توفاهما وفاة النوم فهو - سبحانه - توفاهما أولاً وفياة  
 نوم ثم قضى عليها الموت بعد ذلك .

والتحقيق أن الآية تتناول النوعين فإنه - سبحانه - ذكر وفاتين وفاة نوم  
 ووفاة موت وذكر إسك المتوفاة وإرسال الأخرى ومعلوم أنه - سبحانه - يسك  
 كل نفس ميتة سواها مات في النوم أم في اليقظة ، ويرسل نفس من لم يمست  
 فقله (( يتوفى الأنفس حين موتها )) يتناول من مات في اليقظة ومن مات في  
 المنام \* (١) .

والذي يبدو أن القول الراجح هو ما قرره ابن القيم رحمه الله تعالى ولا  
 ننسى أن نذكر أن الآية المتقدمة وهي قوله تعالى (( الله يتوفى الأنفس حين  
 موتها والتي لم تمت في منامها فيسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى  
 إلى أجل سمي إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون )) دللت على أن الروح محدثة  
 لأنها وصفت بالوفاة ، والقبض والإسك ، والإرسال وهذه الصفات من شأن المخلوق  
 المحدث المربوب والمراد بالأنفس في الآية هي الأرواح قطعا لما رواه البخاري  
 في صحيحه من حديث بلال ( إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء )<sup>(٢)</sup>  
 فهذه الأرواح المقبوضة هي الأنفس التي يتوفاهما الله حين موتها وفي منامها  
 التي يتوفاهما ملك الموت ، وهي التي تتوفاهما رسل الرب - سبحانه - بإذن

( ١ ) كتاب " الروح " لابن القيم ص ٣١-٣٢ .

( ٢ ) صحيح البخاري ١/١١٢ ، سنن النسائي ٢/١٠٦ ، الموطأ مع شرحه

تنوير الحوالك ١/٣٥ .

وقضائه وحكمه وأمره ، (١)

وفي الآية أيضا " تنبيه على عظيم قدرته وانفراده بالألوهية ، وأنه يفعل ما يشاء ويحيى ويميت ، لا يقدر على ذلك سواه " (٢) .

٩ - بسطه تعالى الرزق لمن يشاء وتضييقه على من يشاء :

قال تعالى (( أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يفتنون ))

أقام الله تعالى في هذه الآية دليلا محسوسا ولموسا على ربوبيته بحسب العباد بحواسهم ، ويلسونه بين ظهرانهم ، ويشاهدون ذلك بأبصارهم فيوحده - سبحانه - ويفرده بالعبادة ، وهذا الدليل هو أنه - سبحانه - الفعالم لما يشاء بتوسيعه الرزق على من يشاء من عباده سواء كان صالحا أو غير صالح ، وتضييقه ، على من يريد من عباده سواء كان صالحا ، أو طالعا فرزقه - سبحانه - مشترك بين الخلق أجمعين ، أما الإيمان والعمل الصالح فيخص به أصلح البرية وهذا أمر ملحوظ في الدنيا ، كما أوضحت الآية أن فعله - تعالى - ذلك وتصرفه في العطاء ، والسعة ، والمنع والتضييق على من يشاء يحمل في طياته العبر ، والعظات والحكم البالغات للمؤمنين المنتظمين بالمواعظ والعبر لأنهم يعلمون أن مرد ذلك راجع إلى حكمته ورحمته - تعالى - وأنه العليم بحال عباده فقد يضيق عليهم الرزق لظفا بهم لأنه لو بسطه عليهم قد يحط بهم ذلك على الفساد والبهفي في الأرض ففعله - سبحانه - ذلك مراعاة لإصلاح دينهم الذي هو مصدر سعادتهم وفلاحهم .

قال : أبو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى حول هذه الآية (٣) يقول تعالى ذكره : أولم يعلم يا محمد هو إلا الذين كشفنا عنهم ضرهم فقالوا : إنما أوتيناها على علم منا أن الشدة والرخاء ، والسعة ، والضيق ، والبلاء بيد الله

(١) الروح لابن القيم ص ١٩٩-٢٠٠

(٢) الجامع لاحكام القرآن ١٥/٢٦٣ .

دون كل ما سواه يبسط الرزق لمن يشاء ، فيوسع عليه ، ويقدر ذلك على من يشاء من عباده ، فيضيقه ، وأن ذلك من حجج الله على عباده ، ليعتبروا به ، ويتذكروا ، ويعلموا أن الرغبة إليه ، والرغبة دون الآلهة ، والأنداد (( إن في ذلك لآيات )) يقول : إن في بسط الله الرزق لمن يشاء ، وتقتيره على من أراد لآيات : يعني دلالات ، وعلامات (( لقوم يوفون )) يعني يصدقون بالحق فيقرون إذا تبينوه وعلموا حقيقته أن الذي يفعل ذلك هو الله دون كل ما سواه . أ. هـ . (١)

وقال أبو عبد الله القوطي حول قوله تعالى في الآية السابقة (( إن في ذلك لآيات لقوم يوفون )) خص المؤمن بالذكر لأنه هو الذي يتبر بالآيات وينتفع بها ويعلم أن سعة الرزق قد يكون مكرراً واستدراجاً ، وتقتيره رفعة وإعظاماً . هـ . (٢)

وهذه الآية الأنفة الذكر من السورة لها نظائر في كتاب الله وردت بمعناها منها قوله تعالى (( من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه لأضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون )) (٣) . فهذه الآية : بين الله تعالى فيها أنه الذي بيده قبض أرزاق العباد وسببها دون غيره ممن ادعى أهل الشرك أنهم آلهة واتخذوه ربا دونه يعبدونه ، وقد بين صلى الله عليه وسلم أن بسط الرزق وتضييقه عائد إلى فعل الرب - سبحانه - المتصرف في كل شيء قال أنس ابن مالك رضي الله عنه : غلا السمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله غلا السمر فأسمر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( إن الله الباسط القابض الرازق وإني لأرجو أن ألقى الله ليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال ) (٤) فبين صلى الله عليه وسلم بقوله هذا أن - الغلاء والرخص ، والسعة والضيق بيد الله دون غيره ، فما أنصح هذه الحجة وما أوضح هذا البرهان ، ولو أن الذين يحاولون أن يستدلوا على وحدانية

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٣/٢٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٧/١٥ ، فتح القدير للشوكاني ٤٦٩/٤ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٤٥

(٤) رواه أبو داود بسننه ٣٨٨/٢ وابن ماجه ٧٤١-٧٤٢ ، والترمذي في سننه

وحسنه ٣٨٨/٢ .

الله - تعالى - بالأدلة التي كتبها علماء الكلام لجثوا إلى القرآن الكريم واقتبسوا من أدلته وأفادوا من حججه لوضح لهم السبيل ووصلوا إلى الحق من أقرب طريق .

وقال تعالى (( الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ))<sup>(١)</sup> .

وفي هذه الآية بين الله - تعالى - أنه هو الذي يوسع الرزق ، ويبسطه على من يشاء ويقدر ، ويضيئه على من يشاء فله - سبحانه - التصرف المطلق كيف يشاء وعلى ما يريد - جل وعلا - في جميع شئون خلقه .

وقال تعالى (( أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ))<sup>(٢)</sup> . وهذه الآية أيضا أبانت بأن سعة الرزق وتضييقه كله فعل الله - تعالى - ومردّه إليه لا إلى غيره .

وقال تعالى (( يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم ))<sup>(٣)</sup> . قال العلامة ابن جرير : يقول تعالى ذكره : " يوسع رزقه وفضله على من يشاء من خلقه ، ويبسط له ، ويكثر ماله ويغنيه (( ويقدر )) يقول : ويقتصر على من يشاء منهم فيضيقه ، ويفقره (( إنه بكل شيء عليم )) يقول : إن الله تبارك وتعالى بكل ما يفعل من توسيعه على من يوسع ، وتقتيره على من يقتصر ، ومن الذي يصلحه البسط عليه في الرزق ، ويفسده من خلقه ، والذي يصلحه التقتير عليه ، ويفسده ، وغير ذلك من الأمور ، ندو علم لا يخفى عليه موضع البسط والتقتير وغيره ، من صلاح تدبير خلقه " أ.هـ<sup>(٤)</sup> .

فلو تدبر أولئك القبوريون الذين يلتسون الرزق من أصحاب القبور هذه الآيات وأمثالها لألزموا أنفسهم بالحياة ، وأناهبوا إلى ربهم وأسلموا له وعلموا أن الرزق بيده وحده ، فابتغوه عنده مخلصين له الدين وأقلموا عن الشرك الذي امتلأت به قلوبهم وذلت به أنفسهم ولكن الشيطان سول لهم وأمل لهم

( ١ ) سورة الرعد آية / ٢٦ ( ٢ ) سورة السورم آية / ٣٧

( ٣ ) سورة الشورى آية / ١٢

( ٤ ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٤ / ٢٥ .

وفعل بهم كما فعل بأشياءهم من قبل لا قوة إلا بالله .

١- مقاليد السموات والأرض بيده - سبحانه - :

قال تعالى (( له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون )) .

هذه الآية من السورة أوضحت أن من الدلائل على ربوبيته تعالى كون خزائن المالم كله علوية ، وسفلية بيده وحده دون غيره فمن خزائن السموات المطر ، ومن خزائن الأرض النبات وما يخرج منها من المعادن ، والمياه من آبار وعميون وغير ذلك من الأشياء ما اكتشف حاليا من مصادر الرزق والنعم التي لا تحصى كل ذلك بيد الله وثبت تصرفه ، وقدرته الشاملة لكل شيء فهو - سبحانه - المسيطر على جميع الكائنات ملكا وحفظا وتصرفا ، ومن هذه صفته فهو الجد يسر وحده بالعبادة دون سواه ، كما أوضحت الآية أن الكافرين بآيات الله التي تدل على الحق واليقين ، وعلى طريقة الاستقيم هم الذين خسروا ما فيهم صلاح قلوبهم من التمسك لله ، والإخلاص له ، وما به تصلح أسنتهم من ذكره ، وما فيه صلاح الجوارح من الطاعة ، واستبدلوا بذلك الكفر بالله الذي هو مفسد لقلوبهم ، وأبدانهم كما خسروا جنات النعيم وتموضوا عنها بالمذاب الحميم .

قال العلامة ابن جرير حول الآية : (( له مقاليد السموات والأرض )) الآية " يقول تعالى ذكره : له مفاتيح خزائن السموات والأرض ، يفتح منها على من يشاء ويسكنها من أحب من خلقه . قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : مقاليد السموات والأرض مفاتيحها به . قال قتادة ، وقال السدي (( له مقاليد السموات والأرض )) خزائن السموات والأرض " (١) .

قال ابن كثير : " والمعنى على كلا القولين أن أزمة الأمور بيده - تبارك وتعالى

له الطلک وله الحمد وهو على كل شيء قدير<sup>(١)</sup> هـ .

وقد وردت آية أخرى مماثلة لهذه الآية التي معنا في السورة وهي قوله تعالى (( له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم ))<sup>(٢)</sup> .

فهذه الآية إرشاد من الله تعالى لعباده بأن يفزعوا إلى من له مقاليد السموات والأرض الذي هذه صفته ، ويتوجهون إليه بالعبادة وإفرادهم بالطاعة فكان الآية تقول : إلى الله أيها الناس فارغبوا وإياه فاعبدوا ومخلصين له الدين واتركوا الأوثان والأولياء والآلهة والأصنام التي اتخذتموها آلهة من قبل أنفسكم دون حجة ولا برهان ولا تلكم لكم ضرا ولا نفعا ، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

وما ذلك عليه آية الزمر من أنه - تعالى - مالك خزائن السموات والأرض أفصحت عن هذا المعنى آيات أخر مثل قوله تعالى (( وله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون ))<sup>(٣)</sup> ، ومثل قوله تعالى (( وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ))<sup>(٤)</sup> قال العلامة ابن القيم : بعد أن ذكر قوله تعالى (( وإن من شيء إلا عندنا خزائنه )) متضمن لكثرة الكنوز وهو أن كل شيء لا يطلب إلا من خزائنه ، ومن مفاتيح تلك الخزائن بيد به ، وأن طلبه من غيره طلب ممن ليس عنده ولا يقدر عليه ، وقوله تعالى (( وأن إلى ربك المنتهى ))<sup>(٥)</sup> متضمن لكثرة عظيم ، وهو أن كل مراد إن لم يرد لأجله ويتصل به ، وإلا فهو مضمحل منقطع ، فإنه ليس إليه المنتهى ، وليس المنتهى إلا السبب الذي انتهت إليه الأمور كلها ، فانتهت إلى خلقه وشيئته وحكمته وعلمه ، فهو غاية كل مطلوب ، وكل محبوب لا يحب لأجله فمحبه عنا ، وهذا ، وكل عمل لا يراد لأجله ، فهو ضائع هاطل وكل قلب لا يصل إليه فهو شقي

(١) تفسير ابن كثير ٦/١٠٥-١٠٦ .

(٢) سورة الشورى آية / ١٢ . (٣) سورة المنافقون آية / ٧ .

(٤) سورة الحجر آية / ٢١ . (٥) سورة النجم آية / ٤٢ .

محبوب عن سعادته وفلاحه فاجتمع ما يراد له كله في قوله (( وأن إلى ربك المنتهى )) فليس وراءه - سبحانه - غاية تطلب وليس دونه غاية إليها المنتهى ١٠ هـ (١) .

وكل ما قدمنا من الآيات التي أسلفناها من السورة وغيرها للاستدلال بها على توحيد الربوبية كلها على اختلاف أساليبها ، واختلاف موضوعاتها تلفت الأنظار إلى أن هذا الكون وما يحتويه لم يكن وليد المصادفة والإتفاق وإنما هو مخلوق عن علم عليم ، وقدرة قادر وهو الله - تبارك وتعالى - وفي كل ذلك آية على وجود الخالق الحكيم .

قال الشاعر :

|                     |                        |
|---------------------|------------------------|
| ولله في كل تحريكسة  | وتسكينسة في الورى شاهد |
| وفي كل شيء له آيسسة | تدل على أنه الواحد (٢) |

( ١ ) الفوائد ص ١٩٦  
 ( ٢ ) البيتان لأبي المتاهية أنظر ديوانه ص ٢٢٢ .

## ( المبحث الثالث )

إقرار المشركين الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم بوجود الله

لقد دلت سورة " الزمر " على أن مشركي العرب كانوا يعترفون بوجوده - سبحانه - وربوبيته لخلقه ، كما يؤمنون بأنه هو الذي أوجد العالم المملوء والسفلي ، وليس لألهتهم من ذلك شيء .

قال تعالى (( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرايتم ما تدعون من دون الله إن أرداني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أراد نسي برحمة هل هن مسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ))

هذه الآية من السورة تضمنت إعراف المشركين الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الله هو الخالق لهذا العالم علويه وسفليه ، فقد بدأ الله هذه الآية بالقسم مخاطبا بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأنه لسو سأل هؤلاء المشركين العابدون لغير الله تعالى من الأوثان ، والأصنام عمسن خلق السموات والأرض ؟ لكان جوابهم جوابا حقيقيا صادقا ناهما من الفأسرة التي فطر الله الناس عليها فيقولون : إن الخالق لهذه الكون هو الله - جل وعلا - كما تضمنت بيان عجز الآلهة التي يعبدونها عن أن تجلب لهم نفعا ، أو أن تدفع عنهم شرا ، وما دام الحال هكذا من أنه لا خالق لهذا الكون إلا الله - تعالى - وأن الآلهة التي يزعمونها من دون الله عاجزة عن جلب الخير ، أو دفع الشر ، فمبايعة لهم باطلة ويلزمهم أن يتوجهوا بالعبادة إلى الإله الحق الذي له القدرة على الخلق وجلب الخير ودفع الضرر ومن هذه صفته فهو المعبود بحق

دون سواه .



قال ابن جرير : (( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض )) يقول تعالى ذكره : لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولئن سألت يا محمد هو لا \* المشركين العادلين بالله الأوثان والأصنام من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن الله .<sup>(١)</sup>

وقال ابن كثير : (( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله )) يعني المشركين كانوا يمتدحون بأن الله - عز وجل - هو الخالق للإشياء كلها ومع هذا يعبدون معه غيره مما لا يطك لهم ضراً ولا نفعا . أ . هـ .<sup>(٢)</sup>

فوجود الرب - سبحانه - وتعالى من الأمور البديهية الظاهرة للعقول والفطر ولو وجد بعض الملاحدة الذين يجاهرون بإنكار وجود - الرب سبحانه - بالسنتهم فذلك نتيجة المناد ، وإلا فإنه متقرر في فطرهم وعقولهم ما يكذب قولهم ذلك .

قال العلامة ابن القيم : (( وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية - قدس الله روحه - يقول : كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء وكان كثيراً ما يتشغل بهذا البيت :

وليس يصح في الأذهان شيء \* إذا احتاج النهار إلى دليل

ثم قال : ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار ، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما \* أ . هـ .<sup>(٣)</sup>

وأما قوله تعالى في الآية (( قل أفرايتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن مسكيات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون )) فهذا الشطر من الآية أمر الله فيه النبي صلى الله

- 
- ( ١ ) جامع البيان ٧/٢٤ .
  - ( ٢ ) تفسير ابن كثير ٩٤/٦ .
  - ( ٣ ) مدارج السالكين ٦٠/١ .

عليه وسلم بأن يسأل هو<sup>١</sup> المشركين عن محبوباتهم المتنوعة من الأوثان والأصنام التي يتوجهون إليها بالمبادء دون الله تعالى هل لديها القدرة في الحيلولة دون مراد الله تعالى ؟ وهل في استطاعتها أن تدفع عنه البلاء إن أَراد الله إنزاله ؟ وهل في إمكانها أن تمنع عنه رحمة الله تعالى التي يريد أن يتفضل بها عليه فيمنحه إياها ؟ . ولو أنصفوا من أنفسهم وتجردوا لقول الحق لكان رد هم كلا لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا راد لما يريد . - سبحانه - وقد أجاب البعض منهم بأن آلهتهم المزعومة لا تستطيع شيئاً من ذلك وإنما يعبدونها لتقريبهم إليه زلفى .

قال مقاتل فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم فسكتوا .

وقال غيره : قالوا : لا تدفع شيئاً قدره الله ولكنها تشفع<sup>(١)</sup> .

وهذه حجة واهية آلت إليهم عن طريق الإلف والعادة المتوارثة عن أسلافهم .

قال أبو جعفر ابن جرير عند قوله تعالى : (( قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله

ان أردني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرلدني برحمة هل هن مسكات رحمته ))

" قل : أفرأيتم أيها القوم هذا الذي تعبدون من دون الله من الأصنام والآلهة

(( إن أرادني بضر )) يقول : بشدة في معيشتي وكثرة مالي ، ورخاء ، وعافية فسي

بدني هل هن مسكات عني ما أراد أن يصيبني به من تلك الرحمة ؟ وترك الجواب

لاستغناء السامع بمعرفة ذلك ، ودلالة ما ظهر من الكلام عليه ، والمعنى : فإنهم

سيقولون لا ، فقل حسبي الله ما سواه من الأشياء كلها إياه أعبد ، وإليه أفزع

في أموري دون كل شيء سواه فإنه الكافي ويده الضر والنفع لا إلى الأصنام

والأوثان التي لا تضر ، ولا تنفع<sup>(٢)</sup> .

فالأية تضمنت اعتراف المشركين الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الله - تعالى - هو الخالق للكون وحدة دون سواه ، كما تضمنت بيان عجز الآلهة التي يعبدونها عن أن تجلب لهم نفعا ، أو أن تدفع عنهم شرا ، وورد هذا كثير في القرآن الكريم ، فقد كانوا أيضا يعترفون بأن الله تعالى هو الرزاق النافع ، الضار ، ومع ذلك يعبدون غيره معه .

قال تعالى (( قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أمن يطك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون )) (١) . هذه الآية استجوبت المشركين عن أمور أربعة :

الأمر الأول : عن سبب الأرزاق في السموات والأرض لأنها إنما تحصل الأرزاق من السماء والأرض ، أما السماء فبأنزال الأمطار ، كما قال تعالى (( واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون )) (٢) .

وأما الرزق من الأرض ففيمما أودع الله فيها من منافع مادية وأبرزها الغذاء سواء أكان نابتا منها أو ما أوجد الله على ظهرها من الحيوان .

الأمر الثاني : أحوال الحواس ومن أشرفها وأظهرها وأشدّها ضرورة وأعجبها خلقا السمع والبصر ولهذا خصت بالذكر .

الأمر الثالث : أحوال الموت والحياة من إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي ومعنى إخراج (الحي من الميت) إخراج الإنسان من النفاثة والطائس من البيضة وإخراج (الميت من الحي) إخراج النفاثة من الإنسان والبيضة من الطائر .

وقد ذكر أبو عبد الله القرطبي في تفسيره أهم من هذا ، إذ قال : عند قوله تعالى ((ومن يخرج الحي من الميت)) قال : " أي النبات من الأرض ، والإنسان من النطفة والسنبلة من الحبة ، والطيور من البيضة ، والموءمن من الكافر" (١) وهذا التعميم أولى لشموله الحياة النباتية ، والحياة الحيوانية ، وقد نهى القرآن السي هذا بقوله تعالى (إن الله فائق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون ) (٢) .

ويمكن أن يلحق بهذا المعنى آخر قريب لم أر من ذكره من المفسرين في كتب التفسير التي اطلعت عليها وقد يكون ذكره بعضهم ولم أطلع عليه ، وهو أن الجنين قد يخرج من بطن أمه التي تصحبها الحياة ، وقد يخرج الجنين حيا من بطن أمه بعد موتها بواسطة عطية جراحية ، فإنه داخل في عموم الآية .

الأمر الرابع : قوله تعالى في نهاية الآية : (( ومن يدبر الأمر فسيقولون الله )) هذه الحطة من الآية من باب عطف العام على الخاص لأن أنواع التدبير في هذا العالم لا نهاية لها فهناك تدبير في العالم العلوى ، وتدبير في العالم السفلي ولهذا جاءت الحطة بلفظ كلي عام يشمل تدبير الكون بما فيه .

فلقد استجوب القرآن الكريم أولئك المشركين عن الأمور الأربعة المتقدمة ، والمهدف منها إلزامهم بما يستلزم اعترافهم ، وما فطرت عليه النفوس البشرية جمعا من الإيمان بربوبية الله تعالى وذلك سلم عندهم فطرة وعقلا وضرورة فيلزمهم أن يفردوه بالمعبادة دون سواه .

( ١ ) الجامع لاحكام القرآن ٣٣٥/٨

( ٢ ) سورة الانعام آية ٩٥ .

يسلبهم اياه فلا أعجز من هذه الآلهة ، ولا أضعف منها فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله تعالى ، وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله - سبحانه - في بطلان الشرك وتجهيل أهله وتقييد عقولهم " أ . هـ <sup>(١)</sup> فهذا المثل كان بحسب دليله في منتهى القوة حيث أثبت بطريقة حسية بطلان الوثنية وأقام الحجة على إظهار الوحدانية .

ومن الأمثال التي ضربها الله - تعالى - لبيان ضعف آلهتهم وبطلان عبادتها قوله تعالى (( مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت المنكسوت لو كانوا يعلمون )) <sup>(٢)</sup> بين الله تعالى أنهم ضعفاء وإن الذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالمنكبوت اتخذت بيتاً وهو أوهن البيوت وأضعفها وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا من اتخذوهم أولياء إلا ضعفاً كما قال تعالى (( واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزاً . كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً )) <sup>(٣)</sup> وقال تعالى (( واتخذوا من دون الله آلهة لهم ينصرون ، لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون )) <sup>(٤)</sup> وقال - سبحانه - بعد أن ذكر هلاك الأمم الماضية من المشركين (( وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زاد وهم غير تقييد )) <sup>(٥)</sup> فهذه أربع آيات من آيات القرآن الكثيرة الدالة على أن من اتخذ من دون الله ولياً يتمرر به ويتكبر به لم يحصل له إلا ضد مقصوده ولوعلم المشركون ضعف آلهتهم ، كما

( ١ ) أعلام الموقعين ١ / ١٨١-١٨٢ ، الأمثال في القرآن الكريم ص ٢٤٧-٢٤٨

( ٢ ) سورة العنكبوت آية / ٤١ ( ٣ ) سورة مريم آية / ٨١-٨٢

( ٤ ) سورة يس آية ٧٤-٧٥ ( ٥ ) سورة هود آية / ١٠١

يعلمون ضعف بيت العنكبوت لما اتخذوهم أولياء فالذي كانوا يلتصونه منها من قوة وعزة ونصر يكون بعكس ما يظنون<sup>(١)</sup> . وهو ما جاء في تأكيد اعترافهم بضعف الهتهم حديث عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لحصين : ( كم إليها تعبد قال سبعة ، ستة في الأرض ، وواحد في السماء قال من لرهبتك ورغبتك ؟ قال الذي في السماء قال : فترك الستة واعبد الذي في السماء وأنا أعلمك دعوتين ، فأسلم وعلمه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي )<sup>(٢)</sup> .

ومن ذلك أيضا ما ورد في تلبية بعض شركي العرب إذا أهلوا لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك )<sup>(٣)</sup> .

وقد جاء في أشعارهم ما يدل على أن عبادتهم للأصنام لم تكن عميقة فسي قرارات أنفسهم لأنهم كانوا يدركون عدم جدواها ونفعها . وقد ذكر ابن كثير في كتابه " البداية " أن صنما يقال له سمعد : وكان صخرة طويلة فأقبل عليه رجل من كنانة بابل له لقصد التجرك به فلما أدناها منه نفرت وكان يهراق عليه الدماء فذهبت في كل وكبه وتفرقت عليه ، فأسف عليها فأخذ حجرا ورماه به وقال : لا بارك الله فيك إليها أنفرت علي إبلي ، ثم سار في طلبها فجمعها وانصرف عنه وهو يقول :

أتينا إلى سمعد ليجمع شطننا      فشتتنا سمعد فلا نحن من سمعد  
وهل سمعد إلا صخرة بتتوفى      من الأرض لا يدعى لفتي ولا رشد<sup>(٤)</sup>

( ١ ) اعلام الموقعين ١ / ١٥٤ - ١٥٥

( ٢ ) سنن الترمذي ٥ / ١٨٢ .

( ٣ ) صحيح مسلم ٢ / ٨٤٣ .

( ٤ ) البداية والنهاية ٢ / ٢٠٩ .

وقال بعض المشركين حين وجد الثعلبان يبول على رأس صنمه :

أرب يبول الثعلبان برأسه      لقد ذل من بالت عليه الشمالب<sup>(١)</sup>

وكذلك قصة عمرو بن الجموح فقد كان له صنم وكان بعض الفتيان ممن أسلم وشهد المعقبة كانوا يأتونه ليلا فيلقونه في حفر بني سلمة وفيها عذرة الناس منكسا على رأسه فيطلبه فيفسله ويطلبه ثم يقول له : أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينه<sup>ب</sup> فإننا نام وأسى عمروعدا عليه ففعلوا به مثل ذلك فيفدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى . فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه ، ففسله وطهره وطلبه ثم جاء بسيفه فملقه عليه ، ثم قال : إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى ؟ فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك ، فلما أسى ونام عمروعدا عليه ، فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة ، فيها عذرة الناس ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به ، فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت ، فلما رآه وأبصر شأنه ، وكلمه من أسلم من رجال قومه ، فأسلم وحسن إسلامه . فقال : بعد إسلامه ومعرفته لله متذكرا صنمه شاكرا لله تعالى الذي

أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة ،

|                            |                          |
|----------------------------|--------------------------|
| والله لو كنت إليها لم تكن  | أنت وكلب وسط بئر في قرن  |
| أى لطقاك إليها سستن        | الآن فتشناك عن سوء الفجن |
| الحمد لله العلي نعم المنين | الواهب الرزاق ديان الدين |
| هو الذي أنقذني من قبل أن   | أكون في ظلمة قبر مرتهن   |

بأحمد المهدي النبي الموعود<sup>(٢)</sup>

(١) أنظر القاموس ٤٢/١ ، لسان العرب ٣٣٧/١ ، الأصنام لابن الكلبي ص ٤٧  
 (٢) صورة ابن هشام ٤٥٢/١-٤٥٣ ، الإصابة ٥٢٢/٢-٥٢٣ . والشطر الأخير  
 في هذين المصدرين " بأحمد المهدي النبي المرتهن " ولعل ذلك تحريف .

وهناك قصص أخرى كثيرة تدل على عدم إيمان بعض عباد الأوثان بالإيمان الكامل بأوثانهم ويحملون قطعاً أنها لا تنفع ولا تضر ، ولذلك عندما نزل القرآن شُنع عليهم عبادتهم لها وكان من أساليب القرآن معهم أنه كان يقررهم بما لا مجال للإنكاره لأن الزام الخصم بما يسلم به من أبلغ الطرق الجدلية ، لأنه إذا سلم بالمقدمة فقد ألزم بالنتيجة سواء التزم بذلك أو لم يلتزم ، ولذلك كان القرآن يحتج عليهم بحجة لا بد للمقول من الإقرار بها ، ولا يجوز للعقل السليم رفضها ، قال تعالى (( أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون )) (١) . فالآية تقول لهم أنتم موجودون وهذه حقيقة لا تتكرونها وكذلك السموات والأرض موجودتان ولا شك ، والذي تقرر عقلاً أن الموجود لا بد له من سبب لوجوده لأن المعدوم لا يوجد شيئاً هذا أمر مقرر في بدائه العقول ، ولأن الشيء لا يوجد نفسه . فقوله تعالى (( أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون )) دليل قاطع يرغم العقلاء على التسليم بأن هناك خالقاً معبوداً ، إلا أن الآية صاغته بأسلوب مؤثر فلا تكاد الآية تلمس السمع حتى تزلزل النفس وتهزها .

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقراً - في المغرب - بالطور ، فلما بلغ هذه الآية (( أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون )) كاد قلبي يطير ) (٢) قال شيخ الإسلام : تعقيباً على هذا الحديث " وذلك أن هذا تقسيم حاصر ذكره الله بصيغة استفهام الإنكار ليبين أن هذه المقدمات معلومة بالضرورة لا يمكن جردها يقول : (( أم خلقوا من غير شيء ١٤ ))

( ١ ) سورة الطور آية ٣٥-٣٦



أى من غير خالق خلقهم أم هم خلقوا أنفسهم ١٤ وهم يعلمون أن كلا النقيضين باطل ، فتمين أن لهم خالقا خلقهم - سبحانه وتعالى - (١)

وقال أبو سليمان<sup>(٢)</sup> الخطابي : معلقا على قصة جبير بن مطعم " إنما كان انزعاجه على سماع هذه الآية لحسن تلقيه معنى الآية ومعرفته بما تضمنته من بليغ الحجة فاسهدها بلطف طبعه واستكشفت معناها بزكي فهمه . . . . واختصار الخطابي في معنى (( أم خلقوا من غير شي " )) فوجدوا بلا خالق ، وذلك ما لا يجوز أن يكون لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الأمر فلا بد له من خالق فإن قد أنكروا الإله الخالق ، ولم يجز أن يوجدوا بلا خالق خلقهم ، أفهم الخالقون ؟ لأنفسهم ؟ وذلك في الفساد أكثر وفي الباطل أشد ، لان ما لا وجود له كيف يجوز أن يكون موصوفا بالقدرة ؟ وكيف يخلق ؟ وكيف يتأتى منه الفعل ؟ وإذا بطل الوجهان معا قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا ، فليؤمنوا به . ثم قال سبحانه (( أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون )) وذلك شي " لا يمكنهم أن يدعوه بوجه فهم منقطعون ، والحجة قائمة عليهم " أ . هـ (٣) .

وهذا الذي قرره الله في هذه الآيات لا يمكن الكفار أن يدعوه ، والفاكدة من

ذكره والسوءال عنه قطع الحجاج والخصام ، إن قد يوجد جاحد مكابر يقول : أنا

( ١ ) مجموع الفتاوى ٣٥٩/٥ ، وانظر شرح حديث النزول ص ٢٨ .

( ٢ ) هو : حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي البستي أبو سليمان فقيه ، محدث من أهل " بست " من بلاد " كابل " من نسل زيد بن الخطاب ولد سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، وتوفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة هجرية أنظر ترجمته في " وفيات الاعيان ١٦٦/١ خزنة الادب ٢٨٢/١ الاعلام للزركلبي ٣٠٤/٢ .

( ٣ ) ذكره عنه البيهقي في كتابه " الاسماء والصفات " ص ٤٩٥-٤٩٦ .

خلقت نفسي \* كما زعم شيل له من قبل أنه يحيى ويميت (( ألم تر إلى الذي  
 حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيى ويميت  
 قال أنا أحيى وأميت )) . وكان الجواب عليه سوءاً إلا آخر أبان عجزه وكذبه فسي  
 زعمه الأول (( قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ))  
 فكانت النتيجة (( فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين )) (١) .

فإذا كان العدم لا يوجد سماً ولا أرضاً ، وإذا كانت السماء والأرض لم توجدا  
 نفسيهما ، وإذا كان الملاحظة لا يستطيعون ادعاء ذلك كله فإنه لا بد لهذا كله  
 من موجد وهذا الموجد ليس إلا الله تعالى ، قال تعالى (( أمن خلق السموات  
 والأرض ، وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن  
 تنبتوا شجرها إلا مع الله بل هم قوم يعدلون )) (٢) .

هذه الآية وجهت سوءاً إلا استمداً من واقع هذا الكون الذي من حول الناس  
 والذي يشاهدونه ، ويلسونه ، ويستمعون بخيراته فإطلاق السمع ، والبصر ، والفؤاد  
 في السموات التي ترى وفي الأرض التي يعيش عليها الإنسان ، وما فيها من  
 الحدائق الفنية بالأشجار ، والأزهار والثمار والفرض منها بائن وواضح لأن  
 هذا التناسق البديع لا يعقل أن يكون فلتة أو طرفة ، أو صدفة ، ولا يعقل  
 أن يكون رمية بدون رام ، وخاصة لم تدع الصدفة ، ولا الأصنام ، ولا أية جدلية  
 أنها خلقت وأبدعت ، .

ومما قد منا من الآيات ومعض الأحاديث وما ذكرنا أيضاً من بمض أقوال  
 شركي المرب يتبين أن الإقرار بالصانع أمر فطري مركوز في كل نفس ولهذا

( ١ ) سورة البقرة آية ٢٥٨ ( ٢ ) سورة النمل آية ٦٠

وحده ، بل هو الحجة عليهم كما بين ذلك - سبحانه - في كتابه الكريم ففي  
 عدة مواضع ولهذا كان حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أ.هـ (١)  
 وقال شارح الطحاوية : بعد أن ذكر تعريف توحيد الربوبية ، " وهذا  
 التوحيد حق لا ريب فيه وهو الفاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة  
 من الصوفية ، وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من  
 بني آدم بل القلوب مغطورة على الإقرار به أعظم من كونها مغطورة على  
 الإقرار بغيره من الموجودات كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم (( أني  
 الله شك فاطر السموات والأرض )) ؟ (٢)

( ١ ) إغاثة اللهفان ٣٠ / ١

( ٢ ) شرح الطحاوية ص ٤٠٠ والآية رقم ( ١٠ ) من سورة ابراهيم .

## المبحث الرابع عشر

## الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الإقرار بتوحيد الألوهية

تظهر أهمية الإقرار بتوحيد الربوبية في أنه مقدمة لنتيجة ، فإذا أقر المعبود أن الله سبحانه وتعالى هو الرب المتفرد بالربوبية وخصائصها ، استلزم ذلك حتما أن ينتج عن إقراره هذا إقرار آخر بتفرد الرب جل وعلا في ألوهيته فيجرد له العبادات كلها ، ولا يصرف منها شيئا لغير الله تعالى إذ أنسه لا يصلح أن يعبد إلا من كان ربا ، سيذا ، خالقا ، بارئا ، مصورا ، مالكا رازقا ، معطيا ، مانعا ، محييا ، ميتا ، مدبرا لأمر الكون كله ، وذلك كله لا يثبت إلا لله وحده لا شريك له ، فوجب أن يكون هو المعبود وحده ، الذي لا يصح أن يكون لأحد من خلقه شركة معه في أي شيء من العبادات عظمى اختلاف صورها .

ولهذا جرت الطريقة في كتاب الله الكريم على سوق آيات الربوبية ، ثم الخلو منها إلى الدعوة إلى توحيد الألوهية فيجعل توحيد الربوبية مدخلا لتوحيد العبادة للإله . الذي لا يستحقها بأنواعها جميعا سواء (١) .

وأما توحيد الألوهية : فهو متضمن لتوحيد الربوبية ، بمعنى أن توحيد الربوبية داخل في ضمن توحيد الألوهية فإن من عبد الله وحده لم يشرك به شيئا لا بد أن يكون قد اعتقد أن الله هو ربه ومالكة الذي لا ربه غيره ولا مالك له سواء فهو يعبده لاعتقاده أن أمره كله بيده ، وأنه هو الذي يطكضه ونفسه وأن كل ما يدعى من دونه فهو لا يطكض له ما يدعى ضرا ، ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

ولا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية ، كما لا ينفع توحيد الألوهية

( ١ ) أنظر كتاب " صيانة الإنسان عن وسوسة الشيطان " للشيخ د. حنلان -

بنون توحيد الربوبية فإن من عبد الله وحده ولم يشرك به شيئا في عبادته ، ولكنه اعتقد مع ذلك أن لغير الله تأثيرا في شيء ، أو قدرة على ما لا يقدر عليه إلا الله ، أو أنه يملك ضر العباد ، أو نفصمهم ، ونحو ذلك فهذا لا تصح له عبادة لأن أساس العبادة التي تنهى عليه هو الإيمان بالله ربنا متفردا بخصائص الربوبية جميعا .

وأما توحيد الأسماء والصفات فإنه شامل للنوعين فهو يقوم على أفراد الله - تعالى - بكل ما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى التي لا تنبغي إلا له ، ومن جعلتها كونه ربنا واحدا لا شريك له في ربوبيته وقد كان المشركون الأولون مقرين بتوحيد الربوبية ولكن إقرارهم هذا لم ينفعهم شيئا ، ولم يخرجهم من كفرهم وشركهم ولم يصبحوا بهذا الإقرار موحدين لله - جل وعلا - (١)

وقد كانوا أيضا مع إقرارهم ذلك يعبدون الله ويخلصون له ذلك أنواعا من العبادات كالحج والصدقة والذبح والنذر والدعاء وقت الإضطرار .

قال تعالى (( وإذا غشيهم موج كالثقل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور )) (٢) . وكانوا يدعون أنهم على طمة إبراهيم عليه السلام . فأنزل الله تعالى (( وما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين )) (٣) وكان البعض منهم يؤمن بالبعث والحساب وبعضهم يؤمن بالقدر .

قال زهير بن أبي سلمى :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ، ليوم الحساب أو يجعل فينقم (٤)

- 
- ( ١ ) شرح الطحاوية ص ٧٩-٨٤ بتصرف . وراجع " تيسير العزيز الحميد " ص ١٧ - ٢٠ ، وانظر " كتاب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان " صفحة ٤٣٧-٤٥١ .
- ( ٢ ) سورة لقمان آية / ٣٢ -٣- سورة آل عمران آية / ٦٧
- ( ٤ ) المملقات السبع مع شرحها ص ٧٥

- 
- ( ١ ) ديوان عنتره ص ٧٤
- ( ٢ ) سورة ص آية / ٤-٧
- ( ٣ ) صحيح مسلم ٥٢/١ رواه البخارى من حديث ابن عمر ١٣/١ .

أما قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة ( وحسابهم على الله )<sup>(١)</sup> أي أن الله تبارك وتعالى هو الذي يثولي حساب الذي يقول كلمة التوحيد بلسانه فقط فإن كان صادقا في قوله جازاه بجنات النعيم وإن كان يقولها نفاقا فله من الله العذاب الأليم .

وأما في الدنيا فيحكّم له بالظاهر فمن أشى بالتوحيد ولم يأت بما يناقضه ظاهرا والتزم بشرائع الإسلام وجب الكف عنه .

والذي نخلص إليه ما تقدم أن الإقتصار على الإقرار بتوحيد الربوبية لا أثر له في عصمة المال والدم .

---

( ١ ) تقدم تخريجه قريبا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

# الفصل الرابع

- الفصل الرابع -

ما جاء في السورة بشأن الشرك

ويشتمل على المباحث الآتية :

- المبحث الأول : تعريف الشرك .
- المبحث الثاني : أنواع الشرك .
- المبحث الثالث : أصل الشرك في بنى الانسان .
- المبحث الرابع : ذم الانسان على جعله أنداد لله تعالى .
- المبحث الخامس : الفرق بين الشرك والموحد .
- المبحث السادس : التحذير من الشرك وبيان أنه معيب للعمل .



## ( المبحث الأول )

تعريف الشرك في اللغة والإصطلاح :-

تبيين مما تقدم في الفصول السابقة أن سورة ( الزمر ) تناولت أنواع التوحيد الثلاثة ، وقد تقدم الحد يث عنها في الفصول الثلاثة المتقدمة ثم تعرضت للشرك الذي هو أعظم ذنبا عصى الله به في الأرض ولقد الحد يث في السورة حول الشرك عن بيان أصل الشرك في بني الإنسان ثم عرضت لذنم الإنسان على عمله أندك الله تعالى ، ثم جاء البيان فيها للفرق بين الشرك والموحد ، ثم ختم الحد يث فيها عن الشرك بالتحذير منه ، وبيان أنه محبط للعمل ، وستحدث عن هذه الأمور بطريقة مفصلة في المباحث التي ستأتي بعد تعريف الشرك في اللغة ، والإصطلاح ، وبيان أنواعه فنقول :

الشرك في اللغة :

جاء في مقاييس اللغة : أن مادة (الشرك) المكونة من حرف ( الشين والراء والكاف ) لها أصلان :

أحد هما : يدل على مقارنة وخلاف انفراد ، والآخريدل على امتداد واستقامة فالأول : الشرك وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحد هما ويقال : شاركت فلانا في الشيء إذا صرت شريكه ، وأشركت فلانا إذا جعلته شريكا لك قال تعالى ( وأشرك في أمري ) ( ١ ) ويقال : لا في الدعاء اللهم أشركنا في دعاء المؤمنين أي : اجعلنا لهم شركاء في ذلك .

وأما الثاني : فالشرك : لقم الطريق ، وهو شراك أيضا ، وشرك النعل مشبه بهذا ، ومنه شراك الصائد سعي بذلك لا متداده ( ٢ )

( ١ ) سورة ( طه ) آية / ٣٢٦

( ٢ ) مقاييس اللغة : ٢ / ٢٦٥

وقال في اللسان : ( الشرك والشركة شرك ) مخالطة الشريكين يقال : اشتركا بمعنى : تشاركنا ، وقد اشترك الرجلان وتشاركا ، وشارك أحدهما الآخر والشريك المشارك ، والشرك كالشريك ، والجمع أشراك وشركاء ( ١ ) وجاء في تهذيب اللغة : ( الشرك بمعنى الشريك وهو بمعنى النصيب وجمعـه أشراك كـشبر وأشبار ) أ هـ ( ٢ )

وفي اللسان : ( وطريق مشترك : يستوي فيه الناس ، واسم مشترك تستوي فيه معان كثيرة ) ( ٣ )

وقال في الصحاح : ( والشرك أيضا : الكفر ، وقد أشرك فلان بالله فهو مشرك ومشركي ) أ هـ ( ٤ )

وجاء في تاج العروس : مبينا قوله تعالى ( والذين هم به شركيون ) ( ٥ ) ومعناه : الذين صاروا مشركين بطاعتهم الشيطان وليس المعنى أنهم آمنوا بالله تركوا بالشيطان ، ولكن عبدوا الله وعبدوا معه الشيطان فصاروا بذلك مشركين فهو مشرك ومشركي ) ( ٦ ) ،

وزاد في اللسان ( مثل الشرك في الجاهلية وهو تلبيتهم حول الكعبة لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك ) يعنون بالشريك الصنم ) أ هـ ( ٧ ) وفي تهذيب اللغة : قال الليث : شرك الصائد : حبال الصيد ، وكذلك ما ينصب للطير ) وفي الحديث : أعوذ بك من شر الشيطان وشركه ( ٨ ) أي : حباله ومضائه يعني ما يدعوا اليه ، ويوسوس به من الإِشراك بالله تعالى ) ( ٩ )

(١) لسان العرب ٤٤٨ / ١٠

(٢) ١٧ / ١٠ تاج العروس ١٤٨ / ٧ ، لسان العرب ٤٤٩ / ١٠

(٣) ٤٤٩ / ١٠

(٤) ١٥٩٣ / ٤

(٥) سورة النحل آية // ١٠٠٠

(٦) ١٤٨٧

(٧) ٤٥٠ / ١٠

(٨) رواه الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة ١٣٤ / ٥ ، والدارمي في سننه ٢٩٢ / ٢

(٩) تهذيب اللغة ١٠ / ١٨ ، تاج العروس ١٤٩ / ٧ ، لسان العرب ٤٥٠ / ١٠

ومما تقدم يتبين أن مدلول كلمة ( الشرك ) تطلق على النصيب والتسوية والمخالطة والمصاحبة ، والكفرة وحبائل الصيد والشبكة ، والقاعدة المتبصرة في اللغة العربية أن الكلمات ذات المادة الواحدة ، يكون فيما بينها ترابط وثيق وإذا تأملنا المدلولات السابقة لكلمة ( الشرك ) نلمس الترابط الواضح فيما بينها ،

فالشرك أن يجعل غير الله مشاركا له فيما هو من خالص حقه على عباده ، ومن فعل هذا فقد سوى بين الله وبين من أشركه معه في العبادة بمعنى أنه اتخذ لها آخروم الله لأنه قصد غير الله بشي من العبادة فجعله شريكا لله في عبادته بقدر كبير ، أو صغير في ذات ما وصف

وأما تعريف الشرك في الاصطلاح :

فقد تنوعت عبارات العلماء في تحديده ، وعلى الرغم من تنوعها فإن كل عبارة منها تكمل الأخرى .

فبعض أئمة اللغة جعله بمعنى الكفر .

قال صاحب القاموس : ( وأشرك بالله كفر ) (١) د . (١)

وجاء في تهذيب اللغة ( الشرك أن تجعل لله شريكا في ربه بعبادته تعالى

الله عن الشركاء والانداد ) (٢) د . (٢)

وقال الراغب : ( وشرك لا نسان نوعان :

أحد هما : الشرك العظيم ، وهو اثبات شريك لله تعالى يقال : أشرك فلان

بالله وذلك أعظم كفر قال تعالى ( ومن يشرك بالله فقد ضل ضالا بعيدا ) (٣)

(١) ٣١٨ / ٣

(٢) ١٦ / ١٠

(٣) سورة النساء ١١٦

وقال تعالى ( ان الله لا يفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ) ( ١ )  
والثاني : الشرك الأصغر وهو : مراعاة غير الله في بعض الأمور وهو  
 الرياء قال تعالى ( وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ) ( ٢ )  
 فتعريف الشرك في الاصطلاح : هو ضد التوحيد كالكفر ضد الايمان  
 وهو أن يجعل الانسان لله شريكا فيما هو من خالص حقه - سبحانه -  
 مثل أن يتخذ الهاء أو آلهة يعبدها أو يطيعها ، أو يستعين بهما ،  
 أو يحبها ، أو نحو ذلك مما لا يستحقه الا الرب جل وعلا فمن صدر منه  
 هذا الا اعتقاد فقد أشرك بالله العظيم وحبط عمله ، ولا يصلح مع الشرك  
 أي عمل ان من شرط قبول العمل عند الله تعالى أن يكون خالصا لوجهه  
 الكريم ليعرف فيه حظ ولا تصيب ( ٣ )

(١) سورة النساء آية ٤٨ /

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٢٥٦ - ٢٦٤ والاية رقم (١٠٦) من سورة يوسف

(٣) أنظر تجريد التوحيد للقرنبي ص ٢٧ - ٢٨ ، تفسير التفسير الحميد ص ٢٧

٥ ( توضيح المقاصد وتصحيح القواعد ) ٢ / ٢٦٦

(المبحث الثالث: شـ)

أنواع الشرك

والشرك الذي هو أعظم ذنب عصي الله به على هذه الأرض ذكر العلماء أنه  
ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الشرك الأكبر

النوع الثاني: شرك الأصغر

النوع الثالث: شرك خفي (١)

ولخطورة الشرك على عمل الإنسان المسلم: يتحتم عليه أن يعرف حقيقة هذه الأنواع  
الثلاثة حتى لا يقع فيها من حيث لا يشعر وسأتحدث في هذا المبحث عن بيان حقيقة  
هذه الأنواع باختصار.

تعريف الشرك الأكبر:

لقد اختلفت تعريفات العلماء للشرك الأكبر لفظاً، واتحدت معنى ومدلولاً.

قال العلامة ابن القيم: مبيناً حقيقة الشرك الأكبر (هو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه

كما يحب الله وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين) (٢)

وقال رحمه الله في تعريف آخر (هو تشبيه المخلوق بالله وتشبيهه بغيره) (٣)

وقال القرظي (٤) رحمه الله تعالى (أعلم أن حقيقة الشرك تشبيه الخالق بالمخلوق وتشبيه

المخلوق بالخالق أما الخالق فإن المشرك شبه المخلوق بالخالق في خصائص

الإلهية وهي التفريق بين الضر والنفع والعطاء والمنع فمن علق

(١) أنظر الرسالة الأولى ضمن مجموعة التوحيد لشيخ الإسلام ابن تيمية

(٢) والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهما من العلماء

(٣) مدان السالكين ١/ ٣٣٦

(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ١٥١ الغائبة للإهقان ٢/ ٢٢٦

(٥) هو الامام بقي الدين أحمد بن علي القرظي المتوفي سنة أربع وخمسين وثمانمائة هجرية

ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالى وسوى بين التراب ، ورب الارباب فأى فجور ونسب أعظم من هذا . . . . . هذا في جانب التشبيه وأما في جانب التشبيه فمن تعاضم ، وتكبر ودعا الناس الى اطرائه ورجائه ومخافته فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان ويجعله كالذئب تحت أقدام خلقه وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : يقول الله عزوجل - العظمة والكبرياء رداي فمن نازعني في واحد منهما عذبت به (١) وقال الامام الذهبي معرفا للشرك الاكبر : ( هو أن يجعل لله ندا يعبد معه غيره من حجر ، أو شجر ، أو شمس ، أو قمر ، أو نبي ، أو شيخ ، أو نجم ، أو ملك أو غير ذلك وهذا هو الشرك الاكبر ) (٢) وجاء في تيسير العزيز الحميد : ( هو أن يجعل لله ندا يدعوه كما يدعو الله ويسأله الشفاعة كما يسأل الله ، ويرجوه كما يرجو الله ويحبه كما يحب الله ويخشاه كما يخشى الله ، وبالجملة فهو أن يجعل لله ندا يعبده كما يعبد الله ) (٣) والذي يتبين من هذه التعاريف المتقدمة للشرك الاكبر أن معنى الشرك الاكبر هو جعل الانسان لربه - تعالى - مثيلا أو كفوفاً أو نظييراً أو عديلاً ، يتوجه اليه بالعبادة كما كان عليه أهل الجاهلية من المشركين مع أصنامهم ، وأوثانهم التي اتخذوها من الأحجار والأشجار فصرفوا لها العبادة التي لا يستحقها الا الله - تعالى - من دعا ، ونذر وذبح وغير ذلك من أنواع العبادات .

وهذا ما عليه القبريون حالياً فانهم يتوجهون الى الموتى من أهل القبور وينادونهم ويهتفون بهم ويستعينون بهم ويستغيثون ، ويقربون لهم القرابين والنذور بصنوف الأموال ، ويطلبون منهم الشفاعة وشفاء المرضى وغير ذلك مما لا يقدر عليه الا الله تعالى - وتجد هم يشدون اليهم الرحال ويحملون الزاد من البلدان والأقطار البعيدة .

(١) تجريد التوحيد ص ٢٧ - ٢٨ والحديث رواه مسلم بلفظ ( العزازة والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبت ) ٢٠٢٣ / ٤

(٢) الكبائر ص ٨

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٢٧

وكما تبين مما تقدم أن من الشرك بالله تشبيهه بخلقه كقولهم : يد الله كيد المخلوق ،  
وعينه كعينه الذي غير ذلك من أباطيل أهل الزيغ الذين يحاولون إخضاع النصوص  
لأهوائهم ، ولا يخضعون أهواءهم لها . وكذلك تشبيه المخلوق بالخالق  
كما زعم فرعون لقومه أنه ربهم الأعلى وكما فعلت السبئية ( ١ ) مع علي رضي الله عنه  
وكما شبه بعض الزائغين من الناس الحاكم العبيدي بأنه اله بؤانه مشرع وأن حكمه  
خير من حكم الله تعالى ( ٢ )

### أنواع الشرك الأكبر:

لقد بين شيخ لا سلام ابن تيمية أن الشرك الأكبر نوعان :

النوع الأول : شرك في الإلهية .

النوع الثاني : شرك في الربوبية .

قال رحمه الله - تعالى - . ( ان كان شركا يكفر به صاحبه وهو نوعان :

شرك في الإلهية ، وشرك في الربوبية .

فأما الشرك في الإلهية : فهو أن يجعل لله ندا - أي - : مثلاً في عبادته

أو محبته ، أو خوفه ، أو رجائه ، أو انابته فهذا هو الشرك الذي لا يفر الله

إلا بالتوبة منه قال - تعالى - . ( قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم

ما قد سلف ) " ٣ "

( ١ ) هم أتباع عبد الله بن سبأ الضال المضل الذي رام إفساد دين الإسلام بمكره  
وكيده إلا تيم حيث دعا الناس إلى القول بنبوته على ثم انتقل إلى ما هو أعظم من ذلك  
فزعم أنه اله وقد وجد بعضهم في زمن علي وقالوا فيه هذا القول فأمر باحراقهم أنظر  
في شأن هذه الفرقة المارقة ( الفرق بين الفرق ) ص ٢٣٢ مالتبشير في الدين  
ص ٧١ مالمثل والنحل ١ / ١٧٤ مقالات الاسلاميين ١ / ٨٦

( ٢ ) كما يعتقد ذلك طائفة الدور في الحاكم العبيدي منصور بن العزيز بالله نزار بن  
المعز بالله العبيدي الثالث من الخلفاء العبيديين المغاربة الذين تغلبوا  
على مصر فقد ادعى هذا العبيدي الألوهية تأسيساً بفرعون ، وقتل من العلماء  
ملا يحصى وكتب على المساجد والجوامع سب الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان  
وعائشة وغيرهم من الصحابة وهذا العبيدي يعظم الدور في لبنان  
والإسماعيليين الهندي أنظر ترجمته في ( النجوم الزاهرة )

١ / ١٧٦ - ٢٠٦ ، خطط المقرئ ٢ / ٢٨٥ - ٢٨٩ ) وفيات الأعيان ( ٢ / ١٢٦

( ٣ ) سورة الأنفال آية / ٣٨

وهذا هو الذي قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركي العرب لأنهم أشركوا في الإلهية قال تعالى ( ومن الناس من يتخذ من دون الله انداد يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ) (١) وقال - تعالى - (أجعل الآلهة إلها واحدا ان هذا شيء عجاب) "٢" .....

وأما النوع الثاني : فالشرك في الربوبية فان الرب - سبحانه - وتعالى هو المالك للمدبر المعطي المانع الضار النافع الخافض الرفع المعز المذل فمن شهد أن المعطي أو المانع أو المذل أو المعز ، أو المذل غيره فقد أشرك بربوبيته (٣)

وقال العلامة ابن القيم : مبينا نوعي الشرك الآكب -  
( الشرك شركان :

النوع الأول ( شرك يتعلق بذات المعبود ، وأسمائه وصفاته وأفعاله - النوع الثاني ( شرك في عبادته ومعاملته ، وان كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه - لا شريك له في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله - ثم ان القسم الأول نوعان :

أحد هما : شرك التعطيل وهو أقيح أنواع الشرك كشرك فرعون إذ قال : ( وما رب العالمين ) (٤) وقال تعالى مخبرا عنه أنه قال لهامان ( وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب المسضوات فأطلع الى اله موسى والى لاظنه كاذبا ) (٥) والشرك والتعطيل - مثلا زمان فكل مشرك معطل ، وكل معطل مشرك ، لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل ، بل قد يكون المشرك مقرا بالخالق - سبحانه - وصفاته ولكنه عطل حق التوحيد وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع اليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام :

(١) سورة البقرة آية / ١٦٥

(٢) سورة (ع) آية / ٥

(٣) مجموع الفتاوى / ١ / ٩١ - ٩٢

(٤) سورة الشعراء آية / ٢٣

(٥) سورة غافر آية / ٣٦ - ٣٧



الأول : تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه .

الثاني : تعطيل الصانع - سبحانه - عن كماله المقدم من بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله .

الثالث : تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود الذين يقولون : ما ثم خالق ومخلوق ولا ما هنا شيان ، بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدوم العالم وأبديته ، وأنه لم يكن معدوما أصلا بل لم يزل والحوادث بأسرها مستثناة عندهم إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها ويسمونها بالعقول والنفوس ومن هذا شرك من عطل أسماء الرب تعالى وأوصافه، وأفعاله من غلاة الجهمية والقرامطة فلم يثبتوا له اسما ولا صفة بل جعلوا المخلوق أكمل منه ، إذ كمال الذات بأسمائها وصفاتها .

النوع الثاني : شرك من جعل مع الله الها آخر ولم يعطل أسمائه وصفاته

وربوبيته كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة ، فجعلوا المسيح الها وأمه الها .

ومن هذا شرك المجوس القائلين باستناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة .

ومن هذا شرك القدرة القائلين بأن الحيوان هو الذي يخلق أفعالا نفسه وأنها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته ولهذا كانوا أشباه المجوس .

ومن هذا شرك النبي حاج إبراهيم في ربه ( إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت ) ( ١ )

فهذا جعل نفسه ندا لله يحيي ويميت بزعمه كما يحيي الله ويميت فالزمه إبراهيم أن طرد قولك أن تقدر على الإتيان بالشمس من غير الجهة التي يأتي بها الله منها ، وليس هذا انتقالا كما زعم بعض أهل الجدل ، بل إلزاما على طرد الدليل إن كان حقا .

ومن هذا شرك كثير من يشرك بالكواكب والسويات ويجعلها أربابا مدبرة  
لا مر هذا العام كما هو مذهب شركي الصابئة وغيرهم .

ومن هذا شرك عباد الشمس) أ . هـ ( ١ )

وأما القسم الثاني :

وهو ما يتعلق بمعاملته - سبحانه - فهو أربعة أنواع ( ٢ )

النوع الأول : شرك الدعوة وقد أشار إليه - سبحانه - بقوله ( فاذا ركبوا  
في الفلك دعوا لله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم  
يشركون " ٣ "

قال العلامة ابن جرير يقول تعالى ذكره : ( فاذا ركب هؤلاء المشركون  
السفينة في البحر ، فخافوا الغرق والهلاك فيه ) دعوا لله مخلصين له  
الدين ) يقول : أخلصوا لله عند الشدة التي نزلت بهم التوحيد وأنفردوا  
له الطاعة ، وأنفردوا له بالعبادة ، ولم يستغيثوا بالهتيم وندادهم  
ولكن بالله الذي خلقهم ( فلما نجاهم إلى البر ) يقول : فلما خلاصهم  
من أخطارهم وسلمهم ، فصاروا إلى البر إذا هم يجعلون مع الله شركاء  
في عبادتهم ويدعون الإلهة والأوثان معه أربابا .

قال قتادة ( فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ) فالخلق كلهم يقرون لله  
أنه ربهم ، ثم يشركون بعد ذلك) أ . هـ ( ٣ )

ومن تفسير ابن جرير للإية السابقة يتبين لنا أن شرك المشركين السابقين كان  
أخف من شرك المتأخرين إذ أولئك كان شركهم مقصورا في حالة الرخاء  
لما في الشدة فكانوا يخلصون الدعاء لله وحده لا شريك له وأما غير مشركوا  
زماننا فانهم ينادون ويستغيثون بغير الله في الشدة والرخاء على حد سواء  
قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله - تعالى - ( فاعلم أن شرك الأولين  
أخف من شرك أهل زماننا يأمرين :

( ١ ) الجواب الكافي لمن سأل عن الدنيا الشافي ص ١٥٢ - ١٥٤

( ٢ ) أنظر الرسالة الأولى من ( مجموعة التوحيد ) لشيخ الإسلام ابن تيمية والسخ

والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهما ص ٦ - ٧

( ٣ ) سورة العنكبوت آية / ٦٥

( ٤ ) جامع البيان ١٣ / ٢١

أحد هما : أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء مع الله إلا في الرخاء ، وأما في الشدة ، فيخلصون لله الدعاء كما قال تعالى - وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا ( ١ ) . . . . .

إلى أن قال : فمن هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون الله تعالى - ويدعون غيره في الرخاء ، وأما في الضراء والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له ، وينسون ساداتهم ، تبين له الشوق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما جيدا راسخا؟ والله المستعان الأمر الثاني : أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة ، أو يدعون أحجارا أو أشجارا مطيعة لله ليست عاصية وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس ، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقه وترك الصلاة وغير ذلك والذي يعتقد في الصالح ما والذي لا يعصي - مثل الخشب والحجر - أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به) ( ٢ )

النوع الثاني : شرك المحبة كما ذكر الرفع بعض الناس بقوله ( ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ) ( ٣ ) قال العلامة ابن القيم ( فأخبر أن من أحب من دون الله شيئا كما يحب الله - تعالى - فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا فهذا تذ في المحبة لا في الخلق والربوبية فان أحدا من أهل الأرض لم يثبت هذا النسيب في الربوبية بخلاف ند المحبة فان أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادا في الحب والتعظيم ثم قال ( والذين آمنوا أشد حبا لله ) وفي تقدير الآية قولان :

( ١ ) سورة الإسراء آية ٦٧

( ٢ ) كشف الشبهات ص ٢٢٧ ضمن مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب

( ٣ ) سورة البقرة آية ١٦٥

أحد هما : ( والذين آمنوا أشد حبا لله من أصحاب الأنداد لا أنداد هم  
وأنهتهم التي يحبونها ويعظمونها من دون الله .

والثاني ( والذين آمنوا أشد حبا لله ) من محبة المشركين بالأنداد لله

فان محبة المؤمنين خالصة ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم  
بقسط منها ، والمحبة الخالصة ، أشد من العشرة والقولان على القولين  
في قوله - تعالى - ( يحبونهم كحب الله ) ( ١ ) فان فيها قولين :  
أحد هما : يحبونهم كما يحبون الله فيكون قد أثبت لهم محبة الله ولكنها  
محبة يشركون فيها مع الله أنداداً

والثاني : أن المعنى يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله ، ثم يبين

أن محبة المؤمنين لله أشد من محبة أصحاب الأنداد لا أندادهم ، وكان  
شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - يرجع القول الأول ، ويقول  
: انما ذموا بأن أشركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة  
ولم يخلصوها لله كحبة المؤمنين لله ( ٢ )

النوع الثالث : شرك الطاعة المذكور في قوله - تعالى - ( اتخذوا

له ) ( ٣ )

وفي نسخة الحد يث عن عدي بن حاتم حين سمع رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يقرأ هذه الآية ( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله )  
قال : فقلت : انهم لم يعبدوهم ؟ فقال ( بلى انهم حرموا عليهم الحلال  
وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم اياهم ) ( ٤ )  
قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسيرها : انهم اتبعوهم  
فيما حللوا وحرموا .

( ١ ) سورة البقرة ١٦٥ /

( ٢ ) مدارج السالكين ٢٠ / ٣ - ٢١

( ٣ ) سورة التوبة آية ٣١ /

( ٤ ) رواه ابن جرير في تفسيره جامع البيان ١٠ / ١١٤ سنن الترمذي ٣٤٢ /

وانظر تفسير ابن كثير ٣ / ٢٨٥

قال ابن القيم ( وهذا من أعظم تلاعب الشيطان بالإنسان : أن يقتل أوقاتك من هداه علي يديه ، ويتخذ من لم تضمن له عصمته ندا لله يحرم عليه وحلله له ) أ هـ ( ١ )

النوع الرابع : شرك الثية والارادة والقصد المشار اليه بقوله تعالى — ( من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها — وباطل ما كانوا يعملون ) هـ ( ٢ )

وقال العلامة ابن القيم ( وأما الشرك في الارادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له ، وكل من ينجو منه فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئا غير التقرب اليه ، وطلب الجزاء منه ، فقد أشرك في نيته وارادته والاخلاب : أن يخلص لله في أقواله وأفعاله واراته ونيتته ، وهذه هي الحنيفة ملة ابراهيم التي أمر الله بها عبادة كلهم ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الاسلام ( ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ) ( ٣ ) وهي ملة ابراهيم التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء ) أ هـ ( ٤ )

### تعريف الشرك الأصغر:

الشرك الأصغر هو النوع الثاني من أنواع الشرك وقد أوضح تعريفه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : ( ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال الرياء ) ( ٥ )

( ١ ) اغاثة اللهفان ( ٢ / ٣١٩ )

( ٢ ) سورة قيونس آية / ١٥ - ١٦

( ٣ ) سورة آل عمران آية / ٨٥

( ٤ ) الجواب الكافي ص ١٥٩

( ٥ ) مجمع الزوائد ١٠ / ٢٢٢ من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه قال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله الصحيح غير شبيب وهو ثق—————ة

وعند الحاكم من حد يث أو من عن أبيه قال : كما نعد على عهد رسول الله صلى  
عليه وسلم أن الرياء الشرك الأصغر ( ١ )

والرياء الذي يعتبر شركا انما هو يسيره وليس بكثيره اذ الكثير منعقد يصل بصاحبه  
الى الشرك الأكبر وهذا لا يصدر الا من المنافقين الذين توعد هم الزه بالدرك  
الأسفل من النار أو ممن لم تخالط يشاشة الايمان قلبه .

قال ابن القيم : رحمه الله - تعالى - في حده للشرك الأصغر ( وأما  
الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع للاخلق والحلف بغير الله - تعالى -  
وقول الرجل ماشاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ( وأناها لله وبك ) ومالي  
الا الله وأنت وأنا متوكلى على الله وعليك ولولا أنت لم يكن كذا وقد يكون شركا  
أكبر بحسب قائله ومقصده ) ( ٢ )

قال في تيسير العزيز الحميد ففسر الشرك الأصغر باليسير من الرياء فدل على أن  
كثيره أكبر، و ضد الشرك الأكبر والأصغر التوحيد والاخلاص وهو افراد الله -  
تعالى - بالعبادة باطنا وظاهرا ( أ ، د ( ٣ )

### الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

أما الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر فمن وجوه :

ولا : أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه ، وأما الأصغر فتحتمل المشيئة

الثاني : أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال ، وأما الأصغر فلا يحبط الا العمل

الذي قارنه .

الثالث : أن الشرك الأكبر يخرج لصاحبه من ملة الاسلام ، وأما الأصغر فلا يخرج  
منه .

(١) المستدرک ٣٢٩ / ٤ وصححه وأقره على ذلك الذهبي

(٢) مدارج السالكين ١ / ٣٤٤

(٣) تيسير العزيز الحميد ع ٤٢٢

الرابع : أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار ، وأما الأصغر فكفيره من الذنوب<sup>(١)</sup>

### تعريف الشرك الخفي ٤

الشرك الخفي هو النوع الثالث من أنواع الشرك وقد بين حقيقته المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال ( ألا أخيركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا : بلى قال : الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لطيرا من نظر رجل ) ( ٢ )

قال الشيخ سليمان بن عبد اللهب محمد بن عبد الوهاب : قوله ( فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل ) فسر الشرك الخفي بهذا أن يعمل الرجل العمل لزه ، لكن يزيد فيه صفة كتحسينه وتطويله ونحو ذلك لما يرى من نظر رجل فهذا هو الشرك الخفي ، وهو الرياء ، والحامل له على ذلك هو حب الرياسة والجاه عند الناس ) ( ٣ )

وقال صلى الله عليه وسلم ( الشرك الخفي أن يعمل الرجل لمكان الرجل ) ( ٤ )  
وقال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره لقوله - تعالى - ( فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ) الا نداد هو الشرك أخفي من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن يقول : والله وحياتك يا فلان وحياتي ويقول لولا كلبية هذا لأتانا اللصوص البارحة ولولا البط في الدار لأتت اللصوص وقول الرجل لصاحبه لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلانا هذا كله شرك ) ( ٥ )

( ١ ) الكواشف الجليلة ص ٢٦٢

( ٢ ) رواه أحمد في المسند ٣٠٠ / ٣ وابن ماجه في السنن ١٤٠٦ / ٢

( ٣ ) تيسير العزيز الحميد ص ٤٧٤

( ٤ ) رواه الحاكم في المستدرک وصححه وأقره على ذلك الذهبي من حديث أبي

سعيد الخدری ٣٢٩ / ٤

( ٥ ) تفسير ابن كثير ١٠١ / ١

قال : شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله - تعالى -  
وأما الشرك الخفي فهو الذي لا يكاد أحد يسلم منه مثل أن يحب الرجل  
مع الله غيره فان كانت محبته لله مثل حب النبيين والصالحين والأعمال الصالحة  
فليست من هذا الباب لأن هذه تدل على حقيقة المحبة لا على حقيقة المحبة أن يحب  
المحبوب وما أحبه ، ويكره ما يكرهه ، ومن صحت محبته  
استنعت مخالفته لأن المخالفة انما تقع للنفس المتأهبة ويدل على نقص المحبة  
قول الله تعالى - ( قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم  
ذنوبكم ) (١) الآية فليس الكلام في هذا انما الكلام في محبة تتعلق بالنفوس بغير  
الله - تعالى - فهذا الاشك أنه نفس في توحيد المحبة لله وهو دليل على نقص  
محبة الله - تعالى - اذ لو كملت محبته لم يحب سواه . . . . . وكذا  
الخوف والرجاء ، وما أشبه ذلك فان كل خوف العبد من ربه لم يخف شيئاً سواه  
. . . . . واذنا نقص خوفه خاف من المخلوق وعلى قدر نقص الخوف وزيادته  
يكون الخوف . . . . . وكذا الرجاء وغيره فهذا هو الشرك الخفي الذي لا يكاد أحد  
أن يسلم منه الا من عصمه الله - تعالى - ( ٣ )

فشيخ الاسلام رحمه الله تعالى - يبين لنا خطورة الشرك الخفي الذي لا ينجو  
منه الا من عصمه الله - تعالى - ولذرك خافه صلى الله عليه وسلم على الصحابة  
الذين هم أبر الأمة أعمالاً وأقواها إيماناً وأصحابها اسلاماً وأحسنها أخلاقاً  
وأصدقها أقوالاً كما تقدم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

(١) سورة آل عمران آية ٣١

(٢) مجموع الفتاوى ١ / ٩٣ - ٩٤



قال صاحب تيسير العزيز الحميد (١) قال الطيبي (٢) ( مينا ضرر الشرك الحفى على الإنسان ) وهو من أضر فوائد النفس ، و مواطن مكائدها ، يبطل به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجسد لسلك طريق الاخسره فانهم مهما قهر وا أنفسهم وقطموها عن الشهوات ، وصانوها عن الشبهات هجرت نفوسهم عن الرطم في المعاصى الظاهرة ، الواقعة على الجوان فغلبت الاستراحة الى الظاهر بالخيره ، و اظهار العلم والعمل فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الفلق ولم يقتنع باطلاع الخالق تبارك وتعالى ، وفرحت بحمد الناس ، ولم تقنع بحمد الله وحده فأحببت مدحهم وتبركهم بمشاهدته وخدتمه واكرامه وتقديمه في المحافل فأصابته النفس في ذلك أعظم اللذات وأعظم الشهوات وهو يظن أن حياته بالله - تعالى - وعباداته ، وانما حياته هذه الشهوة الحفية التى تعمى عن دركها العقول النافذة ، قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين وهذه مكيد قلز نفس لا يسلم منها الا الصديقون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رُ ووصى الصديقين حب الرياضة) أ هـ (٣) واستطاعة الا نسان أن يتخلص من هذا الشرك الخفى بأمرين اثنين : الأول : الا خلاص بأن يكون عمله خالصا لوجه الله - تعالى - . الثانى : أن يكون العمل موافقا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم

- 
- (١) هو الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله - تعالى  
(٢) هو الحسين بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطيبي : من علماء الحديث والتفسير والبيان كان ذا ثروة طائلة من الارث والتجارة فأنفقها في وجوه الخير حتى افتقر في آخر عمره ، كان شديد الرد على أهل البدع وكان ملازما لتعليم طلبه العلم له مولفات في البلاغة والتفسير ، والحدِيث أنظر ترجمته في الدرر الكامنه ٦٨ / ٢ - ٦٩ كشف الطنون ٧٠ / ٧٢٠ ، شدرات ارز هب ١٣٧ / ٦ - ١٣٨ بنية الوعاء ٥٢٢ / ١ ، البدر الطالع للشوكاني ٢٢٩ / ١  
(٣) أنظر تيسير العزيز الحميد ص ٤٧٣

### كفارة الشرك الخفي :

مــــــــــــى الرغم من خطورة الشرك الخفي كما عرفنا ذلك مما تقدم وأنسـه  
 صلى الله عليه وسلم خافه على سادة هذه الأمة وهم الصحابة الكرام رضوان  
 الله عليهم أجمعين ، وأنه لا يسلم منه الا من عصمه الله تعالى -  
 الا أنه صلى الله عليه وسلم علمنا دعاءً ندعو الله به يكون كفارة لما يحصل للانسان  
 من عذاب الداء العضال .

روى الامام أحمد باسناده الى أبى موسى الأشعري رضى الله عنه - أنه خطب  
 الناس يوماً - فقال : يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفي من دبيب  
 النمل فقام اليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب فقالا : والله لتخرجنـ  
 مما قلت أولنأتين عمر ما ذون لنا أو غير ما ذون قال : بل أخن مما قلت خطبنا  
 رسول الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال : أيها الناس اتقوا  
 هذا الشرك فإنه أخفي من دبيب النمل فقال له من شاء الله أن يقول :  
 وكيف نتقيه وهو أخفي من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال قولوا ( اللهم  
 انا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفر لك عما لا نعلم ) ( ١ )

فهذا الحديث بين لنا فيه صلى الله عليه وسلم كفارة الشرك الخفي ، نسأل الله  
 أن يجنبنا الوقوع في الأمور التي تفضيه - سبحانه - وقد اختار أكثر العلماء  
 الذين ألفوا في التوحيد أن الشرك ينقسم الى نوعين أكبر وأصغر ، فيكون الشرك  
 الخفي من أنواع الشرك الأصغر على قول من قال : ان الشرك على نوعين  
 وهذا الخلاف في التقسيم الى نوعين الى ثلاثة إنما هو خلاف لفظي لأن ما  
 يفسره الشرك الخفي هو ما يفسره الشرك الأصغر وحيث ذكرنا أنواع الشرك  
 فإنه من المستحسن أن نردف ذلك بذكر أنواع الكفر وأنواع النفاق لأنها كلها  
 من الأُمور المهلكة لمن شن صدره بها .

أنواع الكفر :

قال العلامة ابن القيم ( فأما الكفر فنوعان : كفر أكبر ، وكفر أصغر ،  
فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار والأصغر موجب لا ستحقاق الوعيد  
دون الخلود ) ( ١ )

أنواع الكفر الأكبر :

الكفر الأكبر خمسة أنواع :

النوع الأول : كفر التكذيب وهو اعتقاد كذب الرسل وهذا القسم قليل في الكفار  
فان الله - تعالى - أيد رسله ، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم  
ما أقام به الحجة وأزال به المخذرة .

قال تعالى في شأن فرعون وقومه ( وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً  
وعلوا ) ( ٢ ) وقال - تعالى - مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم ( فانهم لا  
يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ) ( ٣ )

النوع الثاني :

كفر اباة واستكبار مثل كفر ابليس اللعين ومنه كفر من عرف الرسول صلى الله عليه وسلم  
ولم ينقل له اباة واستكبارا وهو الغالب على كفر أعداء الرسل كما قال - تعالى -  
عن فرعون وقومه ( أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ) ( ٤ )

( ١ ) مدارج السالكين / ١ / ٣٣٥

( ٢ ) سورة النمل آية / ١٤

( ٣ ) سورة الأنعام آية / ٣٣

( ٤ ) سورة المؤمنون آية / ٤٧

ومنه كفر أبي طالب فانه صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يشك في صدقه ولكن أخذته الحمية ، وكره أن يرغب عن ملة آباءه ، أو أن يحكم بتكفيرهم .

### النوع الثالث :

كفر الإعراض : مثل أن يعرض عن الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث لا يسمعه ولا يصدقه ولا يكذب به ، ولا يصفى الى ما جاء به البتة كما قال أحد بنى عبد ياليل للنبي صلى الله عليه وسلم ( والله أقول لك كلمة : ان كنت صادقا فانت أجل في عيني من أن أرد عليك وان كنت كاذبا فأنت أحقر من أن أكلمك ) ( ١ )

### النوع الرابع :

كفر الشك : حيث لا يجزم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم ولا يكذب به بل يشك في أمره ، وهذا الا يستمر شك الا اذا ألزم لنفسه الا عراض عن النظر في آيات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم جملة ، وأما مع التفاته اليها وانظره فيها فانه لا يبقى معه شك لا نها مستلزمة للصدق .

### النوع الخامس :

كفر النفاق وهو أن يظهر الايمان بلسانه ويطوى قلبه على تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو النفاق الاكبر ( ٢ )

( ١ ) علق على هذا النوع الشيخ محمد حامد الفقى فقال ( وهو كفر الملحدين اليوم من المتسمين بأسماء إسلاميه المقلدين للاقرننج من اليهود والنصرى

المحلين عن كل خلق وفضيلة زاعمين بجاهليتهم وسفهم أن هذا هو سبيل الرقى

والمدينة ) مدان السالكين ١ / ٣٣٨ ( الهامش )

( ٢ ) ذكر هذه الأنواع العلامة ابن القيم في مدان السالكين ١ / ٣٣٥ - ٣٣٦ وانظر ( مجموعة التوحيد لشيخ الإسلام ابن تيمية ) والشيخ محمد بن عبد الوهاب

الكفر الأصغر:

النوع الثاني من أنواع الكفر الأصغر ، وهو لا يخرج من ملة الإسلام وذلك مثل كفر النعمة وقد ذكره الله - تعالى - في قوله ( وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ) ( ١ )

ومنه الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب ، والنياحة ) ( ٢ )

فمثل هذا كفر دون كفر لا يخرج من ملة الإسلام

أنواع النفاق :-

جاء في الصحاح : النافقاً إحدى حجرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وهو موضع يرتقه ، فإذا أتته من قبل القاصعاً ضرب النافقاً برأسه فانتفق أي : خن والنفقة أيضا : مثل الهمة النافقاً تقول منه : نفق اليربوع تنفيقا وناق أي أخذ في تنا نفاقه ، ومنه اشتقاق المنافق في الدين ) ( ٣ )

وجاء في المصباح المنير : ناق اليربوع إذا أتى النافقاً ومنعقيل : ناق الرجل إذا أظهر الإسلام لأهله وأضر غير الإسلام وأتاه مع أهله فقد خن بجنونك ومحل النفاق القلب ) ( ٤ )

( ١ ) سورة النحل آية / ١١٢

( ٢ ) صحيح مسلم / ١ / ٨٢

( ٣ ) ٤ / ٥٦٠ ، القاموس المحيط - ٢ / ٢٦٦

( ٤ ) ٢ / ٦١٨

وفى اللسان عن أبي عبيد قال ( سبي المنافق منافقا للنفاق وهو السرب في الأرض وقيل : إنما سبي منافقا لأنه نافع كاليربوع وهو دخوله نافقا ) يقال : قد نفق به ، ونافق وله جعر آخر يقال له القاصع ، فإذا طرب قصع فخر من القاصع ، فهو يدخل في النافق ويخون من القاصع ، ويدخل في القاصع ويخون من النافق ، فيقال هكذا يفعل المنافق يدخل في الإسلام ثم يخون من غير الوجه الذي دخل فيه ( ١ )

ومن هذا يتبين أن النفاق في اللغة : اظهار الخير وابطان الشر وأما حقيقته في الشرح : فهو اظهار الإيمان وابطان الكفر وإخفاؤه ( ٢ ) والمتصفون بذلك موجودون في كل زمان ومكان والنفاق علي شريين :

الضرب الأول : النفاق الاعتقادي

الضرب الثاني : نفاق علمي ،

أما الضرب الأول : وهو النفاق الاعتقادي فإنه مخن لصاحبه من الملة

وفيه يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ( والنفاق منه ما هو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار كنفاق عبد الله بن أبي وغيره بأن يظهر تكذيب الرسول أو جحود بعض ما جاء به ، أو بغضه ، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه أو المسرة بانخفاض دينه ، أو المساة بظهور دينه ونحو ذلك مما لا يمكن صاحبه إلا أن يكون عدواً لله ورسوله ( ٣ ) وجاء في مجموعة التوحيد :

( فأما الاعتقادي فهو ستة أنواع : تكذيب الرسول ، وتكذيب بعض ما جاء به أو بغض الرسول أو بغض ما جاء به الرسول ، أو المسرة بانخفاض دين الرسول أو الكراهية بانتصار دين الرسول ) ( ٤ )

( ١ ) ٣٥٩ / ١٠

( ٢ ) أنظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٩٨ / ٥

( ٣ ) مجموع الفتاوى ٤٣٤ / ٢٨

( ٤ ) الرسالة الأولى من مجموعة التوحيد لشيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن الوهاب وغيرهما ٩

وأما الضرب الثاني : وهو النفاق العظمى فهو جريمة كبرى ، واثم عظيم وكبيرة من  
كباثر الذنوب ، ولكنه لا يخفى صاحبه من ملة الاسلام وأنواعه  
كثيرة ( ١ )

قال صلى الله عليه وسلم ( أربع من كن فيه كان منافقا خالصا  
ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا ائتمن خان  
وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر )

وفي رواية أخرى وإذا أذاع ما عهد وأخلف ( ٢ )

ذلك هو حقيقة الشرك وأنواع وأنواع الكفر والنفاق وكل هذه الأمور تكسب صاحبها  
الانحطاط والهبوط متى ما شرح بها صدره واطمأننت به نفسه أعاننا الله  
من ذلك ..... هـ

( ١ ) انظر أنواع النفاق في (مدان السالكين لابن القيم ) ١ / ٣٤٧ ، وانظر الرسالة  
الأولى من مجموعة التوحيد لشيخ الاسلام والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهما ص ١٠٦  
( ٢ ) رواه البخارى ومسلم صحيح البخارى ١ / ١٥٠ صحيح مسلم ١ / ١٠٦

## ( المبحث الثالث )

أصل الشرك في بني الا نسان

قال - تعالى - ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفارا ﴾

هذه الآية من السورة فيها بيان لأصل الشرك والدافع اليه عند المشركين قد يما وحد يشوفها توضح لحال المتخذين من دون الله - تعالى الأولياء والشركاء ، وأن الذى تقرر في قلوب المشركين المتقدمين والمتأخرين أن آلهتهم تشفع لهم عند الله - تعالى - ويزعمون أنها تقربهم الى الله - تعالى - برفع حوائجهم اليه والشفاعة عنده والا فهم يعتقدون أنها لا تخلق ولا ترزق ولا تملك من الأمر شيئاً وهذا كما هو معلوم من أقبيح الأعداء لإقدامهم على أشد المحرمات وارتكاب أعظم المنكرات وهو الشرك بالله العظيم ، ولذلك جاءت الآية مذكورة بالحكم عليهم بأنهم كاذبون وكفار وأنه - تعالى - لا يهديهم فهذه حال من اتخذ من دون الله ولياً أو شريكاً ،

قال ابن جرير رحمه الله - تعالى - حول هذه الآية ( يقول تعالى ذكره : والذين اتخذوا من دون الله أولياء يتولونهم ويعبدونهم من دون الله يقولون لهم ما نعبدهم أيها الالهة الا لتقربونا الى الله زلفى ، قربه ومنزلة وتشفعوا لنا عنده في حاجاتنا .

قال مجاهد : قرئش تقوله للأوثان ومن قبلهم يقوله للملائكة ولعيسى بن مريم ولعزير ( ١ )

وقال العلامة ابن كثير : حول قوله تعالى ( ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ) ثم أخبر عزوجل عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون أما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ) أى انما يحملهم على عبادتهم لهم .



أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم فعبدواهم وأفلك  
 الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله تعالى في :  
 نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا فإما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به  
 قال : قتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد : إلا ليقربونا إلى الله زلفى  
 أى ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا  
 في جا هليتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك وهذه الشبهة  
 هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله  
 وسلامه عليهم أجمعين بربها والنهي عنها والدعوة إلى أفراد العبادة لله وحده  
 لا شريك له وإن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا  
 رضي به بل أبغضه ونهى عنه ، ولقد بعثنا في كل أمم رسولا أن اعبدوا الله

واجتنبوا الطغوت ( ١ )

( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ) ( ٢ )

وأخبر أن الملائكة التي في السموات من الملائكة المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون  
 لله لا يشفعون عنده إلا بإذن نطقهم ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم  
 يشفعون عندهم بغير إذنه فيما أحبه الملوك وأبوه ( فلا تضربوا الله الأمثال ) ( ٣ )  
 تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ( ٤ )

وقال الشوكاني : ( والضمير في ) نعبدهم ( راجع إلى الأشياء التي كانوا  
 يعبدونها من الملائكة وعيسى والأصنام وهم المرادون بالأولياء والمراد بقولهم  
 ) إلا ليقربونا إلى الله زلفى ( النشاعة كما حكاه الواحدى عن المفسرين ) ( ٥ )

( ١ ) سورة النحل آية / ٣٦

( ٢ ) سورة الأنبياء آية / ٢٥

( ٣ ) سورة النحل آية / ٧٤

( ٤ ) تفسير ابن كثير ٧٨ / ٦٦

( ٥ ) فتح القدير ٤ / ٤٤٩



وهذه الأمور هي بعينها التي كان يفعلها مشركو الجاهلية بل هو لا أشد منهم  
عبادة وتعظيما وهذا أصل الشرك وعينه الذي حذر الله عنه عبادة ونهاهم عن  
والوقوف فيـــــــــــــــــه . .

وحرم على من مات عليه الجنــــــــــــــــة

قال صاحب تيسير العزيز الحميد : بعد ذكر قصة أصنام قوم نوح : فتبين أن مبدأ  
الشرك بالصالحين هو الغلو فيهم كما أن سبب الشرك بالنجوم هو  
الغلو فيها واعتقاد النحوس فيها والسعود ، ونحو ذلك وهذا هو الغالب على الفلاسفة  
ونحوهم كما أن ذلك هو الغالب على عبادة القبور ونحوهم وهو أصل عبادة الأصنام فإنهم  
عظموا الأصنام وتعظيمها مبتدعاً ، فصوروا صورهم وتبركوا بها قال الأمر الذي أن عبدت  
الصور من ( هي ) صورته وهذا أول شرك حدث في الأرض وهو الذي أوحاه الشيطان  
العبادة القبور في هذه الأمان فإنه ألقى إليهم أن البناء على القبور والعكوف عليها  
من محبة الصالحين وتعظيمهم وأن الدعاء عندها أرجى في الإجابة من الدعاء  
في المسجد والحرام والمساجد فاعتادوه لذلك فاذا تقرر ذلك عند هم نزلهم منه  
إلى الدعاء به والإقسام على الله به ( ١ ) أ. هـ ( ١ )

## ( المبحث الرابع )

ذم الإِنسان على جعله أندادا لله تعالى

لقد جاء في السورة الذم والعتاب للإنسان الذي يجعل لله تعالى الأنداد ،  
أوضحت أن من فعل ذلك فإن مسيره إلى النار ،

قال تعالى ( وإذا مس الإِنسان ضررنا فإنه مغبيا إليه ثم إذا خوله نعمة منه  
نسى ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع  
بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار ) .

هذه الآية من السورة تضمنت ذمًا وعتابًا من الله تعالى لمن جعل لله الأنداد  
والأشباه من المخلوقين فيحبها كما يحب الله ويرجوها كما يرجوا الله وهذا فعل  
الضالين المشركين بالله - عز وجل .

فقد أوضح الله في هذه الآية أن الإِنسان إذا نزل به الضر واشتد به الكرب  
يضع إلى الله ويخلص له الدعاء والآنابة لا يشرك به غيره ، فإذا ما أزيح  
عنه ذلك وخوله الله بشتى النعم ينسى ربه الذي كان يدعوه عند الشدة قالوا الكرب  
وعند النقر والعرض ، فيشرع في اتخاذ الشركاء من الأصنام التي هي عبارة عن  
أحجار وأخشاب فيتوجه إليها بالعبادة والدعاء ، ولا ستفائة ويصرف لها الكثير  
من أنواع العبادات التي لا يستحقها إلا الله تعالى ، ويجعل لله أندادا  
من طواغيت البشر فيطيعهم في معصية الله - تعالى - كما قال السدي رحمه  
الله تعالى : ( الأنداد من الرجال يطيعونهم في معاصي الله وقال غيره ١٢  
( عنى بذلك أنه عبد الأوثان فجعلها لله أندادا في عبادتهم إياها  
وقال ابن جرير ) وأولي القولين بالصواب قول من قال عنى به أنه أطاع الشيطان نسي  
عبادة الأوثان فجعل له الأوثان أندادا لأن ذلك في سياق عتاب الإله إياهم  
على عبادتهم ) ( ١ ) هـ .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : حول قوله تعالى في الآية ( . وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار ) أي من مات وهو يدعول لله ندا ، أي : يجعل لله ندا فيما يختاره — تعالى — ويستحقه من الربوبية والالهية دخول النار ، لأنه مشرك ، فإن الله تعالى هو المستحق للعبادة لذاته لأنه المألوه المعبود الذي تلهيه القلوب وترغب إليه وتفرغ إليه عند الشدائد وما سواه فهو مفتقر إليه مقهور بالعبودية له تبرى عليه أقداره وأحكامه طوعاً وكرهاً فكيف يصلى أن يكون ندا ( ١ ) وقد نهى الله تعالى عباداً عن أن يجعلوا له الأنداد وذمهم على ذلك قال تعالى ( فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ) ( ٢ )

قال البغوي ( ٣ ) ( فلا تجعلوا لله أنداداً ) أي أمثالا تعبدونهم كعبادة الله وقال أبو عبيدة ( ٤ ) الند  $\frac{1}{2}$  الضد ونحو من الأضداد والله تعالى بنى من المشل والضد ( وأنتم تعلمون ) أنه واحد خالق هذه الأشياء ( ٥ ) وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ( انداد : الأوكاف من الرجال تطيعونهم في معصية الله ) وقال ابن زيد ( الأنداد : الالهة التي جعلوها معه وجعلوا لها مثل ما جعلوا له ) وقال ابن عباس ( الأنداد : الأشياء ) ( ٦ )

( ١ ) تيسير العزيز الحمدي ص ١٥

( ٢ ) سورة البقرة آية / ٢٢

( ٣ ) هو الامام قحي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي

فقيه ، محدث مفسر نسبته الى ( بن دا ) مولى قري خراسان بين هراة ومرو ولد سنة ست وثلاثين وأربعمائه ، وتوفي سنة عشر وخمسمائة هجرية أنظر ترجمته في ( وفيات الأعيان

/ ١٤٥ تهذيب ابن عساكر ٤ / ٣٤٨

( ٤ ) هو : معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري أبو عبيدة النحوي من أئمة العلم

بالأدب واللغة ولد سنة ثمان مائة وتوفي في سنة تسع ومائتين هجرية أنظر ترجمته

في ( تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٤٦ ، الميزان ٣ / ١٨٩ وفيات الأعيان ) ٢ / ١٠٥

تاريخ بغداد ١٣ / ٢٥٢

( ٥ ) تفسير البغوي المسمى ( معالم التنزيل ) على حاشية الخازن ١ / ٣٣ مجاز القرآن ١ / ٣٤

( ٦ ) تفسير ابن جرير الطبري ١ / ١٦٣ ، اغاثة اللهفان ٢ / ٢٢٩

وقال تعالى في ذم بعض الناس الذين اتخذوا من دونه أندادا ( ومن الناس من

دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ( ١ )

قال ابن القيم : فهو لا جعلوا المخلوق مثلا للمخالق فالند : الشبيه

يقال : فلان ند فلان ونديده أى مثله وشبيهه . . . . . فالذى أنكره الله

سبحانه - عليهم هو تشبيه المخلوق به حتى جعلوه ند الله - تعالى - يعبدونه

كما يعبدون الله) أ هـ ( ٢ )

وأما اتخاذ العدلاء ، بمعنى : جعلهم شركاء لله في العبادات فقد بين تعالى -

بأن ذلك فعل المشركين ،

قال تعالى ( الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم

الذين كفروا بربهم يعدلون ) ( ٣ ) وقال مجاهد ( يعدلون ) يشركون

وقال محمد بن جرير الطبري ( يجعلون شركاء في عبادتهم إياه فيعبدون معه الآلهة

والأنداد ، والأصنام ، والأوثان وليس منها شيء شاركه في خلق شيء من ذلك

ولا في انعامه عليهم بما أنعم عليهم ، بل عوالمهم بذلك كله وهم يشركون في

عبادتهم إياه غيره ) ( ٤ )

ولقد بين النبي صل الله عليه وسلم أرائخاند الند من أعظم الذنوب والأثم

لما روى من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال  $\frac{1}{2}$  قلت يا رسول الله أى الذنوب

أعظم؟ قال ( أن تجعل لله ندا وهو خلقك . . . . . ) الحديث ( ٥ )

قال ابن الأثير : الأنداد جمع ند بالكسر وهو مثل الهيئ ، الذى يضاده نفس

أموره ويناديه : أى يخالفه ويريد بهما ما كانوا يتخذونه الهة من دون الله) أ هـ ( ٦ )

ولقد بعث الله نبي الهدى صلى الله عليه وسلم لخلق جميع الأنداد التى

كانت تعبد من دون الله تعالى - وقد كان المشركون يتنافسون فيها وكانت تشمل

كثرة ما تلحق حتى أنه أصبح لكل مشرك في الجاهلية معبود وحتى أنه كان اذا سافر

أحد هم يصطحب صنمه معه وكانت حالتهم سيئة كما سنبين ذك فنقول :

( ١ ) سورة البقرة آية / ١٥٦ ( ٢ ) لغتة الهمان ٢٢٩ / ٤ ( ٣ ) سورة الانعام آية / ١

( ٤ ) جامع البيان ١٤٤ / ٧ ( ٥ ) متفق عليه صحيح البخارى ١٨ / ٣ صحيح مسلم ١٠ / ١

( ٦ ) النهاية في غريب الحديث والاشتر ٣٥ / ٥

لقد بين الله - تعالى - في كتابه أن المعبودات سواء كثرت وتتنوعت من عبادة الأشخاص، إلى عبادة الأجرار والأخشاب، إلى عبادة الهوى إلى عبادة الأجرام السماوية إلى عبادة الملائكة وسنأتي بنقد تحول كل من هذه المذكورات.

( ١ ) عبادة الأشخاص من بنى الانسان :

لقد أخبرنا الباري - سبحانه - أن بعض عباده ادعوا الألوهية واستعبدوا أتباعهم عن طريق القهر والعنف، كما استغلوا جهلهم ونشروا في صفوفهم الضلال عن طريق الكذب والتدجيل وهذا كما حصل من فرعون إذى أخبرنا الله عنه أنه قال : لقومه منا ديا لهم ( يا أيها الملا ما علمتكم من اله غيرى ( ١ ) وقال - تعالى - ( حاكيا توعده لمن آمن بنبي اللهموسي عليه الصلاة والسلام ) قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم ان هذا المكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لا صلبنكم أجمعين ) ( ٢ ) ومثل فرعون علماء الضلال الذين يشعرون للخلافة في عالم يآذن بالله ولا يرضاه وقد ذم الله أهل الكتاب على هذا الصنيع قال تعالى ( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ) ( ٣ ) فقد أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله فأنزلوهم منزلة الرب - سبحانه - إذ أنه لا حق لأحد في التحليل والتحريم إذ ذلك من خصائص الباري - سبحانه - دون سواه ، والسبب الذي جعل أتباع فرعون ، وأتباع الأحرار والرهبان من أهل الكتاب يعبدونهم ويطيعونهم عدم تحقيقهم عبودية الخوف لله - جل وعلا - ومن عبادة الإنسان غلو اليهم ودفع العزير والنصارى فوعيسى عليه الصلاة والسلام وقد بينا بطلان دعواهم تحت عنوان ( تنزيه الله تعالى من نسبة الولد إليه ) وقد تقدم هذا فليرجع إليه

( ١ ) سورة القصص آية ٢٨

( ٢ ) سورة الاعراف آية / ١٢٣ - ١٢٤

( ٣ ) سورة التوبة آية / ٣١

(٢) (عبادة الأصنام والأوثان) -

قال ابن جرير رحمه الله تعالى - (والأصنام جمع (صنم) والصنم : التمثال من حجر أو خشب أو من غير ذلك ، في صورة انسان ، وهو الوثن وقد يقال ، للصورة المصورة على صورة الا انسان في الحطاط غيره : صنم ووثن) أ : هـ (١) أما الراغب الأصبهاني فقد فرق بين الصنم والوثن فقال :

الصنم جثة متخذة من فضة أو نحاس أو خشب كانوا يعبدونه متقربين به الى الله - تعالى - وجمعه (أصنام) قال الله - تعالى - ( أتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك في ضلال مبين ) (٢)

قال بعض الحكماء\* : كل ما عبد من دون الله بل كل ما يشغل عن الله - تعالى يقال له ( صنم )

وأما الوثن : فإنه يقال فيه ( الوثن واحد الأوثان وهو حجارة كانت تعبد ، قال تعالى ( إنما اتخذتم من دون الله آوثانا ) (٣)

ومن فرق بين الصنم والوثن الشيخ عبد الرحمن بن حسن فيقال ( الصنم ما كان منحوتاً على صورة ، والوثن ما كان موضوعاً على غير ذلك (٠٠٠٠)

الى أن قال : وقد يسمى الصنم وثناً كما قال : الخليل عليه السلام ( انما تعبدون من دون الله آوثانا ) (٤) ويقال : إن الوثن أعم وهو قوي فالأصنام أوثان كما أن القبور أوثان ( أ هـ (٥)

ونقول : مهم ما وجدت من فروق بين الأصنام والأوثان في العادة ، والهيئة ففرض الوثنيين منها واحد وهو عبادتها من دون الله تعالى - على أى كيفية كانت

(١) جامع البيان ٧ / ٢٤٤

(٢) سورة الأنعام آية / ٧٤

(٣) المفرد استلراغب ص ٢٨٧ ، ٥١٢ والاية رقم (٢٥) من سورة العنكبوت

(٤) سورة العنكبوت آية / ١٧

(٥) فتح المجيد ص ٧



وعلى أى صورة وجدت ، ولقد انتشرت عبادة الأصنام والأوثان بين العرب  
الجاهليين انتشارا هائلا ولقد صور لنا ابن اسحاق ( ١ ) رحمه الله - تعالى -

بدء الانحراف عند العرب من نسل اسماعيل عليه السلام في عبادتهم ، فقلكان  
أول انحرافهم أنهم كانوا يعظمون الحرم فلا يرتحلون منه حتى كثروا وضاق بهم  
مكة فأخذوا يرتحلون عنه طالبين السعة والفسح في البلاد فكان لا يظعن ظاعن  
منهم عن الحرم الى غيره الا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما له فحيثما نزلوا  
وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة ، ثم أدى بهم خللهم ذلك الى عبادة تلك  
الأحجار ثم كانوا يعبدون من الأحجار ما استحسنته عقولهم ( ٢ )

واسمع ما صار اليه حالهم قال أبو رجا العطار دي كنا لنعبد الحجر في الجاهلية  
فاذا وجدنا حجرا أحسن منه نلقي ذلك ونأخذه فاذا لم نجد حجرا جمعنا  
حنية من تراب ثم جئنا بغنم فحلينا عليه ثم طفنا به ( ٣ )

ومن عجائب أمر الجاهلية أن أحد هم اذا كان مسافرا أخذ معه أربعة أحجار  
ثلاثة لقدره والرابع يعبده ( ٤ )

ولقد بالغ العرب الجاهليون في أكارهم من الأصنام حتى أنه كان لا هل كل  
دار بمكة صنم يعبدونه وكان أحد هم اذا أراد السفر تسمى بضمه واذا رجع  
من سفره فعل كذلك قبل أن يدخل منزله ( ٥ )

وكان من أقدم أصنامهم ( مائة ) وكان منصوبا على ساحل البحر الأحمر  
من ناحية ( المشلل ) بقديد بين مكة والمدينة وكانت العرب جميعا

تعظمه ، وكانت الأوس والخزرج ومن ينتزل المدينة قومه وماقارب من العواض يعظمونه  
ويذبحون له ويهدون له وكانت الأوس والخزرج من أشد الناس تعظيما له حتى

أنه بلغ من تعظيمهم أنهم كانوا يحجون ويقفون المواقف كلها ولا يحلقون رؤوسهم  
فاذا نفروا أتوه فحلقوا رؤوسهم ولا يبرون حجهم صحيحا الا اذا فعلوا ذلك

وكانت ( مائة ) لهذيل وخراعة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما  
عام الفتح فهدمها ( ٦ )

( ١ ) محمد بن اسحاق بن يسار المصنف بالولاء المدني من أقدم مورخي العرب من  
أهل المدينة وكان من أحسن الناس سياقا للآخبار ما تسمى سنة إحدى وخمسين ومائة وقيل  
سنة اثنتين وخمسين ومائة انظر ترجمته في ( تذكرة الحفاظ ١ / ٢٢٢ ) تهذيب  
التهذيب ٩ / ٣٨ - ٤٦ الا علام للذركاى ٦ / ٢٥٢

( ٢ ) ذكره ابن هشام السيرة النبوية ( ١ / ٢٧٧ ) ( ٣ ) صحيح البخارى مع الفتح ٨ / ٩

( ٤ ) اغائة اللهفان ٢ / ٢٢٠ ( ٥ ) البداية والنهاية لابن كثير ٢ / ٢١٠

( ٦ ) الا صنم لابن الكلبي ص ١٢ - ١٥ اغائة اللهفان ٢ / ٢١١ - ٢١٢

ثم اتخذت العرب بعد ( مائة ) اللات ) بالطائف، وهي أحدث من ( مائة ) وكانت  
 صخرة مربعة وكانت سدنتها من ثقيف، وكانوا قد بنوا عليها وكانت قريش وجميع العرب  
 يعظمونها وبها كانت تسمى ( زيد اللات ) و ( تيم اللات ) وكانت في موضع منارة مسجد  
 الطائف اليسرى فلم تنزل كذلك حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم - المغيرة ابن شعبه  
 لما أسلمت ثقيف فهدمها وحرقها بالنار ( ١ ) غير أن ابن جرير روى في تفسيره عن  
 مجاهد في قوله تعالى ( أن رأيتم اللات والعزى )<sup>(٢)</sup> قال كان يلت السوق فمات فعكفوا على قبره ( ٣ )  
 وقد روى البخاري في صحيحه موقفا على ابن عباس قال : كان اللات رجلا  
 يلت سوق الحاج ( ٤ )

ثم اتخذت العرب بعد اللات ( العزى ) ففي معتبر أحد من ( اللات ) اتخذها رجل  
 يقال له : ظالم بن أسعد بوادي نخلة فوق ذات عرق وبنوا عليها بيعة فكانوا يسمعون منها الصوت  
 وذكر ابن عباس أنه كانت للعزى شيطانة تأتي ثلاث سمرة ببطن نخلة فلما فتح رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد فقال : ائت بطن نخلة فانك شجرة ثلاث سمرة  
 فاعضد الأولى فاتاها فعضدتها فلما جاء اليه قال هل رأيت شيئا؟ قال لا : قال فاعضد  
 الثانية فعضدتها ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال هل رأيت شيئا قال لا قال فاعضد الثالثة  
 فاتاها فاذا هو بحبشية نافذة شعرها واضعة يديها على عاتقها تنزرب بأنيابها وخلفها سادنها فقال  
 خالد :

كفرانك لا سبحانك : • انى رأيت الله قد أهانك •

ثم ضربها فلق رأسها فاذا هي عممة وقتل السادن ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره  
 فقال : تلك العزى ولا عزى بعد ما للعرب وكانت العزى لا أهل مكة في موضع قريب من  
 عرفات وكانت شجرة يذبحون عندها ويدعون ( ٥ )

( ١ ) الأضنام ص ١٦ - ١٧ طاغثة اللهبان ٢١٢ / ٢

( ٢ ) سورة النجم آية ١٩ /

( ٣ ) جامع البيان ٥٨ / ٢٧

( ٤ ) صحيح البخاري مع الفتح ٦١١ / ٨

( ٥ ) الأضنام لابن الكلبي ص ١٧ - ١٨ - ٢٥ - ٢٨

قال الكلبي (١) في كتابه الأصنام :

( وكانت الفريش أصنام في جوف الكعبة وحولها وأعظمها ( هبل ) وكان فيما بلغني من عتيق أحمر على صورة الانسان وكانوا اذا اختصموا في أمر أو أرادوا سفرا أتوه فاستقسموا عنده بالتداح وهو الذي قال أبو سفيان يوم أحد —————  
أعل هبل فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ( قولوا لله أعلا وأجل ) ( ٢ )  
وهناك أصنام قوم نوح التي ذكرها اللغوي كتابه فانها آلتاى العرب وعبدوها  
وهي المذكورة في قوله تعالى ( وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا واولادنا سوادا  
ولا يفتون ويعوق ونسرا ) ( ٣ ) وقد قد ناقول ابن عباس كان هؤلاء قوم صالحين  
في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم فلما طال عليهم الأمد عبدوهم .  
فكان ( ود ) لبني كلب بن مرثبان تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة  
وكان منصوبا بدومة الجندل ) ( ٤ )

وكان «سواع» لبني هذيل بن اليا من مدركم مضر ، وكان منصوبا بمكان يقال له  
( رهاط ) ( ٥ )

وأما يغرث : فكان لبني أنعم من طي ، ولأهل جرش ( ٦ ) من مذحج وكان منصوبا  
بجرش وأما يعوق ، فكان بأرض همدان من لبني خيوان بطن من همدان .

( ١ ) هو أبو المنذر هشام بن محمد أبي النصير بن الرائب بن بشر الكلبي مؤرخ  
عالم كثير التصانيف توفي سنة أربع ومائتين هجرية أنظر الأعلام للزركلي ٨٧/١  
( ٢ ) كتاب الأصنام ص ٢٨ والحديث رواه البخاري أنظر الفتى ١٦٢/٦ — ١٦٣ من

حديث البراء بن عازب

( ٣ ) سورة نبي آية ٢٣

( ٤ ) دومة الجندل : بلدة في وادي القرى في الشمال الشرقي من المدينة المنورة

منها أنظر معجم البلدان ٤٨٧/٢

( ٥ ) رهاط كغراب موضع على ثلاث شلبيال من مكة أنظر معجم البلدان ١٠٧/١

( ٦ ) جرش : كزفر مغلا فباليمن أنظر معجم البلدان ١٢٦/٢

وأما ( نسر ) فقد كان بأرض حمير لقبيلة يقال لهم : ذو الكلاع ( ١ ) وكان أول من  
غير دين ابراهيم الخليل بالبدع المحدثه ونشر الأصنام في الجزيرة العربية  
رجل يقال له : عمرو بن عامر الخزاعي وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم  
( رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجرقصه في النار كان أول من سيب السوائب ) ( ٢ )

وقد اختلفت الروايات في الكيفية التي نشر بها عمرو الأصنام في الجزيرة العربية  
فأحدي الروايات تقول : انه كان له رثي من الجن وهو الذي دل على الأصنام  
التي كانت عند قوم نوح وكان نوح دفت منذ عهد نوح حيث قذفها الطوفان الى  
ساحل جدة فول رتها الرمال على كرايا فجاء رثيه من الجن فأخبره بذلك  
فنبشها عمرو وزرعها على عرب الجزيرة وودعاهم الى عبادتها ( ٣ )

ورواية أخرى تقول : انه جاء بالأصنام من بلاد الشام عند ما رآهم يعبدونهم المعب  
منهم صنما أعطوه واحد نصبه بمكة وأمر الناس بعبادته وتَعْظِيمه ( ٤ )  
وعلى كل فان عمرا هذا استطاع التأثير على العرب واستخفهم فألغوه حتى غير  
عليهم دين ابراهيم لما كان له من مكانة فيهم ، فأطاعوه في معصية الله تعالى فيما  
ابتدعه من الأمور التي لم يأذن بها الله ..

قال ابن كثير رحمه الله تعالى ( والمقصود أن عمرو بن لحي لعنه الله كان قد ابتدع  
لهم أشياء في الدين غير بها دين الخليل فاتبعه العرب في ذلك  
فضلوا بذلك ضللا بعيدا بينا قطعيا شنيعا ) أ هـ ( ٥ )

( ١ ) أنظر الأصنام لابن الكلبي ص ٥٥٥ ، ٥٧٤ ، اغاثة اللهبان ٢٠٧ / ٢ - ٢٠٨  
البداية لابن كثير ٢٠٨ / ٢ مطبعة الفجالة الجديد بدون تاريخ

( ٢ ) صحيح البخار مع الفتح ٢٨٣ / ٨

( ٣ ) اغاثة اللهبان ٢٠٧ / ٢

( ٤ ) السيرة النبوية لابن هشام ٧٧ / ١

( ٥ ) البداية ٢٠٧ / ٢ مطبعة الفجالة - القاهرة

هذه لمحة عن بعض الأصنام التي كانت شائعة عند العرب ، وهناك أصنام  
ومعبودات أخرى يضيق المقام بذكرها ، وذكرنا هذا الطرف منها للتمثيل  
لمعرفة ما كانت عليه حالة العرب في الجاهلية من توجيههم العبادة لتلك  
الجمادات التي لا تسمع ولا تبصر ، ولا تغنى عنهم من الله شيئا ، فقد كانوا  
لفرط جهلهم يدعونها من دون الله ويفزعون إليها في النائبات ويؤمنون  
أنها تقرهم إلى الله زلفي ، وهذا نتيجة الجهل والغلوف في المخلوق واعطائه  
منزلة فوق منزلته ، قال العلامة ابن القيم مبينا سببا قبيل العرب على عبادة الأصنام :  
( ومن أسباب عبادة الأصنام الغلوف في المخلوق ، واعطائه فوق منزلته حتى جعل  
فيه حظ من الآلهية وشبهه بالزهة - سبحانه - وهذا هو التشبيه الواقف  
في الآم الذي أبطله الله - سبحانه - وبعث رسله ، وأنزل كتبه بانكاره والرد  
على أهله ، فبهسو - سبحانه - ينفى وينهى أن يجعل غيره مثالا له ، ونداه  
وشبهها له لا أن يشبهه هو بغيره إذ ليس في الآم الم معروفة أمة جعلته - سبحانه -  
مثلا لشيء \* من مخلوقاته فجعلت المخلوق أصلا وشبهت به المخالق ، فهذا لا  
يعرف في طائفة من طوائف بني آدم ، وإنما الأول هو المعروف في طوائف أهل  
الشرك غلوا فيمن يعظمونه ، ويحبونه حتى شبهوه بالمخالق ، وأعطوه خصائص  
الآلهية بل صرحوا أنه إله ، وأنكروا جعل الآلهة الها واحدا وقالوا : اصبروا على  
آلهتكم ) ( ١ ) وصرحوا بأنه إله معبود يبرج ويخاف ويعظم ويسجد لــــه  
ويحلف باسمه ، وتقرب له القرابين إلى غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تنبغى  
إلا لله ، فكل مشرك فهو مشبه لا إلهه ومعبودة بالله - سبحانه - وإن لــــم  
يشبهه به من كل وجه ) ( ٢ )

( ١ ) سورة عر آية ٦

( ٢ ) اغائة اللهفان ٢ / ٢٦٦ - ٢٢٧

## (٣) عبادة الهوى

من أنواع المعبدات التي عبدت من دون الله (الهبوى) وقد ورد الإنكار الشديد في كتاب الله تعالى لمن جعل الهه هواه فيتبعه في كل ما يميل عليه قال تعالى (أرأيت من اتخذ الهه هواه فأنت تكون عليه وكيلاً) (١) وقال تعالى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأهله الله على علم) (٢) فالله يترك أوامر الله ويعرض عنها ويرفض الحق الواجبه، فإنه يعد من عبدة الهوى ويصير هواه معبوداً لمن دون الله تعالى ،

قل عبد الله بن عباس : ذلك الكافر اتخذ دينه بغير عدى من الله ولا برهان وقال قتاد قهو الكافر لا يهبوى شيئاً ركه لا يخاف الله) (٣)

وقال ابن كثير : (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) أى انما ياتممر بهواه فمهما رآه حسناً فعله ومهما رآه قبيحاً تركه (٤)

ومتى خضع الانسان لهواه واستسلم له كان بمنزلة الانعام بل أضل منها كما قال تعالى (أم تحسبان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالا نعام بل هم أضل سبيلاً) (٥)

قال ابن القيم : فشبّه أكثر الناس بالانعام والجامع بين النوعين التساوى في عدم قبول الهدى والانقياد له ، وجعل الاكثرين أضل سبيلاً من الانعام لأن الهيم يتهجد بها سائقها فتهدى ويتبع الطريق ، فلا تحيد عنها يمينا ولا شمالاً ، والاكثرين يدعوهم الرسل ويهدونهم السبيل فلا يستجيبون ولا يهتدون ولا يفرقون بين ما يضرهم وبين ما ينفعهم والانعام تفرق بين ما يضرها من النباتات والطريق فتجتنبه وما ينفعها فتوثق به

(١) سورة القفران آية / ٤٤

(٢) سورة الجاثية آية ، ٢٤

(٣) جامع البيان ١٥٠ / ٢٥

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢٦٩ / ٦

(٥) سورة الفرقان آية / ٤٤

والله كـتعالى - لم يخلق للا نعام قلوبا تعقل بها ولا ألسنة تنطق بها  
وأعطي ذلك لهؤلاء ثم لم ينتفعوا بما جعل لهم من العقول والقلوب والألسنة  
والأسماع والأبصار فهم أضل من اليربائم فان لا يهتدي الى الرشـد والى  
الطريق - مع الدليل - إليه أضل وأسوأ حالا ممن لا يهتدي حيث لا دليل  
معه ( ١ )

والناظر في زمننا الحاضر يرى بأم عينيه أن عبادة اليهود غلبت على الكثر من الأمة  
الاسلامية فتراهم يستحسنون ما تملية عليهم أهواؤهم فيستحسنون ويستقبحون  
بعقولهم ولم يلتفتوا الى الهدى الذى جاءهم من ربهم جلا وعلا بل انما  
نرى الكثير ينصر ما توحيه الشياطين الى أوليائهم من الانس من المبادئ والمذاهب  
والتسميات والحزبيات التى كانت سببا عدوئى تفرقهم واختلافهم وكان من أهم  
الأسباب التى جعلت عدوهم يطمع فيهم وذلك نتيجة لا تباع اليهود ، والبعد  
عنايه الرشاد والهدى ، لاقوة الا بالله ..  
( ٤ ) عبادة الأجرام السماوية:

ومن المعبودات التى عبدت من دون الله - تعالى - بعض الايات الكونية  
مثل الشمس والقمر والكواكب والماء والذئار وغير ذلك من المخلوقات .  
قال العلامة ابن القيم ( وأصل هذا المذهب من مشركي الصائبة ، وهم قوم ابراهيم  
عليه السلام الذين ناظرهم في بطلان الشرك وكسرحجتهم بعلمه وآلهتهم بيده  
فطلبوا تحريقه ، وهو مذ هب قديم في العالم بؤاهله طوائف شتى فضمهم عباد الشمس  
زعموا أنها ملك من الملائكة لها نفس وعقل وهي أصل نور القمر الكواكب وتكون الموجودات  
السفلية كلها عند هم منها ، وهي عند هم ملك الزئبق فيستحق التعظيم والسجود  
والدعاء ) ( ٢ )

( ١ ) أعلام الموقعين ١ / ١٥٩

( ٢ ) اغاثة اللفيفان ٢ / ٢٢٣

وقد ذكر الجصاص<sup>(١)</sup> أن الصابئة اتخذوا الأجرام السماوية معبودات لهم من دون الله حيث قال ( وكانوا قوما صابئين يعبدون الكرايب السبعة ويسمونها آلهة ويعتقدون ٠٠٠٠٠٠ وهم الذين بعث الله تعالى - اليهم ابراهيم خليله صلوات الله عليه فدعاهم الى الله وحاجهم بالحجج الذي بيهرهم به وأقام عليهم الحججة من حيث لم يمكنهم وفعه ) آعد ( ٢ )

فالا نسان حين يسمى في تعطيل عقله عما خلق له فانه يوقع نفسه في السخافات والمهانات والتذلل للمخلوقات مثله وبذلك يفقد تكريمه الذي نوه الله له كما يفقد تفضيله على كثير من المخلوقات فيتندي حتى يضل عن سوا السبيل فهذه المخلوقات العجيبة المبتوثة في أرجاء هذا الكون علويه وسفليه لم تخلق لتعبد من دون الله وانما جعلها الله لائل وانشا وآيات بينات على وحدانيته وتفرد بالعبادة ، وجميع المخلوقات التي يشاهدها الا نسان والتي لم يشاهدها كلها خاضعة لله طوعا وكرها قال - تعالى نسا هيا عباده عن أن يسجدوا للشمس والقمر وآمرا لهم بالسجود له وحده ( ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون ) ( ٣ ) قال ابن جرير الطبري : لا تسجدوا أيها الناس للشمس ولا للقمر فانهما من جريا في الفلك بمنافعكم فانما يجريان بها لكم اجراء الله اياهما لكم طائعين لهما في جريهما ومسيرهما لا بأنهما يقدران بأنفسهما على سير وجرى دون اجراء الله اياهما وتسييرهما أو يستطيعان لكم نفعا أو ضررا وانما الله مسخرهما لكم لمنافعكم

( ١ ) هو أحمد بن علي الرازي الحنفي المعروف بالجصاص ( أبو بكر ) فقيه ، مجتهد ورد بغداد في شببته ، ودرس وجمع وله من عليه كثير من الفقهاء

توفي ببغداد سنة سبعين وثلاثمائة هجرية فانظر ترجمته في الفهرست لابن النديم ص ٢٩٢ المنتظم لابن الجوزي ٧ / ١٠٥١٠٦ الفوائد البهية ٢٧٦٢٨ التجوم الزاهرة ٤ / ١٣٨

( ٢ ) أحكام القرآن ١ / ٤٣

( ٣ ) سورة فصلت آية ٣٧



ومصالحكم فلا فاسجدوا واياها فعبدوا ان شاء طمس ضوءهما فترككم

حيارى في ظلمة لا تهتدون سبيلا ولا تبصرون شيئا (١)

وكما أن الآية بينت ان الشمس والقمر آيات من آيات الله التي يستدل بهما على

عبادته وحده دون سواه كذلك دلت على بطلان عبادتهما من دون الله وقد

بين الله - تعالى - بطلان عباد جميع المخلوقات سوى الله - تعالى -

قال تعالى ( ألم تر أن الله يسجد له من في السموات والأرض والشمس والقمر

والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الإناس ) (٢)

فأخبرنا تعالى بأن جميع المخلوقات التي يحويها هذا الكون من شمس وقمر

ونجوم وجبال وشجر ودواب وكثير من النام خاضعة للمطبعة له كلها عبد لديه

متفجرة اليه فلا يصح عبادة شيء منها البتة

قال العلامة ابن كثير : يخبر - تعالى - أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له

فانه يسجد له لعظمته كل شيء طوعا وكرها (٣)

(٥) عبادة الملائكة:

لقد افتقر عبدة الشياطين أنهم يعبدون الملائكة على حسب زعمهم . لكن من

القطوع به والمعلوم بالضرورة من الأدلة القرآنية أن هؤلاء عبد والمردة من

الشياطين .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ومن تلاعبه - أي الشيطان - بهم أن زين

لهم عبادة الملائكة فعبدوهم بزعمهم ولم تكن عبادتهم في الحقيقة لهم ولكن كانت

للسياطين فعبدوا أقبح خلق الله وأحقهم باللعن والذم قال تعالى ( ويوم يخشروهم

جميعا ثم يقول للملائكة هؤلاء أياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من

دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم به مؤمنون ) (٤)

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٢١ / ٢٤

(٢) سورة الرحمن آية / ١٨

(٣) تفسير ابن كثير ٦ / ٦٤٤

(٤) سورة سبأ آية / ٤٠ - ٤١

وقال - تعالى ( ان يدعون من دونه الا انا وان يدعون الا شيطانا مريدا ) ( ١ )

قال ابن عباس رضي الله عنهما ( وان يدعون الا شيطانا مريدا ) قال هو شيطان في

الصنم، في كل صنم شيطان يتراعى لسد نفق كالمهم ،

وقال أبي ابن كعب ( ٢ ) مع كل صنم جنية ..

وقال مقاتل ( ٣ ) انه ابليس : وعبادته طاعته فيما سول لهم ( ٤ )

وما تقدم يتبين أن المعبودات من دون الله تعالى تنقسم الى قسمين :

( ١ ) قسم عاقل وها كالأدنى والملائكة والجن

( ٢ ) وقسم غير عاقل وهذا كالأحجار والأشجار وغيرها مما لا عقل ( ٥ )

والقسم الأول ينقسم الى قسمين ..

قسم راض بأن يعبد من دون الله تعالى ..

وقسم غير راض بأن يعبد من دون الله، ومثال الأول : فرعون وابليس وغيرهما

من الطواغيب وهؤلاء جميعهم في النار هم وعبادهم

قال تعالى ( ان تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت

بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرتفتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم

الله أعمالهم حشرات عليهم وما هم بخارجين من النار ) ( ٦ )

وقال تعالى في شأن ابليس وأتباعه ( لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم

منهم أجمعين ) ( ٧ )

وقال تعالى في شأن فرعون ( يقدم قومهم القيامة فأوردهم النار ويشم الورد المورود ) ( ٨ )

( ١ ) سورة النساء آية / ١١٧

( ٢ ) هو أبي بن كعب بن قيس أبو العنذر الأنصاري الحزرجي أقرأ الصحابة وسيد القراء توفي بالمدينة في سنة تسع عشر هجرية - الاصابه ٤١ / ١ مذكورة لحفاظ ١٦ / ١

شذرات اذ هب ٣١ / ١

( ٣ ) هو مقاتل ابن سليمان بن كثير الأزدى الخراساني أبو الحسن البلخي المفسر

روى عن الصحابة ومجاهد وله كتاب ( نظائر القرآن والتفسير الكبير ) مات سنة - خمسين

وما ثمة هجرية أنظر ترجمته في ( طبقات المفسرين ٢ / ٣٣٠ ، تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٧٩

ميزان الاعتدال ٣ / ١٩٦

( ٤ ) زاد المسير في علم التفسير ٢ / ٢٠٣

( ٥ ) أنظر معان القبول للشيخ حافظ بن أحمد حكي ١ / ٤٤٧

( ٦ ) سورة ارقرة آية / ١٦٦ - ١٦٧

( ٧ ) سورة م آية / ٨٥ ( ٨ ) سورة هود آية ١٨

وقال تعالى ( وقال الذين كفروا ربنا أئنا الذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ) ( ١ ) الى غير ذلك من الآيات وأما القسم الثاني : الذي لم يرضى بالعبادة فكالمسيح وعزير والملائكة وغيرهم وهؤلاء كلهم براء من عبد هم في الدنيا والاخرة كما أخبر - سبحانه - عن عيسى عليه السلام بقوله ( وان قال اللهياعيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون لاه قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب ) ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبد والله ربي وربكم وكنتم عليهم شهيذا ما مدت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شي شهيد ) ( ٢ )

وقال تعالى في شأن الملائكة ( وهم يحشرون جميعا ثم يقول للملائكة أهولاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانه أوت ولينا من دونهم بل كنوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ) ( ٣ )

وقال تعالى - في شأن كل من عبد من دونه من ملك أو نبي ، أو ولي صالح ( وهم يحشرون وما يعبدون من دون اللائيقول أنتم أضلتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ، قالوا سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فيما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا ) ( ٤ )

وأما ما عبد من دونه - تعالى - مما لا يعقل من جماد شجر أو حجر وغير ذلك فإنه يدخل في عموم قوله - تعالى ( انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدهون ) ( ٥ )

(١) سورة فصلت آية ٢٩

(٢) سورة المائدة آية / ١١٦ - ١١٧

(٣) سورة سبأ آية / ٤٠ - ٤١

(٤) سورة الفرقان آية / ١٧ - ١٩

(٥) سورة الانبياء الآية / ٩٨ - ٩٩

وسما أن الأشجار والأحجار لأرواح لها إلا أنه يعذب بها من عبدها من دون الله تعالى كما قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة (١) وقال ابن كثير : وقودها أى حطبها الذى يلقي فيها جثث بنى آدم والحجارة وقيل المراد بها الأصنام التى تعبد لقوله - تعالى - (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (٢) وقد جاء في حديث الشفاعة الطويل الذى رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال ( اذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليبتع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله - سبحانه من الأصنام والإصاب الا يتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من برفا جرا وغير أهل الكتاب (٣) فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبه ولا ولد فيماذا تبغون؟ قالوا : عطشيا يارينا فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون؟ فيحشرون الى النار كأنها سراب (٤) . يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد المسيح ابن الراهب فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون؟ فيقولون عطشنا يارينا فاسقنا قال فيشار اليهم ألا تردون؟ فيحشرون الى جهنم كأنها سراب (٤) يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله تعالى من برفا أتا هم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التى رأوه فيها قال فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا : يارينا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا ( مرتين أو ثلاثا )

(١) سورة التحريم آية ٦ /

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦ / ٥٩ واية من سورة الأنبياء آية ٩٨ /

(٣) خبر أهل الكتاب معناه يقاياهم جمع غاب

(٤) السراب ما يتراءى للناس في الأرياف والقفار والقاع المستوى وسط النهار في الحر الشديد لا معا مثل الماء

حتى ان بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفون عجبها؟ فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً أو رياءً الا جعل الله ظهره طبقاً واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال؟ أناركم فيقولون: أنت ربنا — ٠٠٠٠ الحديث (١) وهذا الحديث يبين النهاية في الآخرة لا هل الشرك وكيف يكون لهم ذلك المصير السيء الذي تجف منه القلوب وتتشعر لها الجلود نعوذ بالله من الشرك وأهله.

تلك بعض معبودات المشركين التي استظعنا جمعها تحت هذا المبحث والذي نخلص اليه ما تقدم أن السورة أوضحت لنا أصل الشرك الذي دفع المشركين لعبادة غير الله — تعالى — من المعبودات التي ذكرناها والتي لم نذكرها وإن السبب الوحيد في حدوث الشرك هو قياس الخالق سبحانه على المخلوق فان المشركين زعموا بعقولهم الفاسدة أن ملوك الدنيا لا يتوصل إليهم إلا بالوجهاً والشفعاء والوزراء الذين يرفعون اليهم حوائج رعاياهم ويطلبون لهم عطفهم فيكون ذلك تمهيداً للامر المطلوب منهم . فظن المشركون أن الله — تعالى — كذلك هو هذا ظن سوء بالله — تعالى — وهذا القياس من أفسد الأقيسة إذ أنه يتضمن تسوية الخالق بالخالق مع ثبوت الفرق العظيم عقلاً ونقلاً وفطرة إذ ملوك الدنيا إنما يحتاجون الى الوساطة بينهم وبين رعاياهم لعدم علمهم بأحوال من استرعاهم الله فيهم في أشد الحاجة الى من يعلمهم بذلك ، ولا أنه ربما لا يكون في قلوبهم رغبة أوشفقة لصاحب الحاجة ، فيحتاجون الى من يعطفهم عليه ويسترحمهم له ولذلك يحتاجون الى الشفعاء والوزراء فيقنضون حوائج العباد مراعاة لوزرائهم ومدارات لخواطيرهم وقد يمتنعون من ذلك خشية الفقر لأنهم فقراء.

أما الباري - سبحانه - فإنه أحاط بكل شيء علما يعلم ظواهر الأُمور وبواطنها فلا يحتاج إلى من يخبره بأحوال عباده . ولا من يشفع لهم عنده . ولا نه رحيم بعباده جواد بالعطاء ، ولا يحتاج إلى أحد منهم بل هو أرحم بهم من أنفسهم ومن والديهم وهو الكريم الذي يجتنهم ويدعوهم إلى الأخذ بالأَسباب التي ينالون بها رحمة وهو يريد من مسألهم ما لا يريدونه لأنفسهم . وهو الغني الذي له الغنى التام المطلق الذي لو اجتمع الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم في سعيد واحد فسألوه جميعهم فأعطي كلا مسألتهم ينقصوا ما عنده إلا كما ينقص الخيط إذا أدخل البحر .

وجميع الشفعا يخافون منه - سبحانه - ولا شفاعة لأحد عنده إلا بعد إذنه له الشفاعة كـ .

ومن هذه لا تُؤيدرك المؤمن جهل المشركين ويعرف سفاقتهم  
 وشدة جرأتهم على الله - تعالى - كما يعلم الحكمة في كون الشرك أعظم  
 الذنوب وأنه لا يفره الله لأنه يتضمن القدح في الله تعالى - نسأل الله  
 أن يجنبنا ذلك

## المبحث الخامس

## الفرق بين الشرك والمهر

لقد دلت السورة على الفرق الشاسع بين الموحّد والمشرِك وصورت ذلك تصويراً دقيقاً جهلته كما أنه محسوس ، ملموس مما دل ذلك على قبح الشرك في النفوس والعقول السليمة ، والفطر المستقيمة قال تعالى : -

( ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون )

قال ابن جرير رحمه الله - تعالى - ( يقول تعالى ذكره : مثل الله مثلا للكافر بالله الذي يعبد آلهة شتى ويطيع جماعات من الشياطين ، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد . )

يقول تعالى ذكره ( ضرب الله مثلا لهذا الكافر رجلا فيه شركاء ، يقول واحدا هو بين جماعتها لكن متشاكسين يعني مختلفين متنازعين سيئة أخلاقهم من قولهم رجل شكس : إذا كان سيء الخلق وكل واحد منهم يستخذمه بقدر نسيبه وملكه فيه ) ورجلا سلما لرجل ( يقول ) ورجلا خلوصا لرجل يعني المؤمن الموحّد الذي أخلص عبادته لله لا يعبد غيره ولا يدين لشيء سواه بالربوبية .

قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما ؛ ( ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ولا رجلا سلما لرجل ) الآية قال الشركاء المتشاكسون الرجل الذي يعبد آلهة شتى كل قوم يعبدون إليها يرضونه ويكفرون بما سواه من الآلهة فضرب الله هذا المثل لهم وضرب لنفسه مثلا يقول : ( رجلا سلما لرجل ) يقول : يعبدون الها واحدا لا يتتلفون في شيء .

وقال قتادة ( ضجى بالله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ) قال هذا الشرك تتنازعه الشياطين لا يقربه بعضهم لبعض ( ورجلا سلما لرجل ) قال : هو لمؤمن أخلص الدعوة والعبادة وقال مجاهد ؛ ( رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل ) قال : هذا مثل اله الباطل ، واله الحق

وقال السدي ( ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ) قال : مثل لا وثانهم  
التي كانوا يعبدون . . . . .

وقوله ( هل يستويان مثلا ) يعني هل يستوي مثل هذا الذي يخدم جماعة شركاء  
سيئة أخلاقهم مختلفقيه مناز لخد متم مع منازعتهم شركاءه فيه والذي يخدم واحد  
لا ينازع فيه مناز اذا أطاعه عرف له موضع - طاعته وأكرمه ، واذ أخطأ صفي له عن  
خطئه يقول : فأى هذين أحسن حالا وأروح جسما وأقل تعباً ونصباً ) أ هـ ( ١ )  
قال العلامة ابن القيم حول هذه الآية :

هذا مثل ضربه الله - سبحانه - للمشرك والموحد ، فالمشرك بمنزلة  
عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحون ، والرجل الشكر الضيق الخلق فا  
فالمشرك كما كان يعبد آلهم قسماً شبه بعبد يملكه جماعة متنافسون في خد متهم  
لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين ، والموحد لما كان يعبد الله وحده فضله كمثل  
عبد لرجل واحد قد سلم له ، وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه فهو في راحة  
من تشاحن الخلق فيه ، بل هو سالم لما له من غير تنازع فيه مع رافق ماله به ورحمته  
له وشفقتهم عليه ، وإحسانه إليه وتوليه لمصالحه فهل يستوي هذان العبدان ، وهذا من  
أبلغ الأمثال فان الخالص لما لك واحد يستحق من معونته وإحسانه وانتفاته  
إليه وقيامه بمصالحه مالا يستحق صاحب الشركاء المتشاكين ( الحمد لله  
بل أكثرهم لا يعلمون أ هـ ( ٢ )

وقال رحمه الله في موضع آخر ( احتج - سبحانه - على قبح الشرك بما تعرفه  
العقول من الفرق بين حال مملوك يملكه أرباب متعاسرون سيئوا الملكة وحال عبد  
يملكه سيد واحد قد سلم كله له فهل يصح في العقل استواء حال العبد بين  
فكذلك حال الشرك والموحد قد سلمت عبوديته لا لله الحق لا يستويان ) أ هـ ( ٢ )

( ١ ) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ٢٣ / ٢١٣ / ٢١٤

( ٢ ) اغلام الموقعين ١ / ١٨٧

( ٣ ) مدارج السالكين ١ / ٢٤٠



وأما العلامة ابن كثير فقد قال حول الآية ( ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ) أى يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم ( ورجلا سلما لرجل ) أى سالما ( لرجل ) أى خالصا يملكه أحد غيره ( هل يستويان مثلا ) أى لا يستوي هذا وهذا ، كذلك لا يستوى المشرك الذى يعبد آلهة مع الله والمؤمن المخلص الذى لا يعبد الا الله وحده لا شريك له فأين هذا من هذا ؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغير واحد هذه الآية ضربت مثلا للمشرك والمخلص ، ولما كان هذا الضل ظاهرا بينا جليا قال ( الحمد لله ) أى على اقامة الحجج عليهم ( بل أكثرهم لا يعلمون ) أى فلهذا يشركون بالله أهـ ( ١ )

ومما تقدم يتبين لنا أن المؤمن الذى يعبد الله وحده لا شريك له ، لا شك أنه أحسن حالا وأهدأ أبلا وأقل تعباً ونصبا من ذلك المشرك الذى خالف عقله وفطرته وأمر ربه ، واتجه بالعبادة الى الأولياء والشركاء الذين لم يأذن الله بعبادتهم بل جعل ذلك من أقى القبيح وأظلم الظلم وأن الكافر لا يمكن أن يستقر له قرار ولا يطمئن له قلب ولا تهدأ له نفس بعكس المؤمن الذى أخلص لله في عبادته فهو في أتم راحة وأكمل طمأنينة لأنه لم يعمل ما يهيه مضادة لأمر الله أو ما يهيه مخالفة للعقل والفتوة ،

فلقد أنكر الله - سبحانه - قبح الشرك به في الآلهية وعبادة غيره معه بما ضربه لعباده من الأمثال وأقام على بطلانه الكثير من الأدلة العقلية والسمعية التى يتذكر بها أولو الألباب . ولقد جاءت آيات كثيرة في معنى الآية التى معنا من السورة من ذلك قوله تعالى - ( ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيما نكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ) ( ٢ )

( ١ ) تفسير القرآن العظيم ٦ / ٩٠

( ٢ ) سورة الروم آية / ٢٨

هذه الـاية احتج الله فيها على عباده بما هو مستقر في عقولهم من قبح كرم  
 مملوك أحد هم شريك له فكأنه يقول : لهم اذا كان أحدكم يستنكف أن يكون  
 مطرکه شريكه ، ولا يرضي بذلك ، فكيف تجعلون لله من عباده شركاء تعبدونهم  
 كعبادته ؟ فالآية توضح لنا أن قبح عبادة غير الله - تعالى - مستقر في العقول  
 والفطرة ، والشئ نبه العقول وأرشدها بما هو مودع وكان من فيها من قبح ذلك .  
 قال العلامة ابن القيم : حول هذه الـاية ( وهذا دليل قياسي احتج الله  
 سبحانه - به على المشركين حيث جعلوا له من عبده وملكه شركاء فأقام عليهم  
 حجة يعرفون صحتها من نفوسهم ، لا يحتاجون فيها الى غيرهم فومن أبلغ  
 الحجاج أن يأخذ الا نسان من نفسه ويحتج عليه بما هو في نفسه مقرر عند  
 معلم لها فقال ( هل لكم مما ملكت أيمانكم ) من عبيدكم وامائكم شركاء في المال  
 والا هل ؟ اى هل يشارككم عبيدكم في أموالكم وأهلكم فانتم وهم في ذلك سواء  
 تخافونهم أن يقاسموكم أموالكم ويشاطروكم اياها ويستأثرون ببعضها عليكم  
 كما يخاف الشريك شريكه .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا  
 والمعنى هل يرضي أحد منكم أن يكون عبده شريكه في ماله وأهله حتى يساويه  
 في التصرف في ذلك فهو يخاف أن ينفرد في ماله بأمر يتصرف فيه كما يخاف غيره من  
 الشركاء الأحرار ؟

فاذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فلم عدلتم بي من خلقي من هو مملوك لي ؟  
 فان كان هذا الحكم باطلا في نظركم وعقولكم مع أنه جائز عليكم ممكن في حكم  
 إذ ليس عبيدكم ملكا لكم حقيقة وانما هم اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم وانتم وهم  
 عبيد لي - فكيف تستجيزون مثل هذا الحكم في حقي مع أن من جعلتموهم  
 لي شركاء عبيدى وملكى وخلقى ؟ فهكذا يكون تفصيل الايات لا ولى العقول (أهـ) (١)  
 ومن الامثال التي ضربها الله - تعالى - لقبح الا شراك بقوله - تعالى  
 ( ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شي ومن رزقناه منارزقا حسنا فهو ينفق  
 منه سرا وجهرا هل يستونون؟ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون (٢)

(١) اعلام الموقعين ١٥٩

(٢) سورة النحل آية ٢٥

هذه الآية تضمنت مثلا لقبي المشرك والتفغير منه فقد ضرب الله - سبحانه -  
فيها مثلا لنفسه وللاوثان فالله - سبحانه - هو الذي يملك كل شيء ، وهو  
الذي ينفق على عباده كيف يشاء ليلا ونهارا ، سرا وجهارا يمينه ملائ لا يفيضها  
نفقه سحابة الليل والنهار .

أما الاوثان فهي عاجزة مملوكة ليس لها القدرة على أي شيء ، وما دام حالها  
على هذا كيف جعلونها شركاء لله وتعبدونها من دونه مع هذا التفاوت  
العظيم والفرق العظيم ، وهذا هو معنى تفسير مجاهد وغيره لهيئة  
الآية الكريمة ( ١ ) .

وأما عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما فانه قال : ان هذا مثل ضرب الله  
للمؤمن والكافر ، ومثل المؤمن في الخير اذى عنده ثم رزقه منه رزقا حسنا فهو  
ينفق منه على نفسه وعلى غيره سرا وجهرا ، والكافر بخزلة عبد مملوك عاجز  
لا يقدر على شيء لانه لا خير عنده فلا مساوات بين الرجلين عند أحد من  
الآيات ( ٢ ) .

قال العلامة ابن القيم ( والقول الأول أشبه بالدراد فانه أظهر في بطلان الشرك  
وأوضح عند المخاطب ، وأعظم في اقامة الحجة وأقرب نسبا لقوله ( ومعدون من  
دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والا أرض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا  
لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون ) ثم قال ( ضرب الله مثلا عبدا  
مملوكا لا يقدر على شيء ) ( ٣ ) ومن لوازم هذا المثل وأحكامه أن يكون المؤمن  
الموحد . كمن رزقه منه رزقا حسنا ، والكافر المشرك كالعبد المملوك الذي لا يقدر  
على شيء ، فهذا مما نبه عليه المثل وأرشد اليه ، فذكره ابن عباس منبه على اولادته  
لا أن الآية اختلفت به فتأمل ( ٤ ) .

( ١ ) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ١٤٩ / ١٤

( ٢ ) جامع البيان ١٤٩ / ١٤ تفسير من كثير ٢١١ / ٤

( ٣ ) سورة النحل آية / ٧٣ - ٧٤

( ٤ ) أعلام الموقعين ١ / ١٦١

ومن الآيات مثال التي ضربها الله لقتل الأشرار - سبحانه - وتعالى  
 « وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهوكل على مولاه أينما  
 يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم (١)  
 وفي هذه الآية ضرب الله - سبحانه - فيها لنفسه وللأصنام المعبودة من دونه  
 مثلا فالصنم الذي يعبد من دونه الماهو بمثابة رجل أبكم لا يعقل ، ولا ينطق  
 بل هو أبكم القلب والسان قد عدم النطق القهوه واللسان ، إضافة الى ذلك  
 أنه عاجز لا يقدر على شيء ، ألبيته مومع هذا فأينما وجهه لا يأتى بخير ولا يقضى  
 حاجة لمن أرسره

ثم ما الله - تعالى - فانه الحي القادر المتكلم الأمر بالعدل وهو على الصراط  
 المستقيم وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد فانه - سبحانه - الأمر  
 بالعدل - وهو الحق - ، وذلك يتضمن أنه سبحانه - عالم به معلم لـه  
 راض به أمر لعباده به محب لأهله لا يأمر بسواه بل هو - سبحانه - منزه  
 عن غده الذي هو الجور والظلم والسفه ، والباطل ، بل أمره وشرعه عدل كله  
 وأهل العدل هم أولياؤه وأحباؤه وهم المجاورون له عن يمينه على منابر من نور وأمر  
 بالعدل يتناول الأمر الشرعي الديني هو الأمر القدرى الكونى ، وكلاهما عدل  
 لا جور فيه بوجه ما (٢) ومن كانت هذه صفاته هو الجدير بأن يعبد وحده  
 لا شريك له ويخلص له الدين كله - ومما تقدم بتبين لنا من المثل الذي ضربه  
 الله في السورة وغيرها من الآيات التي ذكرناها في معناها في الشرك سمعا  
 وعقلا وفطرة كما يتبين لنا الآتى :

(١) = أن الموحد لا يكون لاعنده ضيق نظر بخلاف المشرك الذي يعبد آلهة  
 شتى أو يجدها بالكليقة

(١) سورة النمل آية ٧٦  
 (٢) اعلام الموقعين ١/١٦٣

(٢) = أن الموحّد تنشأ في نفسه العزة والقوة التي لا يقف أمامها شيء ، لأنه أيقن في نفسه بأنه لا نافع ولا ضار إلا الله وأنه سبحانه - المحيي المميت هو : صاحب القهر والحكم والسلطان في هذا الكون وهنأينز من قلبه كل خوف من غير الله - تعالى - فتجد هلا يطأطي " رأسه لا أحد من الخلق ، ولا يتضرع إليه ولا يسأله ولا يخاف من كبريائه وعظمته لأنه استقر في نفسه عظمة القادر - سبحانه وهذا بخلاف المشرك والكافر ومن تربي على الإلحاد "

(٣) = أن الموحّد لربه - جل وعلا - يتولد في نفسه مع العزة والقوة : تواضع دون ذل وترفع من غير كبر حتى أن الشيطان لا يلقي إليه سبيلا لأن يلقي في نفسه الأخلاق الذميمة إذ أنه يعلم بيقين أن الله تعالى - هو الذي وهبه كل ما عنده من النعم وهو القادر على سلبه إياه في أي لحظة شاء ، أما المشرك فإنه يوجد لديه من الأخلاق الذميمة التي هي كثيرة باهلاكه مثل الكبر ويطر الحق بمجرد حصوله على نعمة سريعة الروال بين حين وآخر .

(٤) = أن الموحّد موقن تمام اليقين بأنه لا سبيل إلى النجاة والفلاح إلا بتطهير نفسه من كل معصية لله - عز وجل - بالعمل الصالح أما المشرك والكافر فإنه يمضي حياته كلها في الأمان الكاذب - كما يزعم النصارى بأن المسيح عليه الصلاة والسلام أصبح كاهنًا لذنوبهم وكما يزعم اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه فلا يعذبهم بذنوبهم وكما يعتقد بعض جهلة المسلمين أن الكبراء والأتقيا من أهل الصلاح سيفسحون لهم عند الله - تعالى - فيقومون لهم النذور والقرايين في المواسم ، ثم يستمرون في مخالفة الأوامر والنواهي ، اتباعا للهوى والشهوات الشيطانية .

(٥) = أن الذي أقر لله بالوحدانيته وأفرده بالعبادة والطاعة لا يتسرب إليه يأمن ولا يحل به القنوط لأنه يؤمن بأن خزائن السموات والأرض بيد الله وحده دون سواء من هنا يكون مطمئنا تغمره السكينة والأمل حتى ولو نزل به ألوان من الهوان ، والطمرد من قبل أعداء الله فإنه لا تضيق به طرق العيش إذا أنه يوقن بأن الله يكلوه ولا يسلمه إلى نفسه مع بذره جهده في التوكل على خالقهم وبارئهم سبحانه - أما الكافر أو المشرك فإنه يمتد على طاقاته المحدودة فإذا ما تنول به أمر فسرعان ما يحل به اليأس والقنوط في الشدائد بل ربما يؤدي به حاله إلى الانتحار .

(٦) أن المؤمن بالله يتربى على الشجاعة والعزم والتوكل والثبات عند ما يقدم على أمور يريد بها وجه الله - تعالى - كالجهاد في سبيل الله والمرابطة في ثغور الاسلام ان أنه يشعر في قرارة نفسه بأنه يستمد قوته ونصره من مالك السموات والأرض وما بينهما فلا يكون هناك مثل لموقفه وثباته وأني للمشرك والكافر مثل هذا الموقف **بتلك القوة والثبات التي يؤيد الله بها أوليائه** .

(٦) أن الذي يؤمن بالله رباً وبالا سلام ديناً بنبؤ محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ور سولاً يكون قوى الجانباً لمكانة للجبن والوهن لديه اذا الجبن وضعف العزم يتولد من أمرين: حب الا نسان نفسه وماله وأهله ، واعتقاده أن غير الله له القدرة على سربالحيه لكن المؤمن بالله حق الا يمان ينحى من قلبه كلا الأمرين السابقين فهو موقن بأن الله هو المالك الحقيقي للا نسان ولفسه وماله وأهله فهو يضحى في سبيل الله بكل غال ورخيص في الحصول على مرضات الله - تعالى - كما أنه موقن بأنه ليس في مقدور الخلق أجمعين سلب الحياة الا بقضاء الله وقدره ، ونتيجة الا يمان الصادق فان لمؤمن حينما يلتقي بجيش الكفر لا يهاب كثرته ولا يخاف قعقمة السوف فهو يواجه أعداء الله مقبلاً غير مدبر لأنه يؤمن أن اطالة العمر وانقضاءه لا أجل انما هو بيد الله وحده ،

(٨) = أن الا يمان بأنه لا معبود بحق الا الله - تعالى - يرفع من قدر العبد فلا توجد فيه الخصال الذميمة مثل الدناءة واللؤم والشرة والحسد وغيرها من الصفات القبيحة شرعاً وعقلاً وفطرة - لأن الا سلام يبيغض هذه الخلال وحذر منها شد تحذيراً .

(٩) أن التوحيد الخالص والا قرار الصحيح ب ( لا اله الا الله ) قولاً وعملاً ، اقتضاء معنى يجعل المرء ملتزماً لشرع الله ، ومحا فظاً عليه اذا المرء عند ما يؤمن بأن ربه بكل شيء عليم وأن معه من الملائكة من هو رقيب وعتيد وأنه اذا كان رد يسه حيلة في النفلة من يطش البشر فانه ليس له قدرة على التخلص من الله - عز وجل - وعلى قدر قوة الا يمان وضعفه يكون التزام المعبد بأحكام الله واقفاً عند حدوده فلا ككسبون عنده جرأة على اقرار الآثام ولتنتهاك المحارم بل يكون مبيساراً للمسلم

فعل الخيرات بعكس المشرك والكافر والملحد فان حياته كلها في الوقوف فيما يغضب الله - تعالى - (١) أعادنا الله من شر ذلك وجعلنا ممن يعبدونه وحده دون سواه .

## ( المبحث السادس )

التحذير من الشرك وبيان أنه محبط للعمل

لقد ورد التحذير عن الشرك ، وأن يحبط العمل في آية واحدة عن هذه السورة قال - تعالى - ( ولقد أوحى اليك والي الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين )

هذه الآية من السورة بين الله - تعالى - فيها أنه قد أوحى الي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والي كل اخوانه من الأنبياء من سبقوه بأنه لو صدر من أحد هم اشرك بالله وحاش أن يصدر منهم ذلك لأن المعصم من الوقوع في الاشراك به جل وعلا - ولكن هذا من باب فرض المستحيل غير الواقع - ولو حصل ذلك لكان سببا في احباط العمل وضياع الثواب ويصير صاحبه في ضمن الأشفياء الذين حرّموا الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض

وإذا كان هذا الخطاب موجها الي أكرم الخلق وأحبها لي الله - تعالى - وهم الرسل الكرام وفي طبيعتهم سيد الأولين والآخرين عليهم الصلاة والسلام فما البال بصدوره من غيرهم من بنى الا نساــــــــــــــــان ..

قال البغوي رحمه الله - تعالى - حول قوله عز وجل - ( ولقد أوحى اليك والي الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ) يعنى الذي عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد منه غيره ، وقيل هذا أدب من الله - عز وجل - لنبيه وتهديد لغيره لأن الله - تعالى - عصمه من الشرك ( ١ ) هـ . وقال ابن جرير رحمه الله عليه ، حول الآية نفسها :

يقول - تعالى - ذكره ( ولقد أوحى اليك يا محمد ربك ، والي الذين من قبلك من الرسل ) ( لئن أشركت ليحبطن عملك ) يقول لئن أشركت بالله شيئا يا محمد ليبيطن عملك ، ولا تنال به ثوابا ولا تدرك جزاء الاجزاء من أشرك بالله وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم ، ومعنى الكلام :

( ١ ) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل أنظر حاشية تفسير الخازن ٧٠ / ٦

ولقد أوحى اليك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين والى الذين من قبلك ، بمعنى والى الذين من قبلك من الرسل من ذك ، مثل الذى أوحى اليك منه فاحذر أن تشرك بالله شيئاً فتهلك ، ومعنى قوله ( ولتكونن من الخاسرين ولتكونن من الهالكين بالاشراك بالله ان أشركت بشيئاً هـ ( ١ ) )  
 ومثل هذه الآية في السورة ( ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك ) الآية قوله تعالى — ( ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ) ( ٢ )  
 وهذا تشديد لا من الشرك وتغليظ لشأنه وتعظيم لملاسته ( ٣ )  
 ولقد حذر الله من الشرك وبين عاقبته السيئة في مواضع كثيرة من كتابه — قال تعالى ( ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ) ( ٤ )  
 قال ابن كثير ( أخبر — تعالى — أنه لا يغفر أن يشرك به ، أى : لا يغفر لعبده لقيه وهو مشرك به ، ويغفر ما دون ذلك أى : من الذنوب لمن يشاء من عباده أهـ ( ٥ )  
 ( فتبين ليهذا أن الشرك أعظم الذنوب لأن الله — تعالى — أخبر أنه لا يغفره أى الا بالتوبة منه ، وما عداه فهو داخل تحت مشيئة الله ان شاء غفره بلا توبة وان شاء عذبه وهذا يوجب للعبد شدة الخوف من هذا الذنب الذى هذا شأنه عند الله ) ( ٦ )  
 وقال تعالى ( انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من أنصار ( ٧ ) )

وفي مسند الامام أحمد من حديث ثام المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدواوين عند الله ثلاثة : ديوان لا يعبأ الله به

(١) جامع البيان ٢٤ / ٢٤

(٢) سورة الأ نعام آية / ٨٨

(٣) تفسير ابن كثير ٦٣ / ٣

(٤) سورة النساء آية / ٤٨

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣٠٨ / ٢

(٦) تيسير العزيز الحميد ص ٩٠ — ٩١

(٧) المائدة ١ لاية ٧٢



ود يوان لا يترك الله منه شيئاً ، ود يوان لا يفره الله فأما الديوان الذي لا يفره الله فالشرك قال الله عز وجل ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه أو صلاة تركها فان الله عز وجل يفر ذلك ويتجاوز ان شاء وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضاً القصاص لا محالة (١) .

قال العلامة ابن القيم " ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله - عز وجل - حرم الجنة على أهله فلا تدخل الجنة نفس مشركة وانما يدخلها أهل التوحيد فان التوحيد هو مفتاح بابها فمن لم يكن معه مفتاح لم يفتح له بابها ، وكذلك ان أتى بمفتاح لا اسنان له لم يمكن الفتح ، وأسنان هذا المفتاح هي الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وصبر الوالدين " أ. هـ (٢) .

وقال تعالى آمرا عباده باجتنب عبادته غيره من الاوثان والاصنام (( فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاً لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق )) (٣) .

هذه الآية توجيه للبشرية جمعاء بالابتعاد عن ملاسة كل طاغوت يعبد من دون الله تعالى - وفيها تصوير للاوثان بأنها رجس لوخامة ما ينتج عنها من الاعتقاد والفساد وقد قرن الله الاوثان بقول الزور لان الشرك من باب الزور فان المشرك يزعم أن الوثن تحقق له العبادة وهذا أعظم أبواب الزور والافتراء . ولنستمع الى ابن القيم وهو يصور لنا الاهتزازات التي تعتمدهم الذين ارتكسوا في أحوال الوثنية وعبدوا غير الله - تعالى - من هم عبید أمثالهم فقال رحمه الله في كلامه لبيان هذا المشهد في هذه الآية " فتأمل هذا المثل ومطابقته لحال من أشرك بالله وتعلق بغيره ويجوز لك في التشبيه أمران : أحدهما : أن تجعله تشبيهاً مركباً ويكون قد شبه من أشرك بالله يرجى معه نجاته في حاله بصورة حال من خر من السماء فاخذلفته الطير في الهوى فتعزق مزقا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة وعلى هذا لا تنظر الى كل فرد من أفراد المشبه ، ومقابلة من المشبه به .

والثاني : أن يكون من التشبيه الفرق فيقابل كل واحد من أجزاء الممثل بالمثل بالمثل  
به وعلى هذا فيكون قد شبه الايمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسما التي هي  
مصعده ومهبطة ، فمنها هبط الى الارس ، واليه يصعد منها وشبه تارك الايمان  
والتوحيد بالساقط من السما الى اسفل سافلين من حيث التطبيق الشديد والالام المتراكمة  
والطير التي تخطف أعضائه وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها الله - سبحانه وتعالى  
عليه وتوزعه أزا وتزوجه وتقلقه الي مظان هلاكه ، فكل شيطان له مزعة من دينه وقلبه كما أن لكل  
طير مزعة من لحمه وأعضائه والريح التي تهوى به في مكان سحيق هو هواء الذي يحمله على  
القائه نفسه فوق أسفل مكان وأبعده من السما ( أ هـ ( ١ ) .

فكل ما تقدم من الايات القرآنية وأقوال العلماء من التحذير من الشرك يوجب للانسان  
أن يخاف على نفسه فانه أعظم ذنب عصي الله - تعالى - به .  
وقد ذكر الله عن خليله ابراهيم أبي الأنبياء عليه الصلاة والسلام أنه خاف على نفسه  
وبنيه من عبادة الأصنام مع أنه عليه الصلاة والسلام قد أكرمهم الله العصمة من الشرك  
وغيره .

قال تعالى مخبرا عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال ( واجنبني وبني  
أن نعبد الأصنام رب انهم أضللت كثيرا من الناس ) . ( ٢ )

قال في تيسير العزيز الحميد ( واجنبني ) أي اجعلني وبني في جانب عن عبادة الأصنام  
وباعد بيني وبينها قيل : وأراد بذلك بنيه وبناته من صلبه ولم يذكر البنات لدخولهم تبعاً  
في البنين ، وقد استجاب الله دعاه وجعل بنيه أنبياء وجنبهم عبادة الأصنام وإنما دعا  
ابراهيم عليه السلام بذلك لأن كثيرا من الناس افتتنوا به كما قال ( رب انهم أضللت  
كثيرا من الناس ) فخاف من ذلك ودعا الله أن يعافيه وبنيه من عبادتها ، فإذا كان  
ابراهيم عليه السلام يسأل الله أن يجنبه ويجنب بنيه عبادة الأصنام فما ظنك بغيره ؟  
أ هـ ( ٣ )

( ١ ) أعلام الموقعين ١ / ١٨٠

( ٢ ) سورة ابراهيم آية ٣٥ - ٣٦

( ٣ ) ص ٩٢ - ٩٣

فابراهيم عليه السلام هو الذي أمثل أمره حين أمره بذيح ولده وهو الذي أخذ  
 الناس وحطم به الأصنام، وهو الذي اشتد تكبره على عبدة الأصنام والأوثان ومع ذلك  
 يخاف على نفسه وبنيه الوقوع في الشرك الذي هو عبادة الأصنام لأنه يعلم  
 أنه لا يصرف عن ذلك الا بهداية الله - جل وعلا وتوفيقه - .

جاء في قرّة عيون الموحدين : (١) لذي خانة الخليل عليه السلام على نفسه وبنيه  
 وقع فيه أكثر الأمم بعد القرون الفضلة في بنيت المساجد والمشاهد على القبور و صرفت  
 لها العبادات بأنواعها

واتخذ ذلك ديناً وهي أوثان وأصنام. كأصنام نوح واللات والعزى ومناة وأصنام العرب  
 وغيرهم ، فما أشبه ما وقع في آخر هذه الأمة بحال أهل الجاهلية من مشركي العرب وغيرهم  
 ما بل وقع ما هو أعظم من الشرك في الربوبية سابقاً له (١)

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الشرك وبين العاقبة السيئة التي تلحق المشرك  
 إذا رجع إلى الله - تعالى -

قال صلى الله عليه وسلم ( من مات وهو يهودي أو نصراني أو مشرك نادى من النار ) (٢)

وقال عليه الصلاة والسلام : من رقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن رقي الله  
 دخل النار (٣)

فقد بين صلى الله عليه وسلم في هذين الحديثين أن من مات على الشرك لا يدخل الجنة  
 ولا تنال رحمة الله ويكون من الخالدين في نار جهنم .

كما بين أن من مات على التوحيد دخل الجنة قال النووي ( أما دخول  
 المشرك إلى النار فهو على عمومته ، فيدخلها

ويخلد فيها ، ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي والنصراني ، وبين عبدة الأوثان وسائر  
 الكفرة من المرتدين والمعطلين ، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عناداً وغيره ، ولا بين  
 من خالف ملة الإسلام وبين انتساب اليها حكم لكفره ويجرده وغير ذلك مما يدخل من مات  
 غير مشرك الجنته مقطوع له ، لكن ان لم يكن صاحب كبيرة مات مصراً عليها دخل الجنة  
 أولاً ، وان كان صاحب كبيرة مات مصراً فهو تحت المشيئة ، فان عفا عنه دخل الجنة

(١) ص ٤٠ (٢) رواه البخاري انظر الفتوح ٧٦ / ٨ لمن حديث ابن مسعود رضي عنه

(٣) رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ١ / ٤٨٤

أولا والا عذب في النار ثم أخرج فيدخل الجنة (١) أهـ (١)

ومن هذا يتبين لنا أن الشرك أشد الأفعال جرما ، وأقبحها ظلما كما قال تعالى حكاية عن لقمان وهو يوصي ابنه ( يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ) (٢) وقد بين تعالى في موضع آخر بأنه لا آمن ولا اهتداء الا لمن يخلطوا عبادتهم بمعصية الشـرك

قال تعالى ( الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمان وهم مهتدون ) (٣) وقد روى الشيخان في صحيحهما من حديث ابن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله وأينا ذلك ؟ قال انما هو الشرك ألم تستمعوا ما قال لقمان لا يبنه ان الشرك لظلم عظيم ) (٤) قال النووي عند شرحه لهذا الحديث ( لما شق عليهم أنزل الله - تعالى ( وان الشرك لظلم عظيم ) (٤)

وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن الظلم المطلق هناك هو المراد به هذا العقيد وهو الشرك كما قال لقمان لابنه فالصحاب يقرضو اللعنههم حملوا الظلم على عمومه والمتبادر الى الأفهام منه وهو وضع الشيء في غير موضعه وهو مخالفة الشرع فشق عليهم الى أن أعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم بالمراد بهذا الظلم ) أهـ (٥)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله - هو ضحا لذرك ( والذي شق عليهم ) أهـ (٥) ظنوا أن الظلم المشروط عدمه هو ظلم العبد نفسه وأنه لا آمن ولا اهتداء الا لمن لم يظلم نفسه ، فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما دلهم على أن الشرك ظلم في كتاب الله

فلا يحصل الأمان والا هتداء الا لمن لم يلبس ايمانه بهذا الظلم فان من لم يلبس ايمانه بهذا الظلم كان من أهل الأمان والا هتداء . . . فمن سزم من أجناس الظلم الثلاثة الشرك ، وظلم العباد ، وظلمه لنفسه دون الشرك ، كان له الأمان التام والاهتداء التام ، ومن لم يسلم من ظلمه لنفسه كان له الأمان والا هتداء المطلق بمعنى :

(١) شرح النووي على مسلم ٩٧/٢

(٢) سورة لقمان آية ١٣

(٣) سورة الانعام آية ٨٢

(٤) صحيح البخاري ١٧٤/٣ صحيح مسلم ١١٤-١١٥

(٥) شرح مالك النووي على مسلم ١٤٣/٣

أنه لا بد من أن يدخل الجنة كما وعد الله بذلك وقد هداه الله إلى الصراط المستقيم  
الذي تكون عاقبته فيه إلى الجنة ، ويحصل له من نقص الأمان والهداية بحسب  
ما نقص من إيماله بظلمه لنفسه ، وليس مراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ( إنما هو  
الشرك أن من لم يشرك الشريك الأكبر يكون له الأمان التام والهداية التامة فان أحاديثه  
الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر معرضون للخوف لم يحصل لهم الأمان التام والهداية  
التامة الذي يكونون بهما مهتدين إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم  
من غير عذاب يحصل لهم ، بل معهم أصل الهداية إلى هذا الصراط  
ومعهم أصل نعمة الله عليهم ، ولا بد لهم من دخول الجنة ، وقوله ( إنما هو الشرك )  
ان أراد به الأكبر فقصوده

أن من لم يكن من أهله فهو آمن ما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة ، وان كان  
مراده جنس الشرك يقال : ظلم العبد نفسه كبخله لحب المال ببعض الواجب هو شرك  
أصغر يحبه ما يفضيه الله - تعالى - حتى يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر  
ونحو ذلك فهذا فاته من الأمان والهداية بحسبه ولهذا كان السلف يدخلون الذبويوب  
في هذا الشرك بهذا الاعتبار ( ١ )

ومن هذا يعلم أن الشرك بالره أظلم ازظلم وأشد ذنبه ذنبه الله ولذا رتب الله عليه  
من العقوبات الدنوية والآخروية ما لم يرتبه على ذنب سواه من إبادة أهله أو أموالهم  
وسبي نساءهم وأولادهم وعدم مغفرته من بين أذنوب إلا بالتوبة منه ( ٢ )

قال في تيسير العزيز الحميد ( وإنما كان كذلك لأنه أقم القبح وأظلم الظلم  
مضمونه تنقيص رب العالمين ، وصرف خالص حقه لغيره ، وعدل غيره به كما قال تعالى  
( ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ) ( ٣ ) ولأنه مناقض للقصد بالخلق والأمر مناف له  
من كل وجه وذلك غاية المعاندة لرب العالمين ، والاستكبار عن طاعته والذل له والانقياد  
لأمره الذي لا صلاح للعالم إلا بذلك فعنى خلا منه خرب وقامت القيامة كما قال صلى  
الله عليه وسلم ( لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله أله ( ٤ )

(١) مجموع الفتاوى ٧ / ٨٠ - ٨١

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٨٩ تبصرف يسير

(٣) سورة الأناعام آية ١

(٤) رواه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه ١ / ١٣١

ولأن الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق - تعالى - وتقدس في خصائصه لا لله -  
 من ملك الضر والنفع ، والعطاء ، والمنع الذي يوجب تعلق الدعاء والخوف الرجاء  
 والتوكل وأنواع العبادة كلها بالله ، فمن علق ذلك لمخلوق فقد شبهه بالخالق وجعل  
 من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فضلا عن غيره شبيها  
 بمن له الخلق كله وله الملك كله ويده الخير كله واليه يرجع الأمر كله .

فأزفة الأمر كلها بيده سبحانه - ومرجعها إليه فمأشأه كان وما لم يشأ لم يكن ( أ : ٥ ( ١ )  
 كما يفهم من هذا أن المشرك لم يقدر الله حق قدره ، ولم يأت بالأمر الذي خلق من أجله  
 فهو ظالم من جهة أنه صرف الحق الذي لا يستحقه إلا الله - تعالى للمخلوق الذي لا يستحق  
 من ذلك شيئا لأنه ليس أهلا لذلك .

كما أن المشرك ظالم لنفسه حيث يشقيها بإشراكه بالله - تعالى - ويعرّمها رحمته  
 الله ويجعلها تتدلل للمخلوق من مخلوقات الله فقير إلى الله الذي له الفنى المطلق  
 من جميع الوجوه والاعتبارات  
 أعاذنا الله من الشرك كبيره وصغيره جليه وخفيه وبالله التوفيق .

المملكة العربية السعودية  
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة  
قسم الدراسات العليا  
«شعبة العقيدة»

١٤٠٥  
١٤٠٦

# مَبَاحِثُ الْعُقَيْدَةِ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية الماجستير

إعداد الطالب

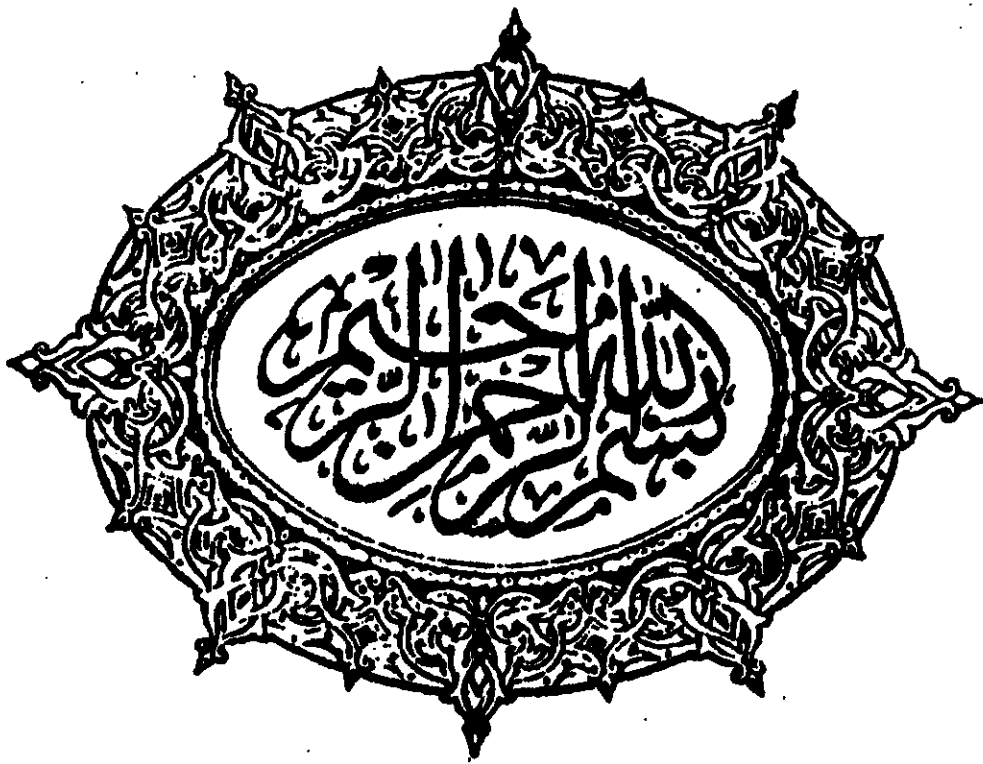
ناصر بن علي عايض حسن الشيخ

إشراف فضيلة الشيخ

عبد المحسن بن محمد العتيق

المجلد الثاني

١٤٠٥ - ١٤٠٦ هـ





# البَابُ الثَّانِي

( الباب الثاني )

دلالة السورة على وجوب الايمان بالملائكة والكتب، والرسول والقدر

وفيه فصول

الفصل الأول : دلالة السورة على وجوب الايمان بالملائكة

الفصل الثاني : دلالة السورة على وجوب الايمان بالكتب

الفصل الثالث : دلالة السورة على وجوب الايمان بالانبياء والرسول

الفصل الرابع : دلالة السورة على وجوب الايمان بالقدر

# الفصل الأول

( الفصل الأول )

---

دلالة السورة على وجوب الايمان بالملائكة وفيه مبحثان

المبحث الأول : تعريف الملائكة ه ومن أى شي خلقوا ؟

المبحث الثاني : ذكر بعض أعمال الملائكة التي أنيطت بهم

## ( المبحث الأول )

تعريف الملائكة عن أي شيء خلقوا؟

(١) تعريف الملائكة :

الملائكة جمع ملائكة ( نقلت حركة الهمزة فيه إلى الساكن قبله ثم حذفت الهمزة تخفيفاً فصارت ( ملكا ) وهو مشتق من كلمة ( الألوكة ) التي هي الرسالة والجمع ( ملائكة ) و ( ملائكة ) (١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ( والملك في اللغة : حامل الألوكة وهي الرسالة ) أه (٢)

والذي نستفده من التعريف اللغوي : أن الملائكة هم سفراء الله إلى أنبيائه ورسله في تبليغ الوحي والشرائع

أما التعريف الاصطلاحي :

فالملائكة : ( أجسام نورانية - لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة وسكنها السموات ، وأبطل من قتل : انبها الكواكب أو أنها الأنفس الخيرة التي فارقست أجسادها وغير ذلك من الأقوال التي لا يوجد في الأدلة السمعية شيء منها ) أه (٣)  
(٢) من أي شيء خلقوا ؟

لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم - المادة - التي خلق الله منها الملائكة وهي النور ، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ( خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وصف لكم ) (٤)

(١) القاموس المحيط ٣/٢٢٧ لسان العرب ١٠/٤٩٦ الصباح النير ١/١٨

بصائر ذوي التمييز ٤/٥٢٤ الفتح ٦/٣٠٦

(٢) النبوات ص ٢٥٧

(٣) فتح الباري ٦/٣٠٦ وانظر ( كتاب التعريفات للجرجاني ص ٢٢٩ )

(٤) صحيح مسلم ٤/٢٢٩٤ ومسند الامام أحمد ٦/١٦٨

فبين صلى الله عليه وسلم أن الملائكة خلقوا من نور، ولم يبين النبي صلى الله عليه وسلم أي نور هذا؟ الذي خلقهم الله - فـلا يجوز الخوض لأى أحد في نوع هذا النور لزيادة تحديده لأنه غيب لم يأت فيه ما يوضحه أكثر من هذا الحديث النبوي الشريف وأما تحديد الزمن الذي خلقوا فيه فلم يرد في الكتاب والسنة ما يفيد ذلك إلا أن الله - تعالى - أخبر بأن خلقهم كان قبل خلق آدم - عليه السلام - فقد أخبر - سبحانه - أنه أعلم الملائكة بأنه سيجعل في الأرض خليفة قال تعالى: ( واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة ) ( ١ )

والمراد بالخليفة آدم - عليه السلام - وأمرهم بالسجود له حين خلقه ( فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ) ( ٢ )

فالملائكة نوع من مخلوقات الله - تعالى - خلقهم الله من نور وأقدرهم الله على التشكل بأشكال مختلفة فقد أرسل الله جبريل الى مريم في صورة بشر قال تعالى: ( واذ كر في الكتاب مريم اذا نتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك لا اله الا هو فلا ما زكيما ) ( ٣ )

وابراهيم عليه السلام جاءته الملائكة في صورة بشره ولم يعرف أنهم ملائكة حتى كشفوا له عن حقيقة أمرهم .

قال تعالى ( هل أتاك حديث ابراهيم العكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلا ما قال سلام قوم منكرون فراغ الى أهلها فجاء يعجل سمين فقربه اليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا تخف وشره بغلام عليهم ) ( ٤ )

(١) سورة البقرة آية / ٣٠

(٢) سورة الحج آية / ٢٩

(٣) سورة مريم آية / ١٦ - ١٩

(٤) سورة ازرار آية / ٢٤ - ٢٨

وفي آية أخرى قال ( فلما رأى أيديهم لا تميل إليه نكروهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ) ( ١ )

وجاءوا إلى لوط في صورة شباب بحسان الوجوه ، وضاق لوط بهم وخشي عليهم من قومهم فقد كانوا قوم سوء يفعلون السيئات ويأتون الذكران من العالمين قال تعالى :

( ولما جاءت رسلنا لوط السيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عاصيب ) ( ٢ )

قال ابن كثير رحمه الله - تعالى - : ( تبدى لهم الملائكة في صورة شباب حسان امتحانا واختبارا حتى قامت على قوم لوط الحجة وأخذهم الزهأ أخذ عزيز مقتدر ) ( ٣ )

وقد كان جبريل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية بن خليفة الركي ( ٤٦ ) وتارة يأتيه في صورة أعرابي

وقد شاهده كثير من الصحابة كما في حديث عمر قال ( بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فجلبى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام ؟

وفي الحديث أنه سأله عن الإيمان والأحسان والساعة وأما رتبها ثم أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم فيما بعد أن السائل جبريل جاء يعلم الصحابة دينهم ( ٥ ) إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا المعنى والملائكة كثيرون لا يحط بهم عد ولا يحصيهم من دون الله أحد وهم مجبولون على أعمال الخير فلا يعطون الشر ولا يأمرون به ، فلذلك هم لربهم مطيعون ، وعبادته مشتغلون ، يسبغون الليل والنهار لا يفكرون ،

وقد كلف الله جميع عباده الإيمان بهم ، والتصدق بوجودهم لأن ذلك من جملة عقائده إلا إيمان التي أمرهم الله بها وفرضها عليهم في محكم كتابه سنة نبيه صلى الله عليه وسلم

( ١ ) سورة هود آية ٧٠

( ٢ ) سورة هود آية ٧٧

( ٣ ) البداية والنهاية / ١ / ٤٣

( ٤ ) هذا الصحابي الجليل كان يضرب به المثل في الحسن أنظر لاصابة / ١ / ٦٣ رقم ٢٣٩٠

( ٥ ) صحيح مسلم / ١ / ٣٧

قال تعالى ( ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ) ( ١ )

وقال تعالى ( آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ) ( ٢ )

وقال تعالى ( ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ) ( ٣ )  
وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أركان الإيمان الستة وذكر من بينها الإيمان بالملائكة كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه المشهور بحديث جبريل الطويل حيث سأله عن الإسلام والإيمان والأحسان وأشرطه أساعة وجاءني هذا الحديث أن جبريل عليه السلام قال للرسول صلى الله عليه وسلم ( أخبرني عن الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ) ( ٤ )

فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم على سؤال جبريل عن الإيمان ببيان أركانه الستة وأخبر بأن الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان فمن هنا كان وجود الملائكة ثابت بالدليل القطعي الذي لا يمكن أن يتطرق إليه شك ومن هنا كان انكار وجود الملائكة كفرا باجماع المسلمين بل بنص كتاب الله الكريم وسنة رسوله الأمين فمن كفر بهم أو حاول التشكيك في وجودهم فهو كاذب كافر لا حظ له في الإسلام لتكف يبه لله - تعالى - ولرسوله وللمؤمنين . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : بعد أن ذكر جملة من الأحاديث الواردة في شأن الملائكة وصفاتهم ( وفي هذا وما ورد من القرآن رد على من أنكروا وجود الملائكة من الملاحدة ) ( ٥ ) ومن هذا يفهم بأن من أنكروا وجود الملائكة فهو ملحد زنديق كافر بالله العظيم ، فيجب الإيمان بالملائكة على سبيل الإجمال ، ويجب الإيمان على سبيل التفصيل ، وبين اشتهر باسمه الخاص كجبريل روت وما روت أو من أضيف إليه عمل معين بأدلة الكتاب والسنة ، كجبريل ، وميكائيل وإسرافيل ورشوان وما لك فمثل هؤلاء الملائكة لا يكفي الإيمان بهم إجمالا بل لا بد من الإيمان بهم تفصيلا .

( ١ ) سورة البقرة آية ١٧٧ ( ٢ ) سورة البقرة آية / ٢٥٨

( ٣ ) سورة النساء آية / ١٣٦

( ٤ ) صحيح مسلم / ١ / ٣٧

( ٥ ) الفتح / ٦ / ٣٠٦



## ( المبحث الثاني )

ذكر بعض أعمال الملائكة التي أنبأ بها بهم

لقد دلت سورة ( الزمر ) على أن لله ملائكة أسند إليهم القيام بمهام الجنة والنار كما ورد فيها أن بعض الملائكة محدقون بعرش الرحمن - جل وعلا - قال تعالى ( سيق الذين كفروا الي جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حفت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى لأكثكرين وسيق الذين اتقوا رقبهم الي الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين )

وقال تعالى ( وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين )

فهذه الايات الأربع من السورة دلت على وجود الملائكة وأن منهم من أوكل الله اليه القيام على أمور الجنة والنار فمن المهام التي أسندت اليهم تجاه جهنم أن الملائكة عند ما يحشرون تسوقهم الملائكة اليها أفواجا متفرقة فوجا بعد فوج فهند ~~في~~ فتفتح لهم أبواب جهنم فتلقاهم الملائكة خزنة النار يو بخونهم ويكفونهم ويسألونهم أما جاءكم من نيا رسل من جنسكم ؟ يقرؤون عليكم ما أنزل من الآيات اليبينات والحجج الواضحات ويخوفونكم هول هذا اليوم الذي ترد يتم فيه ؟ فيعترفون بأن الرسل يلغفونهم آيات ربهم فكذبوهم فلم يصدقوهم فحقت عليهم كلمة العذاب التي توعد الله بها الكافرين فاذا سمع الملائكة منهم هذه الا جابقتهم في الرد عليهم بقولهم ( ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين )

انكم فيها الي الا بد لا تخرجون منها ولا تنفصلون عنها فبئس المقام الذي تبتوا تموه جزاء تكبركم وتكذبكم برسول الله وآياته ولقاءه وأمامهم في الجنة فانه عند ما يحشرون الذين اتقوا ربهم بأداء الفرائض واجتناب المعاصي فأخلصوا الدين لله وحده لا شريك له فان الملائكة الموكلين بالجنة يحتفون بهم ويرحبون بزقائهم ويحيونهم بأطيب تحية ويذكرونهم بأطيب صفاتهم ( سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين )

وأما الآية الأخيرة من الآيات الأربع السابقة وهي آخراية من اسورة قهبي تبين مشهدا عظيما لعباد الله المكرمين الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهذا المشهد هو أنهم محدقون بعرش الرحمن ينزهونه عما نسب اليه المشركون وعمالها ينسبوه من صفات النقص ، وليست هذه أعمالهم فحسب بل لهم أعمال أخرى كثيرة جدا أنيدلتبهم ونذكرها طرفا منها ان يتعذر علينا حصرها هنا ،

فجبريل عليه السلام : أوكل الله اليه النزول بالوحي وقد أخبرنا الله تعالى أن جبريل يكاد يختص بهذه المهمة الجليلة قال تعالى ( قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك باذن الله صدقاً نبيديه ) ( ١ )

وجبريل هو الروح الأمين كما قال تعالى ( نزل به الروح الأمين علي قلبك لتكون من المنذرين ) ( ٢ ) وقد ينزل بالوحي غير جبريل الا أن هذا - قليل جدا -

لما رواه مسلم في صحيحه من حد يثابن عباس رضي الله عنهما قال ( بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سعى نقيضا من فوقه فرج رأسه فقال ( هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم ، فنزل منه ملك فقال : أهبس ثورين أو تيتهما لم يوتهما نبيا قبلك فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الا أعطيته ) ( ٣ )

ومنهم من أوكل الله اليه القطر والنبات والأرزاق .

قال ابن كثير : ( ميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق في

هذه الأدار ، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمره ، يصرفون الرياح والسحاب

كما يشاء الرب جل جلاله - وقد روينا أنه ما من قطرة تنزل من السماء الا ومعها

ملك يقررها في موضعها من الأرض ) ( ٤ ) ومنهم من هو موكل بالسحاب في سنن الترمذي

عن ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ( الوعد ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب

معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله )

قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب ( ٥ )

( ١ ) سورة البقرة آية ٩٧ ( ٢ ) سورة الشعراء آية / ١٩٣ - ١٩٤

( ٣ ) ٥٥٤ / ١

( ٤ ) البداية والنهاية ١ / ٥٠ مطبعة الفجالة الجديدة

( ٥ ) سنن الترمذي ٤ / ٢٥٧ مؤاحد في مسنده ١ / ٢٧٤ وانظر صحيح الجامع الصغير للالباني ٣ / ١٨٨

ومنهم من أوكل الله اليه مهمة النفع في الصور وهو اسرافيل  
 ومنهم من اختاره الله بقبض أرواح بني آدم عند ما تنفسي آجالهم التي قدرها الله  
 لهم قال تعالى ( قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الي ربيكم ترجعون ) ( ١ )  
 ولملك الموت أعوان يكونون معه عند قبض أرواح بني آدم  
 قال تعالى ( وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت  
 توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ) ( ٢ )  
 وتنزع الملائكة أرواح الكفرة والمجرمين نزعا شديدا عنيفا بلا رفق ولا هوادة •  
 قال تعالى ( ولوترى انذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم  
 وذقوا عذاب الحريق ) ( ٣ )

• أما المؤمنون فان الملائكة تنزع أرواحهم نزعا رفيقا وتبشرهم عند النزاع •

قال تعالى ( ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تخرنوا  
 وأبشروا بالجنة التي كنتم تعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها  
 ما تشتهون أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ) ( ٤ )

ومنهم من أوكل الله اليه حفظ أعمال بني آدم من خير وشر وهم الكرام الكاتبون

قال تعالى ( وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ) ( ٥ )

ومنهم من أوكل الله اليه الجنة ونعيمها وهم رضوان ومن معه قال ابن كثير ( وخازن الجنة

ملك يقال له : رضوان جاء مصرحاً به في بعض الأحاديث ) ( ٦ )

ومنهم من أسند اليه القيام على النار وهذا أهلها وهم مالك ومن معه فقد أخبر الله

تعالى - أن أهل النار ينادون ما لك وهو كبير خزنة أهل النار بقوله تعالى ( ونادوا

يا مالكي ليقتض علينا ربكنا انكم ما تكون • لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون ) ( ٧ )

( ١ ) سورة السجدة آية ١١

( ٢ ) سورة الانعام آية ٦١ - ٦٢

( ٣ ) سورة الانفال آية ٥٠

( ٤ ) سورة غصلة آية ٣٠ - ٣٦

( ٥ ) سورة الانفطار آية ١٠ / ١٢

( ٦ ) البداية والنهاية ١ / ٥٣

( ٧ ) سورة الزخرف آية ٧٧ - ٧٨

ومنه من أوكل الله اليه فتنه القبر وهما منكر ونكير ( ١ )

ومنه حملة المرش قال تعلق لي ( ) ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ( ٢ )

ومنه الموكل بالنطف في الأرحام وكتابة ما يراد بهما .

روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم  
صلى الله عليه وسلم قال ( وكل الله تعالى - بالرحم ملكا ؛ فيقول : أي رب نطفة  
أي رب علقه أي رب مضغة ، فاذا أراد أن يقضى خلقها قال : أي رب ذكر أم أنثى أشقى  
أسعيد ؟ فما الذرق ؟ فما الأجل فيكتبك ذلك في بطن أمه ( ٣ )

ومنه ملائكة يدخلون البيوت المعمور ويدخله كل يوم سبعون ألفا ثم لا يعودون اليه  
آخر ما عليهم ( ٤ )

ومنه ملائكة سياحون يتبعون - جبالهم وذكر روى الشيخان في صحيحيهما من حديث  
أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( ان للمبارك وتعالى - ملائكة  
يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فاذا وجدوا قومًا يذكرون الله - تعالى - تنادوا  
هلموا إلى حاجتكم قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء اريد نيبا ( ٥ )

ومنه الموكل بالرجبال فقد أرسل الله - تعالى - ملكا إلى عبده ورسوله محمد صلى  
الله عليه وسلم يستأمره في أملاك أهل مكة فقد جاء في الحديث المتفق على صحته المروى  
عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : للنبي صلى الله عليه وسلم ( هل أتى عليك يوم كان  
أشد من يوم أحد ؟ قال لقد لقيت ما لقيتوك كان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي  
على ابن عبد ياليل بن كلاب فلم يجبني إلا ما أردت  
فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق

( ١ ) أنظر موارد النظم إلى الروايات ابن حبان حديث رقم ( ٧٨٠ ) عن ٩٧

( ٢ ) سورة الحاقة آية / ١٧

( ٣ ) صحيح البخاري ١٤٣ / ٤ صحيح مسلم ٢٠٣٨ / ٦

( ٤ ) صحيح البخاري ٢١١ / ٢ صحيح مسلم ١٥٠ / ١ كلاهما من حديث أنس

( ٥ ) صحيح البخاري ١١٤ / ٤ صحيح مسلم ٢٠٦٩ / ٤ - ٢٠٧

الا وأنا بقرب الثعالب - مكان قرب مكسة - فرفعت رأسي فاذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فنادني فقال : ان الله قد سمع قول قومك لك فومارد وابه عليك وقد بعث الله اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت عليهم فنادني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد فقال ذك فيما كنت ان كنت أن أطبق عليهم الا خشيسن ( ١ ) فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخبرني الله من أصلا بهم من يعبد الاله لا يشرك به شيئا ( ٢ )

ومضمم الموكل بكتابة الناس يوم الجمعة يكتبون الا اول فالاول فقد روى البخارى في صحيحه من حديثك أبي هريرة فان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الا اول فالاول ، فاذا جلس الامام طورا الصحف وجاءوا يستمعون اذك ) ( ٣ )

ومضمم المعقبات وهم الذين أوكل الله اليهم حفظ العبد في حفظونه من بين يديه وممن خلفه من أمر الله ( ) ( )  
وقد بين حبر الأمة عبد الله بن عباس أن المعقبات من الاله هم الملائكة جعلهم الله ليحفظوا الانسان من أمامه ومن ورائه ، فاذا جاء قدر الاله الذي قدر أن يصل اليه خلوا عنه . ( ٤ )

وقال مجاهد : ما من عبد الا له ملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منها شيء يأتيه الا قال له الملك وراءك الا شيء ، أذن الله فيه فيصيبه ( )  
وقال رجل : لعلي بن أبي طالب : ان نفرا من مراد يريدون قتلك فقال - أي علي - ان مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر ، فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه ، ان الأجل جننة حصينة ( ٦ )

والمعقبات المذكورة في آية - سورة الرعد - هي المقصودة بالاية الاخرى ( وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ) ( ٧ )

( ١ ) الاخشبان ؟ هما الجبلان المطيفان بمكة أو قبيسروالا خمرو هو جبل مشرق وجهة علي

قعيقعان النهاية ٣٢ / ٢ ( ٢ ) صحيح البخارى ٢ / ٢١٢ صحيح مسلم ٣ / ١٤٢٠

( ٣ ) صحيح البخارى مع الفتح ٢ / ٤٠٧ ، البداية والنهاية

( ٥ ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٣ / ١١٢ البداية والنهاية ١ / ٥٤

( ٦ ) جامع البيان ١٣ / ١١٩ وانظر البداية والنهاية ١ / ٥٤

( ٧ ) سورة الا نعام آية ٦١ /

فالحفظة الذين يرسلهم الله يحفظون العبد حتى يأتي أجله المقدر له .

وورد أن الملائكة يؤمنون على قراءة المصلى ، قال عليه الصلاة والسلام ( إذا

أمن الامام فأمنوا فانه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه ) (١) .

وورد أنهم يدعون لمنتظر الصلاة كما جاء في الصحيحين ( أن الملائكة تصلي

على الذي يأتي المسجد للصلاة فتقول : اللهم صل عليه اللهم ارحمه ما لم يؤمن

فيه ، ما لم يحدث فيه ) (٢) .

وورد أنهم يلعنون من هجرت فراش زوجها لما رواه البخارى في صحيحه

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

( إذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فأبت ، فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى

تصبح ) (٣) وأعمال الملائكة كثيرة جدا فانهم يقومون على مختلف شئون هذا

الكون ما نشاهده وما لا نشاهده ، وإذا تأمل الانسان الايات القرآنية

والاحاديث النبوية الشريفة في أعمال الملائكة مثل قوله - تعالى - (( والصفات صفا

فألزجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا )) (٤) .

ومثل قوله تعالى (( والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا ،

فالسابحات سبحا ، فالدبرات أمرا )) (٥) .

جزم في يقين بأن هذا الكون كله علوه وسفليه ، قد أنيط أمر تدبيره الى

الملائكة ، وذلك بان ربهم - تبارك وتعالى - قال صلى الله عليه وسلم ( أطبت

السماء وحق لها أن تشتط ما من موضع أربع أصابع الا عليه ملك واضع جبهته ساجدا

لله تعالى )) (٦) وما تقدم يتبين بطلان قول الزائغين من الفلاسفة الزنادقة

بأن الملائكة قوى معنوية ليس لها حقيقة في الخارج (٧) بل هم كما أخبر صلى

( ١ ) صحيح البخارى ٩٧/٣ ، صحيح مسلم ٣٠٧/١

( ٢ ) صحيح البخارى ٢١٤/٢ ، صحيح مسلم ٤٥٩/١ كلاهما من حديث أبي هريرة

( ٣ ) ٢١٥/٢

( ٤ ) سورة الصافات آية ١-٣ ( ٥ ) سورة النازعات آية ١-٥

( ٦ ) رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ١٤٠٢/٢ سنن الترمذى

( ٧ ) من حديث أبي نررضي الله عنه . ٣٨١/٣

الله عليه وسلم أنهم مخلوقون من نور وأنهم كما وصفوا في الكتاب والسنة  
أولوا أجنحة شتى وثلاث ورباع ، ومن زعم غير ذلك فقد كذب الله  
ورسوله والمؤمنين .

## الفصل الثاني



(( الفصل الثاني ))

دلالة السورة على وجوب الإيمان بالكتب

وفيه بحثان :

- البحث الأول : كيفية الإيمان بالكتب السابقة .
- البحث الثاني : كيفية الإيمان بالقرآن .

## ( المبحث الاول )

## كيفية الايمان بالكتب السابقة

قبل أن نبين كيفية الايمان بالكتب السماوية السابقة نذكر الآيات الدالة على وجوب الايمان بالكتب من سورة الزمر " ونبين وجه دلالتها على ذلك ، فنقول : إن الايمان بالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسوله ركن من أركان العقيدة الإسلامية الستة ، ودعامة من دعائمها الأساسية التي لا تقوم العقيدة إلا بالايمان بها كلها .

فكما أن الله - تعالى - أنزل القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم فقد أنزل من قبله كتباً .

والايمان بالكتب : هو التصديق الجازم بأن الله كتبها أنزلها على أنبيائه ورسوله وهي من كلامه - تعالى - حقيقة اشتملت على النور والهدى وكل ما احتوته حق وصدق ولا يعلم عددها إلا الله - تعالى - الذي أنزلها ، ولقد السورة على أن الله - تعالى - أنزل القرآن على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما أشارت إلى انزال الكتب السابقة قبله على من سبقه من الأنبياء والمرسلين ، فيجب الايمان بالكتب وتصديقها كلها وأن من كذب بها كان من أهل النار .

قال - تعالى - (( تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم )) إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ))

وقال - تعالى - (( أله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فما له من هاد ))

وقال تعالى (( ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون . قرآننا عربياً غير ذي عوج لعلمهم يتقون )) .

وقال تعالى (( إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه

ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل )) .

وقال تعالى (( واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتكم  
العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون . أن تقول نفوس يا حسرتي على ما فرطت فسي  
جنب الله وإن كنت لمن الساخرين . أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين  
أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كفرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك  
آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ))

وقال تعالى (( ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليهم آيات ربكم وينذرونكم لقاء  
يومكم هذا قالوا بلى . . . . )) الآية .

هذه المجموعة الكبيرة من الآيات كلها وردت في السورة ، وكلها واضحة  
الدلالة في وجوب الإيمان بالكتب السماوية المنزلة من عند الله - عز وجل - ووجوب  
التصديق بها والعمل بمقتضاها . إذ الإيمان بالكتب معناه " التصديق بأنها  
كلام الله وأن ما تضمنته حق " (١)

فالآيات السبع الأولى : من هذه الآيات كلها توجب الإيمان بالقرآن وقد  
قد منا الكلام عليها تحت عنوان " القرآن كلام الله منزل غير مخلوق " . في " الفصل  
الاول " من الباب الأول ، فليرجع إليه وأما قوله تعالى (( بلى قد جاءتك آياتي  
فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين )) فالمراد بالآيات المذكورة في هذه  
الآية هي الآيات القرآنية والقرآن وغيره من الكتب السماوية قبله التي نزلت  
على الرسل لتبليغها إلى سائر الأمم فقولته - عز وجل - (( بلى قد جاءتك آياتي  
فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين )) رد من قبل الله تعالى على الكافر  
الذي يظهر الحسرة والندامة يوم القيامة بحيث أنه فرط في طاعة الله ، ومع  
ذلك كان من المستهزئين بدين الله في الدنيا ، وكتابه ورسوله وبالمؤمنين  
وحيثما يشاهد العذاب يتملل بما لا طائل تحته فيتمنى لو أن الله أرشده وهداه  
إلى دينه ليتقي الشرك والمعاصي ، ويتمنى الرجعة إلى الدنيا ليكون من الموحدين

لله تعالى المحسنين أعمالهم وهذه من الأمانى الواهية التي يتعلق بها المشركون يوم القيامة فيكون الجواب من قبل الله - عز وجل - على كل مشرك متمن على الله الأمانى الباطلة (( بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها )) بحيث قلت إنها ليست من عند الله ، واستكبرت عن الإيمان بها وذلك كنت في عداد الكافرين .

قال ابن جرير الطبري : (( بلى قد جاءتك آياتي )) يقول : " قد جاءتك حجج من بين رسول أرسلته إليك وكتاب أنزلته يتلى عليك ما فيه من الوعد والوعيد والتذكير ( فكذبت ) بآياتي ( واستكبرت ) عن قبولها واتباعها " أ.هـ (١) .

فالأية دللت على وجوب الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله - عز وجل - وحرمة الكفر بها والإعراض عن قبولها .

وأما قوله - تعالى - (( ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم . . . )) الآية ففيها تأنيب وتقريع لجميع أصناف الكفار الداخلين جهنم من خزنة جهنم ألم تأتكم رسل منكم ومن جنسكم تفهمون عنهم وتعرفون أمرهم ويتلون عليكم آيات ربكم وهي الكتب المنزلة على رسله وحججه التي بعث بها رسله إلى أممهم ؟ فيقول الكافرون مجيبين لخزنة جهنم . أن الرسل جاءهم ولفوهم وحي الله ، ولكنهم كذبوهم وقالوا ما نزل الله من شيء فحقت عليهم كلمة العذاب وهي حكم الله عليهم بالشقاوة وأنهم من أهل جهنم بسوء اختيارهم وشنيع فعلهم الذي فعلوه مع أنبيائهم فالسورة دللت دلالة على وجوب الإيمان بكتب الله وتحريم تكذيبها ولا شك أن من كذب بكتب الله المنزلة على رسله وأنبيائه فإنه كافر بالله العظيم لأنه - تعالى - ربط الإيمان بالكتب بالإيمان به - سبحانه وتعالى - قال - تعالى - (( ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة (٢) )) (والكتاب)

قال ابن كثير: (والكتاب) وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على

( ١ ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤ / ٢١

( ٢ ) سورة البقرة آية / ١٧٧ .

الأنبياء حتى ختمت بأشرفها وهو القرآن المهيم على ما قبله من الكتب الذي انتهى إليه كل خير واشتمل على كل سمادة في الدنيا والآخرة ، ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله " أ. هـ (١) .

فمن كذب بكتب الله المنزلة على رسله كان من الذين اشتروا الضلالة بالهدى والمذاب بالمغفرة بإرادته واختياره أعاننا الله من ذلك .

### وأما كيفية الإيمان بالكتب السماوية السابقة :

فالإيمان بها يكون إجمالا ، وتفصيلا فيجب الإيمان على التفصيل بما سماه الله منها في القرآن الكريم ، والذي سمي لنا منها في القرآن هي :

١ - التوراة وهي الكتاب الذي أنزله الله على كليمه موسى عليه الصلاة والسلام قال تعالى (( إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا واليهانين والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء )) (٢) .

٢ - الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه الصلاة والسلام . قال تعالى : (( وقفنا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدق لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين )) (٣) .

٣ - الزبور الذي أنزله الله على داود عليه الصلاة والسلام . قال تعالى (( وآتيناه داود زبوراً )) (٤) .

٤ - الصحف التي أنزلها الله على إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام والتي أخبر عنها بقوله - جل شأنه - (( أم لم ينبا بما في صفت موسى وإبراهيم الذي وفقى )) (٥)

( ١ ) تفسير القرآن العظيم ٣٦٥/١

( ٢ ) سورة المائدة آية / ٤٤

( ٣ ) سورة المائدة آية ٤٦

( ٥ ) سورة النجم آية / ٣٦ - ٣٥ .

( ٤ ) سورة الاسراء آية / ٥٥

وقال تعالى (( ان هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى )) (١) .

فهذه الكتب يجب الإيمان بها على التفصيل .

وأما الكتب الأخرى التي نزلت على سائر الرسل ، ولم يخبرنا الله - تعالى - بأسمائها وإنما جاء الخبر في كتاب الله أن لكل نبي أرسله الله رسالة بلغها إلى قومه قال تعالى (( كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه )) (٢) . فالواجب الإيمان بهذه الكتب التي لم تسم إجمالاً ، ولا يجوز نسبة كتاب إلى الله - جل وعلا - لم ينسبه إلى نفسه بالإخبار عنه في القرآن العظيم والسنة المطهرة ، كما يجب الإيمان بأن هذه الكتب نزلت من عند الله بالحق والنور والهدى ، وتوحيده الله - سبحانه - في ربهيته وألوهيته ، وأسمائه وصفاته ، وما ألصق بها ما يخالف ذلك إنما هو من تعريف البشر الذين يحرفون الكلم عن مواضعه بسبب ما علق بقلوبهم من مرض الإلحاد ،

قال شارح الطحاوية مبيناً كيفية الإيمان بالكتب السابقة \* وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين فنوّه من بما سعى الله تعالى منها في كتابه ، من التوراة والإنجيل والزيور ، ونوّه من بأن لله - تعالى - سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه لا يصرح أسماؤها وعددها إلا الله تعالى \* أ.هـ (٣) .

وبالجملّة فقد بين الكتاب والسنة أن الإيمان بالكتب أحد أركان الإيمان الستة قال تعالى (( آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله )) (٤) " فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد فرد صمد لا إله غيره ولا رب سواه . ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء ، لا يفرقون بين

( ٢ ) سورة البقرة آية / ٢١٣

( ١ ) سورة الاعلى آية / ١٨-١٩

( ٣ ) شرح الطحاوية ص ٢٥٠

( ٤ ) سورة البقرة آية ٢٨٥ .

أحد منهم ، فيؤمنون ببعض ، ويكفرون ببعض بل الجميع عندهم صاد قون بأرؤن  
راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير ، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض  
بإذن الله حتى نسخ الجميع بشرع محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين  
الذي تقوم الساعة على شريعته \* أهـ (١) .

وقال تعالى (( ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من  
آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين )) (٢) . فجعل الله - سبحانه  
وتعالى - الإيمان هو الإيمان بهذه الجطة وسمى من آمن بهذه الجطة مؤمنين (٣)  
ومن بينها الإيمان بالكتب .

ولقد أوجب الحق - سبحانه - في كتابه الإيمان بجميع الكتب السماوية قال  
تعالى (( يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله  
والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقس  
ضل ضلالاً بعيداً )) (٤) .

إن هذه الآية وحدها كافية في الدلالة على وجوب الإيمان بكتب الله - تعالى -  
على وجه العموم والقرآن الكريم كتاب رب العالمين على وجه الخصوص وإنها أيضاً  
لكافية في الدلالة على تحريم التكذيب بها وعدم التصديق بكل ما ورد فيها ما هو  
وحي الله وكلامه - سبحانه وتعالى - .

وأما دلالة السنة على وجوب الإيمان بالكتب فقد قال صلى الله عليه وسلم في  
الحديث المتفق على صحته وهو حديث جبريل وسواءه للنبي صلى الله عليه وسلم  
عن الإيمان ، فقال : ( أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ، وتؤمن  
بالقدر خيره وشره ) (٥) .

فهذه أصول اعتقت عليها الأنبياء والمرسل طوات الله عليهم وسلامه ولم يؤمن

(٢) سورة البقرة آية ١٧٧/

(١) تفسير ابن كثير ٦٠٨/١

(٤) سورة النساء آية ١٣٦/

(٣) شرح الطحاوية ص ٣٣٢

(٥) صحيح البخاري ١٨/١ ، صحيح مسلم ٣٦-٣٧ .

بها حقيقة الايمان الا أتباع الرسل \* (١) .

قال الحافظ : عند قوله صلى الله عليه وسلم ( أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه  
ورسله ) \* يدل الإجمال في الملائكة والكتب والرسل على الإكتفاء بذلك في الإيمان  
بهم من غير تفصيل ، إلا من ثبتت تسميته فيجب الإيمان به على التعيين . . . . .  
وهذا الترتيب مطابق للآية (( آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه . . . )) الآية (٢) .  
ومناسبة الترتيب المذكور ، وإن كانت الواو لا ترتب بل المراد من التقديم أن الخير  
والرحمة من الله ، ومن أعظم رحمته أن أنزل كتبه إلى عباده والمطقي لذلك منهم  
الأنبياء والواسطة بين الله وبين الملائكة \* أ هـ (٣) .

ولا يهوتنا أن نقول : هنا إنه وإن كان الإيمان بالكتب المنزلة على الأنبياء  
السابقين قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واجبا إلا أنه لا يجوز الأخذ بما في  
أيدي اليهود والنصارى لأنهم قد حرفوا كتب الله المنزلة على أنبيائهم وذمهم الله  
على ذلك وتوعدهم وزجرهم \* (٤) .

ومما تقدم يتبين أن الإنسان مطالب بالإيمان بالكتب السماوية السابقة من  
حيث أنها نزلت من عند الله تعالى ، وأن الإنقياد لها والحكم بها كان فرضا على  
الأمم التي نزلت إليها تلك الكتب ، كما يجب الإيمان بأن تلك الكتب السماوية يصدق  
بعضها بعضها كما قال تعالى في شأن الانجيل (( وصدقا لما بين يديه من  
التوراة )) (٥) كما يجب على الانسان أن يؤمن بأن من الشرائع اللاحقة ما هو  
ناسخ للشرائع السابقة إما جزئيا أو كليا .

قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام بأنه كان من المؤمنين بالتوراة وناسخا  
لبعضها (( وصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم )) (٦)

( ١ ) شرح الطحاوية ص ٣٣٣ ( ٢ ) سورة البقرة آية ٢٨٥ /

( ٣ ) الفصح ١١٨ / ( ٤ )

( ٤ ) انظار المنهاج في شعب الايمان للحلي ١ / ٣٢٢ - ٣٢٣ .

( ٥ ) سورة المائدة آية ٤٦ /

( ٦ ) سورة آل عمران آية ٥٠ /



قال ابن كثير حول هذه الآية : ( فيه دلالة على أن عيسى عليه السلام  
نسخ بعض شريعة التوراة وهو الصحيح من القولين )<sup>(١)</sup>

وقد بين تعالى أن القرآن نسخ ما في التوراة والإنجيل ، قال  
تعالى ( الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في  
التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم  
عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم )<sup>(٢)</sup> .

---

( ١ ) تفسير القرآن العظيم ٤٠ / ٢

( ٢ ) سورة الأعراف آية / ١٥٧ .

## ( المبحث الثاني )

## كيفية الإيمان بالقرآن

تقدم معنا فيما سبق أنه يجب على المرء أن يؤمن بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، وأن الله تكلم به حقيقة ، وأن هذا القرآن الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم كلامه تعالى حقيقة لا كلام غيره .

إلا أنه يجب مع هذا الإيمان بالإيمان بأنه آخر الكتب السماوية ، وأنه مهين عليها وقد خصه الله بجزية الحفظ من التفسير والتبديل والتحريف ، ويجب على كل شخص أن يقربها فيه ، ويثمه ويتسك به ظاهرا وباطنا ، وأن يقوم بحقه .

قال شارح الطحاوية : " وأما الإيمان بالقرآن ، فالإقرار به ، واتباع ما فيه وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب " (١) وقد تميز القرآن الكريم عما سبقه من الكتب المنزلة بزايا من أهمها :

١ - أنه جمع التعاليم الربانية ، وجاء مؤيدا لما جاء في تلك الكتب السابقة من توحيد الله - عز وجل - وعبادته ، ووجوب طاعته وجمع كل ما كان مفردا في تلك الكتب من المعاسن والفضائل وجاء مهينا عليها ورفيها بقرا ما فيها من حق ، وبين ما دخل فيها من التحريف والتغيير قال تعالى (( وأنزلنا إليك الكتاب بالحق صدقا لما بين يديه من الكتاب ومهينا عليه )) (٢) فقد جاء بشريعة عامة لبني الإنسان فيها كل ما يحتاجون إليه ، وما يلزمهم لسعادتهم في الدنيا والآخرة ، ونسخ الله به جميع الشرائع العظيمة الخاصة بالأمم السابقة ، وأثبت الأحكام النهائية الخالدة التي تصلح لكل زمان ومكان .

فمضى قوله تعالى في الآية السابقة ( ومهينا عليه ) أي : مؤتمنا وشاهدا

على ما قبله من الكتب ، وصدق لها يعني : يصدق ما فيها من الصحيح وينفي ما فيها من التحريف ، والتبديل والتفسير ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير<sup>(١)</sup> .

٢ - أن القرآن الكريم هو الكتاب الإلهي الوحيد الذي ضمن الله حفظه وصانه ممن عهد البشر قال تعالى (( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ))<sup>(٢)</sup> وقال تعالى (( وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ))<sup>(٣)</sup> قال ابن كثير عند قوله تعالى (( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون )) " ثم قرر تعالى أنه هو الذي أنزل عليه الذكر وهو القرآن وهو الحافظ له من التفسير والتبديل " أ . هـ<sup>(٤)</sup>

" فمن أجاز أن يتمكن أحد من زيادة شيء في القرآن ، أو نقصانه منه ، أو تحريفه ، أو تبديله ، فقد كذب على الله تعالى في خبره ، وأجاز وقوع الخلف فيه وذلك كفر . . . . . فصح أن من تمام الإيمان الاعتراف بأن جميعه هذا ، المتوارث خلفا عن سلف لازيادة فيه ولا نقصان<sup>(٥)</sup> . ومزية الحفظ هذه للقرآن الكريم متفرغة عن مزية أخرى وهي أن هذا الكتاب العظيم أنزله الله للبشرية جمعا وليس خاصا بأمة معينة ، أو قوم معينين كما كان الحال في الكتب السابقة وكان حفظه من التحريف والتفسير والتبديل الذي يحصل من البشر المباشرين لكي يبقى ما تضمنه حجة قائمة على الناس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

أما الكتب السماوية الأخرى ، فكانت تنزل ويوجه الكلام الذي تتضمنه إلى أمم مخصوصة دون سائر الأمم وإن اتفقت في أصل الدين إلا أن أحكامها وشرائعها خصت بأزمنة معينة ، وأقوام معينين قال تعالى (( لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ))<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) أنظر جامع البيان ٢٦٦/٦ وما بعدها ، تفسير القرآن العظيم ٥٨٦/٢ - ٥٨٧ ، فتح القدير ٤٧/٢ - ٤٨ ، ( ٢ ) سورة الحجر آية ٩ ، ( ٣ ) سورة فصلت آية ٤١ - ٤٢ ، ( ٤ ) تفسير القرآن العظيم ١٥٤/٤ ، ( ٥ ) كتاب المنهاج في شعب الإيمان للحلي ٣٢٠/١ ، ( ٦ ) سورة المائدة آية ٤٨ .

قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قوله (( لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ))  
يقول : سهيلا وسنة ، والسنن مختلفة ، هي في التوراة شريعة ، وفي الإنجيل  
شريعة ، وفي الفرقان شريعة يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من  
يطيعه من يحميه والدين الذي لا يقبل الله غيره . التوحيد والإخلاص لله  
الذي جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام (١) .  
وتلك الشرائع التي سبقت القرآن لم يضمن الله حفظها على مدى الأزمان كما  
هو الشأن في القرآن ، بل أخبرنا - سبحانه - بما طرأ على تلك الكتب من  
التحريف .

فمن تحريف اليهود وتغييرهم الذي أدخلوه في التوراة قال تعالى ((أفتطمعون  
أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما  
عقلوه وهم يعلمون )) (٢) وقال تعالى (( من الذين هادوا يحرفون الكلم عن  
مواضعه )) (٣) .

وأما عن تحريف النصارى الذي أدخلوه على الإنجيل فقد قال تعالى  
(( ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا  
بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبتهم الله بما كانوا يصنعون  
يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا ببين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب  
ويمضو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين )) (٤) .

ومن التحريفات الباطلة التي أحدثها اليهود والنصارى في دينهم ما زعمه  
اليهود في العزيز من أنه ابن الله وما زعمه النصارى في المسيح أنه ابن الله  
تعالى الله عن قولهم جميعا علوا كبيرا .

(١) تفسير ابن كثير ٥٨٦/٢

(٢) سورة البقرة آية ٧٥

(٣) سورة النساء آية ٤٦

(٤) سورة المائدة آية ١٤-١٥ .

ولقد ذكر الله في القرآن هذا الانحراف وأكذبهم فيه ولعنهم عليه . قال تعالى (( وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قائلهم الله أنى يؤفكون))<sup>(١)</sup> وقد بين الله تعالى فساد هذا المعتقد ونزه نفسه عنه فقال تعالى (( قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ))<sup>(٢)</sup> .

وأخبر - سبحانه - بأن الرسل جميعهم بشر اختصهم الله بالوحي ومنحهم من الكمال ما يجعلهم أهلاً لتلقي الوحي وتبليغه لغيرهم من الخلق قال تعالى مخاطباً رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً))<sup>(٣)</sup> .

ومن تعريف النصارى الذي جنوه على دينهم زعم بعضهم بأن عيسى اله قال تعالى (( لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ))<sup>(٤)</sup> وقول بعضهم بالتثليث قال تعالى (( لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله إلا اله واحد ))<sup>(٥)</sup> .

فقد بين القرآن الكريم أن هذا تعريف منهم للمقيدة الصحيحة كما بين الاعتقاد الصحيح في عيسى عليه السلام وأمه قال تعالى (( ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ))<sup>(٦)</sup> .

والحق الذي لا يقبل الجدل ولا النزاع أنه لا يوجد على وجه الدنيا بأسرها كتاب تصح نسبته إلى الخالق - جل وعلا - سوى القرآن الكريم وهذه حقيقة لا يمارى فيها عاقل يدل على صحة هذه الحقيقة أدلة حسية إضافة إلى ما

- |                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| ( ١ ) سورة التوبة آية / ٣٠  | ( ٢ ) سورة الإخلاص          |
| ( ٣ ) سورة الكهف آية / ١١٠  | ( ٤ ) سورة المائدة آية / ٧٢ |
| ( ٥ ) سورة المائدة آية / ٧٣ | ( ٦ ) سورة المائدة آية / ٧٥ |

أخبر به القرآن الكريم من التحريف الواقع في الكتب التي يدعي اليهود والنصارى نسبتها إلى موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ومن هذه الآلة :

١ - أن الكتب التي أنزلها الله قبل القرآن قد فقدت نسخها الأصلية ، ولم يبق في أيدي الناس إلا تراجمها . أما القرآن الكريم فإنه ما زال محفوظا ، سورة وآياته وكلماته وحركاته كما ألقاه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكما بلغه المصطفى صلى الله عليه وسلم لصحابته الراشد بن رضوان الله عليهم أجمعين ،

٢ - أن تلك الكتب قد اختلط فيها كلام الله تعالى بكلام البشر من سير الأنبياء وتاريخهم وذكر تلاميذهم ، واستنباطات علمائهم حتى أصبح كلام الله فيها لا يميز من كلام الأخبار والرهبان أما القرآن الكريم فإنه جميعه كلام البشري - سبحانه - ولم يختلط به غيره من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أقوال الصحابة أو غيرهم <sup>(١)</sup> جاء في " كتاب الوفاء بأحوال المصطفى " قال أبو الوفاء علي بن عقيل : إذا أردت أن تعلم أن القرآن ليس من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما هو ملقى عليه ، فانظر إلى كلامه كيف يمتاز عن القرآن ، وتلمح ما بين الكلامين والأسلوبين ومعلوم أن كلام الإنسان يتشابه ، وما للنبي صلى الله عليه وسلم كلمة تشاكل القرآن " وقال أيضا : " ومن إعجاز القرآن أنه لا يمكن أحد أن يستخرج منه آية قد أخذ معناها من كلام قد سبق فإنه ما زال الناس يكشف بعضهم عن بعض ، فيقال مثلا : المتسبي أخذ من البحتری " <sup>(٢)</sup> .

٣ - إن تلك الكتب المنزلة على الأنبياء السابقين ليس فيها كتاب تصح نسبتها إلى الرسول الذي ينسب إليه فليس لأي كتاب منها سند صحيح متصل إلى ذلك النبي حتى يوثق بنسبته إليه فالأسفار الموجودة التي تسمى بالصحف القديمة ، ويطلقون عليها اسم " التوراة " إنما كان تدوينها بعد موسى عليه الصلاة والسلام

( ١ ) أنظر ص ٩١ من الإسلام للمودودي ص ٩١

( ٢ ) الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزي ٢٧٠/١ .

وأما القرآن الكريم فهو الكتاب الوحيد الذي ثبتت نسبه بصورة قطعية إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقد نقل إلينا هذا القرآن بسوره وآياته وطريقة ترتيبها ، وكيفية تلاوته إلى كل عصر جاء بمد عصر نزوله بالتواتر بحيث لا يشك في أن القرآن الذي نتلوه هو الذي نزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (١)

٤ - من الأدلة على وقوع التحريف في تلك الكتب كثرة نسخها وتعدد ما واختلفها فيما اشتطت عليه من أقوال وآراء (٢) .

٥ - ومن القرائن القوية القاطعة على وقوع التحريف في هذه الكتب ما تضمنته من العقائد الباطلة ، والتصورات الفاسدة عن - الباري جل وعلا - وعن رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام فإنه يوجد فيها تشبيه الخالق بالمخلوق ، والطمع في الأنبياء بما ليس كرامتهم ويتنافى مع عصمتهم (٣) وذلك من أعظم الأدلة وأقواها

( ١ ) انظر " مبادئ الإسلام للمودودي ص ٩١-٩٢ .

( ٢ ) قال السيد سابق " ويكفي لصحة التذليل على التحريف في الأناجيل المتداولة بأيدي النصارى الآن - أنها أربعة أختيرت من نحو سبعمائة إنجيلا وهذه الأناجيل تناولت الكتابة عن سيرة عيسى عليه السلام ومولفوها معروفون وأسماؤهم مكتوبة عليها وقد قرر نقاد المسيحيين أنفسهم أن عقائد الأناجيل هي رأى بولس دون سائر الحواريين ، ودون أقرب الأقربين إلى عيسى وقد وجد في مكتبة أمير من الأمراء في باريس نسخة من إنجيل " برنابا " وقد طبعت " مطبعة المناز " بعد ترجمته إلى العربية وهو يخالف الأناجيل الأربعة مخالفة كبيرة " أ. هـ

انظر " العقائد الإسلامية " ص ١٦٨ .

( ٣ ) من ذلك ما جاء في التوراة المتداولة عند هم فإنه قد جاء في سفر التكوين " وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا بالخير والشر " وفيه أيضا " فحزن الرب أنه عمل الإنسان وتأسف في قلبه " وما جاء فيه ما ليس شكري الأنبياء ويتنافى مع عصمتهم ما قالوه عن إبراهيم عليه السلام أنه كذاب وأن لوطا زنى بابنتيه " وفي سفر الخروج : " زعموا أن هارون دعا الإسرائيليين إلى عبادة العجل " وفي سفر صموئيل الثاني " زعموا أن داود زنا " وفي سفر الطوك الأول : " زعموا أن سليمان عبد الأصنام إرضاء لبعض نساائه " أنظر هذه التحريفات الفاسدة في " العهد القديم " من " الكتاب المقدس " ص ٧ و ١٠ و ١٩ و ص ٢٩ و ١٤٠ و ٤٩٨ و ٥٥٣ - ٥٥٤ وهذه المفترجات من أقسى الأدلة وأظهرها على التحريف الذي غيروا به كتب الله المنزلة على أنبيائهم .

على أن ذلك من وضع البشر الذين اتبعوا أهواءهم وعبدوا شيطانهم .

والذي نخلص إليه مما تقدم أن الإيمان بالكتب السماوية الإلهية أحد أركان الإيمان التي بنيت عليها العقيدة الإسلامية ، فلا إسلام صحيح ولا إيمان ثابت لا حد حتى يؤمن بالإيمان الجازم بأنها نزلت من عند الله ، وأنها كلامه تكلم بها حقيقة على ما يليق بجلاله ، ويزاد في القرآن الكريم على ذلك أنه خاتمة الكتب والمهيمن عليها ، والمعجزة الخالدة ، وأن كل لفظ فيه محفوظ ، ويجب الإقرار بما فيه ، واتباع أمره ، واجتناب نهيه ، وتصديق خبره ، ورفض كل ما يخالفه ، ويخالف سنة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال عليه الصلاة والسلام ( والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار )<sup>(١)</sup>

(٢- رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ١٣٤/١ .



## الفصل الثالث

(( الفصل الثالث ))

دلالة السورة على وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل

ويشتمل على المباحث الآتية :

- المبحث الأول : تعريف النبي والرسول والفرق بينهما .
- المبحث الثاني : كيفية الإيمان بالأنبياء والسابقين .
- المبحث الثالث : كيفية الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم .
- المبحث الرابع : ما يجب للرسل ، وما يجوز عليهم .
- المبحث الخامس : موضوع الرسائل السماوية .

## ( البحث الأول )

تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

أولاً : تعريف النبي والرسول :

النبي في اللفظة : مشتق من النبأ وهو الخبر قال تعالى (( عم يتساءلون عن النبأ العظيم ))<sup>(١)</sup> وإنما سمي النبي نبياً لأنه مخبر ، مخبر فهو مخبر بمعنى أن الله أخبره وأوحى إليه قال تعالى (( قالت من أنباءك هذا قال نبأني الملائكة الخبير ))<sup>(٢)</sup> ، ومعنى كونه مخبراً فهو يخبر عن الله تعالى بأمره ووحيه قال تعالى (( نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم ))<sup>(٣)</sup> .

وقيل : إن النبوة مشتقة من " النبوة " وهي المكان المرغوع من الأرض ، وتطلق العرب لفظ النبي على علم من أعلام الأرض التي يهتدي بها ، والرابط بين لفظ النبي والمعنى اللفظي واضح ذلك أن النبي ذو رفعة وقدرة عظيم في الدنيا والآخرة ، فالأنبياء كما هو معلوم أشرف خلق الله وهم الأعلام التي يهتدي بها العباد فيما يكون فيه صلاح دينهم ودنياهم<sup>(٤)</sup> .

- تعريف النبي في الاصطلاح :

النبي في الاصطلاح : هو الذي ينثه الله بأن يعمل بشريعة من قبله ولم يرسل إلى كفار خالفوا أمر الله ليبلغهم رسالة من الله إليهم وقد يوحى إليه وحي خاص في قصة معينة فالأنبياء بأنتهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين بهم<sup>(٥)</sup> .

- وأما تعريف الرسول في اللفظة :

فالإرسال في اللفظة : هو التوجيه<sup>(٦)</sup> فإذا بعثت شخصاً في القيام بمهمة ما

(٢) سورة التحريم آية ٣ /

(١) سورة النبأ آية ١-٢

(٣) سورة الحجر آية ٤٩ /

(٤) الصحاح للجوهري ٦/٢٥٠٠ ، لسان العرب ١٥/٣٠٢ ، الصحاح المنير ٢/٥٩١ ،

(٥) كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، طبع دار القلم بيروت - لبنان

(٦) لسان العرب ١١/٢٨٣ وانظر الصحاح للجوهري ٤/١٧٠٩ ، الصحاح المنير ١/٢٢٦

فهو رسولك قال تعالى حكاية عن ملكة سبا (( واني مرسله الميم بهدية فناظرة  
بم يرجع المرسلون )) (١) .

فالرسل : إنما سموا بذلك لأنهم وجهوا من قبل - الباري جل وعلا - قال  
تعالى (( ثم أرسلنا رسلنا تنورا )) (٢) قال ابن عباس يتبع بعضهم بعضا أ. هـ (٣)  
فالله تعالى بعث رسله برسالة معينة وكلفهم بعلمها وأمرهم بتبليغها إلى الناس .

### - تعريف الرسول في الاصطلاح :

الرسول في الاصطلاح : " هو الذي ينشئه الله ، ثم يأمره بأن يبلغ رسالته من  
خالق أمره كنوح فقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض وقد  
كان قبله أنبياء كشميت وإدريس وقبلهما آدم كان نبيا ملكيا " (٤)

### ثانيا : الفرق بين النبي والرسول :

لا يصح قول من يقول أنه لا فرق بين النبي والرسول ، إذ القرآن شاهد بعدم  
صحة هذا القول حيث ورد في كتاب الله العزيز عطف النبي على الرسول قال  
- تعالى - (( وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان  
في أميته )) (٥) . وأيضا وصف الله - تعالى - بعض الرسل بالنبوة والرسالة وهذا  
يدل على أن الرسالة أمر يأتى على النبوة كقوله - تعالى - في شأن موسى عليه  
الصلاة والسلام (( واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا )) (٦)  
والذى شاع عند أهل العلم أن الرسول أعم من النبي : قال شارح الطحاوية  
بعد أن ذكر الفرق بين النبي والرسول " ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها  
فالنبوة جزء من الرسالة إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف الرسل ، فإنهم  
لا يتناولون الأنبياء وغيرهم بل الأمر بالعكس ، فالرسالة أعم من جهة نفسها ،

( ١ ) سورة النمل آية / ٣٥ ( ٢ ) سورة المؤمنون آية / ٤٤

( ٣ ) تفسير ابن كثير ٢٠ / ٥

( ٤ ) النبوات للشيخ الاسلام ابن تيمية ص ٢٥٥

( ٥ ) سورة الحج آية / ٥٢ ( ٦ ) سورة مريم آية / ٥١

وأخص من جهة أهلها " أ. هـ (١) ،

وجاء في لوامع الانوار البهية في تعريفه للنبي : قال : " وهو إنسان أوحى إليه بشرع وان لم يؤمر بتبليغه فان أمره بتبليغه فهو رسول أيضا على المشهور فبين النبي والرسول عموم وخصوص مطلق ، فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا ، والرسول أفضل من النبي إجماعا لتمييزه بالرسالة التي هي أفضل من النبوة على الأصح " أ. هـ (٢) ،

وما ذكره شارح الطحاوية وصاحب لوامع الأنوار فيه بعد الأمرين :

الأمر الأول : أن الله - تعالى - أخبر بأنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل قال تعالى (( وما أرسلنا من رسول ولا نبي )) (٣) . ولو كان الفرق بينهما إنما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبي أن يبلغ ما أنزل الله إليه من الوحي .

الأمر الثاني : روى مسلم في صحيحه من حديث : أن النبي صلى الله عليه <sup>ابن عباس</sup> وسلم قال : ( عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعهم الرهط ، والنبي ومعهم الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد . . . الحديث (٤) فهذا الحديث دل على أن الأنبياء أمرهم الله بتبليغ ما أوحاه إليهم وأنه حصل بينهم تفاوت في الاستجابة لهم من قبل أممهم .

والتصريف الراجح هو ما قرره شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى ، حيث قال " فالنبي هو الذي ينبئه الله وهو نبي " بما أنبأ الله به فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله لتبليغه رسالة من الله إليه فهو رسول .

وأما إذا كان إنما يحمل بالشريعة قبله ، ولم يرسل هو إلى أحد يبليغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول " أ. هـ (٥) .

- |       |                                            |       |             |
|-------|--------------------------------------------|-------|-------------|
| ( ١ ) | شرح الطحاوية ص ١٦٧                         | ( ٢ ) | ٤٩ / ١ - ٥٠ |
| ( ٣ ) | سورة الحج آية / ٥٢                         | ( ٤ ) | ١٩٩ / ١     |
| ( ٥ ) | النبوات ص ٢٥٥ وانظر تفسير الألوسي ١٧ / ١٧٣ |       |             |

وما يوكد هذا أن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء كما توفي نبي بعث الله بعده نبيا آخر كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام (١) .  
 وأنبياء بني إسرائيل من بعد موسى كانوا يحكمون بالثورة قال تعالى (( إنا أنزلنا الثورة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والبرانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله ، وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون )) (٢) .  
 وقال تعالى (( ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا . . . )) الآية (٣) .

فالأيتان دللتا على أن النبي يوحى إليه شيء من السماء ويوجب على قومه أمرا ، وهذا لا يحصل إلا بعد أن يجب عليه التلميح .

( ١ ) أنظر صحيح البخارى مع الفتح ٦ / ٤٩٥

( ٢ ) سورة المائدة آية / ٤٤

( ٣ ) سورة البقرة آية / ٢٤٦ .

## ( البحث الثاني )

## كيفية الإيمان بالأنبياء السابقين

قبل أن نبين كيفية الإيمان بالأنبياء والمرسلين السابقين الذين بعثهم الله إلى أممهم قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نذكر الآيات التي جاءت في سورة " الزمر " التي دللت على وجوب الإيمان بالأنبياء والمرسلين مع بيان وجه دلالتها على ذلك .

قال تعالى (( ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ))

وقال تعالى (( وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجي بالنبيين والشهداء ))

وقال تعالى (( ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ))

فهذه الآيات الثلاث من السورة دللت على أن الله تعالى أرسل رسلا وأنبياء إلى جميع خلقه ليبلغهم ما أوحاه إليهم من النور والهدى الذي يسعدهم في دنياهم وأخراتهم فيجب الإيمان بهم ووجه دلالة الآيات الثلاث على وجوب الإيمان بهم تتضح بما يلي :

فالأية الأولى : هي قوله تعالى (( ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين )) فيها الإخبار المؤكد من الله - تعالى - بأنه أوحى إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإلى من سبقه من إخوانه الأنبياء والمرسلين بخطرورة الشرك وأنه محبط ، ومبطل لكل أعمال العبد متى تلبس به .

وأما الآية الثانية : وهي قوله تعالى (( وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجي بالنبيين والشهداء )) الآية . ففيها الإخبار من الله

- تعالى - بأن أرض المحشر ستضيء بنوره إذا تجلى لفصل القضاء بين الخلائق ويوضع كتاب الأعمال ويوتى بالنبئين ليشهدوا على أممهم بأنهم بلغوهم رسالات الله - تعالى - لإقامة الحجة على المنكرين والمكذبين من الأمم .

قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما (( وجىء بالنبئين )) قال يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله <sup>(١)</sup> .

وأما الآية الثالثة ؛ وهي قوله تعالى (( ألم يأثمكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم )) الآية ففيها إخبار من المولى - جل وعلا - بأن خزنة جهنم من ضمن توبيخهم لأصناف الكفار الداخلين جهنم توبيخهم لهم بقولهم ؛ ألم تجئكم رسل من جنسكم يمكنكم مخاطبتهم والأخذ عنهم وأقاموا عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعواكم إليه وحذروكم شر هذا اليوم ؟ فيكون الجواب منهم بأن الرسل جاءهم وهم وأنذروهم وأقاموا عليهم الحجج والبراهين ولكنهم كذبوهم كما قال - تعالى - (( قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير )) <sup>(٢)</sup> فهذه الآيات الثلاث المتقدمة من السورة دللت على وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل ومعنى الإيمان بالأنبياء والرسل الاعتقاد الجازم بأن الله - جل وعلا - أرسل رسلا من البشر ليرشدوا الخلق إلى ما بهمهم في معاشهم ومعادهم فقد اقتضت حكمة الحكيم العليم أن لا يترك خلقه سدى ، بل أرسل إليهم رسلا مبشرين بنوايه ومنذرين عقابه وقد قاموا بتبليغ ما أمرهم الله بتبليغه من تنزيه لذاته وتبيين لأحكامه من أوامر ونواهي فيجب على كل مسلم وسلمة أن يعتقد وجوب تصديقهم في أنهم يبلغون ذلك عن الله - تعالى - .

ويعتقد وجوب اقتداء أممهم بهم في سيرهم ، وأن يأتمروا بما أمروا به ويكفوا عما نهوا عنه .

وأن يعتقد بأنهم مؤيدون بالمعجزات الإلهية الدالة على صدق دعواهم

( ١ ) جامع البيان ٣٣/٢٤ ، تفسير ابن كثير ١١١/٦

( ٢ ) سورة الطك آية ٩/



أنهم أنبياء الله ورسوله .

أما كيفية الإيمان بالأنبياء والمرسلين :

فيجب الإيمان على التفصيل بمن سمي الله - تعالى - في كتابه من رسله  
وأنبيائه ويجب الإيمان إجمالاً بمن لم يسم الله - تعالى - منهم فإن لله رسلاً  
وأنبياء لا يعلم عددهم وأسماءهم إلا هو - تعالى - .

قال تعالى (( ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من  
لم نقصص عليك ))<sup>(١)</sup> وقال تعالى (( وان من أمة إلا خلا فيها نذير ))<sup>(٢)</sup> وقال  
- عز شأنه - (( ولكل أمة رسول ))<sup>(٣)</sup> والذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم من  
الأنبياء والمرسلين خمسة وعشرون وهم : آدم ، ونوح ، وإدريس ، وإسحاق ،  
وإبراهيم ، وهود ، ولوط ، ويونس وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب  
وموسى وهارون واليسع وزدو الكفل وداود وزكريا وسليمان وإلياس ويحيى وعيسى  
ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين .

وقد ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى (( وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم  
على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ، ووهبنا له إسحاق ويعقوب  
كلهما نبيا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى  
هارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين  
واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ))<sup>(٤)</sup> .

وورد ذكر الباقيين في مواضع متفرقة من القرآن قال تعالى (( وإلى عاد أخاهم  
هودا ))<sup>(٥)</sup> وقال تعالى (( وإلى ثمود أخاهم صالحا ))<sup>(٦)</sup> وقال تعالى (( وإلى  
مدين أخاهم شعيبا ))<sup>(٧)</sup> وقال تعالى (( ان الله اصطفى آدم ونوحا ))<sup>(٨)</sup> وقال  
تعالى (( واسماعيل وإدريس وزاد الكفل كل من الصابرين ))<sup>(٩)</sup> وقال - عز وجل -

- |                                |                              |
|--------------------------------|------------------------------|
| ( ٢ ) سورة قاطر آية / ٢٤       | ( ١ ) سورة غافر آية / ٧٨     |
| ( ٤ ) سورة الأنعام آية / ٨٣-٨٦ | ( ٣ ) سورة يونس آية / ٤٧     |
| ( ٦ ) سورة الاعراف آية / ٧٣    | ( ٥ ) سورة الاعراف آية / ٦٥  |
| ( ٨ ) سورة آل عمران آية / ٣٣   | ( ٧ ) سورة الاعراف آية / ٨٥  |
|                                | ( ٩ ) سورة الانبياء آية / ٨٥ |

(( محمد رسول والذين معه أشد على الكفار رحما بينهم ))<sup>(١)</sup> فهو لا الأنبياء  
والرسل يجب الإيمان بهم إيمانا تفصيليا بحيث لو عرض على إنسان واحد منهم  
لم ينكر نبوته ولا رسالته إذ من أنكر نبوة واحد منهم أو رسالته فهو كافر بالله  
المعظم ، أما الأنبياء الذين لم يقصصهم الله علينا فالواجب علينا الإيمان بهم  
إجمالا . ولهم لأحد أن يقول بنبوة أحد أو رسالته طالما أن القرآن لم يذكره  
في عداد من ورد ذكرهم من الأنبياء والمرسلين ولم يأتنا الإخبار بنبوته عن  
طريق الرسل صلى الله عليه وسلم ،

### أولو المعزم من الرسل :

ذكر كثير من العلماء أن أولي المعزم من الرسل هددهم خمسة<sup>(٢)</sup> وهم :  
محمد صلى الله عليه وسلم وإبراهيم وموسى ، ونوح ، وعيسى عليهم أفضل  
الصلاة والسلام وهو لا الرسل جمعهم الله في آيتين من كتابه ، قال تعالى ((وان  
أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم))<sup>(٣)</sup>  
وقال تعالى (( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما  
وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ))<sup>(٤)</sup>

( ١ ) سورة الفتح آية ٢٩ /

( ٢ ) جامع البيان ٣٧ / ٢٦ ، تفسير ابن كثير ٢٠٧ / ٦

( ٣ ) سورة الاحزاب آية ٧ /

( ٤ ) سورة الشورى آية ١٣ /

## ( المبحث الثالث )

## كيفية الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم

قال شارح الطحاوية رحمة الله تعالى : " وأما الإِيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فتصد يقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً " أ . هـ (١)

فيجب علينا أن نؤمن بأن محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم نبي الله ورسوله وعبد ه وصفيه فلم يعبد صنما ولم يشرك بالله طرفة عين " (٢) .

وقال ابن قدامة رحمه الله تعالى " ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وسيد المرسلين لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته ولا يقضى بين الناس في يوم القيامة إلا بشفاعته ، ولا تدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته ، صاحب لواء الحمد والمقام المحمود والحوض المورود وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم ، أمته خير الأمم " (٣)

فيجب على الإنسان أن يؤمن بأنه خاتم الأنبياء لقوله - تعالى - (( ولكن رسول الله وخاتم النبيين )) (٤) فالآية نصت على أنه لا نبوة بعده صلى الله عليه وسلم وكل من ادعاه بعده فهو كذاب لقوله صلى الله عليه وسلم ( وأنه سيكون في أمستي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدى ) (٥) .

كذلك يجب الاعتقاد الجازم بأنه عليه الصلاة والسلام إمام المتقين الذي يقتدى به في الخير كله وأنه وحده الجدير بأن يقتدى به وتأسى به دون سواه .

قال تعالى (( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله )) (٦) .

ويجب الإِيمان بأنه خليل الرحمن ، وأن له أعلا مراتب محبة الله - عز وجل -

( ١ ) ص ٣٤٩

( ٢ ) الفقه الأكبر مع شرحه لملاطي القارى ص ٩٦

( ٣ ) لمعة الاعتقاد ص ٢٥ (٤) سورة الاحزاب آية / ٤٠

( ٥ ) صحيح مسلم ٤ / ٢٢٤٠ ، سنن أبي داود ٢ / ٤١٤ ، سنن الترمذى ٣ / ٣٣٨ ، المسند ٥ / ٤١

( ٦ ) سورة آل عمران آية / ٣١

فقد قال عليه الصلاة والسلام ( لو كنت متخذاً خليلاً لا اتخذت أباً بكر خليلاً ولكنى  
أخي وصاحبي وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلاً )<sup>(١)</sup> . ويجب الاعتقاد الجازم  
بأنه عليه الصلاة والسلام بعثت إلى عامة النور بالحق والهدى قال تعالى (( وما  
أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ))<sup>(٢)</sup> وقد حكى الله عن الجن أنهم قالوا :  
(( يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ))<sup>(٣)</sup>  
قال شارح الطحاوية : " وكونه صلى الله عليه وسلم بعثت إلى الناس كافة معلوم من  
دين الإسلام بالضرورة " أ. هـ .<sup>(٤)</sup>

ويجب على كل مسلم أن يقدم محبته عليه الصلاة والسلام على الوالد والولد  
والنفس لقوله صلى الله عليه وسلم ( لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده  
وولده والناس أجمعين )<sup>(٥)</sup> .

ويجب الإيمان بأن الله - تعالى - أجرى على يده صلى الله عليه وسلم معجزات  
باهرات ، وآيات بينات إذا تأملها من يريد الحق دلت على أنها شهادة صادقة  
من قبل الله - عز وجل - لرسوله صلى الله عليه وسلم بأنه رسول الله حقا . ومعجزاته  
صلى الله عليه وسلم كثيرة جدا ألقت فيها مؤلفات مستقلة ، وتناولها علماء التوحيد  
والتفسير ، والحدِيث والتاريخ بالشرح والبيان ، ومن تلك المعجزات التي دلت  
على صدقه صلى الله عليه وسلم ما يأتي :

#### ١ - المعجزة المظلمى :

من أعظم المعجزات التي أعطيها رسولنا صلى الله عليه وسلم - القرآن الكريم -  
الذى يخاطب النفوس والمقول ، وهو الآية الباقية الدائمة إلى يوم الدين لا  
يحترمه التفسير والتبديل (( وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من  
خلفه تنزيل من حكيم حميد ))<sup>(٦)</sup> . وقد تحدى الله بهذا الكتاب أرباب

( ١ ) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥٢/١٥ من حديث ابن سمعون رضي الله عنه .  
( ٢ ) سورة سبأ آية / ٢٨ ( ٣ ) سورة الاحقاف آية / ٣١  
( ٤ ) شرح الطحاوية ص ١٢٨  
( ٥ ) صحيح البخارى ١٢/١ ، صحيح مسلم ٦٢/١ من حديث أنس رضي الله عنه .  
( ٦ ) سورة فصلت آية / ٤١-٤٢ .

الفصاحة ، وقادة البلاغة من العرب ، فقد كانت البلاغة والفصاحة وجودة القول هي بضاعتهم وقد تصدوا لمعاداة دعوة الإسلام ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ولكن رغم فصاحتهم وبلاغتهم تعداهم الله عن أن يأتوا بشيء من مثله ، ولكنهم عجزوا عن ذلك قال تعالى (( وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ )) (١) .

## ٢ - انشقاق القمر :

ومن المعجزات التي أهد الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر فقد سأل أهل مكة الرسول عليه الصلاة والسلام آية فانشق القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما ، وقد كان القمر حين انشقاقه بدرا ، وقد ذكر الله هذه الآية العظيمة في كتابه فقال عز وجل (( اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر )) (٢) .

وقد نقل العلامة ابن كثير : " إجماع المسلمين على وقوع هذه الآية ، كما ذكر أنه قد وردت أحاديث متواترة من طرق متعددة في انشقاق القمر " (٣)

وقد شاهد هذه المعجزة الناس في أرجاء الجزيرة العربية ، فإن أهل مكة لم يصدقوا وقالوا : سحرنا محمد ، ولكنهم استمروا قائلين : أنظروا ما يأتيكم به المسافرون فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس جميعهم وفي اليوم الثاني سألوا من وفد إليهم ، من خارج مكة ، فأخبروهم أنهم قد رأوه .

وقد شاهد الناس انشقاق القمر في خارج جزيرة العرب . قال ابن كثير : " وشوهد انشقاقه في كثير من بقاع الأرض ، ويقال إنه أرخ ذلك في بعض بلاد الهند ، وبني بناء في تلك الليلة وأرخ بلبلة انشقاق القمر " (٤) .

( ١ ) سورة البقرة آية / ٢٣-٢٤

( ٢ ) البداية والنهاية ٣ / ١٣٠

( ٤ ) البداية والنهاية ٣ / ١٣٢ .

( ٢ ) سورة القمر آية / ١ - ٢

٣ - تسليم الحجر :

ومن المعجزات التي أيد الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم أنه كان حجر  
بحكة يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته .

فقد روى مسلم بإسناده إلى جابر بن سمره قال : قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم إنني لأعرف حجرا بحكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إنني لأعرفه الآن (١) .

٤ - حنين الجذع :

جاء في صحيح البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : كان النبي صلى  
الله عليه وسلم يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فعن الجذع فأتاه  
فسح يده عليه " وفي رواية أخرى عنه " فلما صنع له المنبر فكان عليه فسمعنا  
لذلك الجذع صوت كهوت العشار " (٢)

٥ - نبع الماء من بين أصابعه :

وفي صحيح البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : عطش  
الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة - ظرف للماء -  
فتوضأ فجهش الناس (٣) نحوه فقال : ما لكم ؟ قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ  
ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يشرب بين أصابعه  
كأشال الصيون فشربنا وتوضأنا قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا  
كما خمس عشرة مائة " (٤) .

٦ - تكثير القليل من الطعام :

من ذلك ما رواه أنس بن مالك قال : قال أبو طلحة لأُم سليم : لقد سمعت صوت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أهرى فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟

( ١ ) صحيح مسلم ١٧٨٢/٤

( ٢ ) صحيح البخاري مع " الفتح " ٦٠١/٦ - ٦٠٢ .

( ٤ ) فجهش الناس : أي : أسرعوا لأخذ الماء .

( ٥ ) صحيح البخاري مع الفتح ٥٨١/٦ .

قالت : نعم فأخرجت أقراصا من شمير ، ثم أخرجت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولا تثلي (١) ببعضه ، ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس فقلت عليهم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلك أبو طلحة ؟ فقلت : نعم قال : بطعام ؟ قلت : نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه : قوموا . فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال : أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت : أله ورسوله أعلم ، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلمي يا أم سليم ما عندك فأنت بذلك الخبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فغصت وعصرت أم سليم عكة (٢) فأدتمته ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله أن يقول : ثم قال : ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : ائذن لعشرة فأكل القوم كلهم حتى شبعوا والقوم سبعون رجلا ، أو ثمانون رجلا (٣) .

٧ - نطق ذراع الشاة الذي قدم له لياكله بأنه سموم :

روى أبو داود بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه كان يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية (٤) ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها ، وأكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ارفعوا أيديكم " وأرسل

- ( ١ ) المراد أنها لفت بعضه على رأسه ، وبعضه على إبطه " الفتح " ٥٨٩/٦ .  
 ( ٢ ) مكة : إنا من جلد مستدير يجعل فيه السمن قالها والمسل . أنظر الفتح ٥٩٠/٦ .  
 ( ٣ ) صحيح البخاري مع الفتح ٥٨٦/٦ - ٥٨٧ .  
 ( ٤ ) أي: مشوية .

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المرأة فدعاها فقال لها : أسمت هذه الشاة ؟  
 قالت اليهودية من أخبرك ؟ قال " أخبرتني هذه التي في يدي " وهي الذراع  
 قالت نعم قال : فما أردت بذلك ؟ قالت : قلت إن كنت نبيا فلن تضرك ، وإن  
 لم تكن نبيا استرحنا منك فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها  
 . . . . الحديث وفي رواية أخرى : عن أبي سلمة : " فأمر بها رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فقتلت " (١) .

#### ٨ - كتب الأعداء عنه :

من ذلك أن أبا جهل حلف باللات والعزى أنه لو رأى الرسول صلى الله عليه  
 وسلم يصلي في المسجد حيث مجامع قريش أن يطأ على رقبته ، أو ليمفرن وجهه  
 في التراب فلما رأى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ساجدا أراد أن يفعل ما  
 أقسم عليه ، فلما اقترب منه " ما فاجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبه ، ويتقسي  
 بيديه ، فقبل له : مالك ؟ فقال : إن بيني وبينه لخسند قا من نار وهولا وأجنحة  
 " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لو دنا مني لا ختطفته الملائكة عضوا ) (٢)

وفي معركة حنين انهزم المسلمون وثبت الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه  
 الفزوة وأحاط به الأعداء وأتوه من كل جانب فلما رأى ذلك عليه الصلاة والسلام  
 نزل عن بغلته " ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ، ثم استقبل به وجوههم فقال  
 ( شأهت الوجوه ) قال سلمة بن الأكوع : فما خلق الله منهم إنسانا إلا مלא  
 الله عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين . فهزمهم الله - عز وجل - وقسم  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين " (٣) .

#### ٩ - ما كان من شأن شاة أم معبد حين مسح بيده المباركة على ضرعها :

ومضمون هذه القصة أنه عليه الصلاة والسلام عند ما خرج مهاجرا إلى المدينة

( ١ ) سنن أبي داود ٤٨٢/٢ ، وانظر صحيح البخاري مع الفتح ٢٣٠/٥

( ٢ ) صحيح مسلم ٢١٥٤/٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

( ٣ ) صحيح مسلم ١٤٠٢/٣ من حديث إياس بن سلمة عن أبيه .



هو وأبو بكر وهما من فهيرة ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثي فمروا بخيمتي أم  
 معبد<sup>(١)</sup> الخزاعية ، وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحتي وتجلس بفناء الخيمة  
 فتطعم وتسقي فسألوها هل عندها لحم ، أولهن يشترونه منها ؟ فلم يجدوا  
 عندها شيئا من ذلك ، وقالت : لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القري ، وإذا القوم  
 مرملون سنتون ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا شاة في كسر خيمتها  
 فقال : " ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت : شاة خلفها الجهد عن الفسمن  
 قال : " فهل بها من لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذلك ، قال : تأذنين لي  
 أن أحلبها ؟ قالت : إن كان بها حليب فأحلبها ، فدعا رسول الله - صلى الله  
 عليه وسلم - بالشاة فسحبها وذكر اسم الله ومسح ضرعها ، وذكر اسم الله ، ودعا  
 بإناء لها يريض الرهط<sup>(٢)</sup> فننفاجت<sup>(٣)</sup> واجترت ، فحلب فيه شجاحتى ملاء وأرسله  
 إليها فسقاها وسقى أصحابه فشربوا غللا بعد نهل حتى إذا رويوا شرب آخرهم  
 وقال : " ساقى القوم آخرهم " ثم حلب فيه ثانيا عوطلي<sup>(٤)</sup> يد ، فدعا دره عندهم ثم  
 ارتحلوا<sup>(٥)</sup> .

١ - استجابة الله - سبحانه - لدعائه عليه الصلاة والسلام :

من ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنت أدعو أمي إلى الإسلام  
 وهي مشركة فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره ،  
 فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي قلت : يا رسول الله إني كنت  
 أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره ، فداع  
 الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( اللهم اهد أم  
 أبي هريرة " فخرجت مستبشرة بدعوة نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فلما جئست  
 فصرت إلى الباب فإذا هو مجى<sup>(٥)</sup> فسمعت أمي خشف<sup>(٦)</sup> قدي فقالت : مكانك

( ١ ) اسمها : عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم " البداية والنهاية ٢٠٩/٣  
 ( ٢ ) أي : ينسج الجماعة حتى يريضوا . ( ٣ ) أي : فرجت بين رجلين .  
 ( ٤ ) انظر دلائل النبوة للبيهقي ١/٣٧٨ ، الوفاة بأحوال المصطفى ١/٢٤٢ ، البداية والنهاية  
 ( ٥ ) أي : مفلق .  
 ( ٦ ) أي : صوتها في الأرض .

يا أبا هريرة ، سمعت خضضة <sup>(١)</sup> الماء قال فاغتسلت ولبست درعها وعجلت  
 عن خمارها ففتحت الباب ، ثم قالت : يا أبا هريرة أشهد أن لا إله الا الله ،  
 وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قال فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فأتيته وأنا أبكي من الفرح قال قلت : يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك  
 وهدى أم أبي هريرة فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرا . . . . الحديث <sup>(٢)</sup> .

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام إخباره بالمفجيات التي وقعت كما أخبر بها  
 صلى الله عليه وسلم ، وكذلك عصته من القتل فقد عصه الله " من أعدائه وهم  
 الجمع الففير ، والعدد الكثير وهم على أتم حنق عليه ، وأشد طلب لنفسه ،  
 وهو بينهم سترسل ولهم مخالط ومكاشر ، ترمقه أبصارهم شذرا وترتعد عنه  
 أيديهم زعرا ، وقد هاجر عنه أصحابه حذرا حتى استكمل مدته فيهم ثلاث عشرة  
 سنة ، ثم خرج عنهم سليما لم يگم في نفس ولا جسد ، وما كان ذاك الا  
 بمصمة إلهية وهدى الله تعالى بها فحققها حيث يقول (والله يعصمك من  
 الناس) <sup>(٣)</sup> فعصمه منهم <sup>(٤)</sup> ومعجزاته عليه الصلاة والسلام كثيرة جدا لا نستطيع  
 احصائها ها هنا وانما ذكرنا ما تقدم منها كمنهج فقط ، والا فمعجزاته صلى  
 الله عليه وسلم الحسينة جاءت بها أخبار كثيرة بعضها متواتر ، وكثير منها مشهور  
 وهي في جللتها تفيد العلم اليقيني بوقوع تلك المعجزات أولا : وصدق صلى  
 الله عليه وسلم ثانيا <sup>(٥)</sup> . وللعلماء في معجزاته صلى الله عليه وسلم تصانيف  
 مستقلة . <sup>(٦)</sup>

( ١ ) خضضة الماء صوت تحريكه . ( ٢ ) رواه سلم في صحيحه ٤ / ١٩٣٨  
 ( ٣ ) سورة المائدة آية / ٦٧ ( ٤ ) أعلام النبوة للماوردي ص ٧٦  
 ( ٥ ) انظر الوفا بأحوال المصطفى ١ / ٣٣٩  
 ( ٦ ) مثل " دلائل النبوة للبيهقي " ، " دلائل النبوة لابي نعيم الاصبهاني " ،  
 " أعلام النبوة للماوردي " ، " شمائل الرسول " لابن كثير .

## ( المبحث الرابع )

ما يجب للرسول ، وما يجوز عليهم

أولا : ما يجب للرسول :

لقد دلت السورة على وجوب تصديق الأنبياء والرسول وحذرت أشد تحذير من تكذيبهم فيما جاءوا به عن الله - تعالى - وجعلت تكذيبهم أبلغ النهاية فسي الظلم وبينت أن جزاء من فعل ذلك أن النار مسكنه ومأواه إذ هو من عداد الكافرين .

قال تعالى (( فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جنهم شوى للكافرين ، والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون )) هاتان الآيتان من السورة دلتا على واجب واحد من الواجبات التي تجب للرسول على المبعوثين إليهم وهو وجوب تصديقهم فيما أخبروا به .

فالآية الأولى دلت على أنه لا أحد أظلم ولا أعظم فرية من كذب على الله بادعاء أن له ولدا وصاحبة أو أنه حرم ما لم يحرمه من المطاعم ، ولا أحد أظلم ممن كذب بالقرآن الذي نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم وابتعثه الله بـرسوله فمعارض ما جاء به منكر قول " لا إله الا الله " ، ومن كذب بالقرآن وأنكر " لا إله الا الله " ، فقد كذب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن كذب الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كذب سائر الأنبياء والمرسلين إذ المرسل لهم واحد وهو الله - تعالى - لغاية واحدة وهي عبادة الله وحده لا شريك له .

ومن اعتقد تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وامتنع عن متابعتة فيما يدعو إليه ما أتى به من عند الله من التوحيد وحكم القرآن فالنار مقامه ومستقره لأنه آثر الكفر على الإيمان بتكذيبه رسول ربه - جل وعلا - وعلى هذا دلت الآية على أن من حق المرسلين على من سواهم من بعثوا إليهم اعتقاد صدقهم فيما جاءوا به من الوحي الالهي الرباني .

وأما الآية الثانية : وهي قوله تعالى (( والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون )) فهي شهادة قاطعة من الله - تعالى - لرسوله بأنهم صادقون فيما قالوه عن الله - تعالى - كما اشتملت على الثناء والمدح للذين صدقوهم وآمنوا بهم - بأنهم متقون - بقوله (( أولئك هم المتقون )) الذين اتقوا الله بتوحيده ، والبراءة من الأوثان والأنداد فأدوا الفرائض واجتنبوا المعاصي فخافوا عقابه .

وقد وردت آيات كثيرة على غرار قوله - تعالى - (( والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون )) ولكنها تدل على صدق رسل الله وأنبيائه ووجوب تصديقهم قال تعالى (( هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون )) (١) .

وقال تعالى في شأن خليفته إبراهيم عليه السلام (( واذكر في الكتاب إبراهيم انه كان صديقا نبيا )) (٢) وقال تعالى في شأن إسماعيل عليه السلام (( إنه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا )) (٣) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن رسل الله وأنبيائه هم أكمل البشرية صدقا على الإطلاق ، فيجب على كل مؤمن ومؤمنة اعتقاد صدق جميع أنبياء الله ورسله ، ويجب الاعتقاد الجازم أنهم أدوا الأمانة وبلغوا الرسالة على الوجه الأكمل وبينوا بيانا واضحا شافيا كافيا . لا حاجة إلى بيان سواء ، ويجب على العباد طاعتهم وعدم مخالفتهم لأن ذلك من طاعة الله ، وأنهم أكمل البرية خلقا وعملا وأنهم مختصون بفضائل لا يصل إليها أحد سواهم ، وأنهم معصومون من الكذب والخيانة والكتمان والتقصير في التبليغ وعن الكبائر كلها دون الصفائير قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - تعالى - " القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصفائير هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الأسدي أن هذا القول أكثر الأشعرية وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء

( ٢ ) سورة مريم آية / ٤١

( ١ ) سورة يس آية / ٥٢

( ٣ ) سورة مريم آية / ٥٤

بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول . . . . . أ. هـ (١) .

ويجب الإيمان بأن جميع الأنبياء والمرسلين كانوا رجالا من بني آدم وليسوا من الملائكة ولم يبعث الله أنثى قط . قال تعالى (( وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم )) وقد دعا القرآن الكريم إلى الإيمان بالرسول وحذر من الكفر بهم ، أو التفريق بينهم .

قال تعالى (( يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا )) (٣) وقال تعالى (( آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لا نفرق بين أحد من رسوله )) (٤) وقال تعالى (( إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين عذابا مهينا )) (٥) فهذه الآية فيها الوعيد الشديد للكافرين بالله ورسوله من اليهود والنصارى حيث فرقوا بين الله ورسوله في الإيمان فأمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض بمجرد التشهي والمادة وما ألفوا عليه آباءهم لا عن دليل قادهم إلى ذلك بل بمجرد الهوى والعصبية فاليهود عليهم لعائن الله آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد صلى الله عليه وسلم . . . . . والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانا شرعيا ، إنما هو عن غرض وهوى

( ١ ) مجموع الفتاوى ٣١٩/٤

( ٢ ) سورة الانبياء آية ٧/

( ٣ ) سورة النساء آية ١٣٦/

( ٥ ) سورة النساء آية ١٥٠-١٥١

( ٤ ) سورة البقرة آية ٢٨٥/

وعصبية" (١) فمن آمن ببعض الرسل وكفر ببعضهم أو كلهم لا غار على وضوح كفره لأن كفره بالرسل كفر بالله تعالى .

ثانيا : ما يجوز عليهم :

قال تعالى (( إنك ميت وانهم ميتون ))

هذه الآية إخبار مؤكد من الله - تعالى - لنبيه صلى الله عليه وسلم بأنسه سيموت عن قريب وأن الكاذبين به من قومه والمؤمنين منهم ميتون كذلك ، وإذا كان أشرف الخلق وأحبهم إلى الله - تعالى - قد ذاق الموت فكذلك غيره ممن إخوانه الانبياء والرسل قد ذاقوه من قبله ،

قال عماد الدين ابن كثير رحمه الله - تعالى - " هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق رضي الله عنه عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تحقق الناس موته مع قوله - عز وجل - (( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفلمن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين )) ومعنى هذه الآية أنكم ستنتقلون من هذه الدار لا محالة وستجتمعون عند الله - تعالى - في الدار الآخرة وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله عز وجل فيفصل بينكم (٢) وهذه الآية دللت على أن الرسل يموتون ويقتلون كما يموت غيرهم من الخلق ويقتلون .

قال تعالى (( وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفأنت من فهم الخالدون )) (٣)

قال ابن جرير رحمه الله - تعالى - " يقول تعالى ذكره : لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما خلدنا أحدا من بني آدم يا محمد قبلك في الدنيا فنخلدك فيها ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك من رسلنا " أ. هـ (٤) .

( ١ ) تفسير ابن كثير ٤٢٥/٢

( ٢ ) تفسير القرآن العظيم ٦٠/٦ والآية رقم ١٤٤ من سورة آل عمران .

( ٣ ) سورة الانبياء آية ٣٤/

( ٤ ) جامع البيان ٢٤/١٢ .

وكونه صلى الله عليه وسلم قد ذاق الموتة الأولى التي هي موته الدنيا لا ينافي حياته البرزخية حيث أخبرنا الله - تعالى في كتابه بأن الشهيد<sup>١</sup> أحياء عند ربهم يرزقون ولم ينالوا ذلك إلا بمتابعتهم وإيمانهم بهم الإيمان الصادق ، وحياة الأنبياء البرزخية تفوق حياة الشهيد<sup>٢</sup> إذ هم أفضل الخلق على الإطلاق<sup>(١)</sup> .

وروى أبو داود في سننه بسند صحيح عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : " وصلوا علي فإن صلاتكم تهلني حيث كنتم " <sup>(٢)</sup> .

فالسورة ذكرت أمرا واحدا ما يجوز على الرسل وهو أنهم يموتون كما يموت غيرهم من المخلوقات وهناك أمور أخرى تجوز على الرسل ذكرت في غير هذه السورة وبعضها دلت عليها السنة المطهرة فيجب على الإنسان أن يؤمن من الإيمان الجازم بأن الله - تعالى - لم يخص أنبياءه ورسله بطبائع غير طبائع البشر ، وإنما كان اختياريهم من الرجال الذين يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق وينامون ويجلسون ويضحكون ولهم أزواج وذرية وتمت إليهم أهدى الظلمة ، وينالهم الإضطهاد ويقطون بغير حق ويتألمون ويصيبهم المرض وسائر الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية بين الخلق وكل هذه الأمور منصوص عليها في القرآن الكريم وبعضها نصت عليها السنة المطهرة .

ومن هنا يجب على المرء أن يعتقد بأن الرسل لا يملكون شيئا من خصائص الألوهية فليس لهم تصرف في الكون ولا يملكون لأحد نفعا ولا ضرا وليس لهم تأثير على إرادة الباري - سبحانه - وتعالى ولا يعلمون الغيب إلا ما أظلمهم الله عليه ، وقد خصهم - الباري - سبحانه - بموهبات من المزايا والفضائل والأخلاق التي أهلتهم لأن يطلقوا الوحي عن الله - تعالى - وليقوموا بأعباء الرسالة ليكونوا الأسوة المثلى والقادة الحسنة للناس يقتدون بهم فسي أمور الدين والدنيا .

( ١ ) فتح الباري ٤٨٨/٦ .

( ٢ ) ٤٧١/٢

## ( المبحث الخامس )

## موضوع الرسائل السماوية

لقد دلت السورة على أن موضوع رسالة الأنبياء والمرسلين هو التبشير والإنذار وتبليغ أممهم ما أمرهم الله بتبليغه من الأوامر والنواهي التي فيها سعادة الأمم إن هم صدقوا المرسلين وآمنوا بهم ، ولهم الشقاء المستتر إن هم كذبوهم وخالفوهم فيما يدعونهم إليه من توحيد العبادة وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له .

قال تعالى (( لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبينون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب )) .

وقال تعالى (( وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ))  
فها تان الأيتان من السورة دلتا على أن الله تعالى بعث أنبياءه ورسوله مبشرين ومنذرين وبلغين وهي الله إلى العباد وهم الوساطة بين الله وعباده وهي الوساطة الشرعية الحقة التي العباد بأس الحاجة إليها وهي واسطة تبليغ الوهي إلى العباد ، وما سواها من الوسائط باطلة .

قال البيضاوي : (( لهم البشرى )) بالثواب على السنة الرسل أو الملائكة عند حضور الموت \* أ. هـ .<sup>(١)</sup>

وقال ابن جرير رحمه الله - تعالى - : ﴿ فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبينون أحسنه ﴾ يقول : جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فبشر يا محمد عبادي الذين يستمعون القول من القائلين فيتبعون أرشده وأهداه وأدله على توحيد الله والعمل بطاعته ويتركون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدل على رشاد ولا يهدي إلى سداد \* أ. هـ .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) تفسير البيضاوي ص ٦٠٩

( ٢ ) جامع البيان ٢٣ / ٢٠٦



وقال العلامة الشوكاني رحمه الله - تعالى - : عند قوله تعالى (( لهم البشرى فبشر عباد )) قال : (( لهم البشرى )) بالثواب الجزيل وهو الجنة وهذه البشرى إما على السنة الرسل أو عند حضور الموت أو عند البعث (( فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه )) المراد بالعباد هنا العموم فيدخل الموصوفون بالإجتباب والإنابة إليه د خولا أولياً ، والمعنى : يستمعون القول الحق من كتاب الله وسنة رسوله فيتبعون أحسنه أي محكمه ويمطون به .

قال السدي : يتبعون أحسن ما يؤمرون به فيعملون بما فيه ، وقيل هو الرجل يسمع الحسن والقبيح فيتحدث بالحسن ويفكف عن القبيح فلا يتحدث به ، وقيل : يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن ، وقيل يستمعون الرخص والمزائم فيتبعون المزائم ويتركون الرخص ، وقيل يأخذون بالمفو ويتركون المقومة ، ثم أنى - سبحانه - على هؤلاء المذكورين فقال (( أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب )) أي : هم الذين أوصلهم الله إلى الحق وهم أصحاب العقسول الصحيحة لأنهم الذين انتفعوا بعقولهم ولم ينتفع من عداهم بعقولهم " أ. هـ (١)

ودعوة الرسل إلى الله - جل وعلا - دائما تقترن بالتبشير والإنذار ، لأن ارتباط دعوتهم بالتبشير والإنذار وثيق جدا ، فقد قصر - القرآن الكريم - مهمة الرسل عليهما في بعض آياته : قال تعالى (( وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين )) (٢) وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم لنفسه مثلا في هذا فقال ( مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال : يا قوم إني رأيت الجيش بعيني ، وإني أنا النذير المرهان فالنجا النجا ، فأطاعه طائفة من قومه ، فأدلجوا ، وانطلقوا على مهلبهم فنجوا ، وكذبت طائفة منهم ، فأصبحوا مكانهم ، فصبحهم الجيش ، فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعني ، فاتبع ما جئت به ، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق " (٣)

(١) فتح القدير ٤٥٦/٤

(٢) سورة الكهف آية ٥٦

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ١٣/٢٥٠ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

وتبشير الرسل عليهم الصلاة والسلام وانهادهم دنيوى وآخروى ، فهم فسي  
الدينيا يبشرون الطائعين بالحياة الطيبة (( من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو  
موء من فلنحبيبه حياة طيبة )) (١) (( فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى )) (٢) .

ويعد ونهم بالتمكين في الأرض وتهديل خوفهم أمنا (( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا  
الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دنيهم  
الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا )) (٣)

أما المصاة من الخلق فإن الرسل يخوفونهم بالشقاء الذي نبيى قال تعالى :  
(( ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا )) (٤) كما يحذرونهم العذاب والهلاك  
الذي نبيى . قال تعالى (( فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود )) (٥)

أما بالنسبة للأخرة فإنهم يبشرون الطائعين بالجنة ونعيمها قال تعالى  
(( ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالد فيها وذلك  
الفوز العظيم )) (٦) .

وأما المجرمون والمصاة فإنهم يخوفونهم عذاب الله في الآخرة قال تعالى  
(( ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب  
مهين )) (٧) .

وعند ما يتأمل الإنسان دعوة الرسل يجد أنها قد اصطفت بالتبشير  
والإنذار ، والذي يظهر أن التبشير والإنذار على النحو الذي جاءت به الرسل  
من أعظم الأسباب لفتح النفس الانسانية ، وإقبالها على الخير ، لأن النفوس مطبوعة  
على طلب الخير لذاتها ، ودفع الشر عنها ، فقد أرسل الله الرسل ليصبروا  
النفوس بالخير العظيم الذي يحصلونه من وراء الإيمان والأعمال الصالحة فإن النفوس

(٢) سورة طه آية / ١٢٣

(٤) سورة طه آية / ١٢٤

(٦) سورة النساء آية / ١٣

(١) سورة النحل آية / ٩٧

(٣) سورة النور آية / ٥٥

(٥) سورة فصلت آية / ١٣

(٧) سورة النساء آية / ١٤

تشاق إلى تحصيل الخير ، وعندما تبين الرسل عليهم الصلاة والسلام  
الأضرار العظيمة التي تلحق النفوس من وراء الكفر والضلال فإنها تهرب من  
هذه الأعمال المشقية .

ومما تقدم يتضح أن موضوع الرسائل السماوية التي أرسل الله بها  
الرسل عليهم الصلاة والسلام هي التبشير والإنذار يبشرون المدعوين  
برضوان الله وثوابه وجنته إن هم آمنوا بالله وصدقوا رسله .

والإنذار للمعاندين الكافرين بالله ورسله بفضب الله وسخطه  
قال تعالى (( رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بمسئد  
الرسول )) (١) ،

أما دعوة الرسل فإنها كانت إلى فرض أساسي واحد ، وهو عبادة  
الله وحده لا شريك له كما قال تعالى (( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا  
أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت )) (٢) .

( ١ ) سورة النساء آية ١٦٥ /

( ٢ ) سورة النحل آية ٤٠ /

# الفصل الرابع

( الفصل الرابع )

دلالة السورة على وجوب الايمان بالقدر

ويشتمل على أربعة مباحث :

- ١. المبحث الاول : تعريف القضاء والقدر ومعنى الايمان به .
- ٢. المبحث الثاني : بيان المبتدعة الذين نازحوا في القدر والرد عليهم .
- ٣. المبحث الثالث : مراتب القدر .
- ٤. المبحث الرابع : ما يتعلق بالهداية والضلال .

## ( البحث الاول )

تعريف القضاء والقدر ومعنى الإيمان به

القضاء في اللغة :

جاء في لسان العرب : " تكرر في الحديث ذكر القضاء ، وأصله القطع والفصل . يقال : قضى يقضي قضاءً فهو قاضٍ إذا حكم وفصل ، وقضاء الشيء إحكامه وإخاؤه ، والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق .

وقال الأزهري : القضاء في اللغة : على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتامه ، وكل ما أحكم عليه أو أتم ، أو ختم ، أو أدى أداءه ، أو أوجب ، أو أعلم ، أو أنفذ ، أو أضي فقد قضى . قال : وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الحديث ، ومنه القضاء المقرون بالقدر ، والمراد بالقدر التقدير والقضاء الخلق كقوله تعالى (( فقضاهن سبع سموات ))<sup>(١)</sup> أي : خلقهن ، فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة الأساس ، وهو القدر والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه<sup>(٢)</sup> .

وأما تعريف القضاء شرعاً :

" فهو إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال "<sup>(٣)</sup>

وأما تعريف القدر في اللغة :

" فهو بتحريك الدال وتسكن " صدر " قدرت الشيء " بفتح الدال - مخففة - إذا أحطت بمقداره و" أل " فيه وفي " القضاء " عوض عن مضاف إليه أي : بتقدير الله - تعالى - لذلك "<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) سورة فصلت آية ١٢ / ( ٢ ) اللسان ١٨٦ / ١٥

( ٣ ) لوامع الأنوار البهية ٣٤٥ / ١ .

( ٤ ) المصدر السابق .

وأما تعريف القدر اصطلاحاً :

فقد عرفه بعضهم : بأنه " تحد يده - تعالى - أزلاً كل مخلوق بحدده الذي يوجد به من حسن وقبح ، ونفع وضرر وما يحويه من زمان ومكان ، وما يترتب عليه من طاعة وعصيان وشواب وعقاب وفقران .

وحدده بعضهم : بأنه " إيجاد الله - تعالى - الأشياء على قدر مخصوص ، وتقدير معين في ذواتها وأحوالها طبق ما سبق به العلم وجرى به القلم " (١) ثم من العلماء من فرق بين القضا والقدر ومنهم من اعتبرهما شيئاً واحداً . قال ابن بطال : عند شرحه لتمون النبي صلى الله عليه وسلم من جهد البلاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء " (٢) والمراد بالقضا هنا المقضي لأن حكم الله كله حسن لا سوء فيه ثم قال الحافظ وقال غيره : " القضا : الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل . والقدر : الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل " (٣) .

وقال الخطابي : " قد يحسب كثير من الناس أن معنى القدر من الله تعالى والقضا معنى الإجبار ، والقهر للمعبد على ما قضاه وقدره ، ويتوهم أن قوله صلى الله عليه وسلم ( فتكبح آدم موسى ) (٤) من هذا الوجه ، وليس كذلك ، وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من أفعال العباد واكتسابهم وصدورها عن تقدير منه تعالى وخلق لها خيرها وشرها قال : والقدر : اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر كالهدم والنشر والقبض أسماً لما صدر عن فعل الهدم ، والناشر ، والقباض يقال : قدرت الشيء ، وقدرت خفيفة وثقيلة بمعنى واحد ، قال : والقضا : معناه في هذا الخلق كقوله تعالى (( فقضاهن سبع

( ١ ) لوامع الأنوار البهية ٣٤٥/١

( ٢ ) رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة . أنظر فتح الباري ١١/١٤٢

( ٣ ) " فتح الباري " ١١/١٤٨

( ٤ ) رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة . أنظر " فتح الباري " ١١/٥٠٥

سماوات في يومين)) (١) أي : خلقهن ، وإذا كان الأمر كذلك فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم أفعالهم واكتسابهم ، وما شئزتهم تلك الأمور ، وملاستهم إياها عن قصد وتعمد وتقديم إرادة واختيار والحجة إنما تلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها قال : وجماع القول في هذا أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة الأساس ، والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه "أ.هـ" (٢) ، فمن جعل للقضاء والقدر تعريفا واحدا كابن بطال والخطابي فمعناه : " هو النظام المتقن الذي وضعه الله لهذا الكون علويه وسفليه والقوانين العمامة ، والسفن التي ربطها الأسباب بسبباتها وهذا المعنى : هو الذي وردت به الكثير من الآيات القرآنية كقوله تعالى (( وكل شيء عنده بقدر )) (٣) وقوله - جل شأنه - (( وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم )) (٤) وقوله تعالى (( انا كل شيء خلقناه بقدر )) (٥) قال قتادة : سألت سعيد ابن المسيب عن القدر فقال : " ما قدر الله فهو قدر " (٦) . وقد أجاب الإمام أحمد حين سئل عن القدر فقال : " القدر قدرة الله تعالى " قال ابن القيم : معلقا على تعريف الإمام أحمد " واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جدا وقال هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين وهو كما قال أبو الوفاء فإن إنكار القدر إنكار لقدرة الله على خلق أعمال المباد وكتابتها وتقديرها وسلف القدرة كانوا ينكرون علمه بها وهم الذين اتفق سلف الأمة على تكفيرهم " (٧) وفي الحقيقة أن تعريف الإمام أحمد السابق جامع مانع لدلول القدر فالإمام أحمد رحمه الله تعالى يقصد أن القدر هو ما قرره - سبحانه - في قوله تعالى (( قل إن الأمر كله لله )) (٨) وقوله (( بيده ملكوت كل شيء ))

( ١ ) سورة فصلت آية / ١٢

( ٢ ) معالم السنن شرح سنن أبي داود ٧٦-٧٧/٥ وانظر لواع الأنوار ٣٤٨-٣٤٧/١

( ٣ ) سورة الرعد آية / ٨ ( ٤ ) سورة الحجر آية / ٢١

( ٥ ) سورة القمر آية / ٤٩

( ٦ ) ذكره عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة ص ١١٦ .

( ٧ ) شفاء المليل ص ٢٨ وانظر توضيح المقاصد وتصحيح القواعد ٢٥٧/١ .

( ٨ ) سورة آل عمران آية / ١٥٤



شيء (١) وقوله ( يدبر الأمر ما من شئ إلا من بعد إذنه ) (٢) وغير ذلك من الآيات التي تدل على أنه لا يحدث شيء في هذا الكون إلا بإرادته تعالى وشيئته .

قال الطحاوي : ( وكل شيء يجري بتقديره وشيئته ، وشيئته تنفذ لا مشيئة المعبود ، إلا ما شاء الله فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن لا إراد لقساه ولا معقب لحكمه ، ولا قالب لأمره " أ. هـ (٣) . وما تقدم يفهم معنى الإيمان بالقدر . فالإيمان بالقدر هو أن يصدق الإنسان تصديقا جازما بأن كل خير وشر فهو بقضاء الله وقدره وأنه - سبحانه - الفعال لما يريد لا يكون شيء إلا بإذنه وإرادته ، ولا يخرج شيء عن شيئته وليس في الوجود شيء خارج عن تقديره ولا محيد لأحد عما قدره الله ، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المحفوظ وأنه - تعالى - هو الخالق لأفعال عباده كلها من طاعات ومعاصي ومع ذلك فقد أمرهم - سبحانه - ونهاهم وجعلهم مختارين لجميع أفعالهم وليسوا مجبورين عليها بل تحصل منهم بقدرتهم وإرادتهم يهدي من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء بحكمته لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

الإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين :

فأل درجة الأولى :

الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وأبداً وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق فتأول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال ما أكتب ؟ قال اكتب ما هو كائن إلي يوم القيامة فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطئه لم يكن لهصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف كما

( ١ ) سورة يس آية / ١٣

( ٢ ) سورة يونس آية / ٣

( ٣ ) شرح الطحاوية ص ١٥٣ .

قال تعالى (( ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات والأرض أن ذلك في كتاب  
ان ذلك على الله يسير )) (١) . وقال (( ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا فسي  
أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير )) (٢) .

وهذا التقدير التابع لعلمه - سبحانه - يكون في مواضع جملة وتفصيلا فقد  
كتب في اللوح المحفوظ ما شاء ، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه  
بعث إليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات فيقال له أكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد  
ونحو ذلك ، فهذا التقدير قد ينكره فلا القدرة قد بما ومنكروه اليوم قليل .

وأما الدرجة الثانية :

فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهو الايمان بأن ما شاء الله كان  
وما لم يشأ لم يكن وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا  
بمشيئة الله - سبحانه - لا يكون في ملكه ما لا يريد ، وأنه - سبحانه - على كل  
شيء قدير من الموجودات والمعدومات فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء  
إلا الله خالقه لا خالق غيره ولا رب سواه ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة  
رسله ونهاهم عن معصيته ، وهو - سبحانه - يحب المتقين والمحسنين والمقسطين  
ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب الكافرين ولا يرضى عن القسوم  
الفاسقين ، ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباد الكفر ولا يحب الفساد ، والعباد  
فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم والمبد هو المؤمن ، والكافر والجر والفاجر  
والصلي والصائم وللمباد قدرة على أعمالهم وطهم إرادة والله خالقهم وقد رتبهم  
وارادتهم . أ . هـ (٣)

فشيخ الإسلام رحمه الله - تعالى أبان لنا الكيفية المطلوبة في الإيمان بالقدر  
بل إنه أوجز لنا القدر كله بمراتبه الأربع في هذه العبارات القليلة وهذه الكيفية  
التي ذكرها هي الواجب المطلوب من الإنسان من حيث إيمانه بالقدر وكيفيته .

( ١ ) سورة الحج آية / ٧٠ ( ٢ ) سورة الحديد آية / ٢٢

( ٣ ) العقيدة الوسطية مع شرحها لمحمد خليل هراس ص ١٣٠ - ١٣٦ .

## ( البحث الثاني )

ببيان المبتدعة الذين نازعوا في القدر والرد عليهم

إن انكار القدر الذي هو أحد أركان الإيمان الستة التي لا يصح لاحد  
إيمان حتى يؤمن بها كلها اشتهرت بانكاره إحدى الفرق الزائفة وتسمى فرقة  
القدرية (١) .

والكلام في القدر وتعلق أفعال العباد بمشيئته - سبحانه - من المسائل  
التي كان لها وجود قبل ظهور الإسلام كما أخبرنا الله بذلك في كتابه المبين عن  
كفار قريش ومن سبقهم من مشركي الأمم أنهم ينسبون شركهم وما هم عليه من  
المعاصي إلى مشيئته - جلا وهلا - .

قال تعالى (( وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمتنا  
من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا  
البلاغ المبين )) (٢) .

قال ابن كثير رحمه الله - تعالى - حول هذه الآية " يخبر - تعالى - عن  
اغترار المشركين بما هم فيه من الإشراف واعتذارهم محتجين بالقدر بقولهم (( لو  
شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمتنا من دونه من شيء )) أي من البعائس  
والسوائب والوصائل وغير ذلك ما كانوا ابتدعوه واخترعوه من طغاة أنفسهم ما لم  
ينزل به سلطانا ومضمون كلامهم أنه لو كان - تعالى - كارها لما فعلنا لأنكره  
علينا بالمعقوبة ولما مكنا منه . قال تعالى - راداً عليهم شبهتهم (( فهل على  
الرسول إلا البلاغ المبين )) أي ليس الأمر كما تزعمون أنه لم ينكره عليكم بل قد أنكره  
عليكم أشد الانكار ونهاكم عنه أكد النهي ، وصحت في كل أمة أي في كل قرن وطائفة  
من الناس رسولا ، وكلهم يدعون إلى عبادة الله ، وينهون عن عبادة ما سواه ،

( ١ ) القدرية : اسم أطلقه أهل السنة والجماعة على الزاعمين بأنهم الفاعلون لأعمالهم  
دون الباري سبحانه - وقد وردت آثار كثيرة تصفهم بأنهم مجوس هذه الأمة . أظ  
أنظر سنن أبي داود ٥٢٤/٢ ، الإحتجاج بالقدر ص ٨٦-٨٧ ، شفاء المليل  
ص ٤٩ ، لواعق الأنوار ٣٠٥/١ .

( ٢ ) سورة النحل آية ٣٥ .

(( أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ))<sup>(١)</sup> فلم يزل - تعالى - يرسل إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغرب وكلهم كما قال الله - تعالى - (( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ))<sup>(٢)</sup> وقوله - تعالى (( واسئلكم من قبلنا من ربك من رسلنا أجمعين من دون الرحمن آتية يعبدون ))<sup>(٣)</sup> .

وقال - تعالى - (( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ))

فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول : (( لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ))<sup>(٤)</sup> فمشيئته - تعالى - الشرعية عنهم منتفية<sup>(٥)</sup> لأنه نهاهم عن ذلك على السنة رسوله ، وأما مشيئته الكونية وهي تمكنهم من ذلك قد را فلا حجة لهم فيها ، لأنه - تعالى - خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة وهو لا يرضى لمبادء الكفر وله في ذلك حجة بالغة ، وحكمة قاطعة<sup>(٦)</sup> .

وهذا يبين بطلان احتجاج المشركين بالقدر على ما هم واقفون فيه من الكفر والمعاصي والإشراك بالله - تعالى - وأنه لا حجة لهم فيه لانقضاء الإرادة الشرعية عنهم ولذلك نهاهم الله - تعالى - عن طريق الرسل .

وروى مسلم في صحيحه بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه - تعالى - عنه قال : جاء مشركوا قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القسدر فنزلت (( يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا من سقر إنا كل شمس خلقناه

( ١ ) سورة النحل آية / ٣٦ ( ٢ ) سورة الانبياء آية / ٢٥  
 ( ٣ ) سورة الزخرف آية / ٤٥ ( ٤ ) سورة النحل آية / ٣٥  
 ( ٥ ) التعبير بالمشيئة عن الارادة الدينية الشرعية لم يرد في الكتاب والسنة ، بسبل المشيئة لم تأت الا كونية قدرية بخلاف لفظ الارادة فانه جاء للمعنى الشرعي والمعنى القدرى .

( ٦ ) تفسير ابن كثير ٤ / ١٩٣ - ١٩٤ .

بقدر ))<sup>(١)</sup> وطى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حصل ببعض الخصام فسي  
 القدر بين بعض الصحابة رضي الله عنهم فصادف مجيب النبي صلى الله عليه وسلم  
 وهم يختصمون فاحمر وجهه غضبا لذلك فقال ( بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم تضرعون  
 القرآن بعضه بهمض بهذا هلكت الأمم قبلكم )<sup>(٢)</sup> .

فانتهى الصحابة عن ذلك فلم يعودوا لسل ذلك قط .

ولم يظهر القول في القدر إلا بعد مضي نصف القرن الأول على وجه التقريب  
 فأشار القول فيه رجل يدعى " معبد الجهني " . وقد تلقى هذا القول الباطل  
 المخالف للكتاب والسنة واجماع الأمة في إثبات القدر عن أحد النصارى كان قد  
 أسلم ، ثم ارتد إلى النصرانية . فقام تلميذه " معبد الجهني " بنشر قوله بين  
 الناس .

روى سلم في صحيحه بإسناد إلى يحيى ابن يعمر أنه قال : ( كان أول من  
 قال في القدر بالبصرة " معبد الجهني " فانطلقت أنا وحيد بن عبد الرحمن الحميري  
 حاجين أو معتمرين فقلنا : لولقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوقف لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخل  
 المسجد فاكتفته أنا وصاحبي أجدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي  
 سيكل الكلام إلى فقلت : أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن  
 ويتفقرون العلم وذكر من شأنهم ، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر " أنف " قال :  
 فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني بريء منهم وأنهم براء مني والذي يحلف به عبد الله  
 بن عمر لو أن لأحد هم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يوءم بالقدر )<sup>(٣)</sup>

( ١ ) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٥/١٦ والابيات من سورة القمر/٤٨-٤٩

( ٢ ) سنن ابن ماجه ٣٣/١

( ٣ ) صحيح مسلم ٣٦-٣٧/١ وانظر مجموع الفتاوى ٤٥٠/٨ .

وسا يؤكد أيضا أن معبدا تلقى القول في القدر عن أحد النصارى قسول  
 الا وزاعي " أول من نطق في القدر : رجل من أهل العراق يقال له " سوسن " كان  
 نصرانيا فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهنني وأخذ غيلان (١) عن معبد (٢) (٣)  
 وقال ابن عون : " أدركت الناس وما يتكلمون إلا في علي وعثمان حتى نشأ هاهنا  
 حقير يقال له : " سنسوهه البقال ، قال : فكان أول من تكلم بالقدر (٤) وذكر ابن  
 سعد في الطبقات أن اسمه سنهوهه (٥) ومذهب القدرية عند ظهوره كان هو  
 " إن الأمر أنف " كما تقدم عند مسلم عن يحيى ابن يعمر ومعنى " إن الأمر أنف "   
 أي : لم يسبق به قدر ولا علم من الله - تعالى - وإنما يعلمه بعد وقوعه (٦) فكان  
 مذهب القدرية منها على أمرين :

- الأمر الأول : انكارهم علم الله السابق بالحوادث .
- الأمر الثاني : أن المعبد هو الذي يوجد أفعاله .

والقائلون بهذا القول قد انقضوا وملكوا فلم يبق لهم وجود . قال الحافظ  
 " قال القرطبي وغيره : قد انقض هذا المذهب ولا نعرف أحدا ينسب إليه مسن  
 المتأخرين قال : والقدرية اليوم مطبقون على أن الله عالم بأفعال العباد قبل  
 وقوعها وإنما خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال العباد مقدرة لهم وواقعة منهم  
 منهم على جهة الاستقلال ، وهو مع كونه مذها باطلا أخف من المذهب الأول (٧)

- 
- ( ١ ) هو غيلان بن مسلم الدمشقي أبو مروان وهو الذي تنسب إليه فرقة " الفيلانية " وهو ثاني من تكلم في القدر ودعا إليه، ولم يسبقه في ذلك سوى معبد الجهنني قال الذهبي : قال سكين " أنظر ميزان الاعتدال ٣/٣٣٨ ، الأعلام ٥/٣٢٠ .
  - ( ٢ ) هو معبد بن عبد الله بن عويم الجهنني البصري أول من قال بالقدر في البصرة سمع الحديث من ابن عباس وعمران بن حصين وغيرهما وحضر يوم " التحكيم " وانتقل من البصرة إلى المدينة فنشر فيها مذهبه وعنه أخذ " فيلان " المتقدمة ترجمته قبل : قتله الحجاج صبورا بعد أن عذبه ، وقيل صلبه عبد الملك بن مروان بد مشق على القول في القدر ، ثم قتله " أنظر ترجمته في " تهذيب التهذيب " ١٠/٢٢٥ ، ميزان الاعتدال ٤/١٤١ ، شذرات الذهب ١/٨٨ ، البداية والنهاية ٩/٣٤ .
  - ( ٣ ) أنظر " كتاب الشريعة " للأجري ص ٢٤٣ ، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة برقم ١٣٩٧ .
  - ( ٤ ) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي برقم ١٣٩٦ .
  - ( ٥ ) الطبقات لابن سعد ٧/٢٦٤ .
  - ( ٦ ) هكذا فسره النووي في شرحه على صحيح مسلم ١/١٥٦ .
  - ( ٧ ) فتح الباري ١/١١٩ .

وهذا المذهب الاخف الذي ذكره الحافظ تبنته المعتزلة وحطت راية سلفهم

من بعدهم وقد تشعبت فرقتها القاظة به وتنوعت مذاهبها حولها .

قال الحافظ : وأما المتأخرون منهم فأنكروا تعلق الإرادة بأفعال المباد

فرارا من تعلق القديم بالمحدث ، وهم مخصومون بما قال الشافعي : " ان سلم

القدرى العلم خصم يعني : يقال له : أيجوز أن يقع في الوجود خلاف ما تضمنه

العلم ؟ فان منع وافق قول أهل السنة وإن أجاز له لزمه نسبة الجهل إلى الله تعالى

الله عن ذلك " (١) . وحقيقة اعتقاد القدرية في نفي القدر إنما هو مضادة لنصوص

الكتاب والسنة ومخالف لإجماع الأمة وقد وردت في السنة نصوص كثيرة فيها الوعيد

الشديد لمن كذب بالقدر ولم يؤمن به من ذلك ما رواه الإمام أحمد وأبو داود عن عبادة بن

الوليد بن عبادة : حدثني أبي قال : دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه

الموت فقلت يا أبتاه أوصني واجتهد لي فقال : أجلسوني فقال يابني : إنك لن

تجد طعم الإيمان ، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر وخيره وشره .

قلت : يا أبتاه كيف أعلم ما خير القدر وشره ؟ قال أن تعلم أن ما أخطأك لم يكن

ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، مما بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول : ( ان أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو

كائن إلى يوم القيامة ) يا بني ان مت ولست على ذلك دخلت النار " (٢) وغيره من

الأحاديث التي ورد فيها الوعيد الشديد والتهديد الأكيد لمن كذب بالقدر

كثيرة جدا . وقال الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى صاحب كتاب " توضيح

المقاصد وتصحيح القواعد " بحد أن ساق جطة من الأحاديث التي تتضمن الوعيد

لنفاة القدر : " وكل هذه الأحاديث وما في معناها ، فيها الوعيد الشديد على

عدم الإيمان بالقدر ، وهي الحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم ومن مذاهبهم

تخليد أهل المعاصي في النار ، وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر ، وأعظم

( ١ ) الفتح ١١٩/١ .

( ٢ ) المسند ٣١٧/٥ ، سنن أبي داود ٥٣٨/٢ .

المعاصي ، وفي الحقيقة إذا اعتبرنا إقامة الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة من إثبات القدر فقد حكموا على أنفسهم بالخلود في النار إن لم يتوبوا ، وهذا لازم لهم على مذاهبهم هذا وقد خالفوا ما تواترت به أدلة الكتاب والسنة من إثبات القدر ، وعدم تخليد أهل الكبائر من الموحدين في النار<sup>(١)</sup> . وتلك الفرقة النافية للقدر قابلتها فرقة مضادة لها وهي فرقة غلاة القدريّة وهم الجبرية الذي أخذ رأيهم الجهم بن صفوان السمرقندي ، فقد زعم هو أتباعه أنه لا اختيار لشيء من الحيوانات في شيء مما يجرى عليهم فإنهم كلهم مضطرون لا استطاعة لهم بحال وأن كل من نسب فعلا إلى أحد غير الله فسبيله سبيل المجاز ، وهو بمنزلة قول القائل : سقط الجدار ، ودارت الرحى وجرى الماء ، وانخسفت الشمس . وهذا القول خلاف ما تجده العقلاء في أنفسهم لأن كل من رجع إلى نفسه يفرق في نفسه بين ما يرد عليه من أمر ضروري لا اختيار له فيه وبين ما يختاره ويضيفه إلى نفسه ، كما أن كل عاقل يفرق بين كل حركة ضرورية كحركة المرتعش ، وحركة المختار ، يجد الماثل في نفسه فرقا بينهما ، ومن أنكر هذه التفرقة لم يجد من العقلاء ، وكل ما ورد في القرآن من قول الله يمسكون ، ومعلقون ، ويكسبون ، ويؤمنون حجة عليهم وكذلك قوله تعالى : (( كل نفس بما كسبت رهينة ))<sup>(٢)</sup> ولو لم يكن للبعد اختيار كان الخطاب معه محالا ، والثواب والعقاب عنه ساقطين كالجمادات<sup>(٣)</sup> وقد ود الله تعالى على الجبرية والقدريّة في آية واحدة قال تعالى : (( وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ))<sup>(٤)</sup> .

قال العلامة ابن القيم حول هذه الآية : " اعتقد جماعة أن المراد بالآية سلب فعل الرسول عنه ، وإضافته إلى الرب تعالى ، وجعلوا ذلك أصلا في الجبر وإبطال نسبة الأفعال إلى العباد ، وتحقيق نسبتها إلى الرب وحده ، وهذا غلط منهم في فهم القرآن ، فلو صح ذلك لوجب طرده في جميع الأعمال ، فيقال ما صليت إذ صليت ، وما صمت إذ صمت ، وما ضحيت إذ ضحيت ، ولا فعلت كل

( ١ ) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد شرح قصيدة الإمام ابن القيم ١/ ٢٥٨-٢٥٩ .  
 ( ٢ ) سورة المدثر آية / ٣٨ (٤) سورة الأنفال آية / ١٧  
 ( ٣ ) التبصير في الدين ص ١٠٧-١٠٨ وانظر الفرق بين الفرق ص ٢١١ ، الطل والنحل ١/ ٨٧ .



فعل ان فعلته ، ولكن الله فعل فإن طردوا ذلك لزمهم في جميع أفعال العباد طاعتهم ومعاصيهم إذ لا فرق ، فإن خصوه بالرسول وحده وأفعاله جميعها ، أو رمية وحده ، تناقضا فهو لا ، لم يوفقوا لفهم ما أريد بالآية ومع هذه الآية نزلت في شأن رمية صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر بقبضة من الحصى ، فلم تدع وجه أحد منهم إلا أصابته ، ومعلوم أن تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ فكان منه صلى الله عليه وسلم مهدأ الرمي وهو الحذف ، ومن الله - سبحانه وتعالى - نهايته ، وهو الإيصال فأضاف إليه رمي الحذف الذي هو صمد وه ونفى عنه رمي الإيصال الذي هو نهايته ، ونظير هذا قوله في الآية نفسها (( فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم )) ثم قال: (( وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى )) فأخبر أنه وحده هو الذي غرد بقتلهم ولم يكن ذلك بكم أنتم ، كما غرد بإيصال الحصى إلى أعينهم من رسوله ، ولكن وجه الإشارة بالآية : أنه سبحانه أقام أسبابا ظاهرة لدفع المشركين وتولي دفعهم وإهلاكهم بأسباب باطنة غير الأسباب التي تظهر للناس فكان ما حصل من الهزيمة والقتل والنصرة مضافا إليه وهو خير الناصرين " أ. هـ (١)

(١) مدارج السالكين ٣/٤٢٦-٤٢٧ ، وانظر التفسير القيم ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

وانظر شرح الطحاوية ص ٤٩٤ - ٤٩٥

## ( المبحث الثالث )

## مراتب القدر

لقد دلت سورة " الزمر " على مراتب القدر الأربع التي من لم يؤمن بها لم يتحقق له الإيمان بالقضاء ، والقدر وتلك المراتب هي : علم - الرب سبحانه - بالأشياء قبل كونها ، وكتابتها لها قبل كونها ، وشيئتها لها ، وخلقها - سبحانه - الأعمال وتكوينه وإيجادها لها ، كما تحدثت عن الهداية والضلال الذين هما لب القدر وسنبيين تلك المراتب كلا منها على حدة ، كما سنتحدث عن بيان الهداية والضلال وذلك نختم الكلام على القدر .

## ( ) مرتبة العلم :

لقد دلت سورة " الزمر " على إثبات علم - الرب سبحانه - بالأشياء قبل كونها وأنه علم ما الخلق عاطون به بعلمه القديم الموصوف به أزلا وأبدا ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال كل ذلك سبق به علم الله - جل وهلا - قال تعالى (( ثم إلى ربكم مرجعكم فنبهتكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور ))

وقال تعالى (( أفمن حق عليه العذاب أفأنت تتقذ من في النار ))

وقال تعالى (( ووفيت كل نفس ما عطلت وهو أعلم بما يفعلون ))

وقال تعالى (( ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ))

هذه الآيات الأربع من السورة دلت على أن الله - تعالى - عالم بما يعمله المباد بعلمه القديم الذي اصصف به أزلا وأبدا فلا يخفى عليه من أعمالهم شيء ، وأنه قد علم منهم الشقي والسميد ، ومن هو منهم من أهل الجنة ، ومن هو من أهل النار فالآيتان الأوليان من هذه الآيات الأربع قد تقدم الكلام عليهما عند الحديث على إثبات صفة العلم بما أفنى عن إعادته هنا .

وأما الآية الثالثة فهي قوله تعالى (( أفمن حق عليه العذاب أفأنت

تنقذ من في النار ))

فقد قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى حول هذه الآية قال ابن عباس: رضي الله عنهما : من سبق في علم الله أنه من أهل النار . وقيل : كلمة العذاب قوله (( لأملان جهنم ))<sup>(١)</sup> وقيل : كلمة العذاب قوله (( هو لا في النار ولا أبالي ))<sup>(٢)</sup> . ( أفأنت تنقذ من في النار ) أي لا تقدر عليه قال ابن عباس يريد أبالهرب وولده " أ. هـ " .<sup>(٣)</sup>

وقال ابن جرير رحمه الله - تعالى - : (( أفمن حق عليه كلمة المذاب أفأنت تنقذ من في النار )) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أفأنت تنقذ يا محمد من هو في النار من حق عليه كلمة العذاب ، فأنت تنقذه فاستغنى بقوله (( تنقذ من في النار )) عن هذا . . . إلى أن قال : وإنما معنى الكلمة أفأنت تهدي يا محمد من قد سبق له في علم الله أنه من أهل النار إلى الإيمان فتقذه من النار بالإيمان لست على ذلك بقادر " أ. هـ " .<sup>(٤)</sup>

وقال العلامة ابن كثير (( أفمن حق عليه كلمة المذاب أفأنت تنقذ من في النار )) يقول تعالى : أفمن كتب الله عليه أنه شقي تقدر تنقذه مما هو فيه من الضلال والهلاك ؟ أي لا يهديه أحد من بعد الله لأنه من يضل الله فلا هادي له ومن يهده فلا مضل له " أ. هـ " .<sup>(٥)</sup>

وأما الآية الرابعة : وهي قوله - تعالى - (( ولكن حققت كلمة المذاب على الكافرين ))

فقد أوضحت أن كلمة العذاب وجبت على الكافرين ، وكلمة المذاب هي قوله (( لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين ))<sup>(٦)</sup> فقد وجبت كلمته - تعالى -

( ١ ) سورة هود آية ١١٩ /

( ٢ ) رواه أحمد في سننه من حديث معاذ رضي الله عنه ٢٣٩ / ٥ .

( ٣ ) تفسير البغوي على حاشية تفسير الخازن ٦ / ٥٩ - ٦٠ .

( ٤ ) جامع البيان ٢٣ / ٢٠٧ - ٢٠٨ .

( ٥ ) تفسير ابن كثير ٦ / ٨٥ ( ٦ ) سورة هود آية ١١٩ /

أن عذابه لأهل الكفر به بسبب كفرهم وعدم قبولهم هدى الله الذي جاءهم عن طريق الرسل . قال قتادة : (( ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين )) بأعمالهم (١) وقال ابن كثير حول الآية (( ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين )) أي ولكن كذبناهم وخالفناهم لما سبق لنا من الشقوة التي كنا نستحقها حيث عدلنا عن الحق إلى الباطل " أ. هـ (٢) .

وقال العلامة ابن القيم : " وكلمته - سبحانه - إنما حقت عليهم بالمعذاب بسبب كفرهم فعقت عليهم حجتة ، وكلمة عدله بمقوماته .

وحاصل هذا كله : أن الله - سبحانه - أمر العباد أن يكونوا مع مراده الذي ينزل منهم لا مع مراد أنفسهم فأهل طاعته آثروا الله ومراده على مرادهم فاستحقوا كرامته وأهل محصيته آثروا مرادهم على مراده .

وعلم - سبحانه - منهم أنهم لا يوثرون مراده ألته ، وإنما يوثرون أهواؤهم ومرادهم فأمرهم ، ونهاهم فظهر بأمره ونهيهم من القدر الذي عليهم من إيثاراتهم هوى أنفسهم ، ومرادهم على مرضاة ربهم ومراده ، فقامت عليهم بالخصمية حجة عدله فعاقبهم بظلمهم " أ. هـ (٣) .

فالآيات الأربع السابقة من السورة دلت دلالة واضحة على المرتبة الأولى من مراتب القدر وهي مرتبة العلم ، فيجب على الإنسان أن يؤمن بأن الله تعالى علم الأشياء كلها قبل كونها ، وهذه المرتبة اتفق عليها الصحابة ومن تبعهم من الأمة ، وخالفهم مجوس الأمة ، وكتابته - تعالى - السابقة تدل على علمه بها قبل كونها " (٤) .

وقد كفر السلف من الصحابة ومن بعدهم من أنكر علم الله وتقدم قول ابن

(١) جامع البيان ٣٤/٢٤

(٢) تفسير ابن كثير ١١٢/٦

(٣) مدارج السالكين ٢١٩/١

(٤) شفاء العليل ص ٢٩ بتصرف .

عمر رضي الله عنهما " والذي يخلق به عهد الله بن عمر لو كان لأحد هم مثل أحد ذهباً ، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره " (١) .

قال النووي : " هذا الذي قاله ابن عمر رضي الله عنهما ظاهر في تكفيره القدرية . قال القاضي عياض رحمه الله : هذا في القدرية الأول الذين نفوا تقدم علم الله بالكائنات قال : والقائل بهذا : كافر بلا خلاف ، وهو لا الذين ينكرون القدر هم الفلاسفة " أ. هـ (٢) .

فإن الله تعالى علم أرزاق عبادهم وأجالهم وأحوالهم وأعمالهم ، وجميع حركاتهم وسكناتهم ، وشقاوتهم وسعادتهم ، من قبل أن يخلقهم وهذا هو مقتضى اسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة علام الغيوب ، كما قال - عز وجل - (( وهو الله الذي لا إله إلا له عالم الغيب والشهادة )) (٣) وقوله - تعالى - (( لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً )) (٤) وقوله - عز شأنه - (( إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين )) (٥) وقال تعالى (( هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإن أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى )) (٦) .

والآيات في إثبات علم الله - تعالى - كثيرة جداً ، وأما الأحاديث فمنها ما رواه البخاري رحمه الله تعالى بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذراري المشركين فقال : (الله أعلم بما كانوا عاملين ) (٧) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه كما تتجسسون

(١) صحيح مسلم ٣٧/١ (٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥٦/١  
 (٣) سورة الحشر آية / ٢٢ (٤) سورة الطلاق آية ١٢  
 (٥) سورة النجم آية / ٣٠ (٦) سورة النجم آية ٣٢  
 (٧) صحيح البخاري مع الفتح ٤٩٣/١١ .

البهيمة هل تجدون فيها من جدها حتى تكونوا أنتم تجدونها . قالوا :  
يا رسول الله فرأيت من يموت وهو صغير قال : الله أعلم بما كانوا  
عاملين ( ١ ) .

قال الثَّووي : " وفي قوله صلى الله عليه وسلم ( الله أعلم بما كانوا  
عاملين ) بيان لمذهب أهل الحق ، أن الله علم ما كان وما يكون  
وسا لا يكون لو كان كيف كان يكون " أ.هـ ( ٢ )

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رجل يا رسول الله أيمر  
أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : نعم . قال : فلم يعمل العاملون ؟ قال :  
كل يعمل لما خلق له ، أو لما يبسر له ( ٣ ) .

وروى مسلم في صحيحه من حديث علي رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في  
بقيع الفرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمعد وقعدنا حوله وممة  
مخصرة فنكس رأسه فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : ما منكم من أحد ما من نفس  
منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة  
قال : فقال رجل يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فقال من كان  
من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة  
فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ، فقالوا فكل يبسر أما أهل السعادة  
فيبسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فيبسرون لعمل أهل الشقاوة  
ثم قرأ (( فأما من أعطي واعقى ، وصدق بالحسنى فسنبسره لليسرى ، وأما من  
بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنبسره لليسرى )) ( ٤ ) .

وعند البخاري ( فقال رجل من القوم : ألا نتكل يا رسول الله ؟ قال : لا  
إعطوا فكل يبسر ثم قرأ ( فأما من أعطى ) الآية ( ٥ ) .

( ١ ) صحيح مسلم بشرح النووي ٢١١/١٦

( ٢ ) شرح النووي على صحيح مسلم ٢١١/١٦

( ٣ ) رواه البخاري انظر الفتح ٤٩١/١١

( ٤ ) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٩٧/١٦ .

( ٥ ) انظر فتح الباري ٤٩٤/١١ .

فهذه الأحاديث فيها النهي عن ترك العمل والتوكل على القدر السابق بل يجب على الإنسان أن يعمل ويأخذ بالأسباب ويحرص على ما ينفعه .

قال ابن القيم رحمه الله - تعالى - " فاشغقت هذه الأحاديث ونظائرها على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الإتكال عليه بل يوجب الجهد والاجتهاد ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال : ما كنت أشد اجتهادا مني الآن ، وهذا ما يدل على جلالة فقه الصحابة ودقة أفهامهم ، وصحة علومهم فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الخليفة بالأسباب فإن العبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه ويمكن منه وهي " له فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب وكلما زاد اجتهادا في تحصيل السبب كان حصول المقدر أدنى إليه وهذا كما إذا قدر له أن يكون من أعلم أهل زمانه فإنه لا ينال ذلك إلا بالاجتهاد والحرص على التعلم وأسبابه . . . . .

فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها كان أشد اجتهادا في فعلها من القيام بها منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه وقد فقه هذا كل الفقه من قال : ما كنت أشد اجتهادا مني الآن . . . فالقدر السابق معين على الأعمال وما بحث عليها ومقتضيلها لا أنه مناف لها وصادر عنها وهذا موضع مزلة قدم من ثبتت قدمه فاز بالنعيم العقيم ، ومن زلت قدمه عنه هوى إلى قرار الجحيم فالنبي صلى الله عليه وسلم أرشد الأمة في القدر إلى أمرين هما سبب السعادة :

- ١ - الإيمان بالأقدار فإنه نظام التوحيد .
- ٢ - والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجزه عن شره وذلك نظام الشرع فأرشد هم إلى نظام التوحيد والأمر " أ. هـ (١) .

والآيات والأحاديث الدالة على إثبات القدر واتصاف الله - تعالى - بصفة العلم أزلا وأبدا كثيرة جدا .

## ٢ - مرتبة الكتابة :

لقد دلت آيات الكتاب ، وأحاديث السنة على أن من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر ، الإيمان بأن كل كاشن إلى يوم القيامة قد كتبه الله تعالى في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ وقد جاء في سورة " الزمر " في شأن هذه المرتبة قوله تعالى (( أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تتخذ من في النار )) وقوله (( ولكن حققت كلمة العذاب على الكافرين ))

قال ابن كثير : (( أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تتخذ من في النار )) " أفمن كتب الله عليه أنه شقي تقدر تتقذه ما هو فيه من الضلال والهلاك ؟ أي لا يهديه أحد من بعد الله لأنه من يضل الله فلا هادي له ومن يهديه فلا مضل له ( أ. هـ (١) .

والآيات التي دلت على مرتبة الكتابة كثيرة جدا .

قال تعالى (( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لآيات لقوم عابدين )) (٢) .

قال ابن القيم رحمه الله - تعالى - " فالزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء لا تختص بزبور داود والذكر أم الكتاب الذي عند الله والأرض الدنيا وعباده الصالحون أمة محمد صلى الله عليه وسلم هذا أصح الأقوال في هذه الآية وهي علم من أعلام نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه أخبر بذلك بمكة وأهل الأرض كلهم كفار أعداء له ولأصحابه والشركون قد أخرجهم من ديارهم وساكنتهم وشتتوهم في أطراف الأرض فأخبرهم ربهم تبارك وتعالى أنه كتب في الذكر الأول إنهم يرثون الأرض من الكفار ثم كتب ذلك في الكتب التي أنزلها على رسوله والكتاب قد أطلق عليه الذكر في قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته ( كان الله ولم يكن شي قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ) (٣)

( ١ ) تفسير القرآن العظيم ٨٥/٦

( ٢ ) سورة الانبياء آية / ١٠٥ - ١٠٦ .

( ٣ ) فتح الباري ٤٠٣/١٣ .



فهذا هو الذكر الذي كتب أن الدنيا تصير لامة محمد صلى الله عليه وسلم\* أ. هـ (١)

وقال تعالى (( إنا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين )) (٢)

فهذه الآية جمع الله فيها بين الكتابين الكتاب السابق لأعمال العباد قبل أن يوجدوا ، والكتاب المقارن لأعمالهم ، فأخبر - تعالى - أنه يحيبهم بمعد موتهم للبعث ، ويجازيهم على أعمالهم ، ونبيههم بكتابتهم لها على ذلك والمقصود من الآية قوله (( وكل شيء أحصيناه في إمام مبين )) وهو اللوح المحفوظ وهو أم الكتاب وهو الذكر الذي كتب الله فيه كل شيء بما في ذلك أعمال العباد قبل أن يخلقوها ، واحصاؤه - تعالى - لها يتضمن علمه بها وحفظها لها واحاطته بمعددها وأثبتها في اللوح المحفوظ . (٣)

وقال - تعالى - (( وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها وستودعها كل في كتاب مبين )) (٤)

وقال - تعالى - ( ما فرطنا في الكتاب من شيء ) (٥)

وقال تعالى عن موسى حين قال له فرعون (( فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى )) (٦)

وقال تعالى (( ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير )) (٧)

قال ابن كثير : يخبر - تعالى - عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال (( ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم )) أي في الآفاق وفي أنفسكم (( إلا في كتاب من قبل أن نبرأها )) أي : من قبل أن نخلق الخليقة

- |                        |                             |
|------------------------|-----------------------------|
| ( ٢ ) سورة يس آية / ١٢ | ( ١ ) شفاء العليل ص ٣٩      |
| ( ٤ ) سورة هود آية / ٦ | ( ٣ ) شفاء العليل ص ٤٠      |
| ( ٦ ) سورة طه آية / ٣٨ | ( ٥ ) سورة الانعام آية / ٣٨ |
|                        | ( ٧ ) سورة الحديد آية / ٢٢  |

ونبراً النسمة .

وقال بعضهم : من قبل أن نبرأها عائد على النفوس .

وقيل : عائد على المصيبة ، والأحسن عوده على الخليقة والبرية لدلالة الكلام عليها " أ . هـ (١) ؛

قال ابن جرير حول هذه الآية حدثنى يعقوب ، حدثننا ابن عليه عن منصور بن عبد الرحمن قال : كنت جالسا مع الحسن فقال رجل سله عن قوله - تعالى - (( ما أصاب من مصيبة في الأرض . . ) الآية فسألته عنها فقال : سبحان الله - ومن يشك في هذا ؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة .

وقال قتادة (( ما أصاب من مصيبة في الأرض )) قال : هي السنون يعني الجذب (( ولا في أنفسكم )) يقول : الأوجاع والأمراض .

قال : وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب ، وما يعفوا الله عنه أكثر " أ . هـ (٢) .

قال ابن كثير : وهذه الآية الكريمة المظيية من أدل دليل على القدرية نفاة - العلم السابق - قههم الله أ . هـ (٣) .

وأما قوله تعالى (( إن ذلك على الله يسير )) فهو إخبار منه - تعالى - بأن علمه بكل الأشياء قبل أن تكون وكتابتها لها على وفق وجودها في حينها سهل عليه - جل وعلا - لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون .

وقد دلت السنة على مرتبة الكتابة في أحاديث كثيرة .

( ١ ) تفسير ابن كثير ٥٦٤/٦

( ٢ ) جامع البيان ٤٣٤/٢٧ .

( ٣ ) تفسير القرآن العظيم ٥٦٥/٦ .

( ٤ ) سورة الحديد آية ٢٢/٢٢ .

روى مسلم في صحيحه بإسناد إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال وعرشه على الماء ) (١) .

وروى البخاري في صحيحه من حديث عثمان بن حصين قال : إني عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه قوم من بني تميم فقال : ( إقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا : بشرتنا فأعطنا ، فدخل ناس من أهل اليمن فقال : إقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا : قبلنا جئناك لنتفقه في الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ؟ قال : كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السماوات والأرض ، وكتب في الذكر كل شيء ثم أتاني رجل فقال يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت فأنطلقت أطلبها فإذا السراب ينقطع ونهبا ، وأيم الله لو ددت أنها ذهبت ولم أقم ) (٢) .

فهذا الحديث دل على أن - الباري سبحانه - قد كتب ما يقوله وما يفعله وما يكون بقوله وفعله وكتب مقتضى أسمائه وصفاته وآثارها (٣) كما جاء في الحديث الذي رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي ) (٤)

وقال عبادة ابن الصامت رضي الله عنه لابنه : يا بني إنك لن تجد طعام الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( إن أول ما خلق الله القلم فقال : اكتب قال رب وما أكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ، يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من مات على غير هذا فليس مني ) (٥) وفي لفظ لآحمد " يا بني إن مات على غير هذا دخلت النار " (٦)

(١) صحيح مسلم ٢٠٤٤/٤ (٢) فتح الباري ٤٠٣/١٣

(٣) شفاء العليل ص ٣ (٤) فتح الباري ٤٠٤/١٣ ، صحيح مسلم ٢١٠٧/٤

(٥) رواه أبو داود في سننه ٥٢٨/٢ .

(٦) المسند ١٨٣/٥ من حديث أبي ابن كعب رضي الله عنه .

وقال أبو هريرة رضي الله - تعالى - عنه قال لي النبي صلى الله عليه وسلم  
( جف القلم بما أنت لاق ) (١) .

قال الحافظ ابن حجر : ( جف القلم ) أي فرغت الكتابة إشارة أن السدى  
كتب في اللوح المحفوظ لا يتغير حكمه ، فهو كناية عن الفراغ من الكتابة لان  
الصحيفة حال كتابتها تكون رطبة أو بعضها وكذلك القلم فإذا انتهت الكتابة  
جفت الكتابة والقلم " أ . هـ (٢) .

ومن الأحاديث التي دلت على مرتبة الكتابة حديث علي المتقدم ( ما منكم  
من أحد الا قد كتب مقمده من الجنة أو النار ) (٣) .

وما تقدم يتبين أن مرتبة الكتابة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة قال :  
ابن القيم : وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن  
إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب وقد دل القرآن على أن الرب - تعالى -  
كتب في أم الكتاب ما يفعله وما يقوله فكتب في اللوح أفعاله وكلامه ، فتبت يدا  
أبي لهب في اللوح المحفوظ قبل وجود أبي لهب " أ . هـ (٤) .

---

( ١ ) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ٤٩١/١١ .

( ٢ ) المصدر السابق

( ٣ ) صحيح مسلم بشرح النووي ١٩٧/١٦

( ٤ ) شفاء العليل في سائل القضاء والقدر ص ٤١

٣ ) مرتبة المشيئة :

لقد دلت سورة " الزمر " على اثبات مرتبة المشيئة في ثلاث آيات من آياتها  
قال تعالى (( ذلك هدى الله يهدي به من يشاء . . . ))

وقال تعالى (( أولم يعلموا أن الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر ))

وقال تعالى (( ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من  
شاء الله . . . . ))

هذه الآيات الثلاث من السورة بين الله تعالى فيها أن له مشيئة  
مطلقة لا يخرج عنها شيء في هذا الوجود .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مبينا مرتبة المشيئة " وهي  
الايان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن ما في السموات وما في  
الأرض من حركة ، ولا سكون إلا بحشيئة الله - سبحانه - ولا يكون في ملكه إلا ما  
يريد " أ. هـ (١)

وقال العلامة ابن القيم : " وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من  
أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله ، والفطرة التي فطر الله  
عليها خلقه ، وأدلة العقول والعيان ، وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة  
الله وحده فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم  
إلا به والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم  
يشأ لم يكن . وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضع وإن كان منهم  
في موضع آخر فجزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله ، وأن يشاء ما لا يكون ،  
وخالف الرسل كلهم وأتباعهم من نفي مشيئة الله ، ولم يشبه له - سبحانه - مشيئة  
واختيارا أوجد بها الخلق كما يقوله طوائف من أعداء الرسل من الفلاسفة  
وأتباعهم " أ. هـ (٢)

( ١ ) العقيدة الواسطية مع شرحها " لمحمد خليل هراس " ص ١٣٣-١٣٤ .

( ٢ ) شفاء العليل ص ٤٣ .

وما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في بيان معنى المشيئة هو طبق ما جاء في الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة وذلك أن لله مشيئة لا يخرج عنها حادث صغير ولا كبير ولا عين ولا فعل ، ولا وصف إلا بمشيئته - تعالى - فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقد أكثر القرآن في هذا الشأن . قال تعالى (( ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ))<sup>(١)</sup> .

وقال تعالى (( ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ))<sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى (( ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ))<sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى (( ولو شاء ربك لجمعهم على الهدى ))<sup>(٤)</sup>

وقال تعالى (( ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ))<sup>(٥)</sup>

وقال تعالى (( ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين ))<sup>(٦)</sup>

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على إثبات المشيئة ، كما يدل على تكذيب نقاتها .

قال ابن القيم : بعد أن ساق الكثير من الآيات الدالة على إثبات مشيئة الرب - جل وعلا - " وهذه الآيات ونحوها تتضمن الرد على طائفتي الضلال نفاة المشيئة بالكلية ، ونفاة مشيئة أعمال العباد وحركاتهم وهداهم وضلالهم وهو - سبحانه - تارة يخبر أن كل ما في الكون بمشيئته ، وتارة أن ما لم يشأ لم يكن ، وتارة أنه لو شاء كان خلاف الواقع ، وأنه لو شاء لكان خلاف القدر الذي قدره وكتبه ، وأنه لو شاء ما عصى وأنه لو شاء لجمع خلقه على الهدى وجعلهم أمة واحدة ، فتضمن ذلك أن الواقع بمشيئته ، وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئته وهذا حقيقة الربوبية ، وهو معنى كونه رب العالمين وكونه القيوم القائم بتدبير عباده فلا خلق ولا رزق ، ولا عطاء ولا منع ، ولا قبض ولا بسط ولا موت ولا

(١) سورة البقرة آية / ٢٥٣ (٢) سورة السجدة آية / ١٣  
 (٣) سورة هود آية / ١١٨ (٤) سورة الانعام آية / ٣٥  
 (٥) سورة فاطر آية / ١٦ (٦) سورة النساء آية / ١٣٣

حياة ولا اضلال ، ولا هدى ، ولا سمادة ، ولا شقاوة إلا بعد إذنه ، وكل ذلك بمشيئته وتكوينه إذ لا مالك غيره ولا مديرسواه ، ولا رب غيره . قال تعالى (( وربك يخلق ما يشاء ويختار )) (١) وقال (( ونقر في الأرحام ما نشاء )) (٢) وقال (( في أى صورة ما شاء ركبك )) (٣) وقال (( لله ملك السموات والارض يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما )) (٤) . وقال (( يهدى الله لنوره من يشاء )) أ. هـ . (٥) .

وقد دلت السنة على إثبات مشيئة الرب - سبحانه - في أحاديث كثيرة فمن ذلك ما رواه البخاري بإسناده من حديث أبي موسى قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه وربما قال جاءه السائل أو صاحب الحاجة قال : اشفوا فلتوا جروا ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء (٦) .

وفيه من حديث علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال لهم ألا تصلون قال علي : فقلت يا رسول الله انما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا ببعثنا . . . الحديث (٧) وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص يقول أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء ) (٨) .

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( مثل المؤمن كمثل خامة الزرع يفيء ورقه من حيث أتتها الرياح تكفئها فإذا سكنت اعتدلت ، وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ، ومثل الكافر

- 
- ( ١ ) سورة القصص آية / ٦٨ ( ٢ ) سورة الحج آية / ٥  
( ٣ ) سورة الإنفطار آية / ٨ ( ٤ ) سورة الشورى آية / ٤٩ - ٥٠  
( ٥ ) شفاء العليل صفحة ٤٤ والآية رقم / ٢٤ من سورة النور .  
( ٦ ) فتح الباري ١٣ / ٤٤٨  
( ٧ ) الصدر السابق ص ٤٤٦  
( ٨ ) صحيح مسلم ٤ / ٢٠٤٥

كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء (١)

وفيه أيضا من حديث أبي قتادة رضي الله عنه حين ناموا عن الصلاة ( قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( إن الله قبض أرواحكم حين شاء ، وودها حين شاء . . . . ) الحديث (٢) .

وفيه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل نبي دعوة فأريد إن شاء الله أن أختبى دعوة شفاعتي لأمتي يوم القيامة (٣) .

فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية السابقة دللت على أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

وقبل أن نختم الكلام على مرتبة المشيئة هناك أمر يجب أن يتنبه لــــه ومعرفته تزول إشكالات كثيرة تعرض لمن قصر علمه به وهو أن الله - جلا وعلا - له الخلق والأمر ، وأمره - سبحانه - نوهان :

- أ - أمر كوني قدرى .
- ب - وأمر ديني شرعي .

فمشيئة الرب - سبحانه - متعلقة بخلقه وأمره الكوني ، وكذلك تتعلق بما يحب وما يكرهه كـه داخل تكلمت مشيئته كما خلق إبليس وهو يبغضه ، وخلق الشياطين والكفار والأعيان ، والأفعال السخوطة وهو يبغضها فمشيئته - سبحانه - شاملة لذلك كله ، وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على السنة رسله فما وجد منه تعلقت به المحبة والمشية جميعا فهو محبوب للرب واقع بمشيئته كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين ، وما لم يوجد منه تعلقت به محبته وأمره الديني ولم تعلق به مشيئته وما وجد من الكفر

( ١ ) فتح الباري ١٣ / ٤٤٦

( ٢ ) المصدر السابق صفحة ٤٤٧

( ٣ ) المصدر السابق ص ٤٤٧



والفسوق والمعاصي تعلقت به مشيئته ولم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره  
الديني ، وما لم يوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته فلفظ المشيئة كوني  
ولفظ المحبة ديني شرعي ، ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية فتكون بمعنى  
المشيئة ، وإرادة دينية فتكون بمعنى المحبة ، وإذا عرف هذا فقله - تعالى -  
( ( ولا يرضى لعباده الكفر ) ) وقله ( ( والله لا يحب الفساد ) ) (١) وقله ( ( ولا يريد بكم العسر ) ) (٢) لا يناقض نصوص القدر والمشيئة العامة الدالة على  
وقوع ذلك بمشيئته وقضائه وقدره فإن المحبة غير المشيئة والأمر غير الخلق ونظير  
هذا لفظ الأمر فإنه نوعان : أمر تكون ، وأمر تشريع والثاني قد يعمى  
ويخلط الأمر التكويني فقله - تعالى - ( ( وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا  
مترفيها ففسقوا فيها ) ) (٣) لا يناقض قوله ( ( إن الله لا يأمر بالفحشاء ) ) (٤) وليس  
هناك حاجة تكلف تقدير أمرنا مترفيها بالطاعة فمعصونا وفسقوا فيها بل الأمر  
ههنا أمر تكون وتقدر لا أمر تشريع " أ. هـ " (٥) .

والحاصل ما تقدم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة اثبات  
مشيئة الرب - جل - وعلا - وأنها الموجبة لكل موجود في هذا الكون كما أن عدم  
مشيئته - سبحانه - يوجب عدم الشيء ، فهما الموجبتان ، فما شاء الله تحتم وجوده  
وما لم يشأ تحتم عدمه وامتناعه وهذا أمر شامل لكل مقدور من أعيان وأفعال ،  
وحركات وسكنات - سبحانه - أن يكون في ملكه مالا يشاء ، أو أن يشاء شيئاً فلا  
يكون ، وإن كان في الأشياء مالا يرضاه ولا يحبه ، وإن كان يحب الشيء فلا يحصل  
لعدم مشيئته - سبحانه - له ولو شاء ذلك لوجد له الحكم النافذ ، والمشيئة  
المطلقة ، والقدرة التامة على كل شيء .

( ١ ) سورة البقرة آية / ٢٠٥ ( ٢ ) سورة البقرة آية / ١٨٥

( ٣ ) سورة الاسراء آية / ١٦ ( ٤ ) سورة الاعراف آية / ٢٨

( ٥ ) شفاء العليل ص ٤٧-٤٨ .

٤ ) مرتبة خلق الله - سبحانه - الأعمال وتكوينه وإيجاده لها :

لقد دلت سورة " المزمر " على أن الله تعالى هو الخالق لكل شيء \* ومسئون ذلك أعمال العباد ، فهو المكون لها والموجد لها - وحده لا شريك له - قال تعالى : (( **أَلله خالق كل شيء \* وهو على كل شيء وكيل** ))

هذه الآية الكريمة من السورة تدل على أن جميع الأشياء مخلوقة فقد أخبر - تعالى - أنه خالق لجميع العالم علويه ، وسفليه ، ومن ضمن ذلك أعمال عباده فإنها شيء \* من الأشياء ، ففيها رد على القائلين بأن المبد هو الخالق لأفعاله ، كما أن فيها ردا على الفلاسفة القائلين بقدم العالم ، وهي أيضا : ترد على القائلين بقدم الأرواح ، وهذه الأقوال صادرة عن أهل الباطل ، وهي تتضمن تعطيل - الباري سبحانه - عن خلقه .

قال العلامة ابن القيم : حول قوله تعالى (( **أَلله خالق كل شيء \*** )) الآية " وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء \* من العالم أعيانه وأفعاله وحركاته وسكناته ، وليس مخصوصا بذاته ، وصفاته ، فإنه الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له واللفظ قد فرق بين الخالق والمخلوق ، وصفاته - سبحانه - داخلة في سمي اسمه فإن الله - سبحانه - اسم للإله الموصوف بكل صفة كمال المنزه عن كل صفة نقص ومثال ، والعالم قسمان : أعيان وأفعال وهو الخالق لأعيانه وما يصدر عنها من الأفعال ، كما أنه العالم بتفاصيل ذلك ، فلا يخرج شيء \* منه عن علمه ، ولا عن قدرته ، ولا عن خلقه وشيئته " أ . هـ . (١) .

وقال شارح الطحاوية : (( **أَلله خالق كل شيء \*** )) أي : الله خالق كل شيء \* مخلوق فدخلت أعمال العباد في عموم كل وما أفسد قولهم - يعني المعتزلة - في إدخال كلام الله تعالى في عموم " كل " الذي هو صفة من صفاته يستحيل عليه أن يكون مخلوقا ، وأخرجوا أفعالهم التي هي مخلوقة من عموم كل !! وهل يدخل

في عموم كل إلا ما هو مخلوق ؟ فذاته المقدسة وصفاته غير داخلية في هذا العموم ، ودخل سائر المخلوقات في عمومها " أ. هـ .<sup>(١)</sup>

وقال البغوي : (( الله خالق كل شي \* )) أي : ما هو كائن ، أو يكون فسي الدنيا والاخرة " أ. هـ .<sup>(٢)</sup>

وقال ابن كثير : (( الله خالق كل شي \* )) يخبر تعالى أنه خالق الاشياء كلها وربها وملكها والمتصرف فيها ، وكل تحت تدبيره وقهره ، " لآله " أ. هـ .<sup>(٣)</sup>  
ومن هذه التفاسير للآية من مفسري أهل السنة يتبين أن أفعال المعبود جميعها مخلوقة ومقدرة للمولى - جل وعلا - ان هو - سبحانه - الخالق وما سواه كله مخلوق .

وأما قول القدرية : في الآية (( الله خالق كل شي \* )) ما لا يقدر عليه غيره وأما أفعال العباد التي يقدر عليها العباد فاضافتها اليهم بنفسهم اضافتها اليه ، والالزم وقوع مضمولين بين فاعلين وهو محال " أ. هـ .<sup>(٤)</sup>

فهذا زعم باطل لان اضافة أفعال العباد اليهم فعلا وكسبا لا ينفي اضافتها اليه - سبحانه - خلقا ومشيئة فهو - سبحانه - الذي شاءها وخلقها حقيقة وهم الذين فعلوها وكسبوها حقيقة فلولم تكن مضافة الى مشيئته وقدرته وخلقهمه لاستحال وقوعها منهم ان العباد أجهز وأضعف من أن يفتوا ما لم يشأ الله ولم يقدر عليه ولا خلقه " أ. هـ .<sup>(٥)</sup>

وهناك آيات كثيرة وردت في كتاب الله - تعالى - وهي تدل على ما دلت

عليه هذه الآية من السورة مثل قوله - تعالى - (( ذلكم الله ربكم خالق كل شي \* ))<sup>(٦)</sup>

فيدخل في هذا العموم الاعيان والافعال من الخير والشر \*

( ١ ) شرح الطحاوية ص ٤٩٦

( ٢ ) تفسير البغوي على حاشية الخازن ٩٦/٦ .

( ٣ ) تفسير القرآن العظيم ١٠٥/٦ .

( ٤ ) شفاء العليل ص ٥٤

( ٥ ) سورة غافر آية / ٤٠

وقوله - تعالى - (( أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم  
قل الله خالق كل شيء ))<sup>(١)</sup> ،

قال البيهقي : عقب هذه الآية " فنفى أن يكون خالق غيره ، ونفى أن يكون  
شيء سواه غير مخلوق ، فلو كانت الأفعال غير مخلوقة لكان الله - سبحانه -  
خالق بعض الأشياء دون جميعها وهذا خلاف الآية ، ومعلوم أن الأفعال أكثر  
من الأعيان ، فلو كان الله خالق الأعيان والناس خالقي الأفعال لكان خلق  
الناس أكثر من خلقه ولكانوا أتم قوة منه وأولى بصفة المدح من ربهم - سبحانه -  
ولأن الله - تعالى - قال (( والله خلقكم وما تعملون ))<sup>(٢)</sup> فأخبر أن أعمالهم  
مخلوقة لله - عز وجل - أ. هـ .<sup>(٣)</sup>

ولا يقال : إن " ما " صدرية - أي خلقكم وعلمكم - لأن سياق الآية يأباه  
لأن الخليل عليه الصلاة والسلام إنما أنكر عليهم عبادة المنحوت لا النحت والآية  
تدل على أن المنحوت مخلوق لله - تعالى - ، وهو ما صار منحوتاً إلا بفعلهم  
فيكون ما هو من آثار فعلهم مخلوقاً لله - تعالى - ولو لم يكن النحت مخلوقاً لله  
- تعالى - لم يكن المنحوت مخلوقاً له ، بل الخشب أو الحجر لا غير<sup>(٤)</sup> .

وما يدل على أن العباد فاعلون حقيقة قوله - تعالى - (( وما فعلوا من  
خير يعلمه الله ))<sup>(٥)</sup> وقوله تعالى (( وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ))<sup>(٦)</sup> .  
وقوله - تعالى - (( ولو شئنا الله ما فعلوه ))<sup>(٧)</sup> وقوله (( فلا تبتئس بما  
كانوا يفعلون ))<sup>(٨)</sup> .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - تعالى - : " والعباد فاعلون  
حقيقة والله خالق أفعالهم والعباد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والصلبي

- |                                                           |                             |
|-----------------------------------------------------------|-----------------------------|
| ( ١ ) سورة الرعد آية / ١٦                                 | ( ٢ ) سورة الصافات آية / ٣٧ |
| ( ٣ ) الاعتقاد ص ٥٩ - ٦٠                                  |                             |
| ( ٤ ) شرح الطحاوية ص ٤٩٦ ، وانظر " مجموع الفتاوى " ٧٩ / ٨ |                             |
| ( ٥ ) سورة البقرة آية / ١٩٧                               | ( ٦ ) سورة الحج آية / ٧٧    |
| ( ٧ ) سورة الانعام آية / ١٣٧                              | ( ٨ ) سورة هود آية / ٣٦     |

والصائم ، وللمعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وقدرتهم  
 وإرادتهم كما قال - تعالى - (( لمن شاء منكم أن يستقيم . وما تشاؤون إلا أن  
 يشاء الله رب العالمين )) (١) وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرة  
 الذين يسامهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة ، ويغلو فيها قوم  
 من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره وبخروجهم عن أعمال الله  
 وأحكامها وحكمها ومصلحتها . أ. هـ . (٢)

وقال العلامة ابن القيم : " ومن الدليل على خلق أعمال العباد قوله تعالى  
 (( وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم )) (٣) فأخبر أنه هو الذي  
 جعل السراويل وهي الدروع والثياب المصنوعة ومادتها لا تسمى سراويل إلا بعد  
 أن جعلها صنعة آدميين وعطيم ، فإذا كانت مجمولة لله مخلوقة له بجعلتها  
 صورتها وما داتها وهياتها ، ونظير هذا قوله (( والله جعل لكم من بيوتكم سكناً  
 وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم )) (٤) فأخبر  
 - سبحانه - أن البيوت المصنوعة المستقرة والمتقلة مجمولة له ، وهي إنما صارت  
 بيوتا بالصنعة الآدمية . (٥)

ومن الآيات الدالة على خلق أعمال العباد قوله تعالى (( وأسروا قلوبكم أو  
 اجهروا به إنه عليم بذات الصدور )) (٦)

قال البيهقي فأخبر أن قلوبهم وسرهم وجهرهم خلقه وهو بجميع ذلك عليم . أ. هـ . (٧)  
 فهذه الآيات التي قد منا ذكرها دلت على أن الله خالق كل شيء فهو  
 خالق كل عامل وعطيم ، وكل متحرك وحركته وكل ساكن وسكونه ، وما من ذرة في  
 السموات ولا في الأرض إلا والله - سبحانه وتعالى - خالقها وخالق حركتها وسكونها

- ( ١ ) - سورة التكويم آية / ٢٨-٢٩ ( ٢ )  
 ( ٢ ) العقيدة الواسطية مع شرحها لمحمد خليل هراس ص ١٣٥ - ١٣٧ .  
 ( ٣ ) سورة النحل آية / ٨١ ( ٤ ) سورة النحل آية / ٨٠  
 ( ٥ ) شفاء العليل ص ٥٤-٥٥ ( ٦ ) سورة الطك آية / ١٣-١٤  
 ( ٧ ) الاعتقاد ص ٦٠ .

- سبحانه - لا خالق غيره ولا رب سواه .

كما دلت على أن للعباد قدرة على أعمالهم ، ولهم مشيئة والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيتهم ، وأقوالهم وأفعالهم وهو الذي منحهم إياها وأقدرهم عليها وجعلها قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة ، وحسبها كلفوا وعليها يثابون ويعاقبون ، كما قال تعالى (( وتلك الجنة التي أورشتموها بما كنتم تعملون ))<sup>(١)</sup> وقال تعالى (( وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ))<sup>(٢)</sup> ولم يكفهم الله تعالى إلا وسمعهم ولم يحطهم إلا طاقتهم كما قال تعالى (( لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ))<sup>(٣)</sup> .

وروى البخاري في صحيحه بإسناد إلى البراء بن عازب رضي الله عنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ينقل معنا التراب وهو يقول :

|                              |                                      |
|------------------------------|--------------------------------------|
| والله لو لا الله ما اهتد بنا | ولا صننا ولا صلينا                   |
| فأنزلن سكينه علينا           | وشبت الأقدام ان لا قينا              |
| والمشركون قد بفوا علينا      | إذا أرادوا فتنة أبينا <sup>(٤)</sup> |

وقال صلى الله عليه وسلم في شأن الجمر ( ما أنزل الله علي فيها شيئا إلا هذه الآية الجامعة الفائزة )) فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ))<sup>(٥)</sup>

وكما أن العباد لم يوجدوا أنفسهم فكذلك لم يوجدوا أفعالهم ، فقدرتهم وإرادتهم ومشيتهم وأفعالهم ، تبع لقدرة الله - سبحانه - وإرادته ومشيتته وأفعاله ، إذ هو - تعالى - خالقهم وخالق قدرتهم ومشيتهم وإرادتهم وأفعالهم ، وليس مشيتهم وإرادتهم وقدرتهم وأفعالهم هي عين مشيئة الله - تعالى - وإرادته ، وقدرته ، وفعله ، كما ليسوهم إياه - تعالى الله - عن

( ١ ) سورة الزهري آية / ٤٣ ( ٢ ) سورة السجدة آية / ٣٢  
 ( ٣ ) سورة البقرة آية / ٢٨٦ ( ٤ ) صحيح البخاري مع الفتح ١١ / ٥١٥ - ٥١٦  
 ( ٥ ) متفق عليه من حديث أبي هريرة ، صحيح البخاري ٣ / ٢٢٠ ، سلم ٢ / ٦٨٢

ذلك علوا كبيرا بل إن أفعالهم المخلوقة لله قائمة بهم لا ثقة بهم مضافة إليهم حقيقة ، وهي من آثار أفعاله - تعالى - القائمة به اللائقة المضافة إليه حقيقة .  
 فالله - تعالى - هاد حقيقة ، والعبد مهتد حقيقة ولهذا أضاف - تعالى - كلا من الفعلين إلى من قام به . فقال - عز وجل - (( من يهد الله فهو المهتدي ))<sup>(١)</sup> فإضافة الهداية إلى الله - تعالى - حقيقة ، وإضافة الاهتداء إلى العبد حقيقة ، وكما أن الهادي - تعالى - ليس هو عين المهتدي فكذلك ليست الهداية هي عين الاهتداء ، وكذلك يضل الله - تعالى - من يشاء حقيقة ، وذلك العبد يكون ضالا حقيقة وهو - سبحانه - وتعالى خالق المؤمن وإيمانه والكافر وكفره كما قال - جل وعلا - (( هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير ))<sup>(٢)</sup> .

فالله - تعالى - هو الخالق لعباده على هذه الصفة وأراد منهم ذلك كونا لا شرعا ، فلا بد من وجود المؤمن والكافر ، وهو - سبحانه - البصير بمن يستحق الهداية من يستحق الضلال وهو شهيد على أعمالهم وسيجزئهم عليها جزاء<sup>١</sup> وفاقا لذلك قال تعالى (( والله بما تعملون بصير ))<sup>(٣)</sup> فأضاف - سبحانه - الخلق الذي هو فعله القائم به إليه حقيقة وأضاف الإيمان والكفر الذي هو عملهم القائم بهم إليهم حقيقة والله - تبارك وتعالى - هو الذي جعلهم كذلك ، وهم فعلوه باختيارهم وقد رتبهم ومشيقتهم التي منحهم الله إياها وخلقها فيهم وأمرهم ونهاهم بحسبها .

والأدلة من الكتاب والسنة على هذا كثيرة جدا . قال ابن القيم : "والجمله فكل دليل في القرآن على التوحيد فهو دليل على القدر وخلق أفعال العباد ولهذا كان إثبات القدر أساس التوحيد .

قال ابن عباس : الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض

( ١ ) سورة الاعراف آية / ١٧٨ ( ٢ ) سورة التغابن آية / ٢

( ٣ ) جزء من الآية رقم / ٢ / من سورة التغابن .

تكذيبه توحيداً " أ. هـ (١)

### أقوال الناس في أفعال المباد الاختيارية :

هذه المسألة فيها آراء ثلاثة :

#### القول الأول : للجبرية :

فقد زعمت الجبرية ورئيسهم الجهم بن صفوان السمرقندي : أن التدبير في أفعال الخلق كلها لله - تعالى - ، وهي كلها اضطرارية كحركات المرتعش ، والمرووق النابضة ، وحركات الأشجار وإضافتها إلى الخلق مجاز وهي عيسى حسب ما يضاف الشيء إلى محله دون ما يضاف إلى محصله (٢) .

#### القول الثاني : للمعتزلة :

ورأى المعتزلة مقابل لرأي الجبرية : فقد قالوا : إن جميع الأفعال الاختيارية من جميع الحيوانات بخلقها لا تعلق لها بخلق الله - تعالى - واختلفوا فيما بينهم هل الله - تعالى - يقدر على أفعال المباد أم لا ؟ (٣)

#### القول الثالث : قول أهل الحق :

وهو أن أفعال المباد بها صاروا مطيعين وعصاة ، وهي مخلوقة لله - تعالى - والحق - سبحانه - وتعالى منفرد بخلق المخلوقات لا خالق لها سواه " أ. هـ (٤) .

فالقول الأول وهو قول الجبرية من أفسد المذاهب إذ أنهم ظنوا في إثبات القدر حتى نفوا فعل المباد بالكيفية وجعلوه كريح في مهب الريح تصفحها كيف تشاء .

( ١ ) شفاء المليل ص ٦٥

( ٢ ) شرح الطحاوية ص ٤٩٣ ، الطل والنحل للشهرستاني ١ / ٨٥ ، التبصير في الدين ص ١٠٧

( ٣ ) شرح الطحاوية ص ٤٩٣ ، مقالات الإسلاميين ١ / ٢٩٨ ، الفرق بين الفرق ص ١١٤ الطل والنحل للشهرستاني ١ / ٤٥ .

( ٤ ) شرح الطحاوية ص ٤٩٣ .



وأما القدرة نفاة القدر فقد جعلوا العبادة خالقين مع الله - تعالى - ولهذا كانوا [ مجوس هذه الأمة ]<sup>(١)</sup> بل أخبت من المجوس حيث أن المجوس أثبتوا خالقين اثنين وهم أثبتوا خالقين كثيرين ، وللجبرية والقدرية أدلة يستدلون بها على دعوتهم الباطلة ومذاهبهم الفاسدة وهي في الحقيقة حجج عليهم في بطلان ما يدعون . فما استدل به الجبرية : قوله - تعالى - (( وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ))<sup>(٢)</sup> قالوا : إن الله نفى عن نبيه الرمي وأثبتته لنفسه - سبحانه - فدل على أنه لا فعل للمعبود ، وقالوا : أيضا إن الجزاء غير مرتب على الأعمال بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ( لا يدخل أحدا الجنة عله قالوا : ولا أنست يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة )<sup>(٣)</sup> ، وما استدل به القدرة قوله - تعالى - (( فتبارك الله أحسن الخالقين ))<sup>(٤)</sup> قالوا : والجزاء مرتب على الأعمال ترتب العوض كما قال - تعالى - (( جزاء بما كنتم تعملون ))<sup>(٥)</sup> و (( تلك الجنة التي أورشتموها بما كنتم تعملون ))<sup>(٦)</sup> وحجج الفريقين عليهم لا لهم ،

فأما ما استدل به الجبرية من قوله تعالى (( وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ))<sup>(٧)</sup> فهو دليل عليهم لا لهم لأنه تعالى أثبت لرسوله صلى الله عليه وسلم رميا بقولسه (( إذ رميت )) ومن هنا يعلم أن الثبوت غير المنفي وذلك أن " الرمي " له ابتداء وانتهاء فابتدأه الحذف ، وانتهاه الإصابة ، وكلاهما يسمى رميا فيكون المعنى حينئذ والمعلم لله تعالى " وما أصبت إذ حذف ولكن الله أصاب " وإلا فيطرد على قلوبهم : " وما صليت إذ صليت ولكن الله صلى ! وما صت إذ صمت وما سرقت إذ سرقت إى صطلان هذا بين واضح " <sup>(٨)</sup> .

- 
- ( ١ ) أنظر سنن أبي داود ٥٢٥/٢ من حديث ابن عمر  
( ٢ ) سورة الانفال آية / ١٧  
( ٣ ) رواه البخارى من حديث عائشة الفتح ٢٩٤/١١ ، صحيح مسلم ٢١٧١/٤  
( ٤ ) سورة المؤمنون آية / ١٤ ( ٥ ) سورة السجدة آية / ١٧  
( ٦ ) سورة الاعراف آية / ٧٢ ( ٧ ) سورة الانفال آية / ١٧  
( ٨ ) شرح الطحاوية ص ٤٩٥ وانظر مجموع الفتاوى ١٨/٨ ، التبصير في الدين ص ١٠٧

ويشبه قول الجبرية في البطلان الكسب عند الأشاعرة فإنهم يقولون : إن قدرة العبد لا تأشير لها في فعله .

جاء في " غاية المرام " وذهب من عدا هؤلاء من أهل الحق إلى أن أفعال المباد مضافة إليهم بالإكتساب وإلى الله تعالى بالخلق والإختراع وأنه لا أثر للقدرة الحادثة فيها أصلاً<sup>(١)</sup> وهذا المذهب مماثل لمذهب الجبرية إن لم يكن عينه ، وليس أهله أهل الحق كما زعم ان كيف يثبتون قدرة لا أثر لها ، وهذا في الحقيقة نفي للقدرة كلياً ولهذا يقال : كسب الأشعري من محالات الكلام<sup>(٢)</sup> .

وأما ترتب الجزاء على الأعمال فقد ضلت فيه طائفتا الجبرية والقدرية وهدى الله أهل السنة والجماعة وذلك بفضلهم ومنته عليهم بسلوك الصراط السوي .

فهم يقولون : إن الباء التي في النفي غير الباء التي في الاثبات فالمنفي في قوله عليه الصلاة والسلام ( لن يدخل أحد الجنة بعمله )<sup>(٣)</sup> بـ العوض وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة كما تزعم ذلك المعتزلة أن العامل مستحق لدخول الجنة على ربه بعمله . بل ذلك برحمة الله وفضله والباء التي في قوله - تعالى - (( جزاءاً بما كانوا يعملون ))<sup>(٤)</sup> وغيرها بـ السبب أي بسبب عملكم والله - تعالى - هو خالق الأسباب والسببيات فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته<sup>(٥)</sup> .

وأما استدلال المعتزلة بقوله - تعالى - (( فتبارك الله أحسن الخالقين ))<sup>(٦)</sup> فمعنى هذه الآية : أحسن المصورين المقدرين و " الخلق " يذكر ويراد به التقدير وهو المراد هنا بدليل قوله - تعالى - (( الله خالق كل شيء ))<sup>(٧)</sup> .

والناظر في مذهب الجبرية والقدرية يجد أن كل طائفة منهما معها حـق

( ١ ) غاية المرام ص ٢٠٧ ، الاعتقاد للبيهقي ص ٦٠ المواقف في علم الكلام ص ٣١٢ وما بعدها .

( ٢ ) شفاء العليل ص ٥٠ .

( ٣ ) تقدم تخريجه قريباً وهو في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها .

( ٤ ) سورة السجدة آية ١٧ ( ٥ ) مجموع الفتاوى ٧٠/٨ ، شرح الطحاوية ص ٤٩٥

( ٦ ) سورة المؤمنون آية ١٤ ( ٧ ) سورة الرعد آية ١٨ /

وباطل وأدلة كل منهما انما تنهض على بطلان خطأ الطائفة الأخرى لا على إبطال ما أصابوا فيه ، فكل دليل صحيح للجبرية إنما يدل على إثبات قدرة - السرب تعالى - وشيئته وأنه لا خالق غيره وأنه على كل شيء " قد ير لا يستثنى من هذا العموم فرد واحد من أفراد الممكنات وهذا حق ، ولكن ليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون العبد قادرا مريدا فاعلا بشيئته وقدرته وأنه فاعل حقيقة وأفعاله قائمة به ، وأنها فعل له ، وأنها قائمة به .

وكل دليل صحيح يقيسه القدرة فإنما يدل على أن أفعال العباد فعل لهم قائمة بهم واقعة بقدرتهم ، وشيئتهم وإرادتهم وأنهم مختارون لها غير مضطرين ولا مجبورين ، وليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون الله - سبحانه - قادرا على أفعالهم وهو الذي جعلهم فاعلين .

فأدلة الجبرية صحيحة متظافرة على من نفى قدرة الرب - سبحانه - على كل شيء من الأعيان والأفعال ونفى عموم شيئته وخلقه لكل موجود ، وأثبت فسي الوجود شيئا بدون شيئته وخلقه .

وأدلة القدرة صحيحة متظافرة على من نفى فعل العبد وقدرته وشيئته واختياره وقال إنه ليس بفاعل شيئا والله يعاقبه على ما لم يفعله ولا له قدرة عليه بل هو مضطرب إليه مجبور عليه " (١)

فإذا ضمنا ما عند كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى فإنما يدل ذلك على ما دل عليه كتاب الله ، وسائر كتب الله المنزلة قبله من عموم قدرة الله وشيئته لجميع ما في هذا الكون من الأعيان والأفعال وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة ، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم " (٢) .

وعند التأمل للأدلة التي أسلفناها التي دلت على أن العباد فاعلون حقيقة ، والله - تعالى - خالقهم وخالق أفعالهم وأنهم مختارون لهم إرادة وشيئة

( ١ ) شفاء العليل ص ٥١

( ٢ ) شرح الطحاوية ص ٤٩٤

تأهبة لا رادة الله ومشيئته . نعلم أن أهل الكلام الباطل ، وأهل الأهواء  
والبدع من جميع الطوائف هم أبخس الناس حظا ، وأقلهم نصيبا ، وأخسرهم عملا .  
وأن أهل السنة والجماعة هم أهل الحق في هذه المسألة وغيرها " فإنهم يثبتون  
قدرة الله على جميع الموجودات من الأعيان والأفعال ومشيئته العامة ، وينزهونه  
أن يكون في ملكه ما لا يقدر عليه ولا هو واقع تحت مشيئته ، ويثبتون القدر السابق  
وأن المباد يحصلون على ما قدره الله وقضاه وفرغ منه وأنهم لا يشاؤون إلا أن  
يشاء الله ، ولا يفعلون إلا من بعد مشيئته وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن  
ولا تخصيص عندهم في هاتين القضيتين بوجه من الوجوه ، والقدر عندهم قدرة  
الله - تعالى - وعلمه ، ومشيئته ، وخلقته فلا يتحرك ذرة فما فوقها إلا بمشيئته  
وعلمه ، وقدرته فهم المؤمنون " بلا حول ولا قوة الا بالله " على الحقيقة إذا قالها  
غيرهم على المجاز إذ العالم علويه ، وسفليه ، وكل حي يفعل فعلا فان فعله  
بقوة فيه على الفعل وهو في حول من ترك إلى فعل ومن فعل إلى ترك ، ومن فعل  
إلى فعل ، وذلك كله بالله - تعالى - وهو مؤمن بأن من يهده الله فلا مضل له ،  
ومن يضل فلا هادي له وأنه هو الذي يجعل المسلم مسلما والكافر كافرا والمصلي  
مصليا والمتحرك متحركا وهو الذي يسير عبده في البر والبحر وهو السير والمبد  
السائر . . . . . ويثبتون مع ذلك قدرة المبد وإرادته ، واختباره وفعله حقيقة لا  
مجازا وهم متفقون على أن الفعل غير المفعول . . . . . فحركات المباد واعتقاداتهم  
أفعال لهم حقيقة وهي مفعولة لله - سبحانه - مخلوقة له حقيقة والذي قام  
بالرب - عز وجل - عطيه وقدرته ومشيئته وتكوينه والذي قام بهم هو فعلهم وكسبهم  
وحركاتهم وسكناتهم فهم المسلمون المصلون القائمون القاعدون حقيقة ، وهو سبحانه  
هو المقدر لهم على ذلك القادر عليه الذي شاء منهم وخلق لهم ومشيئتهم وفعلهم  
بعد مشيئته فما يشاؤون إلا أن يشاء الله ، وما يفعلون إلا أن يشاء الله ، وإذا  
قارن الإنسان بينه وبين المذاهب الأخرى وجد أنه المذهب الوسط السوي ووجد  
فيه من المذاهب خطوطا عن يمينه وعن شماله فقرب منه ، وصحيد " (١)

## ( البحث الرابع )

ما يتعلق بالهداية والضلال

قبل أن نشرع في عرض الآيات المتعلقة بالهدى والضلال من سورة " الزمر " نذكر تعريف الهدى والضلال أولاً :

أما الهدى ؛ فهو في الأصل مصدر كالمسرى ومعناه : الرشاد والدلالة ولو غير موصلة <sup>(١)</sup> .

وجاء في النهاية لابن الأثير : " ومن أسماه - تعالى - الهادي وهو الذي بصَّر عباده ، ورفَّهم طرق معرفته حتى أقروا بهيئته وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد منه في بقائه ودوام وجوده ، وفي الحديث " الهادي الصالح والسمت الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة " <sup>(٢)</sup> والمراد بالهدى هنا السيرة ، والهيئة والطريقة ، ومعنى الحديث : أن هذه الخلال من شمائل الأنبياء وخصالهم الحميدة وأنها جزء معلوم من أجزاء أفعالهم لا أن المعنى أن النبوة تتجزأ ، ولا أن من جمع هذه الخلال كان فيه جزء من النبوة ، فإن النبوة غير مكتسبة ولا مجتنبية بالأسباب وإنما هي كرامة من الله تعالى " أ . هـ <sup>(٣)</sup> .

وأما تعريف الضلال : فقد جاء في القاموس : الضلال والضلالة . . . . ضد الهدى " <sup>(٤)</sup>

وفي اللسان : قال أبو منصور : والإضلال في كلام العرب ضد الهداية والإرشاد يقال : أضللت فلاناً إذا وجهته للضلال عن الطريق وإياه أراد لبيد :  
من هداه سبل الخير اهتدى ، ناعم البال ومن شاء أضل  
قال لبيد هذا في جاهليته فوافق قوله التنزيل المميز (( يضل من يشاء ويهدى

( ١ ) لوامع الأنوار البهية ١ / ٥٠ .

( ٢ ) رواه أبو داود في سننه ٥٤٨ / ٢ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

( ٣ ) النهاية ٥ / ٢٥٣ ، لوامع الأنوار ١ / ٥٠ .

( ٤ ) القاموس ٤ / ٥٠ .

من يشاء)) أ. هـ (١)

ومعد تعريف الهدى والضلال نقول : إن الهدى والضلال هما لب أبواب  
القدر ، وما يتعلق به من المسائل ، فإن أعظم نعمه بقدرها الله تعالى للمعبود  
هي نعمة الهداية وأعظم مصيبة يصاب بها الإنسان هي مصيبة الضلال وكل ما  
بالإنسان من نعمة هي دون نعمة الهداية ، وكل مصيبة مهما كبرت وعظمت  
فهي دون مصيبة الضلال وقد أجمع الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى  
خاتمهم والكتب المنزلة عليهم - أن الباري سبحانه - يضل من يشاء ويهدي من  
يشاء ، وأن من هداه الله فلا مضل له ومن أضله الله فلا هادي له ، فالهداية  
والإضلال بيد الله - سبحانه - وأن المعبد لا يملك من ذلك شيئاً (٢) ونصوص الكتاب  
والسنة تقرر أن المعبد هو الضال أو المهتدي ، وقد دلت سورة " الزمر " فسي  
عدد من آياتها على أن الهداية والإضلال فعل الله والإهتداء والضلال فعل  
المعبد وكسبه .

قال تعالى : (( إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ))

وقال تعالى : (( أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فهل  
للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين . الله نزل أحسن الحديث  
كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم  
وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فما له  
من هاد ))

وقال تعالى : (( أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن

يضل الله فما له من هاد ))

وقال تعالى : (( ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام ))

وقال تعالى : (( إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل

( ١ ) اللسان ٣٩١/١١ ، والآية رقم ٨/ من سورة فاطر .

( ٢ ) أنظر شفاء المليل في مسائل القضاء والقدر لابن القيم ص ٦٥ بتصرف .

فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل ))

وقال تعالى : (( أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين ))

هذه سبع آيات من السورة دلت على أن الهداية والإضلال بيد الله ،  
وأن الله تعالى هو الهادي والعبد هو المهتدي ،

فالآية الأولى : وهي قوله (( إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار )) ففيها  
الإخبار من الله - جل وعلا - بأنه لا يوفق للهداية إلى صراطه المستقيم من صفته  
الكذب والكفر بحيث تصل إليه المواظ والآيات البينات ولا يزول عنه ما اتصف به  
من الصفات التي تحول بينه وبين الهداية حيث يرى الآيات فيجحد ها ويكفر بها  
ويكذب فمثل هذا أتى له الهدى وقد أغلق على نفسه الباب فعاقه الله بالطبع  
على قلبه فصار ليس أهلا للهداية .

قال ابن جرير رحمه الله - تعالى - يقول تعالى ذكره (( إن الله لا يهدي ))  
إلى الحق ودينه الإسلام والإقرار بوحده انيته فيوقفه له (( من هو كاذب )) مفتر على  
الله يتقول عليه الباطل ، وضيق إليه ما ليس من صفته ويزعم أن له ولدا افترا عليه  
كفار لنعمه جحود لربوبيته " أ. هـ (١) .

وقال الرازي : (( إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار )) والمراد أن من أصر  
على الكذب والكفر بقي محروما عن الهداية " أ. هـ (٢) .

وأما الآية الثانية : وهي قوله (( أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور  
من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين )) هذه الآية بينت  
بأن من فسح الله قلبه لمعرفة والإقرار بوحده انيته والإذعان لربوبيته ، والخضوع  
لطاعته ، فهو على بصيرة مما هو عليه ويؤمن بتنوير الحق في قلبه ، فهو  
لذلك لأمر الله متبع ، وما نهاه عنه منته فيما يرضيه ، ومن كان كذلك لا يستوى  
هو ومن أقسى الله قلبه وأخلاه من ذكره وضيقه عن استماع الحق ، واتباع الهدى ،

( ١ ) جامع البيان ١٩٢/٢٣

( ٢ ) التفسير الكبير ١٩٢/٢٦

والعمل بالصواب فبين هذا والذي قبله فرق عظيم ، وتفاوت كبير إذ الذين قست قلوبهم عن ذكر الله في ضلال واضح بين عن الحق . قال مجاهد : ليس المنشرح صدره مثل القاسي قلبه " (١) .

وأما الآية الثالثة : وهي قوله ( أَلله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها ))  
الآية . فهذه الآية بين الله - تعالى - فيها أن التأثير الحاصل لعباده المؤمنين عند سماعهم القرآن من اقشمرار جلودهم ولين قلوبهم إنما هو هدى من الله يهدى به من يشاء من عباده وهو من جملة فضل الله وإحسانه عليهم .

فالقرآن طريق موصل إلى الله - تعالى - يهدى به من يشاء من عباده وهم الذين صلحت أعمالهم وحسنت مقاصدهم كما قال - عز وجل - يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام )) (٢) ، فلا سبيل إلى الله إلا بتوفيقه ، والتوفيق للإقبال على كتابه فإذا لم يحصل للمعبود ذلك فلا وصول إلى الهدى ، وما هو إلا الضلال العمين والشقاء الأليم .

قال ابن جرير رحمه الله - تعالى - (( ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ))  
يقول تعالى ذكره " هذا الذي يصيب هؤلاء القوم الذين وصفت صفتهم عند سماعهم القرآن من اقشمرار جلودهم ، ثم لينها ولين قلوبهم إلى ذكر الله من بعد ذلك وهدى الله بمعنى : توفيق الله إياهم وفهمهم له (( يهدى به من يشاء )) يقول : يهدى تبارك وتعالى بالقرآن من يشاء من عباده ، إلى أن قال وقوله (( ومن يضل الله فما له من هاد )) يقول تعالى ذكره : ومن يخذله الله عن الإيمان بهذا القرآن والتصديق بما فيه ، فيضله عنه (( فما له من هاد )) يقول : فما له من موفى له وسدد يسدده في اتباعه " أ . هـ (٣)

وأما الآية الرابعة : وهي قوله تعالى (( . . . . )) ومن يضل الله فما له هاد )) ففيها توضيح أن من أضله الله لم يكن لاحد سبيل إلى هدايته ورده من

( ١ ) جامع البيان ٢٣ / ٢٠٩  
( ٢ ) سورة المائدة آية / ١٦  
( ٣ ) جامع البيان ٣٣ / ٢١١ .



الكفر إلى الإيمان .

قال القرطبي : (( ومن يضل الله فما له من هاد )) أي من خذله الله فلا مرشد له وهو يرد على القدرية<sup>(١)</sup> .

وأما الآية الخامسة : وهي قوله (( ومن يهد الله فما له من مضل . . . )) الآية بين الله - تعالى - فيها أن من هداه ووفقه للرشاد فليس لأحد طريق إلى اضلاله . قال الطبري : (( ومن يهد الله فما له من مضل . . . )) يقول : ومن يوفقه الله للإيمان به والعمل بكتابه (( فما له من مضل )) يقول : فما له من مزيف يزيغه عن الحق الذي هو عليه إلى الارتداد إلى الكفر<sup>(٢)</sup> .

وقال الشوكاني : (( ومن يهد الله فما له من مضل . . . )) يخرج من الهداية ويوقعه في الضلال<sup>(٣)</sup> .

وأما الآية السادسة : وهي قوله (( إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها . . . )) الآية . هذه الآية فيها إخبار من الله تعالى بأن من اهتدى بالقرآن وعمل بما فيه واتبعه فإن نفع ذلك عائد إلى نفسه ومن ضل بعد أن اتضح له الهدى فإن ضرر ذلك عائد عليه ولا يضر الله شيئاً .

وأما الآية السابعة : وهي قوله - تعالى - حكاية عن الكافر الذي يتأسف على نفسه يوم القيامة حيث جانب طريق الهدى بعد ما أخذه بأسباب الهداية والإيمان بالرسول . (( أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين )) ففيه - هذه الآية - مشهد لحال النفس التي فرطت في جنب الله أي في جانب حقه فلم تيمثل أمر الله ، ولم تكن أطاعته حق الطاعة أنها تتننى لو أن الله هدانا ووفقنا للرشاد فتكون مع عباد الله المتقين فتسلم من العقاب ، وتظفر بالشواب ، ولكن

( ١ ) الجامع لأحكام القرآن ٢٥٠/١٥

( ٢ ) جامع البيان ٦/٢٤

( ٣ ) فتح القدير ٤٦٥/٤

هيئات لعدم نفع هذا الشئ الكاذب حيث أضاءت الفرصة في المكان الذي كان لها القدرة في الأخذ بأسباب الهدى فتكون من المهتدين ، ومع عباد الله المتقين ولكن هذا التمني والتأسف وقع بعد فوات الأوان .

وكما نرى أن هذه الآيات السبع المتقدمة كلها وردت في هداية التوفيق والإلهام وخلق المشيئة المستلزمة للفعل . كما أوضحت أن الهداية والاضلال فعل الله والإلهام والاضلال فعل المبد وكسبه .

وقد وردت آيات كثيرة في معنى الآيات السابقة في سور أخرى من القرآن ، قال تعالى (( من يهد الله فهو المهدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون )) (١) .

دللت هذه الآية على أنه لا سبيل إلى وجود الهداية للمبد إلا بمسئد هداية الله له فإذا وفقه الله للمهدي كان من المهتدين . قال العلامة ابن القيم : " ولا سبيل إلى وجود الأثر إلا بموتثره التام فإن لم يحصل فمله لم يحصل فمسل المبد ولهذا قال تعالى (( إن تعرض على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل )) (٢)

وهذا صريح في أن هذا الهدى ليس له صلى الله عليه وسلم ولو حرص عليه ولا إلى أحد غير الله وأن الله - سبحانه - إذا أضل عبدا لم يكن لأحد سبيل إلى إلهائه هدايته " أ. هـ (٣) . وقال تعالى (( من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم )) (٣) . وقال تعالى (( من يضل الله فلا هادي له )) (٥) . وقال

تعالى (( أقمن زين له سوء عظه فرآه حسنا فإن الله يضل من يشأ ويهدي من يشأ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات )) (٦) وقال تعالى عن أهل الجنة (( الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله )) (٧) ولم يقصدوا

أن يعنى الهدى من الله وبعضه منهم بل نسبوا الهدى كله لله ولولا أنه هداهم لما اهتدوا . وقال تعالى (( كذلك يضل الله من يشأ ويهدي من يشأ وما يظن

( ١ ) سورة الاعراف آية ٧٨

( ٢ ) سورة النحل آية ٣٧

( ٣ ) شفاء الملل في سائل القضاء والقدر ص ٨١ .

( ٤ ) سورة الانعام آية ٣٩

( ٥ ) سورة الاعراف آية ١٨٦

( ٦ ) سورة فاطر آية ٨

( ٧ ) سورة الاعراف آية ٤٣

جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكر للبشر ))<sup>(١)</sup> ففي هذه الآية التصريح بأن مشيئة الله تعالى في الهداية والضلال مطلقة لا يسأل عما يفعل ولكنه تعالى عدل فحاشاه أن يضل من يستحق الهداية ، وحاشاه أن يهدي من يستحق الضلال فقد نزه نفسه عن ذلك فقال : (( إن الله لا يظلم مثقال ذرة ))<sup>(٢)</sup> وقال - جل ثناؤه - (( وما ربك بظلام للعبيد ))<sup>(٣)</sup> بقي أن نعريف من هم الذين يشاء الله هداهم ؟ ومن هم الذين يشاء الله ضلالهم ؟ الذين يشاء الله هداهم هم الذين فتحوا قلوبهم للهدى وعقولهم للحق وأقبلوا على كتابه صادقين وانقادوا لأوامره طائعين فهو لا لهم المون من الله على الهداية ويوفقه لهم لطلبها والإقبال عليها ، ويزيدهم إيمانا وهدى ، وعن هذه الغثة قال تعالى (( والذين اهدىنا زادهم اهدى وآتاهم تقواهم ))<sup>(٤)</sup> وقال تعالى في شأن أهل الكهف (( إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ))<sup>(٥)</sup> وأما الذين يشاء الله ضلالهم فهم الذين حادوا عن الحق وأعرضوا عن الهدى وسدوا عن أنفسهم جميع المنافذ التي توصلهم إلى الإيمان بالله والتزام دين الإسلام فلم يكن عندهم أي اعتماد لأن يتقبلوا هدى الله الذي أنزله على رسوله فهم كما قال تعالى (( صم بكم عي فهم لا يمعنون ))<sup>(٦)</sup> وقد أخبر تعالى بأن من جده أو كفر بدينه فإنه لا يهديه . قال تعالى (( والله لا يهدي القوم الكافرين ))<sup>(٧)</sup> . وأخبر بأن من فسق في حياته وخرج عن طاعة ربه فإنه لا يهديه قال تعالى (( والله لا يهدي القوم الفاسقين ))<sup>(٨)</sup> وأخبر بأنه لا يهدي القوم الظالمين قال تعالى (( والله لا يهدي القوم الظالمين ))<sup>(٩)</sup> وقال تعالى عن الفريقين مما فريق الهداية ، وفريق الضلالة (( فأما الذين آمنوا فاعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين ))<sup>(١٠)</sup> .

(٢) سورة النساء آية / ٤٠  
 (٤) سورة محمد آية / ١٧  
 (٦) سورة البقرة آية / ١٧١  
 (٨) سورة المائدة آية / ١٠٨  
 (١٠) سورة البقرة آية / ٢٦

(١) سورة المدثر آية / ٣١  
 (٣) سورة فصلت آية / ٤٦  
 (٥) سورة الكهف آية / ١٣  
 (٧) سورة البقرة آية / ٢٦٤  
 (٩) سورة آل عمران آية / ٨٦

وما يجب أن يعلم أن الله تعالى إنما يضل من يضل من خلقه إنما يكسون ذلك بعد العذر إليهم بتبيين طرق الهدى ويضعهم القدرة الكافية التي تمكنهم من السير عليها فإذا قدم العبد - بعد العلم - الضلال على الهدى ولاه الله ما تولى وكان ذلك بمحض عدله سبحانه لا ظلم فيه قال تعالى (( وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يمتقون ))<sup>(١)</sup> والذي يوشى طلب الهداية والرغبة فيها وبأخذ بالأسباب التي توصله إليها فإنه سيجد من الله عوناً على تحصيلها وتحقيقها وذلك من رحمة الله لعباده وفضله عليهم ، ومن يوشى الضلالة ويرغب فيها ويسعى جاهداً في طلبها ويعمل بالأسباب التي توصله إليها نمت له فلم يجد من الله تعالى صارفاً عنها وهذا من عدل الله في عباده وحسن تدبيره لهم .

وإذا عرفنا ذلك فليس لعبد من عباده أن يعترض على الله ويقول إذا كان الله يضل ويهدي فليس للعبد حرية الاختيار . فالواقع أن الهداية والإضلال نتائج لمقدّمات وسبببات لأسباب كما تقدم ذلك في الآيات التي قد منا ذكرها حيث تبين لنا أن الهداية إنما هي شجرة العمل الصالح والإقبال على منهج الله تعالى ، والضلال إنما هو نتائج العمل القبيح السيء ، وإذا رجعنا إلى الآيات القرآنية نجد هذا المعنى بينا واضحا لا التباس فيه ولا إشكال .

قال تعالى (( ويهدي إليهم إنا ))<sup>(٢)</sup> وقال تعالى (( والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا ))<sup>(٣)</sup> فالهداية الحاصلة للمؤمنين إنما هي شجرة مجاهدتهم لأنفسهم وإنابتهم إلى الله واستسماكتهم بإرشاده ووجيهه . قال تعالى في شأن الإضلال (( كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ))<sup>(٤)</sup> وقال تعالى (( فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين ))<sup>(٥)</sup> وقال تعالى (( بل طبع

( ٢ ) سورة الرعد آية / ٢٧

( ٤ ) سورة زمر آية / ٣٥

( ١ ) سورة التوبة آية / ١١٥

( ٣ ) سورة المنكوت آية / ٦٦

( ٥ ) سورة الصف آية / ٥

الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا)) (١).

فالذي نشاهد من خلال هذه الآيات أن سبب الإضلال هو الزيغ والخروج عن طاعة الله والكبر ، والجبروت ، والكفر ، واقتراف الأثام ، فالذي يؤثر المسمى على الهدى ويستحب الظلام على النور بما يقب من الله بمسمى البصيرة بمقتضى السنة الجارية وهي ارتباط الأسباب بسبباتها . والعقد مات بنتائجها .

### مراتب الهداية :

إن للهداية التي هي أعظم نعمة ينالها العبد أربع مراتب :  
المرتبة الأولى : الهداية العامة المشتركة بين الخلق أجمعين وقد ذكرها الله تعالى في قوله (( الذي أحسن كل شيء خلقه ثم هدى )) (٢) أي : أعطى كل شيء صورته التي لا يشبه فيها بغيره ، وأعطى كل عضو شكله وهيأته ، وأعطى كل موجود خلقه المختص به ، ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال ، وهذه الهداية تعم هداية الحيوان المتحرك بإرادته إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره وهداية الجماد المسخر لما خلقه له ، فله هداية تليق به ، كما أن لكل نوع من الحيوان هداية تليق به ، وإن اختلفت أنواعها وضرورها ، وكذلك لكل عضو هداية تليق به ، فالرجلان للمشي ، واليدان للبطش والممل ، واللسان للكلام ، والأذن للاستماع ، والعين لكشف المرئيات ، وكل عضو لما خلق له ، وهدى الزوجين من كل حيوان للإزدواج والتناسل ، وتربية الولد ، وهدى الولد إلى التقام الثدي عند وضعه وطليه ، وجزئيات هذه الهداية لمخلوقات الله تعالى لا يحصيها إلا هو - سبحانه - .

المرتبة الثانية : هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر وطريقي الهلاك والنجاة وهذه لا تستلزم الهدى التام فإنها سبب وشرط ، وذلك لا يستلزم حصول الشروط والسبب بل قد يتخلف عنه المقتضى ، إما لعدم كمال

السبب ، أو لوجود ما نع . قال تعالى (( وأما شعور فهد بناهم فاستحبوا  
العصى على الهدى ))<sup>(١)</sup> قال قتادة : في قوله - عز وجل - (( وأما شعور  
فهد بناهم )) أي : بينا لهم طريق الهدى وطريق الضلالة فاستحبوا أي : آثروا  
الضلالة على الهدى<sup>(٢)</sup> . وقال تعالى (( وما كان الله ليضل قوما بعد إذ  
هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ))<sup>(٣)</sup> فهداهم هدي الدلالة والبيان فلم  
يهتدوا فأصلهم عقوبة لهم على ترك الإعتدال<sup>(٤)</sup> أولا بعد أن عرفوا الهدى فأعرضوا  
عنه فأعماههم عنه بعد أن أراهموه وهذا شأنه - سبحانه - في كل من أنعم عليه  
بنعمة ، فكفرها فإنه يسلبه إياها بعد أن كانت نصيبه وحظه كما قال تعالى  
(( ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا بها بأنفسهم ))<sup>(٥)</sup>  
وقال تعالى عن قوم فرعون (( وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ))<sup>(٥)</sup>  
أي : جحدوا بآياتنا بعد أن تيقنوا صحتها . وقال تعالى (( كيف يهد الله  
قوما كفروا بعد إيمانهم والله لا يهدي القوم الظالمين ))<sup>(٦)</sup> .

وهذه الهداية هي التي أئتمتها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال  
تعالى (( وانك لتهدى الى صراط مستقيم ))<sup>(٧)</sup> ونفس عنه ملك الهداية الموجبة  
وهي هداية التوفيق والإلهام بقوله تعالى (( إنك لا تهدي من أحببت ولكن  
الله يهدي من يشاء ))<sup>(٨)</sup> فالرسول صلى الله عليه وسلم بعثه الله داعيا  
ومبلغا ولا يملك من الهداية شيئا سوى هداية الدلالة والبيان وخلق الله إبليس  
مزيئا ومفويا ، وليس له القدرة على إضلال أحد من البشر إذ الهدى والضلال  
بيده - سبحانه - وقال تعالى (( والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء  
الى صراط مستقيم ))<sup>(٩)</sup> فجمع - سبحانه - بين الهدايتين العامة والخاصة ،

( ١ ) سورة فصلت آية / ٥٠

( ٢ ) جامع البيان ٢٤ / ١٠٤ ، زاد السير ٧ / ٢٤٨ - ٢٤٩ ، لسان المرب ١٥ / ٣٥٤

( ٣ ) سورة التوبة آية / ١١٥

( ٤ ) سورة الانفال آية / ٥٣

( ٥ ) سورة النمل آية / ١٤

( ٦ ) سورة آل عمران آية / ٨٦

( ٧ ) سورة القصص آية / ٥٦

( ٨ ) سورة يونس آية / ٢٥

فصم بالدعوة حجة مشيئة وعدلا ، وخص بالهداية نعمة مشيئة وفضلا ، وهذه المرتبة أخص من التي قبلها فإنها هداية تخص المكلفين وهي حجة الله على خلقه التي لا يعذب أحدا إلا بعد إقامتها عليه قال تعالى (( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا )) (١) وقد يقول قائل : كيف تقوم حجة الله عليهم وقد منحهم من الهدى وحال بينهم وبينه ؟ وجاب على هذا أن حجة الله قائمة عليهم بتخليته بينهم وبين الهدى ، وبيان الرسل لهم وإراقتهم الصراط المستقيم حتى كأنهم يشاهدونه عيانا ، ونصب لهم أسباب الهداية ظاهرا وباطنا ، ولم يحل بينهم وبين تلك الأسباب ، ومن حال بينهم وبينها منهم بزوال عقل ، أو صفر لا تمييز معه ، أو كونه في ناحية من الأرض لم تبلغه دعوة الرسل فإنه - سبحانه لا يعذبه حتى يقيم عليه حجة فهو - سبحانه لم يمنهم من هذا الهدى ، ولم يحل بينهم وبينه ، ولكنه - سبحانه - قطع عنهم توفيقه ولم يرد من نفسه إعانتهم ، والإقبال بقلوبهم إليه فلم يحل بينهم ، وبين ما هو نقد ورلهم ، وإيران حال بينهم وبين ما لا يقدرون عليه ، وهو فعله ومشيئته وتوفيقه فهذا غير نقد ورلهم وهو الذي منحوه وحيل بينهم وبينه فليتنبه لهذا ليزول الإشكال .

### المرتبة الثالثة من مراتب الهداية : هداية التوفيق والإلهام وخلق المشيئة

المستلزمة للفعل وهذه المرتبة أخص من التي قبلها وهي التي ضل فيها جهال القدرة بالتأويل الفاسد فقد زعموا : أن المراد من الضلال والهدى هو تسمية الله الصمد مهتدا وضالا فجعلوا هداه ، واضلاله مجرد تسمية الصمد بذلك (٢) وسنبين بطلان هذا قريبا بعد ذكر الآيات الدالة على هذه المرتبة . وأما الجبرية : فقد ظلموا القدرة ، ولم ينصفوهم بل ظلموا أنفسهم بإنكار الأسباب والقوى وإنكارهم فعل الصمد وقدرته ، وأن يكون له تأثير في الفعل البتة فلم يهتدوا لقول القدرة ، بل ازدادوا ضلالا على ضلالهم وجمودا على ما هم

(١) سورة الاسراء آية / ١٥

(٢) انظر مقالات الاسلاميين / ١ - ٣٢٤ - ٣٢٥ ، شفا المليل ص ٢٢

عليه من الباطل <sup>(١)</sup> .

وهداية التوفيق والإلهام وخلق المشيئة المستنزمة للفعل تتضمن أمرين :

أحد هما : فعل - الرب تعالى - وهو الهدى :

الثاني : فعل العبد وهو الإهتداء وهو أثر فعل الباري - سبحانه - فهو

الهادي والعبد هو المهتدي .

قال تعالى (( من يهد الله فهو المهتدي ومن يضل فأولئك هم الخاسرون )) <sup>(٢)</sup>

وقد أمر - سبحانه - عباده جميعهم بأن يسألوه هدايتهم الصراط المستقيم في

كل يوم وليلة في الصلوات الخمس المفروضة ، وذلك يتضمن الهداية إلى الصراط

والهداية فيه ، كما أن الضلال نوعان : ضلال عن الصراط فلا يهتدي إليه ،

وضلال فيه ، فالأول ضلال عن معرفته ، والثاني ضلال عن تفصيله ، أو بعضها <sup>(٣)</sup>

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " والعبد مضطرب دائماً إلى أن يهديه

الله الصراط المستقيم فهو مضطرب إلى مقصود هذا الدعاء فإنه لا نجاة من العذاب

ولا وصول إلى السعادة إلا بهذه الهداية فمن فاته فهو إما من المفضوب

عليهم ، وإما من الضالين وهذا الهدى لا يحتمل إلا بهدى الله ، وهذه

الآية <sup>(٤)</sup> مما يبين فساد مذهب القدرية <sup>(٥)</sup> .

وهذه المرتبة دل عليها الكثير من آيات القرآن كقوله تعالى : (( إنك لا

تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء )) <sup>(٦)</sup> وقوله تعالى (( إن تحصر

على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل )) <sup>(٧)</sup> فالآيتان دلتا على أن هداية

الإلهام والتوفيق وخلق الهداية في القلب ليس إليه صلى الله عليه وسلم ولا

إلى أحد غيره ، وإنما ذلك لله وحده .

( ١ ) الطل والنحل ١/ ٨٥-٨٦ شفاء العليل ص ٨٠ ، لوامع الانوار ١/ ٩٠-٩١

( ٢ ) سورة الاعراف آية ١٧٨ / ( ٣ ) شفاء العليل ص ٨١

( ٤ ) يشير الى قوله تعالى في سورة الفاتحة ( إهدنا الصراط المستقيم )

( ٥ ) مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٧ ، وانظر دقائق التفسير ١/ ٢٠٩ ، شفاء العليل ص ٨١

( ٦ ) سورة القصص آية ٥٦ / ( ٧ ) سورة النحل آية ٣٧



وأما تأويل القدرية : بأن المراد من الهدى والضلال هو : " تسمية الله العبد مهتديا وضالا " فهذا تأويل فاسد أنكره عليهم سلف الأمة وأثبتها في كل مكان ، وفي كل عصر ، وبينوا أن قولهم هذا ليس له أساس ، وإنما بنوه على ترهاتهم الفاسدة وتأويلاتهم الباطلة . لا يصح حمل آيات الهدى والضلال على هذا المعنى وتأويلهم ذلك باطل من وجوه :

الوجه الأول : أننا إذا تأملنا آيات الهدى والضلال وجدناها لا تحتل تأويلهم ذلك إذ أنه ليس في أي لفة من اللغات فضلا عن اللفة الفصحى التي نزل بها القرآن أن هداه بمعنى سماه مهتديا وأضله سماه ضالا ، ولا يصح أن يقال : علمه إذا سماه عالما ، وفهمه إذا سماه فهما ، وكيف يصح هذا في مثل قوله تعالى (( ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء )) (١) ؟ فهل فهم أحد غير القدرية المحرفة للقرآن من هذا " ليس عليك تسميتهم ولكن الله يسي من يشاء مهتديا ؟ وهل فهم أحد غيرهم (( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء )) إنك لا تهدي من أحببت لا تسميه مهتديا ولكن اللطيف به هذا الاسم - سبحانه - هذا بهتان عظيم وقوله على الشارع بخير علم .

الوجه الثاني : عليهم أن يبينوا صلاحية اللفظ للمعنى الذي ذكروه أولا :

واستعمال المتكلم له في ذلك المعنى ، في أكثر المواضع حتى إذا استعمله فيما يحتمل غيره حمل على ما عهد منه استعماله فيه .

الوجه الثالث : عليهم أن يقيموا دليلا سالما عن المعارض على الموجب

لصرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه واستمارته ، وإلا كان ذلك منهم مجرد دعوى لا تقبل منهم (٢) .

وتأول بعضهم نصوص الهداية على أن المراد بها هداية البيان والتعريف

لا خلق الهدى في القلب ، فإنه - سبحانه - لا يقدر على ذلك عند هذه

( ١ ) سورة البقرة آية ٢٥٢ /

( ٢ ) شفاء الملل في سائل القضاء والقدر ص ٨٢-٨٣ .

الطائفة الزائفة" (١) .

قال محمد بن أحمد السفاريني : " تنبيه المشهور عند المعتزلة وسنن مذهبهم أن الهداية هي الدلالة الموصلة إلى المطلوب فان لم تكن موصلة إلى المطلوب فليست بهداية عند هم " (٢) .

ويرد عليهم في هذا التأويل : أن الله تعالى قد أخبر أنه قسم الهداية إلى قسمين :

قسم : لا يقدر عليه إلا هو - سبحانه وتعالى - .

وقسم : مقدر للعبد قال تعالى في القسم المقدر للعبد (( واننك لتهدى الى صراط مستقيم )) (٣) وقال تعالى في القسم غير المقدر للعبد (( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء )) (٤) . وقال تعالى (( فان الله لا يهدي من يضل )) (٥)

فعمل هذا على هداية الدعوة والبيان لا يصح وغير سائغ فان هذا يهدي وإن أضله الله بالدعوة والبيان وكذا قوله تعالى (( وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله )) (٦) فهل يجوز حمله على معنى فمن يدعوه إلى الهدى ويبين له ما تقوم به حجة الله عليه ، وكيف يصنع هو<sup>٥</sup> القدرة بالنصوص التي فيها أنه - سبحانه - هو الذي أضلهم ؟ أم يجوز لهم حملها على أنه دعاهم إلى الضلال ؟ لا شك أنهم يقولون ليس هذا معناه ولكنهم لما وجدوا أنفسهم لا يستقيم لهم دليل على دعواهم جنحوا الى تعريفات أخرى .

فقالوا : " إنما معناها ألفلهم ، ووجد هم ، كذلك ، أو أعلم ملائكته ومنه بضلالهم ، أو جعله على قلوبهم علامة يحرم الملائكة بها أنهم ضلال "

(٢) لوامع الأنوار ١/٢٣٥

(٤) سورة القصص آية /٥٦

(٦) سورة الجاثية آية /٢٣

(١) المصدر السابق ص ٨٣

(٣) سورة الشورى آية /٥٢

(٥) سورة النحل آية /٣٧

ويرد على هذه التحريفات من وجوه :

الوجه الأول : أن اللغة لا تحتل ذلك ، وأن النصوص إذا تأملها المتأمل وجدها أبعد شيء من هذا المعنى .

الوجه الثاني : أما قولهم إنه علمهم بعلامة يعرفهم بها الملائكة فهذا ممن جنابهم على كتاب الله تعالى ففي أي لغة وفي أي لسان يدل قوله تعالى (( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء )) على معنى إنك لا تعلمه بعلامة ولكن الله هو الذي يعلمه بها ؟ وفي أي لغة يفهم من قول الداعي (( إهدنا الصراط المستقيم )) <sup>(١)</sup> علما بعلامة يعرف الملائكة بها أننا مهتدون ؟ وفي أي لغة يكون معنى قوله (( وجعلنا قلوبهم قاسية )) <sup>(٢)</sup> علما بعلامة أو وجدناها كذلك ؟

الوجه الثالث : يقال لهم في أي لسان وفي أي لغة ؟ وجدتم هديت الرجل إذا وجدته مهتداً وختم الله على قلبه وسمعته وجعل على بصره غشاوة وجدته كذلك ، فهل هذا إلا من الافتراء المحض ومن الجنابة على القرآن واللغة لم يجنبها غيركم ، ولما يدركوا أن تأويلاتهم الفاسدة لم تساعدهم على ما يريدون وتضمحل أمام مناقشة أهل الحق لها يجنحون إلى مراوغة أخرى فيقولون : نحن لم نقل هذا إلا في نحو أضله الله أي : وجدته ضالاً كما يقال : أحمدت الرجل ، وأبخلته وأجنته إذا وجدته كذلك ، أو نسبت إليه .

ويرد على تحريفهم هذا بأنه لم يرد إلا في ألفاظ معدودة نادرة والا فوضع هذا البناء على أنك فعلت ذلك به ولا سيما إذا كانت الهمزة للتمديد من الثلاثي كقام وأتمته . . . . لم نجد فيها لفظاً واحداً معناه أنه وجدته كذلك تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . . . . ثم إذا نظرنا لم نجد أحداً من الأولين والآخرين من أهل اللغة يقول : إن العرب وضعت أضله الله وهذا وختم على سمعه وقلبه ، وأزاع قلبه ، وصرفه عن طاعته ونحو ذلك

لمعنى وجوده كذلك ولكن الله - سبحانه - لما أراد الإبانة عن هذا المعنى قال (( ووجدك ضالاً فهدى ))<sup>(١)</sup> ولم يقل وأضلك .

الوجه الرابع : يقال لهم أي مدح ؟ وأي توحيد ؟ وتعريف للخلق بأن الأمر كله لله بيده ، وأنه ليس لأحد من أمره شيء في مجرد التسمية والعلامة ومصادفة - الرب تعالى - عباده كذلك ، ووجوده لهم على هذه الصفات من غير أن يكون له فيها صنع ، أو خلق ، أو شيئة إذ البشر كلهم لا يحجزون عن التسمية والمصادفة والوجود فيعجبوا لهذا الهراء الذي لا مدح فيه ولا ثناء لرب العالمين<sup>(٢)</sup> ففي الحقيقة أن القدرية والجبرية لم يقدروا الله حق قدره بل هم هلكى فيما يجب لله من التعظيم والتزيم ، ولذلك أبغضهم أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهينوا ما هم عليه من المنكر الواضح ومن الاعتقاد الفاسد .

روى أبو بكر محمد بن الحسين الأجرى : بإسناد إلى عبد الله بن العارث قال خطب عمر بن الخطاب بالجابية<sup>(٣)</sup> فحمد الله وأثنى عليه وعنده جاثليق<sup>(٤)</sup> يترجم له ما يقول فقال : من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، فنفض جبينه كالمنكر لما يقول : قال عمر ما يقول : قالوا يا أمير المؤمنين يزعم أن الله لا يضل أحدا قال عمر : كذبت أي عهد الله بل الله خلقك ، وقد أضلك ، ثم يدخلك الله النار أما والله لولا عهد لك لضربت عنقك إن الله - عز وجل - خلق أهل الجنة وما هم عاملون وخلق أهل النار وما هم عاملون فقال هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه قال فتفرق الناس وما يختفون في القدر<sup>(٥)</sup> .

المرتبة الرابعة : من مراتب الهداية : غاية هذه الهداية وهي الهداية

- ( ١ ) سورة الضحى آية ٧ / . ( ٢ ) شفا العليل ص ٨٣-٨٤ بتصرف .  
 ( ٣ ) الجابية : مدينة بالشام أنظر معجم البلدان ١/٩١ ، وانظر مختار الصحاح ص ٩٢  
 ( ٤ ) الجاثليق : جمعه جثالقه وهو مستدم الأساقفه أنظر المنجد في اللفظة والأعلام ص ٧٩ .  
 ( ٥ ) الشريعة للأجرى ص ٢٠٠-٢٠١ .

إلى الجنة والنار إذا سبق أهلها إليهما . قال تعالى (( إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهدى لهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم )) (١) .

وقال تعالى عن أهل النار (( أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم )) (٢)

والذي نخلص إليه ما تقدم أن الهدى والإضلال بيد الله تعالى وأن العباد لا يملكون من ذلك شيئاً ، وأن الله تعالى يمنحها لمن طعلبها بإخلاص ، وأخذ بالأسباب التي توصله إليها ، وأسباب الهداية في مقدور كل امرئ أن يأخذ بها حتى يكون من المهتدين ، أما من أعرض عنها وأبى إلا أن ينحرف عن طريق الهدى فهذا يكون نصيبه الفوابة والضلال وهذا من فعل العبد وكسبه ، فالهداية والإضلال فمسل الله ، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه .

( ١ ) سورة يونس آية ٩ /

( ٢ ) انظر أنواع الهداية في " شفا العليل " ص ٦٥-٨٤ ، بدائع الفوائد ٣٥/٢ - ٣٧ ، فتح الباري ٥١٥/١١ ، لوامع الأنواع البهية ٣٣٤/١ - ٣٣٥ ، والابتان رقم ٢٢ ، ٢٣ من سورة الصافات .

# الباب الثالث

\* الباب الثالث \*

دلالة السورة على وجوب الايمان باليوم الاخر

---

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مما حدث في اليوم الاخر قبل دخول الجنة

والنار .

الفصل الثاني : النار دار الكافرين .

الفصل الثالث : الجنة دار المتقين .

# الفصل الأول



\* الفصل الأول \*

مباحث في اليوم الآخر قبل دخول الجنة

والنار .

وهي كالاتي :

تمهيد :

المبحث الأول : النفخ في الصور .

المبحث الثاني :: بعث الموتى من قبورهم .

المبحث الثالث : عناية القرآن بإثبات البعث .

المبحث الرابع : أرض المحشر .

المبحث الخامس : كتاب الأعمال .

المبحث السادس : جزاء الأعمال يوم القيامة .

تمهيد :-

أن الله تعالى فطر الانسان على الاحساس بوجوده في عالم آخر بعد الموت ، وهذا امن أقوى الأدلة على وجود اليوم الآخر لأن الله - جل وعلا - إذا أراد أن يفتح ، حتى الانسان بأمر ما فإنه يخرس فكرة الاقتناع به في فطرهم ، ولذا فإن الإنسان يشترق إلى حياة خالدة ولو في عالم غير هذا العالم وهذا الإحساس شائع في نفوس البشر بحيث لا يمكن النظر إليه باستخفاف ولذلك جاءت الأدبيات السماوية مباشرة بحياة أخرى بعد الموت وجعلت مصير كل إنسان مرتباً بما قدمت يداه في الحياة الدنيا وهذا مما يكسب الإنسان زيادة إيمان بربه ، وما جاءت به رسالته فيقدم الأعمال الصالحة استعداداً بها ليوم المعاد ولما كان القرآن الكريم خاتماً لجميع الرسالات السماوية ، وليس بحمده أي رسالة تبين للناس ما يختلفون فيه ، وما يستجد في حياتهم فإنه جاء ، وأنها بمطالب الروح والجسد في تما ليمه وتوجيهاته ولما كان مركز الجدل في بني الإنسان جلية وطبعاً كما قال تعالى ( وكان الإنسان أكثر شئ جدلاً )<sup>(١)</sup> ولما كان الاقتناع أيضاً : بحياة أخرى بعد الموت من الأمور التي شغلت فكر الإنسان ، فإن القرآن الكريم جاء ، وأنها بالأدلة والبراهين القاطعة على البعث والجزاء ، وعرض ذلك في نماذج حية ، وضمنها شبه المنكرين ، ولم يتركها تمر دون مناقشة لها ، بل أبطل شبههم بالمنطق الصحيح والبراهين العقلية التي تزيد فكرة الغناء الأبدى التي علقتم ببعض الأفكار السقيمة ، وتطمئن الإنسان وتدفعه للمعمل الصالح وتحبب عنده آمال التسابق إلى الدرجات العلى في حياة أفضل وقد ذكرت بعضاً من تلك البراهين في البحث الثالث من هذا الفصل ، ولقد دعا القرآن إلى الإيمان باليوم الآخر بأساليب متنوعة لا يقفل قلبه عنها إلا دهرى جحد فيجب على المسلم التصديق الجازم بجميع ما أخبره به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه .

(١) سورة الكهف آية : (٥٤) .

ونعيمه ، والبهت والحشر ، والنشر ، والصحف ، والميزان  
والحساب ، والجزاء ، والصراط ، والحوض ، والشفاعة<sup>(١)</sup>  
، والجنة والنار وأحوالهما ، وما أهد الله لأهلها إجمالا  
وتفصيلا والإيمان بالبهت بمد الموت هو أحد أركان الإيمان  
الستة وقد دل على وقوعه النقل ، والمقل ، والطسرة  
كما صرحت به جميع الكتب السماوية ، ونادى به جميع  
الأنبياء<sup>(٢)</sup> والرسولون ، وقد تعرضت سورة الزمر لمباحث  
كثيرة تتعلق باليوم الآخر وهي ما سنتحدث عنها فيما يأتي .

---

(١) تقدم الكلام على الشفاعة عند الكلام على توحيد

المعبود وقد أفردها بمبحث خاص .

(٢) أنظر إرشاد الثقات إلى اتقان الشرائع على التوحيد

والمصاد والنبوات للشوكاني ( ص ١٤ ) .

## ( البحث الأول )

## \* النفخ في الصور \*

قبل أن نذكر الآية التي دلت على النفخ في الصور من سورة " الزمر " نذكر معنى النفخ في اللغة والإصطلاح ومعنى الصور .

أما النفخ في اللغة :-

فقد قال الراغب : النفخ : نفخ الريح في الشيء : ( يوم ينفخ في الصور )<sup>(١)</sup> (ونفخ في الصور)<sup>(٢)</sup> . . . . . ومنه نفخ الروح في النشأة الأولى ، أ . هـ .<sup>(٣)</sup>

وجاء في أساس البلاغة : " نفخ في النار ، ونفخ النار بالنفخ وهو الكبر ونصبوا على النار السافخ ، ونفخت في الزق ، فتنفخ وهو يجد نفخة في بطنه ونفخة انتفاخا من طعام وغيره ، أ - هـ .<sup>(٤)</sup>

وفي القاموس : نفخ بنفسه أخرج منه الريح . . . . . والنفخ الموكل بنفخ النار والنفخ ( آتته ) أ . هـ .<sup>(٥)</sup>

والذي نستفيده من هذه التعاريف اللغوية أن النفخ هو : دفع الهواء كما يصره كل إنسان .

وأما معناه في الإصطلاح :-

فهو نفخ مخصوص في وقت مخصوص من تلك مخصوص لما يريد الله - تعالى - كما جاء التصريح بذلك في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أن نافخا ينفخ في الصور بأمر الله تعالى لما يريد الله من التخيير في خلقه لأمر القيامة .

(١) سورة طه آية : ( ١٠٢ ) .

(٢) سورة يس آية : ( ٥١ ) .

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص ٥٠٠) (٤) (ص ٤٦٦) .

(٥) (٢٨١/١) انظر النهاية في غريب الحديث (٩٠/٥) .

وأما معنى الصور :-

فقد جاء في صحيح البخاري عن مجاهد أنه قال : الصور كهيئة البوق<sup>(١)</sup> وذكر الحافظ عن الجوهرى أنه قال : " البوق الذى يؤمر به وهو مصروف . . . والصور إنما هو قرن كما جاء في الأحاديث المرفوعة ، وقد وقع في قصة بدء الأذان بلفظ البوق ، والقرن : الآلة التى يستعملها اليهود للأذان ويقال : إن الصور اسم القرن بلغة أهل اليمن وشاهده قول الشاعر :

نحن نفخناهم فداة النقمين ؛ نطحا شد ينالا كطح الصورين<sup>(٢)</sup>  
قال ابن جرير : واختلف في معنى الصور . . . فقال بعضهم هو قرن ينفخ فيه نفختان ، أحدهما : لفناء من كان حيا على الأرض .

والثانية : لنشركل ميت واعتلوا لقولهم ذلك بقوله تعالى ( ونفخ في الصور فصمق من فى السموات ومن فى الأرض<sup>إلا من شاء الله</sup> نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ) ، وبالخبير الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ان سئل عن الصور " هو قرن ينفخ فيه<sup>(٣)</sup> " وقال آخرون الصور : جمع صورة ينفخ فيها روحها فتحيا لقولهم : صور لسور المدينة وهو جمع سورة كما قال جرير :

لما أتى خبر الزبير تواضعت ؛ سور المدينة والجبال الخشع<sup>(٤)</sup>  
إلى أن قال : والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن إسرافيل قد التقم الصور وحتى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ<sup>(٥)</sup> ، وأنسبه قال : " الصور قرن ينفخ فيه " أ . هـ .<sup>(٦)</sup>

(١) ١٣١/١ .

(٢) النفخ ٦٨/١١ ، وانظر الصحاح (٤/١٤٥٢ ، ٧١٦/٢ ، تحفة

الأحوذى (٧/١١٧) .

(٤) ديوان جرير (ص ٣٤٥) .

(٥) رواه أحمد والترمذى من حديث أبى سعيد السند (٣/٧) ،

سنن الترمذى (٤/٤٢) .

(٦) جامع البيان (٧/٢٣٩) ، والحدِيث رواه الترمذى من حديث عبد الله ابن عمرو وقال : حسن صحيح (٤/٤١) .

وقال ابن كثير بعد أن ذكر القولين المتقدمين في معنى الصور : " والصحيح أن المراد بالصور القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام " أ.هـ <sup>(١)</sup> ، وقد ورد أنه ينفخ في الصور مع إسرافيل ملك تخبر روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " الناخخان في السماء الثانية . . . . فننظران متى يؤمران أن ينفخا في الصور فينفخا " <sup>(٢)</sup> .

قال الحافظ بعد إيراده لهذا الحديث : " ورجاله ثقات وأخرجه الحاكم فن حديث عبد الله بن عمرو " أ.هـ <sup>(٣)</sup> . وقال الهيثمي : " رواه أحمد ورجاله ثقات " أ.هـ <sup>(٤)</sup> .

ولا تعارض بين هذا الحديث وبين ما ورد في بعض الأحاديث أن إسرافيل هو صاحب الصور ومن ذلك ما روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الصور فقال : " عن يمينه جبرائيل وعن يساره ميكائيل " <sup>(٥)</sup> .

قال الحافظ : " تنبيه : اشتهر أن صاحب الصور إسرافيل عليه السلام ، ونقل فيه الحلبي الإجماع " <sup>(٦)</sup> . وهذا يحمل على أن إسرافيل رئيسهم كما قيل في شأن ملك الموت وأعوانه والمعلم عند الله - تعالى - .

وقد جاء في حديث صحيح أن اليوم الذي تكون فيه النفخة والصفقة هو يوم الجمعة وهو حديث أوس بن أوس الثقفي مرفوعا ( إن أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه الصفقة وفيه النفخة ) وقد دلت السورة على أن من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالصور والنفخ فيه ، الذي جعله الله سبب الفزع ، والصفق والقيام من القبور . قال تعالى ( ونفخ في الصور فصعق من السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ) هذه الآية الكريمة من السورة ذكر الله فيها نفختين نفخة الصفق ، ونفخة الهمم .

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٦/٣) ، وانظر تفسير روح المعاني للالوسي (١٩١/٧) .  
 (٢) ١٩٢/٢ من حديث أبي هريرة ، وأوهن عبد الله بن عمرو كذا السند  
 (٣) الفتح (٣٦٩/١١) .  
 (٤) مجمع الزوائد (٣٣٠/١٠) . (٥) سنن أبي داود (٣٦٠/٢) .  
 (٦) الفتح (٣٦٨/١١) (٧) سنن النسائي ٩١/٣ وابن خزيمة في صحيحه (١١٨/٣) .

## والنفخات ثلاث

قال ابن كثير رحمه الله - تعالى -

وأما النفخات في الصور فثلاث نفخات نفخة الفزع ، ثم نفخة الصعق ، ثم نفخة البعث<sup>(١)</sup> أ . هـ .

وقال أبو بكر بن العربي : الصور هو القرن الذي فيه أسرافيل . . . ، ينفخ فيه بأمر ربه ثلاث نفخات ؛ أولها

نفخة الفزع ، والثانية نفخة الصعق ، والثالثة البعث<sup>(٢)</sup> أ . هـ .

فعدد النفخات ثلاث وقد وردت كلها صريحة

في القرآن ،

الأولى نفخة الفزع ؛

وهي المذكورة في قوله - جل وعلا - ( ويوم ينفخ

في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء<sup>(٣)</sup> الله ) ،

قال ابن كثير : " يخبر - تعالى - عن هول يوم نفخة

الفزع في الصور . . . . . وذلك في آخر عصر الدنيا حين تقوم

الساعة على شرار الناس من الأحياء فيفزع من في السموات ومن في الأرض<sup>(٤)</sup> " أ . هـ .

وروى سلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو وجاه رجل

فقال : ما هذا الحديث الذي تحدث به ؟ تقول : إن الساعة

تقوم يوم كذا وكذا فقال : - سبحان الله - أولاه إلا الله .

أو كلمة نحوها " لقد هممت أن لأحد شأحدا شيئا أبدا إنما قلت

إنكم سترون بعد قليل أمرا عظيما يحرق البيت ويكون ، ويكون . ثم

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال في أمتي

فيمكت أربعين ( لا أدري : أربعين يوما أو أربعين شهرا ، أو أربعين

عاما فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن سمود فيطلبه فيهلكه .

(١) النهاية : ( ١٨٠ / ١ ) .

(٢) هو : محمد بن عبد الله بن محمد المماقري الاشبيلي المالكي أبو بكر

ابن العربي قاض من حفاظ الحديث ولد في اشبيلية سنة ثمان

وأربعين وتوفي سنة ثلاث وأربعين وخمسائفا نظر ترجمته في

طبقات الحفاظ للسيوطي ( ص ٤٦٨ ) ، وفيات الأعيان ( ٤٨٩ / ١ ) ،

الديباج المذهب لابن فرحون ( ص ٢٨١ ) ، تذكرة الحفاظ ( ١٢٩٤ / ٤ ) وما بعدها .

(٣) عارضة الاحيادي ٢٦٧ / ٩ - ٢٦٨ ( ٤ ) سورة النمل آية : ( ٨٧ ) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ( ٢٥٩ / ٥ ) .

ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد فسي قلبه مشال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتى لو أن أحدكم دخل في كهده جبل<sup>(١)</sup> لدخلته حتى تقبضه " قال : سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع<sup>(٢)</sup> لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرا ، فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيقولون فيما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم ، حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصفى ليتها ورفع ليتها<sup>(٣)</sup> قال " أول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله<sup>(٤)</sup> . . . . . الحديث<sup>(٥)</sup> .

فهذه النفخة المذكورة في الحديث هي نفخة الفزع

ثم تأتي بعدها نفخة الصمق .

قال ابن كثير : " فلا بد من مدة بين نفختي الفزع والصمق وقد ذكر في حديث الصور أنه يكون فيها أمر عظام من ذلك زلزلة الأرض وارتجاجها ، وحدثها بأهلها وتكفيها يميلون شمالا قال الله - تعالى - ( إذا زلزلت الأرض زلزالها . وأخرجت الأرض أثقالها . وقال الانسان ما لها . يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها<sup>(٦)</sup> ) .

وقال تعالى ( إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها

كاذبة . خافضة رافعة . إذا رجت الأرض رجًا . وست الجبال بسا . فكانت هباء منبثا . وكنتم أزواجا ثلاثة<sup>(٧)</sup> ) . وقال تعالى ( يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم . يسوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد<sup>(٨)</sup> ) .

- (١) ( في كهده جبل ) أي وسطه وداخله ، وكهد كل شيء وسطه .
- (٢) ( في خفة الطير وأحلام السباع ) أي في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير ، وفي العمد وان وظلم بعضهم بعضا في أخلاق السباع المادية .
- (٣) الليت هو صفعك العنق ، أي أمالهنق ليستمه من السماء جيدا .
- (٤) ( يلوط حوض إبله ) أي يطينه ويصلحه .
- (٥) صحیح سلم ( ٤ / ٢٢٥٨ - ٢٢٥٩ ) ( ٦ ) سورة الزلزلة آية : ( ١ - ٥ ) .
- (٧) سورة الواقعة آية : ( ١ - ٧ ) ( ٨ ) سورة الحج آية : ( ١ - ٢ ) .



ولما كانت هذه النفخة أهي نفخة الفزع أول مبادئ القيامة  
كان اسم يوم القيامة صادقا على ذلك كله .  
كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله  
عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ولتقوم من  
الساعة وقد نشر الرجلان شوهما فلا يتبايعا ~~فيهما~~  
ولتقوم الساعة ، وقد انصرف الرجل بلبن لقحته . فلا يطعمه ،  
ولتقوم الساعة ، وهو يلبط حوضه فلا يسقي فيه ، ولتقوم  
الساعة ، وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها <sup>(١)</sup> وهذا  
إنما يتجه على ما قيل في نفخة الفزع أنها الساعة لـ  
كانت أول مبادئها <sup>(٢)</sup> . هـ .  
وقد ثبت في الحديث في وصف أهل آخر الزمان  
بأنهم شرار الناس وعليهم تقوم الساعة <sup>(٣)</sup> .

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٣٥٢/١١) .

(٢) النهاية (١٨١/١) .

(٣) أنظر صحيح مسلم (١٥٢٥/٣) ، وسنن ابن

ماجة (١٣٤١/٢) ، السنن للإمام أحمد

رحمه الله (٤٠٥/١) .

النفخة الثانية نفخة الصمق ؛

وهي نفخة الموت ، وهذه هي التي فيها الهلاك لجميع المومنين من أهل السموات ومن في الأرض من الإنس والجن والملائكة إلا من شاء الله . وقد قد منا أن نفختي الصمق ، والبحث دلت عليها السورة .

قال - تعالى - ( ونفخ في الصور فصمق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ... ) .

قال ابن جرير يقول " تعالى ذكره : ونفخ في الصور في القرن . . . . . وقوله ( فصمق من في السموات ومن في الأرض ) يقول : مات .

وقال السدي ( فصمق من في السموات ومن في الأرض ) مات .<sup>(١)</sup>

وقال ابن كثير : يقول - تبارك وتعالى - مخبسرا عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة فقوله - تعالى - ( ونفخ في الصور فصمق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ) .

هذه النفخة هي الثانية وهي نفخة الصمق وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله . أ . ه .<sup>(٢)</sup>

وقد اختلف أهل العلم في الذين عسى الله بالاستثناء

في هذه الآية :

قال القرطبي : واختلف العلماء في الستة من هو ؟

فقيل : الملائكة .

وقيل : الأنبياء .

وقيل : الشهداء واختاره الحلبي قال : وهو مروى عن ابن عباس أن الاستثناء لأجل الشهداء فإن الله - تعالى - يقول ( أحياء عند ربهم يرزقون ) وضعف غيره من الأقوال . . . وقال شيخنا أبو الميافس<sup>(٤)</sup> والصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خير صحيح والكل محتمل . أ . ه .<sup>(٥)</sup>

(١) جامع البيان ( ٢٤ / ٢٩ ) .  
 (٢) تفسير القرآن العظيم ( ٦ / ١٠٩ ) . (٣) سورة آل عمران آية : ١٦٩ .  
 (٤) هو أبو الميافس القرطبي : أحمد بن عمر بن إبراهيم ، أبو الميافس الأنصاري من فقهاء المالكية ولد سنة ثمان وسبعين وخمسة و توفي سنة ست وخسين وستمائة نظر ترجمته في الهداية ١٣ / ٢١٣ ،  
 النجوم الزاهرة ٧ / ٣٧١ (٥) التذكرة ( ١ / ١٦٧ ) وانظر جامع البيان للطبري ( ٢٤ / ٢٩ - ٣١ ) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - تعالى - هـ  
 " وأما الإستثناء فهو متناول لمن في الجنة من الحور المعين  
 فان الجنة ليس فيها موت و متناول لغيرهم ولا يمكن الجزم  
 بكل من استثناه الله فان الله أطلق في كتابه <sup>(١)</sup> " أ . هـ ؛

وقال العلامة ابن القيم : عند قوله تعالى (ونفخ  
 في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض إلا من  
 شاء الله ) فقد استثنى الله - سبحانه - بعض من  
 في السموات ومن في الارض من هذا الصمق ،

ف قيل : هم الشهداء ، هذا قول أبي هريرة وابن  
 عباس وسعيد بن جبير ،

وقيل : هم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت  
 وهذا قول مقاتل وغيره .

وقيل : هم الذين في الجنة من الحور المعين  
 وغيرهم ومن في النار من أهل العذاب وخزنتها قاله :  
 أبو اسحاق بن شاقلا <sup>(٢)</sup> من أصحابنا ،  
 وقد نص الإمام أحمد على أن الحور المعين والولدان  
 لا يمتن عند النفخ في الصور .

وقد أخبرنا سبحانه - أن أهل الجنة ( لا يذقون فيها  
 الموت إلا الموتة الأولى <sup>(٣)</sup> ) وهذا نص على أنهم لا يموتون غير  
 تلك الموتة الأولى ، فلو ماتوا مرة ثانية لكانت موتتان ، وأما  
 قول أهل النار ( ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ) <sup>(٤)</sup> .

(١) مجموع الفتاوى (٣٦/١٦) .

(٢) هو أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن يشاقلا

الهبزار الحنبلي ، جليل القدر ، كثير الرواية حسن

الكلام في الاصول والفروع ، توفي سنة تسع وستين وثلاثمائة

هجريه ، شذرات الذهب (٦٨/٣) .

(٣) سورة الدخان آية : (٥٦) .

(٤) سورة ظفر آية : ( ١١ ) .

فتفسير هذه الآية التي في البقرة وهو قوله تعالى  
 ( كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم )<sup>(١)</sup>  
 فكانوا أمواتا وهم نطف في أصلاب آبائهم ، وفي أرحام  
 أمهاتهم ، فأحياهم بعد ذلك ثم أماتهم ، ثم يحييهم يوم النشور  
 وليس في ذلك إمامة أرواحهم قبل يوم القيامة ، إلا كانت ثلاث  
 موتات ، وصمق الأرواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه  
 موتها ففي الحديث الصحيح أن الناس يصمقون يوم القيامة  
 فأكون أول من ~~ينفخ~~ فإذا موسى أخذ بقائمة العرش فلا  
 أدري أفاق قبل أم جوزى بصمقة يوم الطور<sup>(٢)</sup> .  
 فهذا صمق في موقف القيامة إذا جاء الله ليفصل  
 القضاء ، وأشرقت الأرض بنوره ، فحينئذ تصمق الخلائق  
 كلهم قال تعالى ( فذرهم بلا قلوبهم الذي فيه يصمقون )<sup>(٣)</sup>  
 ولو كان هذا الصمق موتا لكانت موتة أخرى<sup>(٤)</sup> ، وقد  
 تظن لهذا بعض أهل العلم فقد قال أبو عبد الله الطريبي  
 ظاهر هذا الحديث أن هذه صمقة فشي تكون يوم القيامة  
 لا صمقة الحادثة عن نفخ الصور قال : وقد قال شيخنا أحمد  
 ابن عمرو : ظاهر حديث النبي صلى الله عليه وسلم يدل على  
 أن هذه الصمقة إنما هي بعد النفخة الثانية ، نفخة  
 البعث ونص القرآن يقتضي أن ذلك الاستثناء إنما هو بعد  
 نفخة الصمق ، ولما كان هذا قال بعض العلماء : يحتمل  
 أن يكون موسى ممن لم يمت من الأنبياء وهذا باطل . وقال  
 القاضي عياض : يحتمل أن يكون المراد بهذه صمقة فزع  
 بعد النشور ( حين تشق السموات والارض ) .  
 قال فتستقل الأحاديث والآثار ، ورثة عليه أبو العباس القرطبي  
 فقال : يرد هذا قوله في الحديث الصحيح : أنه حين يخرج  
 من قبره يلقي موسى أخذا بقائمة العرش : وهذا إنما يكون عند  
 نفخة الفزع .

(١) سورة البقرة آية ( ٢٨ ) .  
 (٢) صحيح البخاري مع الفتح ( ٤٣٠ / ٦ ) من حديث أبي سعيد  
 رضى الله عنه ، السند ( ٣٣ / ٣ ) .  
 (٣) سورة الطور آية : ( ٤٥ ) .  
 (٤) الروح ( ص ٥٠ - ٥١ ) .

قال أبو عبد الله : وقال شيخنا أحمد بن عمرو :  
الذي يزيح هذا الإشكال إن شاء الله تعالى أن الموت ليس  
بمدم محض وإنما انتقال من حال إلى حال ، ويدل على  
ذلك أن الشهدا بمد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون  
فرحين ستبشرين ، وهذه صفة الأحياء في الدنيا وإذا كان  
هذا في الشهداء كان الأنبياء بذلك أحق وأولى مع أنسبه  
قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الأرض لا تأكل أجساد  
الأنبياء وأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة  
الإسراء في بيت المقدس وفي السماء وخصوصا بموسى  
وقد أخبر بأنه ما من مسلم يسلم عليه إلا رد الله عليه روحه  
حتى يرد عليه . . . . . وإذا تقرر أنهم أحياء فإذا نفخ فتنفخ  
الصور نفخة الصمق صمق كل من في السموات ومن في الأرض  
إلا من من شاء الله ، فأما صمق غير الأنبياء فموت ، وأسنا  
صمق الأنبياء فالأظهر أنه غشيه ، فإذا نفخ في الصور نفخة  
البعث فمن مات حتى ومن غشى عليه أفاق ، ولذلك قال صلى  
الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته : فأكون أول من  
يصمق فنحن أول من يخرج من قبره قبل جميع الناس إلا موسى  
فإنه حصل له فيه تردد : هل بعث قلبه من غشيه أو بقي  
على الحالة التي كان عليها قبل نفخة الصمق ميقنا لأنسبه  
حوسب بصمقة يوم الطور ؟ وهذه فضيلة عظيمة في حق موسى  
عليه السلام ولا يلزم من فضيلة أحد الأمرين المشكوك فيهما فضيلة  
موسى على محمد صلى الله عليه وسلم مطلقا لأن الجزئي لا يوجب  
أمرا كلياً . ١ . هـ . (١)

وقال أبو عبد الله القرطبي : إن حمل الحديث على صمقة الخلق  
يوم القيامة فلا إشكال ، وإن حمل على صمقة الموت عند نفخ الصور  
وصرف ذكر يوم القيامة إلى أنه أراد أوائله ، فيكون إذا نفخ في الصور  
نفخة البعث كنت أول من يرفع رأسه فإذا بموسى أخذ بقائمة من  
قوائم العرش فلا أدري : أفاق قلبي أم جوزى بصمقة الطور . (٢)

(١) التذكرة ( ص ١٦٩ ) .

(٢) المصدر السابق ( ص ١٦٨ / ١ ) .

وقد رد هذا العلامة ابن القيم فقال : " وحمل الحديث على هذا لا يصح لأنه صلى الله عليه وسلم تردد هل أفاق موسى قبله أم لم يصمق بل جوزى بصمقه الطور ، فالمعنى لا أرادى أصمق أم لم يصمق ، وقد قال في الحديث : فأكون أول من يفيق ، وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم بصمق فيمن يصمق ، وأن التردد حصل في موسى هل صمق وأفاق قبله من صمقته أم لم يصمق ولو كان المراد به الصمقة الأولى وهل صمقة الموتى لكان صلى الله عليه وسلم قد جزم بموته وتردد هل مات موسى أم لم يموت ، وهذا باطل لوجوه كثيرة ، فعلم أنها صمقة فزع لاصمقة موت وحيثئذ فلا تدل الآية على أن الأرواح كلها تموت عند النفخة الأولى نعم تدل على أن موت الخلائق عند النفخة الأولى وكل من لم يذق الموت قبلها فإنه يذوقه حيثئذ وأما من ذاق الموت أو من لم يكتب عليه الموت فلا تدل الآية على أنه يموت مودة ثانية ، والله أعلم - ثم قال رحمه الله :

فان قيل : فكيف تصنعون بقوله في الحديث : ان الناس يصمقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش قيل لا ريب أن هذا قد ورد هكذا ومنه نشأ الاشكال ولكنه دخل على الراوى حديث في حديث فركب اللفظين فجاء هذا والحديث هكذا .

احدهما : أن الناس يصمقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق . والثانى : هكذا : أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ففي الترمذى وغيره من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، ولا فخر ، وبهيدى لواء الحمد ، ولا فخر ، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائى وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر .

(٢)  
قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح .

(١) صحيح البخارى مع الفتح (٢٦٧/١١) ، صحيح مسلم (١٤٤/٤) .  
من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .  
(٢) سنن الترمذى (٢٧٠/٤) ، سنن ابن ماجه (١٤٤٠/٢) واحمد فى المسند ٢٨١/١ .

قد دخل على الراوى هذا الحديث الاخر وكان شيخنا أبو الحجاج الحافظ<sup>(١)</sup> يقول ذلك ،

فان قيل : فما عصمون بقوله ( فلا أدري أفاق قبلى أم كان من استثنى الله عز وجل - <sup>(٢)</sup> والتميم استثناهم الله انما هم ستنون من صمقة النفخة لا من صمقة يوم القيامة كما قال الله تعالى : ( ونفخ في الصور فصعيق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ) ولم يقع الاستثناء من صمقة الخلائق يوم القيامة .

قيل : هذا والله أطم غير محفوظ وهو وهم من بعض الرواة والمحفوظات تواترات الروايات الصحيحة من قوله : ( فلا أدري أفاق قبلى أم جوزى بصمقة الطور <sup>(٣)</sup> فظن بعض الرواة أن هذه الصمقة هي صمقة النفخة ، وأن موسى داخل فيمن استثنى منها ، وهذا لا يلتزم على ساق الحديث قطعا ، فإن الإفاقة حينئذ هي إفاقة البعث فكيف يقول " لا أدري أبعث قبلى أم جوزى بصمقة الطور ؟ فتأمل ، وهذا بخلاف الصمقة التي بصمقها الخلائق يوم القيامة إذا جاء الله سبحانه لفصل القضاء بين العباد وتجلس لهم فإنهم يصمقون جميعا ، وأما موسى صلى الله عليه وسلم فإن كان لم يصمق معهم فيكون قد حوسب بصمقته يوم تجلى ربه للجبل فجعله دكا ، فجعلت صمقة هذا التجلى عوضا من صمقة الخلائق لتجلي الرب يوم القيامة " أ . هـ . <sup>(٤)</sup>

- 
- (١) اسمه : يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج ، محدث الديار الشامية ، مهرف في اللغة ، ثم في الحديث ومعرفة رجاله وصنف كتبها منها ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة ، وتوفي سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ، أنظر ترجمته في " الدرر الكامنة " ( ٤٥٧/٤ ) ، النجوم الزاهرة ( ٧٧/١٠ ، الأعلام ( ٣١٣/٩ ) .
- (٢) صحيح البخارى مع الفتح ٣٦٧/١١ ، صحيح مسلم ٤/١٨٤٤ .
- (٣) صحيح البخارى مع الفتح ٤٢٠/٦ ، السنن ٣/٣٣٠ .
- (٤) الروح لابن القيم ص ٥٢-٥٤ ، شرح الطحاوية ص ٤٦٧-٤٦٨ .

وما ذكره ابن القيم من اعتبار الصمق لتجلي الله يوم القيامة  
محتمل وهناك احتمال آخر وهو أن هذا الصمق يكون عند النفخة  
الثانية ، والصمق عندهما صقمان صمق موت لمن كان حينئذ  
على قيد الحياة في الدنيا وصمق فشي فيمن تكون حياته حياة  
برزخية ، وعلى هذا يكون الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره  
حصل له هذا الصمق ، وموسى يحتمل أن يكون حصل له  
لهذا الصمق ويحتمل أنه لم يحصل له فيكون جوزي بصمقة  
الطور أو يكون من استثني الله .

والذي بيد وأن الراجح في الاستثناء المذكور في الآية  
" أنه تناول لمن في الجنة من العور الصمى إذ الجنة لا موت  
فيها وإنما هي دار خلود وبقاء كما أنه يتناول غيرهم وليس  
في إمكان أحد أن يطلع بكلمة من استثناء الله فلا يمكن أن نجزم  
بذلك فيصير هذا مثل العلم بقرب الساعة وأعيان الأنبياء  
وغير ذلك ما لم يرد فيه خبر عن الشارع إذ هذا الأمر لا تتم  
معرفة إلا عن طريق خبر الشارع وهذا اختيار - شيخ الإسلام  
ابن تيمية رحمه الله - تعالى - " (١)

( وقد دلت السنة على أن هناك مدة بين نفختي الصمق

والبعث ،

روى الشيخان في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله  
عنه قال : ( قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما بين  
النفختين أربعون ، قالوا : " أربعون شهرا ؟ قال أبيت " (٢)  
أربعون سنة ؟ قال أبيت " ثم ينزل الله من السماء ماء فينبت كما  
ينبت البقل " قال وليس من الإنسان شيء إلا يبلس الأعظما واحدا  
وعو عجب الذنب " (٣) (٤)

(١) انظر مجموع الفتاوى (٣٦/١٦) .

(٢) معناه : أبيت أن أجزم بأن المراد أربعون يوما ، أو سنة ،  
أو شهرا بل الذي أجزم به أنها أربعون على سبيل الاجمال .

(٣) عجب الذنب : عظيمة أصل الصلب ، وهو رأس العصص ،  
وهو مكان رأس الذنب من فوات الأربع ذكره الحافظ في " هدى

السارى في مقدمة فتح البارى " (ص ١٥٣) .

(٤) صحيح البخارى (٣/١٨٢) ، صحيح مسلم (٤/٢٢٢٠-٢٢٢١)  
واللفظ له .



فالمراد بالنفختين ~~هذه النفخة الصمغية~~ ونفخة القيام للبعث والنشور ، ويؤيد ذلك إنزال الماء بينهما وذكر عجب الذنب الذي منه يخلق الإنسان وفيه يركب خلقه عند بعثه يوم القيامة <sup>(١)</sup> .

### النفخة الثالثة : نفخة البعث :

وهذه النفخة هي نفخة البعث والنشور والقيام لسرب المدلمين دل عليها من السورة قوله تعالى ( ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ) .  
قال السدي : " ( ثم نفخ فيه أخرى ) قال : في الصور وهي نفخة البعث .

وقال قتادة : ( ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ) قال نبي الله : بين النفختين أربعون قال : قال أصحابه فما سألتناه عن ذلك ولا زادنا على ذلك / غير أنهم كانوا يرون مسن رأبهم أنها أربعون سنة ،  
وذكر لنا أنه يبعث في تلك الأربعين مطر يقال له : مطر الحياة حتى تطيب الأرض وتهتز وتنبت أجساد الناس نهسات البقل <sup>(٢)</sup> ،

قال ابن كثير : " ثم يحيى أول من يحيى إسرافيل ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى وهي النفخة الثالثة نفخة البعث قال الله - عز وجل - ( ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ) أي : أحياء بعد ما كانوا عظاماً ورفاتا صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة " أ.هـ <sup>(٣)</sup> .

وهذه النفخة التي هي نفخة البعث جاءت فيها آيات كثيرة .  
قال تعالى ( يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ) <sup>(٤)</sup>  
وقال تعالى ( فإنا هي زجرة واحدة ) <sup>(٥)</sup>  
وقال تعالى ( ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون ) <sup>(٦)</sup> .

(١) النهاية لابن كثير / طر (٢) لمعجم البيان ١٤ / ٣٦ (٣) تفسير ابن كثير ٦ / ١١٠ .  
(٤) سورة النبأ آية : ( ١٨ ) . (٥) سورة النازعات آية ( ١٣ ) .  
(٦) سورة يس آية : ( ٥١ - ٥٣ ) .

وقال تعالى : ( ومن آياته أن تقوم السماء والأرض  
بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا انتم تخرجون )<sup>(١)</sup>  
وقال تعالى ( فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يسوم  
عسير )<sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى ( واستمع يوم ينادى الضاد من مكان قريب  
يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج )<sup>(٣)</sup> .  
وقد اختلف العلماء في عدد النفخات في الصور هل هي  
ثلاث نفخات أم نفختان فقط ؟ .

فمنهم من قال : إنها ثلاث نفخات كما قدمنا ذكرها .  
ومنهم من قال : إنها نفختان فقط ، واعتبروا نفخة الفزع  
هي نفخة الصمق لأن الأمرين لزمان لها أي : فزعوا فزعاً  
ماتوا منه وهذا اختيار القرطبي وغيره من بعض المفسرين<sup>(٤)</sup>  
والراجح أنها ثلاث نفخات كما قدمنا ذكرها وقد تقدم قول  
ابن كثير وأبي بكر بن المرسى أنها ثلاث نفخات ، وهو قول  
شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فإنه قال : والقرآن  
قد أخبر بثلاث نفخات نفخة الفزع ، ذكرها في سورة النمل في  
قوله تعالى ( ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومسن  
في الأرض إلا من شاء الله )<sup>(٥)</sup> .

ونفخة الصمق والقيام ذكرهما في قوله ( ونفخ في الصور فصمق  
من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى  
فأذاهم قيام ينظرون ) .

وقال السفاريني : " وأعلم أن النفخ في الشور ثلاث نفخات ، نفخة  
الفزع وهي التي يتغير بها هذا العالم ، ويسفد نظامه وهي الشار  
إليها في قوله تعالى ( وما ينظرون هو إلا صيحة واحدة مالها  
من فواق ) أي رجوع ومرد .

النفخة الثانية : نفخة الصمق وفيها هلاك كل شيء .  
النفخة الثالثة : نفخة البعث والنشور ( . . أ . هـ )<sup>(٦)</sup> .

فالنفخات الثلاث كلها نص عليها القرآن وعينها ، ومن هنا يتعين أن  
القول الراجح في عدد النفخات أنها ثلاث نفخات .

(١) سورة الروم آية (٢٥) . (٢) سورة البدر آية (٨-٩) .  
(٣) سورة ق آية (٤١-٤٢) . (٤) الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٢٨١  
تفسير البهوتي على حاشية تفسير الخازن ١٣١ / ٥ ، تفسير الألوسي  
السيبي روح المعاني ٣١ / ٢٠ .  
(٥) الآية رقم (٨٧) . (٦) مجموع الفتاوى (١٦ / ٣٥-٣٦) .  
(٧) سورة (ص) آية (١٥) .  
(٨) لوامع الأنوار ٢ / ١٦٦-١٦٤ .

## \* البحث الثامن \*

بعث الموتى من قبورهم .

.. قبل أن نذكر ما جاء في سورة " الزمر " من الدلالة على بعث الموتى من قبورهم ، وأن البعث يكون لهذا الجسد بعينه نذكر تعريف البعث في اللغة والشرع .  
أما تعريف البعث في اللغة : فإنه يختلف بحسب ما طسق

به فالبعث يطلق ويراد به المعاني الآتية :-

- ( ١ ) الإرسال : يقال بعثت فلانا ، أو ابنته أي : أرسله .
- ( ٢ ) البعث من النوم : يقال بعث من منامه إذا أيقظته .
- ( ٣ ) الإشارة : وهو أصل البعث ومنه قيل للناقصة بعثتها إذا . . . . أثرتها وكانت قبل باركة<sup>(١)</sup> .

وجاء في القاموس : " بعث كمنعه أرسله كابتعته فانبعث والناقصة آثارها ، وفلانا من منامه أهبه . . . . وتبعث منسي الشمر انبعث كأنه سال<sup>(٢)</sup> .

وجاء في تهذيب اللغة : " قال الليث : بعثت البعير إذا فانبعث إذا حللت عقاله وأرسلته لو كان باركا فأثرته ، والبعث في كلام العرب على وجهين :

أحدهما : الإرسال كقول الله تعالى ( ثم بعثنا من بعدهم موسى<sup>(٣)</sup> )  
معناه : أرسلناه .

الثاني : والبعث أيضا : الإحياء من الله للموتى ومنه قوله - جل وعلا - ( ثم بعثناكم من بعد موتكم<sup>(٤)</sup> ) أي : أحييناكم<sup>(٥)</sup> .

- 
- (١) الصحاح للجوهري ١ / ٤٧٢ ، لسان العرب (١) ١١٦-١١٨
  - (٢) القاموس (١/١٦٨) .
  - (٣) سورة الاعراف آية : ( ١٠٣ ) .
  - (٤) سورة البقرة آية ( ٥٦ ) .
  - (٥) تهذيب اللغة (٢/٣٣٤-٣٣٥) ، المفردات في غريب القرآن ( ص ٥٢-٥٣ ) .

وأما تعريف البعث في الشرع :

فيراد به " إحياء الله - تعالى - الأموات وإخراجهم من قبورهم ، وهم أحياء للحساب وللجزاء كما ذكر الله - تعالى - ( خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر )<sup>(١)</sup> وقال تعالى ( يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم المني نصب يوفضون )<sup>(٢)</sup> .

وقال العلامة ابن كثير : " البعث وهو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة"<sup>(٣)</sup> .

وقال أبو هلال العسكري<sup>(٤)</sup> : " يعنى الخلق اسم لإخراجهم من قبورهم إلى الموقف ومنه قوله - تعالى - ( من بعثنا من مرقدنا )<sup>(٥)</sup> .

لوامع وجاء في الأنوار : ما البعث فالمراد به المعاد الجسماني فإنه المتبادر عند الإطلاق إذ هو الذي يجب اعتقاده يكفر منكره"<sup>(٦)</sup> .

والحاصل أن البعث : هو أن يعيد الله - تعالى - الإنسان بروحه وجسده كما كان في الحياة الدنيا ، وهذا كائن عند ما تتعلق إرادة - الرب جد وطلا - بذلك فيخرج الخلق جميعهم من قبورهم ، وهم حفاة عراة غرل بهم . ويساقون إلى أرض الموقف لينال كل إنسان ما يستحقه من الجزاء المادل وفق ما عمل في حياته الدنيا .

- 
- (١) سورة القمراية ( ٧ ) .
  - (٢) سورة المعارج آية (٤٣) .
  - (٣) تفسير ابن كثير (٤/٦١٤) .
  - (٤) هو : الحسن بن عبد الله بن سهل . بن سميد بن يحيى ابن مهران العسكري أبو هلال من علماء الأدب ، توفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة هجرية ، أنظر ترجمته في " خزانة الأدب " للبغدادي (١/١١٢) ، معجم البلدان (٥/١٢٤) .
  - (٥) الأعلام (٢/٢١١ - ٢١٢) .
  - (٦) كتاب الفروق ( ص ٢٨٤ ) والآية رقم (٥٢) من سورة يس .
- ١٥٧/٢

وعند المقارنة بين المعنى الشرعي لكلمة " البحث " والمعنى اللغوي نجد ترابطا وثيقا إذ من معاني " البحث " في اللغة التحريك والإشارة لما كان ساكنا قبل ذلك ، وكذلك الإِسْئال كما في قوله تعالى ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله )<sup>(١)</sup> .

فالمعنى الشرعي : هو أن يرسل الله - تعالى - الحياة إلى الأموات ويشيرها من جديد لتتمكن من المراد منها وهو الإسراع من الأحداث إلى موقف الحساب . وقد دلت سورة " الزمر " على أن من الإيمان باليوم الآخر : الإيمان ببعث هذه الأجساد الدنيوية وإعادة ههنا بعينها روحا وجسدا قال تعالى ( ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ) .

قال القرطبي : ( فإذا هم قيام ينظرون ) أي فإذا الأموات من أهل الأرض والسماء أحياء يمشوا من قبورهم وأعيد عليهم أبدانهم وأرواحهم فقاموا ينظرون ماذا يؤمرون وقيل : قيام على أرجلهم ينظرون إلى البعث الذي وعدوا به ، وقيل النظر بمعنى الانتظار أي : ينتظرون ما يفصل بهم " أ. هـ " .<sup>(٢)</sup>

وقال الصلابة ابن جرير : ( فإذا هم قيام ينظرون ) يقول : فإذا من صمق عند النفخة التي قبلها وغيرهم ممن جميع خلق الله الذين كانوا أمواتا قبل ذلك قيام من قبورهم وأماكنهم من الأرض أحياء كبعثتهم قبل ماتهم ينظرون أمر الله فيهم " أ. هـ " .<sup>(٣)</sup>

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى ( فإذا هم قيام ينظرون ) معنى : الخلق كلهم قيام على أرجلهم ينظرون ما يقال لهم ، أو ينتظرون ذلك " أ. هـ " .<sup>(٤)</sup>

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي : عند قوله تعالى ( فإذا هم قيام ينظرون ) أي : قد قاموا من قبورهم لبعثهم وحسابهم قد تمت منهم الخلقة الجسدية والأرواح ، وشخصت أبصارهم " أ. هـ " .<sup>(٥)</sup>

(١) سورة النحل آية : ( ٣٦ )  
 (٢) الجامع لا حكام القرآن ١٥ / ٢٨١ ، المعاني ١٤ / ٢٠٤  
 (٣) جامع البيان ( ٣٢ / ٢٤ ) (٤) فتح القدير ٤ / ٤٢٥ - ٤٢٦  
 (٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ( ٤٤ / ٨ ) .

ومن كلام أهل العلم الذي تقدم لبيان معنى قوله تعالى ( ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ) .  
من سورة الزمر يتبين وجه دلالتها على أن البعوث هو الأجساد الدنيوية وليست أجسادا أخرى .

وقد اختلف الناس هل البعوث هو الجسد الأول بعينه أو غيره؟ ذكر شارح المواقف عن الحلبي والفضالي<sup>(١)</sup> والراغب ومفسر من المعتزلة وبعض الإمامية والصوفية أنهم قالوا : " الانسان <sup>بالحقيقة</sup> هو النفس الناطقة وهي المكلف والطيع والعاصي والثاب والمعاقب والبدن يجرى منها مجرى الآلة والنفس باقية بعد فساد البسطن فإذا أراد الله تعالى حشر أجساد الخلائق لكل واحد <sup>خلق</sup> بدنا تتعلق به الروح وتتصرف فيه كما كان في الدنيا <sup>(٢)</sup> وهذا مذهب فاسد كما سنبين قريبا فساد من حيث أنه مخالف للكتاب والسنة في بيانها صفة الإعادة بعد الموت .

ثانيا : مذهب السلف في صفة الإعادة :

قال شارح الطحاوية " القول الذي طيه السلق وجمهور العقلاء أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال ، فتمتحيل ترابا ، ثم ينشئها الله نشأة أخرى ، كما استحال في النشأة الأولى ، فإنه كان نطفة ، ثم صار علقة ، ثم صار مضفة ، ثم صار عظاما ولحما ، ثم أنشأه الله خلقا سواها ، كذلك الإعادة يعيده الله بعد أن يبلى كله الإعجب الذنب كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " كل ابن آدم يبلى إلا أعجب الذنب منه خلق يحيى آدم <sup>(٣)</sup> متركب .

- (١) الغزالي له قول آخر " وهو القول بإعادة الجسد الأول بعينه " أنظر كتابه الإقتصاد في الاعتقاد " ( ص ١٨٠ - ١٨٢ ) .  
(٢) المواقف بشرح الجرجاني ( ٢٨٩ / ٨ ) ، وانظر " كتاب محمد عبده " بين الفلاسفة المتكلمين ( ٦٠٧ / ٢ ) وما بعدها تحقيق سليمان دنيا .  
(٣) صحيح البخاري ( ١٨٢ / ٣ ) ، صحيح مسلم ( ٢٢٧٠ - ٢٢٧١ ) .

فالنشأتان نوطان تحت جنس يتفقان . . . ويتماثلان من وجهه ،  
 ويفترقان ويتنوطان من وجهه ، والعماد هو الأول بيمينه ، وإن كان يمين  
 لوازم الهداية فرق ، فعجب الذهب هو الذي يبقى ، وأما سائره فيستحيل  
 فيعاد من المادة التي استحالت إليها ، ومعلوم أن من رأى شخصا وهو  
 صغير ، ثم رآه وقد صار شيخا علم أن هذا هو ذلك مع أنه دائما في  
 تحلل واستحالة ، وكذلك سائر الحيوان والنبات فمن رأى شجرة وهي  
 صغيرة ثم رآها كهيئة قال هذه تلك ؛ ، ثم قال " وليست صفة تلك  
 النشأة الثانية معادلة لصفة هذه النشأة حتى يقال : إن الصفات  
 هي المغيره لاسيما أهل الجنة إذا دخلوا فإنهم يدخلونها على صورة  
 آدم طولها ستون ذراعا كما ثبت في الصحيحين وغيرهما وروى أن عرضه  
 سبعة أذرع ، وتلك نشأة باقية غير معرضة للآفات ، وهذه نشأة فانية  
 معرضة للآفات (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية " لقد اضطرب علماء في العماد ، ومعرفة  
 المصاد منهية على الهدأ ، والبعث مبني على الخلق فقال بعضهم : هو  
 تفريق تلك الأجزاء ، ثم جمعها وهي باقية بأعيانها .  
 وقال بعضهم : بل يعد بها ويعدم الأعراض القاومة بها ، ثم  
 يعيد لها ، وإذا أعادها فإنه يعيد تلك الجواهر التي كانت باقية  
 إلى أن حصلت في هذا الإنسان .  
 ولهذا اضطربوا لما قيل لهم فالإنسان إذا أكله حيوان آخر فإن أعيدت  
 تلك الجواهر من الأول نقصت من الثاني وبالعكس ، أما على قول من  
 يقول : إنها تفرق ، ثم تجمّع قبيل له : تلك الجواهر إن جمعت  
 للاكل فنقصت من التأكول ، وإن أعيدت للتأكول نقصت من الأكل .  
 وأما الذي يقول : تعدم ثم تعاد بأعيانها فقبيل له أتعدم لما  
 أكلها أم قبل أن يأكلها ؟ .

فإن كان يعدم أن أكلها فإنها تعاد في الأكل فنقص التأكول ، وإن كان  
 قبل الأكل ، فالأكل لم يأكل جواهر هذه مكابرة ويعدم أن أورد هذه الشبهة  
 التي أبطلت كلا الرأيين لعلماء الكلام قرر ما هو الحق في المسألة فقال :  
 " والشهور أن الإنسان يلقى ويصير ترابا كما خلق من تراب ، وبذلك أخبر  
 الله ، فإن قيل : إنه إذا صار ترابا متالجواهر ، فهو لما خلق من تراب  
 يد .

(١) شرح الطحاوي ( ص ٤٦٣-٤٦٤ ) ، وانظر (مجموع الفتاوى لابن تيمية  
 . ( ٢٤٨/١٧ )

بقية في جميع الاستحالات إلا إذا صار تراباً تناقض بين ويلزمهم عليه الحيوان المأكول وغير ذلك ) . أ. هـ .<sup>(١)</sup>

وقال العلامة ابن القيم \* وأما ما خلقه - سبحانه - فإنه أوجده لحكمة في إيجادها فإذا اقتضت حكمته إعدامه جملة أعضائه ، وأحدث بدله ، وإذا اقتضت حكمته تبدله وتغييره ، وتحويله من صورة إلى صورة بدله وغيره ولم يعدمه جملة .

ومن فيهم هذا أفهم سألة المعاد ، وما جاءت به الرسل فيه فإن القرآن والسنة إنما دلت على تغيير العالَم وتحويله وتبدله لا جعله عدماً محضاً ، وإعدامه بالكليّة ، فدلت على تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وعلى تشقق السماء وانفطارها وتكوهر الشمس وانتشار الكواكب وسجر البحار وإنزال المطر على أجزاء بني آدم المختلطة بالتراب فينبهون كما تنبت العبادات وترد تلك الأرواح بعينها إلى تلك الأجساد التي أحييت ، ثم أنشئت نشأة أخرى . . . . إلى أن قال : " قد أخبر الله - سبحانه - أنه يحيي العظام بعد ما صارت رميماً ، وأنه قد علم ~~الإنسان~~ الأرض من لحوم بني آدم وعظامهم فيرد ذلك إليهم عند النشأة الثانية وأنه ينشئ تلك الأجساد بعينها بعد ما هليت نشأة أخرى ويرد إليها تلك الأرواح<sup>(٢)</sup> .

وإذا نظرنا إلى آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة نجد أنها تبين بطلان مذهب طمأنينة الكلام في صفة الإعادة وتوحيد مذهب السلق في أن المبعوثون هو الجسد الأول بعينه لا غيره للأدلة الآتية :-  
أولاً : إن الآيات القرآنية التي جاءت لمناقشة المنكرين للمبعوث جاءت نصاً في بيان أن أجساد بني آدم الدنياوية هي التي تماد بأعيانها ، ولذلك كان المنكرون للمبعوث يستبعدون إعادة أجسادهم بعد أن أصبحت عظاماً بالية ، وأشلاء متفرقة في التراب ، ومتصورة بصورته كما قال تعالى حكايمة (أي بعدكم أنكم إذا ماتم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون . هيهات هيهات لما توعدون ) .<sup>(٣)</sup>

(١) النبوات ( ص ٨٢ - ٨٣ ) ، وانظر مجموع الفتاوى ( ١٧ / ٢٤٦ - ٢٤٧ ) .

(٢) مفتاح السعادة ( ٢ / ٣٤ - ٣٥ ) .

(٣) سورة المؤمنون آية : ( ٣٤ - ٣٥ ) .



وقال تعالى ( قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول ائتنيك لمن  
الصدقين ائذا متنا وكنا ترابا وعظما ائنا لبعوثون ) (١) .

وقال تعالى ( وقالوا ائذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق  
جديد ) (٢) .

انكر الله عليهم هذا الاستبعاد ، ورد على جميع شبهتهم  
وبين إمكان البعث وثبوت وقوعه بمثل قوله تعالى ( قل كونوا  
حجارة أو حديد أو خلاقا ما يكفر في صد وركم فسيقولون من  
بميدنا قل الذي لم يركم أول مرة فينبضون البك رؤوسهم ويقولون  
من هو الذي عسى أن يكون قريبا ) (٣) .

ومثل قوله تعالى ( قل يحييها الذي أنشأها أول مرة  
وهو بكل خلق عليم ) (٤) .

وقوله هجر وجبل - ( قد علمنا ما تنقص الأرض منهم عندنا  
كتاب حفيظ ) (٥) .

فقد بين تعالى دليل الإمكان بخلقهم الأول ، وبين ثبوت وقوعه  
بدليل كمال قدرته وسيصفاطه وذلك ما يؤيد القول ببعث الجسد  
الأول بعينه .

ثانيا : ما يؤكد أن المعاد هو عين الجسد الأول لاغيره قوله  
تعالى ( ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما طأوها  
شهد عليهم سمعهم أبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا  
لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء  
وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم  
سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما  
تعلمون ) (٦) .

فهذه الآيات بين الله تعالى فيها أن جوارح الإنسان التي اقترفت  
الذنوب والآثام هي التي تشهد على صاحبها يوم القيامة بأنه فاعل  
كذا وكذا ولولم تكن هذه الجوارح هي عين جوارح الإنسان التي كانت  
في الدنيا لما قبلت شهادتها ولا اعتذرت من الله حين استنطقها وقالت  
يا الله أنت الحكم العدل لا تظلم أحدا من خلقك فلا تظلمنا بما لم نعمله ،  
أوشاهد به إلا علم عنه شيئا .

(١) سورة الصفات آية : ( ٥١ - ٥٤ ) (٢) سورة السجدة آية : ( ١٠ )  
(٣) سورة الإسراء آية : ٥٠ - ٥١ (٤) سورة ق آية : ٣٤  
(٥) سورة فصلت آية : ٩ (٦) سورة فصلت آية : ٩ - ١٠

ولكن لم يحصل شيء من هذا الاعتذار ، وإنما نطقت وأخبرت  
 بما فعل صاحبها ، فلم يقمنا أنها عين الجسد الأول ،  
 وفي صحيح مسلم من حديث أنس ابن مالك قال كنا عند رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال : هل تريدون مم أضحك  
 قلنا : أله ورسوله أعلم قال : من مخاطبة العبد ربه بقول :  
 يارب ألم تجزني من الظلم قال : بلى قال فيقول فإني لأبجيسر  
 على نفسي إلا شاهدا مني قال : يقول كفى بنفسك اليوم عليك  
 شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال : فيختم على فيه فيقال لركانه  
 انطق . قال فتتطرق بأعماله قال : ثم يخلى بينه وبين الكلام  
 قال : فيقول بمدداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل .

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم قال : ثم يقال : ( الآن نعمت شاهدنا  
 عليك ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال  
 لفضده ولحمه وعظامه أنطقي فتتطرق فخذاه ولحمه وعظامه بصلته  
 وذلك ليمذر من نفسه روثاً لك المنافق وذلك الذي سيحفظ الله  
 عليه )<sup>(١)</sup> .

وإذا كانت أركان الإنسان وسمعه وبصره وجلده ولحمه  
 وعظمه هي التي تتكلم فهل يبقى شك في أن المعاد هو عيسى  
 الجسد الأول ، لا شك أنه لا يبقى أي ريب في قلب المسلم الذي  
 يؤمن بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد أفصح القرآن جهود الإفصاح عن معاد الأبدان الدنيوية  
 قال تعالى ( منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى )<sup>(٢)</sup>  
 وقال تعالى ( والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم  
 أخرجاً )<sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى ( ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال  
 الكافرون هذا شيء عجيب أئذ امتنا وكنا تراباً ذلك رجوع بعيد قد  
 علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ )<sup>(٤)</sup> .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ( ١٠٤/١٨ - ١٠٥ ) .

(٢) سورة طه آية : ( ٥٥ ) .

(٣) سورة نوح آية : ( ١٦ - ١٧ ) .

(٤) سورة ق آية : ( ١ - ٤ ) .

فهذه الآيات القرآنية تنص على أن الخلق يعودون مسن  
التراب الذي منه خلقوا ، وتشير إلى أدلة الإمكان على ذلك  
المتتملة في كمال قدرته - سبحانه - وسمة طمه - جده وعلا -  
وقال تعالى ( وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من  
يحيى العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة  
وهو بكل خلق عليم )<sup>(١)</sup> .

وقوله - سبحانه - ( أيحسب الإنسان أن لسن  
نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنائه )<sup>(٢)</sup> وقوله سبحانه  
( وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق  
انكم لفي خلق جديد )<sup>(٣)</sup> وغيرها من الآيات التي تعرض شسبه  
المنكرين للبعث المتملة في استبعادهم لإعادة أهدانهم التسي  
مزقها البلى وأكلتها الأرض وأصبحت رميما . كلها دللت على أن  
الإعادة أمر سهل وميسور على الله الذي خلق الإنسان ولم يك  
شيئا من الذي يعلم ما أكلته الأرض وما أبقت له كمال طمه وسمة  
إحاطته بكل شيء ، وأنه تعالى قادر على أن يجمع العظام  
ويسوي العظام التي<sup>هي</sup> أداق عضو ومفصل في الإنسان .  
وقد أخبرنا تعالى أنه كما خلقنا يحيينا قال تعالى ( كما  
بدأكم تمودون )<sup>(٤)</sup> .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : قال الحسن  
البصري ومجاهد : كما بدأكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئاً  
كذلك تمودون . يوم القيامة .

وقال قتادة : " بدأهم من التراب وإلى التراب يعودون كما  
قال تعالى ( منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى )<sup>(٥)</sup>  
وقال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون )<sup>(٦)</sup> .

(١) سورة يس آية : ( ٧٨ - ٧٩ )

(٢) سورة القيامة آية : ( ٣ )

(٣) سورة سبأ آية : ( ٧ )

(٤) سورة الأعراف آية : ( ٢٩ )

(٥) سورة طه آية : ( ٥٥ )

(٦) أنظر مجموع الفتاوى : ٢٤٩/١٧ - ٢٥٠ والأيترقم ( ٢٥ ) من سورة الأعراف .

وأما الاحاديث النبوية : فمثل حديث أبي هريرة رضي الله عنه

" ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعون يوماً ؟ قال  
أبيت . قالوا أربعون شهراً ؟ قال أبيت قالوا : أربعون سنة  
قال أبيت ، ثم ينزل الله من السماء ماءً فيبتون كما ينبت البقل  
قال : وليس من الإنسان هم إلا يبلى إلا عظما واحداً وهو عجب  
الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة .

وفي رواية أخرى " كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب  
منه خلق وفيه يركب " ، وفي رواية أخرى : " إن في الإنسان  
عظماً واحداً لا تأكله الأرض أبداً فيه يركب الخلق يوم القيامة  
قالوا : أي عظم هو يا رسول الله ؟ قال عجب الذنب <sup>(١)</sup> .

فإذا نظرنا إلى هذه الأحاديث النبوية نراها تقر في وضوح  
إعادة الجسد الأول من التراب الذي استحال إليه وأن الأرض تأكل  
ابن آدم إلا عجب الذنب ، وأما بقية الجسد فإنه يفتن ويضل فيها  
والله - سبحانه - وتعالى بقدرته يتولى خلقه الثاني فيحيي  
تلك الأجساد الميتة فيؤلف خلقها ويكمل صورتها بما ينزل  
على الأرض من الماء الذي ينزل عليها كأنه الطل <sup>(٢)</sup> حتى إذا اكتملت  
الصورة وتم الخلق أذن لهم بالخروج بنفخة البعث فخرج <sup>الناس</sup> من قبورهم  
ومكانهم أحياء كأنهم إلى نسيب يوفضون وتلك ساعة الحشر إلى الله  
التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من حديث  
عائشة رضي الله عنها " يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً <sup>(٣)</sup> .  
وقد أخبر تعالى في كتابه أنه هو الذي يتولى النشأ ( الاخرة قال  
تعالى ) وأن عليه النشأة الاخرى <sup>(٤)</sup> .

وقال تعالى ( ثم الله ينشئ النشأة الاخرة ) <sup>(٥)</sup> .

وقال تعالى ( نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بسبوقين على  
أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ) .

- 
- (١) صحيح مسلم بشرح النووي ( ١٨ / ٩١ - ٩٢ ) .  
(٢) أنظر صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو ( ٤ / ٢٢٥٨ - ٢٢٥٩ ) .  
(٣) أي : غير مختونين .  
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ( ١٧ / ١٩٢ - ١٩٣ ) .  
(٥) سورة النجم آية : ٤٧ .  
(٦) سورة المنكوت آية : ٦٠ .  
(٧) سورة الواقعة آية : ٦٠ - ٦١ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ؛ قال الحسن بن الفضل البجلي الذي عندي في هذه الآية يعني قوله تعالى ( وننشئكم فيما لا تعلمون ) أي أخلقكم للبعث بمد السموات من حيث لا تعلمون كيف شئت ، وذلك أنكم علمتم النشأة الأولى كيف كانت في بطون الأمهات وليست الأخرى كذلك .

قال شيخ الإسلام : " و معلوم أن النشأة الأولى كان الإنسان نطفة من مني الرجل ثم علقة ، ثم مضفة ، ثم ينفخ فيه الروح ، وتلك النطفة من مني الرجل والمرأة وهو يخفئ به بدم الطمث الذي يري الله به الجنين في ظلمات ثلاث ؛ ظلمة المشيمة ، وظلمة الرحم وظلمة البطن ، والنشأة الثانية ؛ لا يكونون في بطن امرأة ولا ينفون بدم ولا يكون أحدهم نطفة رجل وأمرأة ، ثم يصيرون علقة ، بسبل ينشئون نشأة أخرى وتكون المادة من التراب " أ. هـ .<sup>(١)</sup>

والذي نخلص إليه ما تقدم أن صفة الإعادة هي كما قررها السلف الصالح من أن الأجساد تتقلب من حال إلى حال ، فتستحيل تراها ، ثم يعيدها الله ما استحالت إليه ، فينشئ لحمها وعظامها ويمت فيها الحياة مرة ثانية ، بحيث يكون المماد هو الجسد الأول بمينه بمد رجوع روحه إليه وذلك أمر ممكن عقلا وواقع شرعا إذ هو الذي نشاهده في خلق الله تعالى ، فإنه - سبحانه - يخلق الجسم من الجسم ، كما يخلق الإنسان من الماء المهيين ويخلق من الماء المهيين علقة ، ثم يخلق من العلقة مضفة ، ثم يخلق من المضفة عظاما ، ثم يكسو المظام لحما ، ثم يسويه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، وكذلك خلق الثمر فإنه - سبحانه - يقلب المادة التي يخرجها من الشجرة من الرطوبة ، والهواء ، والماء الذي ينزل عليها وكذلك الحب يخلق ، ويقلب المواد التي يخلقها منه إلى سنبلسة ، ثم إلى ثمرة جديدة ، وكذلك الإعادة ، فالأجساد تبلى ، وتستجيب

إلى التراب والله يعيدها ما استحالت إليه كما قال تعالى ( منها خلقناكم وفيها نكرمونها ) نخرجكم تارة أخرى<sup>(٢)</sup> قال القرطبي مبينا مذهب أهل السنة في صفة الإعادة " ومذهب أهل السنة والجماعة أن أجساد بني آدم الدنيوية تمام بأعيانها وأعراضها بلا خلاف بينهم حتى أن بعضهم قال ؛ ( بأوصافها فيعاد الوصف أيضا ؛ كما يعاد الجسم واللون " أ. هـ .<sup>(٣)</sup>

(١) مجموع الفتاوى ( ٢٥٢/١٧ - ٢٥٣ ) .  
(٢) سورة طه آية : ( ٥٥ ) .  
(٣) التذكرة ( ص ١٨٢ ) .

## (( البحث الثالث ))

عناية القرآن بأثبات البعث

لقد سلك القرآن الكريم في استدلاله على إمكان البعث بعد الموت وتحقيق وقوعه سلكاً قوياً جمع بين ما فطرت عليه النفوس من الإيمان بما تشاهد وتشمس ، وبين ما تقره العقول السليمة ، ولا يتنافى مع الفطر المستقيمة ، وتلك طريقة تفرد بها القرآن الكريم :

وكان منهج القرآن الكريم في استدلاله على البعث كما يلي :-  
أولاً : الاستدلال على البعث بمن أماتهم الله ثم أحياهم ، كما أخبر تعالى <sup>بمهمم</sup> من ذلك ومنهم :-

( ١ ) قوم موسى قال تعالى : ( وان قتلتم يا موسى لن نوّمن لك حتى نرى الله جهره فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم <sup>(١)</sup> تشكرون ) ،

وقيل : ان الذين أخذتهم الصاعقة هم السبعون الذين اختارهم موسى ذلك أنهم لما أسمعهم كلام الله - تعالى - قالوا : له بعد ذلك ( لسن نوّمن لك ) والآن بالأنبياء واجب بعد ظهور معجزاتهم ، فأرسل الله اليهم نارا من السماء فأحرقتهم ثم دعا موسى ربه فأحياهم كما قال تعالى ( ثم بعثناكم من بعد موتكم ) <sup>(٢)</sup> .

( ٢ ) المضروب بعضو من أعضاء البقرة كما قال تعالى ( وان قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ) <sup>(٣)</sup> . قيل : ان المقتول ضرب بعضو من أعضاء تلك البقرة التي أمرهم الله أن يذبحوها كما قال موسى لهم ( ان الله يأمركم أن تذبحوا <sup>(٤)</sup> بقرة ) فلما ضرب به حتى وأخبر بمقاتله ثم عاد ميتا كما كان <sup>(٥)</sup> .

( ٣ ) ولذبن أخبر الله عنهم بقوله - تعالى - ( ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ) <sup>(٦)</sup> وهو لا قوم من بني اسرائيل وقع فيهم البوباء ففروا هاربين . قال ابن عباس : " كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارا من الطاعون وقالوا نأثي أرضا ليس بها موت فأماتهم الله - تعالى - فمر بهم نبي فدعا الله فأحياهم " <sup>(٧)</sup> .

- |                               |                                    |
|-------------------------------|------------------------------------|
| ( ١ ) سورة البقرة آية ٥٥-٥٦ . | ( ٢ ) الجامع لأحكام القرآن ١/٤٠٣ . |
| ( ٣ ) سورة البقرة آية ٧٢-٧٣ . | ( ٤ ) سورة البقرة آية ٦٧ .         |
| ( ٥ ) تفسير القرطبي ١/٤٥٧ .   | ( ٦ ) سورة البقرة آية / ٢٤٣ .      |
| ( ٧ ) تفسير القرطبي ٣/٢٣٠ .   |                                    |

( ٤ ) ( الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه اللـ بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجملك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير (١) .

والذى مر على القرية هو "عزيز" عليه السلام . قال ابن كثير في تفسيره : " وهذا هو القول المشهور " والقرية المشهورة هي بيت المقدس مر عليها عزيز بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها (٢) .

( ٥ ) سؤال إبراهيم عليه السلام عن كيفية إحياء الموتى قال تعالى : ( وان قال إبراهيم رب أنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعه من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واطمأن أن الله عزيز حكيم (٣) .

وقد ذكر المفسرون لسؤال إبراهيم عليه السلام هذا أسبابها منها : أنه لما قال لنورود ( ربي الذى يحيى ويميت ) أحب أن يترقى من علم اليقين بذلك الى عين اليقين ، وأن يرى ذلك شاهداً (٤) ولم يكن إبراهيم عليه السلام بسؤاله ذلك شاكاً في قدرة الله - تعالى - قطعا .

( ٦ ) ما أخبر الله به عن عيسى عليه السلام من أنه كان يحيى الموتى بإذن الله كما قال تعالى : ( ورسولاً الى بني إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأهبرى الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله (٥) .

( ١ ) سورة البقرة آية / ٢٥٩ . ( ٢ ) تفسير ابن كثير ١ / ٥٥٨ .  
 ( ٣ ) سورة البقرة آية / ٢٦٠ . ( ٤ ) تفسير ابن كثير ١ / ٥٥٩ .  
 ( ٥ ) آل عمران آية / ٤٩ .

( ٧ ) ما أخبر الله به من قصة أهل الكهف من أنهم لبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا ثم بعثهم الله بعد هذه العدة الطويلة .

وهذه الأدلة التي قد مناها أدلة مادة حسية وقعت كلها لتسدل على إحياء الموتى بعد معاتهم ، وهذا برهان قطعي على القدرة الإلهية ، وقد أخبر الله ورسوله عن وقوع البعث والحشر فوجب القطع بذلك لأنه أخبر به من ثبت صدقه عن شئته قدرته فالآيات المتقدمة فيها دلالات وانعكاسات على قدرة الله - تعالى - في إحياء الموتى .

ثانيا : الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الثانية :-

١ - قال تعالى ( يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراجم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شئ شهيد قد يو . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فسي القبور ) ( ١ ) .

هذه الآيات الثلاث تضمنت دليلين على إمكان البعث :

أحدهما : دليل في الأنفس وهو ما اشتمل عليه عذر الآية وهو متعلق بالنشأة الأولى .

الثاني : دليل آفاقي وهو ما اشتمل عليه قوله تعالى ( وترى الأرض هامدة

فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ) وهو الاستدلال بخلق النبات على إمكان البعث وسيأتي .



قال العلامة ابن القيم : شارحا قوله - تعالى - ( يا أيها الناس إن كنتم  
في ريب من البعث فإن خلقناكم من تراب ) الآية (١) .

" يقول - سبحانه - ان كنتم في ريب من البعث فاستم تترابون فسي  
مبدأ خلقكم من حال إلى حال إلى حين الموت ، والبعث الذي وعدتم به  
نظير النشأة الأولى فهما نظيران في الإمكان والوقوع فأعادتم بعد الموت  
خلقا جديدا كالنشأة الأولى التي لا تترابون فيها فكيف تنكرون أحدي  
النشأتين مع شاهد تكلم نظيرها " (٢) هـ .

٢ - قال تعالى : ( وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي  
رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ) (٣) .

قال شيخ الإسلام : فإن قول الله تعالى ( من يحيي العظام وهي  
رميم ) قياس حدفت إحدى مقدمتيه لظهورها ، والأخرى سالبة كلية قرون  
معها دليلها وهو المثل المضروب الذي ذكره بقوله ( وضرب لنا مثلا ونسي  
خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ) وهذا استفهام إنكار متضمن للنفي  
أي لا أحد يحيي العظام وهي رميم ، فإن كونها رميما يضع عند إحيائها  
لصيرها إلى حال اليبس والبرودة العنافية للحياة التي منها على الحرارة  
والرطوبة ، ولتفرق أجزائها واختلاطها بغيرها ولنحو ذلك من الشبهات ،  
والتقدير : هذه العظام رميم ولا أحد يحيي العظام وهي رميم فلا أحد  
يحييها ، ولكن هذه السالبة كاذبة وضمونها امتناع الإحياء ، فبين  
- سبحانه - إمكانه من وجوه ببيان إمكان ما هو أبعد من ذلك وقدرته عليه  
فقال : ( يحييها الذي أنشأها أول مرة ) وقد أنشأها من التراب ثم قال :

( ١ ) سورة الحج آه / ٥ . ( ٢ ) اعلام الموقعين ١ / ١٤٢ .

( ٣ ) سورة " يس " آه / ٧٨ - ٧٩ .

( وهو بكل خلق طيم ) ليمين طم بما تفرق من الأجزاء أو استحال<sup>(١)</sup> هـ .

( ٣ ) قال تعالى : ( وقالوا إذا كنا عظاما ورفاتا أننا لمبعوثون خلقا جد يدا قل كونوا حجارة أو حديدا . أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يهدنا قل الذي فطركم أول مرة فسيفضون اليكرووسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا<sup>(٢)</sup> ) .

هذه الآيات تقرر بأن شبهات الضكرين للبعث تكاد تكون متجانسة لأنها تدور حول استبعاد جمع الأجزاء بعد تفرقها وإعادة الحياة إليها بعد فناها وهذه الشبهة لا تكون إلا بالقدح في كمال علم الله - جل وعلا - المحيط بكل شئ ، وكما قدرته على كل شئ ، وقد قام البرهان على كمال العلم والقدرة لله - تعالى - فلا وجه للاستبعاد والإستغراب بعد ذلك وفي قوله تعالى ( قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم ) يعني به أنكم مهما تفرقتم وعلى أية حالة كنتم فالله قادر على بعثكم وإعادتكم حتى لو تحولتم إلى حجارة أو حديد فالله قادر على إعادة الحياة إليكم مرة أخرى من أن المنافاة بين الحجرية والحديدية وبين قبول الحياة أشد من المنافاة بين العظمة وبين قبول الحياة وذلك أن العظم قد كان جزءا من بدن الحي أما الحجارة والحديد فما كانا البتة موصوفين بالحياة .

قال شارح الطحاوية : " فتأمل ما أجهلوا به من كل سوا على التفصيل فإنهم قالوا أولا : ( إذا كنا عظاما ورفاتا أننا لمبعوثون خلقا جد يدا<sup>(٣)</sup> ) . فقل لهم في جواب هذا السؤال : إن كنتم تزعمون أنه لا خالق لكم ولا رب لكم فهلا كنتم خلقا لا يفنيه الموت كالحجارة والحديد

( ١ ) دره تعاری العقل والنقل ١ / ٣٣ .

( ٢ ) سورة الاسراء آیه / ٤٩ - ٥١ .

( ٣ ) سورة الاسراء آیه / ٤٩ .

وما هو أكبر في صدوركم من ذلك ؟ فإن قلتم : كنا خلقا على هذه الصفة التي لا تقبل البقاء فما الذي يحول بين خالقكم ومنشئكم وبين إعادة تكم خلقا جديدا ؟  
 "وللمحجة تقدير آخر وهو : لو كنتم من حجارة أو حد يد أو خلق أكبر منهما فإنه قادر على أن يفتيك ويحيل ذواتكم ، وينظرها من حال إلى حال ومن يقدر على التصرف في هذه الأجسام مع شدتها وصلابتها بالإفناء والإحالة فما الذي يعجزه فيما دونها ؟ ثم أخبر أنهم يسألون آخر بقولهم : من يعيدنا إذا استحالت جسامنا وفنيت ؟ فأجابهم بقوله : ( قل الذي فطركم أول مرة )<sup>(١)</sup> فلما أخذتهم المحجة ، ولزمتهم حكمها ، انتظروا إلى سؤال آخر يتعللون به تعليل المنقطع ، وهو قولهم : متى هو ؟ فأجابوا بقوله : ( عسى أن يكون قريبا )<sup>(٢)</sup> .

ثالثا : الاستدلال على إمكان البعث بخلق ما هو أعظم منه مثل السموات والأرض والجبال والأنهار والبحار فإن خلقها أعظم من خلق الإنسان ومن الآيات الدالة على ذلك ما يلي :-

( ١ ) قال تعالى ( وقالوا أإذا كنا عظاما ورقاتا أنا لمبعوثون خلقا جديدا أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه )<sup>(٣)</sup> .

( ٢ ) قال تعالى ( أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم )<sup>(٤)</sup> .

( ٣ ) وقال تعالى ( أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعسب بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير )<sup>(٥)</sup> .

- ( ١ ) سورة الاسراء آية / ٥١ . ( ٢ ) شرح الطحاوية ص ٤٥٩ - ٤٦٠ .  
 ( ٣ ) سورة الاسراء آية / ٩٨ - ٩٩ . ( ٤ ) سورة يس آية / ٨١ .  
 ( ٥ ) سورة الأحقاف آية / ٣٣ .

فهذه الآيات جميعها أكبر برهان على قدرة الله المطلقة التي لا تقيد بقبول ، ولا تنتهي عند حدود فإن تلك الآيات الكونية ما هو معروف بهداهة العقول أن خلقها أعظم من إعادة خلق الإنسان .

قال تعالى : ( لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ) ( ١ ) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - تعالى - " فإنه من المعلوم بهداهة العقول أن خلق السموات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم والقدرة عليه أبلغ وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك " ( ٢ ) .

فآيات الحقيقة فيها التنبيه على إمكان البعث بأمر شاهد أمام الأنظار وهو خلق السموات والأرض ألم ير أولئك المكذبون أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يحيي مخلقهن قادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير فالذي يصنع الأمر العظيم لا يعسر عليه أن يصنع الأمر اليسير ، وما نسبة خلق الإنسان مرة أخرى بالنسبة لخلق السموات والأرض ، قاله - تعالى - له القدرة المطلقة على كل شيء " وإذا أراد شيئاً إنما يقول له كسفن فيكون .

رابعا : الاستدلال على إمكان البعث بخلق النباتات المختلفة وتحول الأرض من هيئة إلى هيئة ومن الآيات الدالة على ذلك ما يلي :-

( ١ ) قال تعالى ( وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابها ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل ثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ) ( ٣ ) .

( ١ ) سورة غافر آية / ٥٧ .

( ٢ ) درة تعاريف العقل والنقل / ١ / ٣٢ .

( ٣ ) سورة الأعراف آية / ٥٧ .

( ٢ ) وقال تعالى ( والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابها فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور )<sup>(١)</sup> .

( ٣ ) وقال تعالى ( ومن آياته أنكثرى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير )<sup>(٢)</sup> .

ففي هذه الآيات السابقة استدلال واضح بتبدل أحوال النباتات من حياة إلى موت ، فحياة وسلب خاصية النشوء والنماء في بعض النباتات فتهد وتفتت ، ثم تسقى بالماء فتعود إليها تلك الخاصية فلو كان مستحيلا إعادة الحياة إلى الإنسان مرة أخرى لما عادت الحياة إلى النباتات المختلفة بعد موتها لأن المشابهة واضحة في القدرة الإلهية في إعادة الحياتين سيرتهما الأولى ، ولهذا لفت القرآن الكريم أنظار المنكرين للبحث إلى التبصر في الموجودات الحسية واستنتاج العظات والعبر منها ليعود للنفس إيمانها فتسعد بالطمأنينة والاستقرار .

وأحياء الأرض بعد موتها بالنبات من الأمور الحسية للشاهدة أرض أعابها الجذب فإذا بأشجارها تهبس بعد نضارتها وإذا بتلك الأرض هامدة خاشعة مستكينة قد مات منها كل شيء فيريد الله إحياءها فتنزل عليها الأمطار فإذا بها تظهر بظهور آخر مخضرة بالزهور على أشكال شتى أفيعجز من أعاد الأحياء إلى هذه الأرض الميتة والأشجار اليابسة أن يعيد السبي الإنسان حياته مرة أخرى لمجازاته على ما عمل في هذه الحياة الدنيا ؟ بلى إنه على كل شيء قدير .

قال ابن كثير عند قوله تعالى ( وترى الأرض هامدة )<sup>(٣)</sup> هذا دليل

آخر على قدرته تعالى على إحياء الموتى كما يحيى الأرض الميتة الهامدة وهي المقولة التي لا يثبت فيها شيء . . . ( فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت

( ٢ ) سورة فصلت آية / ٣٩ .

( ١ ) سورة فاطر آية / ٩ .

( ٣ ) سورة الحج آية / ٥ .

وأنبئت من كل زوج بهيج ) أي : فإذا أنزل الله طيبها الماء اهتزت أي :  
تحركت بالنبات وحييت بعد موتها وربت أي : ارتفعت ثم أنبتت ما فيها من  
الألوان والغنوم من ثمار وزروع وأشتات النباتات في اختلاف ألوانها وطعومها  
وروائحها وأشكالها ومنافعها ولهذا قال تعالى : ( وأنبتت من كل زوج بهيج )  
أي : حسن المنظر طيب الريح " (١) .

خامساً : الاستدلال على البعث والإعادة بإخراج النار من الشجر الأخضر ،  
والآيات الدالة على ذلك ما يلي :-

( ١ ) قال تعالى ( الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه  
توقدون ) ( ٢ ) .

( ٢ ) قال تعالى ( أفرايتم النار التي تورون ، أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن  
المنشئون ) ( ٣ ) .

إن الذي قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من  
الماء قادر على إعادة الحياة إلى ما كان غصًا طريًا ثم تحول إلى يابس ( ٤ ) .  
تلك هي بمعنى الدلائل الواضحة ، والبراهين الساطعة التي استعطفها  
القرآن لإثبات الإيمان باليوم الآخر والمسالك التي استعطفها القرآن لإثبات  
ذلك اليوم كغيره جدا ، ويكفيها منها في مقامنا هذا تلك الاستدلالات  
الخمسة المتقدمة .

( ١ ) تفسير ابن كثير ٦١٧/٤ .

( ٢ ) سورة " يس " آية / ٨٠ .

( ٣ ) سورة الواقعة آية / ٧١ - ٧٢ .

( ٤ ) هذه الطرق التي استعطفها القرآن لإثبات البعث بعد الموت أشار  
إليها بايجاز شيخ الاسلام ابن تيمية .

انظر " مجموع الفتاوى " ٩ / ٢٢٤ - ٢٢٥ .

وانظر النهاية لابن كثير ١ / ١٦٥ - ١٦٨ .

- المبحث الرابع -

### أرض المحشر

لقد دلت السورة على أن هناك أرضاً أخرى يحشر الخلائق عليها ، وتلك الأرض هي أرض المحشر .

قال تعالى : ( وأشرق للأرض بنور ربها ) الآية .

فالمراد بالأرض المذكورة في هذه الآية هي أرض المحشر فقد أخبرنا - تعالى - في هذه الآية الكريمة بأن أرض المحشر ستضيء بنوره - سبحانه - وهو نور غير نور الشمس والقمر ، وهو نور حق يقي صفة لذاته المقدسة يليق بجلاله - تعالى - ، ويمكن أن تشمل هذه الآية مع النور الحقيقي النور المعنوي وهو عدل - الرب سبحانه - الذي لا جور فيه ولا ظلم لأنه - تعالى - الحكم العدل .

قال الإمام البغوي : ( وأشرق للأرض ) أضاءت ( بنور ربها ) بنسور خالقها ، وذلك حين يتجلى - الرب - لفصل القضاء بين خلقه فما يتضادون في نوره ، كما لا يتضادون في الشمس في اليوم الصحو .

وقال الحسن والسدي : بعدل ربها وأراد بالأرض عرصات القيامة<sup>(١)</sup> .

وقال العلامة ابن جرير : ( وأشرق للأرض بنور ربها ) .

يقول تعالى ذكره : فأضاءت الأرض بنور ربها يقال : أشرق الشمس :

إذا صفت وأضاءت .

قال قتادة : فما يتضادون في نوره إلا كما يتضادون في الشمس في اليوم

الصحو الذي لا دخن فيه .

( ١ ) تفسير البغوي على حاشية تفصير الخازن ٦ / ٧١ .

وقال السدي : ( وأشرقت الأري بنور ربها ) أضاءت " أ. هـ. (١)

وقال ابن كثير : ( وأشرقت الأري بنور ربها ) أي : أضاءت يوم القيامة  
إذا تجلى - الحق جل وعلا - للخلائق لفصل القضاء " أ. هـ. (٢)

وقال الشوكاني : ( وأشرقت الأري بنور ربها ) .

الاشراق : الإضاءة ، يقال أشرقت الشمس : إذا أضاءت وشرقت : إذا  
طلعت ، ومعنى ( بنور ربها ) يعدل ربها قاله الحسن وغيره .

وقال الضحاك : بحكم ربها ، والمعنى : أن الأري أضاءت وأنارت  
بما أقامه الله من العدل بين أهلها ، وما قضى به من الحق فيهم ، فالعدل  
نور والظلم ظلمات .

وقيل : إن الله يخلق نورا يوم القيامة يلبسه وجه الأري فتشرق به  
غير نور الشمس ، والقمر ، ولا مانع من الحمل على المعنى الحقيقي ، فإن الله  
سبحانه - هو نور السموات والأري " أ. هـ. (٣)

وحمله على الحقيقة هو الصواب لأن النور صفة كمال وضده نقص ولقد وصف  
الله - تعالى - نفسه بصفه النور حيث قال جل ثناؤه : ( أَللّٰهُ نُورُ السَّمٰوٰتِ  
وَالْأَرْضِ ) (٤) آياته . فلا ينكر صفة النور التي اتصف بها الله بها - إلا من أشرب  
قلبه بمرغى التعطيل أعاننا الله منه .

قال العلامة ابن القيم عند قوله - تعالى - ( وأشرقت الأري بنور ربها )  
" فأخبر أن الأري يوم القيامة تشرق بنوره وهو نور الذي هو نوره فإنه - سبحانه -  
يأتي لفصل القضاء بين عباده وينصب كرسيه بالأري فإذا جاء الله - تعالى -

( ١ ) جامع البيان ٣٢ / ٢٤ . ( ٢ ) تفسير القرآن العظيم ١١١ / ٦ .  
( ٣ ) فتح القدير ٤٧٦ / ٤ ، وانظر جامع الأحكام القرآن ٢٨٢ / ١٥ .  
( ٤ ) سورة النور آية / ٣٥ .



أشرفت الأرض وحق لها أن تشوق بنوره وعند المعطلة لا يأتي ولا يجسي  
ولا له نور تشرق به الأرض "أ.هـ" (١)

صفة هذه الأرض :-  
~~~~~

لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم صفة أرض المحشر التي يقف عليها  
الخلائق للحساب وللجزاء العادل وكيف هي :

فقد جاء عن سهل بن سعد رضى الله - تعالى - عنه قال : سمعت النبي  
صلى الله عليه وسلم يقول : " يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضا عسرا  
كقصة النقي قال سهل - أو غيره - ليس فيها معلم لأحد (٢) "

فمن هذه الصفات الواردة في هذا الحديث يتبين أن تلك الأرض التي  
يقف عليها العباد يوم القيامة بين يدي ربهم - تبارك وتعالى - هي أرض  
مغايرة لأرض الدنيا ، وليس بينهما أي تشابه فأرض الموقف لها صفات ، وأرض  
الدنيا لها صفات أخرى وأن أرض الدنيا التي يعرفها الخلق ستنتهي وتضمحل  
وتحل محلها أرض أخرى هي أكبر منها وأطهر .

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث " عسرا " للعلماء في هذه الكلمة  
عدة تفاسير نظها عنهم الحافظ ابن حجر رحمه الله - تعالى - فقال : " قال  
الخطابي : العسري يعني ليس بالناصح " .  
وقال عياشي : " العسري يعني يضرب إلى حمرة قليلا ومنه سمي عسرا الأرض وهو  
وجهها " .

---

( ١ ) مختصر الصواعق المرسله ٢ / ١٩٣ .

( ٢ ) صحيح البخارى مع الفتح ١١ / ٣٧٢ ، صحيح مسلم بشرح النسوى  
١٣٤ / ١٧ .

وقال ابن فارس : (١) معنى عفراء : خالصة البهاغي .

وقال الداودي : شديدة البهاغي .

قال ابن حجر : كذا قال والأول هو المعتمد " أ . هـ . (٢) .

فالمحافظ رحمه الله رجح من هذه الأقوال قول الخطابي وهو أن معنى كلمة " عفراء " هو البهاغي غير الناصع ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث " كقرصة النقي " بفتح النون وكسر القاف أي : الدقيق النقي من الغش والنخاله قاله الخطابي .

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم : " ليس فيها معلم لأحد ، أو علم كما في رواية مسلم هما بمعنى واحد .

قال الخطابي : يريد أنها مستوية والمعلم - بفتح الميم واللام - بينهما مهبط ساكنة : هو الشبيبي الذي يستدل به على الطريق .

وقال عياشي : المراد أنها ليس فيها علامة سكن ولا بناء ولا أثر ولا شيء من الملامات التي يهتدى بها في الطرقات كالجبل والصخرة البارزة .

قال الحافظ : " وفيه تعريفي بأرض الدنيا وأنها ذهبت وانقطعت العلاقة منها " .

وقال الداودي : المراد أنه لا يجوز أحد منها شيئا إلا ما أدرك منها " .

وقال ابن أبي جرة : (٣) " فيه دليل على عظيم القدرة ، والإعلام بجزئيات

( ١ ) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين من أئمة اللغة والأدب أصله من قزوين ولد سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وتوفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة .

انظر ترجمته في : " وفيات الأعيان " ٣٥ / ١ ، والأعلام ١ / ١٨٤ .

( ٢ ) الفتح ١١ / ٣٧٥ .

( ٣ ) هو محمد بن أحمد بن عبد الطيب بن أبي جرة الأموي بالولادة أبو بكر : فقيه مالكي من أعيان الأندلس ، ولد بمرسية سنة ثمانى عشرة وخمسمائة وتوفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة .

انظر ترجمته في : " شذرات الذهب " ٣٤٢ / ٤ ، والأعلام ٦ / ٢١٣ .

يوم القيامة ليكون السامع على بصيرة فيخلص نفسه من ذلك الهول لأن في معرفة جزئيات الشئىء قبل وقوعه رياضة النفس وحطها على ما فيه خلاصها بخلاف مجيىء الأمر بفتة وفيه إشارة إلى أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة جدا ، والحكمة في الصفة المذكورة أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق فاقضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهرا من عمل المعصية والظلم ، وليكون تجليبه - سبحانه - على عباده المؤمنين على أرض تليق بعظمته ولأن الحكم فيه إنما يكون لله - وحده - فناسب أن يكون المحل خالصا له وحده .  
أ . هـ . (١)

وقال عليه الصلاة والسلام : " يجمع الله الأهلين والآخريين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر " (٢)

" ومعناه يبلغ أولهم وآخرهم لآستواء الأرض فلا يكون فيها ما يستتر به أحد من الرائي " (٣)

والذى يريد به عليه الصلاة والسلام أرضا مستوية لا جبل فيها ولا أكمة ولا رهوة ولا وهداة أرض بيضاء نقية لم يسفك عليها دم ولا عمل عليها خطيئة ولا ارتكب فيها محرماً " (٤)

(١) الفتح ٣٧٥/١١ .

(٢) رواه البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

أنظر الفتح ٣٩٥/٨ .

(٣) الفتح ٣٩٦/٨ .

(٤) أنظر شرح الطحاوية ص ٢٥٢ ، وانظر تكلية شرح الصدور ص ١٨ ، مخطوط " .

بيان خلاف العلماء في أرض المحشر :-

إن تبدل هذه الأرض بأرض أخرى جديدة مما وقع الخلاف فيه بين السلف قال الحافظ ابن حجر : " وقد وقع للسلف في ذلك خلاف في المراد بقوله - تعالى - ( يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ... ) الآية (١) .

هل معنى تبدلها تغيير ذاتها وصفاتها ، أو تغيير صفاتها فقط (٢) .

فقد بين الحافظ : بقوله هذا أن للعلماء في ذلك قولين :

القول الأول : أن التبدل يكون في ذاتها وصفاتها .

القول الثاني : أن التغيير إنما يحصل في صفاتها فقط .

ثم أخذ رحمه الله - تعالى - في ذكر أدلة الفريقين ، فمما ذكره من أدلة

الفريق الأول ما يأتي :-

( ١ ) حديث سعد المتقدم في بيان صفة أرض المحشر .

( ٢ ) ما أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد والطبري في تفاسيرهم والبيهقي في

الشعب من طريق عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود في قوله - تعالى -

( يوم تبدل الأرض غير الأرض ) الآية قال : تبدل الأرض أرضاً كأنها

فضة لم يمسك فيها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة " ورجاله رجال الصحيح

وهو موقوف ، وأخرجه البيهقي من وجه آخر مرفوعاً وقال : الموقوف أصح ،

وأخرجه الطبري والحاكم من طريق عاصم عن زر بن حبیش عن ابن مسعود بلفظ

" أرض بيضاء كأنها سبيكة فضة " ورجاله موثقون أيضاً .

ولأحمد من حديث أبي أيوب " أرض كالفضة البيضاء قبل فأين الخلق

يومئذ ؟ قال : هم أصفاء الله لن يعجزهم ما لدهم " .

( ١ ) سورة إبراهيم آية / ٤٨ .

( ٢ ) فتح الباري ١١ / ٣٧٥ .

وللطبري من طريق سنان بن سعد عن أنس مرفوعاً " يبدلها الله بأرض من فضه لم يعمل عليها الخطايا ، وعن علي موقوفا نحوه ومن طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد : " أرض كأنها فضة والسماوات كذلك " وعن علي " والسماوات مسن ذهب " .

وعند عبد من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة قال : " بلغنا أن هذه الأرض يعني أرض الدنيا والى جنبها أخرى يحشر الناس منها اليها " .

وفي حد يث الصور الطويل " تبدل الأرض غير الأرض والسماوات قيسطها ويسطحها ويندها يد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً ؟ ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة فإذا هم في الأرض الصبدلة في مثل مواضعهم من الأولى ما كان في بطنها كان في بطنها وما كان على ظهرها كان عليها " .

قال الحافظ " وهذا يؤخذ منه أن ذلك يقع عقب نفخة الصمق بعد الحشر الأول ويؤيده قوله - تعالى - ( وإذا الأرض مدت ، وألقت ما فيها وتخلت ) (١) .

وبعد أن فرغ الحافظ من نظه حجج القول الأول وهو قول من قال " بأن التفسير يحصل في ذات أرض الدنيا وصفاتها " شرع في ذكر أدلة الفريق الثاني القائل بأن التفسير يحصل في صفات الأرض وليس في ذاتها فقال : " وأما من ذهب إلى أن التفسير إنما يقع في صفات الأرض دون ذاتها فمستنده ما أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عمرو قال : " إذا كان يوم القيامة مدت الأرض يد الأديم وحشر الخلائق " .

( ١ ) سورة الانشقاق آية / ٤ ، ٣ .

ومن حديث جابر لرفعه " تمت الأرض من الأديم ثم لا يكون لابن آدم منها الا موضع قدميه ورجاله ثقات" إلا أنه اختلف على الزهري في صحابه ،  
 ووقع في تفسير الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله - تعالىسى -  
 ( يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ) (١) .

قال : يزداد فيها وينقص منها ويذهب آكامها وجبالها وأوديتها وشجرها  
 وتمتد الأديم العكاظي " وعزاه الثعلبي في تفسيره لرواية أبي هريرة وحكاه  
 البيهقي عن أبي منصور الأزهرى وبعد عرضه لأدلة الفريق الثاني قال : " وهذا  
 وإن كان ظاهره يخالف القول الأول فيمكن الجمع بأن ذلك كله يقع لأرض الدنيا  
 لكن أرض الموقف غيرها " (٢) هـ .

أما العلامة ابن جرير فقد أجمل الأقوال في أرض المحشر في خمسة أقوال  
 ونسب كل قول إلى قائله من السلف وذلك عند قوله - تعالى - ( يوم تبدل  
 الأرض غير الأرض والسماوات ) (٣) حيث قال رحمه الله : " واختلف في معنى قوله  
 ( يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ) .

فقال بعضهم : معنى ذلك يوم تبدل الأرض التي عليها الناس اليوم فسي  
 دار الدنيا غير هذه الأرض فتصير أرضاً بهضاء كالفضة . وقد عزي هذا القول  
 إلى عبد الله بن مسعود وعمرو بن ميمون ومجاهد .

وقال آخرون : تبدل ناراً وقد أسند هذا القول إلى ابن مسعود أيضاً  
 وذكر له روايتين ليستا مرفوعتين .

( ١ ) سورة ابراهيم آية / ٤٨ .  
 ( ٢ ) انظر فتح البارى ١١ / ٣٧٥ - ٣٧٦ .  
 ( ٣ ) سورة ابراهيم آية / ٤٨ .

وقال آخرون : بل تبدل الأرض أرضاً من فضة ، وقد عزي هذا القول السي  
أنس بن مالك وابن عباس وطي بن أبي طالب إلا أنه لم يبين من سمعها عن عسي  
رضي الله عنه .

وقال آخرون : يبدلها خبزة وقد بين بأن القائل بهذا القول هو سعيد  
ابن جبير ، ومحمد بن كعب القرظي ، وأبو محمد بن قيس .

وقال آخرون : تبدل الأرض غير الأرض وقد عزي هذا القول إلى كعب  
ورواية عن أبي هريرة مرفوعة ولم يسم الراوي عنه وإلى عمرو بن ميمون الأودي (١)

وبعد أن انتهى من عري الأقوال ونسبتها إلى أصحابها ، اختار قولاً منها  
ورجحه .

فقال : " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : يسوم  
تبدل الأرض التي نحن عليها اليوم يوم القيامة غيرها وكذلك السموات . اليوم  
تبدل غيرها كما قال جل ثناؤه ، وجائز أن تكون نارا ، وجائز أن تكون خبزا ،  
وجائز أن تكون غير ذلك ، ولا خبر في ذلك عندنا من الوجه الذي يجب التسليم  
له أي ذلك يكون فلا قول في ذلك يصح إلا ما دل عليه ظاهر التنزيل " (٢) .

وهذا القول الذي رجحه ابن جرير هو الذي دل عليه ظاهر القرآن والسنة .  
فأما القرآن فقد تقدم قوله - تعالى - ( يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات  
وبرزوا لله الواحد القهار ) (٣) .

(١) جامع البيان ١٣ / ٢٤٩ - ٢٥٢ ، التذكرة للقرظي ص / ١٩١ - ١٩٢ .

(٢) جامع البيان ١٣ / ٢٥٤ .

(٣) سورة ابراهيم آية / ٤٨ .

وأما السنة فقد روى مسلم رحمه الله - تعالى - من حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم " قال كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد وذكر الحديث وفيه فقال اليهودي أين يكون الناس ( يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم في الظلعة دون الجسر . " الحديث (١).

وروى أيضا : من حديث عائشة رضي الله عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله - تعالى - ( يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ) فأين يكون الناس يومئذ قال على الصراط (٢).

وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله ( والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ) فأين يكون الناس قال على الصراط يا عائشة " قال هذا حديث حسن صحيح (٣).

وخبر عن مجاهد قال : قال ابن عباس : " أتدري ماسعة جهنم؟ قلت لا ، قال أجل والله ما تدري حدثني عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله ( والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ) قالت : قلت فأين الناس يومئذ يا رسول الله ؟ قال على جسر جهنم " - قال - وهذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه (٤).

( ١ ) صحيح مسلم ٢٥٢/١ .

( ٢ ) صحيح مسلم ٢١٥٠/٤ .

( ٣ ) سنن الترمذي ٣٥٩/٤ .

( ٤ ) المصدر السابق ٥١/٥ - ٥٢ .



فهذه الأحاديث المتقدمة تنس في أن الأرض والسماوات تبدل وتزوال  
ويخلق الله أرضا أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو  
الصراط لا كما قال كثير من الناس ؛ أن تبدل الأرض عبارة عن تغيير  
صفتها وتسوية آكامها ونسف جبالها ومد أرضها<sup>(١)</sup> ان هذا هو  
ما يحصل للأرض الدنيا أما أرض الموقف فهي غيرها والله أعلم :

---

( ١ ) التذكرة للقنطري ص : ١٩١ .

- البحوث الخاصة -

كتاب الأعمال

لقد دلت السورة على أن من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكتاب الأعمال الذي يسجل فيه كل ما يعطه العبد في هذه الحياة الدنيا من خير أو شر .

قال تعالى : ( وأشرفت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجي بالنبيين والشهداء ) وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ( .

ووجه دلالة هذه الآية على الإيمان بكتاب الأعمال قوله ( ووضع الكتاب ) أي : ووضعت صحف الأعمال لكل فرد من العباد فمنهم الآخذ كتابه بيمينه ، ومنهم الآخذ كتابه بشماله ، أو من وراء ظهره .

قال ابن جرير رحمه الله - تعالى - : ( ووضع الكتاب ) يعني : كتاب أعمالهم لمحاسبتهم ومجازاتهم .

وروى بإسناده إلى قتادة أنه قال : ( ووضع الكتاب ) قال : كتاب أعمالهم " أ . هـ (١) .

وقال البغوي رحمه الله - تعالى - : ( ووضع الكتاب ) أي : كتاب الأعمال (٢) ومن هذا يتبين وجه دلالة السورة على أن من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكتاب الأعمال الذي يحصى فيه على ابن آدم كل ما عمله من خير ، أو شر ، وأن هذا الكتاب لا ينادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

(١) جامع البيان ٣٢/٢٤ ، تفسير ابن كثير ١١١/٦ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٨٢/١٥ ، فتح القدير ٤٧٦/٤ .  
(٢) تفسير البغوي على حاشية الخازن ٧١/٦ .

وقد ثبت في كثير من آيات الكتاب العزيز والسنة المطهرة واجمع علماء الإسلام أن - البارئ سبحانه - سيوتى كل عبد من عباده يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ويقال له : اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فيقرأ في كتابه ذلك كل ما قدمه في الدنيا من الخير والشرو ويجد أن الملائكة قد سجلت كل ما عطسه ظم بتركوا منه صغيرة ولا كبيرة إلا دونوها في ذلك الكتاب ويكون الإنسان حسيب نفسه يوم القيامة ، كما أخبرنا - الرب جل وعلا - بذلك في كتابه الكريم ( كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ) ( ١ ) .

وقد جعل الله مع كل إنسان طليقين يراقبانه ويحصيان عليه أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره ، فالذي عن يمينه مهتة كتابة الحسنات ، والذي عن يساره مهتة كتابة السيئات ، يراقبانه في كل صغيرة وكبيرة ويجازى على كل صغيرة وكبيرة عطشا يوم القيامة قولا هميه كتاب الأعمال أكثر القرآن من ذكره ونوه بشأنه ليتنبه العباد له ، وليتحرزوا من أن يكتب عليهم فيه ما لا يرضي - الرب جل شأنه - وعند ما نعمن النظر في آيات القرآن الكريم التي وردت في شأن كتابة أعمال العبد وإحصائها نجد أنها جاءت في أساليب متعددة .

فتارة يسند - الرب تبارك وتعالى - الكتابة إلى نفسه مع العلم بأن الذي يقوم بكتابة الأعمال هم الملائكة ولكنه - تبارك وتعالى - أسندها إلى نفسه للاهتمام البالغ بذلك .

قال تعالى : ( لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ) ( ٢ ) .

( ١ ) سورة الاسراء آيه / ١٤ .

( ٢ ) سورة آل عمران آيه / ١٨١ .

وفي هذه الآية من التهديد والوعيد ما لا يقدر قدره ،  
ومعنى قوله - تعالى - في الآية ( سنكتب ما قالوا ) أي ؛ سنكتبه نسي  
صحف الملائكة ، أو سنحفظه ، والمراد الوعيد لهم وأن ذلك لا يفوت على الله  
بل هو معد لهم ليوم الجزاء ( ١ ) .

وقال تعالى ( إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئى  
أحصيناه في إمام مبين ) ( ٢ ) .

وتارة يخبر - تعالى - عن مراقبة الملائكة الشديدة للعبد في تسجيل  
ما يلفظه من الأقوال قال - تعالى - في شأن ذلك ؛ ( إن يتلقى العلقمان  
عن اليمين وعن الشمال قعيد ؛ ما يلفظ من قول إلا لد به رقيب عتيد ) ( ٣ ) .

وتارة ؛ يسند الله - تعالى - كتابة أعمال العبد إلى الكرام الكاتبين  
من الملائكة . قال تعالى ؛ ( وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون  
ما تفعلون ) ( ٤ ) .

وقال تعالى ؛ ( أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لد بهم  
يكتبون ) ( ٥ ) .

وتارة ؛ يسند - الباري سبحانه - كتابة أعمال العباد للمجهول للعلم  
به وهم الملائكة .

قال تعالى ؛ ( وجعلوا الملائكة الذين عباد الرحمن إنا أنا أشهدوا خلقهم  
سنكتب شهداتهم ويسطون ) ( ٦ ) .

- 
- ( ١ ) فتح القدر للشوكاني ١ / ٤٠٦ ( ٢ ) سورة ( يس ) آيه / ١٢ .  
( ٢ ) سورة ق آيه / ١٧ ، ١٨ . ( ٤ ) سورة الانفطار آيه / ١١ - ١٢ .  
( ٥ ) سورة الزخرف آيه / ٨٠ . ( ٦ ) سورة الزخرف آيه / ١٩ .

وقال تعالى : ( ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا  
 عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا  
 نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يقطعون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من  
 عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المستنين ، ولا ينفقون  
 نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واد إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن  
 ما كانوا يعطون )<sup>(١)</sup> .

وقال تعالى ( ووضع الكتاب فتوى المجرمين شفقين مما فيه ويقولون  
 ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا  
 ما عطاوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً )<sup>(٢)</sup> .

فهذه الآيات المتقدمة دلت بوضوح على أنه يجب على كل إنسان أن  
 يؤمن بصحف الأعمال التي يقروها العباد ، وهي الكتب التي كتبت فيها  
 الملائكة ما فعله العباد في حياتهم الدنيا ، فيجب الإيمان بأن الله  
 عز وجل - وكل بنا من ذلك من يحفظنا ، ويكتب أعمالنا وأقوالنا وهم  
 الحافظون الكرام الكاتبون فكل ما يكتبه هؤلاء الملائكة يقروه العباد يوم  
 القيام ، طبقاً لما عطوه ، أو قالوه دون زيادة ، أو نقصان .

وقد دلت السنة المطهرة في أحاديث متعددة على كتابة الملائكة لأعمال  
 بني آدم فمن ذلك :

مارواه البخاري وسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه  
 قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب  
 المسجد يكتبون الأول فالأول ، ومثل المهجر كمثل الذي يهدي بدنة ، ثم

( ١ ) سورة التوبة آية ١٢٠ / ١٢١ . ( ٢ ) سورة الكهف آية / ٤٩ .

( ٣ ) مثل المهجر : المبكر كما في النهاية ٥ / ٢٤٦ .

كالذي يهدي بقرة ، ثم كبشا ، ثم دجاجة ، ثم بيضة ، فإذا خرج الإمام  
طووا صحفهم ويستمعون الذكر <sup>(١)</sup> .

وروى البخاري بإسناده إلى رفاعه بن رافع الجزقي قال : " كنا يوما نطسي  
وراء النبي صلى الله عليه وسلم " فلما رفع رأسه من الركعة قال : " سمع الله  
لمن حمده . قال رجل : وراءه ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا  
فيه ، فلما انصرف قال من المتكلم ؟ قال : أنا قال رأيت بضعة وثلاثين  
طكا يتدرونها أيهم يكتبها أولا <sup>(٢)</sup> .

وروى البخاري وسلم أيضا : بإسنادهما إلى عبد الله بن عباس رضي الله  
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروون عن ربه - عز وجل - قال قال :  
" إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة ظم يعطها  
كتبها الله له عند حسنة كاملة فإن هو هم بها فعطها كتبها الله له عند  
عشر حسنات إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة ظم يعطها  
كتبها الله له عند حسنة كاملة ، فإن هو هم بها فعطها كتبها الله له عند  
سيئة واحدة <sup>(٣)</sup> .

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى بعض الأعمال إن هم عطوها  
كتب الله لهم الأجر العظيم ، والثواب الجزيل .

قال صلى الله عليه وسلم " من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الطك  
وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم طاعة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت  
له مائة حسنة ، ومحبت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك

( ١ ) صحيح البخاري مع الفتح ٤٠٧ / ٢ ، صحيح مسلم ٥٨٧ / ٢ .

( ٢ ) صحيح البخاري مع الفتح ٢٨٤ / ٢ .

( ٣ ) صحيح البخاري مع الفتح ٣٢٣ / ١١ ، صحيح مسلم ١١٨ / ١ .

حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك ومن  
قال : سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياها ولو كانت مثل  
زبد البحر (١)

وعن مصعب بن سعد قال : حدثني أبي قال كنا : عند رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فقال : أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ؟ فسأله  
سائل من جلسائه كيف يكسب أحدنا ألف حسنة قال يمسح مائة تسبيحة  
فيكتب له ألف حسنة ، أو يحط عنه ألف خطيئة (٢)

والأحاديث الواردة في هذا المعنى كثيرة جدا فنكتفي بهذا القدر  
الذي قد ما ذكره منها .

#### كيفية أخذ الكتاب :-

لقد بين الله - تعالى - في كتابه الكريم الكيفية التي بها يأخذ العباد  
كتبهم يوم القيامة ، وأنهم يأخذونها على هيئات مختلفة .

- ( ١ ) فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه ،
- ( ٢ ) ومنهم من يأخذ كتابه بشماله .
- ( ٣ ) ومنهم من يعطى كتابه وراء ظهره .

فهذه الحالات الثلاث نص عليها القرآن الكريم . قال تعالى : ( فأما من  
أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابه إني ظننت أني ملاق حسابيه ،  
فهو في عيشة راضية في جنة عالية ، قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما  
أسلغتم في الأيام الخالية وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت

( ١ ) صحيح البخاري مع الفتح ٦ / ٣٣٨ - ٣٣٩ ، صحيح مسلم

٢٠٧١ / ٤

( ٢ ) صحيح مسلم ٤ / ٢٠٧٣ .

كتابه ولم أدر ما حسابيه باليتها كانت القاضية ما أغني عنى ماله هلك عنى  
سلطانيه ( ٢ ) .

فهذه الآيات صورتلنا مشهد من يأخذ كتابه بيمينه ، ومن يأخذه بشماله  
وأما عن القسم الثالث فقال تعالى ( وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف  
يدعو ثمورا ، ويهلى سعيرا إنه كان في أهله مسرورا إنه ظن أن لا يحور  
بلى إن ربه كان به بصيرا ( ٢ ) .

فالقُرآن الكريم حصر الكيفية في أخذ الكتب على ثلاث حالات فقط  
هذا على حسب ظاهر الآيات ، ولكنها في واقع الأمر ترجع إلى حالتين  
إما أن يكون الأخذ باليمين وهذه للسعداء من أهل التوحيد والإيمان ،  
وأما أن يكون الأخذ بالشمال وهذه حالة أهل الشقاوة والخسران ولذلك  
حصل الخلاف بين العلماء في الحالة الثالثة وهي حالة إبتاء الكافر كتابه  
من وراء ظهره ولكن نتيجة الخلاف يرجع إلى أن الكافر يتناول كتابه  
بشماله ، واليهك بعض أقوال العلماء في ذلك :-

قال سعيد بن المسيب : الذي يأخذ كتابه بشماله تلوى يده خلف ظهره  
ظهره ثم يعطى كتابه ، وقيل تنزع من صدره إلى خلف ظهره .

وقال مجاهد : في قوله - تعالى - ( وأما من أوتى كتابه وراء ظهره ) قال :  
تجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه ( ٢ ) .

( ١ ) سورة الحاقه آية / ١٩-٢٧ .

( ٢ ) سورة الانشقاق آية / ١٠-١٥ .

( ٣ ) أنظر لوامع الأنوار : ١٨٢/٢ .



وقال القرطبي : (١) وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ( تخلع كتفه اليسرى ، فتجعل  
 يده خلفه فيأخذ بها كتابه .

وقال مجاهد : يحول وجهه في موضع قفاه فيقرأ كتابه (٢) . وقرأ تلك الكتب  
 تكون من القارى وغير القارى .

قال قتادة : " سيقر أمن لم يكن قارئاً في الدنيا (٣) .  
 وقال الحسن : " يقرأ الإنسان كتابه أمياً ، أو غير أمي (٤) .  
 ومقراءة الانسان كتابه تظهر له نتيجة أعماله ، وأقواله حسنة كانت ، أم  
 قبيحة .

والحاصل : ما تقدم من الآيات والأحاديث أنه يجب على كل إنسان  
 أن يؤمن بصحف الأعمال وقراءتها يوم القيامة كما يجب الإيمان بأن الكرام  
 الكاتبين يسجلون أعمال الإنسان الفعلية ، والقولية ، وكذلك النية لأنها  
 فعل القلب يشطبها عموم قوله تعالى ( يعلمون ما تفعلون ) (٥) ويشهد لهذا قوله  
 صلى الله عليه وسلم " قال الله - عز وجل - إذا هم عدي بسية فلا  
 تكتبوها عليه ، فإن عطها فاكتبوها عليه سية ، وإذا هم عدي بحسنة فلم  
 يعطها فاكتبوها له حسنة فإن عطها فاكتبوها عشراً (٦) .

وقال صلى الله عليه وسلم : " قالت الملائكة : ذاك عبد يريد أن يعمل  
 سيئة وهو أبصر به فقال : ارقبوه فإن عطها فاكتبوها بعطها ، وإن تركها فاكتبوها  
 له حسنة إنط تركها من جرائ (٦) .

( ١ ) التذكرة ص ٢٥٨ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٧٢ / ١٩ ، وانظر تكملة شروح  
 الصدور ص ١٥٠ ، دفع إيهام الاضطراب ص ٣١٢ .

( ٢ ) جامع البيان ٥٣ / ١٥ .

( ٣ ) التذكرة للقرطبي : ص ٢٥٥ .

( ٤ ) سورة الانفطار آية / ١٢ .

( ٥ ) صحيح مسلم ١١٧ / ١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

( ٦ ) المصدر السابق ص ١١٨ .

فلا مجال لمن ينكسر صحف<sup>(١)</sup> الأعمال وهو يتلو تلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تلقاها سلف الأمة وأئمتها بالقول ولا خلاف بينهم في ثبوت صحف الأعمال وأخذها باليمين، أو بالشمال، فيجب الإذعان لتلك النصوص وقبولها، والتسليم بما ترمي إليه ومن أنكر ذلك كفر بدعي من الإسلام.

قال محمد بن أحمد السفاريني: "والحاصل أن نشر الصحف وأخذها باليمين والشمال ما يجب الإيمان به وقد القب بأنه حق لثبوتها بالكتاب والسنة والإجماع<sup>(٢)</sup>".

---

(١) انظر "التنبيه والرد على أهل الأهواء والهدى" ص/ ١١١ فإنه يبين بأن الجهم بن صفوان "ينكسر صحف الأعمال".  
(٢) لوامع الأنوار البهية ٢ / ١٨١.

ـ المبحث السادس ـ

جزاء الأعمال يوم القيامة

لقد دلت السورة على أن من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بجزاء الأعمال وأن كل إنسان لابد أن يوفى جزاء عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

قال تعالى ( ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور ) .

وقال تعالى : ( أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقبلى للظالمين نذوقوا ما كنتم تكسبون ) .

وقال تعالى : ( والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون . لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين . ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون ) .

وقال تعالى ( ووفيت كل نفس ما عملت وهو أطم بما يفعلون ) .  
هذه ست آيات من السورة دلت على إثبات الجزاء على الأعمال يوم القيامة ، وأن ذلك الجزاء سيكون طبقاً لأعمال الإنسان التي قدمتها بداه في هذه الحياة الدنيا .

فالآية الأولى : وهي قوله ـ تعالى ـ ( ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور ) بين الله فيها أن مرجع العباد إليه يوم القيامة وسيخبرهم بأعمالهم التي أحاط بها عليه ، وجرى بها ظمسه ، وكتبها عليهم الحفظة ، وشهدتها جوارحهم ، فيجازى كل منهم بما يستحق ،

وهو - سبحانه - العليم بنفسه الصدور ، وما تنطوى عليه من وصف بر ، أو فجور والغرض من هذا الخبره - تعالى - بالجزاء بالعدل التام .

قال ابن جرير : عند قوله - تعالى - ( ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون ) ،

يقول تعالى ذكره : ثم بعد اجتراحكم في الدنيا ما اجتريتم من صالح وسيئ ، وإيمان وكفر أيها الناس إلى ربكم مصيركم من بعد وفاتكم فينبئكم يقول : فيخبركم بما كنتم في الدنيا تعملونه من خير وشر ، فيجازيكم على كل ذلك جزاءكم ، المحسن بإحسانه ، والسيئ بما يستحقه ، .

يقول - عز وجل - فاتقوا أن تلقوا ربكم وقد عملتم في الدنيا بما لا يرغاه منكم فتهلكوا ، فإنه لا يخفى عليه عمل عامل منكم<sup>(١)</sup> .

وأما الآية الثانية : وهي قوله - تعالى - ( أمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون ) .

بين الله - تعالى - فيها أنه لا مساوات ولا التقاء بين من هداه الله ووقفه لسلك الطريق الذي يوصله إلى طريق الجنة التي هي دار الكرامة وبين من كان في الضلال واستمر على عناده حتى قدم على الله يوم القيامة فجاءه عذاب الله الذي لا يقادر قدره ، فجعل يتقيه بوجهه الذي هو أشرف الأجزاء ، وأقل شئ من العذاب يؤثر فيه فهو يتقي به سوء العذاب لأن يده ورجليه قد غلت وألقي في نار جهنم وفاقا لكسبه الذي كسبه يده في دنياه ، فأثر الكفر على الإيمان والشرك على التوحيد فكان من أصحاب النار .

قال البغوي رحمه الله - تعالى - : ( أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب )

أي : شدته يوم القيامة .

قال مجاهد : يجر وجهه في النار .

قال عطاء : يرمى به في النار منكوساً فأول شئسي\* تمسه النار وجهه .

قال مقاتل : هو أن الكافر يرمى به في النار مفلولة يداه إلى عنقه وفي عنقه

صخرة مثل جبل عظيم من الكبريت فتشتمل النار وهو معلق في عنقه فحرها

ووجهها على وجهه لا يطبق دفعها عن وجهه للأغلال التي في عنقه ويده ،

ومجاز الآية ( أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب )

( وقيل ) يعني : تقول الخزنة ( للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون ) أي : وبالله ( هـ )

وقال العلامة ابن جرير : حول هذه الآية : " اختلف أهل التأويل

في صفة اتقاء هذا الضال بوجهه سوء العذاب .

فقال بعضهم : هو أن يرمى به في جهنم مكبوا على وجهه فذلك اتقاؤه

إياه وقد أسند هذا القول إلى مجاهد رحمه الله - تعالى - .

وقال آخرون : هو أن ينطلق به إلى النار مكتوفاً يرمى به فيها ، فأول

ماتمس النار وجهه ، وهذا قول يذكر عن ابن عباس من وجه كرهت أن أذكره

لضعف سنده ، وهذا أيضا مما ترك جوابه استفنا\* بدلالة ما ذكر من الكلام عليه

عنه ، ومعنى الكلام : أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة خيرا أم من

ينعم في الجنان ؟ .

وقوله ( وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون ) يقول : ويقال يومئذ للظالمين

أنفسهم يا كسبهم إياها سخط الله ، ذوقوا اليوم أيها القوم وبال ما كنتم فسي

الدينيا تكسبون من معاصي الله " أ. هـ . ( ٢ )

( ١ ) معالم التنزيل للبغوي على حاشية تفسير الخازن ٦٢٢/٦ .

( ٢ ) جامع البيان ٢٣/٢١١-٢١٢ ، وانظر تفسير ابن كثير ٨٩/٦ .

وأما الآية الثالثة والرابعة - والخاصة - من الآيات الست السابقة :  
وهي قوله - تعالى - ( والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون  
لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ، ليكفر الله عنهم أسوأ الذي  
عطوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعطون ) .

فقد أخبر الله - تعالى - فيها بأن الذي جاء بالصدق في قوله وعطاه  
ويدخل في ذلك الأنبياء ومن قام مقامهم فصدق فيما قاله من الاخبار عن الله  
وأحكامه ، وفيما فعله من خصال الصدق ، وصدق بذلك إن الإنسان قد يأتي  
بالصدق ولكنه لا يصدق به بسببها حل بظلمه من الكبر والعناد والإحتقار لمن  
قاله ، وجاء به ، فلا بد من الصدق والتصديق ، فالذين وفقوا للجمع بين  
الأمرين فإن الجزاء الذي ينتظرهم عند الله هو ما لعين رأت ولا أذن سمعت  
ولا خطر على قلب بشر ، فكل ما تعلق به مشيقتهم ، وإرادتهم من أنواع اللذات  
والهشبهات فإن ذلك حاصل ومهيى \* ومعد لهم عند الله - تعالى - في  
الجنات .

( ذلك جزاء المحسنين ) وهم الذين يعبدون ربهم كأنهم يرونه فإن لم  
يكونوا يرونه فإنه يراهم ، وإضافة الى ذلك أنهم يحسنون الى عباد الله .

ومن إكرام الله لهؤلاء المتقين المحسنين أنه - تعالى - يكفر عنهم  
أسوأ الذي عطوا ويشيهم بأحسن الذي كانوا يعطون ( ليكفر الله عنهم أسوأ  
الذي عطوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعطون ) .

ومن هذه الآية أيضا : يتبين أن عمل الإنسان له حالات ثلاث :-

الحالة الأولى : إما أن يكون عملاً أسوأ .

الحالة الثانية : أن يكون عملاً أحسن .

الحالة الثالثة : أن يكون عملاً لا أسوأ ولا أحسن وهذه الحالة الأخيرة هي العمل المباح الذي لا يتعلق به ثواب ولا عقاب وهذه الحالة الأخيرة لم تذكر في الآية كالحالتين قبلها .

والعمل الأسوأ هي المعاصي كلها ، والعمل الأحسن هي الطاعات كلها ، وبمعرفة هذه الحالات الثلاث يتضح معنى الآية ( ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عطاوا ) فيكون المراد بها صفات الذنوب بسبب إحسانهم وتقواهم .

( ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعطون ) أي : بحسناتهم كلها ( إن الله لا يظلم شيئاً ذرةً وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ) ( ١ ) .

قال مقاتل : ( لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ، ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عطاوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعطون ) .

قال : يجزيهم بالمعاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي ( ٢ )

وقال العلامة ابن جرير : وقوله ( لهم ما يشاؤون عند ربهم ) .

" يقول تعالى ذكره : لهم عند ربهم يوم القيامة ما تشتهيهم أنفسهم وتلذذهم أعينهم ) ذلك جزاء المحسنين ) يقول .

يقول تعالى ذكره : هذا الذي لهم عند ربهم جزاء من أحسن في الدنيا فأطاع الله فيها واتصم لأمره ، وانتهى عما نهى فيها عنه .

وقال أيضاً : رحمه الله - تعالى - عند قوله - تعالى - ( ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عطاوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعطون ) .

( ١ ) سورة النساء آية / ٤٠ .

( ٢ ) تفسير البغوي المسمى " معالم التنزيل على حاشية تفسير الخازن

" يقول تعالى ذكره : وجزى هؤلاء المحسنين ربهم بإحسانهم ، كسي يكفر عنهم أسوأ الذي عطاوا في الدنيا من الأعمال ، فيما بينهم وبين ربهم ، بما كان منهم فيها من توبة ، وإناابة ، مما اجتروا من السيئات فيها .  
 ( ويجزيهم أجرهم ) يقول : ويشتمهم ثوابهم ( بأحسن الذي كانوا ) في الدنيا ( يعطون ) ما يرضي الله عنهم دون أسوأها : (١) .

وأما الآية السادسة : وهي قوله - تعالى - ( ووفيت كل نفس ما عطلت وهو أظم بما يفعلون ) .

بيّنت أنه - تعالى - سيوفي كل نفس يوم القيامة جزاء عطيا بالعادل التام ، والقسط العظيم لأنه جزاء صادر من لا يظلم مثقال ذره ، وممن هو محيط بكل شيء ، وكتابه الذي هو اللوح المحفوظ محيط بكل ما عطوه والحفظه الكرام الذين لا يعصون ربهم طرفة عين قد كتبوا كل ما عطه بنو آدم ، وسيجازي - سبحانه - العباد على أعمالهم بما يستحقون من الثواب والعقاب ولذلك قال - جل شأنه - ( ووفيت كل نفس ما عطت وهو أظم بما يفعلون ) .

قال عطاء : " يريد أني عالم بأفعالهم لا أحتاج إلى كاتب ولا إلى شاهد (٢) .

وقال ابن جرير حول هذه الآية : " يقول تعالى ذكره ووفى الله حينئذ كل نفس جزاء عطيا من خير وشر وهو أظم بما يفعلون في الدنيا مسن طاعة ، أو معصية ولا يعزب عنه علم شيء " من ذلك وهو مجازيهم طبع يوم القيامة فضيب المحسن بإحسانه ، والمسيء بما أساءه " أ. هـ . (٣) .

( ١ ) جامع البيان ٥ / ٢٤ .

( ٢ ) معالم التنزيل للبغوي على حاشية تفسير الخازن ٦ / ٧١ .

( ٣ ) جامع البيان ٢٤ / ٢٣ .



وما قد منا يتبين وجه دلالة السورة على وجوب الايمان بجزء الأعمال  
وأنة - تعالى - يجزي المحسن بإخسانه ، والمسيء بإسائه .

ولقد جاء ذكر الجزاء ، والحث على الإيمان به في كثير من الآيات القرآنية  
والأحاديث النبوية ذلك لأن يوم القيامة هو اليوم الفاصل بين هذه الحياة  
الدنيا ، وبين الحياة الآخرة ، ولأن من مقاصد البحث بعد الموت هو أن  
يجازي كل عامل وفق عمله في دنياه ، ولأن أعمال الخلائق تختلف اختلافًا  
كثيرًا من إنسان لآخر ومن أمة لأخرى ولذلك قال - جل جلاله - ( إن  
سعيكم لشتى <sup>(١)</sup> ) .

فالله جل وعلا - سيظهر أعمال كل إنسان نصب عينيه فاقضى الحال  
أنه لا بد أن يكون جزاء كل إنسان من جنس عمله .

قال تعالى : ( من جاء بالحسنة فله خير منها ، ومن جاء بالسيئة فلا  
يجزي الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ) <sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى ( يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو  
الحق المبين ) <sup>(٣)</sup> ( والدين هو الجزاء ، فيقال كما تدان أي : كما  
تجازى تجازى <sup>(٤)</sup> ) .

وقال تعالى ( من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة  
فلا يجزي إلا مثلها وهم لا يظلمون ) <sup>(٥)</sup> .

وقال تعالى ( من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون .  
ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون ) <sup>(٦)</sup> .

- |                                |                                  |
|--------------------------------|----------------------------------|
| ( ١ ) سورة الليل آية / ٤ .     | ( ٢ ) سورة القصص آية / ٨٤ .      |
| ( ٣ ) سورة النور آية / ٥٢ .    | ( ٤ ) شرح الطحاوية ص ٤٦٥ .       |
| ( ٥ ) سورة الأنعام آية / ١٦٠ . | ( ٦ ) سورة النمل آية / ٨٩ - ٩٠ . |

وقال تعالى ( فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا  
يعملون ) (١) .

وقال تعالى ( جزاء وفاقاً ) (٢) أي : موافقاً لأعمالهم (٣) .  
والآيات في إثبات الجزاء على الأعمال يوم القيامة كثيرة جداً ويكفيها  
منها هنا هذا القدر الضئيل .

وقد وردت أحاديث صحيحة في السنة المطهرة دلت على إثبات جزاء  
الأعمال يوم القيامة .

ومن تلك الأحاديث : قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه - عز  
وجل - أنه قال : . . . . . " يا عبائي إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم ثم أرفيكم  
إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه " (٤) .

ومن الأحاديث التي دلت على ثبوت جزاء الأعمال يوم القيامة الحديث  
الطويل الذي بين فيه النبي صلى الله عليه وسلم عقوبة مانعي الزكاة في الذهب  
والفضة والإبل ، والبقر والغنم ، وبين فيه أن الخيل معقود في نواصيها  
الخير إلى يوم القيامة وفي هذا الحديث أنه " قيل يا رسول الله فالحمر (٥) قال  
" ما أنزل عليّ في الحمر شئ (٦) إلا هذه الآية الفائزة الجامعة : ( فمن  
يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ) (٧) .

(١) سورة السجدة آية / ١٧ .

(٢) سورة النبا آية / ٢٦ .

(٣) تفسير النسفي ٣٢٧/٤ ، وانظر جامع البيان ١٥/٣٠ .

(٤) رواه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه ١٩٩٤-١٩٩٥ .

(٥) " جمع حمار " أي : فط حكمها .

(٦) أي : لم ينزل عليّ فيها نص بعينها .

(٧) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ٦٨٢/٢-٦٨٣ والآيتان

من سورة " الزلزلة " آية ٧-٨ .

وقوله صلى الله عليه وسلم " ما أنزل الله علي في الحمر شبيبي " إلا هذه الآية الفاذا الجامعة " معنى الفاذا الظيلة النظر والجامعة أي : العامة التناولة لكل خير ومعروف وفيه إشارة إلى التصك بالعموم (١).

وفي الحديث دلالة على أن كل إنسان سيوى جزاء عطفه ويوفى به  
ان خيرا فخير وان شرا فشر ،

ومنها ما رواه الشيخان في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضى الله  
- تعالى - عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فذكر الفلول -  
فعضمه وعظم أمره قال لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته فوس له حممه (٢).

يقول بارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ، أو طسى  
رقبته بعبير له رقا (٣) يقول بارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد  
أبلغتك ، أو طسى رقبته رقا (٤) تخفق فيقول بارسول الله أغثني فأقول لا أملك  
لك شيئا قد أبلغتك (٥).

وقال البخارى رحمه الله - تعالى - : " حدثنا أبو اليمان أخبرنا  
شبيب عن الزهري قال أخبرني عمرو بن أبي حميد الساعدي أنه أخبره أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم - استعمل عاملا فجاء العامل حيث فرغ من عمله  
فقال بارسول الله هذا لكم وهذا أهدي إلي فقال له : أفلا قعدت في بيت  
أبيك وأمك فنطرت أهدي لك أم لا ؟ ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم  
عشية بعد الصلاة فتشهد وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد فما بال  
العامل نستعمله فيأتينا فيقول هذا من عطكم وهذا أهدي لي ؟ أفلا قعدت في

- ( ١ ) شرح النووي على صحيح مسلم ٦٧ / ٧ .  
( ٢ ) جاء في النهاية لابن الأثير : الحممه : صوت الفرس دون الصهيل ٤٣٦٨ .  
( ٣ ) جاء في النهاية : الرقا : صوت الأهل ٢ / ٢٤٠ .  
( ٤ ) قال ابن الأثير : أراد بالرقاع ما طيه من الحقوق المكتوبة في الرقاسع .  
النهاية ٢ / ٢٥٢ .  
( ٥ ) صحيح البخارى مع الفتح ٦ / ١٨٥ ، صحيح مسلم ٣ / ١٢٦١ - ١٤٦٢ .

بيت أبيه وأمه فنظر هل يهدي له أم لا ؟ فوالذي نفس محمد بيده لا يفسل  
أبعدكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه إن كان بمعيروا جاء به  
له رغاء ، وإن كان بقرة جاء بها لها خوار<sup>(١)</sup> وإن كانت شاة جاء بها تيمر<sup>(٢)</sup> فقد  
بلغت فقال أبو حميد ، ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده حتى إننا  
لننظر إلى عفرة إبطيه ، قال أبو حميد : وقد سمع ذلك معي زيد بن ثابت  
من النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> .

هذان الحد يثان فيهما بيان لخطورة الغسل ، وفيهما دلالة وانحة  
على أن الجزاء من جنس العمل .

وهذه العقوبة التي ذكرت في الحد يثين السابقين للغسل تحصل له  
على وجه الحقيقة كما ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم ،

قال القرطبي : " قال طحاوينا رحمهم الله في قوله تعالى ( ومن يغسل  
بأث بما غل يوم القيامة )<sup>(٤)</sup> أن ذلك على الحقيقة كما بينه صلى الله عليه  
وسلم أي : بأث به حاملاً له على ظهره ورقبته معذباً بحمله وثقله ومرعوباً  
بسوته ، وموهباً بإظهار خيانتته على رؤوس الأشهاد<sup>(٥)</sup> .

والذي نخلص إليه مما تقدم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية  
الصحيحة أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله - تعالى -  
سيجازي المكلفين من عباده بحسب كسبهم الإرادي الاختياري الذي كسبوه في  
هذه الحياة الدنيا لأن الدنيا دار عمل ، والآخرة دار جزاء كما قال تعالى :  
( كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار  
وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الخور )<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) الخوار : صوت البقر . النهاية ٢ / ٨٧ .

( ٢ ) هو صوت الشارة الشديد ، ذكره العا في الفتح ١٣ / ١٦٦ .

( ٣ ) صحيح البخاري ٤ / ١٤٩ ، وانظر سنن أبي داود ٢ / ١٢١ - ١٢٢ .

( ٤ ) سورة آل عمران آية / ١٦١ .

( ٥ ) التذكرة للقرطبي ص ٢٩٦ ، وانظر فتح الباري ٦ / ١٨٦ .

( ٦ ) سورة آل عمران آية / ١٨٥ .

فالعباد يمشون في هذه الدنيا متفاوتين تفاوتاً عظيماً في الأرزاق ،  
والآجال ، والأعمال ، وفي السعادة والشقاوة ، فمنهم الظالم العنيد ، ومنهم  
المظلوم المغلوب ، ومنهم الصحيح السليم ومنهم المريض ، ومنهم الغني الثرى ،  
ومنهم الفقير ، ومنهم العزيز ومنهم الذليل ، ومنهم المحسن ، ومنهم المسيء ،  
فاقتضت حكمة الله وعدله أنه لا بد من أن يجازي المحسن بإحسانه ، والمسيء  
بإساءته ولو أنهم يموتون عند انقضاء الآجال ولا يبعثون لكان ذلك منافياً  
للحكمة ، مجاناً للعدل والرحمة ، ولذلك قضى الله - عز وجل - بالبعث والجزاء  
وحكم بهما فهما كائنان لا محالة ، ولذلك أمر الله - تبارك وتعالى - رسوله  
محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يقسم على وقوعهما قال تعالى ( زعم الذين كفروا  
أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبهن بما عطتم وذلك على اللئيم  
يسير ) ( ١ ) .

وقال تعالى : ( وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى  
وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون لبيد لهم الذي يختلفون فيه وليعلم  
الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ، إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول  
له كن فيكون ) ( ٢ ) .

( ١ ) سورة التغابن آية ٧ .

( ٢ ) سورة النحل آية ٣٨ - ٤٠ .

## الفصل الثاني

(( الفصل الثاني ))

النار دار الكافرين

ويشتمل على المباحث الآتية :-

تمهيد :-

- المبحث الأول : كيفية دخول أهل النار النار .
- المبحث الثاني : أبواب جهنم .
- المبحث الثالث : خزنة جهنم .
- المبحث الرابع : إحاطة النار بأهلها وهدية عذابها .
- المبحث الخامس : صفات أهل النار .
- المبحث السادس : أبدية النار ودوام عذابها .

## - تمهيد -

إن جهنم هي دار النذل والهوان والعذاب والخذلان ، دار الشبهيق والزفير ، والأنين والمعبرات ، دار أهلها أهل البؤس والشقاء ، والندامة والبكاء ، الأغلال تجمع بين أيديهم وأناقهم ، والنار تضطرم من تحتهم ومن فوقهم ، دار شرب أهلها الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ، وماكلهم من شجر الزقوم كالمهل يغلي في البطن كغلي الحميم ، يدعون على أنفسهم بالموت فلا يجابون ، ويسألون ربهم الخروج منها فيقال لهم : إخصأوا فيها ولا تكلمون ، يسبحون فيها على وجوههم ودمع لا يبصرون ، صراخهم عال ، وعويلهم مرتفع أهلها من المشركين والكافرين ، يلقون فيها أمة بعد أمة جنهم وانسهم كلما دخلت أمة لعنت إختها حتى إذا اجتمعوا فيها اشتكت آخر أمة إلى الله تعالى أول أمة لأنهم هم الذين أضلوه عن سبوا السبيل ، وترد أول أمة على آخر أمة لقد ضللتكم كما ضللنا على الرغم من الحجج الكهيرة التي قامت علينا وطبكم في الدنيا على السنة الرسل ولو هدانا الله لهد بناكم ، سوا علينا وطبكم أصبرنا أم جزفنا مالنا من خلاص ، وقد تناولت سورة " الزمر " عدة أمور متعلقة بالنار التي هي دار الكافرين وهي ما سنتحدث عنها في المباحث الآتية :-



## - المبحث الأول -

## كيفية دخول أهل النار النسيار

لقد جاء في السورة ببيان الكيفية التي يدخل بها فريق الكفار دار  
الجهنم وذلك أنهم يساقون إليها سوقا عنيفا بواسطة الزبانية الفلاظ الشداد ،  
يسوقونهم إلى شمر محبس ، وأقطع مكان وهي جهنم التي قد اجتمع فيها كل  
عذاب وحضرها كل شقاء وزال عنها كل سرور .

قال تعالى : (( وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها  
فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم  
وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين )) .

هذه الآية من السورة بينت أن الكافرين يساقون إلى جهنم على شكل  
جماعات متفرقة كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عطلها وتشاكل سعدتها، والسوق  
هو الدفع إلى الأمام ، وقد يكون دفعا عنيفا مصحوبا بالاهانة والتحقير  
حتى إذا ما وصلوا إلى دار العذاب يجدون أبوابها مغلقة ، فتفتح لهم ،  
ويدفعون إليها تعجيبا لهم بالعذاب المعد لهم فيها .

قال ابن جرير : " وقوله : (( وسيق الذين كفروا إلى جهنم )) يقول :  
وحشر الذين كفروا بالله إلى ناره التي أهداها لهم يوم القيامة جماعات ، جماعة  
جماعة ، وحزبا حزبا .

قال قتادة : في قوله ( زمرا ) قال : جماعات " أ. (١) .

وقال البغوي : ( وسيق الذين كفروا إلى جهنم ) سوقا عنيفا ( زمرا )  
أفواجا بعضها على أثر بعض كل أمة على حدة .

قال أبو صيدة والأخفش : زمرا أي : جماعات في تفرقة واحدتها زمرة ( حتى إذا جاءها وها فتحت أبوابها ) السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك \* ١. هـ. (١)

وقال ابن كثير عند قوله تعالى : ( وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا )  
 " يخبر - تعالى - عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار وإنما يساقون  
 سوقا عنيفا بزجر وتهديد ووعد \* ١. هـ. (٢)

وجاء في " تفسير روح المعاني " والسوق يقضي الحث على السير  
 بعنف وإزجاج وهو الغالب ويشعر بالإهانة وهو المراد هنا أي سيقوا إليها  
 بالعنف والإهانة أفواجا متفرقة بعضها في أثر بعض متوتبة حسب ترتب  
 طبقاتهم في الضلالة والشرارة \* ١. هـ. (٣)

وقد بين - تعالى - أن سوق الكافرين إلى جهنم مصحوب بالعنف  
 وعدم التكريم بقوله تعالى : ( يوم يدعون إلى نار جهنم دعواً ) (٤) أي : يدعون  
 دعوا عنيفا شديدا بأن تغل أيدهم إلى أعناقهم ، وتجمع نواصيهم ، إلى  
 أقدامهم فيدفعون إلى النار ويطرحون فيها \* (٥)

كما أخبر - تعالى - بأنهم يساقون إليها وهم عطاش ظمأ .

قال تعالى ( ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ) (٦)

قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : " ونسوق الكافرين بالله الذين

أجروا إلى جهنم عطاشا " . . . . وساق بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما

(١) " معالم التنزيل " على حاشية تفسير الخازن ٧١/٦ ، وانظر زاد  
 المسير ١٩٩/٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ١١٢/٦ .

(٣) ٣٢-٣١/٢٤ .

(٤) سورة الطور آيه / ١٣ .

(٥) روح المعاني ٣٠/٢٧ ، وانظر تفسير ابن كثير ٤٣١/٦ .

(٦) سورة مريم آيه / ٨٦ .

أنه قال في قوله ( ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ) يقول : عطاشا .  
وقال قتادة في قوله ( إلى جهنم وردا ) قال : ظمأ إلى النار (١).  
وقال المهفوي رحمه الله تعالى : ( ونسوق المجرمين ) الكافرين الكاذبين  
( إلى جهنم وردا ) يعني : شاة وقيل : عطاشا قد تقطعت أنفاسهم مسن  
العطش ، والورد جماعة يردون الماء ولا يرد أحد الماء إلا بعد عطش (٢).  
وقد بين - تعالى - أن الأمم الداخلة في جهنم يلعن بعضها بعضا  
وأن الأتباع يلقون باللائمة على المتبوعين وقد صرح هذا المشهد قوله تعالى :  
( قال ادخلوا في أمم قد خلست من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت  
أمة لعنت أختها حتى إذا ادركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا  
هو أولاهم أهملونا فاتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمسون .  
وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم طيننا من فضل فدوقوا العذاب بما كنتم  
تكسبون (٣) .

فقد بين تعالى في هاتين الآيتين : أنه كلما دخلت أمة من الأمم تابعة ،  
أو متبوعة في النار فإنها تلعن أختها بمعنى : تدعو على نظيرتها في الدين ،  
فتلعن التابعة المتبوعة التي أغلتها ، وتلعن المتبوعة التابعة التي زادت في  
ضلالها .

قال أبو مسلم : يلعن الأتباع القادة يقولون : أنتم أوردتمونا هذه  
الموارد فلعنكم الله - تعالى - .

( ١ ) جامع البيان ٢٦ / ١٢٢٧ .

( ٢ ) " معالم التنزيل " على حاشية تفسير الخازن ٤ / ٢١١ .

( ٣ ) سورة الأعراف آية / ٣٨ - ٣٩ .

وقوله : ( حتى إذا ادركوا فيها جميعا ) غاية لما قبله أي :  
 به خلون فوجاً فوجاً لا عنا بعضهم بعضاً إلى انتهاب تلاحقهم باجتماعهم  
 في النار وعند ذلك تقول : أخراهم منزلة وهم الأتباع والسفلة  
 لأولاهم منزلة وهم القادة والرؤساء ، أو تقول : أخراهم دخولاً لأولاهم  
 كذلك ( ربنا هو لاء أنملونا ) أي : دهونا إلى الضلال وأمرونا به حيث  
 سنوه فاقتد بنا بهم ( فآتهم عذاباً ضعفاً ) أي : مطاعفاً .

قال تعالى راداً عليهم ( لكل ) منكم ومنهم عذاب ( ضعف ) من  
 النار .

أما القادة فضلالتهم واغلاطهم ، وذلك بسبب الدعاء السابق .  
 وأما كونهم ضلّمين فلأن اتخاذهم إياهم رؤساء يصدرون عن أمرهم  
 يزيد في طغيانهم كما قال تعالى : ( وأنه كان رجال من الإنس يعوذون  
 برجال من الجن فزاد وهم رهقاً ) ( ١ ) .

وقد أخبر تعالى أن أهل النار يلقون فيها أفواجا : كما قال تعالى  
 ( تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير .  
 قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا  
 في ضلال كبير . وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير .  
 فاعترفوا بذنوبهم فضحقاً لأصحاب السعير ) ( ٢ ) .

فقد بين - تعالى - أنه كلما ألقي في جهنم جماعة سألهم خزنتها :  
 ألم يأتكم نذير يعني : سأل الفوج خزنة جهنم فقالوا لهم ألم يأتكم نذير  
 الدنيا نذير ينذركم هذا العذاب الذي أنتم فيه ؟ فيجيبونهم بأن النذير

( ١ ) روح المعاني للألوسي ١١٦/٨ والآية رقم ( ٦ ) من سورة  
 الجن .

( ٢ ) سورة الطك آية / ٩ - ١١ .

جاءهم وأنذرهم هذا العذاب ولكنهم كذبوه وزعموا بأنه في نهاب عن الحق  
(١) بعيد .

وأخبر - تعالى - أن الكافرين يحشرون إلى جهنم صما وبكما وعميا ومنهم  
من يمشي على وجهه .

وقال تعالى : ( ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصمًا  
مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ) (٢) .

وقال تعالى ( الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا  
وأغسل سبيلا ) (٣) .

روى البخارى وسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا قال :  
يا نبي الله يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال أليس الذي أشاء على  
الرجلين في الدنيا قادرا على أن يحشيه على وجهه يوم القيامة " . قال قتادة  
بلى وعزة ربنا (٤) .

وروى الترمذي بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم " يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف : صنف - ما  
مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله ؟ كيف  
يحشون على وجوههم ؟ قال : ان الذي أشاهم على أقدامهم قادر على  
أن يحشيه على وجوههم ، أما إنهم يتقون بوجوههم كل جذب وشوكة " .  
قال الترمذي هذا حديث حسن (٥) .

- 
- (١) جامع البيان ٥ / ٢٩ .  
(٢) سورة الاسراء آ٤ / ٩٧ .  
(٣) سورة الفرقان آ٤ / ٣٤ .  
(٤) صحيح البخارى ٣ / ١٦٩ ، صحيح مسلم ٤ / ٢١٦١ .  
(٥) السنن ٤ / ٣٦٧ ، ورواه أحمد في المسند ٢ / ٣٥٤ وفي لفظه " أما  
إنهم يتقون بوجوههم كل جذب وشوك " .

فتبين ما تقدم كيفية دخول أهل النار النار ، وأنها حالة مؤلمة  
تتشعر منها الجلوس ، وتضطرب منها الطوب وأنها صورة مخيفه حيث  
يساقون إليها سواقا عنيفا مقرونا بالإهانة والإذلال والتحقير ، تكاد حلوقهم  
تتقطع من العطش والظما ، يلعن بعضهم بعضا ، ويحشرون إليها صما ،  
وبكما ، وعميا ، وبعضهم يحشون إليها على وجوههم وأولئك شرمكانا وأضل  
سبيلا .

## - المبحث الثاني -

أبواب جهنم

لقد جاء في السورة ذكر أبواب جهنم مجطة ، دون تحديد لعدد هـا  
كما دللت على أن أبوابها تكون مغلقة ، وأنها لا تفتح إلا عند مجيء أهلها  
إليها يوم القيامة .

قال تعالى : ( وسبق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها  
فتحت أبوابها ) . فالمراد بالأبواب المذكورة في هذه الآية هي أبواب  
جهنم السبعة .

قال تعالى : ( وإن جهنم لموتهم أجمعين ) لها سبعة أبواب  
لكل باب منهم جزء مقسوم (١) .

قال ابن جرير : " يقول تعالى ذكره لإبليس : وإن جهنم لموتهم  
تبعك أجمعين ( لها سبعة أبواب ) يقول : لجهنم سبعة أطباق ، لكل  
طبق منهم يعني من أتباع إبليس جزء ، يعني قسما ونصيبا مقسوما " (٢) .

وقال ابن كثير : وقوله ( وإن جهنم لموتهم أجمعين ) أي : جهنمهم  
موتهم جميع من أتباع إبليس ، كما قال من القرآن ( ومن يكفر به من الأحزاب  
فالنار موعد ) (٣) ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب ( لكل باب منهم جزء مقسوم )  
أي : قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لا محيد لهم عنه ،  
أجارنا الله منها ، وكلُّ يدخل من باب بحسب عمله ، ويستقر في درك بقدر  
عمله " (٤) .

(١) سورة الحجر آية / ٤٣ - ٤٤ .

(٢) جامع البيان ٣٥ / ١٤ (٣) سورة هود آية / ١٧ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٦٢ - ١٦٣ .

وقال أبو عبد الله القرطبي : قوله تعالى ( وان جهنم لعمود هم أجمعين )  
يعني ابليس ومن اتبعه ( لها سبعة أبواب ) أي : أطباق ، طبق فوق طبق  
( لكل باب ) أي : لكل طبقة ( منهم جزء مقسوم ) أي : حظ معلوم<sup>(١)</sup> .

وكما جاء في الكتاب العزيز أن لجهنم سبعة أبواب ، كذلك ورد في السنة  
المطهرة أن أبوابها سبعة كذلك روى الترمذي بإسناده إلى ابن عمر رضي  
الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لجهنم سبعة أبواب ، باب  
منها لمن سل السيف على أمي - أو قال على أمة محمد - " ثم قال الترمذي  
رحمه الله تعالى هذا حديث قريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول<sup>(٢)</sup> .

وقد فسّر السلف الصالح قوله تعالى : ( لها سبعة أبواب لكل باب  
منهم جزء مقسوم )<sup>(٣)</sup> بأن أبواب جهنم طبقات بعضها فوق بعض .

فقد أخرج ابن جرير بسنده إلى أبي رضي الله عنه أنه قال : هل تدرون  
كيف أبواب النار؟ قالوا : كنحو هذه الأبواب قال : لا ، ولكن هكذا ووصف  
بعضها فوق بعض .

وقال أيضا رضي الله عنه : أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيتملى<sup>٤</sup>  
الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، ثم تتلى كلها .

وقال عكرمة : في قوله ( لها سبعة أبواب ) قال : لها سبعة أطباق  
وقال ابن جرير : في قوله ( لها سبعة أبواب ) قال : أولها جهنم ، ثم  
الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية ، والجحيم فيها  
أبو جهل .

( ١ ) الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٣٠ .

( ٢ ) سنن الترمذي ٤ / ٣٥٩ - ٣٦٠ .

( ٣ ) سورة الحجر آية / ٤٤ .



وقال قتادة : في قوله ( لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم )  
هي : والله منازل بأعمالهم<sup>(١)</sup> .

وقد جاء في بعض الآيات القرآنية أن أبواب جهنم تكون مغلقة على أهل  
النار .

قال تعالى ( إنها عليهم موصدة<sup>(٢)</sup> ) أي : مطبقة مغلقة .  
وقال تعالى ( عليهم نار موصدة<sup>(٣)</sup> ) .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : مغلقة الأبواب .  
وقال مجاهد : أصد الباب بلغة قريش أي : أغلقه<sup>(٤)</sup> .

وقال قتادة : ( عليهم نار موصدة ) أي : مطبقة ، أطبقها الله عليهم  
فلا ضوء فيها ولا فرج ، ولا خروج منها آخر الأبد .

وقال الضحاك : ( موصدة ) مغلقة عليهم<sup>(٥)</sup> .

وقال مقاتل : في قوله تعالى ( موصدة ) يعني : أبوابها مطبقة  
عليهم فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح آخر  
الأبد<sup>(٦)</sup> .

وقد بين ابن رجب رحمه الله - تعالى - : أن هذا الأطلاق نومان :-

- 
- ( ١ ) جامع البيان ٣٥ / ١٤ - ٣٦ ، وانظر تفسير ابن كثير ١٦٣ / ٤ .
  - ( ٢ ) سورة الهمزة آية / ٨ .
  - ( ٣ ) سورة البلد آية / ٢٠ .
  - ( ٤ ) تفسير ابن كثير ٢٩٨ / ٧ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن ١٨٥ / ٢٠ .
  - ( ٥ ) جامع البيان من تأويل آي القرآن ٣٠ / ٢٠٧ .
  - ( ٦ ) ذكره ابن رجب في كتابه " التخوف من النار " ص ٦٠ .

أحدهما :-

إطباق خاص وهو لمن يدخل في النار ، أو من يريد الله التضيق عليه  
أجارنا الله من ذلك .

الثاني :-

إطباق عام وهو إطباق النار على أهلها المخلدين فيها وقد قال سفيان  
وغيره في قوله تعالى ( لا يحزنهم الفزع الأكبر )<sup>(١)</sup> قالوا : هو إطباق النار  
على أهلها ( ٢ ) هـ .

وقد قلنا فيما تقدم أن الآية التي صدرنا بها هذا البحث وهي قوله  
تعالى ( وسبق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤوها فتحت  
أبوابها ) فيها دلالة على أن أبواب جهنم لا تفتح إلا عند مجيء أهلها  
عليها يوم القيامة ، وذلك ليفجأهم عذابها ، وليكون ذلك أعظم في نكابتهم ،  
وزيادة في حسرتهم وندامتهم .

وقد ورد حديث صحيح دل على أن أبواب جهنم مفتوحة وأنها تغلق  
في رمضان .

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى  
الله عليه وسلم أنه قال : " إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب  
النار وصعدت الشياطين ومردة الجن " <sup>(٣)</sup> .

قال القاضي عياشي حول هذا الحديث : " يحتمل أنه على ظاهره  
وحقيقته ، وأن تفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب جهنم وتصفد الشياطين  
علامة لدخول الشهر وتعظيم لحرمة ويكون التصفد ليهتتموا من إيذاء المؤمنين

( ١ ) سورة الأنبياء آية ١٠٣ . ( ٢ ) " التخويف من النار " ص ٦١ .

( ٣ ) صحيح البخاري ١ / ٣٢٥ ، صحيح مسلم ٢ / ٧٥٨ واللفظه .

والتهبوش عليهم .

قال : ويحتمل أن يكون المراد المجاز ويكون إشارته إلى كثرة الثواب والعفو وأن الشياطين يقل إغواؤهم وإيذائهم بصيروا كالمصعد ين ويكون تصفيد هم عن أشياء دون أشياء ولناس دون ناس .

قال : ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة : عما يفتحها الله - تعالى - لعباده من الطاعات في هذا الشهر التي لا تقع في غيره عموماً كالصيام والقيام وفعل الخيرات والإكفاف عن كثير من المخالفات ، وهذه أسباب لدخول الجنة ، وأبواب لها وكذلك تخليق أبواب النار وتصفيد الشياطين عبارة عما ينكفون عنه من المخالفات (١) .

والأولى حمل الحديث على الحقيقة ، ولا ضرورة تدعو إلى صرف الحديث عن ظاهره ، ولا منافاة بين الآية والحديث ، فقد تكون أبواب الجنة والنار مفتوحة في بعض الأحيان ، وتكون مغلقة في أوقات أخرى ، فمن هنا لا تعارض بين الآية والحديث وينبغي الإبتعاد عن تأويل الحديث بالتأويلات والإحتتمالات التي ليس لها آية دلالة من اللفظ النبوي الشريف فوهدها .

والذي نخلص إليه مما تقدم من الآيات وبعض الأحاديث أنه يجب على كل مسلم الإيمان بأن لجنتهم سبعة أبواب كما نطق بذلك كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن تلك الأبواب سيدخل منها أهل الكفر والشرك والجحود والنفاق على حسب أعمالهم ونوبهم التي تلبسوا بها واقرنوها في الحياة الدنيا .

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٨٨/٧ ، وانظر "الفتح" ١١٤/٤ .

## - المبحث الثالث -

خزنة جهنم

الخزنة : جمع خازن مثل حفظة وحافظ وهو المؤمن على الشئ الذي قد استحفظه<sup>(١)</sup>.

ولقد بينت السورة أن لجهنم خزنة من الملائكة يقومون عليها . قال تعالى ( وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ) . قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فليس شئى العاكبين ) .

فهذه الآية من السورة بين الله - تعالى - فيها أن خزنة جهنم يوبخون أصناف الكفار الداخلين جهنم من جميع الأمم على الأعمال التي أوصلتهم إلى دار البوار بقولهم ( ألم يأتكم رسل منكم ) يعني : من جنسكم تعرفونهم وتعرفون صدقهم ، وتتمكنون من التلقي عنهم عند ما يتلون عليكم آيات ربكم التي أرسلهم الله بها إليكم ، والتي دلت على الحق المبين بأوضح الأدلة والبراهين ( وينذرونكم لقاء يومكم هذا ) وهو يوم القيامة ، وهذا ما يوجب عليكم اتباعهم والحذر من عذاب هذا اليوم باستعمال تقواه ، ولكن كانت حالكم بخلاف هذه الحال ، وعند ما يسمع الكفار كلام خزنة جهنم يجيبون مقرين بذنبيهم وأن حجة الله قامت عليهم بقولهم ( بلى ) قد جاءتنا رسل ربنا بالبينات والآيات الواضحات وحذرونا من هذا اليوم ) ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ( بسبب كفرهم حقت عليهم كلمة العذاب التي هي لكل من كفر بآيات ربه وجحد ما جاءت به رسل الله ، فأقروا بذنبيهم وقيام حجة الله عليهم ،

( ١ ) حادى الأرواح ص ٧٥ ، وانظر " بصائر ذوي التمييز " ٢ / ٥٢٥ ،

والمفردات فى غريب القرآن " ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

وعند ما يسمع الخزنة اضرافهم واقرارهم بذنوبهم يقولون لهم : طى وجه الإهانة والاذلال ( ادخلوا أبواب جهنم خالد بن فيها فبئس شوى التكبيريين ) فيخبرونهم بأن لهم الشقاء الأبدى والعذاب المردي الذي لا يظعنون منه ولا يفتر عنهم ساعة ولا ينظرون لأنهم تكبروا عن الحق فجازاهم الله من جنس عطيم بالإهانة والذل والخزي والندامة (١).

وهذا الحوار يجرى بين خزنة جهنم ، وبين الكفار عندما يساقون إليها أفواجا وجماعات متفرقة بعضها في أشرف بعض وقد بين الله - تعالى - أن عدد خزنة جهنم تسعة عشر .

قال تعالى : ( سأصليه سقروما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر لواحية للبشر طيبها تسعة عشر ) (٢) وقد استهان بعض المشركين بهذا العدد ، فقد روى ابن جرير بسنده إلى ابن عباس لما نزل قوله تعالى ( طيبها تسعة عشر ) إلى قوله ( ويزداد الذين آمنوا إيمانا ) (٣) أن أبا جهل لما سمع ذلك قال لقريش : شكلكم أمهاتكم ، أسمع ابن أبي كحشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر ، وأنتم الدهم (٤) أفيمجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم (٥) فرد الله عليه وطى أمثاله بأن خزنة جهنم ليسوا رجالا وإنما هم من الملائكة الغلاظ الشداد الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون بقوله - عز شأنه - ( وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ) .

قال ابن زيد : ما جعلناهم رجالا فيأخذ كل رجل رجلا كما قال هذا يعني - أبا جهل - وإنما جعل الله الخبر عن هذه خزنة جهنم فتنة للذين كفروا لتكذب بهم بذلك وقول بعضهم أنا أكفيكموهم .

(١) انظر جامع البيان ٣٤/٢٤ ، تفسير البهوى طى حاشية " تفسير الخازن "

٧١/٦ - ٧٢ ، تفسير ابن كثير ١١٢/٦ ، وانظر " تفسير الكريم الرحمن في "

تفسير كلام المنان " ٤٥/٧ - ٤٦ .

(٢) سورة المدثر آتة ٢٦ - ٣٠ . (٣) سورة المدثر آتة ٣٠ - ٣١ .

(٤) الدهم : العدد الكثير . النهاية ١٤٥/٢ .

(٥) جامع البيان ١٥٩/٢٩ .

قال مجاهد : قوله ( تسعة عشر ) قال : جعلوا فتنة .

قال أبو الأشد بن الجمحي : لا يبلغون رتوتي حتى أجهنهم من  
جهنم (١) .

وكما جعل الله ذلك العدد فتنة للذين كفروا بالله من قريش جعله  
استيقانا لأهل الكتاب وليرداد الدين آمنوا إيماناً .

قال تعالى : ( ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويرداد الذين آمنوا إيماناً )  
فقد أخبر - تعالى - أن عدة خزنة جهنم ليستيقن به أهل التوراء والإنجيل  
حقيقة ما في كتبهم من الخبر عن عدة خزنة ، جهنم ، إذا وافق ذلك ما أنزل  
الله في كتابه على محمد صلى الله عليه وسلم .

قال قتادة ( ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ) قال : يصدق القرآن  
الكتب التي كانت قبله فيها كلها ، التوراة والإنجيل أن خزنة النار تسعة  
عشر .

وقال الضحاك بن مزاحم : عدة خزنة جهنم تسعة عشر في التوراة  
والإنجيل (٢) .

وروى الترمذي بإسناد إلى جابر رضى الله عنه قال : قال ناس من  
اليهود لأناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : هل يعلم نبيكم كم عدد  
خزنة جهنم ؟ قالوا لا ندري حتى نسأله ، فجاء رجل إلى النبي صلى الله  
عليه وسلم فقال يا محمد ظلب أصحابك اليوم قال وبما ظلبوا ؟ قال : سألهم  
يهود هل يعلم نبيكم كم عدد خزنة جهنم قال فما قالوا ؟ قال : قالوا لا ندري

( ١ ) المصدر السابق ٢٩ / ١٦٠ .

( ٢ ) سورة المدثر آية / ٣١ .

( ٣ ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٩ / ١٦١ .

حتى نسأل نبينا قال أفغلب قوم سظسوا عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم حتى  
 نسأل نبينا لكنهم قد سألوا نبيهم فقالوا : أرنا الله جبهة عليّ بأعداء  
 الله إني سأظهم عن تربة الجنة وهي الدرمة فظا جاءوا قالوا : يا أبا القاسم  
 كم عدد خزنة جهنم ؟ قال : هكذا وهكذا في مائة عشرة وفي مرة تسعة قالوا :  
 نعم . . الحديث (١)

فعدد خزنة جهنم تسعة عشر كما نص الله - تعالى - علي ذلك في كتابه  
 وسنة رسوله علي الله عليه وسلم بل وفي الكتب السابقة التوراة والإنجيل .

وقد وصف الله - تعالى - هو "الآخرة" بالخزنة بأنهم غلاظ شداد .

قال تعالى ( عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون  
 ما يؤمرون ) (٢) أي : يعزمهم وينتقم لا يريدون أن يخالفوه في شيء أبدا  
 ( ويفعلون ما يؤمرون ) أي : ولهم قوة علي إبراز ما أمروا به من العزم إلى  
 الفعل فلهم عزم صادق وأفعال عظيمة وقوة بليغة وشدة باهرة (٣) .

وقد سمي الله - تعالى - كبير هو "الآخرة" مالكا " وهو اسم  
 مشتق من الطلك وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه (٤) .

قال تعالى ( ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكسون ) (٥)  
 أي : مقيمون في العذاب (٦) .

وقد أخبر - تعالى - أن أدوات التعذيب من سلاسل وأغلال بأيدي  
 هو "الآخرة" يقودون بها أهل النار إلى النار قال تعالى ( خذوه فقلوه ثم  
 الجحيم صلوه ، ثم في سلسلة ذرعتها سمعون ذراعا فاسلكوه ) (٧) .

- |                                   |                              |
|-----------------------------------|------------------------------|
| ( ١ ) سنن الترمذي ١٠٢ / ٤ .       | ( ٢ ) سورة التجرير آية / ٦ . |
| ( ٣ ) النهاية لابن كثير ١٥٩ / ٢ . | ( ٤ ) حادي الأرواح ص ٧٦ .    |
| ( ٥ ) سورة الزخرف آية / ٧٧ .      | ( ٦ ) تفسير العائز ١١٨ / ٦ . |
| ( ٧ ) سورة الحاقة آية / ٣٠ .      |                              |

وقال تعالى : ( يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا من سقر )<sup>(١)</sup> .  
كما أخبر - تعالى - أن هؤلاء الخزنة هم الذين يقدمون لأهل النار  
الشراب والطعام الجهنمي .

قال تعالى ( وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس  
الشراب وساءت مرتفقا )<sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى ( ان لدنيا انكالا<sup>(٣)</sup> وجحيفا وطعاما ذا غصة وهذا بها<sup>(٤)</sup> ) .  
فالذي يقدم ذلك الشراب والطعام الجهنمي هم خزنة جهنم الذين  
يقومون عليها ، وكل ما تقدم من الآيات والأحاديث يدل على وجوب الإيمان  
بهؤلاء الخزنة الذين أسند الله اليهم القيام بتعذيب أهل النار ، ومن  
أنكرهم ، أو كذب بهم فقد وثقه في ذلك أهوجهل وأشاله من شركسي  
قريش .

---

( ١ ) سورة القمر آية / ٤٨ .

( ٢ ) سورة الكهف آية / ٢٩ .

( ٣ ) الأنكالا : قيود سوداء من نار جهنم " جامع البيان ٢٩ / ١٣٥ .

( ٤ ) سورة المزمل آية / ١٢-١٣ .



## - المبحث الرابع -

إحاطة النار بأهلها وشدة عذابها

لقد دلت السورة على شدة عذاب جهنم وهوله ، وأن عذابها يحيط  
بالكافرين من كل الجهات وجميع الجوانب .

قال تعالى : ( لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك  
يخوف الله به عباده بأعباد فاتقون ) .

وقال تعالى ( كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون  
فأنقم الله الخزفي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ) .

وقال تعالى ( ولو أن للذين ظلموا مني الأرواح جميعا ومثله معه  
لا أخذوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون  
وبدا لهم شسقات ماكبوا وحان بهم ما كانوا به يستهزئون ) .

هذه الآيات من السورة فيها بيان لشدة عذاب جهنم الذي أعد الله  
للخاسرين الذين كفروا بربهم وظلموا أنفسهم بتكذيبهم رسله ، وإشراكهم  
مع الله غيره في العبادة ولم يخضعوا له بالعبادة ، والطاعة وحسن الإنقياد ،  
والإذعان لما أمرهم الله به ، والإبتعاد عما نهاهم عنه ، فآثروا المعاصي  
وارتكاب المعاصي على طاعة الله - تعالى - فكان جزاءهم أن يحيط بهم عذاب  
جهنم من جميع الجهات ، كما مرحت بذلك الآيات المتقدمة .

فآية الأولى : من تلك الآيات هي قوله - تعالى - ( لهم من فوقهم  
ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده بأعباد فاتقون )

هذه الآية فيها بيان أن عذاب جهنم يحيط بالكافرين من فوقهم ،  
ومن تحت أرجلهم ، فيذون العذاب فوقهم ، كهيئة الظلل المبنية من النار ،  
ومن تحتهم من النار ما يعلوهم حتى يسيروا يعلوهم منها عن تحتهم ظللاً<sup>(١)</sup> .  
جاء في تفسير البغوي حول هذه الآية ( لهم من فوقهم ظلل من النار ) أي :  
أطباق وسراقات من النار ودخانها ( ومن تحتهم ظلل ) فرائس ومهاد من نار  
إلى أن ينتهي إلى القمر سمي الأسفل ظللاً لأنها ظلل لمن تحتهم<sup>(٢)</sup> .  
وأما الآية الثانية والثالثة : من مجموعة الآيات المتقدمة وهما قوله  
تعالى ( كذب الذين من قبلهم فأناهم العذاب من حيث لا يشعرون فإذا أقبلهم  
الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الأخرة أكبر لو كانوا يعلمون ) .

فهاتان الآيتان : فهما بيان أن الأمم السابقة كذبت الرسل الذين  
أرسلهم الله إليهم كما فعل الكافرون من قريش مع النبي على الله عليه وسلم ،  
فأنزل الله بهم ألواناً من العذاب في الحياة الدنيا من الخسف والسخف  
والإغراق ، والتدمير ، وجاءهم ذلك العذاب من جهة ما كانت تغرط عيسى  
بألمهم ، وبسبب لم يكونوا يتوقعون أن يصل بهم إلى تلك النتيجة المؤلمة<sup>(٣)</sup> .  
ثم فسّر الله ذلك العذاب الذي أنزله الله بهم في الدنيا ، وما سيحل  
بهم من العذاب الشديد في الأخرى .

فقال تعالى ( فإذا أقبلهم الله الخزي في الحياة الدنيا ) بما أنزله بهم  
من العذاب والنكال والذل والهوان وتشفي المؤمنين منهم . وفي هذا تحذير  
شديد لمن كذب خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام .

( ١ ) جامع البيان ٢٣ / ٢٠٥ .

( ٢ ) معالم التنزيل على حاشية " تفسير الخازن " ٥٩ / ٦ ، وانظر  
زاد المسير لابن الجوزي ١٦٩ / ٧ ، وانظر روح المعاني للأكوسسي

٢٣ / ٢٥١ .

( ٣ ) تفسير البيضاوي ص ٦١٠

وأما العذاب الذي سيلحقهم في الآخرة فقد بينه بقوله تعالى :  
 ( ولعذاب الآخرة أكبر ) أي : ولعقاب الله لهم في الدار الثانية الباقية  
 أكبر وأشد وأنكى وألم وأبقى .

قال ابن جرير عند قوله تعالى ( فإذا هم الله الخزي في الحياة الدنيا  
 ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ) .

يقول تعالى ذكره : ( فعجل الله لهؤلاء الأمم الذين كذبوا رسلهم  
 الهوان في الدنيا ، والعذاب قبل الآخرة ولم ينظروهم إذ عتوا عن أمر ربهم  
 ) ( ولعذاب الآخرة أكبر ) .

يقول : ولعذاب الله إياهم في الآخرة إذا أنزلهم النار فعذبهم بها  
 أكبر من العذاب الذي عذبهم به في الدنيا لو كانوا يعلمون يقول : لو علم هؤلاء  
 المشركون من قريش ذلك ( ١ ) .

وأما الآية الرابعة والخامسة : من مجموعة الآيات المتقدمة قريبا ، وهما  
 قوله تعالى ( ولو أن للذين ظلموا مافي الأرض جميعا ومثله معه لا اقتدوا به  
 من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ، وبدا لهم  
 سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ) .

فقد بين - تعالى - فيها أن للمشركين والكافرين يوم القيامة - سـوء  
 العذاب - وهو أشده وأفظعه لأنهم أصروا على الكفر الذي ليس بعده ذنب  
 وأنهم على الفرض والتقدير لو كان لهم مافي الأرض جميعا من ذهبها وفضتها  
 وحيواناتها وأشجارها وزروعها وجميع أوانبها وأثاثها ، ومثله معه ، ثم بذلوه  
 يوم القيامة ليفتدوا به من العذاب ، وينجوا منه ، ما قبل منه هؤلاء أغنى عنهم

من عذاب الله شيئاً ، وحينئذ يظهر لهم من سخط الله وغضبه وانتقامه  
ويطشه مالم ير لهم على بال ، أو يدور بخلد .

وهناك يتضح لهم قبائح أعمالهم ، وتحيط بهم خطيئتهم ويحدق بهم  
العذاب النذى كانوا يسفرون من ذكره أو الإنذار به ( ١ ) . ( وبداء لهم  
سيئات ما كسبوا وفاق بهم ما كانوا به يستهزئون ) .

وببيان معاني الآيات الخمس المتقدمة من السورة تبين وجه دلالة  
السورة على شدة عذاب جهنم وهوله وأن عذابها لا يقدر قدره ، ولا يخطر  
على بال .

وقد وردت آيات كثيرة في معنى تلك الآيات التي تقدم ذكرها وكلها  
تبين شدة عذاب جهنم وأحاطته بالكافرين من جميع الجهات والجوانب .

قال تعالى ( لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي  
الظالمين ) ( ٢ ) .

قال محمد بن كعب القرظي : ( لهم من جهنم مهاد ) ، قال : الغواش  
( ومن فوقهم غواش ) قال : اللحف . وكذا قال الضحاك بن مزاحم والسدي .

وقال ابن جرير : وأما قوله ( وكذلك نجزي الظالمين ) فإنه يقول : وكذلك  
نصيب من ظلم نفسه فأكسبها من غضب الله ما لا قبل لها به بكفره بربه وتكذيبه  
أنبياءه ( ٣ ) .

---

( ١ ) مستفاد من "جامع البيان ٢٤ / ١١-١٢ ، وتفسير القرآن العظيم  
٩٨-٩٩ / ٦ ، ومعالم التنزيل للبهفوي على حاشية تفسير الخازن  
٦٦ / ٦ .

( ٢ ) سورة الأعراف آية / ٤١ .

( ٣ ) جامع البيان ٨ / ١٨٢ .

وقال الهفوي رحمه الله : ( لهم من جهنم مهاد ) أي : فراش ( ومن فوقهم غواش ) أي : لحف وهي جمع فاشية يعني ماغشاهم وغطاهم يريد احاطة النار بهم من كل جانب "أ. هـ" (١) .

وقال تعالى ( يستعجلونك بالمذابون جهنم لمحيطة بالكافرين . يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذو قوا ماكنتم تعطون ) (٢) .

وفي هاتين الآيتين : بين الله - تعالى - أن عذاب جهنم محيط بالكافرين ويغشاهم عذابها من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ويقول الله لهم : ذو قوا ماكنتم تعطون في الدنيا من معاصي الله وما يسخطه فيها .

وقال تعالى : ( ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون ) (٣)

ومعنى هاتين الآيتين : " لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون عذاب ربهم ماذا لهم من البلاء حين تلغح وجوههم النار وهم فيها كالخون فلا يكفون عن وجوههم النار التي تلغحها ، ولا عن ظهورهم فيدفعونها عنها بأنفسهم ( ولا هم ينصرون ) يقول : ولا لهم ناصر ينصرهم ، فيستنقذهم حينئذ من عذاب الله لما أقاموا على ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله ، ولسارعوا إلى التوبة منه ، والإيمان بالله ، ولما استعجلوا لأنفسهم البلاء "أ. هـ" (٤) .

( ١ ) معالم التنزيل على حاشية " تفسير الخازن " ١٨٩ / ٢ .

( ٢ ) سورة العنكبوت آية / ٥٤ - ٥٥ .

( ٣ ) سورة الأنبياء آية / ٣٨ - ٣٩ .

( ٤ ) جامع التهان عن تأويل آي القرآن ٢٨ / ١٧ .

وقال تعالى مبينا شدة النار التي أعد لها للظالمين ( إنا أعدنا للظالمين  
نارا أحاط بهم سرادقها ) ( ١ )

قال ابن عباس: ( أحاط بهم سرادقها ) قال : حائط من نار ( ٢ ) .  
وقال تعالى ( لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم  
من الله من واق ) ( ٣ ) .

قال ابن كثير حول هذه الآية " ذكر - تعالى - عقاب الكفار وثواب الأبرار  
فقال : بعد إخباره عن حال المشركين وما هم عليه من الكفر والشرك ( لهم عذاب  
في الحياة الدنيا ) أي : بأيدي المؤمنين - قتل وأسرا - ( ولعذاب الآخرة  
أشق ) أي : العذبة مع هذا الخزي في الدنيا ( أشق ) أي : من هذا  
بكتير كما قال صلى الله عليه وسلم للمتلاعنين " إن عذاب الدنيا أهون من عذاب  
الآخرة " ( ٤ ) . وهو كما قال سلوات الله وسلامه عليه فإن عذاب الدنيا له انقضاء  
وذاك دائم أبدا في نار هي بالنسبة إلى هذه سبعون ضعفا ، ووثاق لا يتصور  
كثافته وشدته " ( ٥ ) .

#### ما أصحاب الشطال

وقال تعالى ( وأصحاب الشطال/في سجون وحميم ، وظل من يحمسون  
لا بارد ولا كريم ) ( ٦ ) .

قال ابن عباس : ظل من دخان .  
وقال مجاهد : ظل من دخان جهنم وهو السجون .  
وقال أبو مالك : السجون ظل من دخان جهنم .

- 
- ( ١ ) سورة الكهف آية / ٢٩ .  
( ٢ ) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٨٤ .  
( ٣ ) سورة الرعد آية / ٣٤ .  
( ٤ ) رواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهم  
١١٣١ / ٢ والدارمي في سننه ١٥١ / ٢ .  
( ٥ ) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٩٧-٩٨ .  
( ٦ ) سورة الواقعة آية / ٤١ - ٤٤ .

وقال الحسن وقادة : في قوله ( لا بارد ولا كريم )<sup>(١)</sup> لا بارد المدخل ولا كريم المنظر .

والسوم : هو الريح الحارة قاله قتادة وغيره .

وهذه الآية : تضمنت ذكر ما يتبرد به في الدنيا من الكرب والحر وهو ثلاثة : الماء ، والهواء ، والظل .

فهوا جهنم : السوم وهو الريح الحارة الشديدة الحر .

وماؤها الحميم : الذي قد اشتد حره ، وظلها : السوم وهو قطع دخانها أجارنا الله من ذلك كله بكرمه ومنه<sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى : ( وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون )<sup>(٣)</sup> .

هذه الآية بين الله - تعالى - فيها أن حرارة جهنم لا يمكن أن تقاس بالمقاييس التي يعرفها البشر بالنسبة لدرجات الحرارة لأنها نار السوم الذي يفضل الله فيه بين الخلائق ، وهي نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة . فلا يستطيع أحد أن يقيسها بنار الدنيا .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم شدة ارتفاع حرارة جهنم بقوله : " ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم " .

قالوا : والله إن كانت لكافية يارسول الله قال : " فإنها فضلت طيبها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها " <sup>(٤)</sup> .

( ١ ) سورة الواقعة آية / ٤٤ .

( ٢ ) التخويف من النار لابن رجب " ص ٨٢ .

( ٣ ) سورة التوبة آية / ٨٢ .

( ٤ ) رواه البخاري ومسلم صحيح البخاري ٢ / ٢١٩ ، صحيح مسلم ٤ / ٢١٨٤ ، واللفظ له وكلاهما من حديث أبي هريرة .

وقوله عليه الصلاة والسلام " ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم يعني أنه لو جمع كل ما في الوجود من النار التي يوقد ها ابن آدم لكانت جزءا من أجزاء جهنم المذكور ، وبما أنه لو جمع حطب الدنيا فأوقد كله حتى صار نارا لكان الجزء الواحد من أجزاء نسا جهنم الذي هو من سبعين جزءا أشد من حر نار الدنيا كما بينه في آخر الحديث .

وقولهم " وإن كانت كافية " إن هنا مخففة من الثقيلة عند البصريين نظيره ( وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله )<sup>(١)</sup> أي : إنها كانت كافية فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنها كما فضلت عليها في المقدار والعدد بتسعة وستين فضلت عليها أيضا : في شدة الحر بتسعة وستين ضعفا<sup>(٢)</sup> .

وروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اشتكت النار إلى ربها فقالت : رب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين : نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف ، فأشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير<sup>(٣)</sup> .

فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن شدة الحرارة في الصيف وشدة البرد في الشتاء إنما ذلك بسبب تنفس جهنم أعاننا الله منها .

وروى مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يوتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة . فيصبح في النار صبغة<sup>(٤)</sup> ثم يقالي : يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟

( ١ ) سورة البقرة آية ١٤٣ ( ٢ ) التذكرة للقرطبي ص ٣٩٥ .

( ٣ ) صحيح البخاري ٢ / ٢١٩ .

( ٤ ) " فيصبح في النار صبغة " أي : يغمس غمسة .



فيقول : لا والله يارب ويومتي بأشد الناس بوئسا<sup>(١)</sup> في الدنيا من أهل الجنة فيصبح صبغة في الجنة فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بوئسا قط ؟ هل مر بك شدة قط ؟ فيقول : لا والله يارب ما مر بي بوئس قط . ولا رأيت شدة قط<sup>(٢)</sup> .

وروى البخاري من حديث النعمان بن بشير قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل على أخمس قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل والقمقم<sup>(٣)</sup> " (٤) . (٥)

وهذان الحديثان فيهما بيان لشدة عذاب جهنم ، وأن عذابها أليم ، لا يقادر قدره ، ويجب الفرار منه بطاعة الله - عز وجل - .

ثم من التعارف عليه عند الناس في هذه الحياة الدنيا أنهم يوقدون لما يحتاجون إليه من طعام وغيره بالحطب من الأشجار ، وبما استجد من الفازات في هصرنا هذا وغير ذلك مما هو صالح استحتماله للوقود .

أما وقود جهنم فإنه الناس والحجارة . كما قال تعالى ( فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ) (٦) .

قال ابن جرير : " فإن قال قائل : وكيف خصت الحجارة فقرنت بالناس حتى جعلت لنار جهنم حطباً ؟ قيل : إنها حجارة الكبريت وهي أشد الحجارة فيما بلغنا حراً إذا أحميت .

(١) " بوئسا " البؤس : هو الشدة قرم (٢) صحيح مسلم ٤/٢١٦٢ .  
(٣) المرجل : قدر من نحاس ، ويقال : لكل إناء يغلي فيه الماء من أي صنف كان " الفتح ١١/٤٣١ .  
(٤) القمقم : إناء من آنية المطار ، ويقال : هو إناء ضيق الرأس يسخن فيه الماء يكون من نحاس وغيره " الفتح ١١/٤٣١ .

(٥) صحيح البخاري ٤/١٣٨ .

(٦) سورة البقرة آية ٢٤ .

وروى بإسناده إلى ابن سمعون رضي الله عنه في قوله : ( وقودها  
الناس والحجارة ) قال : هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السموات  
والأرض في السماء الدنيا بعدها للكافرين .

وفي رواية ثانية عنه أنه قال في قوله : ( وقودها الناس والحجارة )  
قال : حجارة الكبريت جعلها الله كما شاء .

وقال ابن عباس وغيره : في قوله ( اتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة )  
أما الحجارة فهي حجارة في النار من كبريت أسود يعذبون به مع النار<sup>(١)</sup>  
قال القرطبي : في شأن هذه الحجارة : " وخصت بذلك لأنها تزيد على  
جميع الحجارة بخسة أنواع من العذاب .

( ١ ) سرعة الإيقاد .

( ٢ ) ونتن الرائحة .

( ٣ ) وكثرة الدخان .

( ٤ ) وشدة الالتصاق بالأبدان .

( ٥ ) وقوة حرها إذا حميت .

وقيل : المراد بالحجارة الأصنام لقوله تعالى ( إنكم وما تعبدون من  
دون الله حسب جهنم )<sup>(٢)</sup> أي : حطب وهو ما يلقي في النار ما تذكي به<sup>(٣)</sup> أ.هـ.

( ١ ) أنظر هذه الروايات في جامع البيان ١ / ١٦٨-١٦٩ .

( ٢ ) سورة الأنبياء آية / ٩٨ .

( ٣ ) التذكرة ص ٤٠٧ .

- الصبغت الخامس -

### صفات أهـل النار

لقد ذكر في السورة بعض صفات أهل النار ، وكما هو معلوم أنه ينبغي للمسلم أن يكون على علم ومعرفة لصفاتهم حتى يجتنبها ويتعد عن التخلق بها حتى لا يقع فيها دون أن يدري ومن صفات أهل النار التي ذكرت في السورة :

أ - شدة ظلمهم واختلاقهم الكذب على الله والإقتراف عليه بنسبة الولد إليه ، أو يجعلون له الأنداد ، والشركاء ، أو يعبدون معه غيره من المخلوقين بدعوى أنه يقربهم إلى الله زلفى .

قال تعالى : ( فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ

جاءه ألهم في جهنم شوى للكافرين ) .

فهذه الآية من السورة إلى جانب أنها بينت صفات يتخلق بها أهل النار إلا أنها أيضا : تضمنت التحذير والإخبار بأنه لا أظلم ممن كذب على ربه بنسبته إلى ما لا يليق به جلاله ، أو بادعاء النبوة أو الإخبار بأنه - تعالى - قال كذا : أو أخبر بكذا : وهو كاذب فهذا يدخل في عموم قوله - تعالى - ( وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون )<sup>(١)</sup> إن كان جاهلا أما إن كان عالما فهو أشنع وأفظع .

كما بينت أن من يورد الحق المؤيد بالبيئات بتكذيبه فإنه ظلم عليم لأنه رد للحق بعد تبينه ، والذي يجمع بين الكذب على الله والتكذيب بالصدق كان ظلما على ظلم ، وجزاء من يتسم بذلك جهنم ولذلك اختتم الله الآية بقوله ( ألهم في جهنم شوى للكافرين ) فهي مقام ومستقر كل ظالم وكافر ينال جزاءه على عطف بها .

وجاء في زاد المسير : قوله تعالى ( فمن أظلم ممن كذب على الله )  
 بأن ادعى له ولدا وشريكا ( وكذب بالصدق إذ جاءه ) وهو التوحيد والقرآن  
 ( ألميس في جهنم مشون للكافرين ) أي : مقام للجاحدين وهذا استفهام بمعنى  
 التقرير يعني إنه كذلك " أ. هـ. (١)

وقال ابن كثير : حوس قوله - تعالى - ( فمن أظلم ممن كذب على الله  
 وكذب بالصدق إذ جاءه ) .

" يقول - عز وجل - مخاطبا للمشركين الذين افتروا على الله وجعلوا معه  
 آلهة أخرى وادعوا أن الملائكة بنات الله وجعلوا لله ولدا - تعالى الله  
 عن قولهم علوا كبيرا ، ومع هذا كذبوا بالحق إذ جاءهم على السنة رسل الله  
 صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولهذا قال - عز وجل - ( فمن أظلم ممن  
 كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه ) أي لا أحد أظلم من هذا لأنه جمع  
 بين طرفي الباطل كذب على الله وكذب .. رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 قالوا : الباطل وردوا الحق ولهذا قال جلت عظمته متوعدا لهم ( ألميس في جهنم  
 مشون للكافرين ؟ ) وهم الجاحدون المكذبون " أ. هـ. (٢)

ب - ومن صفات أهل النار القبيحة التي ورد ذكرها في السورة .

أنهم حينما يذكر - الباري جل وعلا - تشمئز قلوبهم ، وتتقرز نفوسهم  
 وتنقبض صدورهم ، وينفرون من التذكير لأنهم لا يؤمنون بالمعاد ولا يخافون  
 سوء الحساب .

قال تعالى مهينا هذه الصفة الذميمة : ( وإذا ذكر الله وحسده  
 اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم  
 يستبشرون ) .

( ١ ) ١٨٢/٧

( ٢ ) تفسير القرآن العظيم ٦/٩٢ - ٩٣ .

فهذه الآية الكريمة من السورة أوضحت أن أهل النار حينما يذكر عندهم  
الباطل وأهله من الأصنام والطواغيت فإنهم يمتهجون ويفرحون وتطفع وجوههم  
بالبشر والسرور والبهجة ، وتجد هم يفضضون على من يتفضها وينتقمون منه  
بأنواع الأذى .

قال ابن جرير رحمه الله تعالى حول هذه الآية :

" يقول تعالى ذكره : **وَإِذَا أُفْرِدَ اللَّهُ جَلَّ شَأُوهُ بِالذِّكْرِ ، فَدَعَىٰ وَحْدَهُ**  
**وَقِيلَ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ "** اشمازت طوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبحث بعد  
المعات وعنى بقوله ( اشمازت ) : نفرت من توحيد الله ( **وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ**  
**مِنْ دُونِهِ** ) يقول : **وَإِذَا ذَكَرَ الْأَلْهَةَ الَّتِي يَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ** مع الله فقبل :  
تلك الفرائق العلى ، **وَإِنْ شَفَاعَتُهَا لَتَرْجَىٰ إِذَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ**  
يستبشرون بذلك ويفرحون " ( ١ ) هـ .

ج : ومن صفات أهل النار التي ذكرت في السورة الإستهكار عن الإيمان بآيات  
الله والترفع عنها ، وعدم الإنعان والانقياد لها .

قال تعالى : ( **بَلَىٰ قَدْ جَاءَكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ**

من الكافرين ، **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُم مَّسْوُودَةٌ**  
**أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ شَوْءٌ لِّلْمُتَكَبِّرِينَ** ) .

وهاتان الآيتان من السورة بين الله - تعالى - فيهما أن الإستهكار

عن الحق ، والتكبر على الخلق من موجبات النار .

قال ابن جرير رحمه الله - تعالى - : " **وَأَمَّا الْمُسْتَكْبِرُ فَهُوَ السِّنِّي**

**يَتَعَاطَى الْكِبْرَ عَلَى النَّاسِ وَالتَّعَاطَى عَلَيْهِمْ** وقد قال تعالى ( **أَلَيْسَ نَفْسِي**

**جَهَنَّمَ شَوْءٌ لِّلْمُتَكَبِّرِينَ** ) ( ٢ ) هـ .

( ١ ) جامع البيان ١٠ / ٢٤

( ٢ ) التخويف في النار ص ١٩٨

فقوله - تعالى - ( بلى قد جاءتك آياتي فكذبتهن واستكبرت وكنت من الكافرين ) تضمنت ثلاث صفات كلها بلغت النهاية في القبح ، وتدل على شناعة الاستكبار ، فالمستكبر يقع بين أقبح الجرائم على الإطلاق ، وهمسا التأكيد بآيات الله وهو كفر ، ثم الكفر الصريح دل على ذلك قوله تعالى ( وكنت من الكافرين ) .

وأما قوله تعالى ( ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ) .

فقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ( ترى الذين كذبوا على الله ) كلمه شاملة يدخل فيها من كذب على الله بادعاء الولد ، أو الشريك ، أو صاحبه ، أو المعبود الذي يقرب إلى الله أو يشفع عنده ، أو يزعم أن الله حرم شيئاً ، أو أحل شيئاً - خلاف ما جاء به دينه الحنيف كتحریم البحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحامي التي كان يفتريها المشركون على الله بغير علم .

قال أبو عبد الله القرطبي : ( ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ) أي : مما أحاط بهم من غضب الله ونقته ( ١ ) .

فوجوه أهل النار يوم القيامة تسود وتكون مغطاة بالسواد كما قال تعالى في موضع آخر ( يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم - أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ) ( ٢ ) .

وكقوله تعالى ( والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلّة ما لهم من الله من ناصع كأنما أغشى وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ) ( ٣ ) .

( ١ ) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٥ / ١٥ .

( ٢ ) سورة آل عمران آية / ١٠٦ .

( ٣ ) سورة يونس آية / ٢٧ .

وقوله تعالى : ( أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ) بين - سبحانه - أن الكبر من أقمح الصفات الذميمة التي تجعل من جهنم مثوى ومستقرا لمن تخلف به وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم معنى الكبر : بقوله " الكبر : بطر الحق وغطت الناس (١) .

قال النووي : بطر الحق : دفعه وردد على قائله ، وغطت الناس : احتقارهم - أ. هـ (٢) .

وصفات أهل النار التي تقدم ذكرها كما ظنا سابقا إنما هي بعض صفاتهم التي وردت في السورة ، وإلا فلهم صفات أخرى ذكرت في غيرها من سور القرآن وفي السنة المطهرة . مثل النفاق فإنه صفة من صفات أهل النار .

قال تعالى ( إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا (٣) ) .

ومثل ترك الصلاة وعدم إطعام المساكين والتكذيب بالرجوع إلى الله تعالى - ولقد أخبر - تعالى - أن أهل الجنة يسألون أهل النار عن السبب الذي دخلوا به النار بقوله تعالى ( ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخافضين وكنا نكذب بيوم الدين ) (٤) .

ومثل الطغيان ، وحب الدنيا وإيثارها على الآخرة ، فإن ذلك مسن صفات أهل النار .

(١) رواه مسلم في صحيحه ٩٣/١ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) ريان الصالحين ص ٢٨٥ .

(٣) سورة النساء آية / ١٤٥ .

(٤) سورة المدثر آية / ٤٢ - ٤٦ .

قال تعالى ( فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هـي  
 المأوى ) (١) . إلى غير ذلك من الصفات الذميمة الكثيره التي يصعب حصرها  
 هنا ، وكما بين القرآن صفات أهل النار كذلك بين النبي صلى الله عليه  
 وسلم صفاتهم ، فقد قال عليه الصلاة والسلام " وأهل النار خمسة : الضعيف  
 الذي لا زهر له ، الذين هم فيكم شعبا لا يتهمون أهلا ولا مالا ، والخائن الذي  
 لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو  
 يخادك عن أهلك ومالك " وذكر البخل أو الكذب " والشنظير الفحاش (٢) .  
 ففي هذا الحديث قسم النبي صلى الله عليه وسلم أهل النار خمسة أصناف :

الصف الأول :-

الضعيف الذي لا زهر له ، ويعني بالزهر القوة والعرض على ما ينتفع به  
 صاحبه في الآخرة من التقوى والعمل الصالح .

### الصف الثاني :-

الخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ، أي يعني لا يقدر على  
 خيانه ولو كانت حقيرة يسيرة إلا يبادر اليها واغتنمها ، ويدخل في ذلك  
 التطفيف في الكمال والميزان وكذلك الخيانة في الأمانات الطيلة كالودائع  
 وأموال اليتامى وغير ذلك وهو خلسة من خصال النفاق ، ويدخل في الخيانة  
 من خان الله ورسوله في ارتكاب المعاصم سرا مع اظهار اجتنابها .

### الصف الثالث :-

المخادع الذي دأبه صباحا وساءا مخادعة الناس على أهليهم وأموالهم ،  
 والمخادع من أوصاف المنافقين كما وصفهم الله - تعالى - بذلك ، والمخادع معناه  
 اظهار الخير واضمار الشر لقصد التوصل إلى أموال الناس وأهاليهم والانتفاع

( ١ ) سورة النازعات آية / ٣٧ - ٣٩ .  
 ( ٢ ) رواه مسلم في صحيحه من حديث عياض بن حمار المجاشعي



بذلك ، وهو من جملة المكر والحيل المحرمة ، ينص الشارع .

#### الصف الرابع :-

الكذب والبخل ، ولم يحفظ الراوي ما قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا حفظاً جيداً ، والكذب والبخل خصلتان .

والكذب والبخل كلاهما ينشأ عن الشح ، والشح هو شدة حرص الإنسان على ما ليس له من الوجوه المحرمة ، وينشأ عنه البخل وهو إمساك الإنسان ما في يده والإمتناع عن إخراجه في وجوهه التي أمر بها ، فالمخادع الذي سبق ذكره هو الشحيح وهذا الصنف هو البخيل ، فالشحيح أخذ المال بتغيير حقه والبخيل منعه من حقه ، وينشأ عن الشح أيضاً : الكذب والمخادعة ، والتحليل على ما لا يستحقه الإنسان بالطرق الباطلة المحرمة قال صلى الله عليه وسلم " إن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار (١) .

وفي مسند الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم " ما عمل أهل النار ؟ قال : " الكذب ، إذا كذب - العبد - فجر ، وإذا فجر كفر ، وإذا كفر دخل النار (٢) .

#### الصف الخامس :-

الشنظير : وقد فسر بالمسبب الخلق ، والفحاش هو الفاحش المتفحش وفي حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاءً فحشه (٣) .

( ١ ) رواه البخاري في صحيحه ٦٥ / ٤ ، ورواه مسلم أيضاً في صحيحه

٢٠١٣ / ٤ ، كلاهما من حديث ابن مسعود .

( ٢ ) ٠١٧٦ / ٢

( ٣ ) رواه البخاري في صحيحه ٧٠ / ٤ ، ومسلم ٢٠٠٢ / ٤ ، كلاهما من حديث

عائشة رضي الله عنهما .

وروى الترمذى عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم " إن الله ليغشى الفاحش البذي (١) والبذي الذي يجرى لسانه بالسفه ونحوه ممن لغوا الكلام .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قسماً :  
 " حسب الرجل أن يكون فاحشاً بذيلاً بخيلاً جباناً (٢) فالفاحش هو البذي  
 يفحش في منطقة ويستقبل الرجال بفتح الكلام من السب ونحوه ، ويأتى فى  
 كلامه بالسخف وما يفحش ذكره " أ . (٣) هـ .

ومن صفات أهل النار التي وضحها النبي صلى الله عليه وسلم مخالفتهم  
 الحق بعد معرفتهم له ، وقد يأصرون به ولا يفعلونه ، ويرتكبون المنكر وهم  
 يعرفون أنه منكر ، وقد ينهون عنه مراعاة للناس وتعمية لأفعالهم روى البخارى  
 ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة بن زيد رضي الله - تعالى - عنه قال :  
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>يقول</sup> " بجاه برجل فيطرح في النار فيطحن  
 فيها كما يطحن الحمار برحاً " فيطيف به أهل النار فيقولون : أي فلان ألسنت  
 كنت تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ؟ فيقول : كنت أمر بالمعروف ولا أفعله ،  
 وأنهى عن المنكر وأفعله (٤) .

وفيها من حديث حارثة بن وهب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
 " ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر (٥) .

قال النووي : العتل : الغليظ الجافي ، والجواظ : هو الجموع المنوع  
 وقيل : الضخم المختال في مشيته ، وقيل : القصير البطين " أ . (٦) هـ .

- ( ١ ) السنن ٢٤٤ / ٣ .
- ( ٢ ) ١٤٥ / ٤ من حديث عقبة بن عامر رضي الله - تعالى - عنه .
- ( ٣ ) التخويف من النار لابن رجب ص ٢٠٤ .
- ( ٤ ) صحيح البخارى مع الفتح ٤٨ / ١٣ ، ومسلم ٢٢٩٠ / ٤ - ٢٢٩١ .
- ( ٥ ) صحيح البخارى مع الفتح ٦٦٢ / ٨ ، ومسلم ٢١٩٠ / ٤ .
- ( ٦ ) رباى الصالحين ص : ١٣١ .

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله على الله عليه وسلم " قال الله - عز وجل - العزاة . ازاره والكبرياء رداؤه فمن ينازني عذبتة (١) .

فالمستكبر يعرض نفسه للذل والهوان فالذي يتعالى على الناس ويتعاضم عليهم فعاقة عظه ذلك أنه يذل ويهان بسبب تعاضده وتعاليه على الناس ، ومنازحته ربه فيها يختص به من الصفات كما قال تعالى : ( فالיום تجسرون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ) (٢) .

هذه عقوبة التكبر الشنيعة التي يجازى بها بعد الرجوع إلى الله - جل وعلا - ومن صفات

ومن صفات أهل النار التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم اتباعهم الشهوات روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله على الله عليه وسلم " حجبت الجنة بالمكاره وحجبت النار بالشهوات (٣) .

وعند مسلم " حفت الجنة بالمكاره وحجبت النار بالشهوات (٤) .  
" المكاره كل ما يشق على النفس فعله ويصعب عليها عظه كالظهاره فسي السبرات وغيرها من أعمال الطاعات ، والصبر على المصائب وجميع المكروهات .

( ١ ) ( ٢٠٢٣ / ٤ ) .

( ٢ ) سورة الأحقاف آية / ٢٠ .

( ٣ ) صحيح البخاري مع الفتح ( ١١ / ٣٢٠ ) .

( ٤ ) ( ٢١٧٤ / ٤ ) .

والشهوات كل ما يوافق النفس ويلائمها وتدعو إلىه ويوافقها وأصل  
الحفاف الدائر بالشئ المحيطة به الذي لا يتوصل إليه الا بعد أن  
يتخطى فضل صلى الله عليه وسلم المكاره والشهوات بذلك ، فالجنة لا تنال  
إلا بقطع مفاوز المكاره ، والصبر عليها ، والنار لا ينجو منها إلا بتسرك  
الشهوات وقيام النفس عنها (١) .

وروى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تعاجت الجنة والنار فقالت النار :  
أوثرت بالتكبريسن والتجبريسن ، وقالت الجنة : فما لي لا يدخلني إلا  
ضعفاء الناس وسقطهم (٢) .

قال الله - عز وجل - للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي  
وقال للنار : أنت عذابي أذهب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة  
منكما ملؤها .

وأما النار فلا تمتلى\* حتى يضع عليها رجله فتقول : قط ، قط (٣) ، فهناك  
تتملى\* ويزوى بعضها إلى بعض ، ولا يظلم من خلقه أحدا ، وأما الجنة فان  
الله ينشئ\* لها خلقا (٤) .

(١) التذكرة للقرطبي ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٢) سقطهم : أي ضعفاؤهم والمحتقرون منهم .  
شرح النووي ١٧٢ / ١٨١ .

(٣) قط قط : بمعنى : حسب وتكرارها للتأكيد .  
النهاية لابن الأثير ٧٨ / ٤ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ٤٣٤ / ١٣ ، صحيح مسلم ٢١٨٦ / ٤ ،  
واللفظ له .

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال :  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " صنفان من أهل النار لم أرهما :  
قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات  
مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت<sup>(١)</sup> العاطة لا يدخلن الجنة ولا يجدن  
ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا<sup>(٢)</sup> .

وأعمال أهل النار وصفاتهم كثيرة جدا وقد استوفى الكثير منها شيخ  
الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) معناه : أنهم يعظمون رؤوسهن بالخمر والمقام وغيرها مما يلف على  
الرأس حتى تشبه أسنمة الإبل البخت . شرح النووي ١٧ / ١٩١ .

( ٢ ) صحيح مسلم ٤ / ٢١٩٢ .

( ٣ ) مجموع الفتاوى ١٠ / ٤٢٣ - ٤٢٤ .

- الصحاح الضادس -

أهدية النار ودوام عذابها

لقد دلت السورة على أهدية النار ودوام عذابها في قوله - تعالى -  
( قل يا قوم اعطوا على مكانتكم اني عامل فسوق تعلمون . من يأتيه عذاب  
يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ) ،

وقال تعالى ( قل ان خلوا أبواب جهنم خالد بين فيها فبئس مشوى  
المتكبرين ) .

هذه الآيات من السورة فيها دلالة واضحة على أن عذاب جهنم دائم  
وستمر لا انقطاع له ، وأن أهلها خالدون مخلدون فيها .

فآية الأولى : من هذه الآيات وهي قوله - تعالى - ( قل يا قوم  
اعطوا على مكانتكم اني عامل فسوق تعلمون ) فيها أمر من الله - تعالى -  
لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يهدد المشركين ويتوعدهم بالعذاب إن هم  
استمروا على شركهم وكفرهم بالله تعالى .

ويخبرهم بأنه ثابت ومستمر على طريقته وطته ودينه وأنه لن يحمده عن  
التوحيد والإيمان بالله - تعالى - وأن المستقل سيكشف لهم عن ينزل به  
عذاب الله في الدنيا فيخزيه ، ثم في الآخرة يحل به العذاب الدائم الذي  
لا انقطاع له وهو عذاب جهنم .

قال ابن جرير عند قوله تعالى : ( من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه

عذاب مقيم ) .

وقوله ( من يأتيه عذاب ) يقول تعالى ذكره : من يأتيه عذاب يخزيه ،  
ما أتاه من ذلك العذاب ، يعني يذله ويهينه ( ويحل عليه عذاب مقيم )  
يقول : ينزل عليه عذاب دائم لا يفارقه " أ. هـ (١) .

وقال العلامة ابن كثير ؛ ( من يأتيه عذاب يخزيه ) أي : في الدنيا  
( ويحل عليه عذاب مقيم ) أي : دائم مستمر لا محيد له عنه وذلك يسوم  
القيامة " أ. هـ (٢) .

وجاء في تفسير روح المعاني ؛ قوله تعالى ؛ ( من يأتيه عذاب يخزيه  
ويحل عليه عذاب مقيم ) فإن الأول إشارة إلى العذاب الأخرى فإن العذاب  
المقيم عذاب النار " أ. هـ (٣) .

وجاء في فتح القدير ؛ ( فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ) أي :  
يهينه ويذله في الدنيا فيظهر عند ذلك أنه المبطل وخصه المحق ، والمراد  
بهذا العذاب عذاب الدنيا وما حل بهم من القتل والأسر والقهر والذلة .

ثم ذكر عذاب الآخرة فقال ؛ ( ويحل عليه عذاب مقيم ) أي : دائم  
مستمر في الدار الآخرة وهو عذاب النار " أ. هـ (٤) .

وأما قوله تعالى ؛ ( قبل أن يخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فئس  
سوى المتكبرين ) .

فقد قال ابن جرير حول هذه الآية ؛ " يقول تعالى ذكره ؛ ( فتقول  
خزنة جهنم للذين كفروا حينئذ ؛ ( أذ خلوا أبواب جهنم ) السبعة على قدر

( ١ ) جامع البيان ٨ / ٢٤ .

( ٢ ) تفسير القرآن العظيم ٦ / ٩٥ .

( ٤ ) ٤ / ٤٦٥ .

( ٣ ) ٧ / ٢٤ .

منازلكم فيها ( خالد بن فيها ) يقول : ما كنتم فيها لا ينظون إلى غيرها  
 ( فيئس شوى المتكبرين ) يقول : فيئس مسكن المتكبرين طى الله في الدنيا ،  
 أن يوحدوه ويفردوا له الألوهة جهنم يوم القيامة " أ. هـ (١)

وقال ابن كثير : " وقوله تبارك وتعالى ههنا ( قيل ادخلوا أبواب  
 جهنم خالد بن فيها ) أي : كل من آهم وطم حالهم يشهد عليهم بأنهم  
 مستحقون للعذاب ولهذا لم يسند هذا القول إلى قائل معين بل أطلقه  
 ليدل على أن الكون شاهد عليهم بأنهم يستحقون ما هم فيه بما حكم العدل  
 الخبير عليهم به ولهذا قال - جل وعلا - ( قيل ادخلوا أبواب جهنم خالد بن  
 فيها ) أي : ما كنتم فيها لا خروج لكم عنها ولا زوال لكم عنها ( فيئس شوى  
 المتكبرين ) أي : فيئس المصير ويئس العقيل لكم بسبب تكبركم في الدنيا  
 وإياكم عن اتباع الحق فهو الذي صيركم إلى ما أنتم فيه فيئس الحال ويئس  
 المال " أ. هـ (٢)

ومن أقوال العلماء التي سقناها حول الآيات الثلاث المتقدمة من  
 السورة يتبين وجه دلالة السورة على أبدية النار ودوامها وعدم فنائها  
 وخلود أهلها فيها وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة تدل على أبدية النار  
 ودوام عذاب الكفار فيها .

قال تعالى ( إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم  
 طريقاً إلا طريق جهنم خالد بن فيها أبداً وكان ذلك طى الله يسيراً (٣) .

وقال تعالى : ( إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالد بن فيها  
 أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً (٤) .

( ١ ) جامع البيان ٢٤ / ٣٤ .

( ٢ ) تفسير القرآن العظيم ٦ / ١١٢ .

( ٣ ) سورة النساء آية / ١٦٨ - ١٦٩ .

( ٤ ) سورة الأحزاب آية = ٦٤ .



وقال تعالى : ( ونادوا يا مالِك ليقضى علينا ربك قال انهم ماكتون )<sup>(١)</sup>  
قال عبد الله بن عمرو : أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم  
يقول : انكم ماكتون ، ثم يدعون ربهم فيقولون : ربنا اخرجنا منها فان عدنا  
فإننا ظالمون فلا يجيبهم مثل الدنيا ثم يقول : افسأوا فيها ولا تكلمون ثم  
يبأس القوم فما هو الا الزفير والشهيق تشبه أصواتهم أصوات الحمير أولها  
شهيق وآخرها زفير<sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى : ( إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك  
أصحاب النار هم فيها خالدون )<sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى ( ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها  
أبدا )<sup>(٤)</sup> .

فهذه الآيات القرآنية دلت على أن عذاب جهنم لا انقطاع له ، وأن  
أهلها من الكفار والمشركين والجاحدين خالدون مخلدون فيها "أي :  
لا يخرجون منها ولا هي تفتى بهم ، فيزولوا بزوالها ، وإنما هي حياة  
أبدية لا نهاية لها"<sup>(٥)</sup> .

"فإذا جاء مع لفظ خلود الكفار في النار وصف بتأبيده كان ذلك تأكيدا  
للخلود الذي لا نهاية له ولا أم لا نقضه"<sup>(٦)</sup> .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل النار خالدون فيها  
أبدا .

- 
- ( ١ ) سورة الزخرف آية / ٧٧ .  
( ٢ ) أنظر مجمع الزوائد . ٣٩٦ / ١ ، وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .  
( ٣ ) سورة الأعراف آية / ٣٦ .  
( ٤ ) سورة التجمن آية / ٢٣ .  
( ٥ ) انظر تفسير المنار / ١ / ٢٣٤ .  
( ٦ ) انظر كتاب " الإنسان في القرآن الكريم لعبد الكريم الخطيب ص ٤٧٠ " .

فقد روى الامام مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله  
عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إذا صار أهل الجنة إلى الجنة  
وعار أهل النار إلى النار ، أتى بالموت حتى يجعل بين الجنة ، والنسار  
ثم يذبح و ثم ينادى مناد : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت  
فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزناً إلى  
حزנם (١) .

" فهذا الحديث نص صريح في خلود أهل النار فيها ، لا إلى غاية  
ولا إلى أمد ، مقيمين على الدوام والسرد من غير موت ولا حياة ، ولا راحة ،  
ولا نجاة ، بل كما قال تعالى في كتابه الكريم وأوضح فيه عن عذاب الكافرين  
( والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم مسن  
عذابها كذلك تجزى كل كفور ) (٢) . . . . فمن قال إن أهل النار يخرجون  
منها وأن النار تبقى خالية بحطتها خاوية على عروشها ، وأنها تنفسى ،  
وتزول فهو خارج عن مقتضى المعقول ، ومخالف لما جاء به الرسول ،  
وما أجمع عليه أهل السنة ، والأئمة المدول .

قال تعالى : ( ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع  
غير سبيل الموصفين نوله ما تولى ونسله جهنم وساءت مصيراً ) (٣) ، وإنما تخلى  
جهنم وهي الطبقة العليا التي فيها العصاة من أهل التوحيد (٤) .  
والخلاصة ما تقدم أنه يجب على المسلم أن يؤمن بما دل عليه كتاب الله  
وسنة رسوله بأن أهل الكفر والشرك والالحاد خالدون في النار خلوداً موهبداً ،  
دائماً بلا انقطاع ، ولا فتور وظى هذا أجمع طمناً الاسلام ، وأئتمته المدول .

( ١ ) ٢١٨٩ / ٤ .

( ٢ ) سورة فاطر آية / ٣٦ - ٣٧ .

( ٣ ) سورة النساء آية / ٥٦ .

( ٤ ) انظر التذكرة للقرطبي ع ٤٣٦ - ٤٣٧ .

قال أبو الحسن الأشعري :

" قال أهل الإسلام جميعاً ليس للجنة والنار آخر ، وأنهما لا تزالان باقيتين ، وكذلك أهل الجنة لا يزالون في الجنة يتمتعون وأهل النار لا يزالون في النار يعذبون وليس لذلك آخر ولا لمعلوماته ومقدورات غايبة ولا نهاية (١) .

وقال ابن حزم في معرني حكايته الأمور التي أجمع عليها المسلمون :  
 " وأن النار حق وأنها دار عذاب أبدا لا تفنى ، ولا يفنى أهلها أبداً بلا نهاية وأنها أعدت لكل كافر مخالف لدين الإسلام ولمن خالف الأنبياء السالفين قبل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلينهم الصلاة والتسليم وبلغ خبره إليه (٢) .

وقال العلامة السيوطي مصرحاً بعدم فنائها :-

ثمانية حكم البقاء يعمها ... من الخلق والباقون في حيز العدم  
 هي العرش والكرسي ونار وجنة ... وعجب وأرواح كذا اللوح والظلم (٣)

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله : " وأما النار فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال والشارب ودار الخبيثين ، فالله تعالى - يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيؤكده كما يؤكده الشبيء لتراكم بعضه على بعض ثم يجعله في جهنم مع أهلها فليس فيها إلا خبيث ، ولما كان الناس على ثلاث طبقات ، طيب لا يشوبه خبيث ، وخبث لا طيب فيه

( ١ ) أنظر المقالات ١ / ٢٤٤ .

( ٢ ) مراتب الإجماع ص ١٧٣ .

( ٣ ) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الامام ابن القيم

وآخرون فيهم خبت وطيب كانت دورهم ثلاثة :-

دار الطيب المحض .

ودار الخبت المحض .

وهاتان الداران لا تغنيان !

ودار لمن معه خبت وطيب وهي الدار التي تغني وهي دار العصاة ، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد ، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار  
السخيت المحض (١) !

وقال الطحاوي :-

" والجنة والنار مخلوقتان لا تغنيان ولا تهيدان (٢) .

وقال السفاريني : بعد أن ساق كثيرا من الأدلة الدالة على أبدية الجنة والنار " ثبت بما ذكرنا من الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلودا موهدا كل بما هو فيه من نعيم وعذاب أليم وطى هذا إجماع أهل السنة والجماعة ، فأجمعوا على أن عذاب الكفار لا ينقطع كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع ودليل ذلك الكتاب والسنة ، وزعمت الجهمية أن الجنة والنار حفتان ، وقال هذا إمامهم جهم بن صفوان إمام المعطلة ، وليس له في ذلك سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أهل أئمة الدين ، ولا قال به أحد من أهل السنة (٣) .

( ١ ) الوابل الصيب ص ١٨ .

( ٢ ) العقيدة الطحاوية مع شرحها ص ٤٧٦ .

( ٣ ) لوامع الأنوار البهية ٢ / ٢٣٤ .

هذا ما يجب على المسلم أن يعتقد في الجنة والنار وهو  
أنهما مخلوقتان لا يتطرق إليهما الفناء ولا الإباده وأن أهلها كل  
خالد فيما هو فيه من نعيم ، وعذاب ، فأهل الجنة منعمون فيها ، وأهل  
النار معذبون بلا فتور ولا انقطاع وهذا هو معتقد الفرقة الناجية أهل  
السنة والجماعة<sup>(١)</sup> جعلنا الله منهم .

---

(١) وقد عد بعض العلماء الأقوال في أبدية النار إلى سبعة أقوال .  
انظر : "حادى الأرواح " عن ٢٤٨ - ٢٤٩ ، شرح الطحاوية  
ص ٤٨٣ ، فتح البارى ١١ / ٤٢١ - ٤٢٢ ، لوامع الأنوار البهيمية  
٢ / ٢٣٤ - ٢٣٥ ، بمقظة أولى الاعتبار لصدىق خان ص ٤١ ، جلاء  
المبينين ص ٤٢٠ - ٤٢١ .

## الفصل الثالث

- الفصل الثالث -

الجنة دار العتقين

ويشتمل على المباحث الآتية :-

تمهيد :-

- المبحث الأول : كيفية دخول أهل الجنة الجنة .
- المبحث الثاني : أبواب الجنة .
- المبحث الثالث : خزنة الجنة .
- المبحث الرابع : أرض الجنة .
- المبحث الخامس : صفات أهل الجنة .
- المبحث السادس : غرف الجنة ، وقصورها ، وأنهارها .
- المبحث السابع : أبدية الجنة ودوام نعمتها .
- المبحث الثامن : وجوب الإيمان بالعرش وهو سقف الجنة .

إن الجنة هي دار الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدق يقيمين  
والشهداء والصالحين ، وهي دار جناتها تجري من تحتها الأنهار قصورها  
لهنة من ذهب ، ولهنة من فضة ، وملاطها<sup>(١)</sup> المسك الأذفر ، وحصاؤها  
اللؤلؤ والياقوت ، وتربتها الزعفران وغيامها اللؤلؤ المجوف ، وهي  
نور بتلألأ ، وريحانه تهتز ، ونهر مطرد وفاكهة وخضرة وزوجات حسان  
فيها السدر المخضود ، والطلح المنضود ، والظل المدود والمساء  
المسكوب ، أهلها يأكلون فيها ويتنعمون ، ولا يمتخطون ، ولا يبولون  
بل مسك يوشح ، ويحيون ولا يموتون وجوههم سفره ضاحكة مستبشرة  
فيها الجمال المبين فيها الأزواج من الحور العين ، كل نعيمها دائم ،  
وكل شيس فيها باسم ، فيها يرفع العجاب ، وينظرون إلى وجه العزيز  
الوهاب ، ومهما عرفنا عن صفاتها فإن تعبيرنا لا يحيط بما هي عليه ،  
ولا يمكن أن يصفها أحد كما هي عليه حقيقة إلا شخص واحد ذلكم هو  
الرسول صلى الله عليه وسلم الذي تلقى صفاتها عن - الباري جل وعلا -  
وأبها جاءت الأحاديث الصحيحة أنه طيبه الصلاة والسلام رآها مرتين ،  
مرة في اليقظة<sup>(٢)</sup> ، ومرة مناماً<sup>(٣)</sup> فلنستمع إليه وهو يصفها .

(١) أي : طينها .

(٢) أنظر الحديث الطويل الذي جاء في صلاه الكسوف وفيه أنه صلى الله  
عليه وسلم رأى الجنة وهم أن يتناول منها عنقوداً وهذه الرواية كانت  
يقظة الحديث في صحيح البخاري ١/١٨٧ ، صحيح مسلم ٢/٦١٩ .(٣) رويته لها مناماً جاء ذلك في صحيح البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة  
"بيننا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت  
لمن هذا القصر فقالوا : لعمر . . . الحديث صحيح البخاري ٢/٢١٦ ،  
صحيح مسلم ٤/١٨٦٣ .



روى البخارى ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضى الله عنه  
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال الله - عز وجل - أعددت  
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر  
فاقرءوا إن شئتم ( فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ) (١) .

فهذا الحديث القدسي بين الله - تعالى - فيه أنه أعد لعباده  
الصالحين من النعيم في الجنة ما تقصر عقول البشر عن الإحاطة به .  
وقد ورد في سورة " الزمر " آيات تضمنت ذكر ما حدثت تتعلق بالجنة  
وهي ما سنتحدث عنها فيما يأتي :-

---

(١) صحيح البخارى ٢/٢١٧ ، صحيح مسلم ٤/٢١٢٤ ، والآية  
رقم (١٢) من سورة السجدة .

## - المبحث الأول -

## كيفية دخول أهل الجنة الجنة

لقد بين الله في سورة " الزمر " كيفية التي يدخل بها المتقون الجنة بقوله - تعالى - ( وسبق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا )<sup>(١)</sup> فقد بين تعالى أن دخولهم الجنة يكون على هيئة جماعات متتابعة ، وأفواج متتالية كما يفهم ذلك من قوله - عز وجل - ( زمرا ) ودخولهم الجنة على هذا النحو يجعلهم فرحين مستأنسين بعضهم ببعض .

ولقد بين النبي صلى الله عليه وسلم صفة كل زمرة على حده .  
 جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليله البدر لا يبصقون فيها ولا يتخطون ولا يتفوطون فيها . آنتهم وأشاطهم من الذهب والفضة ومجارهم من الألوة"<sup>(٢)</sup> ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مشخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض ظوهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وفتحاً"<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) جاء في اللسان : " والزمرة الفوج من الناس والجماعة من النساس وقيل : الجماعة في تفرقة ، والزمرة الجماعات " أ . هـ ٣٢٨ / ٤ .  
 ( ٢ ) الألوة : في النهاية : هو العمود الذي يتخربه " ٦٣ / ١ .  
 ( ٣ ) صحيح البخاري ٢ / ٢١٧ ، صحيح مسلم ٤ / ٢١٨٠ .

وهذه الصفات في هذا الحديث هي صفات السابقين الذين كانوا في دنياهم سابقين إلى فعل الخيرات فكان جزاؤهم في الآخرة أن سبقوا إلى الجنات ، إذ سبقهم في الآخرة كان على قدر سبقهم إلى الطاعات في هذه الحياة الدنيا .

وأما صفة الزمرة التي تلي أولئك المقربين في دخول الجنة فقد جاء أن أحدهم يرى كأشد الكواكب إضاءة في السماء .

روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي هريرة أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتخيطون ولا يتنظون أشراطهم الذهب ورشحهم المسك ، ومجارهم الأتوة ، وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد . على صورة أبيهم آدم . ستون ذراعا في السماء (١) .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أول زمرة تدخل الجنة من أتى على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة ، ثم هم بعد ذلك منازل . . . الحديث (٢) .

( ١ ) صحيح البخاري ٢ / ٢١٧ ، صحيح مسلم ٤ / ٢١٧٩ .

( ٢ ) صحيح مسلم ٤ / ٢١٧٩ .

وروى الشيخان أيضا من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا ، أو سبعمئة ألف - لا يدري أبو حازم أيهما قال : تتعاسكون ، آخذ بعضهم بعضا لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر ( ١ ) .

فله ما أعظم هذا النعيم ، وما أجمل هذا التكريم الذي يناله أولئك المتقون المؤمنون ، وبإزالة من حرمة ولم يظفر به وذلك هو الخسران المبين .

---

( ١ ) صحيح البخاري مع الفتح ( ٤١٦ / ١ ) ، صحيح مسلم ١ / ١٩٨ -

## - المبحث الثاني -

أبواب الجنة

ورد ذكر أبواب الجنة في السورة من غير نس على عددها ، أو تسميتها  
قال تعالى : ( وسبق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها  
وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ) .

قال العلامة ابن القيم بعد أن ذكر هذه الآية مبينا أسرارها العجيبة  
ومعانيها الدقيقة .

قال رحمه الله : " وقال في صفة النار ( حتى إذا جاءوها فتحت  
أبوابها ) بغير واو فقالت طائفة : هذه واو الثمانية دخلت في أبواب  
الجنة لكونها ثمانية وأبواب النار سبعة فلم تدخلها الواو ، وهذا قول ضعيف  
لا دليل عليه ، ولا تعرفه العرب ، وإنما هو من استنباط معنى المتأخرين .

وقالت طائفة أخرى : الواو زائدة والجواب الفعل الذي بعدها كما هو  
في الآية الثانية ، وهذا أيضا ضعيف فإن زيادة الواو غير معروف في كلامهم  
ولا يليق بأفصح الكلام أن يكون فيه حرف زائد لغير معنى ولا فائدة .

وقالت طائفة ثالثة : الجواب محذوف ، وقوله ( وفتحت أبوابها ) عطف  
على قوله ( جاءوها ) وهذا اختيار أبي عبيدة والمبرد <sup>(١)</sup> والزجاج وغيرهم .  
قال المبرد : وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم ، قال أبو الفتح ابن جنبي <sup>(٢)</sup>  
وأصحابنا يدعون زيادة الواو ويرون أن الجواب محذوف للمعلم به .

( ١ ) هو : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشامي الأزدي أبو العباس المعروف  
بالمبرد إمام العربية ببغداد في زمنه . ولد سنة عشر ومائتين وتوفي  
سنة ست وثمانين ومائتين هجرية .

بغية الوعاة ١/ ٢٦٩ ، وفيات الأعيان ٤٩٥/١ ، تاريخ بغداد ٣/ ٣٨٠ .

( ٢ ) هو : عثمان بن جنبي الموالي أبو الفتح من أئمة الأدب والنحو .  
توفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة .

أنظر ترجمته في : " وفيات الأعيان ٣/ ٣١٣ ، بغية الوعاة ٢/ ١٣٢ ، شذرات  
الذهب ٣/ ١٤٠ . "

قال ابن القيم : " بقي أن يقال : فما السر في حذف الجواب في آية أهل الجنة ، وذكره في آية " أهل النار " ؟ فيقال : هذا أبلغ في الموضعين فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة حتى إذا وصلوا إليها فتحت في وجوههم فيفجأهم المذاب مفتلة فحين انتهوا إليها فتحت أبوابها بلا مهلة ، فإن هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عقبه فإنها دار الإهانة والخزي فلم يستأذن لهم في دخولها ، ويطلب إلى خزنتها أن يمكنوهم من الدخول .

وأما الجنة فإنها دار الله ودار كرامته ، وصل خواصه وأوليائه فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولي العزم من رسله ، وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلائل على خاتمهم وسيدهم ، وأفضلهم فيقول أنا لها فيأتني إلى تحت العرش ويخر ساجدا لربه فيدعيه ماشاء أن يدعه ثم يأذن له في رفع رأسه وأن يسأل حاجته فيشفع إليه - سبحانه - في فتح أبوابها فيشفعه ويفتحها تعظيما لخطورها ، وإظهارا لمنزلة رسوله وكرامته طيبه ، وإن مثل هذه الدار التي هي دار طوك ورب العالمين إنما يدخل إليها بعد تلك الأحوال العظيمة التي أولها من حين عقل العبد في هذه الدار إلى أن انتهت إلى إليها ، وما ركب من الأطباق طبقا بعد طبق وقاساه من الشدائد بشدة بعد شدة حتى أذن الله - تعالى - لخاتم النبياء ورسله وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه في فتحها لهم ، وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور مما يقدر بخلاف ذلك لئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذي يدخله من شاء ، فجنة الله عالية غالية ، بين الناس وبينها من العقبات

والمقاوِز والأخطار ما لا تنال إلا به فما لمن أتمتع نفسه هواها وتغنى على الله الأمانى ولهذا الدار طبعدها إلى ما هو أولي به ، وقد خلق له وهبى له ، وتأمل ما في سوق الفريقين إلى الدارين زمرًا من فرحة هؤلاء باخوانهم وسيوهم معهم كل زمرة على حدة كل مشتركين في عمل متما حبين فيه على زميرتهم وجماعتهم مستبشرين أقوياء الطوب كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم على الخير ، كذلك يؤنس بعضهم بعضًا ويفرح بعضهم ببعض ، وكذلك أصحاب الدار الأخرى يساقون إليها زمرًا يلحن بعضهم بعضًا ، ويتأذى بعضهم ببعض وذلك الملمح في الخزى والفضيحة والبهتكة من أن يساقوا واحدًا واحدًا فلا تهمل تدبر قوله ( زمرًا ) . وقال خزنة الجنة لأهلها ( سلام عليكم ) فبدءوهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر ومكروه أي : سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون ، ثم قالوا : لهم طهتُم فادخلوها خالد بن ، أي سلامتكم ، ودخلها بطيخكم فإن الله حرمها إلا على الطيبين فمشروهم بالسلامة والطيب والدخول والخلود . .

وأما أهل النار فإنهم لما انتهوا إليها على تلك الحال من الهم والحزن والحزن وفتحلتهم أبوابها وقفوا عليها وزهدوا على ما هم عليه توبخ خزنتها وتبكتهم لهم بقولهم ( ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ) فاعترفوا ، وقالوا : بلى فمشروهم بدخولها والخلود فيها وأنها بمنس العوى لهم ، وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها ( ادخلوها ) وقول خزنة النار لأهلها ( ادخلوا أبواب جهنم ) تجد تحته سرًا لطيفًا ومعنى بدعها لا يخفى على التأمل وهو أنها لما كانت دار العقوبة وأبوابها أفتح شيئا وأشد حرا وأعظم عما يستقبل فيها الداخل من العذاب ما هو

أشد منها ويدنو من الغم والخزي والحزن والكرب بدخول الأبواب فقيسل :  
 ادخلوا أبوابها صفارا لهم وإن لا ولا وخزيا ، ثم قيل : لهما يقتصر بكم طسى  
 مجرد دخول الأبواب الفظيعة ولكن وراءها الخلود في النار ، وأما الجنة فهي  
 دار الكرامة والمنزل الذي أعد الله لأوليائه فبشر وأمن أول وهلة بالدخول  
 إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها ، وتأمل قوله - سبحانه - ( جنات عدن  
 مفتحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب ) (١) كيف  
 تجد تحته معنى يدعوا وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم  
 بل تبقى مفتحة كما هي ، وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها  
 كما قال تعالى ( إنها عليهم مؤعدة ) (٢) أي مطبقة مغلقة ومنه سمي الباب  
 "وعيدا" وهي ( مؤعدة في عهد مدد ) قد جعلت العهد مسككة  
 للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذي يجعل خلف الباب .

قال مقاتل : يعني أبوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لها باب ولا يخرج  
 منها غم ولا يدخل فيها روح آخر الأبد .

وأياها : فإن في تفتح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم  
 وإياهم وتبوتهم في الجنة حيث شاءوا ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف  
 والألطف من ربهم ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت وأيضا إشارة إلى أنها  
 دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك  
 في الدنيا (٣) .

ولقد اقتبست هذا النص بطوله من كلام ابن القيم لما فيه من تجليسة  
 وبيان لمعاني الآية المتقدمه ذلك أن هذا التنقيب لإخراج تلك المعانسي  
 الدقيقة والأسرار العجيبة في تلك الآية لم أجده بهذه الصورة البديعة عند

(١) سورة (ص) آية / ٢٣ - ٢٤ .  
 (٢) سورة الهمزة آية / ٨ .  
 (٣) حادي الأرواح ص ٣٨ - ٤٠ .



غير ابن القيم رحمه الله - تعالى - عليه ثم اني قلت قريبا ان ذكر أبواب الجنة في السورة قد ورد مطلقا من غير نص على عدد ها ، أو تسميتها ، وكذلك غيرها من سور القرآن التي ورد فيها ذكر أبواب الجنة فانه لم يرد فيها التنصيص على العدد أو التسمية لتلك الأبواب .

قال تعالى : ( جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والطلائكة يدخلون عليهم من كل باب ) (١) .

وقال عز وجل - ( جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ) (٢) .

أما السنة النبوية الشريفه فقد بينت أن عدد أبواب الجنة ثمانية ، كما بينت أسماء بعضها ، وأن أعلا تلك الأبواب هو باب الجهاد ، ولها باب يقال له الريان لا يدخل منه إلا الصائمون ، فإذا دخلوا أغلق ، فلا يدخل منه أحد غيرهم ولكل نوع من الأعمال الصالحة باب يدخل منه أهله المرزون فيه وقد يدعى العبد من تلك الأبواب الثمانية جميعها اذا قام بجميع شعيب الايمان ، ووفى بجميع شرائع الاسلام ، ومن هذا النوع صدق هذه الأمة وأفضل الناس جميعا بعد النبيين أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضي الله عنه وأرضاه .

روى الشيخان بإسنادهما من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم يقال : أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد " (٣) .

( ١ ) سورة الرعد آية / ٢٣ .

( ٢ ) سورة ( ص ) آية / ٥٠ .

( ٣ ) صحيح البخاري ( ١ / ٣٢٤ ) ، صحيح مسلم ( ٢ / ٨٠٨ ) .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين في شئ من الأضياف في سبيل الله دعي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام فقال أبو بكر : يا أيها رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة ؟ فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ فقال نعم وأرجو أن تكون منهم (١) .

" لما سمتهم الصدق إلى تكميل مراتب الإيمان ، وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الأبواب كلها سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يحصل ذلك لأحد من الناس ليسعى في العمل الذي ينال به ذلك فخبّره بحصوله ، وبشّره بأنه من أهلها ، وكأنه قال : هل تكمل لأحد هذه المراتب فيدعى يوم القيامة من أبوابها كلها ؟ ظله ما أظن وأكبر هذه النفس (٢) .

وقال الحافظ ابن حجر " في الحديث اشعار بقلة من يدعى من تلك الأبواب كلها وفيه إشارة إلى أن المراد ما يتطوع به من الأعمال المذكورة لا واجباتها لكثرة من يجتمع له العمل بالواجبات كلها بخلاف التطوعات فقل من يجتمع له العمل بجميع أنواعها ، ثم من يجتمع له ذلك إنما يدعى من جميع الأبواب على سبيل التكريم له ، وإلا فدخوله إنما يكون من باب واحد ولعله باب العمل الذي يكون أظن عليه . . والله أعلم " (٣) .

(١) صحيح البخاري ١/٣٢٥ ، صحيح مسلم ٢/٧١٢ .

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٢٥-٢٦ .

(٣) الفتح ٧/٢٨ - ٢٩ .

وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ ، أو فيسبح الوضوء ثم يقول : " أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة الثانية يدخل من أيها شاء (١) .

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث لقيط ابن عامر عند ما خرج واذا الى النبي صلى الله عليه وفيه " وان للجنة لثمانية أبواب ما منها ما ياهان الا يسير الراكب بينهما سبعين طاماً (٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام " ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يلسفوا الحنث الا تلقوه من أبواب الجنة الثانية من أيها شاء دخل (٣) .

وهكذا نرى أن السنة المطهرة أوضحت أن أبواب الجنة ثمانية كما عينت بمعنى أبوابها بأسمائها .

وأما سعة أبوابها وهي المسافة التي تكون بين مصراعي الباب فقد وردت بشأنها أحاديث عدة منها :

حدث الشافعية الطويل الحنفى طى صحته وهو العمري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بلحم فرفع إليه الذراع ، وكانت تعجبه فنهس (٤) منه نهسة فقال " أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر . . . . إلى أن قال عليه الصلاة والسلام " فأنتلق فأتى

( ٢ ) ٠١٤ / ٤

( ١ ) ٠٢١٠ / ١

( ٣ ) رواه ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه السنن

٠٥١٢ / ٢

( ٥ ) النهس : أخذ اللحم بأطراف الأسنان ، النهاية ٠١٣٦ / ٥

تحت العرش فأقع ساجدا لربي ، ثم يفتح الله عليّ ويلبمني من حاميده ،  
 وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ، ارفع  
 رأسكسل تعطه ، اشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول : يا رب . أمي . أمي .  
 فيقال : يا محمد . أدخل الجنة من أمك من لا حساب عليه من الباب الأيمن  
 من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذي نفس  
 محمد بيده إن ما بين الصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أو كما  
 بين مكة وبصرى .

وفي لفظ آخر " والذي نفس محمد بيده إن ما بين الصراعين من مصاريع  
 الجنة إلى عضادتي الباب <sup>(١)</sup> لكما بين مكة وهجر ، أو هجر ومكة . هذا لفظ  
 مسلم ، ولفظ البخاري " إن ما بين الصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة  
 وحمير ، أو كما بين مكة وبصرى <sup>(٢)</sup> .

وروى الامام أحمد من حديث حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم قال : " أنتم توفون سبعين أمة " أنتم خيرها وأكرمها  
 على الله ، وما بين صراعين من مصاريع الجنة مسيره أربعين عاما ، وليأتين  
 عليه يوم وإنه لكتظيظ <sup>(٣)</sup> .

وأما مقدار المسافة التي تكون بين كل ما بين :-

فقد قدرته مسيرة سبعين عاما . روى الطبراني <sup>(٤)</sup> في معجمه

(١) عضادتا الباب : هما خشبته من جانبيه ، شرح النووي على مسلم  
 ٠٧٠/٣

(٢) صحيح مسلم ١/١٨٥-١٨٦ ، صحيح البخاري ٣/١٥٠ .

(٣) المسند ٣/٥ ، وانظر خطبته بن غزوان في صحيح مسلم ٤/٢٢٧٨-  
 ٢٢٧٩ ، ومسند أحمد ٤/١٧٤ .

(٤) هو : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، أبو القاسم  
 من كبار المحدثين أصله من طبرية الشام واليهما نسبه .  
 ولد " بعكا " سنة ستين ومائتين ، وتوفي سنة ستين وثلاثمائة هجرية .  
 أنظر ترجمته في : " وفيات الأعيان ١/٢١٥ ، النجوم الزاهرة ٤/٥٩ ،  
 تهذيب دمشق لابن عساكر ٦/٢٤٠ .

والامام أحمد في مسنده من حديث لقيط بن عامر رضي الله عنه أنه خرج  
 وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قلت يا رسول الله فما الجنة  
 والنار ؟ قال : " لعمر الهيك أن للنار سبعة أبواب ما ضمن بابان إلا يسير  
 الراكب بينهما سبعين عاما ، وأن للجنة ثمانية أبواب ما ضمن بابان إلا  
 يسير الراكب بينهما سبعين عاما . . . الحديث (١) .

وهذا الحديث الظاهر منه أن هذه المسافة بين الباب ، والنسب  
 لأن ما بين مكة وبصرى لا يحتمل التقدير بسبعين عاما ، ولا يمكن حمله على  
 باب معين لقوله " ما ضمن بابان " والله أعلم (٢) .

وبعد أن ذكرنا أبواب الجنة وما يتعلق بها من حيث سمعتها والمسافة  
 التي تكون بين كل بابين من أبوابها يحسن بنا أن نتبع ذلك بالمفتاح الذي  
 تفتح به تلك الأبواب .

فنقول : إن تلك الأبواب لا تفتح إلا لمن يملك مفتاحها ولا بد لهذا  
 المفتاح من أسنان حتى يكون صالحا للفتح ، ومفتاح تلك الأبواب هي كلمة  
 التوحيد ، وشهادة الاخلاص التي هي " لا اله الا الله " . وأما أسنان هذا  
 المفتاح فهي شرائع الإسلام كلها ، من الصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة  
 والجهاد وبر الوالدين وأداء الأمانة والإحسان إلى الجار وغير ذلك مما حث  
 عليه دين الإسلام الحنيف والمفتاح لا يكمل إلا بأسنانه أما بدونها فلا فقد  
 ذكر البخاري في صحيحه عن وهب بن منبه أنه قيل له أليس مفتاح الجنة

لا اله الا الله ؟ قال : بلى . ولكن ليس مفتاح إلا اله أسنان فإن جئت بمفتاح  
 (١) الحديث بطوله في " معجم الطبراني الكبير ٩ / ١ ( ٢١١ - ٢١٤ ) ، السنن  
 ٠١٤ / ٤

(٢) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٩٦ .

(٣) هو : وهب بن منبه بن كامل البجلي الصنعاني روى عن أبي هريرة  
 وأبي سعيد وابن عباس وابن عمر وغيرهم . قال العجلي : تابعي ثقة وكان  
 على قضاء صنعاء ووثقه أيضا : أبو زرعة والنسائي وابن حبان كان مولده  
 سنة أربع وثلاثين وتوفي سنة عشر ومائة هجرية .

أنظر ترجمته في " تهذيب التهذيب ١١ / ١٦٦ - ١٦٨ " .

له أسنان فتح لك والا لم يفتح لك<sup>(١)</sup>.

وجاء في عدة القارىء أن أبا نعم الأصبهاني قال : في كتابه "أحوال الموحدين" أن أسنان هذا المفتاح هي الطاعات الواجبة من القيام بطاعة الله - تعالى - وتأديتها والمفارقة لمعاصي الله ومجانبتها<sup>(٢)</sup> .

وفي الحقيقة أن هذا المثال الذي ضربه وهب بن منبه يجب اعتباره إذ أنه متضمن الإشارة إلى حل الإشكال في بعض أحاديث الوعد التي طرقت فيها دخول الجنة على قول "لا إله إلا الله" أو الموت على التوحيد ، فالواجب أن لا يفهم من تلك الأحاديث أن مجرد النطق بقول : "لا إله إلا الله" كاف في دخول الجنة والنجاة من النار ، بل لابد من القيام معها بحقوقها التي هي شرائع الإسلام والحرس قولاً وعملاً ، على تكميل مراتب الإيمان "فكلمه لا إله إلا الله" ، سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ، ومقتضى لذلك ، ولكن مقتضى لا يعمل عليه إلا باستجماع شروطه وانتفاؤه موانعه ، فقد يتخلف عنه مقتضاه لغوات شرط من شروطه ، أو لوجود مانع .

قال الحسن للفرزدق<sup>(٣)</sup> وهو يدفن امرأته : ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة . قال الحسن : نعم المدة لكن لا "لا إله إلا الله" شروطاً فأياك وقد فالمحصنه ، وقيل : للحسن إن ناساً يقولون من قال : لا إله إلا الله "دخل الجنة" فقال : من قال : لا إله إلا الله ، فأدى حقها وفرضها دخل الجنة<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) ٢١٥ / ١ ( ٢ ) عدة القارىء ٣ / ٨ .

( ٣ ) هو : همام بن غالب التميمي الدارمي أبو فراس الشهير بالفرزدق شاعر بلخ من أهل البصرة عظيم الأثر في اللغة من الطبقة الأولى في الإسلاميين كانت وفاته في بادية البصرة سنة عشر ومائة هجرية ، وكلمة الحسن له تعريفي بما كان الفرزدق يقول في شعره من هجر القول .  
أنظر ترجمته في : "خزانة الأدب للبهادر" ١ / ١٠٥ - ١٠٨ . وفيهيات الأعيان ٢ / ١٩٦ ، الأعلام ٩ / ٩٣ - ٩٧ .

( ٤ ) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب ١٣ - ١٤ .

## - المبحث الثالث -

خزنة الجنة

قال تعالى : ( وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوهـا

خالد بن ) .

والخزنة : جمع خازن مثل حفظة وحافظا وهو المؤمن على الشيء الذي  
الذي قد استحفظه (١) .

ففي هذه الآية الكريمة من السورة بين - جل و علا - بأن للجنة خزنة ،  
وهم القائمون عليها من الملائكة ، وأنهم يقولون : لأهل الجنة وهم المتقون  
إذا انتهوا إليها ( سلام عليكم طبتم ) .

فبيد أن الكلام معهم بالسلام الذي هو متضمن للسلامة من كل مكروه  
وشر ، وكانهم يقولون لهم : سلتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون ، ثم يقولون  
لهم : ان دخولكم الجنة كان بطيبكم ان الجنة حرمها الله على غير الطيبين ،  
فبشروهم بالسلامة ، والطيب والدخول والخلود فيها أبدا ، وهذه النتيجة  
النهائية لأهل الإيمان روى الإمامان البخاري وسلمفي صحيحهما بإسنادهما  
من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة يقول : " قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم " من أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة  
باب : أي فل (٢) هلتم " فقال أبو بكر : يا رسول الله ذلك الذي . -

(١) حادى الأرواح ص ٧٥ .

(٢) فل : معناه : أي فلان فرخم ونقل اهراب الكلمة على احدى اللغتين  
في الترخم ، وقيل : فل : لغة في فلان في غير النداء والترخم كذا  
نقله النووي عن القاضي عما في شرح النووي ١١٧/٧ .

لا توى عليه<sup>(١)</sup> قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إني لأرجو أن تكونون

منهم<sup>(٢)</sup> .

وروى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن : من أنت فأقول محمد . فيقول : بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك<sup>(٣)</sup> .

قال ابن القيم : " قد سمي الله - سبحانه وتعالى - كبير هذه الخزانة رضوان وهو اسم مشتق من الرضا " أ.هـ.<sup>(٤)</sup>

---

(١) لا توى عليه ؛ أى : لا ضياع ولا خسارة وهو من التوى ؛ الهلاك .

النهاية ٢٠١/١ ، هدى السارى ص ٩٤ .

(٢) البخاري ٢١٢/٢ ، صحيح مسلم ٧١٢/٢ ، وسند أحمد ٣٦٦/٢ .

(٣) ١٨٨/١ .

(٤) حادي الأرواح ص ٧٦ ، وانظر : البداية : ٥٣/١ .



## - المبحث الرابع -

## أرض الجنة

لقد بينت السورة أن المتقين هم الذين يرثون أرض الجنة ، وأنهم ينزلون منها حيث يشاءون ويسكنون منها منازل حيث يحبون ويشتهون وأنهم عند ما يشاهدون الجنة وما فيها من النعيم يحمدون ربهم ويشنون عليه ، وينوهون بصدق وعده لهم .

قال تعالى ( وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبها من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاطين ) .

فالمراد بالأرض في قوله ( وأورثنا الأرض ) هي : أرض الجنة .  
قال مجاهد في قوله تعالى ( وأورثنا الأرض ) قال : أرض الجنة وبهذا قال السدي وابن زيد وقادة وأبو العالية وأبو صالح (١) .

وقال المغوي : ( وأورثنا الأرض ) أي : أرض الجنة وهو قوله - عز وجل - ( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ) (٢) .

وقال ابن قتيبة (٣) : ( وأورثنا الأرض ) أي : أرض الجنة (٤) .

( ١ ) أبو العالية : رفيع بن مهران الرياحي البصري عالم بالقرآن توفي سنة إحدى عشرة ومائة هجرية .

انظر ترجمته في : " طبقات الحفاظ للسيوطي " ص ٢٩ ، تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٦١ ، تهذيب التهذيب ٣ / ٢٨٤ .

( ٢ ) جامع البيان ٢٤ / ٣٧ ، تفسير القرآن العظيم ٦ / ١١٦ ، والآية رقم ( ١٥٠ ) الأنبياء .

( ٣ ) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد من أئمة الأدب ، ومن المصنفين الكثيرين .

ولد ببغداد وسكن الكوفة ، ثم ولي قضاء الدينور مدة فنسب إليها .  
ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين وتوفي سنة ست وسبعين ومائتين هجرية .  
انظر ترجمته في : " وفیات الأعيان " ١ / ٢٥١ ، الميزان ٢ / ٥٠٣ ، الأعلام ٤ / ٢٨٠ .

( ٥ ) تفسير غريب القرآن ص ٣٨٤ .

وقال القرطبي : ( وأورثنا الأرض ) أى : أرض الجنة (١) .

وبعدنى أهل العلم يرى أن المراد بالأرض أرض الجنة التي كانت لأهل النار لو دخلوها .

قال ابن جرير ( وأورثنا الأرض ) بقول : وجعل أرض الجنة التي كانت لأهل النار لو كانوا أطاعوا الله في الدنيا قد دخلوها ميراثاً لنا (٢) .

ولعل مستندهم في حمل الآية على هذا قوله صلى الله عليه وسلم : " ما منكم من أحد الا له منزلان : منزل في الجنة ، ومنزل في النار فإذا مات قد دخل النار وورث أهل الجنة منزله ، فذلك قوله تعالى : ( أولئك هم الوارثون ) (٣) .

قال الحافظ : بعد أن ذكر هذا الحديث وقال جمهور المفسرين : في قوله تعالى ( وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وهدانا وأورثنا الأرض ) الآية المراد - أرض الجنة التي كانت لأهل النار لو دخلوا الجنة وهو موافق لهذا الحديث " أ. هـ " (٤) .

أقول :

كون الحديث دل على أن لكل أحد منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار هذا مما لا نزاع فيه بل يجب على كل امرئ الايمان بذلك الا أن حمل الآية عليه غير صواب لأن أهل الجنة يورثون من الجنة منازلهم المعدة لهم بسبب أعمالهم وتقواهم كما قال - عز وجل - ( ونودوا أن ظلم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ) (٥) .

( ١ ) الجامع لأحكام القرآن ٢٨٧ / ١٥ .

( ٢ ) جامع البيان ٣٤ / ٣٧ .

( ٣ ) رواه ابن ماجه فن حديث أبي هريرة رضى الله عنه ١٤٥٣ / ٢ .

( ٤ ) الفتح ١١ / ٤٤٢ .

( ٥ ) سورة الأعراف آية / ٤٣ .

وعلى سبيل الغري أن أهل الجنة يركبون منازل أهل النار وأن قصر الآية على ذلك يوهم أنهم ليس لهم في الجنة إلا ما أورثوا من منازل أهل النار والواقع من خلال النصوص يخالف ذلك . قال تعالى : ( تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً ) ( ١ ) .

وقال تعالى : ( قد أضح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم ووعدهم راعون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ) ( ٢ ) .

فهذه صفات وشروط الإرث للفردوس الأعلى فمن أحرز هذه الصفات وتحل بها كان من سكانها بعد رحمة الله تعالى .

وقال تعالى ( وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ) ( ٣ ) .

فهذه الآيات وأشباهاها بينت أن سبب إرث أهل الجنة للجنة هو تقواهم لربهم وما قد موا من الأعمال الصالحة في دنياهم وما ينبغي أن يعلم أن العمل لا يكفي مستقلاً في دخول الجنة بل لابد من رحمة الله تعالى . بعد ذلك .

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لن يدخل أحداً منكم عليه الجنة " قالوا : ولا أنت يا رسول الله . قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضله ورحمته .

( ١ ) سورة مريم آية / ٦٣ . ( ٢ ) سورة المؤمنون آية ١ - ١٠ .

( ٣ ) سورة الزخرف آية ٦ - ٧٢ .

وفيه أيضا : من حديث عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " سدوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل الجنة أحدًا عله " قالوا : ولا أنت ؟ يا رسول الله . قال ولا أنا إلا أن يتفقدني الله منه برحمة ، واعطوا أن أحب العمل إلى الله أو مـه وإن قل " .

ومن حديث جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يدخل أحدًا منكم الجنة ولا يجزيه من النار ولا أنا إلا برحمة من الله (١) .

فهذه الأحاديث تدل على أن العمل لا يكفي وحده لدخول الجنة بل الدخول فيها يكون برحمة الله - تعالى - وفضله مع مراعاة جانب العمل . قال النووي : " وفي ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعة وأما قوله - تعالى - ( آذ خلوا الجنة بما كنتم تعملون ) (٢) ( وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون ) ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة فلا يعارض هذه الأحاديث بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال ، ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله - تعالى - وفضله فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث ، ويصح أنه دخل بالأعمال أي : بسببها وهي من الرحمة والله أظم " أ. هـ (٤) .

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله - تعالى - " الأعمال أسباب لا أغواي وأثمان والذي نغاه النبي صلى الله عليه وسلم في الدخول بالعمل هو نفي استحقاق

(١) أنظر هذه الأحاديث الثلاثة في " صحيح مسلم " ٢١٧٠-٢١٧١ .

(٢) سورة النحل آية / ٣٢ . (٣) سورة الاعراف آية / ٤٣ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٠/١٦١-١٦١ .

المعنى ببذل عوضه فالمثبت بـ"السببية والمنفي بـ"المعاوضة والمقابلة وهذا  
فصل الخطاب في هذه المسألة "أ. (١).

وهكذا جمع أهل العلم بين الآيات القرآنية التي ظاهرها أن الانسان  
يدخل الجنة بعطيه وبين الأحاديث التي دلت على أن الجنة لا يدخلها  
أهلها الا برحمة الله وبمعرفة هذا الجمع بين الآيات القرآنية والأحاديث  
النبوية الشريفة يتضح الرد على القدرية النفاة الذين يثبتون الأحكام بالعقل ،  
ويوجبون على الله ثواب الأعمال ، كما يوجبون أن يفعل الأصلاح للعباد ،  
ويمنعون خلاف هذا ، وقولهم هذا صادر عن اختراعاتهم الباطلة التي ضمنها  
نصوص الشرع وراة ظهورهم وتحكيمهم بقولهم الفاسدة (٢) .

كما يتضح من الجمع السابق الرد على القدرية الجبرية الذين يلغون  
دور العمل في دخول الجنة او يتكفرون أن يكون سببا في النجاة من النار  
وكلا القولين باطلان بشهادة النقل والعقل والخطرة وقول كل من الطائفتين  
مشتتل على خطأ وصواب .

فالقدرية النفاة : أصابوا في إثبات السببية وحالفهم الخطأ في إثبات  
المعاوضة .

وأما القدرية الجبرية : فقد أصابوا في نفي المعاوضة ولازمهم الخطأ  
في نفي السببية والحق في هذه المسألة بين ذلك وهو أن المثبت في الآيات  
بـ"السببية والمنفي في الأحاديث بـ"المعاوضة والمقابلة كما تقدم في كلام  
ابن القيم رحمه الله - تعالى - فقد وفق الله أهل السنة لما اختلف فيه من الحق

( ١ ) مفتاح دار السعادة ٢ / ٩٢ ، وانظر حادي الأرواح ص ٦١ .

( ٢ ) انظر : المغني لعبد الجبار بن أحمد ١٤ / ١٧٢ وما بعدها ، وانظر :  
شرح النووي على صحيح مسلم ١٧ / ١٦٠ ، وانظر مفتاح دار السعادة  
لابن القيم ٢ / ٩٢ .

بأنه حيث جمعوا ما مع الطائفتين من الحق والصواب فكانوا أسعد بالحق  
منهما وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم<sup>(١)</sup> .

وبعد هذا الإسطراد اليسير الذي تحتم الإتيان به هنا ليتناسب  
مع الآيات والأحاديث التي تقدم ذكرها نعود إلى ما نحن بصدده البحث  
حول من بيان صفة أرض الجنة التي يوشها عباد الله المتقون فنقول : إنسه  
لا يستطيع أحد أن يصفها لنا كما هي عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ولنستمع إلى ما جاء عنه في ذلك :

روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه  
وسلم . . . . . قال في حديث الاسراء " ثم انطلق بي جبرائيل حتى أتسى  
سدرة المنتهى ففشيها ألوان لا أدري ما هي قال : ثم أدخلت الجنة فإذا  
فيها جنايذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك<sup>(٢)</sup> .

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه  
أن ابن صباد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة ؟ فقال : " در  
مكة بيضاء مسك خالص<sup>(٣)</sup> .

قال النووي : " قوله في تربة الجنة " هي در مكة بيضاء مسك خالص "   
قال العلماء : معناه أنها في البهاني در مكة وفي الطيب مسك والدرمك هو  
الدقيق الحواري الخالص البهاني " أ. هـ<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) استفاد من كتاب مفتاح دار السعادة ٢ / ٩٢ .

( ٢ ) جنايذ اللؤلؤ : قباب اللؤلؤ شرح النووي ٢ / ٢٢٢ ، فتح الباري  
٤٦٣ / ١ - ٤٦٤ .

( ٣ ) صحيح البخاري ٢ / ٢٣٢ ، صحيح مسلم ١ / ١٤٩ .

( ٤ ) ٢٢٤٣ / ٤ .

( ٥ ) شرح النووي ١٨ / ٥٢ .

وروى الامام أحمد وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال :  
قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال : لبنة ذهب ، ولبنسة  
فضة ، وملاطها<sup>(١)</sup> المسك الأذفر وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها  
الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ، ويخلد ولا يموت ، لا تبلى ثيابه ،  
ولا يفني شبابه<sup>(٢)</sup> .

وفي المصنف لابن أبي شيبة<sup>(٣)</sup> أن ابن عمر قال : قيل يا رسول الله كيف  
بناؤ الجنة ؟ قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب ملاطها مسك وحصاؤها  
اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران<sup>(٤)</sup> .

وفي سنن الترمذي من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
لناس من اليهود " ما تربة الجنة ؟ قال فسكتوا هنيهة ثم قالوا : خبزة  
يا أبا القاسم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الخبز من الدرهم<sup>(٥)</sup> .

---

( ١ ) الملاط : الطين الذي يجعل بين سافي البناء يلط به الحائط :  
أي يخلط " أ. هـ .  
النهاية لابن الأثير ٤ / ٣٥٧ .

( ٢ ) السنن ٢ / ٣٠٥ ، سنن الترمذي ٤ / ٧٩ - ٨٠ .

( ٣ ) هو : عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي مولا هم ، الكوفسي  
أبو بكر حافظ للحديث له فيه كتب منها : " المصنف " .

أنظر توجته في : " تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٣٢ ، تهذيب التهذيب  
٢ / ٦ ، تاريخ بغداد ١٠ / ٦٦ .

( ٤ ) المصنف ١٣ / ٩٥ - ٩٦ .

( ٥ ) ١٠٢ / ٥ ، قال في مجمع الزوائد : " رواه أحمد ورجال رجال الصحيح  
غير مجالد ووثقه غير واحد ١٠ / ٣٩٩ .

والحاصل من الأُحاديات المتقدمة في صفة أُرغى الجنة وترتبتها أن بعضها أفاد أن ثرابها الزعفران ، والبعض الآخر أفاد أن ثرابها المسك ولا تعارض بينهما إذ يجوز أن تكون تربتها مضمنة للنوعين ، ويجوز أن يكون التسراب من زعفران فإذا عجن بالما صار مسكا ، والطين يسمى ثرابا ويبدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم " ملاطها المسك<sup>(١)</sup> والملاط الطين .

ويحتمل أن يكون زعفرانا باعتبار اللون ومسكا باعتبار الرائحة وهذا من أحسن شئى " يكون البهجة والإشراق لون الزعفران ، والرائحة رائحة المسك ، وكذلك ورد تشبيهها بالدرمكة ، وهي الخبزة الصافية التي يضرب لونها إلى الصفرة مع لينها ونعومتها<sup>(٢)</sup> والله أعلم .

( ١ ) تقدم تخريجه قريباً .

( ٢ ) أنظر حادى الأرواح ص ٩٤ .



- المبحث الخامس -

### صفات أهل الجنة

إن للتحقين الذين يدخلون دار السلام ويتبوؤن منها منازل حيث يشاءون صفات يتميزون بها عن غيرهم ، وصفاتهم كثيرة جدا ، وقد ذكر في سورة " الزمر " بعضها في عدد من آياتها .

قال تعالى ( فشرعنا للذين يستمعون القول فيشعرون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ) .

وقال تعالى ( الله نزل أحسن الحديث كتابا تشابهها مثاني تقشعرون منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وظوبهم إلى ذكر الله . . . الآية ) .  
وقال تعالى ( والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ) .

وقال تعالى ( وينجي الله الذين اتقوا بحفظتهم لا يسهم السوء ولا هم يحزنون )  
وقال تعالى : ( وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ) .

هذه المجموعة من الآيات من سورة " الزمر " تضمنت صفات هامة للتحقين الذين يساقون إلى الجنة " مرا " وتلك الصفات هي :-

( ١ ) أنهم يسمعون كلام الله سماع قبول وإجابته وفهم وإدراك فيمطون بأوامره ، ويتعدون عن نواهيه التي نهى عنها .

( ٢ ) أنهم عندما يسمعون القرآن يتلى تقشعرون جلودهم خوفا من الله - جل وعلا - لما يفهمون من الوعيد الذي توهب به الكفار والمشركين .

( ٣ ) أنهم عند سماعهم كلام الله تلمين جلودهم وظوبهم إلى العمل بما فسي كتاب الله والتصديق به .

( ٤ ) التصديق لما جاءهم من الحق .

قال مجاهد : ( والذي جاء بالصدق وصدق به ) قال : أصحاب القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة فيقولون : هذا ما أعطيتمونا فعطنا فيه بما أمرتمونا به .

( ٥ ) تقواهم لربهم - جل وعلا - بائثال الأوامر واجتناب النواهي وفي مقدمة ذلك إخلاصهم - العبادة لله وحده لا شريك له ، فلم يشركوا به عبادة ربهم أحدا .

( ٦ ) الصفة السادسة : أنهم طيبوا أعمالهم في الدنيا فلم يدنسوها بشرك ولا معصية ، فطاب ماؤاهم في الدار الآخرة ، وهو أنهم صاروا من سكان الجنة التي عرضها السموات والأرض ونجاهم الله من جهنم ، وأمنهم من عذابها .

قال ابن كثير : عند قوله تعالى ( تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ) أي : هذه لغة الأبرار عند سماع كلام الجبار المهيمن العزيز الغفار ، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف ( ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله لما يرجون ويؤمنون من رحمته ولطفه فهم مخالفون لغيرهم ممن الفجار من وجوه :

أحدها :-

أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات وسماع أولئك نغمات الأبيات مسن أصوات القينات .

الثاني :-

أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا بأدب وخشية  
 ورجاء ومحبة وفهم وطمح . كما قال تعالى : ( والذين إذا ذكروا بآيات ربهم  
 لم يخروا عليها صما وعميانا )<sup>(١)</sup> أي : لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهيين  
 عنها بل مصغين إليها فاهمين بصورين بمعانيها فهذا إنما يعطون بها  
 ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل وطاعة لغيرهم .

الثالث :-

أنهم يلزمون الأدب عند سماعها كما كان الصحابة رضي الله عنهم عند  
 سماعهم كلام الله تعالى من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقشعر جلودهم  
 ثم تلين مع طوبهم إلى ذكر الله لم يكونوا يتضارخون ولا يتكفون ما ليس فيهم  
 بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك ولهذا  
 فازوا بالمدح من الرب الأعلى في الدنيا والآخرة . . .

وقال قتادة ( تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم  
 وطوبهم إلى ذكر الله ) قال هذا نعت أوليها الله ، نعتهم الله عز وجل -  
 بأن تقشعر جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن طوبهم إلى ذكر الله ، ولم ينعتهم  
 بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما هذا في أهل البدع وهذا من الشيطان<sup>(٢)</sup>  
 أ. هـ .

وقال ابن جرير عند قوله تعالى ( وينجي الله الذين اتقوا بمقازتهم  
 لا يسهم السوء ولا هم يحزنون ) يقول تعالى ذكره : وينجي الله من جهنم  
 وعذابها الذين اتقوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه في الدنيا ( بمقازتهم )  
 يعني : بفوزهم .

( ١ ) سورة الفرقان آية / ٧٣ .

( ٢ ) تفسير القرآن العظيم ٦ / ٨٨ - ٨٩ .

قال السدي : في قوله تعالى ( وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم )

قال : بمفازتهم .

وقال ابن زيد : ( وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم ) قال : بأعمالهم

وقوله : ( لا يمسهم سوء ولا هم يحزنون ) يقول تعالى ذكره : لا يمسهم

من أذى جهنم شئى وهو سوء الذي أخبر - جل ثناؤه - أنه لن يمسهم ،

ولا هم يحزنون ؛ يقول : ولا هم يحزنون على ما فاتهم من آراب الدنيا إذا صاروا

إلى كراهة الله ونعيم الجنان "أ.هـ." (١)

قال البخوي : ( وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم ) قرأ حمزة والكسائي

وأبو بكر ( بمفازاتهم ) بالألف على الجمع أي : بالطرق التي توفى بهم إلى الفوز

والنجاة .

وقرأ الآخرون : ( بمفازتهم ) على الواحد لأن المفازة بمعنى الفوز أي :

ينجيهم بفوزهم من النار بأعمالهم الحسنة "أ.هـ." (٢)

وجاء في زاد المسير حول قوله - تعالى - ( وينجي الله الذين اتقوا

بمفازتهم ) فيها للمفسرين ثلاثة أقوال :-

أحدها : بمفازتهم قاله السدي .

والثاني : بأعمالهم قاله ابن السائب .

والثالث : بفوزهم من النار .

قال ابن المبرد : المفازة مفعلة من الفوز وان جمع فحسن كقولك السعادة ،

والسعادات ، والمعنى : ينجيهم الله بفوزهم أي : بنجاتهم من النار وفوزهم

بالجنة "أ.هـ." (٣)

(١) جامع البيان ٢٤/٢٢-٢٣ .

(٢) معالم التنزيل على حاشية تفسير الخازن ٦/٦٩ .

(٣) ١٩٤/٧ .

وقال ابن كثير : ( وينجي الله الذين اتقوا بعفارتهم ) أي : بما سبق  
 لهم من السعادة ، والفوز عند الله ( لا يحسبهم السوء ) أي : يوم القيامة ،  
 ( ولا هم يحزنون ) أي : لا يحزنهم الفزع الأكبر بل هم آمنون من كل فزع  
 مزحزون عن كل شر ناظون كل خير <sup>(١)</sup> .

وأما قوله تعالى ( وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا  
 جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ) .

فقد قال ابن جرير : حول هذه الآية " يقول تعالى ذكره : وحشرالذين  
 اتقوا ربهم بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه في الدنيا ، وأخلصوا له فيها  
 الألوهية ، وأفردوا له العبادة ، ولم يشركوا في عبادتهم إياه شيئا إلى الجنة  
 زمرا يعني : جماعات <sup>(٢)</sup> .

وقال العلامة ابن القيم : بعد سيطرة لهذه الآية : " عقب دخولها على  
 الطيب بحرف الغاء الذي يؤذن بأنه سبب للدخول ، أي بسبب طيبكم قبل لكم :  
 ادخلوها - فإنها دار الطيبين لا يدخلها إلا طيب <sup>(٣)</sup> .

وقال ابن كثير : ( وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ) وهذا  
 إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وقد أديت إلى الجنة  
 زمرا أي : جماعة بعد جماعة : المقربون ، ثم الأبرار ، ثم الذين يلونهم ثم  
 الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم ، والأنبياء مع الأنبياء ، والصد يقسون  
 مع أشكالهم ، والشهداء مع أغرابهم ، والعلماء مع أقرانهم ، وكل صنف مع صنف  
 كل زمرة يناسب بعضها بعضا ( حتى إذا جاءوها ) أي : وصلوا إلى أبواب  
 الجنة بعد مجاوزة الصراط حسبوا على قطرة بين الجنة والنار فاقص لهم مظالم

( ١ ) تفسير القرآن العظيم ٦ / ١٠٥ .

( ٢ ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤ / ٣٤ .

( ٣ ) الواهب الصيب ص ١٨٠ .

كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة (١).

ثم ان المراد بسوق المتقين في قوله تعالى : ( وسبق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ) سوق مصحوب بالتكريم والتشريف والإعزاز مشيعين بما يشع الصدور ويمسر النفوس كتشيع المحبوب الى أمر محبوب (٢) ، وهو سوق يخامر سوق الإهانة والذل الذي تقدم ذكره في حق الكافرين ، وصفات المتقين الطيبة في القرآن كثيرة ، وخصالهم الحميدة وفيه .

قال تعالى : ( ألسم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ) (٣) .

وقال تعالى : ( وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يخفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاطفين ) (٤) .

ففي هذه الآيات " أخبر تعالى أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم ، ثم ذكر أوصاف المتقين فذكر بذلهم للإحسان في حالة العسر واليسر ، والشدة والرخاء ، فان من الناس من يبذل في حال اليسر والرخاء ، ولا يبذل في حال العسر والشدة ، ثم ذكر كيف أذاهم عن الناس بحبس الغيظ بالكظم ، وحبس

( ١ ) تفسير القرآن العظيم ١١٣/٦ .

( ٢ ) انظر فتح الباري ١١/٣٨١ .

( ٣ ) سورة البقرة آية = ١-٤ . ( ٤ ) سورة آل عمران آية ١٣٣-١٣٦ .

الانتقام بالعفو ، ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم في ذنوبهم ، وأنها  
إذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله والتوبة والإستغفار ، وترك الإصرار  
فهذا حالهم مع الله ، وذاك حالهم مع خلقه (١) .

فينبغي للمسلم أن يتدبر كتاب الله ، وأن يتميز عن غيره من أهمل  
المعاصي بصفات المتقين الذين يحبون لقاء الله ويطلبون الفوز برضاه .

أما صفاتهم في السنة فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم عنها الشيء  
الكثير .

فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :  
" لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : فلان  
شهير ، فلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا : فلان شهيد فقال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم " كلا اني رأيتك في النار في بردة غلبها (٢) أو عباءة " .  
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا ابن الخطاب . اذهب فناد فسي  
الناس انه لا يدخل الجنة الا المؤمنون " . قال : فخرجت فنادت ألا انه  
لا يدخل الجنة الا المؤمنون (٤) .

فبين طمأنينة الصلاة والسلام أنه لا يدخل الجنة الا أهل الإيمان الذين  
قاموا بشرائع الإسلام كلها ، وأنه لاحظ فيها لغيبهم .

وروى أيضا بإسناد في حديث طويل من حديث عياض بن حمار المجاشعي  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . . . . . " وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان  
مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف  
ذو عيال . . . الحد يث (٥) .

- ( ١ ) حادي الأرواح ص ٨٢ .  
( ٢ ) البردة : الشهامة المخططة ، وقيل : كساء أسود مربع فيه صغر تلبسه الأعراب ،  
النهاية ١١٦/١ .  
( ٣ ) غلبها : أي سرقها خفية : الاغلال : الخيانة أو السرقة الخفية ، النهاية ٢٨٠/٣ .  
( ٤ ) ١٠٧/١ - ١٠٨ .  
( ٥ ) ٢١٩٨/٤ .

قال القرطبي مبينا معنى هذا الحديث : " فصل " قوله ذو سلطان  
مقسط وما بعده مرفوع على أنها صفات " لذو " وهي بمعنى صاحب ، والمقسط  
العادل ، والمتصدق المعطي الصدقات والموفق : المسدد لفعل الخيرات ،  
ورقيق القلب : ليمنه عند التذكر والموعظة ويصلح أن يكون بمعنى الشفيق " .  
أ. هـ . ( ١ )

وفي صحيح مسلم أيضا : من حديث حارثة ابن وهب الخزاعي قال :  
" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف  
متضعف لو أقسم على الله لأبره ( ٢ ) .

" وقوله : ضعيف متضعف " يعني : ضعيف في أمور الدنيا قوى في أمر  
دينه كما قال عليه الصلاة والسلام ( المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من  
المؤمن الضعيف وفي كل خير ( ٣ ) . . .

فإن كان ضعيفا في أمور دينه لا يعنى بها فمذموم ، وذلك من صفات أهل  
النار كما قال - عليه الصلاة والسلام - " وأهل النار خمسة الضعيف السذى  
لا زبر له ( ٤ ) " أي لا عقل ومن لا عقله ينظفه عن المفاسد ، ولا ينزجر عنها -  
فحسبك به ضعفا وخسارة في الدين ( ٥ ) .

وروى الشيخان في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال :  
مرّ بجنّازة فأثني عليها خيرا فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم " وجبت وجبت  
وجبت " ومرّ بجنّازة فأثني عليها شرا فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم " وجبت  
وجبت وجبت " قال عمر : فدى لك أبي وأمي . مرّ بجنّازة فأثني عليها خيرا  
فقلت : " وجبت وجبت وجبت " ، ومرّ بجنّازة فأثني عليها شرا فقلت : وجبت

- ( ١ ) التذكرة عن ٣٦٢-٣٦٣ . ( ٢ ) ٤ / ٢١٩٠ . ( ٣ ) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ٤ / ٢١٥٢ . ( ٤ ) رواه مسلم من حديث عمار بن مازن المجاشعي ٤ / ٢١٩٨ . ( ٥ ) التذكرة ص ٣٦٣ .



وجبت وجبت " فقال رسول الله على الله عليه وسلم " من أثنيتم عليه خيسرا  
وجبت له الجنة ، ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار أنتم شهداء الله في  
الأرض " أنتم شهداء الله في الأرض . أنتم شهداء الله في الأرض (١) .

وقال عليه الصلاة والسلام " يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار  
قالوا : بم ذاك يا رسول الله ؟ قال : بالثناء الحسن والثناء السيئ ،  
أنتم شهداء الله بعضكم على بعض (٢) .

وبالجدة فأهل الجنة أربعة أصناف ترضهم قوله تعالى ( ومن يطع الله  
ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء  
والصالحين وحسن أولئك رفيقا ) (٣) جعلنا الله منهم بفضله ومنه وكسرمة  
إنه أرحم الراحمين (٤) .

---

( ١ ) صحيح البخارى ٢ / ٢٣٧ ، صحيح مسلم ٢ / ٦٥٥ ، واللفظه .

( ٢ ) رواه ابن ماجه في سننه ٢ / ١٤١١ ، وأحمد في مسنده ٣ / ٤١٦ ،  
من حديث أبي زهير الثقفي .

( ٣ ) سورة النساء آية / ٦٩ .

( ٤ ) للزيادة في معرفة صفات أهل الجنة تراجع " مجموع الفتاوى  
لشيخ الاسلام ابن تيمية فإنه أوجز الكثير منها ١٠ / ٤٢٢ - ٤٢٣ .

## - المبحث السادس -

## غرف الجنة ، وقصورها وأنهارها

قال تعالى ( لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ) .

هذه الآية الكريمة من السورة بين الله - تعالى - فيها ما أعد للمتقين من عوالي الغرف في الجنة .

والمتقون الذين ينالون هذه الغرف هم الذين اتقوا سخط الله وعقابه بترك الشرك والمعاصي ، وإخلاص العبادة لله باتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه .

فهؤلاء لهم مجال إقامة رفيعة ، مستعملة بعضها فوق بعض درجات ثابتة ثبات البناء المستقر ، والأنهار تجري من تحت تلك الغرف والقصور العالية ، وأنهار الجنة ليس بينها وبين أنهار الدنيا تشابه إلا في الاسم فقط ، وجريان الأنهار من تحت تلك الغرف والقصور ما يزيد بها بهجة وجمالا ، وهي حاصلة ، وتحققه لعباد الله المؤمنين لأن الله وعدهم بتلك الغرف المتعالية التي تجري من تحتها الأنهار وهذا صادقا لا يتخلف لأنه من الله الذي لا يخلف وعده .

قال ابن جرير : وقوله ( لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية يقول تعالى ذكره : لكن الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه ، واجتناب معاصره ، لهم في الجنة غرف من فوقها غرف مبنية علالي بعضها فوق بعض ) ( تجري من تحتها الأنهار ) .

يقول تعالى ذكره : تجرى من تحت أشجار جناتها الأنهار وقوله :  
( وعد الله ) يقول جل ثناؤه : وعدنا هذه الغرف التي من فوقها غرف  
مبنية في الجنة هو لا المتقين . ( لا يخلق الله الميعاد ) يقول جل  
ثناؤه : والله لا يخلقهم وعدة ولكنه يوفى وعدة \* أ.هـ. (١)

وقال البخوي : ( لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف  
مبنية ) أي : منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها ( تجرى من  
تحتها الأنهار وعد الله لا يخلق الله الميعاد ) أي : وعدهم الله تلك  
الغرف والمنازل وعدا لا يخلقها \* أ.هـ. (٢)

وقال العلامة ابن القيم : قال الله تعالى ( لكن الذين اتقوا ربهم لهم  
غرف من فوقها غرف مبنية ) .

فأخبر أنها غرف فوق غرف ، وأنها مبنية بنا ، حقيقة لئلا تتوهم  
النفوس أن ذلك تمثيل ، وأنه ليس هناك بنا بل تتصور النفوس غرفا مبنية  
كالمدلسي بعضها فوق بعض حتى كأنها ينظر إليها عيانا ، ومبنية صفة  
للغرف الأولى والثانية أي : لهم منازل مرتفعة ، وفوقها منازل أرفع  
منها \* أ.هـ. (٣)

وقال العلامة ابن كثير : " أخبر - عز وجل - عن عباده السعداء أن لهم  
غرفا في الجنة وهي القصور أي : الشاهقة ( من فوقها غرف مبنية ) طباق فوق  
طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات \* أ.هـ. (٤)

( ١ ) جامع البيان ٢٣ / ٢٠٨ .

( ٢ ) " معالم التنزيل " على حاشية تفسير الخازن ٦ / ٦٠ .

( ٣ ) حادي الأبرواح ص ٩٦ . ( ٤ ) تفسير ابن كثير ٦ / ٨٥ .

وقد بين الله - تعالى - في كتابه وصف غرف الجنة في مواضع كثيرة .  
قال تعالى بعد أن بين الكفور من صفات عباد الرحمن منوها بجزائهم  
الذي ينتظرهم ( أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً )<sup>(١)</sup> ،

قال ابن القيم :

" والغرفة جنس كالجنة ، وتأمل كيف جعل جزاءهم على هذه الأقوال  
المضمنة للخضوع والذل والإستكانة لله الغرفة ، والتحية والسلام فسي  
مقابلة صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم فبدلوا بذلك سلام الله وملائكته  
عليهم " أ. هـ .<sup>(٢)</sup>

وقال تعالى : ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوأنهم من الجنة غرفا  
تجرى من تحتها الأنهار خالدون فيها نعم أجر العاطلين )<sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى : ( وما أموالكم ولا أولادكم بالشيء تقربكم عندنا زلفى إلا من  
آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات  
آمنون )<sup>(٤)</sup> .

فهاتان الآيتان بين الله - تعالى - فيهما أن غرف الجنات لا تنال إلا  
بالإيمان والعمل الصالح وذلك هو الذي يقرب العبد إلى الله زلفى . أما  
كثرة الأقوال والأولاد عند الإنسان فإنها لا تدل على أن الله يحب صاحبها ،  
لا . ليس الأمر كذلك ، وليست بمقياس عند الله - تعالى - وإنما المقياس  
الحقيقي هو الإيمان والعمل الصالح فمن حقق الإيمان وعمل صالحا يكون من

( ١ ) سورة الفرقان آية / ٧٥ .  
( ٢ ) حادى الأرواح ع ٩٦ ، وقد فسرت " الغرفة " بالجنة . انظر : المصنف  
لابن أبي شيبه ١٣ / ١٢٦ .  
( ٣ ) سورة التعنكوت آية / ٥٨ .  
( ٤ ) سورة سبأ آية / ٣٧ .

الذين تضاعف حسناتهم ومن الذين هم في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف وأذى ، ومن كل شئى يحذر منه .

هذه أوصاف غرف الجنة في القرآن الكريم .

أما ما جاء في شأن وصفها في السنة النبوية فقد وردت أحاديث توهم صفة هذه الغرف وطوها .

فقد روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إن أهل الجنة ليشترؤون أهل الغرف من فوقهم ، كما تتراءون الكوكب الدرى<sup>(١)</sup> الفاجر من الأفق مسن المشرق ، أو المغرب لتفاضل ما بينهم " قالوا : يا رسول الله . تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال " بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وعدوا المرسلين<sup>(٢)</sup> .

قال أبو عبد الله القرطبي : " وقوله والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وعدوا المرسلين " ولم يذكر عطلا ولا شيئا سوى الإيمان والتصديق للمرسلين ذلك ليعلم أنه عنى الإيمان . البالغ وتصديق المرسلين من غير سؤال آية ولا تلجج ، وإلا فكيف تنال الغرفات بالإيمان والتصديق الذي للامة ، ولو كان كذلك كان جميع الموحدين في أعلى الغرفات ، وأرفع الدرجات وهذا محال ، وقد قال الله تعالى ( أولئك يجزون الغرفة بما صبروا )<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) قبل سمي دريا لبياضه ، وقيل لاضائه ، وقيل لشبهه بالدر في كونه أرفع من باقي النجوم كالدر أرفع الجواهر ، شرح النووي على مسلم ، ١٦٨ / ١٧ .  
أما الفاجر : فهو الذاهب العاشي الذي تدلى للغروب ، وبعد عن المرسلين شرح النووي ١٦٩ / ١٧ .

( ٢ ) صحيح البخارى ٢ / ٢١٨ ، صحيح مسلم ٤ / ٢١٧٧ .

( ٣ ) سورة الفرقان آية / ٧٥ .

والصبر بذل النفس والشهات له وقفا بين يديه بالقطوب عبودية وهذه  
صفة المقربين .

وقال في آية أخرى ( وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى  
إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عطوا وهم في الغرفات  
آمنون ) (١)

فذكر شأن الغرفة وأنها لا تنال بالأموال والأولاد وإنما تنال بالإيمان  
والعمل الصالح ، ثم بين لهم جزاء الضعف وأن محلهم الغرفات ، يعلمك أن  
هذا إيمان طمأنينة وتعلق قلب به مطمئنا به في كل ما نابه وبجميع أموره  
وأحكامه ، فإذا عمل عملا صالحا فلا يخلطه بفساده وهو الفاسد ، فلا يكون  
العمل الصالح الذي لا يشوبه فساد إلا مع إيمان بالغ مطمئن صاحبه بمن  
آمن وبجميع أموره وأحكامه ، والمخلط ليس بإيمان وعمله هكذا : فلهذا  
كانت منزلته دون غيره " ١٠ هـ . (٢)

وروى البخاري وسلم في صحيحيهما من حديث سهل بن سعد أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إن أهل الجنة يتراءون الغرفة في الجنة  
كما تراءون الكوكب في السماء " (٣)

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن أهل الجنة يتراءون في الجنة كما  
تراءون الكوكب الذي يري في الأفق والطلوع في تفاضل الدرجات قالوا :  
يا رسول الله أولئك النبيون قال بلى ، والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا  
بالله وصدقوا المرسلين " (٤)

(١) سورة سبا آية / ٧٥ .

(٢) التذكرة لقرطبي ص : ٤٦١ - ٤٦٢ .

(٣) صحيح مسلم / ٤ / ٢١٧٧ ، المسند / ٥ / ٣٤٠ .

(٤) ٣٣٩ / ٢ قال ابن كثير : قال الضياء : " وهذا على شرط البخاري .  
النهاية / ٢ / ٢٣٥ .

وروى أيضا بإسناده الى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الشحا بين لثرتي غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الخمرسي فيقال من هؤلاء ؟ فيقال هؤلاء الصحابون في الله - عز وجل - ( ١ )

وروى الإمام أحمد وابن أبي شيبة بإسنادهما إلى طي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها قال : فقام أعرابي فقال : هي لمن يا رسول الله ؟ فقال : هي لمن طيب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأفشى السلام وصلني بالليل والناس نيام ( ٢ )

فهذا الحديث بين فيه النهي صلى الله عليه وسلم عن غرف الجنة كما بين فيه بعض صفات سكان أهل تلك الغرف ، وهو أنهم طيبوا الكلام ، ويطعمون الطعام ، ويفشون السلام ، ويقومون في طلبهم يصلون الله - تعالى - والناس نيام .

وما تقدم من اختلاف غرف الجنة في العلو والصفه إنما هو بحسب اختلاف أصحابها في الأعمال وتفاوتهم فيها ، وكما تقدم في الأحاديث من أن بعض غرف الجنة أطي من بعض وأرفع .

وأما عن قصور الجنة فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصفها أحاديث كثيرة .

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه - تعالى - عنه قال : بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال بينا

( ١ ) المسند ٢ / ٨٢ .

( ٢ ) المسند ١ / ١٥٦ ، والمصنف لابن أبي شيبة ١٣ / ١٠١ ، ورواه الترمذي في سننه ٤ / ٨٠ .

أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن هذا القصر ؟ فقالوا لعمر بن الخطاب فذكرت غيرته فوليت مدبراً فبكي عمر وقال : أظنك أغار بأرسول الله (١) ؟ .

وروى الترمذى بإسناده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا القصر ؟ قالوا : لشاب من قريش فظننت أنى أنا هو فقلت ومن هو ؟ قالوا : عمر بن الخطاب " قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح (٢) .

وروى الشيخان من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : أتى جبرئيل النبي صلى الله عليه وسلم فقال بأرسول الله . خذ هبة قد أتتك معها إناء ، فيها داء ، أو طعام ، أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها - عز وجل - ونسي ، وبشرها بهبيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نسب (٣) .

قال العلامة ابن القيم : " والقصب ههنا قصب اللؤلؤ المجسوف (٤) " وقال الحافظ : " قوله من قصب " . . . قال ابن التين : " المراد به لؤلؤه مجوف قواسمه كالقصر الضئيف " . . . إلى أن قال : وعند الطبرانسي في " الأوسط " من حديث فاطمة قالت : قلت بأرسول الله أين أمي خذ هبة ؟ قال : في بيت من قصب ، قلت أمن هذا القصب ؟ قال : لا . من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت (٥) .

- 
- (١) صحيح البخارى ٢/٢١٦ ، صحيح مسلم ٤/١٨٦٣ .  
 (٢) سنن الترمذى ٥/٢٨٢ .  
 (٣) صحيح البخارى ٢/٢١٥ - ٢١٦ ، صحيح مسلم ٤/١٨٨٧ .  
 (٤) حادى الأرواح ص ٩٧ .  
 (٥) فتح البسارى ٦/١٣٨ .



أما صفة بناء قصور الجنة :-

فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قلنا : يا رسول الله حدثنا عن الجنة أبنائها ؟ قال : لبنه ذهب ، ولبنه فضة وملاطها المسك الأذفر وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترايبها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه (١) .

وروى ابن أبي شيبة بإسناده إلى ابن عمر قال : قيل يا رسول الله كيف بناء الجنة قال : لبنه من فضة ، ولبنه من ذهب ملاطها مسك وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت وترايبها الزعفران (٢) .

هذا وصف قصور الجنة وبنائها التي ينهضي السابقة والمصارعة إلى الأعمال التي تكون سببا في الحصول على ذلك بعد رحمة الله - تعالى - قال ابن كثير بعد أن ذكر كثيرا من الأحاديث الواردة في وصف قصور الجنة وغرفها .

" وقد ورد في بعض الأحاديث أن القصور يكون من لؤلؤة واحدة أبوابه ومصارعه ، وسقفه ، وفي حديث آخر أن بعض سقوف الجنة نسور يتلأل كالبرق اللامع لولا أن الله بثبت أبصارهم لأوشك أن يخطفها " (٣) .

(١) رواه أحمد والترمذي المسند ٣٠٥/٢ ، سنن الترمذي ٧٩/٤-٨٠ ، ثم قال : هذا حديث ليس بإسناده بذلك القوي ، وليس هو عندى بحصل وقد روى هذا الحديث بإسناده آخر عن أبي هريرة .

(٢) المصنف ١٣/٩٥-٩٦ .

(٣) النهاية ٢/٢٤٠ .

وأما أنهار الجنة فقد جاء وصفها في السورة بأنها تجري من تحت غرف الجنة وقصورها كما هو ظاهر الآية التي صدرنا بها هذا البحث وهي قوله تعالى : ( لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار ) فهذه الآية من السورة وصفت أنهار الجنة بأنها تجري من تحت تلك الغرف التي بعضها فوق بعض درجات .

قال ابن كثير : ( تجري من تحتها الأنهار ) أي : تسلك الأنهار بين خلال ذلك كما شاء وا وأين أرادوا ( ١ ) .

ولقد تكرر ذكر أنهار الجنة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وكلها - ما مقترنة بحرف " من " ما عدا موضعاً واحداً من كتاب الله فإنه جاء بدون حرف " من " وهو قوله تعالى ( وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار ) ( ٢ ) .

قال مسروق رحمه الله تعالى : " أنهار الجنة في غير أخذود ( ٣ ) .  
وقال ابن جرير الطبري : عند قوله تعالى ( وما مسكوب ) ( ٤ ) يعني : مصبوب سائل في غير أخذود كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا مهرا بن سفيان ( وما مسكوب ) قال يجري في غير أخذود ( ٥ ) .

وقال العلامة ابن القيم : بعد أن ذكر آيات من القرآن الكريم التي تصف أنهار الجنة بأنها جارية :  
" وهذا يدل على أمور " :-

أحدها : وجود الأنهار فيها حقيقة .

الثاني : أنها جارية لا واقفة .

الثالث : أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعهود في أنهار

( ١ ) تفسير القرآن العظيم ٦/٨٦ . ( ٢ ) سورة التوبة آية / ١٠٠ .  
( ٣ ) المصنف لابن أبي شيبة ١٣/٩٧ . ( ٤ ) سورة الواقعة آية / ٣١ .  
( ٥ ) جامع البیان ٢٧/١٨٤ .

والتي تجري في الجنة تجري في الدنيا ، وقد ظهروا في بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بأمرهم وتصريفهم لها كيف شاءوا ، وكان الذي حطهم على ذلك أنهم لما سمعوا أن أنهارها تجري في غير أخدود فهي جارية على وجه الأرض حطوا قوله ( تجري من تحتها الأنهار ) على أنها تجري بأمرهم إذ لا يكون فوق المكان تحته وهو لا أوتوا من ضعف الفهم ، فإن أنهار الجنة وإن جرت في غير أخدود فهي تحسست القصور والفضائل والخسوف وتحت الأشجار وهو سبحانه لم يقل ممن تحت أرضها .

وقد أخبر - سبحانه - عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيا فقال :  
 ( ألم يروا كم أهلكتنا من قبلهم من قرون مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم ) ( ١ ) . فهذا على ما هو المعمود المتعارف وكذلك ما حكاه من قول فرعون ( وهذه الأنهار تجري من تحتي ) ( ٢ ) .

وقال تعالى مبينا أنواع أنهار الجنة ( مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من غسل مصفى ) ( ٣ ) .

قال ابن جرير : موضعها معنى الآية " يقول تعالى ذكره : صفة الجنة التي وعد لها المتقون وهم الذين اتقوا في الدنيا عقابه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ( فيها أنهار من ماء غير آسن ) يقول تعالى ذكره : في هذه الجنة التي ذكرها : أنهار من ماء غير متغير الريح ، يقال منه " قد أسن ماء هذه

( ١ ) سورة الأنعام آية / ٦ .

( ٢ ) حادي الأرواح ص ١٢١ والآية رقم ( ٥١ ) من سورة الزخرف .

( ٣ ) سورة محمد آية / ١٥ .

البئر اذا تغيرت ريح مائها فانتنت . . .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله ( فيها أنهار من ماء غير آسن ) يقول : غير منغير .

وقال قتادة : في قوله ( أنهار من ماء غير آسن ) من ماء غير منتن . . .  
وقوله ( وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ) . يقول تعالى ذكره : وفيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه لأنه لم يحلب من حيوان فيتغير طعمه بالخروج من الضرع ولكنه خلقه الله ابتداءً في الأنهار فهو بهيته لم يتغير عما خلقه طيبه . . . . . وقوله ( وأنهار من عسل صفي ) يقول : وفيها أنهار من عسل قد صفي من القذى وما يكون في عسل أهل الدنيا قبل التصفية ، وإنما أطم - تعالى - ذكره عباده بوصفه ذلك العسل بأنه صفي أنه خلق فسي الأنهار ابتداءً سائلاً جارياً سيل الماء واللبن المخلوقين فيها فهو من أجل ذلك صفي ، قد صفاه الله من الأقداء التي تكون في عسل أهل الدنيا الذي لا يصفون من الأقداء إلا بعد التصفية لأنه كان في شمع نفسى منه " أ . هـ . ( ١ )

وقال العلامة ابن القيم : بعد أن ذكر الآية السابقة " فذكر - سبحانه - هذه الأجناس الأربعة ، ونفي عن كل واحد منها الآفة التي تصبغ في الدنيا فأفة الماء أن يأسن ، وبأجن من طول مكنه ، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة ، وأن يصير قارصاً ، وآفة الخمر كراهة مذاقها الصافي للذة شربها ، وآفة العسل عدم تصفيته وهذا من آفات - الرب تعالى - أن تجرى أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا

باجرائها ويجريها في غير أخدود وينفخ عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها كما ينفي عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداق والغول ، واللغو والإنزاف وعدم اللذة فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا فتفتال العقل ويكثر اللغو على شربها بل لا يطيب لشربها ذلك إلا باللغو وتنزف في نفسها ، وتنزف المال وتصعد الرأس وهي كرهية الطاق وهي رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والمهضام بين الناس وتصد عن ذكر الله ، وعن الصلاة وتدعو إلى الزنا ، وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم ، وتذهب الخيرة ، وتورث الخزي والندامة ، والفضيحة ، وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان ، وهم المجانين ، وتسلبه أحسن الأسماء والسماوات وتكسوه أقمح الأسماء والصفات ، وتسهل قتل النفس ، وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرت ، أو هلاكه ومواخاة الشياطين في تذبذب المسال الذي جعله الله قياما له ولم يلزمه موثقه ، وتهتك الأستار ، وتظهر الأسرار ، وتدلل على العورات ، وتهبون ارتكاب القبائح والمعاصم وتخرج من القلب تعظيم المحارم ، ومدنها كعابد وشن ، وكم أهاجت من حرب وأفقرت من غنى ، وأذلّت من عزيز ، ووضعت من شريفوسلّبت من نعمة وجلبت من نقمة ، وفسخت مودة ، ونسجت عداوة ، وكم فرقته بين رجل وزوجته ، فذهبت بقلبه وراحت بلبه ، وكم أورثت من حسرة ، وأجرت من عبره وكم أظقت في وجه شاربها باها من الخير ، وفتحت له باها من الشر ، وكم أوقعت في لهية وعجلت من ضية وكم أورثت من خزية وجرت على شاربها من بحنة وجرت طيمه من سفلة فهي جماع الأثم ، ومفتساح الشر وسلاية النعم وجالية النقم ، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة " (١) لكفي وآفة الخمر أضعاف

( ١ ) رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ١١١ ٩ / ٢ ، رواه أبو داود ٢٩٣ / ٢ ، ورواه النسائي في سننه ( ٣١٨ / ٨ ) ، ورواه أحمد في المسند ٢٢ / ٢ ، كلهم من حديث ابن عمر .

أضعاف ما ذكرنا وكلها منتفية عن حر الجنة ، فإن قيل فقد وصف - سبحانه -  
الأنهار بأنها جارية ومعلوم أن الماء الجاري لا يأسن فما فائدة قوله ( غير  
أسن ) ( ١ ) .

قيل الماء الجاري وإن كان لا يأسن فإنه إذا أخذ منه شئسي وطال مكثه  
أسن ، وما الجنة لا يعرض له ذلك ولو طال مكثه ما طال ، وتأمل اجتماع هذه  
الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس فهذا : نثر بهم ، وظهرهم ،  
وهذا لقوتهم وغذائهم ، وهذا لذتهم وسرورهم ، وهذا لشفائهم ومنفعتهم  
والله أعلم . ( ٢ ) .

وما تقدم من الآيات كلها تصف أنهار الجنة وهي تجري من تحت غرفها  
وقصورها وبساتينها وجريان الأنهار من تحت تلك الغرف والقصور والبساتين  
ما يزيد بها بهجة وجمالا وكل ذلك حاصل وتحقق لعباد الله المتقين  
لأن - الباري سبحانه - وهدهم بذلك ووسده - سبحانه - حق لا يخلف .

ولنستمع بعد وصف القرآن لأنهار الجنة ، إلى بعض ما جاء في وصفها  
في السنة المطهرة :-

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم " من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام  
رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة يجاهد في سبيل الله أو يجلس  
في أرغمة التي ولد فيها فقالوا : يا رسول الله أفلا نبشر الناس ؟ قال إن في  
الجنة ما تدرجه أهداها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين

( ١ ) سورة محمد آية / ١٥ .

( ٢ ) حادي الأرواح ص ١٢٢ - ١٢٣ .

كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة ، وأعلى الجنة آراء فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة (١) .

فلقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر أنهار الجنة بأنها تتفجر من أهلا درجة في الجنة ، ثم تلحد نازلة إلى أقصى درجة فيها فيأله من منظر رائع ، وبأله من تكريم لمن نزل تلك الدرجات العلى .

وروى أيضا من حديث أنس رضي الله عنه قال :

لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء قال : أتيت على نهر حافته قباب اللؤلؤ مجوفا فظت ما هذا باجبريل قال هذا الكوثر (٢) .

وفي لفظ آخر : " فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال : ما هذا النهران باجبريل ؟ قال هذا النيل والفرات عنصرهما ، ثم مضى به في السماء ، فإذا بنهر آخر طيه قصو من لؤلؤ وزرجد ف ضرب يسده ، فإذا هو مسكأذفر قال : ما هذا باجبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك (٣) .

ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الكوثر نهر في الجنة حافته من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج (٤) .

( ١ ) صحيح البخارى ١٣٦/٢ ( ٢ ) الصدر السابق ٢٢١/٣  
 ( ٣ ) صحيح البخارى مع الفتح ٤٧٨/١٣  
 ( ٤ ) رواه الترمذى في سننه وقال : " هذا حديث حسن صحيح ١١٩/٥ -

فالكوشر هو أحد أنهار الجنة المشهورة ، وهو أعظمها وأحلاها ، وأحسنها  
وهو كرامة وهدية من الله - عز وجل - أكرم به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم  
خصوصية له من بين سائر الأنبياء ، وهو دليل على طوبى قدره صلى الله عليه  
وسلم ، وارتفاع منزلته عند الله - تعالى - وليس في وسعنا أن نصف هذه المنزلة  
غير أنه يكفيها أن نقول : إنه خير البشر وأفضلهم على الإطلاق كيف  
وقد قال عليه الصلاة والسلام : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة (١) " .

وظاهر الأحاديث التي تقدم ذكرها في بيان صفة الكوشر تدل دلالة  
واضحة على أن الكوشر غير الحوى المورود الذي يكون في عرصات القيامة  
وقبل الصراط .

ذلك هو وصف أنهار الجنة ، كما هو واضح من الآيات القرآنية  
والأحاديث النبوية الصحيحة .

( ١ ) رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه



## - المبحث السابع -

أبدية الجنة ودوام نعمتها

لقد دلت السورة على أبدية الجنة وخلود أهلها فيها ودوام نعمتها  
في قوله - تعالى - ( وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ) .

فقوله - تعالى - في هذه الآية ( فادخلوها خالدين ) فيه دلالة  
واضحة على أن أهل الجنة خالدون فيها بلا انقطاع :

قال ابن كثير : ( فادخلوها خالدين ) أي : ماكنن فيها أبدا  
لا ييغون عنها حولا " أ.هـ. (١)

وقد أكد - تعالى - خلود أهل الجنة وأبديتها ودوام نعمتها في مواضع  
أخرى كثيرة في القرآن الكريم .

قال تعالى : ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات صمد خلفهم جنات تجري  
من تحتها الأنهار خالدون فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم  
ظلا ظليلة ) (٢٦) .

قال ابن كثير بعد هذه الآية : " هذا إخبار عن مآل السعداء في  
جنات عدن التي تجري فيها الأنهار في جميع فجاجها ، ومحالها وأرجائها  
حيث شاءوا ، وأمن أرادوا وهم خالدون فيها أبدا لا يحولون ولا يزولسون  
ولا ييغون عنها حولا " أ.هـ. (٣)

وقال تعالى : ( ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات  
الغرد وس نزلا خالدون فيها لا ييغون عنها حولا ) (٤) .

- ( ١ ) تفسير القرآن العظيم ٦ / ١١٦ ( ٢ ) سورة النساء آية / ٥٧ .  
( ٣ ) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٣١٩ .  
( ٤ ) سورة الكهف آية / ١٠٨ .

أخبر - تعالى - في هاتين الآيتين : بأنه أعد لعباده السعداء وهم الذين آمنوا وعلوا الصالحات - جنات الفردوس نزلا - " والنزل : هو ما يهب من الإكرام للضيف أو القادم ومعنى قوله - تعالى - ( خالد بن فيها لا يهنون عنها حولا ) أي : خالد بن في جنات الفردوس لا يهنون عنها حولا أي : تحولا إلى منزل آخر ، لأنها لا يوجد منزل أحسن منها يرغب فسي التحول إليه عنها بل هم خالدون فيها دائما من غير تحول ولا انتقال (١) .

قال ابن كثير : " وفي قوله ( لا يهنون عنها حولا ) تنبيه على رغبتهم فيها وحبهم لها ، مع أنه قد يتوهم فيمن هو مقيم في المكان دائما أنه قد يسأمه ، أو يمله ، فأخبر أنهم مسع هذا الدوام والخلود السرمدي لا يختارون عن مقامهم ذلك متحولا ولا انتقالا ولا ظعنا ولا رحلة ولا بدلا (٢) .

وقال تعالى ( والذين آمنوا وعلوا الصالحات سند خلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالد بن فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قبلا (٣) .

هذه الآية بين الله فيها أن الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا له بالوحدانية ورسوله صلى الله عليه وسلم بالنبوة ، وأدوا مع ذلك فرائض الله التي فرضها عليهم ، فإن جزاءهم أن يدخلهم يوم القيامة إذا صاروا إلى الله جنات يعني : بساتين تجري من تحتها الأنهار ( خالد بن فيها أبدا ) أي : باقين في هذه الجنات التي هذا وصفها أبدا دائما (٤) .

( ١ ) أضواء البيان ٤ / ١٩٧ . ( ٢ ) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٤٣١ .  
 ( ٣ ) سورة النماة آية / ١٢٢ . ( ٤ ) جامع البيان ٥ / ٢٨٧ .

وقال تعالى : ( هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى  
من تحتها الأنهار خالدون فيها أبدًا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز  
العظيم ) ( ١ ) .

وقال تعالى ( الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم  
وأ أنفسهم ، أعظم درجة عند الله وأولئك هم القائرون يبشرهم ربهم برحمة منه  
ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدون فيها أبدًا إن الله عنده  
أجر عظيم ) ( ٢ ) .

بشّر الله - تعالى - عباده المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا  
في سبيله برحمة منه لهم ، وأنه قد رحمهم من أن يعذبهم ، ورضوان من لهم ،  
بأنه قد رضي عنهم بطاعتهم إياه ، وأداءهم ما كلفهم ، وجنات يعني : مساتين  
لهم فيها نعيم مقيم لا يزول ولا يبطل ، ثابت دائم أبدًا لهم لا نهاية لذلك  
ولا حد ( ٣ ) .

وقال تعالى : ( ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين  
لا يعصمهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين ) ( ٤ ) .

بين الله - تعالى - في هاتين الآيتين أنه يخرج ما في صدور المتقين  
من عداوة وبغضاء وحقد من بعضهم لبعض ، ويجعلهم إخوانا على سرر  
متقابلين ، وأنه لا يعصمهم في الجنة تعب ، ولا يخرجون من الجنة ونعيمها  
وما أعطاهم الله فيها من النعيم بل ذلك دائم أبدًا .

( ١ ) سورة الطه آية / ١١٩ . ( ٢ ) سورة التوبة آية / ٢٠-٢٢ .  
( ٣ ) جامع البيان ١٠ / ٩٧ . ( ٤ ) سورة الحجر آية / ٤٧ ، ٤٨ .

وقال تعالى ( وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود  
 وطلح منضود ، وظل مدود وما مسكوب ، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ،  
 وغرش مرفوعة ) ( ١ ) .

هذه الآيات نوه الله - تعالى - فيها بأصحاب اليمين ، وأن شأنهم  
 عظيم وحالهم جسيم ، كما نوه بما يؤهلون إليه من النعيم من فواكه لذیذة ،  
 وظل ظليل ، وكثير من العيون والأنهار السارحة والمياه المتدفقة ، ثم  
 بين - تعالى - أن فاكهة الآخرة ليست كفاكهة الدنيا تنقطع في وقت من  
 الأوقات وتكون معتمة معسرة على متفنيها بل هي على الدوام موجودة  
 وجناها قريب يتناولها العبد على أي حال كان .

وقال تعالى : ( إن الحقيين في مقام أمين ، في جنات وعيون ، يلبسون  
 من سندس وإستبرق متقابلين ، كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها  
 بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب  
 الجحيم ) ( ٢ ) .

وهذه الآيات بين الله - تعالى - فيها أن الحقيين في الجنة خالدون ،  
 لا يذوقون فيها الموت أبدا ، ولا يخرجون من الجنة أبدا .  
 ويكفيها من الآيات ما تقدم في الاستدلال على أبدية الجنة ودوامها ،  
 وأما الأدلة من السنة على ذلك فكبيرة جدا .

( ١ ) سورة الواقعة آية / ٢٧ - ٣٤ .

( ٢ ) سورة الدخان آية / ٥١ - ٥٦ .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : " من يد لهل الجنة ينعم لا يبأس <sup>(١)</sup>  
لا تبلى شبابه ولا يفتنى شبابه <sup>(٢)</sup> !

ومنها حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي  
صلى الله عليه وسلم قال : " يفادى مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا  
وإن لكم أن تحبوا فلا تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، وإن لكم  
أن تنعموا فلا تهتكسوا أبدا فذلك قوله - عز وجل - ( وتودوا أن تلکم الجنة  
أورثتموها بما كنتم تعملون ) <sup>(٣)</sup> .

ومنها ما رواه الشيخان وغيرهما من حديث أبي سعيد رضي الله عنه  
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " بجا" بالموت يوم القيامة كأنه  
كبت أطح <sup>(٤)</sup> فيوقف بين الجنة والنار فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟  
فيشربون وينظرون ويقولون : نعم . هذا الموت قال ويقال : يا أهل النار  
هل تعرفون هذا ؟ قال فيشربون وينظرون ويقولون : نعم . هذا  
الموت قال فيومر به فيذبح قال ثم يقال : يا أهل الجنة . خلود فلا موت ،  
ويا أهل النار خلود فلا موت قال : ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم  
( وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ) <sup>(٥)</sup> .

( ١ ) البأس : هو شدة الحال والبأس ، والبأساء ، والبؤساء  
بمعنى شرح النووي ١٧ / ١٧٤ .

( ٢ ) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ٤ / ٢١٨١ - ٢١٨٢ .

( ٣ ) صحيح مسلم ٤ / ٢١٨٢ ، من حديث أبي سعيد وأبي هريرة معا والآية  
رقم ( ٤٣ ) من سورة الأعراف .

( ٤ ) الأطح : من الكباش الذي يكون فيه بياض وسواد والبياض أكثر ،  
التذكرة ص ٤٣٨ .

( ٥ ) صحيح البخاري ٣ / ١٥٧ ، صحيح مسلم ٤ / ٢١٨٨ ، واللفظ له والآية  
رقم ( ٣٩ ) من سورة مريم .

وفيهما من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : ان رسول الله على الله عليه وسلم قال : " يدخل الله أهل الجنة الجنة ، ويدخل أهل النار النار ، ثم يقوم مؤمن من بينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه (١) .

والأحاديث الواردة في أبدية الجنة ودوام نعيمها كثيرة جدا ، ولكنها دلت على أن نعيم الجنة لا ينقضي ولا ينقطع ، وأنه نعيم أبدى سرمدى ، وهذا هو اعتقاد أهل السنة وطائفة المسلمين .

قال النووي : " مذهب أهل السنة وطائفة المسلمين أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، يتنعمون بذلك ويفيروه من ملذات وأنواع نعيمها تنعم دائما لا آخر له ولا انقطاع أبدا ، وأن تنعمهم بذلك على هيئة تنعم أهل الدنيا إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة والنفاسة التي لا يشترك نعيم الدنيا إلا في التسمية وأصل الهيئة ، وإلا في أنهم لا يبوسون ، ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبصقون ، وقد دلت دلائل القرآن والسنة .. أن نعيم الجنة دائم لا انقطاع له أبدا " (٢) .

(١) صحيح البخارى ١٣٦/٤ ، صحيح مسلم ٢١٨٩/٤ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٣/١٧ - ١٧٤ وانظر " مراتب

الاجماع لابن حزم ص ١٧٣ .

والذى نخلص اليه مما تقدم من الآيات والأحاديث التى سقاهما  
 للاستدلال على أهدية الجنة ودوام نعمتها أنه يجب على كل إنسان أن يصدق  
 التصديق الجازم بوجود الجنة وأنها مخلوقة الآن وأنها باقية بإبقاء الله لها  
 لا تنسى أبدا ، ويدخل في ذلك كل ما اشتطت عليه من النعم (١) .

( ١ ) ولم يخالف في هذا الاعتقاد الحق الا " الجهم بن صفوان " فإنه زعم  
 " أن الجنة والنار تفتى وليس له سلف ألبته في هذا الاعتقاد الباطل  
 وتبعه على هذا الاعتقاد " أبو الهذيل العلاف " فإنه زعم : أن حركات  
 أهل الجنة تفتى ويصيرون في سكون دائم .

أنظر : مذهب الجهم في " حادى الأرواح " ص ٢٤٤-٢٤٥ ، شرح  
 الطحاوي ص ٤٨-٤٨١ ، لوامع الأنوار البهية ٢ / ٢٣٤ .  
 وانظر " مقالات الإسلاميين ١ / ٢٤٣ ، وانظر الفرق بين الفرق ص ٢١١ ،  
 ١٢٢ ، وانظر " الطل والنحل " ١ / ٥١ ، وانظر مذهب " محمد بن الهذيل  
 العلاف " في " الطل والنحل " ١ / ٥١ ، التبصير في الدين ص ١٠٨ ،  
 ص ٧ ، ولقد كفر السلف الصالح من قال بغنا الجنة لأن ذلك تكذيب  
 للقرآن وكفر به .  
 أنظر كتاب " السنة " محمد بن الإمام أحمد ص ٢٠ .

## - المبحث الثامن -

وجوب الإيمان بالعرش ، وهو سقف الجنة

لقد دلت السورة على وجوب الإيمان بالعرش ، وهو من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها ، وهو أعظم المخلوقات ، - خلقه - الرب جل وعلا - قبل أن يخلق السموات والأرض ، واختصه بالعلو والارتفاع ، ثم استوى عليه .  
وقد جاء ذكر العرش في آخر آية من سورة " الزمر " وذلك في قوله تعالى ( وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ) .

فهذه الآية من السورة أوضحت لنا شهداء راعيا لعباد الله المكرمين وهم محد قون حول هذا المخلوق العظيم - العرش - يسبحون بحمد ربهم ، ويعظمونه وينزهونه عن النقائص ويشنون عليه الثناء الطيب الذي يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، فإذا ما تم القضاء بين الخلائق بالعدل ، والقول الفصل على أتم وجهه وأكمله ، نطق العالم كله بالثناء والتحميد لله الحكيم العادل الذي لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى ( وقيل الحمد لله رب العالمين ) .

قال العلامة ابن القيم : " فحذف فاعل القول ، لأنه غير معين بل كل أحد بحمده على ذلك الحكم الذي حكم به ، فيحده أهل السموات ، وأهل الأرض ، الأبرار والفجار ، والإنس والجن ، حتى أهل النار .

قال الحسن وغيره : لقد دخلوا النار ، وإن حمده لفي قلوبهم ، وما وجدوا لهم عليه سبيلا ، وهذا - والله أعلم - هو السر الذي حذف لأجله الفاعل في قوله ( قتلوا أبواب جهنم ) . وفي قوله ( وقيل ادخلوا النار )



مع الداخلين (١) كان الكون كله نطق بذلك ، وقال لهم ذلك والله أعلم بالصواب (٢) .

وقال البغوي رحمه الله تعالى : ( وترى الملائكة حافين من حول العرش )  
أى : محدقين محيطين بحافته وجوانبه " أ. هـ. (٣)

وقال ابن كثير حول قوله تعالى ( وترى الملائكة حافين من حول العرش )  
الآية " لما ذكر تعالى حكمه في أهل الجنة والنار ، وأنه نزل كلا في المحل الذي يليق به ويصلح له ، وهو العادل في ذلك الذي لا يجور ، أخبر عن ملائكته أنهم محدقون حول العرش المجيد يسبحون بحمد ربهم ويمجدونه ، ويعظمونه ويقدمونه ، وينزهونه عن النقائص والجور ، وقد فصل القضية ، وقضى الأمر وحكم بالعدل ( وقيل الحمد لله رب العالمين ) أى : نطق الكون أجمعه ناطقاً وبهيمه لله - رب العالمين - بالحمد في حكمه وعدله ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه ، فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد .

قال قتادة : افتتح الخلق بالحمد في قوله ( الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ) (٢) . واختتم بالحمد في قوله - تبارك وتعالى - ( وقضى بينهم بالحق وقبلى الحمد لله رب العالمين ) (٤) .

وبعد بيان معنى الآية نقول : إنها دلت على وجوب الإيمان بالعرش وهو مقصودنا الذي نريد التوصل إليه ، وذكرناه هنا عقب ذكر الجنة لأمرين :-  
( ١ ) الأمر الأول : أن هذه الآية التي نصت على وجوب الإيمان بالعرش جاءت عقب الآيات الدالة على الإيمان بالجنة .

( ١ ) سورة التحريم آية / ١٢ . ( ٢ ) روضة المحبين ص ٦٥ .

( ٣ ) تفسير البغوي على حاشية الخازن ٧٢/٦ .

( ٤ ) سورة الانعام آية / ١ .

( ٥ ) تفسير القرآن العظيم ١١٨/٦ .

( ٢ ) الأمر الثاني : ثبت في السنن الصحيحة أن العرش سقف الجنة . فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن في الجنة مائة درجة أهداها الله للمجاهدين في سبيله كل درجة ما بينهما كما بين السماء والأرض ، فإذا سألت الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة ، وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة (١) .

ولا بد لنا هنا من بيان معنى العرش في اللغة ، ومفهومه عند العرب الذين بلغتهم نزل القرآن وخاطبنا الله بها فنقول :

( ٢ ) العرش في اللغة :-

هو عبارة : عن سرير الملكومنه قوله تعالى ( ولها عرش عظيم ) (٢) وعرش البيت سقفه ، ومنه قوله تعالى ( أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ) (٣) أي : على سقوفها ، ويأتي للمعنى الملك يقال : ثل عرشه على ما لم يسم فاطه أي : زال ملكه وذهب عزه .

قال زهير :

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها . . . وذبيان إن رلتها حلامها النمل (٤)

والمراد بالعرش في الآيات والأحاديث النبوية هو المعنى الأول وهو : السرير وهذا المعنى معروف عند العرب .

جاء في تهذيب اللغة : " العرش في كلام العرب ، سرير الملك يدلك على ذلك

سريو ملكة سبأ سماه الله - جل وعز - عرشا فقال ( ولها عرش عظيم ) (٥)

( ١ ) ١٣٦ / ٢ ( ٢ ) سورة النمل آية / ٢٣ .

( ٣ ) سورة البقرة آية / ٢٥٩ .

( ٤ ) الصحاح ١٠١٠ / ٣ ، لسان العرب ٣١٣ / ٦ ، القاموس ٢٨٨ / ٢ .

( ٥ ) تهذيب اللغة ٤١٤ / ١ ، والآية رقم ( ٢٣ ) من سورة النمل .

وما جاء في كلام بعض أهل اللغة من أن العراد بالعرش الطك لا يعني أن الملك يكون بدون عرش ، فالملك تبع للعرش فإذا ذهب العرش ذهب الملك .

وقال في القاموس : " العرش عرش الله ولا يحد <sup>(١)</sup> ، ولعل قصد صاحب القاموس بقوله " لا يحد " أي : لا يوصف بخير ما وصفه الله به في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وأما عرش الله تعالى :-

فهو سرير ذو قوائم خلقه الله واستوى عليه وأمر الملائكة بحطه وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات ، ومنه قول : أمية بن أبي الصلت :  
 مجدوا الله فهو للمجد أهمل . . . ربنا في السماء أسى كبيراً  
 بالبناء العالي الذي سبق النسا . . . س وسوى فوق السماء سريراً  
 شرجعاً لا يناله بصر العينين . . . ترى دونه الملائك صورا <sup>(٢)</sup>

وثبت العرش من أوضح الأمور عند جميع الأمم ، وفي جميع الأديان .  
 قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي : "باب الإيمان بالعرش وهو أحد ما أنكرته المعتضلة ثم قال : " وما ظننا أن نضطر إلى الاحتجاج على أحد ممن يدعي الإسلام في إثبات العرش والإيمان به حتى ابتلينا بهذه العصابه الطحدة في آيات الله فشغلونا بالاحتجاج لما لم تختلف فيه الأمم قبلنا <sup>(٣)</sup> .

قال أحمد بن الحسين البيهقي في كتابه " الأسماء والصفات " بعد أن ذكر آيات العرش : " اتفقت أقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير ، وأنه جسم خلقه الله وأمر ملائكته بحطه وفي أكثر هذه الآيات دلالة على صحة

( ١ ) القاموس ٢ / ٢٨٨ .

( ٢ ) الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص ٢٤ ضمن عقائد السلف .

( ٣ ) الرد على الجهمية ص ١٢ .

ما ذهبوا اليه وفي الأخبار والآثار الواردة في معناه دليل على صحة ذلك (١) .

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة الدالة على إثبات العرش كثيرة جدا فقد أخبر - الباري جل وعلا - عن نفسه بأنه استوى على عرشه فسي مواضع سبعة من كتابه وقد تقدم ذكرها .

وقال تعالى : ( ذو العرش المجيد فعال لما يريد ) ( ٢ ) .

وقال تعالى : ( رفيع الدرجات ذو العرش ) ( ٣ )

وقال تعالى : ( لا اله الا هو رب العرش العظيم ) ( ٤ ) .

وقال تعالى : ( الذين يحيطون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ) ( ٥ ) .

وقال تعالى ( ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ) ( ٦ ) .

وقال تعالى ( فإن تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ) ( ٧ ) .

وأما الأحاديث والآثار التي دلت على ثبوت العرش ووجوب الإيمان به فكثيرة جدا ومنها ما يلي :-

١ - فقد روى الشيخان في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال :

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم

- |       |                           |
|-------|---------------------------|
| ( ١ ) | س ٤٩٧ .                   |
| ( ٢ ) | سورة البهوج آية / ١٥-١٦ . |
| ( ٣ ) | سورة غافر آية / ١٥ .      |
| ( ٤ ) | سورة النمل آية / ٢٦ .     |
| ( ٥ ) | سورة غافر آية / ٧ .       |
| ( ٦ ) | سورة الحاقة آية / ١٧ .    |
| ( ٧ ) | سورة التوبة آية / ١٢٩ .   |

لا اله الا الله رب العرش العظيم ، لا اله الا الله رب السماوات ، ورب الأرض  
ورب - العرش الكريم (١) .

٢ - ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
" ان يمين الله ملائ لا يفيضها نفقة سما" الليل والنهار ، أرأيتسم  
ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه ، وعرشه  
على الماء ، وبمده الأخرى الفيض - أو القيس - يرفع ويخفض (٢) .  
قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى - " فالقرآن مشحون بذكر العرش ،  
وكذلك الآثار بما يمنع أن يكون العواد به الطك ، فدع المكابرة والعراء فيان  
العراء في القرآن كفر ، وما أنا قلت : بل المصطفى صلى الله عليه وسلم قاله (٣) .

أما الجهمية وأفراخهم الممترلة ، وطائفة من الخوارج وبعض الأ شاعرة  
فقد أنكروا العرش بطريقة التأويل الفاسد ، فقد زعموا : أن العواد بالعرش  
في الآيات والأحاديث هو عبارة عن سعة الطك والإسلطان ، وليس العرش  
الذي هو سقف المخلوقات وزعم بعضهم أن عرشه سماواته وأرضه ، وجميع خلقه  
وهذا هو عمن التعريف لنصوص الكتاب والسنة (٤) .

( ١ ) صحيح البخارى ٢٨٢/٤ ، صحيح مسلم ٢٠٩٢/٤ - ٢٠٩٣ .

( ٢ ) صحيح البخارى ٢٨١/٤ .

( ٣ ) كتاب " الملو " للذهبي ع ٥٨ .

( ٤ ) أنظر : التنبيه والرد على الأهلوسوا ع ٩٥ ، التوحيد للمعتزليسي  
ع ٥٩٩ ، الإختلاف في اللفظ ع ٢٤٢ ، الرد على الجهمية للدرايم  
ع ١٣ ، العلو للعلبي الفخار ع ٥٨ ، مختصر الصواعق المرسله  
١٤٠/٢ ، شرح الطحاوية ع ٣١٢ .

وقد بين محمد بن عثمان<sup>(١)</sup> بن أبي شيبة مذهب الجهمية في العرش فقال : " ذكروا أن الجهمية يقولون : أن ليس بين الله - عز وجل - وبين خلقه حجابوا نكروا العرش ، وأن يكون هو فوقه وفوق السموات وقالوا : ان الله في كل مكان وأنه لا يتخلص من خلقه شيء ولا يتخلص الخلق منه الا أن يفسيهم أجمع فلا يبقى من خلقه شيء - تبارك وتعالى - عما يقولون طوا كبيرا " (٢) .

وقد عبر عبد الجبار بن أحمد عن مذهب إخوانه المعتزلة في العرش فقال بعد أن ذكر آيات الاستواء على العرش : " أن العرش ههنا بمعنى الملك وذلك ، ظاهر في اللغة يقال : ثل عرش بني فلان أي : إذا زال ملكهم ، ثم استدل على هذا بقول الشاعر :

إذا ما بنوا مروان ثلث عروشهم . . . وأودت كما أودت إيمان وحمير<sup>(٣)</sup>

وأما الأشاعر أفراخ المعتزلة فقد عبر عن مذهبهم في العرش أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي حيث قال : " والصحيح عندنا تأويل العرش في الآية ( الرحمن على العرش استوى )<sup>(٤)</sup> على معنى الملك كأنه أراد أن الملك ما استوى لأحد غيره ، وهذا التأويل مأخوذ من قول العرب " ثل عرش بني فلان " إذا ذهب ملكه ، وقال متمم ابن نويرة في هذا المعنى :

عروش تغانوا بعد عز وأمانة . . . هو وابتعد ما نالوا السلامة والبقاء .

وأراد بالعرش ملوكا انقرضوا ، وقال سعيد بن زاهد الخزازي في النعمان بن المنذر :

(١) هو محمد بن عثمان بن محمد بن أبي شيبة العبسي من عبس غطفسان أبو جعفر الكوفي مؤرخ لرجال الحديث من الحفاظ ، توفي سنة سبع ومائتين هجرية .  
انظر ترجمته في : " الميزان " ٦٤٧٣ ، تاريخ بغداد ٤٢٣ ، الأعلام ١٤٢ / ٧ .

(٢) كتاب العرش ( ٥١ ) ق " مخطوط " .

(٣) شرح الأصول الخمسة ص ٢٢٧ .

(٤) سورة " طه " آية / ٥ .

قد نال عرشاً لم يملكه خائلاً .° جن ولا إنس ولا ديمـار  
وأراد بالعرش الطك والسلطان .° وقال النابغة :-  
بعد ابن جفنة وابن هاتك عرشه .° والعاشرين يوم ملون فلاحـا  
وأراد بهاتك عرش ابن جفنة سالب طكه فصح بهذا التأويل العرش طى الطك  
في آية الاستواء طى ما بيناه والله الموفق للصواب "أ.هـ." (١)

وهذه التأويلات الفاسدة التي انتحلها الجهمية والمعتزلة والأشاعرة  
للعرش الذي استوى عليه الرب جل جلاله استواءً يليق بجلاله يقصدون  
منها التوصل إلى نفي صفة الملو والفقمية ولكنهم باءوا بالفشل فسي  
سعاهم ذلك لأن الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة تكذبهم فيما قالوا  
وتثبت لله - تعالى - صفة الملو والفقمية ، وأن المراد من العرش المخلوق  
العظيم الذي هو سقو المخلوقات وأنه ذو قوائم ويحطه ثمانية من الملائكة  
الكرام البررة .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : " فمن أنكسر عرشه ، وأنكر  
استواءه أو أنكسر تدبيره فقد قدح في ملكه " أ.هـ." (٢)

وقال شارح الطحاوية : ردا على المعتزلة " وأما من حرف كلام الله  
وجعل العرش عبادة عن الطك كيف يصنع بقوله تعالى ( ويحمل عرش ربك  
فوقهم يومئذ ثمانية ) (٣) وقوله ( وكان عرشه على الماء ) (٤) أيقول : " ويحمل ملكه  
يومئذ ثمانية ؟ وكان ملكه على الماء ؟ ويكون موسى طيه السلام آخذاً بقائمة من  
قوائم الطك ؟ هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول ؟ " أ.هـ." (٥)

( ١ ) أصول الدين ص ١١٣-١١٤ ( ٢ ) مختصر الصواعق المرسله ٢ / ١٤٠  
( ٣ ) سورة الحاقة آية / ١٧ . ( ٤ ) سورة هود آية / ٧ .  
( ٥ ) شرح الطحاوية ص ٣١٢ .

والذي نخلص اليه ما تقدم من الآيات والأحاديث النبوية السابقة  
أن العرش من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها كما أخبر الله ورسوله  
بذلك ، وأن العرش أعظم مخلوقات الله خلقه قبل خلقه للسموات والأرض ،  
واختصه - سبحانه - بالعلو والارتفاع على سائر المخلوقات ، ثم استوى  
عليه استواءً يليق بجلاله - سبحانه - وتعالى وهذا ما يجب على الإنسان  
أن يعتقد في العرش ، كما يجب عليه أن ينأى بنفسه من الاعتقادات المنحرفة  
المخالفة للكتاب والسنة في عرش الرحمن ، وقد تقدم ذكر بعضها (١) ،

(١) وهناك طائفة من الفلاسفة والمتكلمين ذهبوا إلى أن العرش ذلك مستدبر  
من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة وهو عند هم الظك التاسع .

جاء في رسائل إخوان الصفا "وأما الظك التاسع المحيط بهـــــ  
الأفلاك الثمانية فهو العرش العظيم الذي يحيطه فوقهم يومئذ ثمانية  
كما قال الله - عز وجل - ."

أنظر : رسائل إخوان الصفا ٢/ ٢٦ ، تفسير روح المعاني ١١/ ٥٣ ،  
شرح الطحاوية ص ٣١ . " وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قولهم هذا  
ورد عليه وبين بانه/لم يثبتلا بدليل عقلي ولا شرعي " .

أنظر الرسالة العرشية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١/ ٢٦١-٢٦٤ .



الغائمة

## (( الخاتمة ))

وأوجز في هذه الخاتمة النتائج التي اشتمل عليها هذا المبحث المتعلق بمباحث العقيدة في "سورة الزمر" وذلك فيما يلي :

- ( ١ ) الايمان بالله يتضمن : الاعتقاد 'لجازم بأنه تعالى رب كل شيء وملكه وأنسه الخالق الرازق المحيي المميت ، وأنه - وحده - الذي يستحق أن يفرد به العبادة بالعبودية والطاعة ، والذل والخضوع وفقر ذلك من أنواع العبادة ، وأنه - تعالى المتصف بصفات الكمال المنزه من كل عيب ونقصان ، وهذا ما يجب على كل انسان أن يعتقد في الله - عز وجل - حتى يحقق عبوديته للخالق - سبحانه وتعالى - .
- ( ٢ ) الايمان بأن الله - تعالى - عال على جميع المخلوقات ستمو على عرشه بائن مسن خلقه ، وأنه لا يحل بشيء ولا يتحد به .
- ( ٣ ) القرآن كلام الله منزل فغير مخلوق في جميع أحواله سواء كان مقروءاً ، أو سموعاً ، أو مكتوباً فهو كلامه - تعالى - على كل حال لان الكلام ينسب الى من قاله مبتدئاً لا الى من قاله مبلغاً ، ومن ثم لا يكون مخلوقاً .
- ( ٤ ) ثبوت صفة العزة - للبارى جل وعلا - ينص الكتاب والسنة فلا عزة لاحد الا والله مالئها ، ومن يريد العزة فليطلبها منه - جل وعلا - ولا سهيل الى نيلها الا بطاعته والخضوع له - وحده لا شريك له .
- ( ٥ ) ان صفة الحكمة من الصفات التي أثبتتها لنفسه - سبحانه - فله حكمة تتعلق به بحبها ورضاها ، وفعل لا جلها فهو - تعالى - يفعل ما يفعل لحكمة يعلمها ، والنافون للحكمة والتعميل مخالفون للكتاب والسنة والاجماع والعقل الصحيح والفطرة المستقيمة التي فطر الله الناس عليها .
- ( ٦ ) بطلان زعم اليهود والنصارى ومشركي العرب من ادعوه من نسبتهم الولد الى الله - تعالى - فقد نفى - سبحانه - عن نفسه الولادة ، ونفى اتخاذ الولد جميعاً فهو المنزه - جل وعلا - من كل نقص وعيب - تعالى الله - عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

( ٧ ) اتصاف الهارى - سبحانه وتعالى - بصفتي الرحمة والمغفرة حقيقة لا مجازا ، وأن صفة الرحمة تنقسم الى قسمين رحمة عامة يشترك فيها كما قال تعالى (( ورحمتي وسعت كل شيء ))<sup>(١)</sup> ورحمة خاصة بالانبياء والرسل وعباده المؤمنين كما قال تعالى (( وكان بالمؤمنين رحيما ))<sup>(٢)</sup> فهما صفتان حقيقتان ثابتتان لله - عز وجل - حقيقة على ما يليق بجلاله وعظيم سلطانه .

( ٨ ) صفة الغنى من صفات الكمال التي أثبتتها الهارى - سبحانه - لنفسه فلا يحتاج الى شيء ، والخلائق جميعهم محتاجون اليه وفقراء اليه في كل أمر من أمورهم فلا قوام لهم الا به تعالى - في كل حركاتهم وسكناتهم وفي كل لحظة من لحظاتهم ، وفي كل نفس من أنفاسهم فلا غنى لهم عنه - طرفة عين .

( ٩ ) ان صفة الرضا من الصفات الفعلية التي أثبتتها - الهارى سبحانه - لنفسه على ما يليق بجلاله يفعلها متى شاء وكيف شاء ، وأن الارادة نوعان ارادة قدرية كونية ، و ارادة شرعية دينية ، والشرعية هي المتضمنة للمعبة والرضا والقدرية الكونية هي الشاطلة لجميع الموجودات فما شاءه - سبحانه - كان وما لم يشأه لم يكن ، والا امر الشرعي انما تلازمه الارادة الشرعية الدينية ، ولا تلازم بينه وبين الارادة الكونية القدرية ، فالكافر أمره الله بالايمان ، وأراده منه شرعا وديننا ولم يرد منه كونيا وقدرا ، ولو أراد كونا لحصل لان الارادة الكونية القدرية لا يتخلف عنها السراد بخلاف الارادة الشرعية قد يتخلف المراد بها .

( ١٠ ) صفة العلم من صفات الكمال التي أثبتتها - الهارى سبحانه - لنفسه فقد علم - جل وعلا - ألا ما يكون من عبده المختار من سعادة وشقاوة ، وما يحصل له من الغنى والفقر ، ومن ناحية تحديد عمره وانقضاء أجله ، ثم كتب ما يعلمه نسي اللوح المحفوظ فهو - سبحانه - كتب لا ليحجر أحدا من عباده على حسب ما كتب ، في الازل ما يكون من العبد بمحض اختياره ، و ارادته فعله - تعالى صفة انكشاف للماضي والحاضر والمستقبل وهو معنى قول أهل الملم علم ما كان ولم يلم ما يكون ،

وعلم ما لم يكن ان لو كان كيف كان يكون .

( ١١ ) لله تعالى يدان حقيقتان وهما من صفات الكمال التي اتصف بها - سبحانه -  
 وأنها كما يليق بجلاله ، وما ورد في شأنهما من الاساك والطي ، والقبض والبسط  
 والحيثيات والخلق باليدين وكتب الثوراة بيده وفرس جنة عدن بيده ، وكبشون  
 المقسطون عن يمينه وتخجير آدم بين ما في يديه ، وأخذ الصدقة بيمينه برئيسها  
 لصاحبها ، وأنه مسح ظهر آدم بيده الى غير ذلك ما ورد في شأنها ما يدل  
 دلالة واضحة على أنها يد حقيقية كما أخبر بذلك - جل وعلا - وأن تأويلها  
 بالقدرة أو النعمة أو القوة تأويل ظاهر البطلان .

( ١٢ ) لا يستحق العبادة بجميع أنواعها الاعتقادية والقولية والعملية الا الله - جل  
 وعلا - فأنواع العبادة مثل الدعاء والخوف والرجاء والابانة ، والتوكل والخشية  
 وغيرها من أنواع العبادة لا يستحق أى أحد كائنا من كان أى شيء منها .

( ١٣ ) الاخلاص روح العبادة وعمودها الذى تقوم عليه ، وأى عبادة بدون اخلاص عبادة  
 مردودة على صاحبها لانها لم توجه الى الله - وحده لا شريك له - ومتى شاب  
 العبادة قصد غير الله - تعالى - اعتبرت لافية لا قيمة لها ولا فائدة منها سوى  
 التعب لصاحبها لان الله - تعالى - لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا لوجهه ،  
 وقد تضافرت الادلة من كتاب وسنة ، وأقوال الائمة في اشتراط الاخلاص للاعمال  
 والاقوال الدينية ، وأن الله لا يقبل منها الا ما كان خالصا له واهتفى به وجهه .

( ١٤ ) العبودية : تنقسم الى عامة ، وخاصة ، والعامة هي عبودية أهل السموات والارض  
 جميعهم عبده - تعالى - برهم وفاجرهم ، ومؤمنهم وكافرهم ، وهذه العبودية  
 هي عبودية القهر والملك ، وأما العبودية الخاصة فهي عبودية الطاعة والمحبة  
 واتباع الاوامر والبعد عن النواهي فعلى المبد أن يتحلى بتحقيق العبودية  
 الخاصة ان السعادة في الدارين لا تتال الا بها .

( ١٥ ) الاسلام دين الاولين والاخرين من بني آدم ، وأن أول المسلمين في جميع  
 الشرائع الالهية هم الرسل لانهم أول من يعرف الشرائع فالخير كل الخير بالالتزام

بدن الاسلام الذي رضي به الله ديننا لعباده المؤمنين .

( ١٦ ) الطاغوت اسم عام يشمل كل ما عبد من دون الله وكل رأس ضلال يدعو الى الباطل ويزينه لمتبعيه ، كما أنه يشمل كل من نصبه الناس للحكم بينهم فحكم بأحكام الجاهلية المنتنة المضادة لحكم رب العالمين وحكم رسوله الامين صلى الله عليه وسلم ، فالحاكم بغير ما أنزل الله طاغوت لأنه نصب نفسه منصب الاله المشرع ، وهنا يظهر معنى مجاوزة الحد في معنى الطاغوت ، فان الحاكم ملزم بأن يتقيد بأحكام الرب - سبحانه - التي أنزلها لعباده وأوضحها لهم ، بل ان معنى الطاغوت يتناول كل ما صرف الناس عن عبادة ربهم كالوثان والاشجار والقباب التي تمسك من دون الله لأنها تصرف من يعبدها عن عبادة الاله الحق - سبحانه وتعالى - .

( ١٧ ) المطلوب من الانسان أن يجمع في حياته بين الخوف والرجاء ولا ينفي له أن يغلب أحدهما على الآخر ، فانه لو غلب جانب الرجاء وانهمك في المصيان لربه - تبارك وتعالى - فان ذلك قد يؤدى به الى أن يمكر الله به ، واذ اغلب عليه جانب الخوف ربما جرّه ذلك الى اليأس فالفرض من الرجاء أن الانسان لو وقع في تقصير فعلية أن يحسن الظن بالله - تعالى - و يرجو منه أن يفر له ذنبه ، وكذلك اذا وفقه الله - تعالى - للاتباع بالطاعة يرجو من الله أن يقبلها منه ، ويخاف أن لا تقبل .

( ١٨ ) التوكل على الله لا ينافي اتخاذ الاسباب ، بل ان التوكل لا يتم الا اذا اتخذ الانسان لكل عمل يريد الاسباب التي توصله الى تحقيقه - فالله تعالى - وسط الاسباب بسبباتها ، والتوكل من أعظم الاسباب وأنفسها في دفع المضار ، وجلب المنافع ، فلا بد من الاخذ بالاسباب التي توصل الانسان الى تحقيق حاجاته والحصول على مطالبه ، ومن قال ينفي الاسباب فتوكله مشوب ومدخول .

( ١٩ ) أرسل الله من أجل <sup>الرسول</sup> توحيد العبادة ، وهو التوحيد المطلوب الذي أمر الله عباده أن يفردوه به دون سواه ولذلك كان أساس دعوة الرسل جميعا وهو المطلوب في فاتحة دعوة كل نبي من الانبياء من لدن نوح عليه السلام الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

( ٢٠ ) الشفاعة نوعان منفية ، وشبته ، فالخفية هي التي ادعاها المشركون لالهتهم والمثبتة هي التي أثبتها الله ورسوله بشرطها الاذن ، والرضا ، والشفاعة لاهل الكبائر ثابتة بنص الكتاب والسنة خلافا لاهل البدع النافين لها ، والممنوع منها انما هو الشفاعة لاهل الكفر والشرك .

( ٢١ ) الاقرار بالرب - جل وعلا - أمر فطري مركوز في كل نفس ولهذا كانت دعوة الرسل انما كانت الى عبادة الله - وحده - لا شريك له - وللتذكير بالربوبية لان عامة الخلق مقررون به - سبحانه - . ~~حينئذى الكون يسطر يقسمون بأن~~ - تعالى - الخالق الرازق النافع الضار المحيي المميت ، ولكن هذا الاقرار لم يجد شيئا ، ولم ينقذهم من النار .

( ٢٢ ) تظهر أهمية الاقرار بتوحيد الربوبية في أنه مقدمة لنتيجة ، فاذا أقر العبد بأن الله - تعالى - هو الرب المتفرد بالربوبية وخصائصها استلزم ذلك حتما أن ينتج عن اقراره هذا اقرار بتفرد الرب - جل وعلا - بالمعبادة فيفرد بهها وحده لا شريك له ولا يصرف منها شيئا لغير الله - تعالى - . ان أنه لا يصلح أن يعبد الا من كان ربا سيذا خالقا بارثا مصورا ، مالكا رازقا ، معطيا فاعما ، محييا مميتا مدبرا لا مر الكون كله وذلك كله لا يشبه الا الله - وحده - لا شريك له فوجب أن يكون هو المعبود وحده دون سواه .

( ٢٣ ) أصل الشرك في بني الانسان والدافع اليه عند جميع فرق المشركين قد بما وحديثا انما هو تعلقهم بأذيال الشفاعة الباطلة وزعمهم اتخاذا الالوليا والشفعاء انما هو لاجل يقربوهم اليه زلفى ، والا فهم يعتقدون أنها لا تخلق ولا ترزق ، ولا تملك من الامر شيئا ، وهذا من أقبح الاعذار لاقد امهم على أشد الذنوب وأقبحها حرمة عند الله تعالى .

( ٢٤ ) الشرك بالله أظلم الظلم وهو أشد ذنب عصي الله به ولذلك رتب الله عليه من العقوبات الدنيوية والاخرية ما لم يرتبه على ذنب سواه من اباحة دماء أهله وأموالهم وسبي ذرارهم ونسائهم وعدم مغفرته من بين الذنوب الا بالتوبة منه ،

وإذا وقع فيه الانسان أحبط عطشه وصار من الخاسرين .

(٢٥) الايمان بالملائكة يتضمن التصديق والاعتقاد الجازم بأن له - تعالى - ملائكة موجودون ، مخلوقون من نور ، وأنهم كما وصفهم - الباري سبحانه - عباد مكرمون يسبحون الله الليل والنهار لا يفترون ، ولا يحصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أسندها الله اليهم ، ويجب الايمان بمن ورد تعيينه باسمه الخاص به كهاروت وماروت ، وجبريل وميكائيل على التفصيل ، أما من لم يرد تعيينه باسمه الخاص ، أو لم يشتهر بعمل معين ، فيجسب الايمان بهم أجمالاً ، ولا يعلم عددهم الا الله - سبحانه وتعالى - .

(٢٦) الايمان بالكتب يتضمن التصديق الجازم بأن للباري - سبحانه - كتباً أنزلها على أنبيائه ، وهي كلامه حقيقة وأنها نور وهدى وأن ما تضمنته حق وصدق وعدل ، ولا يعلم عددها الا هو - سبحانه - ، وأنه يجب الايمان بها جملة الا ما سمي منها وهي التوراة والانجيل والزبور والقرآن وصحف ابراهيم وموسى فهذه يجب الايمان بها تفصيلاً .

(٢٧) الايمان بالرسول يتضمن التصديق الجازم بأن - الرب جل وعلا - أرسل رسلاً وأنبياءً ليرشدوا الخلق في معاشهم ومعادهم ، وقد اقتضت حكمة اللطيف الخبير أن لا يترك خلقه سدى ، ولا هملاً بل أرسل اليهم رسلاً مبشرين ومنذرين ، فيجب الايمان بمن سعى الله منهم في كتابه على التفصيل ، والايمان اجمالاً بأن له - تعالى - رسلاً فيهم (وأنبياءً لا يحصيهم الا هو - سبحانه وتعالى - ويختص آخرهم وسيدهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم باعتقاد عموم رسالاته وشمولها لكل أحد وكما لها دون تطرق النقص اليها ومقائدها الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

(٢٩) الايمان بالقدر يتضمن التصديق الجازم بأن كل خير وشر فهو بقضاء الله تعالى وقدره ، وأنه - جل وعلا - الفعال لما يريد لا يكون شيء في هذا الكون الا - بإرادته ، ولا يخرج عن مشيئته وليس في العالم شيء يخرج عن تدبيره ، ولا

معيد لاحد عن قدره ، ولا يتجاوز الانسان ما خطله في اللوح المحفوظ ، وهو الذى خلق العباد وأفعالهم من طاعات ومعاصي ، ومع ذلك أمرهم ونهاهم وجعلهم مختارين لجميع أفعالهم وليسوا مجبورين عليها ، بل تقع بقدرتهم وارادتهم . يهدى من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء بحكمته لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

( ٢٩ ) الايمان باليوم الاخر يتضمن التصديق الجازم بكل ما أخبر الله به عن هذا اليوم الذى تجوفى فيه كل نفس ما كسبت ، وتصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به مما يكون بعد الموت من الحشر والنشر والصفح والميزان والحساب والجزاء والصراط والحوض والشفاعة ، وفتنة القبر وعذابه ونعيمه ، والجنة والنار ، وما أعد الله لاهلها فيهما .

( ٣٠ ) القول الراجح أن عدد النفخات ثلاث : نفخة الفزع ، ونفخة الصمق ، ونفخة البعث ، كما صرح بذلك القرآن ، فيجب الايمان بالنفخ في الصور الذى جعله الله سبب الفزع ، والصمق والقيام من القبر ، كما يجب الاعتقاد الجازم بأن الذى يعيده الله عند البعث هو هذا الجسد بعينه الذى أطاع وعصى ، فینعمه ويعذبه ، كما ينعم الروح التي آمنت بعينها ، ويعذب التي كفرت بعينها لا أنه - سبحانه - يخلق روحا أخرى غير هذه فينعمها ويعذبها كما قال من لم يعرف المعاد الذى أخبرت به الرسل حيث زعم أن الله - سبحانه - يخلق بدنا غير هذا البدن من كل وجه عليه يقع النعيم والعذاب ، والروح عنده عرض من أعراض البدن فيخلق روحا غير هذه الروح وهذا البدن وهذا غير ما اتفقت عليه الرسل ، ودل عليه القرآن والسنة وسائر كتب الله تعالى (١) .

( ٣١ ) الجنة والنار مخلوقتان أبديتان لا تغنيان ولا تبديان ومن زعم انهما يغنيان فقد خالف الكتاب والسنة واجماع الامة . تلك هي نتائج البحث والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



الفهارس

فهرس الأعلام

## فهرس الاعلام المترجم لهم

الصفحة	الاسم	المسلسل
٥٩٥	ابراهيم بن أحمد بن عمر - بن شاقلا البزار الحنبلي -	١
٨٩	ابراهيم بن السرى بن سهل الزجاج	٢
٤٥١	أبي بن كعب - الصحابي الجليل	٣
٤٢	أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تميمية	٤
٤٢	أحمد بن علي بن محمد الكثاني - ابن حجر العسقلاني	٥
٤٤٩	أحمد بن علي الرازي الحنفي - المعروف بالجصاص	٦
٥٩٤	أحمد بن عمر بن ابراهيم - أبو العباس القرطبي	٧
٦٢٦	أحمد بن فارس بن زكريا القزويني السرازي	٨
٢٥	أحمد بن محمد بن حنبل بن هلا بن أسد الشيباني	٩
٢٠	اسماعيل بن عبد الرحمن الشهير بأبي عثمان الصابوني	١٠
١٥٥	اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي	١١
٥٠	اسماعيل بن عمر بن كثير - عماد الدين -	١٢
١٦٢	بشر بن غياث المرسي	١٣
٦٠	الجمد بن درهم	١٤
٤٢٤	جمال الدين القاسمي	١٥
٥٢	الحسن بن يسار البصري	١٦
٦٠٤	الحسن بن عبد الله بن سهل - أبو هلال المسكري	١٧
٤٢٥	الحسين بن محمد بن عبد الله بن شرف الدين الطبري	١٨
٤٣٨	الحسين بن سمود الفراء البغدادي	١٩
٣٩٩	حمد بن محمد أبو سليمان الخطابي	٢٠
٧١٩	رفيع بن مهران الرياحي البصري - أبو العالمة -	٢١
٣٧١	سميد بن جبير الاسدي	٢٢
٨٦	سليمان بن الأشعث - أبو داود السجستاني	٢٣
٢٢٣	سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب	٢٤
٢٠٣	سهل بن عبد الله التميمي	٢٥
٣٧٣	شريم بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي	٢٦
٥٧	عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي	٢٧
١٣١	عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي	٢٨



الصفحة	الاسم	السلسل
٦٢٦	محمد بن أحمد بن عبد الطك بن أبي جمره الاموى	٦٠
٤٥	محمد بن ادريس الشافعي	٦١
٣٠	محمد بن اسحاق بن غزيمه	٦٢
٣٢٦	محمد بن اسحاق الامير الصنعاني	٦٣
٢٩	محمد بن جرير الطبري	٦٤
٣٣١	محمد بن الحسن بن محمد النقاش	٦٥
٥٨	محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الاجري	٦٦
١٠٩	محمد بن المسائب بن بشير بن عمرو الكسبي	٦٧
٥٩١	محمد بن عبد الله بن محمد المافري - ابو بكر بن المرعي	٦٨
٢٧٥	محمد بن عبد الوهاب	٦٩
٧٦٤	محمد بن عثمان بن محمد بن أبي شيبه	٧٠
٢٦١	محمد بن علي بن محمد الشوكاني	٧١
٥٢	محمد بن عيسى بن سورة الترمذي	٧٢
٧٠٧	محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الشمالي - الشهير بالمبرد	٧٣
١٣٠	محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم الفيزوي آبادي	٧٤
٥٣٦	محمد بن عبد الله بن عهيم الجهني	٧٥
٤٣٨	محمد بن المشني - أبو عبيده	٧٦
٤٥١	مقاتل بن سليمان بن كثير الازدي	٧٧
٤٤	مالك بن أنس بن مالك	٧٨
٤١٥	منصور بن العزيز بالله - المعروف بالحاكم العبدي -	٧٩
٤٣	النعمان بن ثابت التيمي أبو حنيفه	٨٠
٤٤	هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري - اللالكائي -	٨١
٤٤٤	هشام بن محمد بن أبي النضر بن السائب الكسبي	٨٢
٧١٥	وهيب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني	٨٣
٧١٦	همام بن غالب التميمي - الشهير بالفسرزدق	٨٤
٥٩٩	يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف - أبو الحجاج المزني -	٨٥

# فهرس الأعلام

تشبهت المصادر والمراجع

( ٢ )

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الابانة عن أصول الديانة .  
أبو الحسن الأشعري ت (٣٣٠) ط: الجامعة الاسلامية ١٩٧٥ م
- ٣ - اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية .  
أبو عبد الله محمد بن أبي بكر - بن قيم الجوزية ت (٧٥١) هـ - دار المعرفة - بلا تاريخ .
- ٤ - الاحتجاج بالقدر .  
شيخ الاسلام - أحمد بن عبد الحلیم ابن تومية - ت (٧٢٨) هـ - المكتب الاسلامي .
- ٥ - أحكام القرآن .  
أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف - بابن العربي - ت (٥٤٣) هـ - دار المعرفة - بيروت - لبنان .
- ٦ - أحكام القرآن .  
أبو بكر أحمد بن علي الرازي - المعروف بالجصاص - ت (٣٧٠) هـ - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .
- ٧ - احياء علوم الدين .  
أبو حامد محمد بن محمد الفزالي ت (٥٠٥) هـ - دار المعرفة بيروت - لبنان ١٣٨٣ هـ .
- ٨ - الاختلاف في اللفظ .  
عبد الله بن سلم الدينوري - ابن قتيبة - ت (٢٧٦) هـ - منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧١ م .
- ٩ - ارشاد الثقات الى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات .  
محمد بن علي الشوكاني ت (١٢٥٠) هـ - ط: ١ - دار المكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤٠٤ هـ .
- ١٠ - أساس البلاغة .  
محمود بن عمر الزمخشري الخوازمي ت (٥٣٨) هـ - دار صادر بيروت - ١٣٩٩ هـ .

- ١٠ - أساس التقديس في علم الكلام .  
محمد بن عمر بن الحسن الرازي ت (٦٠٦) - القاهرة مطبعة الحلبي ١٣٥٤ هـ .
- ١١ - أسباب النزول .  
علي بن أحمد الواحدى ت (٤٦٨) - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ١٢ - الاسماء والصفات .  
أحمد بن الحسين البيهقي - ت (٤٥٨) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - بيروت .
- ١٣ - الاشارات والتبسيهات .  
أبو علي الحسين بن عبد الله - المعروف بابن سينا - ت (٤٢٧) تحقيق سليما دنيا  
القاهرة - دار المعارف - ١٩٥٠ م .
- ١٤ - الاصابة في تمييز الصحابة .  
أحمد بن علي بن حجر المسقلاني ت (٨٥٢) هـ - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .
- ١٥ - الاصلنام .  
أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ت (٢٠٤) هـ تحقيق أحمد زكي -  
الدار القومية القاهرة - ١٣٤٣ هـ .
- ١٦ - أصول الدين .  
عبد القاهر البغدادي ت (٤٢٩) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ١٧ - أصول الدين .  
محمد بن عبد الكريم البزدوى ت (٤٩٣) هـ تحقيق - هانز بيترلنس - دار احياء الكتب  
العربية ١٣٨٣ هـ .
- ١٨ - الاصول الثلاثة .  
الشيخ محمد بن عبد الوهاب ت (١٢٠٦) هـ - المكتبة السلفية - المدينة المنورة .
- ١٩ - أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن .  
محمد الامين بن محمد المختار - ط : ١ - مطبعة المدني - ١٣٨٤ هـ .
- ٢٠ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركيين .  
محمد بن عمر بن الحسن الرازي ت (٦٠٦) هـ تحقيق علي سامي النشار - دار  
الكتب العلمية -



- ٢١ - الاعتقاد السبيل الرشاد .  
 أحمد بن الحسين البيهقي ت (٤٥٨) هـ تصحيح أحمد مرسي - المطبعة العربية  
 باكستان -
- ٢٢ - أعلام الموقمين عن رب العالمين .  
 أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ت (٧٥١) هـ - مكتبة الكليات الأزهرية  
 القاهرة - ١٣٨٨ هـ .
- ٢٣ - أعلام النبوة .  
 أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ت (٤٥٠) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
- ٢٤ - الأعلام . قاموس ترجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين  
 خير الدين الزركلي ط : ٣ - بيروت - ١٣٨٩ هـ .
- ٢٥ - اغاثة اللفهان من صايد الشيطان .  
 أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير - باين قيم الجوزية - (٧٥١) تحقيق محمد  
 حامد الفقي - دار المعرفة - بيروت - لبنان .
- ٢٦ - الاقتصاد في الاعتقاد .  
 أبو حامد محمد بن محمد الفزالي ت (٥٠٥) هـ - مكتبة الجندي - القاهرة - تحقيق  
 محمد مصطفى أبي الملا .
- ٢٧ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم .  
 لشيخ الإسلام ابن تيمية - ت (٧٢٨) هـ تحقيق محمد حامد الفقي - ط : ٢ مطبعة  
 السنة المحمدية ١٣٦٩ هـ .
- ٢٨ - الأكليل في استنباط التنزيل .  
 عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت (٩١١) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت -  
 لبنان - ط : ١ سنة ١٤٠١ هـ .
- ٢٩ - الأشال في القرآن الكريم .  
 محمد بن أبي بكر - الشهير بابن قيم الجوزية - ت (٧٥١) هـ - ط : ٢ - دار  
 الفكر للطباعة والنشر ١٤٠٣ هـ .
- ٣٠ - أملاء ما من به الرحمن من وجوه الأعراب والقراءات في جميع القرآن .

- أبو البقاء عبد الله بن الحسين المكبرى ت (٦١٦) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٣١ - الام - للشافعي -
- محمد بن ادريس الشافعي ت (٢٠٤) هـ المطبعة الاميرية القاهرة - ١٣٢١ هـ .
- ٣٢ - الانسان في القرآن الكريم من البداية الى النهاية .
- عبد الكريم الخطيب ط: ١ - دار الفكر العربي - ١٩٧٩ م .
- ٣٣ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل " السمي تفسير البيضاوي " .
- عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي ت (٦٨٥) هـ - دار الفكر - ١٤٠٢ هـ .
- ٣٤ - ايثار الحق على الخلق .
- أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الوزير ت (٨٤٠) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٣٥ - الايمان .
- شيخ الاسلام ابن تيمية ت (٧٢٨) هـ ط: ٢ - المكتب الاسلامي .

( ب )

- ٣٦ - البحر المحيط .
- محمد بن يوسف الشهير - بأبي حيان - الاندلسي المرناطي ت (٧٥٤) هـ - دار الفكر للطباعة - ١٤٠٣ هـ .
- ٣٧ - بدائع الفوائد .
- محمد بن أبي بكر - الشهير بابن القيم - ت (٧٥١) هـ - المطبعة المنيرية .
- ٣٨ - البدر الطالع بمحاسن القرن التاسع .
- محمد بن علي الشوكاني ت (١٢٥٠) هـ ط: ١ - مطبعة السعادة مصر - ١٣٤٨ هـ .
- ٣٩ - البداية والنهاية .
- أبو الفدا - اسماعيل بن عمر الشهير بابن كثير - ت (٧٧٤) هـ ط: ٢ - مكتبة المعارف - بيروت - ١٩٧٧ م .
- ٤٠ - بذل المجهود في حل أبي داود .
- الشيخ خليل أحمد السهاري نفوري ت (١٣٤٦) هـ - شركة الطباعة العربية - الرياض

- ٤١ - بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب المميز .  
مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ت ( ٨١٧ ) هـ - المكتبة العلمية -  
بيروت - لبنان .
- ٤٢ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة .  
جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ( ٩١١ ) هـ - مطبعة البابي الحلبي - ١٣٨٤ هـ
- ٤٣ - بين الفلاسفة والكلاميين .  
محمد عبده - تحقيق سليمان دنيا - دار احياء الكتاب العربي -

( ت )

- ٤٤ - تأويل مختلف الحديث .  
عبد الله بن سلم الدينورى - الشهير بابن قتيبة ت ( ٢٧٦ ) هـ - دار الكتاب العربي  
بيروت .
- ٤٥ - تاج المروس من جواهر القاموس .  
محمد مرتضى الزبيدى ت ( ١٢٠٥ ) هـ - منشورات دار الافاق الجديدة - بيروت لبنان .
- ٤٦ - تاريخ الاسم والطوك .  
أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ت ( ٣١٠ ) هـ - تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم  
دار سويدان بيروت - لبنان .
- ٤٧ - تاريخ بغداد .  
أبو بكر أحمد بن علي الخطيب ت ( ٤٦٣ ) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٤٨ - تاريخ ابن خلدون .  
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي ت ( ٨٠٨ ) هـ - مؤسسة جمال  
للطباعة والنشر - بيروت -
- ٤٩ - تاريخ الجهمية والمعتزلة .  
محمد جمال الدين القاسمي ت ( ١٣٣٢ ) هـ ط: ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت لبنان
- ٥٠ - التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين .  
أبو المظفر الاسفراييني ت ( ٤٧١ ) هـ ط: ١ - تحقيق كمال يوسف الحوت - عالم الكتب  
بيروت - ١٤٠٣ هـ .

- ٥١ - التبيان في أقسام القرآن .  
للملازمة ابن القيم ت (٧٥١) هـ - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .
- ٥٢ - تبیین كذب العفترى .  
علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ت (٥٧١) هـ - دمشق مطبعة التوفيق ١٣٤٧ هـ
- ٥٣ - تجريد التوحيد الحفيد .  
أحمد بن علي المقرئ ت (٨٥٤) هـ - المطبعة النيرية ١٣٧٣ هـ .
- ٥٤ - تحفة الاحوذى شرح جامع الترمذى .  
محمد عبد الرحيم بن عبد الرحيم المباركفوري ت (١٢٥٣) هـ القاهرة مطبعة الفجالة .
- ٥٥ - تحفة العريد شرح جوهرة التوحيد .  
ابراهيم بن محمد البيجوري ت (١٢٧٧) هـ ط: ١ - دار الكتب العربية - بيروت  
لبنان - ١٤١٣ هـ .
- ٥٦ - التحفة المهدية شرح التدمرية .  
الشيخ فالح بن مهدي آل مهدي - مطابع القصيم - الرياض ط: ١ سنة ١٣٨٥ هـ .
- ٥٧ - تحكيم القوانين .  
الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ت (١٣٨٩) هـ - مطابع الجامعة  
الاسلامية ١٤٠٤ هـ .
- ٥٨ - التخوف من النار والتصريف بحال دار البوار .  
عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ت (٧٩٥) هـ - مكتبة دار البيان ط: ١ سنة ١٣٩٩ هـ .
- ٥٩ - تذكرة الحفاظ .  
أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ت (٧٤٨) هـ - دار احياء التراث العربي بلاتارين
- ٦٠ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة .  
أبو عبد الله محمد بن أحمد فرح الانصاري القرطبي ت (٦٧١) هـ - دار الفكر بلاتارين
- ٦١ - التسهيل لعلوم التنزيل .  
محمد بن أحمد بن جزى الكلبي ت (٧٤١) هـ ط: ٤ - دار الكتاب العربي - بيروت  
لبنان .

- ٦٢ - تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد .  
محمد بن اسماعيل الامير الصنعاني ت (١١٨٢) هـ - مطبعة دار نشر الثقافة  
بالاسكندرية ١٣٩٧ هـ .
- ٦٣ - التمرينات " للجرجاني " .  
علي بن محمد الجرجاني ت (٨١٦) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٦٤ - تفسير أبي السمود .  
محمد بن محمد العمادي ت (٩٥١) هـ - مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد - القاهرة .
- ٦٥ - تفسير أسماء الله الحسنى .  
أبو اسحاق ابراهيم بن السرى الزجاج ت (٣١١) هـ تحقيق أحمد يوسف الدقاى .
- ٦٦ - تفسير غريب القرآن ؛  
أبو محمد عبد الله بن سلم بن قتيبة ت (٢٧٦) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت  
لبنان - تحقيق أحمد صقر .
- ٦٧ - تفسير القرآن العظيم .  
عماد الدين ابن كثير ت (٧٧٤) هـ ط: ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت  
لبنان ١٣٨٩ هـ .
- ٦٨ - تفسير القرآن الحكيم - الشهر بتفسير المنار .  
محمد رشيد رضا - دار المعرفة - بيروت
- ٦٩ - التفسير القيم .  
للإمام ابن القيم - جمعه محمد أوهب الندوى - تحقيق محمد حامد الفقى - دار  
الكتب العلمية بيروت - لبنان .
- ٧٠ - التفسير الكبير .  
للفخر الرازى ت (٦٠٦) هـ دار احياء التراث العربي .
- ٧١ - تفسير النسفي .  
عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ت (٧١٠) هـ - دار الكتاب العربي - بيروت لبنان
- ٧٢ - تقريب التهذيب .  
للمحافظ - ابن حجر العسقلاني - ت (٨٥٢) هـ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف -  
مطابع دار الكتاب العربي مصر .

- ٧٣ - تكلية شرح الصدر في ذكر أحوال البحث والقبر .  
 محمد بن محمد البرديسي (مخطوط) في مكتبة - محمد نمر الخطيب - برقم (١٤٠٢)
- ٧٤ - تلبيس ابليس .  
 عبد الرحمن بن الجوزي ت (٥٩٧) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٧٥ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد .  
 أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ت (٤٦٣) هـ تحقيق سعيد أحمد  
 أعراب - الشؤون الإسلامية المغرب ١٤٠١ هـ .
- ٧٦ - التنبه والرد على أهل الأهواء والبدع .  
 محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الططبي ت (٣٧٧) هـ ط: القاهرة ١٣٦٨ هـ .
- ٧٧ - التوحيد للنيسابوري .  
 سعيد محمد النيسابوري - مطبعة دار الكتب والوثائق القومية - ١٩٦٨ م .
- ٧٨ - التوسل أنواعه وأحكامه .  
 محمد ناصر الدين الألباني ط: ٢ - المكتب الإسلامي ١٣٩٧ هـ .
- ٧٩ - التوصل الى حقيقة التوسل .  
 محمد نسيم الرفاعي ط: ٢ - دار البيان للطباعة والنشر - ١٣٩٩ هـ .
- ٨٠ - توضيح المقاصد وتصحيح القواعد . شرح قصيدة ابن القيم .  
 أحمد بن إبراهيم بن عيسى ط: ٢ - المكتب الإسلامي ١٣٩٢ هـ .
- ٨١ - تهذيب تاريخ دمشق .  
 للحافظ علي بن الحسن بن هبة الله - المعروف بابن عساكر - ت (٥٧١) هـ - دار  
 المصيرية - بيروت - بلا تاريخ .
- ٨٢ - تهذيب التهذيب .  
 للحافظ ابن حجر المسقلاني ت (٨٥٢) هـ - طبع مجلس دائرة المعارف - الهند  
 حيدرآباد الدكن ١٣٢٥ هـ .
- ٨٣ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال .  
 للحافظ أبي العجاج المزني ت (٧٧٢) هـ تحقيق بشار عواد - مؤسسة الرسالة  
 ط: ٢ سنة ١٤٠٣ هـ .

- ٨٤ - تهذيب اللفظة .  
أبو منصور الأزهرى محمد بن أحمد ت (٣٧٠) هـ - دار المصرية للتأليف والترجمة .
- ٨٥ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد .  
الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ت (١٢٣٣) هـ - مكتب الرياض  
الحديثة .
- ٨٦ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الغنان .  
للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى ت (١٣٧٦) هـ مطبوعات الجامعة الإسلامية .

( ج )

- ٨٧ - جامع البيان عن تأويل آى القرآن .  
أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ت (٣١٠) هـ ط: ٢ - الباهى الحلبي - ١٣٨٨ هـ
- ٨٨ - جامع العلوم والحكم .  
ابن رجب الحنبلي ت (٧٩٥) هـ مكتبة الرياض الحديثة .
- ٨٩ - الجامع لاحكام القرآن .  
محمد بن أحمد الانصارى القرطبي ت (٦٧١) هـ .
- ٩٠ - الجرح والتعديل .  
للحافظ أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى ت (٣٢٧) هـ - ط: ١ - دار الكتب  
العلمية - بيروت - لبنان .
- ٩١ - جلاء العينين في محاكمة الاحمديين .  
نعمان خير الدين الشهير بابن الالوسي - ت (١٣١٧) هـ - دار الكتب العلمية  
بيروت - لبنان .
- ٩٢ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي .  
للعلامة ابن القيم ت (٧٥١) هـ ط: ٣ - دار المطبعة السلفية - ١٤٠٠ هـ .

( ح )

- ٩٣ - حادى الارواح الى بلاد الافراح .  
للعلامة ابن القيم ت (٧٥١) هـ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

- ٩٤ - الحسنة والسيئة .  
لشيخ الاسلام ابن تيمية ت (٧٢٨) هـ تحقيق محمد جميل غازي - مكتبة المدني  
ومطبعتها -
- ٩٥ - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة .  
جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت (٩١١) هـ - عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٦٧ م
- ٩٦ - حلية الاولياء وطبقات الاصفياء .  
أبونعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني ت (٤٣٠) هـ - دار الفكر للطباعة والنشر  
والتوزيع .
- ٩٧ - ع الحيد .  
عبد العزيز الكفاني ت (٢٤٠) تعليق اسماعيل الانصاري - نشر ادارة البحوث العلمية  
 بالرياض .

( خ )

- ٩٨ - خلق أفعال العباد .  
للإمام محمد بن اسماعيل البخاري ت (٢٥٦) هـ - مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة

( د )

- ٩٩ - درر تعارض العقل والنقل .  
لشيخ الاسلام ابن تيمية ت (٧٢٨) هـ تحقيق محمد رشاد سالم - ط: ١ - جامعة  
الامام محمد بن سعود ١٤٠٢ هـ .
- ١٠٠ - الدرر السنية فني الاجوبة النجدية .  
جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ط: ٢ سنة ١٣٨٥ هـ دار الافتاء بالرياض .
- ١٠١ - دفع ايها الماضطراب عن آيات الكتاب .  
الشيخ محمد الامين بن محمد المختار - مطبعة المدني - مصر - وهو مطبوع مع الجزء  
التاسع من أضواء البيان .
- ١٠٢ - دقائق التفسير - لابن تيمية -  
جمع وتحقيق محمد السيد الحليند ط: ١ سنة ١٣٩٨ هـ - دار الانصار بالقاهرة



- ١٠٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة .  
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت (٨٥٢) هـ ط: ٢. مجلس دائرة المعارف العثمانية  
الهند ١٣٧٣ هـ .
- ١٠٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور .  
جلال الدين السيوطي ت (٩١١) هـ
- ١٠٥- دلائل النبوة .  
أحمد بن الحسين البيهقي ت (٤٥٨) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
- ١٠٦- الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب .  
ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون ت (٧٩٩) هـ دار الكتب العلمية - بيروت لبنان
- ١٠٧- الدين الخالص .  
محمد صديق حسن القنوجي ت (١٣٠٧) هـ - مطبعة المدني - مصر - ١٣٧٩ هـ
- ١٠٨- ديوان أبي العتاهية .  
تأليف كرم البستاني - دار صادر .
- ١٠٩- ديوان ندى الرمس .  
كارليل هميس مكارتنى - طبع كسبروج ١٩١٩ م .
- ١١٠- ديوان جرير بن عطية الخطفي .  
كرم البستاني - دار صادر .
- ١١١- ديوان عنتره .  
تأليف كرم البستاني - دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٨ هـ .

( ذ )

- ١١٢- ذيل تذكرة الحفاظ .  
أبو المحاسن محمد بن علي الدمشقي البغدادي (٧٦٥) هـ - دار احياء التراث  
المرقي - بيروت - لبنان .

( ر )

- ١١٣- الرد على الجهمية .  
عثمان بن سعيد الدارمي ت (٢٨٠) هـ ط: ٣ تحقيق زهير الشاويش - المكتب الاسلامي

١١٤ - الرد على الجهمية والزنادقة .

الامام أحمد بن حنبل ت (٢٤١) هـ تحقيق عبد الرحمن عميره - دار اللواء الرياض .

١١٥ - الرد على المنطقيين .

لشيخ الاسلام ابن تيمية - ت (٧٢٨) هـ دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان

١١٦ - رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء - دار صادر - بيروت .

١١٧ - رسالة أبي الحسن الأشعري الى أهل النفر - صور الجامعة الاسلامية رقم (٢٠١٨)

١١٨ - رسالة في الاعتقاد

لمحمد بن عبد الله بن أبي زنين ت (٣٧٨) هـ صور الجامعة الاسلامية رقم (٩٣٨)

١١٩ - الروح لابن القيم ت (٧٥١) هـ تحقيق محمد اسكندر بلدا - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .

١٢٠ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم .

محمود الالوسي البغدادي ت (١٢٧٠) هـ - دار احياء التراث العربي - بيروت لبنان .

١٢١ - روضة المحبين لابن القيم ت (٧٥١) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

١٢٢ - الرسالة القشيرية .

أبو القاسم القشيري ت (٤٦٥) هـ مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح - القاهرة .

١٢٣ - الرسالة المرشدية .

لشيخ الاسلام ابن تيمية ت (٧٢٨) هـ ضمن مجموعة الرسائل الكبرى - دار احياء التراث العربي .

١٢٤ - الرسالة المستطرفة .

محمد بن جعفر الكتاني ت (١٣٤٥) هـ - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤٠٠ هـ .

١٢٥ - رياض الصالحين .

أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ت (٦٧٦) هـ تحقيق عبد العزيز رباح - دار المأمون للتراث ١٤٠٢ هـ .

( ز )

١٢٦ - زاد المسير في علم التفسير .

عبد الرحمن بن الجوزي ت (٥٩٦) هـ ط: ١ المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ١٣٨٥ هـ

١٢٧ - زاد المعاد في هدى خير العباد .

للإمام ابن القيم - ت (٧٥١) هـ - مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر - ١٣٩٠ هـ

( س )

١٢٨ - سنن أبي داود .

سليمان بن الأشعث السجستاني ت (٢٧٥) هـ ط: ١ سنة ١٣٧١ هـ .

١٢٩ - سنن الترمذى .

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ت (٢٧٩) هـ - مطبعة المدني - مصر .

١٣٠ - سنن الدارمي .

أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ت (٢٥٥) هـ - دار احياء السنة النبوية

١٣١ - سنن ابن ماجة .

أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت (٢٧٥) هـ تحقيق محمد فواد عبد الباقي

دار احياء التراث العربي ١٣٩٥ هـ .

١٣٢ - سنن النسائي .

أحمد بن شعيب بن علي النسائي ت (٣٠٣) هـ - دار احياء التراث العربي -

بيروت - لبنان .

١٣٣ - السنة - لعبد الله بن الامام أحمد ت (٢٩٠) هـ .

تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغول - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

١٣٤ - السيرة النبوية .

أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ت (٢١٨) هـ تحقيق جماعة من

العلماء - دار الكتب المصرية .

١٣٥ - سير أعلام النبلاء .

محمد بن أحمد الذهبي ت (٧٤٨) هـ تحقيق شبيب الازنو وط. وحسين الاسدي

طبعة مؤسسة الرسالة - ١٤٠١ هـ .

( ش )

- ١٣٦ - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية .  
محمد بن محمد مخلوف - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان .
- ١٣٧ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب .
- ١٣٨ - شذرات البلاتين من طبيبات كلمات سلفنا الصالحين .  
تحقيق محمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ١٣٧٥ هـ .
- ١٣٩ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة .  
أبو القاسم ؛ هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي ت (٤١٨) هـ - دار  
طبية الرياض .
- ١٤٠ - شرح الاصول الخمسة .  
عبد الجبار بن أحمد الهمداني ت (٤١٥) هـ ط: ١ مطبعة الاستقلال الكبرى  
القاهرة ١٣٨٤ هـ .
- ١٤١ - شرح حديث النزول .  
لشيخ الاسلام ابن تيمية - ت (٧٢٨) هـ المكتب الاسلامي ط: ٥ سنة ١٣٩٧ هـ .
- ١٤٢ - شرح الطحاوية .  
للملازمة ابن أبي العز الحنفي ت (٧٩٢) هـ المكتب الاسلامي ط: ٤ سنة ١٣٩١ هـ
- ١٤٣ - شرح العقيدة الاصفهانية .  
لشيخ الاسلام ابن تيمية ت (٧٢٨) هـ ط: ١ القاهرة دار الكتب الحديثه ١٣٨٥ هـ
- ١٤٤ - شرح العقائد النسفية .  
سمد الدين التتازاني ت (٧٩٣) هـ - المطبعة الخيرية بمصر - بلا تاريخ .
- ١٤٥ - شرح الفقه الاكبر .  
لملا علي القاري - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط: ١ سنة ١٤٠٤ هـ .
- ١٤٦ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر .  
للملازمة ابن القيم - ت (٧٥١) هـ - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان
- ١٤٧ - شرح المواقف .  
علي بن محمد الجرجاني ت (٨١٦) هـ طبع دار السعادة بجوار محافظة - مصر ١٣٢٥ هـ

- ١٤٨ - شرح سنن أبي داود .  
للملازمة ابن القيم ت (٧٥١) هـ وهو مطبوع على حاشية عون المعبود ط: ٢ سنة  
١٣٨٨ هـ - الناشر عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية .
- ١٤٩ - شرح النووي على صحيح مسلم .  
يحيى بن شرف النووي ت (٦٧٦) هـ - دار الفكر - بيروت - لبنان .
- ١٥٠ - الشريعة .  
لأبي بكر محمد بن الحسين الاجري ت (٣٦٠) هـ ط: دار الكتب العلمية - بيروت  
لبنان .

( ص )

- ١٥١ - صحيح البخاري .  
أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ت (٢٥٦) هـ دار احياء الكتب العربية  
البابي الحلبي وشركاه .
- ١٥٢ - صحيح مسلم .  
أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت (٢٦١) هـ تحقيق محمد  
فؤاد عبد الباقي - طبع البابي الحلبي ١٣٧٤ هـ .
- ١٥٣ - صحيح ابن خزيمة .  
محمد بن اسحاق بن خزيمة السلمي ت (٣١١) هـ تحقيق محمد مصطفى الاعظمي  
طبع المكتب الاسلامي - الطبعة الاولى - ١٣٩٥ هـ .
- ١٥٤ - صحيح الجامع الصغير .  
محمد ناصر الدين الالباني - المكتب الاسلامي - ١٣٩٢ هـ .
- ١٥٥ - الصحاح للجوهري .  
اسماعيل بن حماد الجوهري ت (٣٩٣) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ط: ٢ سنة  
١٣٩٩ هـ - طبع على نفقة حسن عباس الشربطي .
- ١٥٦ - صفة الصفوة .  
أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ت (٥٩٧) هـ - ط: ١ تحقيق محمد فاخر -  
محمد قلمه جي - مطبعة النهضة الحديثة - القاهرة سنة ١٣٩٠ هـ .

- ١٥٧ - صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ د حلان .  
محمد بشير الشهبواني الهندي ت (١٣٢٦) هـ ط: ٣ - المطبعة السلفية ومكتبتها  
سنة ١٣٧٨ هـ .

( ض )

- ١٥٨ - الضوء اللامع لاهل القرن التاسع .  
محمد عبد الرحمن السخاوي ت (٩٠٢) هـ منشورات مكتبة الحياة - بيروت - لبنان .

( ط )

- ١٥٩ - طبقات الحفاظ للسيوطي .  
عبد الرحمن بن أبي بكر ت (٩١١) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ١٦٠ - طبقات الحنابلة .  
محمد بن أبي يعلى ت (٥٢٦) هـ دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .
- ١٦١ - طبقات الشافعية الكبرى .  
عبد الوهاب بن عبد الكافي السبكي ت (٧٧١) هـ ط: ١ تحقيق محمود محمد الطناجي  
وعبد الفتاح محمد الحلوي - عيسى الباهي الحلبي وشركاه ١٣٨٤ هـ .
- ١٦٢ - الطبقات الكبرى لابن سعد .  
محمد بن سعد ت (٢٣٠) هـ - دار صادر - بيروت - لبنان - بدون تاريخ .
- ١٦٣ - طريق الهجرتين وساب السعادتين .  
للعلامة ابن القيم ت (٧٥١) هـ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

( ع )

- ١٦٤ - عارضة الاحوذى بشرح الترمذى .  
للعلامة ابن الصري المالكي ت (٥٤٣) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ١٦٥ - العبودية .  
لشيخ الاسلام ابن تيمية - ت (٧٢٨) هـ - المكتب الاسلامي للطباعة والنشر .
- ١٦٦ - المقيدة الواسطية -  
لشيخ الاسلام ابن تيمية مع شرحها لمحمد خليل هراس - طبع الجامعة الاسلامية .

- ١٦٧ - عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة .  
للشيخ محمد بن عبد الوهاب ت (١٢٠٦) هـ - المكتب الاسلامي - ط: ٢ سنة ١٣٩١ هـ
- ١٦٨ - عقيدة السلف وأصحاب الحديث .  
أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ت (٤٤٩) هـ " ضمن مجموعة الرسائل المنيرية " - الناشر محمد أمين دمج - بيروت - لبنان - بدون تاريخ .
- ١٦٩ - المقائد الاسلامية ،  
السيد سابق - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .
- ١٧٠ - الملول للمولى الفخار ،  
للإمام الذهبي ت (٧٤٨) هـ - مطبعة العاصمة بالقاهرة - بدون تاريخ .
- ١٧١ - علماء نجد خلال ستة قرون .  
عبد الله بن عبد الرحمن البسام ط: ١ سنة ١٣٩٨ هـ - مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة .
- ١٧٢ - عمدة القارى شرح صحيح البخارى .  
أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى العيني ت (٨٥٥) هـ - دار الفكر - سنة ١٣٩٩ هـ
- ١٧٣ - عمل اليوم والليله .  
أبو بكر بن السني ت (٣٦٤) هـ - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ١٣٩٩ هـ
- ١٧٤ - عنوان المجد في تاريخ نجد .  
تأليف عثمان بن بشر النجدي العنبري ت (١٢٨٨) هـ - مكتبة الرياض الحديثه .
- ١٧٥ - عون المعهود شرح سنن أبي داود .  
أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ط: ٢ سنة ١٣٨٨ هـ - الناشر محمد عبد المحسن الكتبي .

## ( غ )

- ١٧٦ - غاية المدام في علم الكلام .  
تأليف سيف الدين الامدي ت (٦٣١) هـ تحقيق حسن محمد عبد اللطيف - مطابع الاهرام التجارية القاهرة - ١٣٩١ هـ .

١٧٧ - فتح ( ف )

١٧٧ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى .

لابن حجر المسقلاني ت (٥٨٢) هـ - المطبعة السلفية ومكنتها - القاهرة ١٣٨٠ هـ

١٧٨ - الفتح الرباني مع شرحه بلسوخ الاماني .

أحمد عبد الرحمن البناء - دار الشهاب - القاهرة - بدون تاريخ .

١٧٩ - فتح القديسر .

محمد بن علي الشوكاني ت (١٢٥٠) هـ - دار المعرفة - بيروت - لبنان .

١٨٠ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد .

عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ت (١٢٨٥) هـ - طبع ادارات البحوث العلمية

بالرياض ١٤٠٣ هـ .

١٨١ - الفرق بين الفرق .

عبد القاهر البغدادي ت (٤٢٩) هـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - مكتبة

محمد علي صبيح القاهرة .

١٨٢ - الفروق في اللفظة .

الحسن بن عبد الله بن سهل - المعروف بأبي هلال العسكري ت (بعد ٣٩٥) هـ

ط: ١ سنة ١٣٩٣ هـ منشورات دار الافاق - بيروت - لبنان .

١٨٣ - الفتوى الحموية الكبرى .

لشيخ الاسلام ابن تيمية ت (٧٢٨) هـ ط: ٣ سنة ١٣٩٨ هـ - المطبعة السلفية

ومكنتها القاهرة .

١٨٤ - الفصل في الطل والاهوا والنحل .

أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري ت (٤٥٦) هـ ط: ٢ - دار المعرفة -

بيروت - لبنان .

١٨٥ - الفوائد .

للملازمة ابن القيم ت (٧٥١) هـ - المكتبة القيمة - بدون تاريخ .

١٨٦ - الفوائد البهية في تراجم الحنفية .

محمد عبد الحي اللكوي الهندي - دار المعرفة - بيروت - لبنان .



١٨٧ - فوات الوفيات والذيل عليها .

محمد بن شاكر الكندي ت (٧٦٤) هـ تحقيق د . احسان عباس - دار صادر - بدون تاريخ

١٨٨ - الفهرست .

لابن النديم ت (٣٨٥) هـ - دار المعرفة - بيروت - لبنان .

( ق )

١٨٩ - قرّة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الانبياء والمرسلين .

الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ت (١٢٨٥) هـ - مكتبة الرياض الحديثه .

١٩٠ - القاموس المحيط .

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت (٨١٧) هـ - دار الجيل - بيروت لبنان

١٩١ - قواعد الاحكام في صالح الانام .

للعلمة المزبن عبد السلام ت (٦٦٠) هـ - مكتبة الكليات الازهرية - ١٣٨٨ هـ .

( ك )

١٩٢ - الكباشر .

للإمام الذهبي ت (٧٤٨) هـ - مطبعة الاستقامة - القاهرة - ١٣٨١ هـ .

١٩٣ - كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل .

لابن خزيمة ت (٣١١) هـ تحقيق محمد خليل هراس - دار الكتب العلمية - بيروت

لبنان .

١٩٤ - كتاب الزهد .

للإمام أحمد بن محمد بن حنبل ت (٢٤١) هـ - مكتبة وهبه ١٤٠٠ هـ .

١٩٥ - كتاب المرش وما ورد فيه .

محمد بن عثمان بن أبي شيبة ت (٢٩٧) هـ - صور الجامعة الاسلامية رقم (٥٥٩) مجموع ١

١٩٦ - الكشاف عن حقائق التنزيل .

محمود بن عمر الزمخشري ت (٥٣٨) هـ - الباهي الحلبي - الطبعة الاخيرة ١٣٩٢ هـ

١٩٧ - كشف الشبهات ( ضمن مجموعة التوحيد ) .

للشيخ محمد بن عبد الوهاب ت (١٢٠٦ هـ) - مكتبة الرياض الحديثه .

- ١٩٨ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .  
مصطفى عبد الله الشهير بحاجي خليفة - مكتبة الشئى - بيروت .
- ١٩٩ - الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية .  
للعلامة ابن القيم ت (٧٥١) هـ - مطبعة التقدم العلمية - مصر - ١٣٤٤ هـ
- ٢٠٠ - كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - المشهور بالخطط المقرئية .  
أحمد بن علي المقرئى ت (٨٤٥) هـ - دار صادر - بيروت - بدون تاريخ .
- ٢٠١ - كلمة الاخلاص - لابن رجب - ت (٧٩٥) هـ ط: ٤ - المكتب الاسلامي .
- ٢٠٢ - الكتاب المقدس المتضمن كتب العهد القديم والجديد .  
دار الكتاب المقدس - القاهرة .
- ٢٠٣ - الكامل في ضعفاء الرجال .  
عبد الله بن عدى الجرجاني ت (٣٦٥) هـ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ٢٠٤ - الكامل في التاريخ .  
أبو الحسن علي بن محمد - الشهير بابن الاثير - ت (٦٣٠) هـ - دار صادر بيروت
- ٢٠٥ - الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية .  
عبد العزيز المحمد السلطان ط: ٤ - بدون تاريخ .
- ٢٠٦ - الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة .  
نجم الدين الفزى ت (١٠٦١) هـ تحقيق جبرائيل سليما جبور - منشورات دار  
الافاق الجديدة ط: ٢ سنة ١٩٧٩ م .

( ل )

- ٢٠٧ - اللباب في تهذيب الانساب .  
أبو الحسن علي بن محمد - الشهير بابن الاثير - ت (٦٣٠) هـ - دار صادر بيروت
- ٢٠٨ - لباب التأويل في معاني التنزيل - المشتهر بتفسير الخازن .  
علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي ت (٧٢٥) هـ - المكتبة التجارية بمصر .
- ٢٠٩ - لباب النقول في أسباب النزول .  
جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت (٩١١) هـ - دار احياء العلوم بيروت

٢١٠ - لسان العرب .

جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ت (٤١١) هـ - دار صادر بيروت .

٢١١ - لسان الميزان .

للعلامة ابن حجر العسقلاني ت (٨٥٢) هـ منشورات مؤسسة الاعلمي - بيروت لبنان

٢١٢ - لمعة الاعتقاد الهادي الى سبيل الرشاد .

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (٦٢٠) هـ - المطبعة  
السلفية ومكتبتها القاهرة - ١٣٧٠ هـ .

٢١٣ - لوامع الانوار البهية .

محمد بن أحمد السفاريني ت (١١٨٨) هـ طبع المنار - ١٣٢٥ هـ .

( م )

٢١٤ - مبادئ الاسلام .

أبو الأعلى المودودي - مؤسسة الرسالة - ١٣٩٧ هـ .

٢١٥ - متشابه القرآن .

عبد الجبار بن أحمد ت (٤١٥) هـ تحقيق عدنان زرزور - القاهرة - دار التراث ١٩٦٩ م

٢١٦ - مجاز القرآن .

أبو عبدة مصر بن المشي التيمي ت (٢١٠) هـ ط: ٢ مكتبة الخانجي - دار الفكر .

٢١٧ - مجموعة التوحيد - لابن تيمية - والشيخ محمد بن عبد الوهاب - المكتبة السلفية

٢١٨ - مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ت (١٢٠٦) هـ مكتبة الرياض الحديثة

٢١٩ - مجموعة الرسائل الكبرى .

لشيخ الاسلام ابن تيمية ت (٧٢٨) هـ - دار احياء التراث العربي .

٢٢٠ - مجموعة الرسائل المنيرية .

ادارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٣ هـ الناشر محمد أمين دهب - بيروت .

٢٢١ - مجموعة الرسائل والمسائل .

لشيخ الاسلام ابن تيمية - مطبعة المنار - مصر - الطبعة الاولى - ١٣٤١ هـ

- ٢٢٢ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .  
علي بن أبي بكر الهيثمي ت (٨٠٧) هـ ط ٣ دار الكتاب العربي - بيروت لبنان ١٤٠٢ هـ
- ٢٢٣ - محاسن التأهل .  
محمد جمال الدين القاسمي ت (١٣٣٢) هـ - دار الفكر - بيروت .
- ٢٢٤ - محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين .  
محمد بن عمر الرازي ت (٦٠٦) هـ - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - مراجعة  
طه عبد الرؤوف .
- ٢٢٥ - مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .  
عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ط: ٢ القاهرة المطبعة السلفية ١٣٩٦ هـ .
- ٢٢٦ - مختصر الصواعق المرسله .  
للعلامة ابن القيم - ت (٧٥١) هـ - مكتبة الرياض الحديثة .
- ٢٢٧ - مختصر منهاج السنة .  
أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي ت (٧٤٨) هـ مكتبة دار البيان تحقيق محب  
الدين الخطيب .
- ٢٢٨ - مختار الصحاح .  
محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت (٦٦٦) هـ دار الكتاب العربي - بيروت لبنان
- ٢٢٩ - المختصر لابن سيده .  
أبو الحسين علي بن اسماعيل النحوي ت (٧٣٣) هـ - مطبعة دار الكتاب المصرية - القا
- ٢٣٠ - مدارج السالكين .  
للعلامة ابن القيم ت (٧٥١) هـ - دار الفكر - تحقيق محمد حامد الفقي .
- ٢٣١ - مراتب الأجماع .  
علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ت (٤٥٦) هـ دار الكتب العلمية - بيروت لبنان .
- ٢٣٢ - المستدرک علی الصحیحین .  
أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ت (٤٠٥) هـ .
- ٢٣٣ - المصباح المنير .  
أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ت (٧٧٠) هـ المكتبة العلمية - بيروت لبنان

٢٣٤ - المصنف .

عبد الله بن محمد بن أبي شهبة ت (٢٣٥) هـ - دار السلفية بومباي - الهند - ط: ١  
سنة ١٤٠٢ هـ .

٢٣٥ - معجم البلدان .

شهاب الدين - ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي ت (١٢٢٩) هـ - دار صادر - بيروت

٢٣٦ - معجم الادباء .

أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي - دار احياء التراث العربي بيروت لبنان

٢٣٧ - المعجم الصغير للطبراني .

سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ت (٣٦٠) هـ - المكتبة السلفية - ط: ١

٢٣٨ - المعجم الكبير .

سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ت (٣٦٠) هـ - مطبعة الامة بفداد - تحقيق  
عبد المجيد السلفي .

٢٣٩ - المعجم الوسيط .

اخراج ابراهيم أنيس وآخرين ط: ٢ - القاهرة الهيئة العامة للكتاب - ١٣٩١ هـ

٢٤٠ - معجم مقاييس اللغة .

أبو الحسين أحمد بن فارس ت (٣٩٥) هـ ط: ٢ - الباهي الحلبي - ١٣٩٠ هـ

٢٤١ - معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية .

عمر رضا كحالة - دار احياء التراث العربي - لبنان بيروت .

٢٤٢ - معارج الالباب في مناهج الحق والصواب .

حسين بن مهدي النعمي ت (١١٨٧) هـ - مكتبة المعارف الرياض .

٢٤٣ - معارج القبول .

الشيخ حافظ بن أحمد حكيم ت ( ) - المطبعة السلفية ومكنتها .

٢٤٤ - معالم التنزيل " السمي تفسير البغوي " .

أبو محمد الحسين بن سمود الفراء البغوي الشافعي ت (٥١٦) هـ - المكتبة التجارية  
الكبرى حصر .

- ٢٤٥ - معالم السنن .  
للخطابي حمد بن محمد بن ابراهيم الخطاب ت (٣٨٨) هـ - دار الحديث للطباعة  
بيروت - لبنان ١٣٨٨ هـ .
- ٢٤٦ - المملقات السبع مع شرحها .  
الحسين بن أحمد الزوزني - دار صادر - بيروت - لبنان .
- ٢٤٧ - المفتي في أبواب التوحيد والعدل .  
عبد الجبار بن أحمد ت (٤١٥) هـ - طبع المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة بلاتاريخ
- ٢٤٨ - المفردات في غريب القرآن .  
الحسين بن محمد - المعروف بالراغب الاصفهاني ت (٥٠٢) هـ - مصطفى الباهي الحلبي
- ٢٤٩ - مفتاح دار السعادة .  
للعلامة ابن القيم ت (٧٥١) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٢٥٠ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين .  
أبو الحسن الأشعري ت (٣٣٠) هـ - مكتبة النهضة المصرية .
- ٢٥١ - المتظم في أخبار الطوك والامم .  
لاقي الفرح بن الجوزي ت (٥٩٧) دار الثقافة بيروت - لبنان .
- ٢٥٢ - منهاج السنة النبوية .  
لشيخ الاسلام ابن تيمية ت (٧٢٨) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٢٥٣ - المنجد في اللغة والاعلام . دار المشرق بيروت - ط : ٢٦ تاريخ ١٩٧٣ م
- ٢٥٤ - منهاج في شعب الايمان .  
أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحلبي ت (٤٠٣) هـ ط : ١ سنة ١٣٩٩ هـ
- ٢٥٥ - موارد الظمان الى زوائد ابن حبان .  
نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٢٥٦ - الموطأ للإمام مالك بن أنس ت (١٧٩) هـ - دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٥ هـ
- ٢٥٧ - المواقف في علم الكلام .  
عبد الرحمن الايجي ت (٧٥٦) هـ - عالم الكتب بيروت .

٢٥٨ - ميزان الاعتدال .

محمد بن أحمد الذهبي ت (٧٤٨) هـ تحقيق علي محمد البجاوي - دار المعرفة  
بيروت - لبنان .

( ن )

٢٥٩ - النبوات .

لشيخ الاسلام ابن تيمية ت (٧٢٨) هـ - دار القلم بيروت - لبنان .

٢٦٠ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .

جمال الدين يوسف بن يعقوب بردى ت (١١٧٤) هـ - دار الكتب - ١٣٩١ هـ

٢٦١ - نقض تأسيس الجهمية لابن تيمية ت (٧٢٨) هـ ط: ١ مطبعة الحكومة بمكة ١٣٩١ هـ

٢٦٢ - نقض المنطق لشيخ الاسلام ابن تيمية .

مكتبة السنة المعتمدة - تصحيح - محمد حامد الفقي .

٢٦٣ - نهاية الارب في فنون الادب .

أحمد بن عبد الوهاب النوري ت (٧٣٣) هـ - دار الكتب المصرية - ١٣٤٢ هـ .

٢٦٤ - النهاية في غريب الحديث والاشتر .

لابن الاثير الجزى ت (٦٠٦) هـ - المكتبة الاسلامية .

٢٦٥ - النهاية لابن كثير ت (٧٧٤) هـ ط: ١ مؤسسة النور - الرياض - ١٣٨٨ هـ

٢٦٦ - نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر .

محمد بن محمد زبارة - المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة - ١٣٤٢ هـ .

( ه )

٢٦٧ - هدى السارى مقدمة فتح البارى .

للحافظ بن حجر المسقلاني ت (٨٥٢) هـ - المطبعة السلفية ومكتبتها .

٢٦٨ - الهدية السنوية التحفة البهائية النجدية

جمع وترتيب " الشيخ سليمان بن سحمان النجدى - مكتبة التوفيق .

٢٦٩ - هدية العارفين ،  
اسماعيل باشا البغدادي - منشورات مكتبة الحثي - بيروت .

( و )

٢٧٠ - الوايل الصيب من الكلم الطيب .  
للعلامة ابن القيم ت (٧٥١) هـ - ط : ٤ - المطبعة السلفية ومكتبتها ١٣٩٨ هـ  
٢٧١ - وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان .  
أبوالمباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ت (٦٨١) هـ - البابي الحلبي  
سنة ١٣١٠ هـ .

٢٧٢ - الوفاء بأحوال المصطفى .  
عبد الرحمن بن الجوزي ت (٥٩٧) هـ تحقيق مصطفى عبد الواحد - مطبعة  
السمادة صر - ١٣٨٦ هـ .

( ي )

٢٧٣ - بقظة أولى الاعتبار .  
صديق حسن خان ت (١٣٠٧) هـ - مطبعة الامتياز ط : ١ سنة ١٣٩٨ هـ .



فهرس الموضوعا

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
٨	سبب اختيار البحث
٩	منهج البحث
١٢	خطة البحث
الباب الاول	
دلالة السورة على الايمان بالله تعالى	
١٨	الفصل الاول : دلالة السورة على توحيد الاسماء والصفات
١٩	البحث الاول : تعريف توحيد الاسماء والصفات
٢٢	أربعة أمور ينبغي أن تعلم نحو أسماء الرب جل وعلا
٢٧	البحث الثاني : اثبات صفة الملو والفوقية بنص القرآن والسنة والاجماع
٤٦	الدليل الفطرى على علو الله تعالى وفوقيته على جميع خلقه
٤٨	الدليل العقلي على علو الله تعالى وفوقيته على جميع المخلوقات
٤٩	ذكر بعض شبه الجهمية في نفي صفة العلو وابطالها .
٥٦	البحث الثالث : القرآن كلام الله منزل غير مخلوق
٦٠	أول من أحدث القول بخلق القرآن
٦١	مذهب السلف في صفة الكلام
٦٢	مذهب الفلاسفة والمتكلمين والرد عليهم
٦٤	مذهب الجهمية في صفة الكلام
٦٥	مذهب المعتزلة في صفة الكلام ومبان بطلانه
٧٣	مذهب الكلابية
٧٤	مذهب الاشاعرة
٧٦	مذهب الكرامية
٧٧	مذهب السالمية
٧٨	مذهب الاتحادية والحلوية
٧٨	الواجب على المسلم اعتقاده في صفة الكلام
٨٠	البحث الرابع : اثبات صفة العزة
٨٤	صفة العزة لها ثلاثة معان
٨٥	صفة العزة تنقسم الى قسمين من حيث اضافتها الى الله - عز وجل -

٨٥	دلالة السنة على اثبات صفة العزلة
٨٩	المبحث الخامس : اثبات صفة الحكمة - للبارى جل وعلا -
٩٠	الحكمة نوعان
٩٣	اجماع المسلمين على أن الله تعالى موصوف بالحكمة
٩٥	آراء الناس في صفة الحكمة وبيان الراجح منها
١٠٢	المبحث السادس : تنزيه الله تعالى من نسبة الولد اليه
١٠٥	قول بعض مشركي العرب أن الملائكة بنات الله وبيان بطلانه
١٠٨	رد دعوى اليهود في أن عزيرا ابن الله
١١٢	ابطال دعوى النصارى في أن عيسى ابن الله
١٢٣	المبحث السابع : اثبات صفتي الوحدة انية والقهر - لله جل وعلا -
١٣٠	المبحث الثامن : اثبات صفتي الرحمة والمفطرة - للبارى تعالى -
١٣٨	الرحمة قسمان : عامة ، وخاصة
١٣٩	الرحمة المضافة الى الله تعالى نوعان
١٤٠	شبهة الجهمية والمعتزلة في تفهيم صفة الرحمة وابطالها من وجوه
١٤١	تأويل الاشعرية لصفة الرحمة بارادة الاحسان والرد عليه
١٤٣	المبحث التاسع : اثبات صفة العنى لله تعالى
١٤٧	ابطال قول الفلاسفة في أن علة افتقار الخلائق اليه - سبحانه - في حال الاحداث فقط .
١٤٩	ذكر بعض الاحاديث الدالة على أن الله تعالى متصف بصفة الفنى
١٥١	المبحث العاشر : اثبات صفة الرضا
	الرد على أبي علي الجبائي في استدلاله بقوله تعالى (ولا يرضى لعباده
١٥٥	الكفر) على أن العبد يخلق أفعاله
١٥٨	الرد على المؤوليين بصفة الرضا بالارادة
١٥٩	المبحث الحادي عشر : اثبات صفة العلم
	رد الامام عبد العزيز الكثاني المكي على بشر العريسي في نفيه صفة
١٦٢	العلم .
١٦٣	مذهب الفلاسفة في صفة العلم وبيان بطلانه
١٦٣	دلالة السنة والعقل على اثبات صفة العلم - للبارى جلا وعلا -
١٦٦	المبحث الثاني عشر : بيان معنى اسمه تعالى " الوكيل "
١٧١	اختلاف المعتزلة في هل يقال انه تعالى " وكيل " على قولين والرد عليهم
١٧٣	المبحث الثالث عشر : اثبات صفة السيد للبارى - جلا وعلا -

- ابن عبد البر ينقل اجماع أهل السنة على الاقرار بصفات الله - عز وجل الواردة في الكتاب والسنة على وجه الحقيقة ومنها صفات الدين . . . ١٨٢
- مذهب المشبهة في صفة الدين وهما بطلانه شرعا وعقلا ١٨٣
- مذهب المعتزلة والاشعرية في صفة الدين وهما بطلانه من وجوه سبعة . ١٨٥

## الفصل الثاني

## الفصل الثاني

- ١٩٠ دلالة السورة على توحيد العبادة
- ١٩١ البحث الاول : تعريف توحيد العبادة .
- ١٩٢ العبادة لا بد أن يتحقق فيها أمران
- ١٩٤ البحث الثاني : وجوب افراد الله تعالى بتوحيد العبادة
- ٢٠٠ البحث الثالث : أهمية الاخلاص في توحيد العبادة
- ٢٠١ معنى الاخلاص في اللفظة
- ٢٠٢ حقيقة الاخلاص في الشرع
- ٢٠٦ تأكيد السنة على أهمية الاخلاص
- ٢٠٨ كيف يستطيع الانسان تحقيق الاخلاص
- ٢١٠ البحث الرابع : عبودية الدعاء وتعريفه لفة وشرعا
- ٢١٣ يجب على الانسان أن يعلم أن كل ما به من نعمة فمن الله
- ٢١٤ اسناد الانسان نعم الله الى نفسه من علامة الخذلان
- ٢١٦ الدعاء في القرآن الكريم نوعان دعاء عبادة ، ودعاء مسألة
- ٢٢٢ تزهير الشيطان لبعض المسلمين دعاء أهل القبور والاستغاثة بهم
- ٢٢٢ المقصود بالزيارة الشرعية للمقابر أمران
- ٢٢٤ دلالة السنة على أن الدعاء عبادة لا يستحقها الا الله تعالى
- السبب الذي جعل بعض المسلمين يدعون من لا يطك لهم ضرا ولا نفعا من الاموات وغيرهم ٢٢٦
- الدعاء من أوضح صور العبادة فلا يجوز صرفه لغير الله تعالى كائنا من كان ٢٣٢
- ٢٣٤ البحث الخامس : عبودية الخوف وتعريفه لفة وشرعا
- ٢٣٨ الفرق بين الوجع والخوف والخشية والرهبة
- ٢٣٩ أنواع الخوف
- ٢٤٤ دلالة السنة على أن الخوف لا يكون الا من الله ولا يصرف لاحد سواه
- ٢٤٨ البحث السادس : عبودية الرجاء وهما حقيقة لفة واصطلاحا
- ٢٥٢ اختلاف العلماء في أي يكون الغالب على العبد الخوف أم الرجاء

٢٥٣	حث الله جميع عباد ه في أن يتعبدوه بالرجاء وحده لا شريك له
٢٥٦	من أحب مخلوقا مثل محبة الله تعالى فهو مشرك
٢٥٧	دلالة السنة على عبودية الرجاء
٢٥٩	رد العلامة ابن القيم على بعض الصوفية القائلين بأن الرجاء وقوع في الرعونة
٢٦١	المطلوب من العبد أن يمضي حياته بين الخوف والرجاء
٢٦٢	المبحث السابع : انقسام العبودية الى عامة ، وخاصة
٢٦٥	المبحث الثامن : الاسلام بين جميع الانبياء والرسل
٢٧٠	المبحث التاسع : بيان الطافات الذي أوجب الله على عباد ه أن يجتنبوه
٢٧٢	معنى الطافات لغة واصطلاحا
٢٧٦	روايس الطافات خمسة
٢٧٩	الصور التي ان فعلها الحاكم في حكمه أخرجته من الطة
٢٨٤	المبحث العاشر : عبودية الانابة وتعريفها لغة وشرعا
٢٨٨	الانابة نوعان
٢٨٨	انابة الموحدين المخلصين تتضمن أربعة أمور
٢٩١	مراتب الناس في الانابة
٢٩٤	المبحث الحادي عشر : عبودية التوكل وتعريفه لغة واصطلاحا
٢٩٦	الايات الدالة على عبودية التوكل
٣٠٢	التوكل على الله نوعان
٣٠٤	فضل التوكل على الله تعالى
٣١٠	التوكل لا يتحقق الا بأمرين
٣١١	التوكل والاسباب
٣١٦	المبحث الثاني عشر : الشفاعة نوعان ، منفية ، ومثبتة
٣٢٢	السبب الذي جعل عباد الاصنام وعباد القبور أن يطلبوا الشفاعة من غير الله تعالى .
٣٢٣	الفرق بين الشفاعة عند المخلوقين والشفاعة عند الله تعالى
٣٢٨	حقيقة الشفاعة المثبتة
٣٢٩	مذهب المعتزلة في نفي الشفاعة لاهل الكبائر والرد عليهم
٣٣١	أنواع الشفاعة المثبتة
٣٣٧	دلالة السنة على ثبوت الشفاعة لاهل الكبائر
٣٤٠	الشفاعة لا تتال الا بتجرید التوحيد لله رب العالمين

٣٤١	الرسول بعثوا جميعا للدهوة الى توحيد الله بتوحيد العبادة
	الفصل الثالث :
٣٤٥	دلالة السورة على توحيد الربوبية
٣٤٦	المبحث الاول : تعريف توحيد الربوبية
٣٤٦	معنى الرب في اللفظة
٣٤٧	التعريف الاصطلاحي لتوحيد الربوبية
٣٥٠	المبحث الثاني : دلائل توحيد الربوبية من السورة
٣٥٠	١ - خلق السموات والارض
٣٥٦	٢ - تماقنب الليل والنهار
٣٥٨	٣ - تسخير الشمس والقمر لتهيئة صالح العباد ومنافعهم
٣٦٢	٤ - خلقه تعالى بني آدم من نفس واحدة
٣٦٣	٥ - تذكير العباد بمرحلة التكهن في الارحام
٣٧٠	٦ - الاستدلال بخلق الارزواج الثمانية من الانعام على ربوبية تعالى
٣٧٤	٧ - انزال المطر وانبات النبات
٣٧٩	٨ - تصرفه تعالى في شئون خلقه
٣٨٣	٩ - بسطه تعالى الرزق لمن يشاء وتضييقه على من يشاء
٣٨٦	١٠ - مقاليد السموات والارض بيده - سبحانه -
	المبحث الثالث : اقرار المشركين الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه
٣٨٩	وسلم بوجود الله تعالى
٣٩٤	بيان ضعف معبودات المشركين وعجزها
٤٠٣	المبحث الرابع : الاقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الاقرار بتوحيده الالهية
	الفصل الرابع :
٤٠٨	ما جاء في السورة بشأن الشرك
٤٠٩	المبحث الاول : تعريف الشرك
٤١٣	المبحث الثاني : أنواع الشرك الذي هو أعظم ذنب عصي الله به
٤١٥	الشرك الاكبر نوعان شرك في الالهية ، وشرك في الربوبية
٤١٨	شرك الاولين أخف من مشركي زمننا بأمرين
٤٢١	تعريف الشرك الاصغر
٤٢٢	الفرق بين الشرك الاكبر والاصغر من وجوه أربعة
٤٢٣	تعريف الشرك الخفي الذي لا يسلم منه الا من سلمه الله تعالى
٤٢٦	كفارة الشرك الخفي اذا وقع فيه الانسان

٤٢٧	الكفر نوعان أكبر ، وأصغر
٤٢٩	تعريف النفاق في اللغوية
٤٣٠	النفاق اعتقادي ، وعقلي
٤٣٢	المبحث الثالث : أصل الشرك في بني الانسان وبيان سببه
٤٣٧	المبحث الرابع : ذم الانسان على جملة أنداد الله تعالى
٤٣٨	معنى النفاق
٤٤٠	ذكر بعض أنواع المعبودات التي عبدت من دون الله تعالى
٤٤١	الاصنام والاوثان وسبب عبادتها من دون الله تعالى عند مشركي العرب
٤٤٧	عبادة الهيسوي
٤٤٨	عبادة الاجرام السماوية
٤٥٠	عبادة الملائكة
٤٥١	المعبود من دون الله تعالى اما عاقل ، أو غير عاقل
٤٥٦	المبحث الخامس : الفرق بين الشرك والموحدة
٤٦٤	المبحث السادس : التحذير من الشرك وبيان أنه محبط للعمل
٤٦٥	الدلائل عند الله تعالى ثلاثية
٤٦٦	بيان التشبيه للمشرك في قوله تعالى (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء)
٤٦٩	أجناس الظلم الثلاثية
٤٧٠	لماذا كان الشرك بالله أظلم الظلم وأقبح القبائح
	الباب الثاني
٤٧٢	دلالة السورة على وجوب الايمان بالملائكة والكتب والرسول والقدر
٤٧٣	الفصل الاول : دلالة السورة على وجوب الايمان بالملائكة
٤٧٤	المبحث الاول : تعريف الملائكة ومن أي شيء خلقوا . . . ؟
٤٧٥	الملائكة أقدارهم الله على التشكل بأشكال مختلفة
٤٧٧	كيفية الايمان بالملائكة
٤٧٨	المبحث الثاني : ذكر بعض أعمال الملائكة التي أنيطت بهم
٤٨٥	الفصل الثاني : دلالة السورة على وجوب الايمان بالكتب
٤٨٦	المبحث الاول : كيفية الايمان بالكتب السابقة
٤٩١	دلالة السنة على وجوب الايمان بالكتب
٤٩٤	المبحث الثاني : كيفية الايمان بالقرآن

## الباب الثالث

- ٥٨٤ دلالة السورة على وجوب الايمان باليوم الاخر
- ٥٨٥ الفصل الاول : مباحث في اليوم الاخر قبل دخول الجنة والنار
- ٥٨٦ تمهيد
- ٥٨٨ المبحث الاول : النفخ في الصور ومعناه في اللفظ والاصطلاح
- ٥٨٩ معنى الصور
- ٥٩١ عدد النفخات في الصور ثلاث
- ٥٩١ النفخة الاولى : نفخة الفزع
- ٥٩٤ النفخة الثانية : نفخة الصمق
- ٦٠١ النفخة الثالثة : نفخة البعث
- ٦٠٣ المبحث الثاني : بحث الموتى من قبورهم
- ٦٠٦ اختلاف الناس في هل المبعوث هو الجسد الاول بعينه أو غيره
- الايات القرآنية والاحاديث النبوية تقرر أن المبعوث هو الجسد الاول بعينه
- ٦٠٨ القرآن
- المبحث الثالث : عناية باثبات المبعوث وذكر بعض المسالك التي لم يملكها لاثباته
- ٦١٤ المبحث الرابع : أرض المعشر
- ٦٢٣ صفة هذه الارض
- ٦٢٥ بيان خلاف العلماء في أرض المعشر
- ٦٢٨ المبحث الخامس : كتاب الاعمال واهتمام القرآن به
- ٦٣٤ كيفية أخذ كتاب الاعمال يوم القيامة
- ٦٣٩ المبحث السادس : جزاء الاعمال يوم القيامة
- ٦٤٣ عمل الانسان له ثلاث حالات اما أسوأ ، أو أحسن ، أو لا أسوأ ولا أحسن ٦٤٦
- ٦٥٤ الفصل الثاني : النار دار الكافرين
- ٦٥٥ تمهيد
- ٦٥٦ المبحث الاول : كيفية دخول أهل النار النار
- ٦٦٢ المبحث الثاني : أبواب جهنم وعددها وأنها طبقات بعضها فوق بعض
- ٦٦٧ المبحث الثالث : خزنة جهنم ومدتها
- ٦٧٢ المبحث الرابع : احاطة النار بأهلها وشدة عذابها
- ٦٨٢ المبحث الخامس : صفات أهل النار وهوان اصنافهم أعاننا الله منهم
- ٦٩٣ المبحث السادس : أبدية النار ودوام عذابها



٧٠١	الفصل الثالث : الجنة دار المتقين
٧٠٢	تمهيد
٧٠٤	المبحث الاول : كيفية دخول أهل الجنة الجنة
٧٠٧	المبحث الثاني : أبواب الجنة وعددها ، وذكر أسماء بعضها
٧١٣	سمة أبوابها
٧١٤	مقدار المسافة التي تكون بين كل بابين
٧١٥	مفتاح الجنة " لا اله الا الله "
٧١٧	المبحث الثالث : خزنة الجنة
٧١٩	المبحث الرابع : أرض الجنة
٧٢٢	الاعمال أسباب في دخول الجنة لا أثمان وأعواض
٧٢٤	صفة أرض الجنة
٧٢٧	المبحث الخامس : صفات أهل الجنة التي يتميزون بها عن غيرهم في الدنيا
٧٣٦	المبحث السادس : غرف الجنة ، وقصورها ، وأنهارها
٧٣٦	غرف الجنة وخصائصها
٧٤١	قصور الجنة
٧٤٤	أنهار الجنة
٧٥١	المبحث السابع : أبدية الجنة وديمومتها
٧٥٨	المبحث الثامن : وجوب الايمان بالعرش وأنه سقف الجنة
٧٦٧	الخاتمة
	المفهرس
٧٧٤	فهرس الاعلام المترجم لهم
٧٧٧	فهرس المصادر والمراجع
٨٠٣	فهرس الموضوعات